

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

المجلد 02 العدد 05 (12)

إدارة المجلة

المشرف العام: أ.د/ خالد الخطيب -الأردن-

المشرف الشرفي: أ.د/ حاجي دوران -تركيا-

المشرف المباشر: أ.د/ عبد الواحد زيارة إسكندر المنصوري، جامعة البصرة، العراق

مدير المجلة: أ.د/رحيم حلو محمد البهادلي جامعة البصرة، العراق

نائب مدير المجلة: أ.د/ نعيمة رحمانى جامعة تلمسان - الجزائر

رئيس التحرير: أ.د/ محمد قاسم نعمة الناصر جامعة البصرة، العراق

العنوان الإداري للمجلة:

مركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رمح) شارع وصفي - عمان

الهاتف /الفاكس: 0096265153561 إيميل المجلة: researchre99@gmail.com

رابط الموقع الإلكتروني: <https://remahresearch.com>

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات
تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح، عمان،
الأردن

التصنيف ضمن قواعد البيانات العالمية

القاعدة الأولى



المجلة مصنفة ضمن قاعدة بيانات ابيسكو EBSCO العالمية ومن ضمن فروعها
قاعدة ERIH مقرها بماساتشوستس الولايات المتحدة الأمريكية

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

القاعدة الثانية



مصنفة ضمن قاعدة بيانات أسك زاد ASK ZAd

مقرها بالولايات المتحدة الأمريكية، والامارات العربية المتحدة، وجمهورية مصر العربية
والمملكة الأردنية الهاشمية

القاعدة الثالثة



مصنفة ضمن قاعدة بيانات دار المنظومة

Dar Almandumah مقرها بمدينة الرياض، المملكة السعودية.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات
تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح، عمان،
الأردن

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د/ عصام كاطع داود الشويلي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ تحرير علي حسين علوان، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ هاشم صالح مناع، جامعة الإسراء، عمان، الأردن
أ.د/ حميد سراج جابر الأسدي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ فالح صدام منشد الإمارة، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ فريد أمعشوشو، جامعة وجدة، المغرب
أ.د/ ماجد عبد الحميد عبد الكعبي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ خالد الجندي الجامعة اللبنانية لبنان
أ.د/ عمار محمد يونس الساعدي، جامعة كربلاء، العراق
أ.د/ زمان عبيد وناس المعموري، جامعة كربلاء، العراق
أ.د/ فاضل بيّات مركز إرسيك تركيا
أ.د/ حيدر عبد الرضا حسن التميمي، جامعة البصرة، العراق
أ.د/ رشيد محمد كهوس، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، المغرب

شروط النشر في المجلة

الأفكار والآراء التي يتضمنها البحث لا تعبر عن رأي المجلة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أن إدارة المجلة بفروعها وخاصة هيئة التحرير، غير مسؤولة عن أي سرقة علمية تتم في البحوث المقدمة لها.

1. تنشر مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات الأبحاث الأصيلة ذات المنهجية العلمية الرصينة والتي تلتزم بالموضوعية، وتتوافر فيها الدقة والجدية.

2. كل بحث لا يحترم شروط النشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.

3 - تخضع كل الأبحاث إلى التحكيم من قبل هيئة مختصة، ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يقوم الباحث بالتعديلات المقترحة.

4. للمجلة كل الحق في أن تطلب من الباحث أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب مع طبيعة المجلة.

5. لا يجب أن يكون البحث قد سبق نشره أو كان جزءاً من كتاب منشور.

6. يعهد الباحث بعدم تقديم البحث للنشر في جهة أخرى، بعد إقرار نشره في مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، إلا بعد الحصول على إذن كتابي بذلك من مدير المجلة.

7. لا تتجاوز صفحات البحث المقدم 25 إلى 30 صفحة.

8 - على الباحث احترام شروط الكتابة التالية:

*تحتوي الصفحة الأولى من البحث على؛ عنوان البحث، الاسم الكامل للباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي إليها باللغة العربية واللغة الانجليزية، البريد الالكتروني للباحث، ملخص للدراسة في حدود 150 كلمة حجم 12 بلغة المقال وبلغة أجنبية (الإنجليزية)، الكلمات المفتاحية بعد الملخص.

*تقدّم الأبحاث مكتوبة ببرنامج Word بخط Traditionnel Arabic حجم 14، تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 14 مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط. أما الأبحاث المكتوبة باللغة اللاتينية فتكتب بخط Time new Roman، بحجم 12 وتكون الحواشي 4 سم على جوانب الصفحة الأربعة، كما تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في المقال، وتكتب عناوينها والملاحظات التوضيحية أسفلها، أما الجداول ترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها أعلاها والملاحظات التوضيحية أسفلها.

*يلتزم الباحث بتهميش المعلومات آخر البحث.

*بالنسبة لعلامات الترقيم، توضع النقطة (.) بعد الكلمة مباشرة دون وجود فراغ بينهما، ويوضع فراغ واحد بين النقطة وبداية الجملة التالية. كما لا توضع النقطة (.) أبداً في العناوين، أما إذا كان العنوان يضم عناوين أحدهما فرعياً والآخر رئيسياً فيفصل بينهما بنقطتين.

*تكتب واو العطف ملتصقة بالكلمة التي تليها ولا يترك فراغ بينهما.

* عدم الإكثار من الفقرات وجمعها في نصّ سياقي واحد، واللجوء الى الفقرات عند الضرورة النصية.

9 الأفكار والآراء التي يتضمنها البحث لا تعبر عن رأي المجلة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أنّ إدارة المجلة وفروعها خاصة هيئة تحرير، غير مسؤولة عن أيّ سرقة علمية تتم في البحوث المقدمة لها.

10 - يرفق صاحب البحث تعريفاً مختصراً بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي

ترسل الأبحاث إلى إيميل المجلة researchre99@gmail.com

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة فصلية تعنى بدراسات العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات
تصدر عن جامعة البصرة كلية التربية للبنات في العراق ومركز البحث وتطوير الموارد البشرية رماح، عمان،
الأردن

الفهرس

ص12	كلمة المشرف
ص13	علم الاجتماع بين التفسير والفهم طالبة الدكتوراه نبيلة بروحو
ص30	المشكلات الأسرية أنواعها، وأسبابها وعلاجها الدكتور محمود الخزاعي
ص57	أثر حرب الأفيون الثانية في ضم شبه جزيرة كولون لهونغ كونغ (1861-1856) أ.د. كاظم هيلان محسن السهلاني م.م. عمر عدنان داود الخالد
ص73	زيارة انور السادات الى لندن واثرها في العلاقات البريطانية - المصرية عام 1981م أ. م. د. عبادي احمد عبادي الباحثة اسراء حميد حنون
ص106	أهلوية المرأة المالية في مصر القديمة أ.سمية شهبي
ص120	رأي الشيوعيين في اتفاقية الجلاء وصفقة الأسلحة (1954-1955) أ.م.د. أميرة رشك لعبي الباحث كاظم وادي خشان

ص142	الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للدومينيكان في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية 1844 – 1882 أ.د/ أيمن كاظم حاجم الباحثة ربيعة شهيد محمد
ص177	عناية فقهاء حاضرة تازة برسالة ابن أبي زيد القيرواني أ.د/ عبد الرحيم الحمدادي
ص204	الاتجاه الإنساني في الحكم الثرية في العصر الجاهلي رشا العميرة أ.د. هاشم صالح مناع
ص225	إسهامات أبو العباس القلقشندي في علم التعمية (ت 821هـ / 1418م) أ.د/ عفاف عبد الجبار عبد الحميد
ص260	الاثر الديني في رسم البدايات الاقتصادية والاجتماعية لمدينة مكة قبل البعثة الاستاذ الدكتور زمان عبيد وناس م .م عائد عبد ايوب حميد
ص273	الإبداع الفكري عند ابن خلدون في (ما يعرض للمؤرخين من مغالط) أ.د/ اسراء حسن فاضل
ص290	الأسباب الطبيعية للأزمات الاقتصادية حتى نهاية عصر الرسالة الجفاف وقلة الامطار (القحط) انموذجاً أ.م.د مؤيد إبراهيم محمد العيداني الباحث عاطف حميد حنتوش العلي

ص316	المعارضة السياسية لأبناء البيت الأموي في الأندلس (138-366هـ/755-976م) أ.د. حسين جبار مجيتل الباحث زيدون خلف كلش
ص338	التّهانويّ وعناصر الجدّة في العمل المعجميّ -كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم أنموذجاً- طالبة دكتوراه الطور الثالث لمياء العايب أ.د محمد بوادي
ص360	التحليل اللساني للعربية- دراسة في الأنظمة العامة م.د. جاسم خيرى حيدر
ص380	اللّغة التّقنية وتدرّس اللغة العربية للناطقين بغيرها سؤال الماهية وأفق الاستثمار د. المصطفى بوعزاوي
ص408	ظاهرة التّكرار في قصيدة "إلى الموت" لأبي القاسم الشابي د. رفيقة النجار
ص423	الأبعاد البنيوية و الدلالية و المعرفية في السرد العربي القديم (قصة هارون الرشيد والرجل الأموي أنموذجاً) باحثة في سلك الدكتوراه نهيلة لمليح
ص442	المعالجة الآلية للفعل العربيّ صوتيّاً صرفيّاً ونحويّاً الدكتورة سميرة عبد المالك
ص458	توظيف الحكاية بالمدرسة الابتدائية : المفهوم والأسس اللسانية والنظرية اليشوي سعيد، طالب باحث في سلك الدكتوراه
ص477	الصحة النفسية والمدرسة "رؤية نقدية" د. زبيدة الحطاح د. فتحية عبد القادر شكراري

ص492	الاساءة الانفعالية وانعكاساتها على الكفاءات الانفعالية لدى المراهق الغالية البنوحي طالبة باحثة بسلك الدكتوراه للسنة الثانية
ص509	حماية اللاجئ بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي عبد العزيز لعبيدي طالب باحث دكتوراه
ص536	الاختراق الجمالي للبنية الاحيائية: دراسة في الفن الجيني أ.م. د فريد خالد علوان
ص578	أزمة الهجرة غير النظامية في ليبيا: التوظيف السياسي لقضية المهاجرين غير الشرعيين من قبل حكومة الوفاق الوطني ريم البركي، مرشحة لنيل درجة الدكتوراه
ص599	التشريع الإسلامي لحماية الأقليات الدينية د. نجوى غالم
ص630	واقع تدبير الهجرة غير النظامية بالمغرب د. محمد علالي، طالب باحث دكتوراه
ص645	دور البحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي أستاذ مشارك: أمل محمد عبدالله البدو
P672	LE CLUSTER DE L'OFFRE TOURISTIQUE D'OUELATANA AMONT COMME OPTION DE DÉVELOPPEMENT TERRITORIAL JABBAR LARABI EL BAKKARI MOHAMED Emad bouyzillan
P693	Étude épistémologique et historique de la reproduction des Angiospermes Hichri Fethi. Docteur en didactique des sciences de la vie et de la terre

كلمة العرو

ليس بوسع المرحلة التي نحن بصدد التعبير عنها الا ان نتصالح مع واقع فرضته أزمة الفايروس الابل للأنحسار كما نرجو لا كما يصدق به العلم، ومع ذلك فإننا نحاول ان نتكلم ونطل على قرائنا بعدد جديد، نقرأ من خلاله ما يدور حولنا ونناقش ما هو راهن وما يمكن ان يكون، نطل رغم القلق الآخذ بتلابيب مستقبلنا لنواصل المسيرة التي رسمنا خارطتها مع أقلام فذة وعقول نيرة ناقشت وتناقش أفكاراً نسعد بطرحها ونتفاعل في تحسیر انماط من الفكر ليس لها الا ان تكون حاضرة في ظل هذا الحراك الاكاديمي النافع والتنوع في الولوج الى عتبات منهجية جديدة ومغادرة كل ما هو مستهلك؛ لأننا لا نريد ان نبقي في حدود مياه علمية راكدة، قد لا تكون جديدة بمواكبة القفزات العلمية ومدركات الزمن القادم. انها دعوة لمواجهة التحديات التي تعصف بنا وتحاول ان تشدنا بين الفينة والأخرى.

وفق الله الجميع وألبسهم لباس العافية، وأدام علينا الإخلاص في العمل لتستمر مسيرة العطاء العلمي.

والله وراء القصد

أ.د. محمد قاسم نعمه

رئيس التحرير

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

علم الاجتماع بين التفسير والفهم
طالبة الدكتوراه نبيلة بروحو
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، المغرب.
nabila.bourouhou@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/04/21 م تاريخ التحكيم: 2021/04/27 م تاريخ النشر: 2021/06/15 م
الملخص بالعربية:

من خلال هذه الورقة البحثية سنحاول تسليط الضوء على مشكلة المنهج في علم الاجتماع، من خلال التعرف على طبيعة وخصائص كل من المقاربة الكمية والمقاربة الكيفية وبيان أهميتهما ودورها ومدى فاعليتهما في رصد الأبعاد المختلفة للظاهرة الاجتماعية، وذلك من خلال الإجابة على نص الأسئلة التالية: هل يمكن دراسة الظواهر المجتمعية في ضوء العلوم الفيزيائية أو الطبيعية أو التجريبية على أنها أشياء وموضوعات؟ أم ندرسها في ضوء المقاربة الذاتية التفهمية؟ بمعنى هل لدراسة الظاهرة الاجتماعية يمكن اعتماد التفسير بما هو كشف للعلاقات السببية لظاهرة ما، أم أنه لا بد من اعتماد الفهم بما هو تأويل وفهم للدلالات والمقاصد؟ أم يمكن الجمع بين هذين المنهجين في دراسة علم الاجتماع؟ الكلمات المفتاحية: علم الاجتماع - المنهج - التفسير - الفهم.

Sociology between interpretation and understanding
PhD Student : Nabila Bourouhou
Collège des sciences humaines et sociales. Ibn Totail University,
Morocco.
nabila.bourouhou@gmail.com

Abstract:

We will try through this research to discuss the issue regarding the process in Sociology. We will deep drive in the nature and properties of the approach in term of quantity and quality, and we will mention its importance roles and effectiveness in monitoring the different social dimensions by answering following questions :

Can social phenomena be studied as we study natural phenomena, as objects ? Or we study it through the self understanding approach ? Meaning, do we adopt the interpretation approach to study social phenomena or do we adopt the understanding approach, or both ?

Keywords: Sociology – process – interpretation – understanding.

مقدمة:

تعد مسألة البحث في المناهج من المسائل المركزية في العلوم سواء كانت طبيعية أو إنسانية، لأن نتائج كل علم تترتب عن المنهجية المتبعة، وقد تبين ذلك من تاريخ العلم أنه ليس هناك من علم دون منهج يشكل حلقة الأساسية التي ينبنى عليها.

وعلم الاجتماع كباقي العلوم الإنسانية تأسس منذ بواكيره الأولى على نموذج مستعار من العلوم الطبيعية، وذلك لكي يخلق لنفسه قاعدة صلبة من المنهج العلمي ورصيда وافرا من الاحترام الأكاديمي، ومن ثم فقد أكد المؤسسون الأوائل لهذا العلم على أهمية التوصل إلى القوانين العامة، وعلى تحقيق درجة عالية من الضبط والتحكم في العالم الاجتماعي على غرار ما يحدث في العالم الطبيعي. وعلى دراسة الوقائع الاجتماعية بوصفها وقائع طبيعية. وإذا سعت العلوم الاجتماعية هذا المسعى فإنها تبنت نموذجاً يقوم على التفسير السببي Causal Explanation، وليس على الفهم Understanding.

ويتجلى ذلك بوضوح من خلال محاولة الفلسفة الوضعية تقليد العلوم الطبيعية في دراستها للظواهر الإنسانية، مدعية أنه بالإمكان التوصل إلى حقائق وقوانين موضوعية كما هو الحال في حقائق وقوانين العلوم الطبيعية، وذلك عن طريق المنهج التجريبي، واعتبرت محاولات الفهم الذاتي الحدسي والاستنباطي، محاولات خارج نطاق العلم أو هي على أقل تقدير غير قادرة على كشف المعرفة الموضوعية التي هي مطلب البحث العلمي، إلا أنها اصطدمت بكون "علوم الإنسان" تنفرد بجملة من الخصائص أهمها الوعي والإرادة والتعقيد والحرية، خاصة وأن الإنسان يتحول فيها من مجرد ذات عارفة إلى ذات وموضوع للمعرفة في نفس الوقت. في حين تتصف الظاهرة الطبيعية بالعطالة والاطراد والوضوح والحتمية، فإن الأفعال الإنسانية أفعال واعية وتصدر عن إرادة خفية يستحيل قياسها بدقة، وترمي إلى مقاصد قد لا تكون واضحة ولا تخضع بالضرورة للاطراد، وهي قابلة للتغير والتجاوز باستمرار وبشكل غير قابل للقياس

والضبط. ولقد أدى هذا الموقف من جانب العلوم الوليدة إلى احتدام الجدل حول ثنائية التفسير - الفهم، وهو جدل ساهم فيه الفلاسفة والمفكرون من ذوي الميول التأويلية.

من هنا ينبع الإشكال الآتي: ما العمل قصد تحقيق شرط العلمية في علم الاجتماع؟ هل بالاقتراء بالعلوم الطبيعية أم بالاستقلال عنها؟ بمعنى آخر هل يمكن دراسة الظواهر المجتمعية في ضوء العلوم الطبيعية أو التجريبية على أنها أشياء وموضوعات كما يقول الوضعيون، أمثال أوغست كونت وإميل دوركايم؟ أم ندرسها في ضوء المقاربة الذاتية أو التفهيمية كما يرى فلهم دلتاي وماكس فيبر؟ أم يمكن الجمع بين هذين المنهجين في دراسة علم الاجتماع كما يرى لوسيان غولدمان وأنتوني غيدنز؟ وبتعبير آخر، هل يتأسس علم الاجتماع على منهج التفسير، أم منهج الفهم، أم هما معا؟ أم ينبغي البحث عن بديل مغاير للعلمية أو البحث عن منهج سوسيولوجي أصيل لدراسة الإنسان بصفة عامة، والظاهرة المجتمعية بصفة خاصة؟

المبحث الأول: علم الاجتماع في ضوء منهج التفسير

1 -التفسير ووحدة المنهج بين علم الاجتماع والعلوم الطبيعية

ينظر أصحاب هذا الاتجاه إلى العلوم الإنسانية باعتبارها فرعاً من العلم الطبيعي. ومعنى هذا أن مادة العلاقات الإنسانية إذا أريد لها أن تكون علمية فلا مندوحة لها عن السير في نفس الطريق المنطقي الذي تسير فيه بقية العلوم الطبيعية، وليس في مادة العلاقات الإنسانية ما يتنافى مع استيفاء الشروط المنطقية الضرورية لكل بحث علمي، والفرق بين العلوم الإنسانية والعلوم الأخرى هو فرق في تعقد التفصيلات وكثرتها، مما يجعل مواقفها أعسر تناولا من المواقف الطبيعية الأخرى، ولكن ذلك يجعل تطبيق المنهج العلمي على العلوم الإنسانية أكثر صعوبة ولا يجعله من الناحية المنطقية مستحيلاً، وينتمي هذا الرأي إلى الاتجاه الطبيعي أو الوضعي الذي ينادي بوحدة المنهج بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية، فالإنسان ليس إلا جزء من عالم طبيعي ويفسر في نطاق التفسير العام للنظام الطبيعي.

ويرفض أصحاب هذا الاتجاه التمييز بين العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية على أساس أن الأولى علوم دقيقة والثانية علوم غير دقيقة، وفي الواقع أن الفرق بين النوعين من العلوم هو فرق في الدرجة وليس من حيث المبدأ فالعلم يقال إنه دقيق إذا قدم التفسير والتنبؤ بطريقة معقولة وبالتالي بطريقة محددة للمفاهيم

المستخدمة وظهر الاستنتاج عن طريق استخلاص منطقي - رياضي. أما عن استخدام العلوم الدقيقة للرموز الرياضية والقياس العددي فهذا عرض وليس خاصية أساسية، والدقة لا تنطبق على كل العلوم الطبيعية ولكن على بعض مجالات الفيزياء، فمثلا الهندسة المعمارية والطب يعتبران "علمين" ولكنهما غير دقيقين لأنهما يعتمدان على عمليات استنتاجيه غير منهجية، بينما نجد أن علوما مثل الاقتصاد وعلم النفس يعطيان استنتاجات دقيقة وفي نفس الوقت لدهما اعتماد على أحكام حدسية، فهذا يدل على أن ليس هناك حد فاصل بين العلوم الدقيقة وغير الدقيقة كما أن عدم الدقة ليس صفة قاصرة فقط على العلوم الاجتماعيةⁱⁱ، بدليل أن بعض فروع العلوم الاجتماعية (أجزاء من علم السكان) متميزة بوجود نظرية رياضية مصاغة ومشابهة منهجيا للأجزاء الدقيقة في الفيزياءⁱⁱⁱ. ويدعي الذين يفرقون بين العلوم الاجتماعية والطبيعية تفرقة من حيث المبدأ أن الأخيرة على الرغم من كونها غير دقيقة تماما الآن إلا أنها سوف تحقق الدقة تدريجيا بينما الأولى بسبب تعقد موضوع الدراسة وعدم الوصول إلى الكمال في معلوماتها القائمة على الملاحظة فلا بد أن تبقى غير دقيقة.

إلا أن هذه التفرقة المفترضة بين العلوم الفيزيائية بدقة مفاهيمها واستنتاجاتها وارتفاع الثقة بتنبؤاتها وبين العلوم الاجتماعية ذات المفاهيم الغامضة والتصورات الحدسية وعدم القدرة على التنبؤ، هذه التفرقة زائفة - في رأي ريكز - فضلا عن أنها هي التي عوقت تطور العلوم الاجتماعية. إن المهم ليس إزالة عدم الدقة في العمليات وفي القدرة التنبؤية، ولكن الموضوعية هي المهمة فهي التي تميز العلم عن العمل الحدسي، ومتى وصلنا إلى واقعة أو فكرة جديدة مهما يكن أساسها الحدسي فلا بد أن تكون قابلة للخضوع للاختبار الموضوعي والتأكيد من أي شخص. إن هذا المستوى من الموضوعية العلمية هو الذي تستند إليه العلوم الاجتماعية، ولكن بطريقة ناقصة، ويرفض "ريكز" اعتبار دقة الشكل والمنهج أو درجة التنبؤ ركنين أساسيين للتفرقة بين العلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية فتبقى لنا أن نبحت عن فارق معرفي خاص بقدرة كل منهما على الوصول إلى نفس مستوى الموضوعية. ويعتقد "ريكز" أن هذا الفارق لا وجود له وأنه لا يمكن التفرقة بين العلوم الاجتماعية والعلوم الفيزيائية على أساس منهجي، ونستطيع بناء على ذلك إقامة أساس لمعرفة متسقة لكافة العلوم غير الدقيقة سواء كانت اجتماعية أو فيزيائية^{iv}.

ويرى "بوير" أن المناهج في مجالي العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية متماثلة أساساً، فالمناهج تتكون من تقديم تفسيرات استنباطية حدسية واختبارها عن طريق التنبؤ، وهذا ما يسمى أحياناً بالمنهج الفرضي - الاستنباطي، وأحياناً يسمى بمنهج الفروض لأنه لا يقدم يقيناً بالنسبة للأحكام العلمية التي يقوم باختبارها، بل ويمكن أن تحتفظ هذه الأحكام دائماً بطابع المحاولة بالنسبة للفروض، إن المهم في مجال العلوم هو أن ندرك أننا نهتم دائماً بالتفسيرات والتنبؤات والاختبارات وأن منهج اختبار الفروض دائماً واحد.^v

2 - اتجاه أوغست كونت ونظريته إلى التفسير:

إذا تأملنا فكر "أوغست كونت" Auguste Comte وفلسفته نجد أن هدفه الأول كان التفسير ولم يكن المنهج الذي سار عليه إلا وسيلة للوصول إلى تلك الغاية، لقد نظر كونت إلى العلم على أنه واقعة اجتماعية ومن هنا يمكن وصف مراحله الماضية وتقدير احتمالات المستقبل، فالعلم ليس إلا أداة لزيادة تحكم الإنسان في ظروفه الطبيعية والاجتماعية.

لقد اقترح كونت قواعد المنهج الاجتماعي في الدرس الثامن والأربعون من دروس الفلسفة الوضعية، وذلك عندما أكد على ضرورة الاهتمام بدراسة الوقائع الاجتماعية مثلما ندرس الظواهر الفلكية والفيزيائية والكيميائية والفسيولوجية، ومن جهة أخرى أكد على أهمية الفكر العلمي القائم على الملاحظة والتجربة والاهتمام بالوقائع المحسوسة، وقد ميز كونت بين ثلاث مراحل في تطور الفكر البشري هي:

- المرحلة اللاهوتية أو الدينية: وفيها كان الإنسان يفكر بطريقة غيبية، ويعتقد أن أهواء ورغبات قوى خفية هي التي تسير الطبيعة، ويبدو الطريق الذي تسلكه الطبيعة كسلسلة من المعجزات تقوم بها قوى عليا تحكم العالم المرئي، فالعقل يفسر الظواهر بنسبتها إلى قوى مشخصة فريدة خارجة عن نطاق الظاهرة كالآلهة والأرواح والشياطين وما إليها، كان يفسر الظواهر بنسبتها إلى الله عز وجل أو إلى أرواح النبات.^{vi}

- المرحلة الميتافيزيقية أو المجردة: إن العقل في المرحلة الثانية يطلب أيضاً التفسير، وهو يفسر الظواهر بنسبتها إلى معان مجردة أو قوى ميتافيزيقية وعلل أولى لا يقوى على إثباتها، كأن يفسر ظاهرة النمو في النباتات بنسبتها إلى قوة النبات.^{vii}

- المرحلة الوضعية أو العلمية: إن العقل الوضعي في هذه المرحلة يسأل كيف تحدث الظواهر، وما الطريق الذي تسير فيه، إنه يجمع الوقائع ويبدأ في دراسة قوانين الظواهر المتتابة والعلاقات بين الظواهر المتشابهة. ولا يسمح العقل في هذه الحالة للتفكير الاستنباطي أن يمضي بعيدا، وإنما يخضعه للتحكم الدائم للوقائع "الموضوعية"^{viii}، إنه يكف عن استخدام تعبيرات ليس لها مقابل في الواقع.

في هذه المرحلة، تجاوز العقل الإنساني مرحلة الخيال والتجريد، وبلغ درجة كبيرة من الوعي العلمي، والنضج التجريبي، إذ أصبح التجريب أو التفسير منهج البحث العلمي الحقيقي، ثم الارتكان إلى المعرفة الحدسية العيانية، وتكرار الاختبارات التجريبية، وربط المتغيرات المستقلة بالمتغيرات التابعة ربطا سببيا، وذلك في ضوء مبدأ الحتمية أو الجبرية العلمية. وتعد هذه المرحلة أفضل مرحلة عند أوغست كونت، وهي نهاية تاريخ البشرية.

ويعتبر كونت التاريخ منهجا رابعا للبحث في علم الاجتماع إلى جانب الملاحظة والتجربة والمقارنة، وهو عند كونت البحث عن القوانين العامة للتغير المستمر في الفكر الإنساني، وهي نظرة تعكس الدور المهيمن للأفكار، كما تبدى ذلك في قوانين المراحل الثلاث، ولا يشترك منهج كونت التاريخي إلا في القليل من نواحيه مع المناهج التي يستخدمها المؤرخون الذين يؤكدون العلاقات السببية بين الوقائع الملموسة، وقيمون قوانين عامة كيفما اتفق^{ix}.

3 - اتجاه إميل دوركايم ونظرته إلى التفسير

إن علم الاجتماع كما يتصوره دوركايم ليس إلا دراسة لوقائع اجتماعية أساسا، وتفسيرا لهذه الوقائع بطريقة اجتماعية. وقد استهدف دوركايم في كتاب "قواعد المنهج في علم الاجتماع" أن يدل على أنه يوجد أو لا بد أن يوجد علم اجتماع موضوعي يتوافق مع نموذج العلوم الأخرى، موضوعه هو الواقعة الاجتماعية. ويحتاج مثل هذا العلم إلى شيئين:

أولا: لا بد أن يكون موضوعه محددًا أي متميزًا عن موضوعات العلوم الأخرى.

ثانيا: لا بد أن يوجد هذا الموضوع على نحو يتيح ملاحظته وتفسيره بطريقة شبيهة بملاحظة وتفسير وقائع العلوم الأخرى^x.

وقد اهتم دوركايم أساسا بالتوصل إلى التفسير، وأغلب ما كتبه لم يكن إلا تحقيقا لهذه الغاية، ونذكر في هذا الصدد مؤلفاته الهامة مثل "تقسيم العمل الاجتماعي" و"الانتحار" و"الأشكال الأولية للحياة الدينية" الذي كتب فيه يقول: "إن الهدف النهائي لعلم الاجتماع هو تفسير الواقع وهذا الواقع ليس إلا الإنسان، خاصة إنسان العصر الحديث"^{xi}.

ويعتبر دوركايم أن الوقائع الاجتماعية مطردة، في حالة توافر الظروف المماثلة، وعلى هذا الأساس يقيم القاعدة الأساسية في التفسير التي يقول فيها: "عندما نكون بصدد تفسير ظاهرة اجتماعية معينة، فعلى أن نبحث عن كل من السبب الفعال الذي أدى إليها، والوظيفة التي تقوم بها، على أن يقوم كل بحث منها على حدة"^{xii}، أي يجب النظر إلى الظاهرة الاجتماعية على أنها شيء محدد تحديدا آليا أي أن يخضع للسبب والنتيجة، بحيث إذا توافرت المقدمات نتجت عنها النتائج، وهذا ما يؤكد دوركايم بقوله: "إن الظواهر الاجتماعية تشكل أشياء، ويجب أن تدرس كأشياء...، لأن كل ما يعطى لنا أو يفرض نفسه على الملاحظة يعتبر في عداد الأشياء... وإذن يجب أن ندرس الظواهر الاجتماعية في ذاتها، في انفصال تام عن الأفراد الواعين الذين يتمثلونها فكريا، ينبغي أن ندرسها من الخارج كأشياء منفصلة عنا... إن هذه القاعدة تنطبق على الواقع الاجتماعي برمته وبدون استثناء"^{xiii}.

وإلى جانب هذا المنهج الذي يطلب فيه إميل دوركايم من الباحث الاجتماعي ضرورة دراسة الظواهر الاجتماعية على أساس أنها أشياء تقدم نفسها للملاحظة، فقد حدد دوركايم قواعد ذلك المنهج وطلب من العالم الاجتماعي التقيد بها عند إجراء البحوث والدراسات السوسيولوجية وهذه القواعد هي:

1 يجب على عالم الاجتماع أن يتحرر بصفة مطردة من كل فكرة سابقة عن موضوع الظاهرة، فهذه القاعدة هي الأساس لكل طريقة علمية. وفي الواقع لم تكن طريقة الشك المنهجي لدى "ديكارت" (Descartes) إلا إحدى التطبيقات الفرعية لهذه القاعدة، كذلك نظرية الأصنام التي أشار إليها "بيكون" (Bacon) فقد كانت ترمي لذلك الغرض نفسه.

2 من الواجب أن ينحصر موضوع البحث في طائفة خاصة من الظواهر التي سبق تعريفها ببعض الخواص المشتركة بينها، ومن الواجب أيضا أن ينصب نفس البحث على كل الظواهر التي تتوفر فيها

شروط ذلك التعريف. فيجب على الباحث أولاً أن يحدد معنى المصطلحات التي يدرسها الباحث كظاهرة الجريمة والأسرة والعشيرة... إلخ،

3 من الواجب على عالم الاجتماع لدى شروعه في دراسة طائفة خاصة من الظواهر الاجتماعية، أن يبذل ما في وسعه في ملاحظة هذه الظواهر من الناحية التي تبدو فيها مستقلة عن مظاهر الحياة الفردية. فإذا أردنا مثلاً دراسة مشكلة التعاون وصوره المختلفة وجب علينا دراسة مجموعة القواعد القانونية التي تعبر عنه، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالحياة العائلية، فملاحظة الظواهر الاجتماعية شرط ضروري يمكننا من التوصل إلى الصفات الثابتة التي تمكننا من الكشف عن حقيقة هذه الظواهر ومن ثم التعرف على القوانين التي تخضع لها^{xiv}.

وإذا كان دوركايم قد حدد بجلاء مبادئ التفسير السليم في كتاب القواعد فإنه مضى في كتابه التالي عليه وهو "الانتحار، دراسة اجتماعية" (Le Suicide, étude sociologique) إلى اختبار مبادئه. ففي هذا الكتاب تتضح بجلاء كافة مبادئ التفسير الرئيسية: النظرة الواقعية إلى المجتمع باعتباره "ظاهرة كلية" تعلق على مجموع عناصرها، والتصورات الخاصة بالتمثيلات الجمعية والوعي الجمعي، وأخيراً استخدام منهج المقارنة بين مختلف الجماعات والمجتمعات. وهكذا درس دوركايم الانتحار كواقعة اجتماعية من أجل التوصل إلى العلاقة بين نسبة المنتحرين وكل من الدولة المدنية، والدين، وأسلوب الحياة، هذه الطريقة تتجاهل بشكل آلي المظاهر الفردية لكل انتحار، ذلك أنه وجد أن الإحصاءات المتاحة لا تدعم أي افتراض قائم على إرجاع تفسير معدلات الانتحار إلى أسباب فردية.

وقد توصل دوركايم إلى أن العزاب ينتحرون في المتوسط بنسبة أكبر من المتزوجين، والمتزوجون بدون أطفال أكثر من المتزوجين بأطفال، والبروتستانت ينتحرون بنسبة أكبر من الكاثوليك، والكاثوليك أكثر من اليهود، وترتفع نسب الانتحار في زمن الهدوء السياسي والسلام أكثر من زمن الأزمات السياسية أو الدبلوماسية أو الحروب.

وقد بين دوركايم أن هناك أنواعاً من الانتحار، فبالإضافة إلى الانتحار من خلال الأنانية والانتحار من خلال الغيرة يوجد الانتحار اللامعاري، وهو الذي يصيب الفرد نتيجة وجوده في المجتمعات الحديثة، وهنا لا يخضع الوجود الاجتماعي للتقاليد، فالأفراد في تنافس، ينتظرون الكثير من الحياة ويطالبون

بالكثير، وهم في خطر مستمر من الشعور بالألم نتيجة عدم التناسب بين ما يطعمون إليه وما قد تحقق منه. وقد ساعد هذا الجو من القلق وعدم الرضا على نمو الدافع الانتحاري^{xv}.

4 أهم الانتقادات الموجهة للاتجاه التفسيري

إن التصور الوضعي الذي يشيء الظاهرة البشرية ويسويها بالظاهرة الطبيعية يطرح صعوبات منهجية كبيرة تتمثل في عدم قدرة الدراسات الإنسانية على فهم موضوعها بشكل دقيق وشمولي يحاكي الدراسات الفيزيائية مثلاً، فهي عاجزة عن الإحاطة بكل ما يتصل بنظام الدلالات ونسق المقاصد والغايات والقيم، مادام المنهج الوضعي لا يؤمن بالحقائق الحسية، لذلك فهو "يختزل الكلية الإنسانية ومجموع العناصر المتفاعلة والفعالة في الحياة الإنسانية في عناصرها الحسية الملموسة"^{xvi}، كما أن المنظور الوضعي قد أغفل جانباً هاماً في الدراسات الإنسانية وهو موضوع التفاعل. فنلاحظ أن الطريقة التجريبية في البحوث الاجتماعية قد أدت إلى ترك مسائل مهمة في قيمتها بالنسبة لفهم النشاط الاجتماعي وتوجيهه، ومن هذه المسائل جانب العمليات الاجتماعية والنفسية التي تحدث حين يتم تغير كمي أو كيفي في ظاهرة اجتماعية.

وقد هاجم فيلسوف العلم "ونش" (Peter Winch) الاتجاه الطبيعي، فعلى حين قبل النظرة الوضعية للعلم الطبيعي بشكل عام والفيزياء بشكل خاص في القرن 19، فإنه رأى على العكس أن تفسيرات الأفعال الإنسانية لا يمكن أن تكون آلية أو ميكانيكية، كما أنه لا توجد قوانين حتمية للأفعال الإنسانية أو نتائجها (وهي الأنشطة الإبداعية) نستطيع عن طريقها التنبؤ بهذه الأفعال^{xvii}.

وفي محاولة الوضعيين لكي يصبحوا علميين تبناوا كافة أساليب البحث العلمي وادعوا صلاحيتها لدراسة السلوك الإنساني، ومن هنا استخدمهم للملاحظة والتجربة والطرق الإحصائية، كأدوات رئيسية في متناول الباحث، إلا أن الاعتماد الكامل على المعطيات كمصدر للمعرفة يؤدي إلى إفقارها، أما عن عدد الفروض التي سوف يكون على الباحث اختبارها فلن يتوقف عند حدود معينة، ويضاف إلى ذلك صعوبة إجراء التجربة في المجال البشري، ذلك أن الشخص الذي تجرى عليه التجربة (المستجيب) يقوم بدوره بتصميم للتجربة مثله في ذلك مثل الشخص القائم عليها تماماً، بحيث نجد كل محاولة تجريبية تصبح فريدة. فيؤدي ذلك بالتالي إلى استبعاد الطرق الإحصائية المقننة، وإذا حاول القائم على التجربة أن يمنع

المستجوبين من وضع تصوراتهم الخاصة فإن الموقف يصبح غير صالح للدراسة، ذلك أن الباحث لم يعد يطبق تجربته على البشر، لأنه يتدخله في الموقف استبعد العنصر الإنساني تماما.

المبحث الثاني: علم الاجتماع في ضوء منهج الفهم

1 - مناهج العلوم الاجتماعية متميزة عن مناهج العلوم الطبيعية.

في رأي هذا الاتجاه من الخطأ تطبيق المناهج التي تثبت نجاحها في العلوم الطبيعية على العلوم الاجتماعية، لأنه إذا كانت العلوم الطبيعية تتعامل مع علاقات ثابتة وموضوعات مادية قابلة للقياس وتخضع للتجارب فإن العلوم الاجتماعية تفتقد القياس والتجارب وتتعامل مع موضوعات نفسية ومعنوية، إن الهدف الأساسي للعلوم الاجتماعية - فيما يرى "شوتس" Schutz - هو الحصول على معرفة منظمة "للواقع الاجتماعي"، ويقصد به المجموع الكلي للموضوعات والأحداث داخل العالم الاجتماعي الحضاري طالما يشعر بها الناس العاديون الذين يعيشون حياتهم مع زملائهم ويرتبطون معهم بعلاقات تفاعل: إنه عالم الموضوعات الحضارية والتنظيمات الاجتماعية التي نشأنا فيها والتي يجب أن نتلاءم معها. فمن البدء نحن القائمون بالأفعال في المشهد الاجتماعي نختبر العالم الذي نعيش فيه كعالم طبيعي وحضاري في نفس الوقت، وليس باعتباره قاصرا علينا فقط، ولكن باعتباره مشتركا لنا جميعا، إما معطى حاليا أو ممكن الوصول إليه من جانب أي شخص، وهذا يتضمن اتصالا ولغة^{xviii}.

ويقرر أصحاب هذا الاتجاه أن منهج العلوم الاجتماعية الملائم هو منهج الفهم بينما منهج العلوم الطبيعية هو التفسير، وبينما يهدف التفسير - في رأيهم - إلى إيجاد علاقة من الخارج بين شيئين فإن فهم الوقائع الإنسانية يهدف إلى الحصول على معنى من الداخل، فلا يكفي الوصول إلى قانون عام، ولكن يجب أن أضع نفسي بشكل ما في موضع هؤلاء الناس وأفهمهم عن طريق التواصل، لأن الواقع الاجتماعي مكون من معان يعطيها الذين يقومون بالفعل على المسرح الاجتماعي لأفعالهم ومواقفهم. إن وعي الفاعل أو ذاتيته هو دعامة الفعل الاجتماعي، والموضوع الرئيسي في فلسفة العلوم الاجتماعية هو إلقاء الضوء وإعادة بناء للخصائص الرئيسية للنظرة الذاتية Subjectivity، لأنها تؤسس وتبني العالم الاجتماعي. إن تخلف الدراسات في العلوم الاجتماعية في رأي هذا الاتجاه، ترجع في الدرجة الأولى إلى الاعتقاد بإمكان تطبيق مناهج العلوم الأكثر تقدما خاصة الفيزياء، على العلوم الاجتماعية، والوحدة المنهجية في

رأيهم مرفوضة لأنها تقوم على افتراض غير مؤكد فحواء أن الطرق المستخدمة من قبل العلماء الطبيعيين هي وحدها العلمية.

2 - اتجاه فلهم ديلتاي ونظرته إلى الفهم

سعى "ديلتاي" (Dilthey) إلى إقامة نظام علمي لا ينتمي إلى مجال بعينه من مجالات العلوم الاجتماعية ولكنه يحتويها جميعا في منهج واحد يميزها كنظام علمي مستقل بذاته أطلق عليه "ديلتاي" علوم الروح، وجوهر الاختلاف في موضوع العلوم الروحية يكمن في أنه ليس مجرد انعكاس للأشياء الخارجية في الوعي كما هو الحال في العلوم الطبيعية، ولكنه هو نفسه واقع داخلي، أي أنه يتشكل في نطاق الوعي، ولذلك فإن انعكاس الأشياء الخارجية في الوعي فيما يتصل بالعلوم الطبيعية يمكن ضبطها والتحكم فيها من خلال التجربة واستخدام النماذج الرياضية، إن الخبرة هنا خبرة محدودة، ويمكن الحد منها بشكل أكبر من خلال تطبيق شروط التجربة، ويختلف الأمر في العلوم الروحية، فالخبرة فيها لا تحدها حدود، ولا يمكن ضبطها من خلال التجريب، بل أن الخبرة هي مفتاح فهم موضوع العلوم الروحية. إن الواقع الذي تدرسه العلوم الروحية - كما يقول ديلتاي - قائم في الخبرة الداخلية، فهو في جوهره واقع داخلي، أو أنه مفتوح على الخبرة من الداخل^{xix}. وبناء على ذلك فإن منهج العلوم الروحية يجب أن يختلف عن منهج العلوم الطبيعية، إنه منهج يقوم على الفهم والتأويل.

لقد كان من الطبيعي أن يعاند "ديلتاي" منهج علم الاجتماع في صياغته الوضعية طالما أنه كان يبحث "للعلوم الروحية" عن صياغة منهجية خاصة تختلف عن منهج العلوم الطبيعية الذي تبناه الآباء المؤسسون لعلم الاجتماع، كانت ثورة "ديلتاي" على الوضعيين بتأكيدهم أن مادة العلوم الطبيعية مشتقة من الطبيعة، أما مادة العلوم الإنسانية فهي العلوم البشرية، ولهذا فإنه من المحال الاتفاق في منهج الدراسة، ومن هنا نكتشف محاولة "ديلتاي" في تأسيس إبستمولوجيا للعلوم الإنسانية، وتأكيد على "الفهم" كمقولة تخص هذه العلوم^{xx}.

إن الأساس الذي استند عليه "ديلتاي" في محاولته الرامية للتمييز بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية، إذن، هو تمييز في الحقيقة بين "التفسير" ومجاله العلوم الطبيعية، و"الفهم" وميدانه الإنسان، وهذا الأمر تؤكدته المقولة المشهورة له: "نحن نفسر الطبيعة، أما الإنسان فعلى فهمه"^{xxi}.

ليس بإمكاننا إذن تفسير الظاهرة الإنسانية وإنما نحن نفسر الطبيعة ونفهم الإنسان، لذا يكمن الإسهام الأساسي لـ "ديلتاي" في جهوده المبذولة للتأكيد على الاختلاف من حيث التعامل مع ظواهر الطبيعة في مقابل التعاطي مع الظواهر الإنسانية، لذلك على العلوم الإنسانية أن تتبنى طرائق ومناهج خاصة بها، وبالتالي فـ "التأويلية" هنا تعد بمثابة حجر الأساس لمنهجية العلوم الإنسانية.

3 - اتجاه ماكس فيبر ونظرته إلى منهج الفهم

يعد "ماكس فيبر" (Max Weber) من أهم السوسيولوجيين الألمان الذين أرسوا دعائم السوسيولوجيا التأويلية، بتجاوز التفسير العلمي نحو التأويل الذاتي والإنساني. وتعبير آخر لقد أخرج فيبر علم الاجتماع من إسراء التفسير نحو الفهم والتأويل، بالتركيز على الفعل المجتمعي بدل البنية المجتمعية، والتمييز بين العلوم الوضعية القائمة على التفسير السببي والعلي، والعلوم الإنسانية والروحية المبنية على فهم الذات وتأويل تجاربها داخل العالم المرصود.

وقد ظهر منهج الفهم عند ماكس فيبر، بعد أن بلوره "فلهلم دلتاي" (Wilhelm Dilthey). ويتسم هذا التوجه المنهجي بالطابع الدلالي والتفهمي والتأويلي، والتركيز على الذات بدل الموضوع، أي دراسة الفرد في علاقته بأعضاء الجماعة التي ينتسب إليها أو علاقاته مع المجتمع في كليته، بالتوقف عند مختلف الدلالات والمعاني والمقاصد والغايات والنوايا التي يعبر عنها الفعل الإنساني والسلوكي، في علاقته بأفعال الآخرين، ضمن الكينونة المجتمعية نفسها. ومن ثم، يندرج تصور ماركس فيبر ضمن النظرة التفاعلية إلى المجتمع، فالأفراد يؤثرون في المجتمع بأفعالهم الواعية والهادفة، والمجتمع بدوره يؤثر في الأفراد.

وعليه تسعى المقاربة التفهمية مع ماكس فيبر إلى فهم الظاهرة المجتمعية، باستخلاص دلالات أفعال الأفراد، واستكشاف معانيها، ومقاصدها، وغاياتها، ونواياها. وفي هذا السياق، يقول "بيير بريشي" (Pierre Bréchier): "إن فهم الفعل الإنساني، حسب فيبر، ليس مسعى سيكولوجيا، بل هو السعي إلى فهم السيرة المنطقية التي تقود الفاعل الاجتماعي إلى اتخاذ قرار ما في ظرف خاص. إذ يتعين إعادة تشكيل المنطق العقلي للفاعل، كما ينبغي، أيضا، فهم الجانب اللاعقلي في سلوكه، تبعا للأهداف التي يتوخاها والوسائط التي يتوصلها، من أجل التوصل إلى فهم تفسيري للفعل"^{xxiii}.

إن اتخاذ الفعل وحدة للتحليل يكشف عن موقف مغاير للموقف الوضعي الذي يتخذ من الحقيقة الاجتماعية وحدة للتحليل. ويدرس الفعل من خلال الفهم الذي لم يختلف كثيرا في معناه الفيبري عن معناه عند ديلتاي (الرؤية التعاطفية أو التقمص الوجداني للموقف الذي يوجد فيه الفعل)، ولكن الفهم عند فيبر يمكن أن يكشف عن العلاقات السببية، ومن ثم فإنه ينتهي إلى نفس نوع المعرفة الذي تقدمه العلوم الطبيعية. إن عملية تفسير معنى الفعل الاجتماعي تهدف إلى نفس مستويات الدقة والتحقق التي تسعى إلى تحقيقها العلوم الطبيعية. إن عملية الفهم التأويلي لمعاني الأفعال لا تقف عند المستوى السطحي البسيط، وإنما تحاول أن تسعى إلى ما أسماه فيبر بالكفاية السببية للفهم، والتي تعني أن الفعل يحتمل أن يظهر على هذا النحو وفقا للأطر المعروفة للخبرة^{xxiii}، وهكذا يوصنا الفهم إلى مقولات نظرية عامة تماما كمنهج العلوم الطبيعية، فالغاية هنا وهناك واحدة وهي التوصل إلى علاقات سببية.

لقد انشغل فيبر إذن بالربط المنطقي بين "الفهم" و"التفسير"، فبالرغم من أنه كان متعاطفا مع طموح "ديلتاي" في تأسيس منهج مستقل للفهم، إلا أنه كان يهتم أيضا بإقامة تعميمات عن الأفعال الجمعية تنصف بالموضوعية والدقة كما هو الحال في العلوم الطبيعية. وأدى الجهد الذي بذله فيبر في هذا المجال إلى فتح علم الاجتماع على عالم التأويل. وبالرغم من أن المنهج الوضعي الذي تبناه كونت ظل أساسا صلبا لتطور المناحي النظرية والمنهجية الأكثر سيطرة على السوسيولوجيا، إلا أن الطريق الذي سلكه فيبر قد خلق داخل علم الاجتماع تيارا نظريا ومنهجيا، توازى مع تيارات مختلفة في علوم اجتماعية أخرى نبعت هي الأخرى من الانفتاح على عالم التأويل.

ولقد عبر فيبر بصراحة عن تصوره لعلم الاجتماع باعتباره علما للفعل الاجتماعي، فالإنسان باعتباره مخلوقا اجتماعيا ودينيا هو مبدع القيم والأنساق الاجتماعية، وعلم الاجتماع يحاول فهم تلك القيم والأنساق أي القيام ببناء الفعل الاجتماعي، إن فيبر هو الذي صاغ تعريف علم الاجتماع كعلم شامل للفعل الإنساني وهذا يعني في المقام الأول استبعاد للتعريف المعروف باسم التفسير الطبيعي أي أنه استبعاد لاحتمال النظر إلى الفعل الاجتماعي في ضوء الوراثة والبيئة.

4 - أهم الانتقادات الموجهة للاتجاه التفهيمي

إن مشكلة التثبيت تظل بالنسبة للفهم محل تساؤل كثير من العلماء، إذ أنهم يكتفون باعتبار الفهم طريقة مولدة لفروض مقترحة لتفسير الأفعال الاجتماعية، ويستبعدونه كطريقة للتثبيت من التفسيرات المقترحة. ذلك أن هذا المنهج لا يقدم بذاته أي معيار للتأكد من صدق الحدوس والفروض الخاصة بالأفعال الإنسانية.

ويرى "أبل" أن منهج الفهم يقوم على تطبيق الخبرة الشخصية على السلوك الملاحظ، أي أننا نستخدم المعرفة الموجودة لدينا من قبل، وهذا في رأيه لا يصلح كوسيلة للكشف، وإنما على أكثر تقدير كوسيلة لتأكيد ما كنا نعرفه من قبل. ومن هذا المنطلق تتحدد القدرة على تعريف السلوك باختلاف كمية ونوع الخبرة الشخصية، وقدرة المفسر على القيام بالاستبطان بالإضافة إلى قدرته على تعميم خبراته فإذا أمكن أحيانا ضمان موضوعية المعلومات فإنه يمكن على أساسها التوصل إلى إثبات التفسير، إلا أن ما يحدث في أغلب الأحيان هو أن التفسيرات تظل بسبب عدم القدرة على الوصول إلى الخبرات الانفعالية مجرد تعبير عن آراء، ومن هنا يستبعد الفهم كوسيلة للتحليل، إلا أنه لا يستبعده تماما لأنه يستطيع القيام بوظيفة إيجابية وهي المساعدة على إقامة الفروض وذلك بدون المساهمة في اختبارها^{xxiv}.

خاتمة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نتعرف أهم إشكاليات المنهج في العلوم الاجتماعية بصفة عامة وعلم الاجتماع بصفة خاصة، وأن نكشف عن جانب من الفائدة التي يمكن أن تجنيها من هذه الإشكاليات، ولسنا هنا في معرض الدفاع عن منهج في مقابل المنهج الآخر لأنه من الواضح أنه تم تجاوز هذه الثنائية. وحسبنا هنا أن نؤكد على قضيتين، نحسب أنهما يفتحان أمامنا مجالاً للبحث المستقبلي، الأولى: أن إمكانية تحقيق علم تجريبي تطابق مناهجه العلوم الطبيعية قد تبدو إمكانية صعبة التحقيق، والثانية: أن العلوم الاجتماعية يمكن أن تظل لفترة طويلة في المستقبل أسيرة التعدد في المناهج والمداخل النظرية. ونخلص أيضا إلى أن التفسير عملية أساسية في منهج العلوم الاجتماعية، وكأي عملية تحتاج إلى أن تأخذ شكلا متفقا عليه، وقد قدم النموذج الاستنباطي شكلا جديرا بالدراسة، مدخلا للقوانين أو القضايا العامة في مقدماته. إلا أن هذا وحده غير كاف، فالتفسير يستدعي الفهم، ومن الخطأ القول بتعارضهما

–الفهم والتفسير– في قطبين متقابلين، وإنما لا بد أن يكمل أحدهما الآخر في علاقة جدلية داخل عملية واحدة: أن التفسير بدون الوصول إلى فهم الإطار الذي تقع فيه الأحداث ودوافع وغايات الأفراد ثم المعنى الكامن في الموقف، هذا التفسير مستحيل، كما أن الفهم بدون إدراك العلل والأسباب وكافة العناصر الداخلة في الموقف مستبعد.

وهذا ما يؤكد عليه "الوسيان غولدمان" حينما يوفق بين علوم الطبيعة (التفسير) وعلوم الإنسان (الفهم)، ويوفق بين نظرية إميل دوركايم التفسيرية ونظرية ماكس فيبر التفهيمية، ضمن بوتقة منهجية واحدة سماها البنيوية التكوينية. ويعني هذا أن ليس هناك أي تعارض حقيقي بين منهج الفهم ومنهج التفسير. ويتخذ "أنطوني غيدن" ز في كتابه (علم الاجتماع)، موقفا قريبا من موقف "غولدمان"، إذ يجمع بين بنية المجتمع والفاعل الاجتماعي، كما يوفق بين منهجي الفهم والتفسير، إذ يثور من جهة على المنهج التفسيري الوضعي، ويدافع عن منهج الفهم في دراسة الظواهر المجتمعية. ومن جهة ثانية، يذكر سلبيات المنهج التفهيمي الذي تنقصه العلمية والروح التجريبية.

-
- ⁱ – نجيب محمود زكي، المنطق الوضعي، الجزء الثاني في فلسفة العلوم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1966، ص: 333.
- ⁱⁱ – Rescher Nicholas, *Scientific Explanation*, Free Press, New York, 1970, pp :164-165.
- ⁱⁱⁱ – Ibid, p : 206.
- ^{iv} – Ibid, p : 166- 167.
- ^v – Braybrooke David, *Philosophical Problems of The Social Sciences*. New York: The Macmillan Company, New York, 1965, p :33.
- ^{vi} – الخشاب مصطفى، علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الأول: تاريخ التفكير الاجتماعي وتطوره، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966، ص: 237.
- ^{vii} – نفسه، ص: 238.
- ^{viii} – Kolakowski Leszek, *Positivist Philosophy from Hume to the Vienna Circle*. (N. Guterman, Trad.) Pelican Books, 1972, p : 70.
- ^{ix} – تيماشيف نقولا، نظرية علم الاجتماع: طبيعتها وتطورها، ترجمة: محمود عودة وزملائه، دار المعارف، القاهرة، ط 5، 1978، ص: 51- 52.

-
- ^x - Aron Raymond, *Main Currents in Sociological Thought* 2, Trad : R. H. Weaver, Penguin Books, 1972, p : 70.
- ^{xi} - Durkheim Emile, *Les Règles de la Méthode Sociologique*, Librairie Félix Alcan, Paris, éd : 7, 1919, p : 2.
- ^{xii} - Ibid, p : 95.
- ^{xiii} - Ibid, p p : 103- 104.
- ^{xiv} - الحسن إحسان محمد، *المدخل إلى علم الاجتماع*، دار وائل للنشر و التوزيع، عمان، 2006، ص: 261.
- ^{xv} - Aron Raymond, *Main Currents in Sociological Thought*, Ibid, p : 43.
- ^{xvi} - أمزيان محمد، *العلوم الإنسانية في المنظومة الغربية: دراسة نقدية في الأسس المنهجية*، مجلة المنعطف، العدد 9، 1995، ص: 86.
- ^{xvii} - Winch Peter, *The Idea of a Social Science and its Relation to Philosophy*, Routledge and Kegan Paul, London, 1958, p : 245.
- ^{xviii} - Schutz Alfred, *Philosopher and Social Scientist*, Human Studies, 1998, p : 12.
- ^{xix} - Dilthey Wilhelm, *The Rise of Hermeneutics*, Penguin Books, London, 1970, p : 105.
- ^{xx} - قارة نبيهة، *الفلسفة والتأويل*، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة 1، 1998، ص: 50.
- ^{xxi} - Dilthey Wilhelm, *Critique de la Raison Historique: Introduction à l'étude aux sciences de l'esprit*, Trad : S. Mesure, cerf, Paris, 1992, p : 37.
- ^{xxii} - Bréchon Pierre, *Les Grands Courants de la Sociologie*. PUG Collection, Grenoble, 2000, p : 80.
- ^{xxiii} - Weber Max, *Economy and Society (Vol. 1)*, London: Bedmister Press, London, 1968, p : 4.
- ^{xxiv} - Feigl Herbert & Brodbeck May, *Readings in the philosophy of Science*, Appleton-Century-Crofts, New York, 1953, p : 684- 685.

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

- 1 - تيماشيف نقولا، نظرية علم الاجتماع: طبيعتها وتطورها، ترجمة: محمود عودة وزملائه، دار المعارف، القاهرة، ط 5، 1978.
 - 2 - الحسن إحسان محمد، المدخل إلى علم الاجتماع، دار وائل للنشر و التوزيع، عمان، 2006.
 - 3 - الخشاب مصطفى، علم الاجتماع ومدارسه، الكتاب الأول: تاريخ التفكير الاجتماعي وتطوره، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966.
 - 4 - قارة نبيهة، الفلسفة والتأويل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة 1، 1998.
 - 5 - نجيب محمود زكي، المنطق الوضعي، الجزء الثاني في فلسفة العلوم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1966.
- المجلات:
- 6 - أمزيان محمد، العلوم الإنسانية في المنظومة الغربية: دراسة نقدية في الأسس المنهجية، مجلة المنعطف، العدد 9، 1995.

المراجع باللغة الأجنبية:

- 7- Aron Raymond, *Main Currents in Sociological Thought 2*, Trad : R. H. Weaver, Penguin Books, 1972.
- 8- Braybrooke David, *Philosophical Problems of The Social Sciences*. New York: The Macmillan Company, New York, 1965.
- 9- Bréchon Pierre, *Les Grands Courants de la Sociologie*. PUG Collection, Grenoble, 2000.
- 10- Dilthey Wilhelm, *Critique de la Raison Historique: Introduction à l'étude aux sciences de l'esprit*, Trad : S. Mesure, cerf, Paris, 1992.
- 11- Dilthey Wilhelm, *The Rise of Hermeneutics*, Penguin Books, London, 1970.
- 12- Durkheim Emile, *Les Règles de la Méthode Sociologique*, Librairie Félix Alcan, Paris, éd : 7, 1919.
- 13- Feigl Herbert & Brodbeck May, *Readings in the philosophy of Science*, Appleton-Century-Crofts, New York, 1953.
- 14- Kolakowski Leszek, *Positivist Philosophy from Hume to the Vienna Circle*. (N. Guterman, Trad.) Pelican Books, 1972.
- 15- Rescher Nicholas, *Scientific Explanation*, Free Press, New York, 1970.
- 16- Schutz Alfred, *Philosopher and Social Scientist, Human Studies*, 1998.
- 17- Weber Max, *Economy and Society (Vol. 1)*, London: Bedmister Press, London, 1968.
- 18- Winch Peter, *The Idea of a Social Science and its Relation to Philosophy*, Routledge and Kegan Paul, London, 1958.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المشكلات الأسرية أنواعها، وأسبابها وعلاجها

الدكتور محمود الخزاعي

معهد العدالة والحكمة في الولايات المتحدة الأمريكية

instituteofjusticeandwisdom@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/06/07 م تاريخ التحكيم: 2021/06/14 م تاريخ النشر: 2021/06/15 م
الملخص بالعربية:

هذه البحث بعنوان: المشكلات الأسرية أنواعها، وأسبابها وعلاجها، تحدثت فيه عن مفهوم المشكلات الأسرية، والمشكلات الاقتصادية، والصحية والاجتماعية، والثقافية التي تواجه الأسرة، وأسبابها، وطرق علاجها، وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها:

- 1- المشكلات الأسرية هي: حالة من عدم التكيف والانسجام بين المعايير الاجتماعية الأسرية والواقع الأسري المعاش.
 - 2- هناك العديد من المشكلات الأسرية، كالمشكلة الاقتصادية، والصحية، وغير ذلك.
 - 3- من وسائل علاج المشكلات الاجتماعية الأسرية تجنب أسباب المشكلات والخلافات الأسرية وتأسيس قاعدة من أجل التواصل والحوار الأسري.
- الكلمات المفتاحية: المشكلات الأسرية- الأسباب- العلاج.

Dr. MAHMOUD ALKHUZAEE

**President of the Institute of Justice and Wisdom in the United States of
Americain**

stituteofjusticeandwisdom@gmail.com

Abstract:

This research is entitled: Types of family problems, their causes and treatment, in which I talked about the concept of family problems, and the economic, health, social, and cultural problems facing the family, their causes, and methods of treatment. The study reached many results, the most important of which are:

- 1- Family problems are: a state of lack of adaptation and harmony between family social norms and the experienced family reality.
- 2- There are many family problems, such as economic, health, and so on
- 3- One of the means of treating family social problems is to avoid the causes of family problems and disputes and to establish a basis for family communication and dialogue.

Keywords: Family problems - causes - treatment

المقدمة

إن الأسرة هي الإطار العام الذي يحدد تصرفات أفرادها، فهي التي تشكل حياتهم وهي التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية، وهي مصدر العادات والأعراف والتقاليد، وقواعد السلوك والآداب العامة، كما أن الأسرة هي أول خلية يتكون منها البنيان الاجتماعي، وهي أكثر النظم الاجتماعية تماسكا وهي جوهر الاستقرار في الحياة الاجتماعية، فلا يمكن تصور حال الإنسانية بدون أسرة، والأسرة خلال حياتها تتعرض للعديد من المشكلات سواء في المجتمع الذي تعيش فيه، أو مشكلات داخل الأسرة نفسها، حيث إن المشكلات الأسرية هي انعكاس لأحوال المجتمع ومشكلاته، ولما لهذا المجتمع من متغيرات بعضها طبيعي طوعي، وبعضها محكوم بحكم الانفتاح على العالم، وما يستتبعه من تأثيرات ورؤى مختلفة، حيث إن الأسرة كنظام اجتماعي ينتابها التغير شأنها في ذلك شأن أي نظام اجتماعي، ومن الأسر التي تتعرض للحديث من المشكلات، ونظراً لأهمية الموضوع جاءت الدراسة بعنوان: "المشكلات الأسرية أنواعها، وأسبابها وعلاجها".

1- مشكلة الدراسة:

الأسئلة الرئيسية:

ما المشكلات التي تعاني منها الأسرة؟

الأسئلة الفرعية:

1- ما المشكلات الاقتصادية للأسرة؟

2- ما المشكلات الصحية للأسرة؟

3- ما المشكلات الاجتماعية للأسرة؟

4- ما المشكلات الثقافية للأسرة؟

5- كيف عالجت المبادئ الإسلامية والنظريات الوضعية المشاكل الأسرية؟

2- أهمية الدراسة والحاجة إليها:

1- الأسرة ركيزة أساسية من ركائز المجتمع، فهي اللبنة الأولى في تكوينه.

2- هناك العديد من التغيرات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية التي لها أثر في نوعية المشكلات.

4-أهداف الدراسة:

بيان المشكلات الأسرية المختلفة، وعلاجها.

الدراسات السابقة:

الدراسة الأولى :

جمال، بولينية(2017)، بعض مشكلات الأسرة والرعاية النفسية والاجتماعية للأحداث، مجلة أبحاث نفسية وتربوية، ع10.

الدراسة الثانية :

الحري، سلطان مسفر مبارك(1435هـ)، أولويات المشكلات الأسرية المعاصرة للأسرة السعودية، دراسة مقدمة للملتقى السابع لجمعيات الزواج ورعاية الأسرة، تنظيم المركز الدولي للأبحاث والدراسات، الملتقى السابع، المملكة العربية السعودية.

الدراسة الثالثة :

فيروز، زراقة(2005)، الأسرة وعلاقتها بانحراف الحدث المراهق، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم، تخصص علم اجتماع التنمية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، الجزائر.

الدراسة الرابعة :

ساسية، قارة (2012)، الأسرة والسلوك الانحرافي للمراهق، مذكرة لنيل شهادة الماجستير تخصص علم اجتماع التربية، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.

الدراسة الخامسة:

نظام الدين، ليلي نظمي(2019)، دور مراكز الاستشارات في مواجهة المشاكل الأسرية، المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، ع8.

منهج الدراسة:

سوف يتبع البحث الحالي المنهج الوصفي التحليلي.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث:

التمهيد: مفهوم المشكلات الأسرية.

المبحث الأول : المشكلة الاقتصادية الأسباب والعلاج.

المطلب الأول : الأسباب التي تؤدي إلى المشاكل الاقتصادية في الأسرة .

المطلب الثاني : علاج المشكلات الصحية في النظريات الوضعية .

المبحث الثاني : المشاكل الصحية الأسباب والعلاج.

المطلب الأول : أسباب المشكلات الصحية.

المطلب الثاني: علاج المشكلات الصحية في النظريات الوضعية.

المبحث الثالث : المشاكل الاجتماعية الأسباب والعلاج.

المطلب الأول : أسباب المشاكل الاجتماعية .

المطلب الثاني: علاج المشاكل الاجتماعية.

المبحث الرابع : المشاكل الثقافية الأسباب والعلاج.

المطلب الأول : أسباب المشاكل الثقافية .

المطلب الثاني : علاج المشكلات الثقافية.

الخاتمة، وفيها:

النتائج.

التوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد:

تعرف المشاكل الأسرية في الاصطلاح على أنها: هي المشاكل والخلافات التي تحدث بين الزوجين من النزاع والذي يسبب المحر والتقاطع ويؤدي إلى الفراق والطلاق وضياح الحقوق وتشتت الأسر ونحو ذلك من الأمور السيئة والتي تحدث بكثرة في هذا الزمان، وقد تكون هذه المشاكل سببها أمور دنيوية وأمر تافهة وغير لازمة أو طلبات غير ضرورية فوق الحاجة ونحو ذلك من الأمور (جبريل، د. ت، ص3).

وتعرف المشكلات الأسرية على أنها " هي حالة من عدم التكيف والانسجام بين المعايير الاجتماعية الأسرية والواقع الأسري المعاش " فهذا المعنى يشير إلى أن أي أسرة على وجه الأرض منذ أن خلقها الله سبحانه وتعالى لا تخلو من المشاكل والخلافات سواء بين الزوجة، أو بين الأبناء، أو بين الوالدين والأبناء، إلا أن هناك فرق في اختلاف حدة المشكلات فهناك مشكلات كبيرة، وهناك مشكلات صغيرة فالكبيرة قد تؤدي إلى مشاكل عظيمة قد ينتهي بها المطاف إلى الطلاق، وتشريد الأبناء، أما المشاكل الصغيرة فقد يتم حلها أو تتعايش معها الأسرة (محمد، 2013، ص157).

فالمشكلة عبارة عن الأمر المعقد الذي يؤدي إلى حيرة تحتاج إلى جهد غير عادي في الفكر والتدبر عند بحث أسبابه واقتراح الحلول له، وهذا المشكل قد يكون اقتصادياً، أو اجتماعياً أو خلقياً أو غير ذلك من الأمور (صقر، 2006، 4/6).

وعلاقة هذا التعريف بالمشاكل الأسرية أن الأسرة لها العديد من المشاكل وأن المشاكل الأسرية ترجع إلى عدم انسجام بين رغبات أعضائها المختلفة وخصوصاً في أوقات أزمات النمو وبنفس المنطق فإن وحدة التكامل لأفراد الأسرة تنتج من مراعاة تبادل حاجات أعضائها في داخل إطار الأسرة فإن لم يحدث هذا الأمر ظهرت المشاكل الأسرية وهذا ما يرجع إلى أن تكون هذه المشكلة، مشكلة اقتصادية، أو اجتماعية، أو صحية، أو غيرها من الأنواع الأخرى والمختلفة (إبراهيم، د. ت، ص73).

المبحث الأول : المشكلة الاقتصادية الأسباب والعلاج

المطلب الأول: الأسباب التي تؤدي إلى المشاكل الاقتصادية في الأسرة .

ويلعب الوضع الاقتصادي المادي للأسرة الدور الكبير على جميع المستويات , على المستوى النمو الجسدي والذكاء والنجاح المدرسي وأوضاع التكيف الاجتماعي , فالوضع الاقتصادي للأسرة يرتبط مباشرة بحاجات التربية والتعليم , فالأسرة التي تستطيع أن تضمن لأبنائها حاجاتهم المادية بشكل جيد من مسكن وغذاء وملبس ورحلات علمية وامتلاك الأجهزة التعليمية كالحاسب الآلي والكتب والقصص , تستطيع أن تضمن من حيث المبدأ الشروط الوضعية لتنشئة اجتماعية سليمة , وإن الأسر التي لا تستطيع أن تضمن لأفرادها هذه الحاجات الأساسية لن تستطيع أن تقدم لأبنائها إمكانيات وافرة لتحصيل علمي أو تحصيل معرفي مكافئ .

لذلك فإن النقص والعوز المادي سيؤدي إلى شعور الأطفال بالحرمان والدونية وإلى السرقة في بعض الأحيان والحقد على المجتمع جراء سوء الأوضاع الاقتصادية التي تمر بها الأسرة , ويلعب هذا العامل دوراً واضحاً عندما تدفع بعض العوائل أطفالها للعمل المبكر أو الاعتماد على مساعداتهم وهذا من شأنه أن يكرس لدي الأطفال مزيداً من الإحساس بالحرمان والضعف ويحرمهم من فرص تربية متاحة لغيرهم (بهتون , نصر الدين , 2008، ص 70 , 71) .

إن معظم الأسر تظهر فيها العديد من المشاكل سواء بين الأبوين أو بين الأبناء وإن من أهم المشاكل التي تظهر هي المشاكل الاقتصادية والتي لها العديد من الأسباب التي تؤدي إليها منها :

الضغوط الاقتصادية المحيطة :

إن نقص الموارد المادية للأسرة تمثل عائقاً كبيراً في عملية تحقيق التماسك وتلبية احتياجاتها المختلفة, وإن وجود الموارد المادية العالية وعدم التخطيط المتوازن لها ينتج عنه العديد من الخلافات، فالضغوط الاقتصادية المحيطة بالأسرة في المجتمع إنما تؤثر بالتالي على الحياة الاقتصادية للأسرة , فطبيعة الحال المجتمع الذي يتميز باقتصاد مناسب وجيد إنما يؤثر بالتالي على الأسرة، حيث أُلقت الأزمة الاقتصادية تبعاتها على المجتمعات, فمنذ بداية الأزمة الاقتصادية , لم يتمكن النظام الاقتصادي العالمي من احتواء الأزمة أو على الأقل التخفيف من آثارها بشكل فعال , ومن الطبيعي أن تتأثر الأسرة بتلك الظروف الاقتصادية الصعبة

والحرحة التي يمر بها اقتصاد العالم, حيث تعتبر الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع وتتأثر هذه الخلية بالظروف المحيطة بها سواء اقتصادية أو سياسية أو أمنية .

حجم الأسرة :

إن حجم الأسرة يؤثر بالتالي في اقتصاد الأسرة , حيث يعد حجم الأسرة الصغيرة نسبياً من أهم الدعائم التي تقوم عليها أسر اليوم , والأسرة المصرية لها خصائص الأسرة النواة التي تحدث عنها علماء الاجتماع ومن بين العوامل التي أدت إلى تناقص حجم الأسرة في الوقت الحاضر ذلك الاتجاه نحو التحكم في عملية إنجاب الأطفال على الرغم من وجود عدد كبير منهم بالفعل , إن الناظر للأمر إنما يدرك حقيقة أن كثرة الأبناء تؤثر في الحياة الاقتصادية للأسرة , فكلما زاد عدد الأبناء كلما زادت المشاكل الاقتصادية نظراً لزيادة المصاريف التي تصرف على الأبناء من ملابس وتعليم ..إلخ .

وأنة كلما قل عدد الأبناء كلما قلت المشكلة الاقتصادية بنسبة ما , لذلك فإن المحافظة على تحديد النسل هو بالتالي المحافظة على حياة كريمة بعيداً عن المشاكل الاقتصادية (القصاص , 2008، ص 194)

الفقر والبطالة :

إن الفقر والبطالة إنما يؤديان إلى نقص في الموارد المادية مما يؤدي إلى حدوث مشكلات اقتصادية كبيرة , فالعامل الاقتصادي يعد العامل الأساسي المسبب لأنواع الانحرافات السلوكية كهروب رب الأسرة من مواجهة مسؤوليته إلى إدمان المخدرات والكحوليات أو عملية الالتجاء إلى مزاولة أعمال لا يقرها القانون مما يعرضه للسجن في بعض الأحيان , كالسرقة أو الاتجاه إلى تجارة المخدرات أو ما شابه ذلك.

فالفقر والبطالة يؤديان إلى انخفاض في المستوى الاقتصادي مما يؤدي إلى تشرد الأطفال أو مزاولتهم للتسول وذلك بسبب عدم كفاية الموارد المادية , وقد تضطر الام بسبب المستوى الاقتصادي المنخفض إلى العمل وبذلك تضعف قوتها ويقل اهتمامها بشؤون الأسرة مما يتسبب في نشوء شقاق أو مشكلات.

وقد تضطر الأسرة الفقيرة في بعض الأحيان إلى تشغيل أطفالها في سن مبكرة , الأمر الذي يقوم بجرمان الطفل من فرصة التعليم ويقوم بتعرضه إلى عوامل انحراف متعددة في المجتمع , ويعتبر انخفاض المستوى الاقتصادي مسؤول عن لجوء الأسرة للعيش في مساكن سيئة من الناحية الصحية تؤدي إلى نشأة ألوان

متعددة من الأمراض قد تعوق رب الأسرة عن الاستمرار في عمله أو ترفع من زيادة احتياجات الأسرة بسبب حاجة أفرادها للعلاج وللأدوية (أبو أسعد، 2011، ص 54 - 55).

حيث يعتبر فقر الرجل وعجزه عن مواجهة مطالب الزوجة والأولاد وغناه الذي يغيره بتغير الزوجة، أو التمتع المحرم الذي لا تقره الزوجة فتطلب الانفصال عنه والفقر قد يكون أحد أهم الأسباب التي تؤدي إلى المشاكل الاقتصادية في الأسرة (صقر، 2004 : ص 365).

التغيرات التكنولوجية سبب من أسباب المشاكل الاقتصادية :

إن التغيرات التكنولوجية التي تمر بها المجتمعات والتي أثرت بشكل كبير على الأنظمة الاقتصادية قد صاحبها تغيير كبير في أنماط السلوك وذلك نتيجة لسيطرة وانتشار مفاهيم جديدة مثل الحرية والمنفعة الشخصية، وانحياز القيم الدينية أمام المادية وانحازت كذلك تلك القدسية التي كانت تحيط بطبيعة الزواج واصطبغ بصبغة مادية تقوم بالارتكاز على السعادة الزوجية وكثيراً ما ينشأ الصراع بين الزوجين بسبب قصور الموارد الاقتصادية عن سد احتياجات الأسرة وتختلف هذه الاحتياجات من مجتمع إلى مجتمع آخر ومن طبقة إلى طبقة أخرى فيما يعد احتياجات ضرورية لفئة من الناس قد يكون مظهراً من مظاهر الرفاهية في فئة أخرى، فقد يكون توافر الموارد الاقتصادية والثراء مصدراً من مصادر الخلافات الزوجية وخصوصاً إذا ما تم إساءة استغلالها كما أن اختلاف الزوجين في عملية الإنفاق وإسراف كلاهما أو تقديره يزيد من حدة الخلافات (ونوغي، 2014، ص 146 - 147).

إن المشاكل الاقتصادية هي الأساس التي تقوم بتهديد بناء الأسرة واستمراريتها، فالأسرة تقوم على الدخل الاقتصادي وإن حدوث مشاكل اقتصادية يعني بالتالي حدوث خلل في البناء الأساسي لها، فالمشكلة الاقتصادية ليست فقط عبارة عن مشكلة تتمثل في نقص الموارد الاقتصادية في الأسرة فتوابع المشاكل الاقتصادية في الأسرة من صراعات وعدم احترام الآخرين في الأسرة وحدوث مشاكل التفكك والطلاق إنما يؤثر بالتالي في عملية تنشئة الأطفال، وفي بعض الأوقات أكثر تأثيراً من المشكلات الاقتصادية.

المطلب الثاني : علاج المشاكل الاقتصادية .

منذ قسم الزمن كانت النظرة إلى الضيق الاقتصادي وذلك باعتباره السبب الرئيسي لأمراض المجتمع وقد حاول العديد من الاقتصاديين وعلماء الاجتماع الاستعانة بدراسات متعددة ليتأكدوا من أن الأسباب الأساسية للانحرافات الاجتماعية إنما تنبع من العوامل الاقتصادية في المجتمع , إلا أن الاتجاهات التي تتجهها النظرة الاقتصادية للمشكلات الاجتماعية إنما ترى أن الانحرافات الاجتماعية مردها التخلف الثقافي الذي ينشأ من تفاوت بين عناصر الثقافة التكنولوجية المادية وعناصرها الثقافية الغير مادية, حيث ظهرت العديد من التفسيرات الاقتصادية المطلقة للجائحين والجريمة وإدمان الخمر والإصابة بالأمراض العقلية والعديد من المشكلات الأسرية تفيد بان عملية إزالة الفقر والتخلص من البطالة والسيطرة على التقدم الآلي بصورة ملائمة وتوفير المسكن الصحي لكل الأسرة يدخل الإنسانية في العصر الاجتماعي السعيد الذي تخلو فيه الأسرة من مشكلاتها, وبعد العامل الاقتصادي من أهم العوامل في حياة الأسرة وذلك لأنها إذا لم تجد الموارد الاقتصادية الكافية فإنها تصبح عاجزة عن أداء وظائفها وتعمل فيها عوامل التفكك وعوامل الفساد وتعاني الأسرة من وطأة هذا العامل الشيء الكثير ومقياس الفقر في العرف الاقتصادي هو نصيب الفرد من الدخل (أبو أسعد , والختاتنة, 2011, ص 262 – 263).

حيث يعتبر تدني الوضع الاقتصادي من الأسباب الأساسية للعنف الأسري ويتمثل في عدم قدرة رب الأسرة أو نقص إمكانياته في توفير حاجات الأسرة (أبو عليان , 2013, ص 192) .
إن الوضع الاقتصادي التي تمر به الأسرة يحتاج إلى حلول من خلال الوقوف على المسببات التي تسبب المشاكل الاقتصادية والوقوف على محددات الوضع الاقتصادي للأسرة , حيث يعتبر الدخل أو المرتب الشهري للآباء من الأشياء الضرورية في حياة الأسر, فكل أسرة من الأسر تحتاج إلى دخل اقتصادي يلائم حاجاتها الضرورية , ومن محددات الوضع الاقتصادي للأسرة :

الكساء والملبس :

إن الكساء والملبس من أهم العناصر التي لها أبعاد مهمة في حياة الطفل بصفة عامة ويرتبط كذلك بمدى قدرة الأسرة على تلبية هذه الحاجات وتبعاً لأهميته كحاجة ضرورية من الناحية النفسية والصحية خصوصاً للطفل المعاق ذهنياً , فالأسرة ذات المستوى الاقتصادي الميسور تحرص على الاهتمام بالمظهر الخارجي

للطفل , فالكثير من الفقراء يعجزون عن تحقيق ذلك بسبب قلة دخلهم وتوجيهه لحاجات أساسية أخرى.

المأكل والغذاء :

ومن خلال الدخل الذى تضمنه الأسرة تتمكن من توفير عناصر غذائية أساسية بالإضافة إلى ضمان غذاء صحي وسليم يساعد بصورة مباشرة في نمو الطفل واستجابته لكافة المجهودات التي تبذل من أجل تربيته وتنشئته وخارج الأسرة, فالطفل الذى يعاني من سوء في الغذاء لا يمكن أن يستجيب لمنبهات التنشئة الاجتماعية .

من حيث المسكن وفضاؤه :

إن المنازل الضيقة تجعل الحياة ضمن المجموعة أكبر مشقة , فالفضاء الضيق وما يؤدي إليه من احتكاك دائم بين الأفراد يجعل مقومات الحياة الشخصية شبه معدومة , وعلى العكس بقدر ما يتسع المسكن بقدر ما تتاح الفرصة للحركة والتعبير فيؤثر بالتالي على نمو الطفل النفسي الاجتماعي (بهتون, 2008 : ص 87 - 89).

المبحث الثاني : المشاكل الصحية الأسباب والعلاج .

المطلب الأول : أسباب المشكلات الصحية .

المناخ الأسرى سبب من أسباب المشكلات الصحية :

حيث توجد مدارس نظرية قد فسرت العلاقة بين المناخ الأسرى وبين الصحة النفسية فيما يلي :
حيث فسرت مدرسة التحليل النفسي والتي يري مؤسسها أهمية الأسرة فيما يخبره الطفل في السنوات الأولى من حياته من خبرات مؤثرة ويعتبرها محددات هامة في عملية بناء ورسم شخصيته , فالخبرات المؤثرة كالآلم والحرمان الذى يتعرض له الطفل تبرز آثاره على شكل صدمات نفسية يفشل فيها في عملية إشباع وإرضاء دوافعه التي تؤثر في نموه وصحته النفسية تأثيراً كبيراً .

- فالإحباط الذى يتعرض له الفرد لسبب الحرمان من العطف والحب وعدم توفر بيئة اجتماعية مناسبة في السنوات الأولى من حياته يؤدي إلى تكوين أنا ضعيف ولا يعرف وظيفته الحقيقية والصحية

النفسية للفرد وفق رأى فرويد هي حصيلة لثماسك شخصيته ووحداها أي الانسجام بين " الهو - الأنا - الأنا الأعلى " (مجموعة باحثين , 2015، ص 74).

إن الأسرة تقوم في أداء وظائفها على استقامة صحة أطراف العلاقة الزوجية , وتختل الأسرة حين يعاني أحد أفرادها من أمراض جسمية تمنعه من عملية تبادل الأدوار مع الطرف الآخر وينتج عنها اختلال أيضاً في بعض الحقوق وكثرة أعباء وواجبات على الطرف الآخر، وإن هذا الاعتلال الصحي قد يكون قاعدة تعاطف بين الزوجين ومنطلق للتمثيل الحقيقي للحب بينهما , بيد أن هذا الوضع يحتاج لتضحية كبيرة قد لا تتفق مع بعض الأطراف فتحصل المشكلات الأسرية والتي تصنف على أنها مشكلات صحية (الحرثي , 1435هـ، ص 9).

العامل الاقتصادي سبب من أسباب المشاكل الصحية :

ويعتبر العامل الاقتصادي أهم عامل في حياة الأسرة وذلك لأنها إذا لم تجد الموارد الاقتصادية الكافية , فإنها تصبح بذلك عاجزة عن أداء وظائفها وتعمل فيها عوامل الفساد والتفكك , وتعاني الأسرة من وطأة هذا العامل الشيء الكثير ومقياس الفقر في العرف الاقتصادي هو نصيب الفرد من الدخل , حيث لوحظ بأن هناك علاقة وثيقة بين العامل الاقتصادي وبين مستوى الصحة العامة لدى أفراد الأسرة , فمتى كان الدخل الفردي ضئيلاً لا يستطيع رب الأسرة أن يحقق لعناصرها غذاء صالحاً ومن ثم تتناهم الأمراض وتعتل صحتهم وتزيد بينهم الأمراض المتوطنة وتضعف فيهم قوى المقاومة، فمن العوامل التي تشكل خطورة كبيرة على الطفل وعلى الأسرة وسوء أحوالها الاقتصادية وما يترتب على ذلك من عجزها عن توفير المسكن الملائم والتغذية السليمة ولما كان الأطفال في حاجة إلى مزيد من العناية في شؤون التغذية فإنهم يعانون من الفقر والحرمان لأنهم لا يستطيعون المقاومة ولذلك فإن هناك علاقة وثيقة بين انخفاض مستويات الدخل وارتفاع معدل الوفيات في الأطفال في تلك الأسر (أبو أسعد، والختاتنة , 2011، ص 263).

العامل التربوي ودوره في ظهور المرض النفسي :

ويلعب العامل التربوي دوراً كبيراً في ظهور المرض النفسي , فالتنشئة الأسرية ونمط التربية وطبيعة العلاقة بين الوالدين والطفل لها دورها الكبير في عملية رسم معالم شخصية الطفل .

ففقدان أحد الوالدين وبالأخص الأم إنما يؤثر سلباً في نفسية الطفل دون سن الخامسة , وكذلك تفكك الأسرة سواء بالطلاق أو الحجر له دوره السلبي في عملية تهيئة الطفل للإصابة بالمرض النفسي في مراحل عمره اللاحقة .

كما وأن الحوادث التي يتعرض لها الفرد في مرحلة الطفولة لها دور كبير في عملية تشكيل المرض النفسي كحوادث الاعتداءات الجنسية وغيرها التي يكون لها تأثير سلبي على نمو شخصية الطفل مما يجعلها في المستقبل سريعة التأثير بمشاكل الحياة وضغوطاتها (ونوغي , 2014 : ص 179).

العامل النفسي :

ويتعلق العامل النفسي بالصراع الداخلي وما يتبعه من عمليات إحباط وحرمان ويتعلق كذلك بدوافع متعددة مثل :

- الدوافع الغريزية .
- النظرة إلى الذات .
- الآليات الدفاعية اللاشعورية مثل :
 - أ - الكبت .
 - ب - المقاومة .
 - ت - التصعيد .
 - ث - التبرير .
 - ج - الإسقاط والتقمص .

وإن مثل هذه الآليات إنما يلجأ إليها الشخص لا شعورياً من أجل تحقيق استجابات توافقية أو تكيفية في الحياة العامة , فاضطراب أي من هذه الآليات قد يعتبر عاملاً من العوامل التي تؤدي إلى الاضطراب النفسي .

فإننا نجد أن العوامل المهيئة للإصابة بالمرض النفسي تتضافر فيها العوامل الوراثية والعصبية والنفسية وتشابك فيما بينها (ونوغي , 2014 : ص 180).

إن الأسرة هي عبارة عن أكثر من تجمع من الأفراد الذين يتقاسمون حيزاً مكانياً ونفسياً خاصاً , لأنها عبارة عن منظومة طبيعية لها خصائص تميزها عن سواها والتي طورت طاقماً من القواعد والأدوار المحددة لأفرادها , حيث تمتلك بنية سلطة منظمة وطورت نظاماً متداخلاً من أشكال التواصل الظاهرة والخفية , كما أنها وضعت طرقاً للتفاوض وحل المشكلات تتيح لها عملية إنجاز مختلف مهامها بفاعلية(حجازي , 2015، ص 17) .

ومن المشكلات التي تؤدي إلى حدوث العوامل النفسية :

- طلاق الزوجة .

- ضرب الزوج لزوجته .

- عدم قدرة المرأة أو الرجل على إنجاب الأطفال .

ومن المشكلات الخفية التي تؤدي إلى مشاكل صحية نفسية :

- معاناة الزوجة لزوجها .

- تأخر الأبناء عن المنزل .

ومن المشكلات الكامنة :

- أن يقضى الزوجان وقتاً معاً يومياً دون التحدث إلى بعضهم البعض .

- فتور العلاقة بين الزوجان فلا يتواصلان معاص كالسابق .

عدم حصول أحد الأبناء على علامات مرتفعة في الدراسة (أبو أسعد، والخاتنة، 2011، ص 21) .

المطلب الثاني : علاج المشكلات الصحية .

إن الأسرة هي عبارة عن كيان متحرك منظم بمثابة وحدة كلية تضم أفراداً في أنماط من العلاقة المستمرة والعلاقة المتفاعلة بين بعضهم بعضاً , تمتد عبر الزمان والمكان وإن أي تغيير في أحد مكوناتها سوف يترافق مع تغييرات في المكونات الأخرى ذات العلاقة به .

بهذا المعنى فإن الأسرة تشكل منظومة بيولوجية نفسية اجتماعية , فإن لها بنية تربتها وتنظمها وتقوم بالمحافظة عليها في أي وقت محدد ولها عمليات تتمثل في الطريقة التي تتطور فيها وتتغير عبر الزمن .

ولفهم الأسرة وعلاج مشاكلها الصحية ، يجب التوقف عند بعض مفاهيم نظرية المنظومات العامة ، تمثل هذه النظرية العامة محاولة من أجل تقديم نموذج نظري شمولي يصلح لكل المنظومات الحية ، فهي توفر طاقماً من الافتراضات التي تتعلق بعملية الحفاظ على أي كيان حي وذلك نتيجة للتفاعل المعقد بين عناصره أو أجزائه ، ونظراً لتركيز الاهتمام على نمط العلاقات ضمن المنظومة أو بين المنظومات العامة له تطبيقات واسعة في العلوم والطب والعلوم الاجتماعية والفلسفة؛ ولذلك فإن دراسي الأسرة ومعالجتها يتبنون هذا النموذج بدلاً من دراسة الخصائص الفردية لكل من أعضاء الأسرة ، إننا بصدد منظومات تضبط وتوازن نفسها ، وبحيث يتم التركيز على التفاعلات بين أعضاء الأسرة وليس على كل منهم بوصفه كياناً قائماً بذاته(حجازي ، 2015، ص 17).

المعاملة :

وإن الأسرة التي تعامل أبنائها معاملة تتسم بالاحترام والمرونة والاحترام والتقبل والتقدير ومناقشة المواضيع والقضايا التي تتعلق بهم قبل أن يتخذوا أي قرار فيها ويحترمون رغبتهم في اختيار الأصدقاء وتحمل المسؤولية بالنسبة للحاضر والمستقبل بما يعزز الثقة بأنفسهم وشعورهم بالطمأنينة والامن النفسي وتقبل الذات يتمتع أبنائها بدافعية إلى الإنجاز بما يحقق الاتزان الانفعالي والشعور بالرضا وأن معاملة كهذه تساعد الأبناء على توافر المناخ الأسري النفسي الملائم الذي يسمح برفع مستوى دافعيتهم وابعادهم عن أوجه الاضطرابات الانفعالية وتجعلهم يكتسبون مفهوم واقعي لذواتهم وصحة نفسية سليمة ، بينما الأسرة التي تعامل أبنائها معاملة تتسم بالتسلطية والقهرية وانعدام الثقة بين أفرادها هذه المعاملة تساعد على إشاعة مناخ أسري ونفسي مشبع بالمشاحنات والشك والاتكالية وضعف الثقة بأنفسهم وعدم الشعور بالانتماء والمسؤولية (خليل، 2006، ص 484).

النظريات الإنسانية والصحة :

- حيث يؤكد روجرز (Rogers) على أهمية معاملة الوالدين وتأثيرها الكبير في تكييف الطفل وتكوين مفهوم إيجابي مع بيئته وما يرافقه من مؤثرات وتبرز أهمية وآثار التنشئة وطبيعة التفاعل الاجتماعي في الأسرة والعلاقات الاجتماعية بين أفرادها على عملية تكوين مفهوم الذات الإيجابي لدى الطفل ويرى أن تكوين مفهوم ذات إيجابي للفرد هو أكبر دلائل الصحة النفسية والتي يتم

إرساء أسسها من قبل الأسرة وفقاً لنوع واسلوب الرعاية والتنشئة التي يتبعها الوالدين مع الطفل كما أن مشاعر الرفض وعدم إشباع حاجات الطفل يهددون ذات الطفل إذ يؤدي ذلك إلى زعزعة ثقة الفرد بنفسه وتكوين نظرة دونية تجاه ذاته ويؤكد روجرز أن هناك اتصالاً وثيقاً بين ذات الفرد وبين صحته النفسية .

- أما ماسلو (Maslow) فيؤكد على علي أن الإنسان يتميز بكثرة حاجاته وتعددتها وتنوعها التي لها أثر واضح على سلوكه وتعتبر الأسرة هي المنشأ الأول ويكاد يكون هو الوحيد المشبع لمثل هذه الحاجات خاصة في المراحل العمرية الأولى من حياة الفرد , وإشباع الحاجات النفسية يعد أمراً مهماً وضرورياً من أجل ضمان اتزان شخصية الفرد ولتحقيق السلامة والصحة النفسية وإن حرمان الفرد من عملية إشباع هذه الحاجات النفسية الأساسية إنما يؤدي إلى شعوره بانعدام الأمن والحب والانتماء (خليل , عفراء إبراهيم , 2006، ص 487 - 488).

وإن أثر الدفء العاطفي وعملية الانسجام الأسري على شخصية الطفل , أظهرت النتائج علاقة دالة ارتباطية بين عملية تقبل الآباء لأبنائهم والانسجام الأسري , كما ظهر أن الأبناء الذين يعيشون في أسر يسودها الدفء العاطفي والتوافق الأسري كانوا أكثر تقبلاً لذواتهم وأكثر تحملاً من عوامل القلق وأكثر شعوراً بالرضا والسعادة، كذلك فإن العديد من الدراسات أوضحت أن الأبناء الجانحين كانوا يعيشون ظروفاً أسرية مضطربة وكانوا يتعرضون لأساليب معاملة قاسية (خليل , 2006، ص 489).

المبحث الثالث : المشاكل الاجتماعية الأسباب والعلاج .

المطلب الأول : أسباب المشاكل الاجتماعية .

إن المشكلات الاجتماعية للأسرة إنما تتعلق بعلاقة الفرد بأسرته ومجتمعه والتي يترتب عليها اضطراب العلاقة الزوجية لسبب أو لأسباب أخرى بين الوالدين وبين الأبناء أو نتيجة للعديد من الأسباب ومنها التربية الخاطئة في الصغر وأثرها على اضطرابات الشخصية والعلاقات داخل الأسرة وما يترتب على ذلك من أمور عديدة :

- الطلاق .

- الهجرة .

- التزمل .
- الزواج من الأجنبية .
- سجن أحد الوالدين أو مشكلة الإدمان على المخدرات .
- هجر الوالدين للطفل .

فلا يوجد فرد من الأفراد أو أسرة من الأسر في هذه الحياة إلا وله مشاكله ولا تقاس الصحة النفسية بمدى الخلو من المشاكل ولكن بمدى القدرة على مجابهة المشاكل وحلها حلاً سليماً وإن الضعف والاستسلام والهروب من المشاكل لا يفيد ، وإنما محك القوة يتمثل في إرادة التغيير والعلاج العلمي ، المخطط النابع من الواقع والآمال والإمكانات ومن خصائص المجتمع الاجتماعية والتاريخية والدينية والسياسية (أبو أسعد ، والختاتنة ، 2011، ص 56).

ومن أسباب المشكلات الاجتماعية

1 - التدخلات من أقارب الزوجين في الحياة الخاصة :

إن الأسرة علاقة زوجية تدخل ضمن العلاقات المتعددة في المجتمع ، فالأسرة من هذا الجانب تدخل تحت علم الاجتماع ، والأسرة هي اللبنة الأولى في المجتمع تتأثر وتؤثر فيه ومشكلات المجتمع تنسحب بالضرورة لا محالة على الأسرة ومجموع مشكلات الأسر مشكلات للمجتمع أيضاً .

فالزواج هو تكوين اجتماع بين فردين ولكي يكون هذا التجمع راسخاً وثابتاً ، هناك حاجة لقوانين وأسس للتعامل على ضوء العلاقة الجديدة التي حدثت ، حتى يحافظ كل فرد على حقوقه ويأبى مهامه بالوجه السليم دون عملية التعدي على حقوق الطرف الآخر، وعلم الاجتماع يهتم في المحل الأول بما يحدث بين الناس ، فإن ثورة اهتمام علم الاجتماع هو البشر وذلك بوصفهم كائنات اجتماعية تمارس نشاطات مختلفة الواجه وتدخل الآخرين في علاقات مختلفة (الحري ، 1435هـ : ص 8).

حيث تؤثر المشكلات الاجتماعية تأثيراً كبيراً على كل من مكونات الأسرة ومكونات المجتمع ، وهناك العديد من المشكلات الاجتماعية المنتشرة في الأسرة ومن أهمها :

- الميوعة .
- الإحرام .

- الرفض الاجتماعي .
- النزعة الفردية والسلبية الاجتماعية .
- السرقة الاختلاس .
- ترويج الإشاعات .
- الجرائم الجنسية .
- التشرد وضعف النوازع الدينية .
- الأنانية وعدم التفكير بمصالح الآخرين (الكفاوين , 2015، ص 1229) .

2 - عدم فهم الزوجين لطباع الطرف الآخر .

إن عدم فهم كل من الزوجين لنفسية وطباع الطرف الآخر , يؤدي إلى العديد من المشاكل الاجتماعية , حيث أننا نرى كثيراً من الزوجين يتمسك برأيه دون مراعاة للرأي الآخر , لذا فعلى الرجل أن يناقش أفراد أسرته في أمور ويكون معتدلاً في قراراته لا يظلم ولا يظلم وذلك لأن المرأة عادة تتغلب عليها العاطفة أكثر من العقل في اتخاذ القرارات .

3 - عدم نضج الزوجين :

إن العديد من المشكلات الاجتماعية ترجع أسبابها إلى عدم نضج عقلية الزوج أو الزوجة بالدرجة الكافية لمواجهة أمور الحياة ويمكن إرجاع ذلك إلى الزواج المبكر في بعض الأحيان, ففي العديد من الحالات قد يفتقر الزوج والزوجة إلى الحكمة , ليكون الاندفاع هو سيد الموقف وذلك بسبب عدم نضج الزوجين وعدم التفكير في ما وراء الطلاق وذلك بسبب قصر نظرهم ورغبتهم في عملية الانفصال فقد دون النظر إلى عواقب هذا القرار خصوصاً في حال وجود الأطفال (الكندري, 1992، ص 206) .

4 - مشكلة المرأة العاملة :

تعتبر المرأة العاملة مشكلة من المشاكل الاجتماعية والتي تحدث العديد من المشاكل في سير الأسرة وأداء وظائفها , فالمرأة هي المسؤولة عن الأسرة وعملها في وقت واحد ولهذا فإن عملية التوفيق ما بين المهنتين تخلق عندها أوضاعاً جديدة وتجعل منها إنساناً يعاني من تغييرات على الصعيد الاجتماعي ويتمثل ذلك في التغيير الذي يحدث على مستوى الأسرة وفي دورها كأم عندما تضطر لترك طفلها لتقوم بعملها خارج

المنزل وتعتبر جميع الدراسات الاجتماعية والنفسية ، الأم أول معلم للعلاقات الإنسانية وأول وسيط بين الطفل والعالم الخارجي ، فإن أحسنت تقديمه إلى هذا العالم زادت ثقته فيها وفي هذا العالم وإن أساءت تقديمه ظل يشعر طوال حياته بالوحشة والاغتراب .

فالمرأة العاملة ، أطفال هجرتهم أمهاتهم وحتى ولو سعت الأم لإيجاد بديل لها من أجل رعاية أبنائها أثناء فترة عملها بالخارج ، فالتناوب المتكرر لبديلات عن الأم يورث للطفل الشعور بالحيرة والقلق .

فلقد أوضحت الدراسات العلمية التي أجريت في هذا المجال أهمية سلوك الأم في عملية تشكيل السلوك عند الطفل وتطوره إذا أشار كل من Bowlly et Goldford الى أهمية دور الأم في عملية تطبيع وليدها اجتماعياً ، فلقد اشار إلى أن الطفل عندما يلقي العناية بالحاجات الفسيولوجية الأساسية له دون أن يلقي عناية بجوانب الشخصية فإننا نلاحظ تعرضه لآثار خطيرة على خصائصه الشخصية ومستقبل حياته(مليكة ، 2004 : ص 79 ، 80) .

إن الآثار الاجتماعية السلبية لعمل المرأة هي :

- الاستعانة بالخدم في أعمال المنزل بشكل كبير .
- أن العمل يأخذ كثيراً من الوقت المخصص لأفراد اسرتها وتشعر المرأة العاملة بأنها غير قادرة على تلبية متطلبات البيت بشكل مرض وبشكل كاف وأصبحت علاقتها الاجتماعية محدودة بسبب العمل(إبراهيم ، د.ت ، ص 23).

إن انتشار ظاهرة خروج المرأة أدت إلى حدوث العديد من التغيرات في البنية والوظيفة الأساسية للأسرة الحديثة وإن من أهم مظاهر هذا التغير مشاركة المرأة العاملة في السلطة الأسرية ، بحيث مكن استقلالها الاقتصادي من أن يضعها في مكانة تختلف عما هي عليها المرأة الماكثة في البيت ، فخروج المرأة للعمل يزودها بالإحساس بالكفاءة ويحول لها العديد من السلطة .

وانتشار ظاهرة عمل المرأة أدى إلى حدوث تغيرات عديدة في حياة المرأة على مستوى توزيع الأدوار والمهام داخل الأسرة وخروجها ، فتحمل المرأة لأعباء المنزل والعمل لوحدها ينقص من مردوديتها فلا تستطيع أن تقوم بأحدهما على أكمل وجه لذلك ظهر في المجتمع الحديث تقسيم العمل بين الزوجين ، بحيث أصبح الزوج يشارك في الأعمال المنزلية لمساعدة زوجته ، كما أصبح يقوم برعاية الأطفال وقد بينت إحدى

الدراسات التي أقيمت في مصر بأن عمل المرأة يؤدي إلى التقصير في شؤون المنزل وذلك لأن نسبة مهمة من الأزواج يرفضون مساعدة زوجاتهم وذلك بنسبة 55,3% في حين بلغت نسبة الذين يشاركون بعضهم في بعض الأعمال المنزلية 38,3% (فرحات , 2012، ص 127 , 128)

المطلب الثاني : علاج المشاكل الاجتماعية .

إن هناك أساليب وقائية وأساليب علاجية من أجل مواجهة المشكلات الأسرية ومن الأساليب الوقائية هو تجنب أسباب المشكلات والخلافات الأسرية وتأسيس قاعدة من أجل التواصل والحوار الأسري يتم استخدامها من أجل مناقشة المشاكل والتوصل إلى حلول لها، حيث تختلف أساليب مواجهة المشكلات الأسرية وذلك باختلاف الشخصيات المتعرضة لها وظروف الأسرة ومدى وجود أطفال وعددهم إلى غير ذلك مما يحدد أسلوب المواجهة، حيث تتطلب معالجة المشكلة الأسرية مختصين مع عملية الالتزام بمبادئ الخدمة الاجتماعية ومعرفة واستخدام ما يتوفر للأسرة من موارد ما دية ومعنوية في عملية علاج المشكلة بالإضافة إلى التعرف على طبيعة العلاقات بين أعضائها وبين الأسرة والمحيط الاجتماعي , ويمكن من خلال استخدام مهارات وأساليب الخدمة الاجتماعية تشخيص المشكلة وتحليلها ومساعدة أعضاء الأسرة على عملية اختيار الأسلوب الأمثل لعلاجها .

وقد تتضمن المشكلة أبعاداً جنائية الأمر الذي يستدعي الاستعانة بالجهات الأمنية مع ضرورة التوثيق والاحتفاظ بالأدلة بعيداً عن الأماكن التي يمارس فيها العنف لتقديمها إلى الجهات الأمنية والقضائية(المنيع, والقرني , 2019 ، ص 227).

النظرية البنائية الوظيفية وعلاج المشاكل الاجتماعية :

وتعتبر النظرية البنائية من أحدث التحليلات التي تناولت وظائف الزواج والأسرة في المجتمع وبحث في التكامل بين هذا النظام والنظم الاجتماعية الأخرى , فتأصل الاهتمام السوسيولوجي به كنظام اجتماعي مع تأصل هذا الاتجاه الذي يرى بان المجتمع في تنافسه مع المجتمعات الأخرى ومع الطبيعة لا يستطيع الحياة إلا إذا قام أعضاؤه من خلال أنشطتهم المتنوعة بوظائفهم الاجتماعية بطريقة منسقة وأن يمارس كل جزء من البناء الأسري ما يتناسب مع وظيفته الأساسية , على أساس أن النظرية الوظيفية البنائية تقوم

على أن كل بناء اجتماعي يتكون من مجموعة من الانساق الأيكولوجية ، الاقتصادية ، القرابية والسياسية التي ترتبط بعضها ببعض من أجل تحقيق التكامل والتساند .

ولعل من أهم درس نسق الزواج والأسرة في إطار النظرية البنائية الوظيفية ، راد كيلف براون ممثل المدرسة الإنجليزية والذي اعتمد على المنهج التحليلي والمقارن في دراسة نظم القرابة ، وليفي ستروس مؤسس البنائية الفرنسية وواضع نظرية عامة في هذا المضمار تضمنها كتابه الموسوم الأبنية الأولية للقرابة ، حيث أشاروا إلى أن البناء مجموعة من القواعد التي تحدد شكل الأسرة ومؤسسة الزواج ، كالأسرة النووية والأسرة الأموية العائلة الممتدة وحدانية الزواج ، وتحقق الوظيفة كأى نظام اجتماعي أهدافاً ظاهرة وأهدافاً ضمنية ترتبط بأي وظيفة يؤديها النظام الاجتماعي ككل ، وهذا الأمر إذا ما تحقق في الأسرة باعتبارها كبناء كل له وظيفة خاصة به فإن هذا الأمر يعالج بالتالي المشاكل الاجتماعية في الأسرة (رداف، 2010 ، ص 51)

إن البنائية الوظيفية انطلقت من فلسفة العلوم الطبيعية في نظرها للكائنات الحية بحيث يرى الوظيفيون أن المجتمع ويعمل بطريقة مماثلة لقيام الكائن الحي بوظائفه ويشار إلى هذه المقاربة في المماثلة العضوية ، ومن ثم فإن النظم الاجتماعية تقوم بأداء وظائفها معاً من أجل مصلحة الجسم ، فعلى سبيل المثال تقوم بين الأسرة وظائف في علاقتها ببعضها البعض فالأم لها وظيفة والرجل له وظيفة والأبناء كذلك (جوادي ، 2019، ص4) .

نظرية الصراع وعمل المرأة :

إن نظرية الصراع من النظريات الاجتماعية التي اهتمت بدراسة الأسرة وحاول علماءها تطبيق مبادئهم على الأسرة من أجل حل مشاكلها ، لذا وجه أنصار هذه النظرية اهتمامهم من أجل الكشف عن كيفية استغلال الأفراد داخل الأسرة لقوتهم في سبيل تحقيق أهدافهم وغايتهم ، لكنهم لم يعتبروا العلاقات الأسرية كنوع من الصراع الطبقي ، حيث الرجل يمثل الطبقة الحاكمة والمرأة تمثل الطبقة المحكومة ولكنهم حاولوا معرفة كيف يحاول كل فرد من أفراد الأسرة استغلال إمكانياته المتاحة من أجل الوصول إلى غاياته. وحاول أصحاب هذا الدخول دراسة العلاقات الزوجية والعلاقات الوالدية بين أفراد الأسرة الواحدة واعتبروا أن الصراع داخل الأسرة ما هو إلا شكل من أشكال استخدام القوة ضد الآخرين محاولين معرفة مصادر

قوة كل فرد من أفراد الأسرة وكيفية استغلالها في التأثير على اتخاذ القرارات , ومن أمثلة ذلك كيف يمكن للمرأة التأثير على القرارات داخل الأسرة لخدمة مصالحها أو ما هي الوسائل التي يستخدمها الأبناء للتأثير على قرارات رغم ضعفهم (قارة , 2012, ص 40).

المبحث الرابع : المشاكل الثقافية الأسباب والعلاج .

المطلب الأول : أسباب المشاكل الثقافية .

1 - التباعد الثقافي بين الزوجين :

من أسباب المشاكل الثقافية التباعد الفكري والثقافي والاجتماعي بين الزوجين , فمما لا شك فيه أن الحياة الزوجية مملوءة بالمواقف التي تحتاج إلى تبادل الرأي واتخاذ القرارات المختلفة في كافة نواحي الحياة , وقد يساعد التقارب بين المستوي التعليمي والمستوى الثقافي والبيئي على تقليل الاحتكاكات بين الزوجين, بينما يزيد التباعد بينهما من حدة النقاشات حول الأمور الحياتية مما يخلق مشاكل كبيرة بينهما .
إن عدم التوافق والمثل بعدم التوافق الثقافي بين الزوجين الذي يرتبط بتدني المستوى التعليمي والثقافي له تأثير كبير في طبيعة العلاقة الزوجية , فالاختلاف في المستوى الثقافي والعلمي بين الزوجين يعتبر عاملاً مهماً في المدي القصير أو المدي الطويل في حل الرابطة الزوجية والسبب إنما يعود إلى أن الثقافة التي يكتسبها الفرد إنما تؤثر بالتالي على أفكاره ومعتقداته التي يعتنقها وميوله واتجاهاته ومقاييسه وقيمه , فالشخص المثقف يختلف عن غيره في نظره للحياة ونظمها , لذلك فإننا نجد بأن الاختلاف في المستويات الثقافية بين الزوج والزوجة لها أكبر الأثر في حدوث الصراعات التي تؤدي إلى الطلاق , خصوصاً وأن الأسرة وهي جماعة تقوم على التعاون المتبادل فهي لا تستمر طويلاً في البقاء مع وجود فوارق وصراعات يعيشها الزوجان باستمرار (السباعوي, 2013, ص 9).

وقد تكون أهم العوامل التي تؤثر سلباً في العلاقة الزوجية في ظل الزواج ناجم عن التباعد الثقافي , فمفاهيم القوامة والسلطة واتخاذ القرار في كل ما يخص الحياة الزوجية والأولاد والعمل وغيرها إنما تختلفان اختلافاً جوهرياً باختلاف ثقافة الزوجين وقد يكون ذلك سبباً في التوترات وصراع القيم وإن الحرية الزوجية من حيث الفهم والتصرف تختلف أيضاً وإن هذا الاختلاف يؤدي بالضرورة إلى الصراع والتناحر داخل الحياة الزوجية , كما العلاقة التاريخية وعلاقة الغالب والمغلوب وقد تؤثر سلباً في تسيير الحياة الزوجية وإن

تأثير الجماعات المرجعية قد يكون لها هي الاخرى تأثير بالغ الأهمية على اكتساب الأولاد الدين واللغة واختيار الاسم وقد تكون هذه العوامل حاسمة في تذكية الصراعات داخل العلاقة الزوجية (محمد, 2012، ص 34 -35).

2 - التباين القيمي :

إن الاختلاف في القيم والاختلاف في ثقافة الزوجين من أهم الأسباب التي تعمل على نشوء مشاكل ثقافية , فكلما زادت شقته كان مدعاة للتفكك الأسري , فقد ثبت أن نسبة الطلاق بين الزوجات المختلطة أعلى من نسبة الطلاق بين الزوجات غير المختلطة , فقد وجد أن نسبة الطلاق بين الزوجات المختلطة في القيم والأعراف والثقافة تبلغ حوالى 31% بينما بلغت نسبة الطلاق بين الزوجات غير المختلطة 18% .

فلقد ثبت بان الاختلافات في القيم والاختلافات في الثقافة بين الزوجين تجعلهما يتصادمان حول موضوع تربية الأطفال , فكل طرف إنما يريد تربية أطفاله بطريقته الخاصة , هذه الطريقة التي تعتمد على أصوله الثقافية والاجتماعية والقومية، وإن هذه الامور إنما تسبب انعكاسات سلبية على مستقبل العلاقات الزوجية عند شركاء الزوجات المختلطة ثقافياً ويجعلها أكثر عرضة للتفكك أكثر من غيرها , ويزداد الخطر على مصير تربية الاولاد إذا كان الزوج المسلم يعيش مع زوجته الأجنبية في بلادها مما يعزز دور الأم في نقل ثقافتها إلى أبنائها من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى من مدرسة ورفاق ولعب وإعلام وغيرها (الحداد, 2003، ص 147 - 148).

وتتشترك الدول والمناطق في ثقافات خاصة تعارف عليها المجتمع واكتسب صفة الشرعية من الإقرار الجماعي والتواطؤ عليها وتختلف باختلاف المناطق واختلاف الأشخاص ومراعاة الثقافات من الإصاغة في الرأي، وتدخل ضمن المشكلات الثقافية وجود فوارق في العادات , ووجود فوارق ثقافية وعلمية وأكاديمية بين الزوجين مما يجعل كفة الحوار واحترام القيم تتأرجح بين طرفي العلاقة الزوجية , مع ما يتبعه من مشكلات تتعلق باختلاف الاهتمامات وظهور التشقق في التعالي وعدم التقبل بين الطرفين (الحري , 1435هـ، ص 10).

المطلب الثاني : علاج المشاكل الثقافية .

وفي واقع الامر فإن الثقافة تعتبر على نحو ما متفقة بين المجتمعات وعلى نحو ما مختلفة كذلك , فالزوجين حينما يكونوا من أماكن مختلفة فإن هناك تعارض بين الثقافات خصوصيات إذا كانت الزوجة من المدينة والزوج من الريف , فإذا نظرنا إلى الثقافات فإننا نجد الكثير من التشابه أو بمعنى آخر إنه الاتفاق في العموميات والاختلاف في الخصوصيات , وإذا كانت الثقافة قد حظيت في الماضي باهتمام علماء الأنثروبولوجيا , فإن هذه الظاهرة قد أصبحت موضوعاً للعديد من العلوم الاجتماعية في مقدمتها علم الاجتماع نسبة للارتباط بين الثقافة وبين المجتمع , حيث تلعب الثقافة دوراً مهماً في حياة الإنسان بل تعتبر الجزء الأكبر في حياة الإنسان كعضو في مجتمع، ومن هذا المنطلق فإن الثقافة تحتل مكانة كبيرة في دراسات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية , فبغير هذه الدراسة لا يستطيع الباحث أن يتعرف على الفرد أو الجماعة أو المجتمع أو يقوم بالفرقة بينهم (مجموعة من الكتاب , 1997، ص 7) .

النظرية التفاعلية الرمزية والمشاكل الثقافية :

تتلخص فكرة التفاعلية الرمزية في مجال الأسرة في تركيزها على عمليات التفاعل الأسري في عمليات اتخاذ القرار وعمليات التنشئة الاجتماعية واداء الدور الأسري ومشكلات الاتصال الأسري في مواضيع الاختلاف الثقافي بين الأزواج وكذلك أنماط السلوك والتكيف الأسري وبالرغم من تركيز النظرية على العمليات الداخلية للأسرة فإنها تهتم أيضاً بالتفاعل الاجتماعي الذي يحدث في البناء الاجتماعي كله إيماناً بتأثيره في التفاعل الأسري .

وقد اشار كولي إلى ارتباط الأسرة التي هي من أهم الجماعات الأولية بعملية الضبط أو التنظيم الاجتماعي وذكر أن الأسرة إنما تتميز بالعلاقات الحميمة المباشرة وأن التفاعل الأسري الدائم يؤدي إلى صياغة مجموعة من القيم والمعايير والأدوار التي ترسخ عملية الضبط الاجتماعي .

ومن خلال النظرية التفاعلية الرمزية يؤدي تتابع التواصل إلى علاج وحل المشكلات وإلى تكوين حلقة دائرية للفهم المتبادل من خلال حوار واضح ومفهوم , خال من التناقض بينما يؤدي سوء التواصل أو عدمه إلى نشوء الصراعات والأمراض النفسية لأنه يعنى بالتالي عجز الفرد عن توصيل أفكاره إلى الآخرين أو إساءة الآخرين لفهم رسائله (الطياري، ب.ت : ص 359 , 360)

- الفروض التي تعتمد عليها النظرية التفاعلية الرمزية في حل المشكلات :

1 - الفرضية الاولى :

أنه إذا أردنا أن نفهم الزواج والسلوك الأسرى الناشئ بين الزوجين , فلا بد لنا أن ندرس الإنسانيات ولا يمكن الاستدلال على السلوك الإنساني من دراسة الأشكال الإنسانية , ذلك لأن الاختلاف الأساسي بين الإنسان واللاتسان ليس فقط مسألة درجة , بل هو اختلاف نوعي أساسي وترتكز جوانب هذا الاختلاف في اللغة والرموز والمعاني والإشارات والعمليات المنعكسة وعند محاولة تفسير السلوك الاجتماعي لرجل معين مثل اختيار الزوجة أو طلب الطلاق واختيار الزوجة من منطقة تختلف عن ثقافة منطقته , فإن هذا الأمر لا يأتي بمراقبة سلوك شبنانزي أو كلب , فالحياة الاجتماعية لا تشبه الحياة الطبيعية أو البيولوجية أو غير أي شكل غير إنساني .

2 - الفرضية الثانية :

إن المدخل المناسب لفهم السلوك الانساني الاجتماعي إنما يتم من خلال عملية تحليل المجتمع , فمن الممكن فهم سلوك الزوج والزوجة والطفل من خلال دراسة وتحليل المجتمع الذي نشأ فيه والثقافة الفرعية التي يكونون جزءاً منها , والجدير بالذكر أن هذا الفرض لا يوافق على أن المجتمع يصلح ان يكون حقيقة لا نهائية , فالمجتمع مثلاً ليست له أسبقية ميتافيزيقية على الفرد أو أن الحتمية الثقافية صالحة من أجل تفسير كل سلوك , وإن ميلاد شخص في مجتمع ما يعنى بالتالي أن اللغة التي يتكلمها أو التعريفات التي يطلقها على المواقف وما هو ملائم أو غير ملائم هو ما تعلمه من المحيط الاجتماعي ومن المحيط الثقافي (عزيز،، 2016، ص 4-5).

إن علماء الاجتماع يطبقون التفكير الرمزي عن أنماط التفاعل بين الأفراد ففي المجتمع أو في الأسرة , وفي الغالب ما تتضمن دراساتهم مراقبة تفاعلات فردية , فعلى سبيل المثال في حين أن احد منظري الصراع الذي يقوم بدراسة احتجاجاً سياسياً قد يركز على الفرق الطبقي , فإن منظر في التفاعلية الرمزية سيكون أكثر اهتماماً بكيفية تفاعل الأفراد في المجموعة الاحتجاجية , بالإضافة إلى العلامات والرموز التي يستخدمها المتظاهرون لإيصال رسالتهم(بركات، د. ت، ص28).

إن مشكلات التباين الثقافي والقيمي يمكن حلها من خلال اللجوء إلى ثقافة الحوار ومعرفة كل طرف لطبيعة الطرف الآخر من أجل الحفاظ على ثبات الأسرة ومنع عملية التفكك والتي تؤدي إلى نهاية لا نحبها وهي الطلاق , لذلك فثقافة الحوار والمعاملة الحسنة في ضوء احترام كل طرف منهما للأخر حل مناسب للوصول بالأسرة إلى المكانة التي يرضيها الطرفين .

الخاتمة

المشكلات الأسرية هي: حالة من عدم التكيف والانسجام بين المعايير الاجتماعية الأسرية والواقع الأسري المعاش.

هناك العديد من المشكلات الأسرية، كالمشكلة الاقتصادية، والصحية، وغير ذلك. هناك العديد من الأسباب التي تؤدي إلى المشكلات الاقتصادية الأسرية، ومن ذلك حجم الأسرة، الفقر والبطالة، والضغط الاقتصادي المحيط.

هناك العديد من الأسباب الكامنة وراء المشكلات الصحية الأسرية، ومنها: المناخ الأسري، والعوامل الاقتصادية، والتربية، والنفسية.

المشكلات الاجتماعية للأسرة تتعلق بعلاقة الفرد بأسرته ومجتمعه والتي يترتب عليها اضطراب العلاقة الزوجية لسبب أو لأسباب أخرى بين الوالدين وبين الأبناء أو نتيجة للعديد من الأسباب ومنها التربية الخاطئة في الصغر .

من أسباب المشكلات الاجتماعية الأسرية تدخل أقارب الزوجين أو أحدهما في الحياة الأسرية للزوجين. من وسائل علاج المشكلات الاجتماعية الأسرية تجنب أسباب المشكلات والخلافات الأسرية وتأسيس قاعدة من أجل التواصل والحوار الأسري.

من أسباب المشاكل الثقافية التباين الفكري والثقافي والاجتماعي بين الزوجين.

قائمة المصادر والمراجع

- إبراهيم , إبراهيم جلالين , تأثير عمل المرأة على استقرار الأسرة من وجهة نظر الزوجين بمدينة جدة , بحث منشور , جمعية المودة للتنمية الأسرية , رؤية المملكة 2030 , ب.ت .

- أبو أسعد ، أحمد عبد اللطيف ، والختاتنة ، سامي محسن ، سيكولوجية المشكلات الأسرية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، ط 1 ، 2011 م .
- أبو أسعد ، أحمد عبد اللطيف ، والختاتنة ، سامي محسن ، سيكولوجية المشكلات الأسرية .
- أبو عليان ، بسام محمد ، الحياة الأسرية ، الناشر : الباحث ، ط 1 ، 2013 م .
- بركات ، علي أسعد ، علم الاجتماع ، جامعة الشام ، د. ط ، د. ت .
- به-تون ، نصر الدين ، الوضع الاقتصادي للأسرة وأثره في التنشئة الاجتماعية للطفل المتخلف ذهنياً ، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع العائلي ، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية ، جامعة العقيد الحاج لخضر - باتنة ، الجزائر ، 2008 م .
- جبريل ، عبد الله بن عبد الرحمن (ب ت) ، الحلول الشرعية للخلافات والمشكلات الزوجية والأسرية ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، د. ط .
- جواد ، صفاء ، اقتراح خطة إعلامية للصحافة الرياضية لإدارة الأزمات الرياضية ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في نظرية ومنهجية التربية البدنية والرياضية ، تخصص إعلام واتصال رياضي ، معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية ، جامعة محمد بوضياف - المسيلة ، 2019 م .
- حجازي ، مصطفى ، الأسرة وصحتها النفسية : المقومات - الديناميات - العمليات ، المركز الثقافي العربي ، ط 1 ، 2015 م .
- الحداد ، يوسف عمر ، وعى طلبة الجامعة الإسلامية الجدد بقيم الحياة الزوجية الإسلامية ودور التربية في تنميته ، رسالة ماجستير ، قسم أصول التربية ، كلية التربية ، عمادة الدراسات العليا ، الجامعة الإسلامية - غزة ، 2003 م .
- الحرزي ، سلطان مسفر مبارك الصاعدي ، أولويات المشكلات الأسرية المعاصرة للأسرة السعودية ، الملتقى السابع لجمعيات الزواج ورعاية الأسرة بالملكة العربية السعودية ، تنظيم المركز الدولي للأبحاث والدراسات ، 1435 هـ .
- خليل ، عفراء إبراهيم ، المناخ الأسري وعلاقته بالصحة النفسية للأبناء ، مجلة كلية التربية الأساسية ، ع 49 ، 2006 م
- رداق ، نصيرة ، تصورات الشباب الجزائري للاختيار للزواج عن طريق الإعلانات الصحفية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال تخصص علاقات عامة واتصال ، قسم علوم الإعلام والاتصال ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2010 م . ص 51
- زينب إبراهيم (ب ت) ، علم الاجتماع العائلي ، العربي ، كلية الآداب ، جامعة بنها ، د. ط .
- السباعي ، هناء جاسم ، الطلاق وأسبابه في مدينة الموصل ، مجلة إضاءات موصلية ، ع 74 ، 2013 م .
- صقر ، عطية ، مشكلات الأسرة ، مكتبة وهبة ، ج 6 ، ط 1 ، 2004 م .
- صقر ، عطية (2006) ، موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام " مشكلات الأسرة " ، مكتبة وهبة .

- الطيار , فهد بن على , العلاقة التفاعلية في التنشئة الاجتماعية بين الآباء والأبناء وعلاقتها بالأمن الأسري , المجلة العربية للدراسات الامنية والتدريب , مج29 , ع58 , ب.ت .
- عزيز, قودة, تأثير التنشئة الأسرية للمراهقين بمضامين الإنترنت إسقاطاً لنظريتي التنشئة والنظرية الاجتماعية لوسائل الإعلام والاتصال , مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية , ع27 , 2016م .
- فرحات , نادية , عمل المرأة وأثره على العلاقات الأسرية , الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية , ع8 , 2012م.
- قارة , ساسية , الأسرة والسلوك الانحرافي للمراهق , مذكرة لنيل شهادة الماجستير , تخصص علم اجتماع التربية , قسم علم الاجتماع , كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية , جامعة منتوري قسنطينة , الجزائر , 2012م .
- القصاص , مهدي محمد , علم الاجتماع العائلي , كلية الآداب , جامعة المنصورة , ب.ط , 2008م .
- الكفاوين , محمود محمد , المشكلات التي تواجه النساء اللاتي يتأسن أسراً فقيرة , مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية , مج42 , ملحق 1 , 2015م .
- الكندري , أحمد محمد مبارك , علم النفس الأسري , مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع , ط2 , 1992م .
- مجموعة باحثين , المناخ الاسري وعلاقته ببعض مظاهر الصحة النفسية لدي مجموعة من طلبة وطالبات كلية الدراسات الإسلامية والعربية في دبي , مجلة كلية التربية , جامعة الازهر , ج3 , ع164 , 2015م .
- م-مجموعة من الكتاب , نظرية الثقافة , ترجمة : على سيد الصاوي , مراجعة : الفاروق زكى يونس , عالم المعرفة , ب.ط , 1997م .
- محمد , مسلم , المهادنة والتوتر وصراع القيم في علاقات الزواج المختلط : حالة الزواج المغاربي الفرنسي , مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية , مج9 , ع3 , 2012م .
- محمد, بسام(2013), الحياة الأسرية, مكتبة الطالب الجامعي, ط1.
- مليكة , بن زيان , عمل الزوجة وانعكاساته على العلاقات الأسرية دراسة ميدانية بجامعة منتوري - قسنطينة , مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم النفس , تخصص علوم التربية , قسم علم النفس والعلوم التربوية والاوظفونيا , كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية , 2004م .
- المنيع , حمد بن محمد , والقرني , محمد بن عبد المعين , المشكلات الأسرية وظاهرة إدمان المخدرات , مجلة البحث العلمي في التربية , ع20 , 2019م .
- ونوغي , فاطمة , أثر سوء التوافق الزوجي في تكوين الميل إلى الأمراض النفسية لدى المرأة من خلال تطبيق اختبار (MMPI2) , مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في علم النفس , تخصص علم النفس العيادي , قسم العلوم الاجتماعية , كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية , جامعة محمد خيضر - بسكرة , 2014م .

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية واللغات. المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

أثر حرب الأفيون الثانية في ضم شبه جزيرة كولون لهونغ كونغ (1856-1861)

أ.د. / كاظم هيلان محسن السهلاني

جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم التاريخ

م.م. عمر عدنان داود الخالد

المديرية العامة للتربية في محافظة البصرة

تاريخ الإيداع: 2021/01/09 م تاريخ التحكيم: 2021/01/20 م تاريخ النشر: 2021/06/15م
الملخص باللغة العربية:

إن سيطرة بريطانيا على جزيرة هونغ كونغ عام ١٨٤١، ومن ثم تأسيس مستعمرة فيها، كان خطوة مهمة في طريق ترسيخ وتدعيم نفوذها في الصين وشرق آسيا، لكن بريطانيا بقيت ترى أن مستعمرة هونغ كونغ بحاجة إلى أن تؤمن ضد الاخطار المحيطة بها، التي تمثلت بالدول المنافسة لبريطانيا ذات المصالح في الصين. يتناول هذا البحث أثر حرب الأفيون الثانية في ضم شبه جزيرة كولون لهونغ كونغ والمبررات التي استخدمت لتبرير هذا الضم، والطريقة المستخدمة لتحقيقه.

الكلمات المفتاحية: بريطانيا، الصين، حرب الأفيون الثانية، شبه جزيرة كولون، هونغ كونغ، مستعمرة.

Effect of the Second Opium War in the annexation of the Kowloon Peninsula to Hong Kong (1856-1861)

**Prof. Dr. Kadhim Hilan Mohssen Al-Sahlani (University of Basrah-
College of Education for Human Sciences-Department of History)**

**A.L. Omar Adnan Dawood Al-Khaled (General Directorate of
Education in Basra Governorate)**

Abstract:

Britain's control of Hong Kong Island in 1841, and then the establishment of a colony there, was an important step on the way to consolidating and consolidating its influence in China and East Asia, but Britain still believed that the colony of Hong Kong needed to be insured against the dangers surrounding it,

which were represented by competing countries Britain has the same interests in China. This research deals with the impact of the Second Opium War on the annexation of the Kowloon Peninsula to Hong Kong, the justifications used to justify this annexation, and the method used to achieve it.

Keywords: Britain, China, Second Opium War, Kowloon Peninsula, Hong Kong, Colony.

أولاً: اندلاع حرب الأفيون الثانية

تدهورت العلاقات البريطانية الصينية في بداية عام 1856⁽¹⁾، أثر فشل المفاوضات التي جرت في بداية شهر أيار من العام نفسه، بين حاكم هونغ كونغ جون بورينج (*John Bowring*)⁽²⁾ ونائب الملك الصيني في مقاطعة كانتون بي مينغشين (*Ye Mingchen*)⁽³⁾ بشأن السماح للبريطانيين بالدخول إلى جميع أجزاء مقاطعة كانتون وليس لمينائها فقط، من أجل مماسة النشاطات التجارية بشكل أوسع، وقد تعزز هذا الفشل بعد إعلان مينغشين في الثاني والعشرين من أيار 1856، عن رفضه دخول البريطانيين إلى المقاطعة، مؤكداً ذلك بقوله "لم يكن هناك بشيء يمكن تسويته، من الآن فصاعداً يجب عدم مناقشة مسألة دخول البريطانيين إلى جميع أجزاء مقاطعة كانتون مرة أخرى"⁽⁴⁾.

كان ذلك الموقف من مينغشين يعود إلى أن دخول البريطانيين لجميع أجزاء مقاطعة كانتون لم يُنص عليه في معاهدة نانكينج، فضلاً عن ارتباط الرفض باعتراض سكان المقاطعة على دخول البريطانيين إليها وتهديدهم بتكرار ما عرف بأسطورة سانويانلي (*Myth of Sanyuanli*)⁽⁵⁾، الأمر الذي شجع مينغشين على التمسك بموقف الرفض والتشديد عليه⁽⁶⁾.

بناءً على ذلك، وصل جون بورينج لقناعة بضرورة اللجوء إلى الخزم في التعامل مع الصين، ووجه دعوة في شهر تموز 1856، لرئيس الوزراء بالمرستون ووزير الخارجية اللورد كلاريندون، دعا من خلالها لاستخدام القوة ضدها، لكي يدرك قادتها وجوب أن يتغيروا نحو الإيجابية في التعامل مع بريطانيا⁽⁷⁾.

لاقت دعوة جون بورينج تجاوباً إيجابياً من الحكومة البريطانية, لكن قبل تحول ذلك لخطوات ملموسة على أرض الواقع, ساءت الامور في الصين, أثر قيام السلطات الصينية في الثامن من تشرين الأول 1856 وبامراً من بي مينغشين بالاستيلاء على سفينة تسمى لورشا أرو (*Lorch Arrow*) وإلقاء القبض على طاقمها المكون من الصينيين, وانزال العلم البريطاني الذي كان مرفوعاً فوقها, عندما كانت تُبحر بالقرب من مقاطعة كانتون. كانت هذه السفينة مملوكة لأحد التجار الصينيين المقيمين في هونغ كونغ, الذي قام بتسجيلها في سجلات المستعمرة للحصول على حماية العلم البريطاني, وكانت حجة السلطات الصينية في الاستيلاء على السفينة هي وجود بعض القراصنة على متنها⁽⁸⁾.

حاول القنصل البريطاني في مقاطعة كانتون هاري باركس (*Harry Parkes*)⁽⁹⁾ وجون بورينج اقناع بي مينغشين بأطلاق سراح طاقم السفينة وتقديم اعتذار رسمي عن هذه الحادثة, لكنه استجاب لطلب اطلاق سراح طاقم السفينة فقط في الثاني والعشرين من تشرين الأول 1856, ورفض تقديم اعتذار رسمي عن هذه الحادثة⁽¹⁰⁾. لذا اصدرَ كلٌّ من بورينج وباركس في الثالث والعشرين من الشهر نفسه, امراً إلى قائد القوات البحرية البريطانية في الصين الأدميرال مايكل سيمور (*Michael Semour*) بأطلاق النار على حصون واهامبوا (*Whampoa*) الواقعة قرب مقاطعة كانتون. فور استلام سيمور لهذه الأوامر شرع بتحريك القوات البحرية المتمركزة في هونغ كونغ, وقامت بأطلاق النار على هذه الحصون, ثم اقدمت في صباح يوم التاسع والعشرين من الشهر نفسه على اقتحام مقاطعة كانتون والوصول إلى مقر مينغشين, الذي لم يكن موجوداً فيه, وإنما كان مختبئاً في أحد أرجاء المقاطعة, وهو ما دفع القوات البريطانية للانسحاب في مساء اليوم نفسه بعد تنفيذها لعملية الاقتحام⁽¹¹⁾.

كانت هذه التحرك العسكرية إيذاناً ببدء ما سمي بحرب الأفيون الثانية (*Second Opium War*)⁽¹²⁾ بين بريطانيا والصين⁽¹³⁾, التي أعطت حكومة رئيس الوزراء البريطاني اللورد بالمرستون موافقتها عليها في شهر أذار 1857⁽¹⁴⁾, تحت ذريعة تعرض العلم البريطاني للإهانة, وقام بالمرستون في الشهر

نفسه بتعيين جيمس إلجين (*James Elgin*)⁽¹⁵⁾ لتولي قيادة العمليات العسكرية والدبلوماسية في الصين عوضاً عن جون يورينج الذي بقي محتفظاً بمنصب حاكم هونغ كونغ⁽¹⁶⁾.

بعد انطلاق العمليات العسكرية لحرب الأفيون الثانية، سيطرة القوات البريطانية بدعم من القوات الفرنسية⁽¹⁷⁾، على مقاطعة كانتون في الخامس والعشرين من كانون الأول 1857⁽¹⁸⁾، ثم استولت قوات بريطانية أخرى بقيادة قائد حامية هونغ كونغ الجنرال تشارلز ستراوبينزي (*Charles Straubenzee*) في اليوم نفسه على شبه جزيرة كولون (*Kowloon Peninsula*)⁽¹⁹⁾ الواقعة قبالة جزيرة هونغ كونغ⁽²⁰⁾.

ثانياً: الدعوة لضم شبه جزيرة كولون لهونغ كونغ

أدرك تشارلز ستراوبينزي بعد السيطرة على شبه جزيرة كولون أنها تتمتع بأهمية استراتيجية دفاعية لصالح هونغ كونغ، فهي وفقاً لوجهة نظره ذات قيمة مهمة وضرورية لتعزيز أمنها، وبقيائها اي -شبه جزيرة كولون- في حوزة الصين واستمرار الحامية الصينية فيها لا يشكل خطراً على المستعمرة، لكن سيطرة أي قوة أوروبية تمتلك اسلحة متطورة عليها، سيؤدي لتهديد المستعمرة والأنشطة الاقتصادية فيها⁽²¹⁾.

بموجب هذه الأهمية لشبه جزيرة كولون أوصى تشارلز ستراوبينزي في الثلاثين من كانون الأول 1857، حاكم هونغ كونغ جون بورينج بضم شبه جزيرة كولون إلى المستعمرة، وقد حظي هذا الامر بتأييد من بورينج⁽²²⁾، وقام بمفاته رئيس الوزراء البريطاني اللورد بالمرستون بشأنه. الذي اعطى موافقته على عملية الضم⁽²³⁾ تاركاً للقادة البريطانيين في الصين تحديد الخطوة والوقت المناسبين لذلك⁽²⁴⁾.

وعلى الرغم من إعطاء الحكومة البريطانية تأييدها لضم شبه جزيرة كولون إلى هونغ كونغ، لكن عملية الضم لم تتحقق فوراً، وذلك يعود لانشغال القادة البريطانيين في الصين بمجريات حرب الأفيون الثانية وعملياتها العسكرية. فعندما أبرمت معاهدة تينتينس (*Treaty of Tientsin*)⁽²⁵⁾ في حزيران 1858 بين كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية من جهة والصين من جهة أخرى،

وادت لتوقف حرب الأفيون الثانية مؤقتاً، فأنها لم تتضمن أي إشارة لتنازل الصين عن شبه جزيرة كولون لبريطانيا، لاسيما وأن المطالب التي قدمها المفوضين البريطانيين لم تتضمن المطالبة بهذا التنازل، لكن هذا لا يعني أن شبه جزيرة كولون كانت غائبة عن إذهان القادة البريطانيين في الصين، وهذا يتضح من خلال تأكيد قائد العمليات العسكرية والدبلوماسية في الصين جيمس الحين في الرابع من تموز 1858، أن بريطانيا ستقوم في النهاية بضم شبه جزيرة كولون إلى هونغ كونغ حالماً تكن الفرصة مناسبة لذلك، وهذه الفرصة ستأتي لا محال مع عدم إيفاء الصين بتعهداتها⁽²⁶⁾.

ويبدو أن القادة البريطانيين في الصين كان لديهم التصميم على إلحاق شبه جزيرة كولون بهونغ كونغ وما كان ينقصهم هو اللحظة المناسبة لتحقيق ذلك.

ازدادت مطالبات السياسيين والقادة البريطانيين في هونغ كونغ والصين بضم شبه جزيرة كولون إلى المستعمرة، فقد أكد ويليام ميرسر (*William Mercer*)⁽²⁷⁾ السكرتير الإداري للمستعمرة في الثاني عشر من حزيران 1859، على ضرورة قيام بريطانيا بضم شبه جزيرة كولون، معللاً ذلك بالخطورة التي ستشج على أمن المستعمرة في حالة قيام أي قوة أجنبية بالسيطرة على شبه الجزيرة، كما أن تركز أفراد صينيين غير نظاميين فيها وقيامهم بتهديد المستعمرة، ورد السلطات البريطانية على ذلك سيوقعها في مشكلة الاختصاص القضائي مع الصين⁽²⁸⁾.

من جانبه طالب المفوض البريطاني ومسؤول التجارة البريطانية⁽²⁹⁾ في الصين فردريك بروس (*Frederic Bruce*)⁽³⁰⁾ في الثامن عشر من حزيران 1859، بضم شبه جزيرة كولون إلى هونغ كونغ، حتى ولو كان ذلك عن طريق اتفاق منفصل مع الصين تتنازل بموجبه عن شبه جزيرة كولون، مقابل ترك بريطانيا التعويضات التي فرضتها على الصين بموجب معاهدة تينستين⁽³¹⁾.

في غضون ذلك تجددت العمليات العسكرية في حرب الأفيون الثانية، على أثر رفض الإمبراطور الصيني شيان فنغ (*Chian Feng*)⁽³²⁾ التصديق على معاهدة تينستين، وهو ما دفع فردريك بروس لتجهيز حملة عسكرية مشتركة مع فرنسا في الثامن عشر من حزيران 1859، بهدف السيطرة على

العاصمة بكين لإجبار الإمبراطور على المفاوضات وتصديق معاهدة تينتينسين. تحركت هذه الحملة في التاسع عشر من الشهر نفسه، بقيادة الجنرال جيمس هوب (*James Hope*)، انطلاقاً من هونغ كونغ، وشقت طريقها صوب خليج بوهاي للوصول إلى بكين، وعندما وصلت لحصون داجو (*Dagu*) بعد خمسة أيام من انطلاقها، جوبحت بمقاومة عنيفة من القوات الصينية المتمركزة هناك بقيادة القائد سينجيلينكين (*Senggelingin*)، قتل وجرح على أثرها (1000) جندي بريطاني وفرنسي، الأمر الذي أدى لإيقاف الحملة العسكرية وانسحابها⁽³³⁾.

أثارت هذه الهزيمة استياء الحكومة البريطانية، وعملت على إرسال قوة عسكرية من الهند إلى الأراضي الصينية بلغ تعددها (16500) جندي و(70) سفينة حربية. وصلت هذه القوة إلى هناك في شهر كانون الأول 1859، وعسكرت في شبه جزيرة كولون، وأثناء وجودها فيها قامت بأجراء تدريبات عسكرية مستغلة الأراضي المنبسطة لشبه الجزيرة⁽³⁴⁾، وبذلك أثبتت أنها ذات قيمة في انتشار القوات العسكرية وأجراء التدريبات الخاصة بها⁽³⁵⁾.

ثالثاً: تحقق ضم شبه جزيرة كولون لهونغ كونغ

بناءً على ازدياد الدعوات لضم شبه جزيرة كولون إلى هونغ كونغ، وما وفرته من دعم عندما عسكرت فيها القوات البريطانية التي أرسلت من الهند، فأقن القنصل البريطاني في مقاطعة كانتون هاري باركس أجرى في العشرين من آذار 1860، مفاوضات بشأنها مع لاي (*Lau*) نائب الملك الصيني في المقاطعة، انتهت في اليوم نفسه بموافقة لاي على تنازل الصين عن شبه جزيرة كولون لصالح بريطانيا وجعلها ملحقة بهونغ كونغ مقابل عقد إيجار سنوي مقداره (500) تايل تدفعه بريطانيا لصالح الصين⁽³⁶⁾.

على الرغم من هذه الخطوة المتقدمة التي حققها هاري باركس، لكنه ذهب إلى أبعد من ذلك، عندما أعرب عن رغبته أن تتحقق السيطرة البريطانية على شبه جزيرة كولون عن طريق تنازل الصين عنها لصالح بريطانيا للأبد وبدون أي مقابل⁽³⁷⁾.

وفيما يتعلق بموقف الحكومة البريطانية من عملية الاستحواذ على شبه جزيرة كولون مقابل إيجار، فقد أكد وزير المستعمرات البريطاني دوق نيوكاسل (*Duke of Newcastle*)⁽³⁸⁾ في الأول تموز 1860، عن تأييده لما أقدم عليه هاري باركس بشأن شبه جزيرة كولون، لكنه من جانباً آخر أعرب عن رغبته باستحواذ بريطانيا عليها نهائياً وبدون مقابل⁽³⁹⁾. وفي السياق ذاته عبر وزير الخارجية البريطاني جون راسل في اليوم نفسه عن موقفه القاضي بضرورة أن تدخل شبه جزيرة ضمن السيطرة البريطانية إلى الأبد، دون أن يترتب على ذلك أي التزامات على بريطانيا لصالح الصين⁽⁴⁰⁾.

جاءت الفرصة المناسبة لبريطانيا لكي تحقق رغبتها في السيطرة على شبه جزيرة كولون دون مقابل، عندما أعيد إرسال حملة عسكرية بريطانية فرنسية ضخمة إلى شمال الصين في منتصف شهر تموز 1860، لتعويض الهزيمة في حصون داجو والسيطرة على بكين لإجبار الإمبراطور شيان فنغ على تصديق معاهدة تينتسين وتقديم تنازلات جديدة⁽⁴¹⁾. كانت هذه الحملة بقيادة جيمس الجين يرافقه هاري باركس الذي أوكلت إليه مهمة إجراء المفاوضات مع الحكومة الصينية. تمكنت الحملة المشتركة في الحادي والعشرين من آب 1860، من السيطرة على حصون داجو، ثم قامت في السادس والعشرين من الشهر نفسه بالسيطرة على مدينة تينتسين وسارت نحو بكين، على أثر ذلك وافق الإمبراطور شيان فنغ على إجراء مفاوضات وأرسل وفداً صينياً لهذا الغرض⁽⁴²⁾، لكن قبل بدء المفاوضات أعتقل هاري باركس ومراسل صحيفة التايمز توماس بولي (*Thomas Bowlby*) وهنري لوش (*Henry Loch*) السكرتير الخاص لجيمس الجين في الثامن عشر من أيلول 1860، من قبل أحد القادة الصينيين يدعى سينغ كو (*Seng Ko*) في مدينة تينتسين تحت ذريعة قيام باركس والوفد المرافق له بإهانة الوفد الصيني⁽⁴³⁾.

ترتب على هذه الحادثة قيام جيمس الجين بإلغاء المفاوضات واستأنف الهجوم على بكين، وتمكن من دخولها في السادس من تشرين الأول 1860، الامر الذي دفع الإمبراطور شيان فنغ للفرار من العاصمة بكين، تاركاً شقيقه الأمير كونغ (*Kung*)⁽⁴⁴⁾ لقيادة عملية إجراء المفاوضات مع القوات المشتركة، وبعد إطلاق سراح باركس سالماً في الثامن من تشرين الأول 1860، قامت القوات المشتركة

بتدمير القصر الإمبراطوري المعروف باسم (القصر الصيفي)، وهدد الجين باقتحام جميع أنحاء بكين وتدميرها في حالة عدم موافقة الأمير كوانغ على جميع شروط بريطانيا⁽⁴⁵⁾.

بعد تمكن القوات المشتركة من دخول بكين وجد هاري باركس الفرصة سانحة للاستحواذ على شبه جزيرة كولون دون أي مقابل وإلى الأبد⁽⁴⁶⁾، وذلك جاء متسقاً مع موافقة الأمير غوانغ على جميع مطالب بريطانيا وفرنسا وبضمنها قضية شبه جزيرة كولون⁽⁴⁷⁾، وهو ما كانت نتيجته توقيع الأمير كونغ في الرابع والعشرين من تشرين الأول 1860، على اتفاقية بكين (*Convention of Peking*)⁽⁴⁸⁾ بين الصين من جهة وبريطانيا وفرنسا والإمبراطورية الروسية من جهة أخرى⁽⁴⁹⁾.

نصت المادة السادسة من تلك الاتفاقية على موافقة إمبراطور الصين على التنازل لملكة بريطانيا عن شبه جزيرة كولون كتبعية لهونغ كونغ إلى الأبد، كما تم الإعلان من خلال هذه المادة عن إلغاء عقد الإيجار الخاص بشبه جزيرة كولون⁽⁵⁰⁾.

في الرابع من شباط 1861 أصبحت شبه جزيرة كولون جزءاً من هونغ كونغ عندما أصدرت بريطانيا أمراً ملكياً (*Royal Order*) نص على أن ملكة بريطانيا أمرت أن تكون شبه جزيرة كولون جزءاً لا يتجزأ من هونغ كونغ، وجميع القوانين والمراسيم السارية في هونغ كونغ ستصبح سارية في شبه جزيرة كولون⁽⁵¹⁾.

وعندما عقد مجلس الوزراء البريطاني اجتماعاً في الحادي والعشرين من شباط 1861، عبر رئيس الوزراء بالمرستون خلال هذا الاجتماع عن ترحيبه بضم شبه جزيرة كولون إلى هونغ كونغ لما في ذلك من دعم وتحقيق لمصالح بريطانيا، وضمن هذا السياق أيد كل من وزير المستعمرات دوق نيوكاسل ووزير الخارجية جون راسل ضم شبه جزيرة كولون مؤكدين أنه سيكون في صالح هونغ كونغ والمصالح البريطانية فيها⁽⁵²⁾.

الخاتمة

يمكن الاستنتاج مما سبق أن شبه جزيرة كولون وبحكم موقعها القريب من مستعمرة هونغ كونغ كانت مهمة لبريطانيا، لذا فإن ضمها كان لأسباب تعلقة بتأمين هونغ كونغ ومقتراتها من تهديد القوى المنافسة لبريطانيا، وقد استغلت الأخيرة هزيمة الصين في حرب الأفيون الثانية لتحقيق عملية الضم بتنازل لصالحها عن شبه الجزيرة إلى الأبد.

(¹) كان تدهور العلاقات يعود أيضاً إلى أن فتح خمسة موانئ ساحلية في الصين للتجارة البريطانية لم يؤد لزيادة الأرباح التجارية وفقاً لما كان يرغب به البريطانيون، فضلاً عن ذلك ظلت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين تمثل واعزاً لتدهور العلاقات لاسيما وأن البريطانيين لم يحصلوا على حق تعيين ممثل دبلوماسي في العاصمة الصينية بكين، كما أن المفوض والمشراف على التجارة البريطانية في الصين لم يمتلك حرية الوصول إلى نائب الملك الصيني في مقاطعة كانتون، فضلاً عن ذلك استمرت السلطات الصينية في اعتبار تجار الأفيون التي كانت تعد جزءاً أساسياً من التجارة البريطانية مع الصين هي تجارة مهينة. للتوسع ينظر:

Frederic E. Wakeman, Strangers at the Gate : Social Disorder in South China 1839-1861, University of California Press, California, 1997, P. 71.

(²) جون بورينج (1792-1872): حاكم استعماري بريطاني، ولد في مدينة أكستير (*Exeter*) البريطانية، عمل في بداية حياته بمهنة التجارة، ثم عضواً في البرلمان البريطاني للمدة (1841-1849). عمل خلال المدة (1852-1853) مستشاراً لشؤون التفتيش للمفوض البريطاني ومسؤول التجارة البريطانية في الصين، ثم عُين حاكماً لهونغ كونغ عام 1854، واستمر في هذا المنصب حتى عام 1859، وفي عام 1861 أصبح مفوضاً لبلاده في مملكة إيطاليا، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته. للتوسع ينظر:

Encyclopedia Britannica, 2009, in (C.D).

(³) لي مينغ تشين (1807-1859): حاكم صيني، ولد في مقاطعة هوبي (*Hubei*)، شغل منصب حاكم مدينة ليشنغان (*Leshngan*) الصينية عام 1838، شغل منصب نائب الملك في مقاطعة كانتون للمدة = (1852-1857)، عرف بكرهه للبريطانيين وصلابته في المفاوضات معهم، القت القوات البريطانية عام 1857 القبض عليه عندما اقتحمت مقاطعة كانتون، وتم نفيه إلى الهند حيث توفي هناك. للتوسع ينظر:

Lien Che Tue "Ye Ming Chen," in Arthur W. Hummel, ed., Eminent Chinese of the Ching Period, Vol.2, United States Government Printing Office, 1943, Pp. 904-905.

(⁴) Frank. Welsh, *A Borrowed Place: The History of Hong Kong*, Kodansha international, New York, 1993, Pp.203-204.

(5) أسطورة سانويانلي: حادثة وقعت في قرية سانويانلي الواقعة في مقاطعة كانتون، وذلك عندما أقدمت القوات البريطانية في التاسع والعشرين من أيار 1841، على مهاجمة القرية كجزء من العمليات العسكرية في حرب الأفيون الأولى، عندئذ قاوم سكان القرية هذه القوات، وأوقعوا الكثير من الخسائر في صفوفها بعد محاصرتها في حقول الأرز، وهو ما أجبر القوات البريطانية على الانسحاب، ومنذ ذلك الحين تحولت هذه الحادثة لأسطورة تجسد مقاومة السكان المحليين للغزو البريطاني. للتوسع ينظر:

Frederic E. Wakeman, *Strangers at the Gate : Social Disorder in South China 1839-1861*, University of California Press, California, 1997, Pp. 15-21.

(6) Saul David , *Victoria's Wars: The Rise Empire*, Penguin Books, London, 2007, P.360.

(7) William Conrad Costine, *Great Britain and China*, Clarendon Press, Oxford, 1937, P.201.

(8) G. F. Bartle ,*Sir John Bowring and the Arrow War in China*, *Bulletin of the John Rylands Library*, Vol. 44, No. 2, Manchester, 1962, P. 299 ; Frank Sanello and William Hanes, *Opium Wars : The Addiction of One Empire and the Corruption of Another*, Source Books Inc, Illinois, 2004, Pp. 176-177.

(9) هاري باركس (1828-1885): دبلوماسي بريطاني، ولد في مدينة ستافورد شاير (Staffordshire) البريطانية. عمل بعد وصوله إلى الصين كمترجم للغة الصينية عام 1841، شغل منصب القنصل البريطاني في مقاطعة كانتون خلال للمدة (1854-1865)، وشارك بفعالية في حرب الأفيون الثانية ومفاوضات أنائها، كما لعب دوراً في عملية الاستحواذ البريطاني على شبه جزيرة كولون، تولى منصب القنصل البريطاني العام في اليابان خلال للمدة (1865-1883)، ثم عُيّن في منصب الوزير المفوض والقنصل البريطاني العام في الصين للمدة (1883-1885). للتوسع ينظر:

Sidney Lee, *Dictionary of National Biography*, Vol.43, Simith Elder & co, London , 1896, Pp. 296-304.

(10) كانت حجج بي مينغشين في رفض تقديم اعتذار رسمي هو أن طاقم سفينة لورشا أرو كانوا رعايا صينيين، كما لا يوجد حق لأي سفينة تحمل العلم البريطاني أن تكون بمنأى عن المحاسبة إذا كان على متنها ما يدعو لذلك، فضلاً عن تأكيد أنه طاقم السفينة لورشا أرو كانوا قراصنة ، وبالتالي لا يوجد هناك أي سبب حسب ادعاء بي مينغشين لتقديم اعتذار لبريطانيا. للتوسع ينظر:

Jay Ye Wong, *Deadly Dream: Opium and the Arrow War (1856-1860) in China*, Cambridge University Press, Cambridge 1998, Pp. 43-56.

(11) G. F. Bartle , *Op. Cit.*, Pp. 301-302.

(12) تسمى أيضاً بحرب السهم نسبةً إلى السفينة التي استولت عليها السلطات الصينية.

(13) Jack Beeching, *The Chinese Opium Wars*, Harcourt Brace Jovanovich, New York, 1975, P.214.

(14) *Douglas Hurd, The Arrow War: An Anglo – Chinese Confusion 1856-1860, Macmillan Publishers, London, 1967, Pp. 45-46.*

(15) جيمس الجين (1863-1811): سياسي بريطاني، ولد في مدينة لندن، ابتداءً حياته السياسية عندما أنشأ عضواً في البرلمان البريطاني عام 1841، ثم تولى منصب الحاكم العام لمستعمرة جامايكا (*Jamica Colony*) عام 1842، وأستمر في هذا المنصب حتى عام 1846، شغل منصب الحاكم العام لكندا للمدة (1847-1854). وأسند إليه منصب المفوض البريطاني الخاص لقيادة العمليات العسكرية والدبلوماسية في الصين للمدة (1857-1859)، وفي عام 1862 عُيّن في منصب نائب الملك في الهند والحاكم العام لها، واستمر في هذا المنصب حتى وفاته. للتوسع ينظر:

Encyclopedia Britannica, 2009, in(C.D).

(16) *David Bonner and Esmond Walter, The Second China War 1856-1860, Navy Filords Society, London, 1954, Pp. 190-191.*

(17) يعود السبب المباشر لمشاركة فرنسا في حرب الأفيون الثانية إلى قيام السلطات الصينية بإعدام المبشر الفرنسي أوغست تشابديلين (*Auguste Chapdelaine*)، أما الأسباب غير المباشرة فارتبطت برغبة فرنسا في الحصول مكاسب من

الصين. للتوسع ينظر: *Saul David, Op. Cit., Pp. 360-361.*

(18) *Gen Maj Porter, History of the Corps of Royal Engineers, Vol.1, the Institution of Royal Engineers, Chatham, 1889, P. 502.*

(19) تقع شبه جزيرة كولون على الساحل الجنوبي الشرقي للصين المطل على بحر الصين الجنوبي، تبلغ مساحتها (46,93 كم²). للتوسع ينظر:

David Trench, Hong Kong, Statistics 1947 -1967, Census and Statistics Department, Hong Kong , 1969 , P.3; Central Intelligence Agency, The World Factbook, Office of Public and Agency Information, Washington, 1994 , P.377; Koon Kwai Wong, Hong Kong, Macau and the Pearl River Delta: A Geographical Survey, Hong Kong Educational Publishing Co, Hong Kong, 2009, P.10.

(20) *Shuyong Liu, An Outline History of Hong Kong, Foreign Languages Press, Beijing, 1997, P. 44.*

(21) *Shuyong Liu, Op . Cit. P.44.*

(22) *Karel Jones Maris, Colonial Administration in the Colony of Hong Kong , University of Hong Kong, Hong Kong, 1983, P.264.*

(23) *Steve Tsang, A Modern History of Hong Kong, Hong Kong University Press, Hong Kong, 2004 , P.35.*

(24) *Harry Parkes, Harry Parkes Papers, London, 1883, P. 185.*

(25) نصت معاهدة تينتين على : أولاً:- حق كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية في استقبال سفرائها في بكين على أساس المساواة الدولية دون أداء مراسيم الكاوتاو. ثانياً: إضافة أحد عشر ميناء إلى الموانئ المفتوحة أمام التجار الأجانب بما في ذلك موانئ اليانغتسي حتى هناكو. ثالثاً: الاعتراف من جديد بحق امتداد القوانين الأجنبية

على الأراضي الصينية وتوسيع نطاق تطبيقها، أي خروج الأوروبيين من اختصاص القضاء الصيني. رابعاً: منح الحرية للمبشرين المسيحيين وإقرار مبدأ التسامح الديني. خامساً: إقرار مشروعية تجارة الأفيون. سادساً: إنشاء وزارة خارجية صينية، والتعهد بعدم استخدام كلمة برابرة في الوثائق الدبلوماسية الرسمية من قبل السلطات الصينية. سابعاً: دفع الصين تعويضاً لبريطانيا مقداره ستة ملايين تايل فضة. للتوسع ينظر:

Shirley Ye Sheng, The Evil Trade that Opened China to the West, Florida Atlantic University Press, Boca Raton, 2008, P.196.

⁽²⁶⁾ *Harry Parkes, Op. Cit., P. 197.*

⁽²⁷⁾ ويليام ميرسر (1822-1879): مسؤول استعماري بريطاني، ولد في بريطانيا، وتولى العديد من المناصب في هونغ كونغ، إذ شغل منصب أمين الخزانة خلفاً لروبيرت مونتكومري للمدة (1845-1854)، ثم تولى في عام 1854 منصب المراجع العام للحسابات، واستمر في هذا المنصب حتى عام 1858، وخلال المدة (1854-1868) تولى منصب السكرتير الإداري للمدة (1854-1868)، بعد ذلك لم يتولى أي منصب استعماري حتى وفاته. للتوسع ينظر:

May Holdsworth and Christopher Munn, Dictionary of Hong Kong Biography, Hong Kong University Press, Hong Kong, 2012, Pp. 320-321.

⁽²⁸⁾ *Frank Welsh, Op. Cit., Pp.223-224.*

⁽⁴⁾ في عام 1859، تم فصل منصب المفوض البريطاني ومسؤول التجارة البريطانية في الصين عن مهام حاكم هونغ كونغ، وأصبح منصباً قائماً بحد ذاته. للتوسع ينظر:

Steve Tsang, Op. Cit., P. 20.

⁽³⁰⁾ فردريك بروس (1814-1867): دبلوماسي بريطاني، ولده في بريطانيا، عُيّن حاكماً لمستعمرة نيوفاوندلاند (Newfoundland) عام 1846، وفي عام 1847 تم تعيينه في منصب القنصل البريطاني العام في جمهورية أوروغواي (Republic of Uruguay)، واستمر في هذا المنصب حتى 1857، عندما تم إرساله في العام نفسه إلى الصين برفقة أخيه جيمس الجين، إذ شغل منصب المفوض البريطاني ومسؤول التجارة البريطانية في الصين للمدة (1859-1861)، وأصبح مقيماً في العاصمة بكين. للتوسع ينظر:

Sidney Lee, Op. Cit., Vol.7, P.97.

⁽³¹⁾ *Frank Welsh, Op. Cit., P.225.*

⁽³²⁾ شيان فنغ (1831-1861): الامبراطور السابع لسلالة تشينغ (المانشو)، ولد في بكين، تولى عرش الصين للمدة (1850-1861)، وخلال مدة توليه العرش شهدت الصين العديد من الثورات والتمردات، كما اندلعت في عهده حرب الأفيون الثانية. للتوسع ينظر:

Kerry Brown, Berkshire Dictionary of Chinese Biography, Vol.3, Berkshire Publishing Group, Massachusetts, 2017, Pp.1113-1114.

⁽³³⁾ *G. S. Graham, Op. Cit., Pp. 373-377.*

⁽³⁴⁾ *Michael Mann, China 1860, Michael Russell Publishing, Salisbury, 1989, P.5.*

⁽³⁵⁾ *Steve Tsang, Op. Cit., P.35.*

(36) Frank Welsh, *Op. Cit.*, P.226.

(37) *Sword Mathy , Growth of the Colony of Hong Kong under British Control, Hong Kong, 1999, P. 193.*

(38) دوق نيوكاسل (1864-1811): سياسي بريطاني ليبرالي، ولد في بريطانيا، بدأ حياته السياسية عندما أنشأ عضواً في البرلمان البريطاني عام 1832، شغل في عام 1846 منصب سكرتير إيرلندا وترك هذا المنصب في العام نفسه، تولى منصب وزير الحرب والمستعمرات للمدة (1852-1854)، ثم أصبح وزيراً للحرب للمدة (1854-1855)، وفي عام 1859 منصب وزير المستعمرات وأستمر فيه حتى وفاته. للتوسع ينظر:

Sidney Lee, Op. Cit., Vol.11, Pp.98-99.

(39) *Duke Newcastle to Harry Parkes, 1 July 1860, F.O.17/ Fil.74.*

(40) *John Russell to Harry Parkes, 1 July 1860, F.O.17/ Fil.81.*

(41) *David Bonner and Esmond Walter, Op. Cit., Pp. 390-391.*

(42) *Narumi Kunitada and Kobayashi Shigeru, Imperial mapping during the Arrow War: Its Process and repercussions on the Cartography in china and Japan, Japanese Journal of Human Geography, Vol.67, No. 6, Konan University , 2015, P. 33.*

(43) *Frederic E. Wakemang The Fall of Imperial China, Macmillan Pub Co , New York, 1975, Pp. 157-158.*

(44) الأمير كونغ (1898-1833): ولد في بكين. لعب دوراً في مفاوضات القوات البريطانية الفرنسية التي سيطرت على العاصمة بكين، خلال المدة (1875-1861) كان شريكاً في الحكم مع الإمبراطور تونغ شيه (*Tung Chin*)، أدى دوراً في تحديث الصين وقام بتشجيع المصانع لصناعة الأسلحة على النمط الغربي، وتمكن من القضاء على تمرد التايينغ. إلا أن الإمبراطور تزو هسي (*Tzu Hsi*) قوضت سلطته وتم عزله من منصبه في عام 1884، إذ بقي دون أن يتسلم أي منصب حتى وفاته. للتوسع ينظر:

Encyclopedia Britannica, 2009, in(C.D).

(45) *Immanuel Chung Yueh, The Rise of Modern China, Oxford University Press, New York, 2000, Pp. 215-216.*

(46) *Sword Mathy, Op. Cit., P. 204.*

(47) *Kung to James Elgin, 23 October 1860, F.O.682/ Fil.77.*

(48) نصت اتفاقية بكين فضلاً عن التنازل عن شبه جزيرة كولون لصالح بريطانيا على مصادقة الصين على معاهدة تينتينسين، وإضافة ميناء تينتينسين إلى الموانئ المفتوحة أمام التجار الأجانب، وحرية الأديان، ودفع الصين تعويضاً لبريطانيا وفرنسا مقداره (8) ملايين تاييل فضة، وتقنين تجارة الأفيون، والإقرار بشرعية الإتجار بالعمال الصينيين (الكولي). للتوسع ينظر:

Convention of Peking , 24 October 1860, C.O.129/Fil.78.

(49) *Frank Sanello and William Hanes, Op. Cit., P. 289.*

(50) *Convention of Peking , 24 October 1860 , C.O.129/ Fil.78.*

(51) *Royal order in Council, 4 February 1861, C.O.381/ Fil.35.*

⁽⁵²⁾ Meeting of the Council of Ministers, 21 February 1861, Attached documents, C.O.129.

قائمة المصادر

أولاً: الوثائق البريطانية غير المنشورة

• وثائق وزارة الخارجية (F.O) (Foreign Office)

- 1- Foreign Office.17: Foreign Office: Political and Other Departments: General Correspondence, China, 1815-1905.
- 2- Foreign Office.682: Foreign Office: Chinese Secretary's Office, Various Embassies and Consulates, China: General Correspondence, 1839-1861.

• وثائق وزارة المستعمرات (C.O) (Colonial Office)

- 1- Colonial Office.129: War and Colonial Department and Colonial Office: Hong Kong, Original Correspondence 1841-1951.
- 2- Colonial Office.381: Colonial Office and Predecessors: General Entry Books, Series II, 1740-1872.

ثانياً: الكتب المطبوعة باللغة الانكليزية

- 1- Central Intelligence Agency, The World Factbook, Office of Public and Agency Information, Washington, 1994.
- 2- David Bonner and Esmond Walter, The Second China War 1856-1860, Navy Filords Society, London, 1954.
- 3- David Trench, Hong Kong, Statistics 1947 -1967, Census and Statistics Department, Hong Kong , 1969.
- 4- Douglas Hurd, The Arrow War: An Anglo – Chinese Confusion 1856-1860, Macmillan Publishers, London, 1967.
- 5- Frank Sanello and William Hanes, Opium Wars : The Addiction of One Empire and the Corruption of Another, Source Books Inc, Illinois, 2004.
- 6- Frank Welsh, A Borrowed Place: The History of Hong Kong, Kodansha international, New York, 1993.
- 7- Frederic E. Wakeman, Strangers at the Gate : Social Disorder in South China 1839-1861, University of California Press, California, 1997.
- 8- Frederic E. Wakeman, Strangers at the Gate : Social Disorder in South China 1839-1861, University of California Press, California, 1997.

-
- 9- Frederic E. Wakemang *The Fall of Imperial China*, Macmillan Pub Co , New York, 1975.
 - 10- Gen Maj Porter, *History of the Corps of Royal Engineers*, Vol.1, the Institution of Royal Engineers, Chatham, 1889.
 - 11- Harry Parkes, *Harry Parkes Papers*, London, 1883.
 - 12- Immanuel Chung Yueh, *The Rise of Modern China*, Oxford University Press, New York, 2000.
 - 13- Jay Ye Wong, *Deadly Dream: Opium and the Arrow War (1856-1860) in China*, Cambridge University Press, Cambridge 1998.
 - 14- Karel Jones Maris, *Colonial Administration in the Colony of Hong Kong* , University of Hong Kong, Hong Kong, 1983.
 - 15- Koon Kwai Wong, *Hong Kong, Macau and the Pearl River Delta: A Geographical Survey*, Hong Kong Educational Publishing Co, Hong Kong, 2009.
 - 16- Lien Che Tue " Ye Ming Chen," in Arthur W. Hummel, ed., *Eminent Chinese of the Ching Period*, Vol.2, United States Government Printing Office, 1943.
 - 17- Michael Mann, *China 1860*, Michael Russell Publishing, Salisbury, 1989.
 - 18- Saul David , *Victoria's Wars: The Rise Empire*, Penguin Books, London, 2007.
 - 19- Shirley Ye Sheng, *The Evil Trade that Opened China to the West*, Florida Atlantic University Press, Boca Raton, 2008.
 - 20- Shuyong Liu, *An Outline History of Hong Kong*, Foreign Languages Press, Beijing, 1997.
 - 21- Steve Tsang, *A Modern History of Hong Kong*, Hong Kong University Press, Hong Kong, 2004.
 - 22- Sword Mathy , *Growth of the Colony of Hong Kong under British Control*, Hong Kong, 1999
 - 23- William Conrad Costine, *Great Britain and China*, Clarendon Press, Oxford, 1937.

ثالثاً: المجلات

- 1- G. F. Bartle ,*Sir John Bowring and the Arrow War in China*, Bulletin of the John Rylands Library, Vol. 44, No. 2, Manchester, 1962.
- 2- Narumi Kunitada and Kobayashi Shigeru, *Imperial mapping during the Arrow War: Its Process and repercussions on the Cartography in china and Japan*, Japanese Journal of Human Geography, Vol.67, No. 6, Konan University , 2015.

رابعاً: الموسوعات والقواميس

- 1- *Encyclopedia Britannica*, 2009,in(C.D).

-
- 2- Kerry Brown, *Berkshire Dictionary of Chinese Biography*, Vol.3, Berkshire Publishing Group, Massachusetts, 2017.
 - 3- May Holdsworth and Christopher Munn, *Dictionary of Hong Kong Biography*, Hong Kong University Press, Hong Kong, 2012.
 - 4- Sidney Lee, *Dictionary of National Biography*, Vol.43, Simith Elder & co, London , 1896.

زيارة انور السادات الى لندن واثرها في العلاقات البريطانية - المصرية عام 1981م

أ . م . د . عبادي احمد عبادي

الباحثة اسراء حميد حنون

جامعة البصرة / كلية التربية للعلوم الانسانية - قسم التاريخ

بحث مستل من الاطروحة

تاريخ الإيداع: 2021/03/13 م تاريخ التحكيم: 2021/03/22 م تاريخ النشر: 2021/06/15م
الملخص :

سلط البحث الى الضوء على زيارة انور السادات الى لندن واثرها في العلاقات البريطانية - المصرية عام 1981م، وأوضح ان العلاقات بين الطرفين قد شهدت تطوراً ملحوظاً حيث انعكس بشكل كبير على اوجه التعاون فيما بينهما ، اذ اخذت القضايا السياسية بين مصر وبريطانيا و قضايا الشرق الاوسط ولاسيما قضية الصراع العربي - الاسرائيلي حيزاً كبيراً في هذه الزيارة.

**Anwar Sadat's visit to London and its impact on British
- Egyptian relations in 1981:**

Assistant Professor Dr . ABBADI AHMED ABBADI

And the researcher / ASRAA HAMEED HANNUN

Abstract :

The research sheds light on Anwar Sadat's visit to London and its impact on the British - Egyptian relations in 1981 AD, and explained that the relations between the two sides have witnessed a remarkable development, as it was largely reflected in the aspects of cooperation between them, as it took up political issues between Egypt and Britain and the issues of the Middle East, especially The issue of the Arab-Israeli conflict will have a large place in this visit.

المقدمة :

عدت العلاقات الدولية هي تفاعلات ذات نمطين ، فالنمط الاول هو نمط تعاوني والآخر نمط صراعي الا ان النمط الصراعي هو الذي يغلب على التفاعلات الدولية لكن في الحالة المصرية و البريطانية لا يوجد نمط صراعي انما نمط تعاوني خاصة وان السياسة الخارجية لكلا الدولتين هي التي كانت تلعب الدور

الكبير في تحقيق التعاون بين الطرفين سيما ان المؤسسات و الافراد و البنى الوظيفية هي التي حددت السياسة الخارجية وحسمت نمط العلاقات على اعتبار ان الدولة هي التي ترجمت سياسياً قراراتها بموجب ذلك قسم البحث الى مبحث.

تناولت في المبحث الاول منه والذي جاء بعنوان (ممهدات زيارة الرئيس المصري محمد انور السادات الى لندن كانون الثاني - تموز عام 1981م) حيث استعرضت فيه تبادل الزيارات الرسمية والتي بدأت بزيارة وزير الخارجية البريطانية كارينغتون في كانون الثاني عام 1981 م الى مصر وانتهت تبادل السفراء والشخصيات المهمة بين البلدين في تموز عام 1981 .

اما المبحث الثاني والذي اعطي عنوان (وصول الرئيس المصري محمد انور السادات الى لندن في 3 اب عام 1981م) فقد تناولت فيه وصول السادات الى لندن في 3 اب عام 1981م واستقباله من قبل رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر وحكومتها ، اذ تناول الجانبان تطوير العلاقات الثنائية ومناقشة القضايا الاقليمية .

المبحث الاول : ممهدات زيارة الرئيس المصري محمد انور السادات الى لندن كانون الثاني - تموز عام 1981م:

تبنت الحكومة البريطانية سياسة خارجية جديدة هدفت الى توسيع العلاقات السياسية و الاقتصادية و الثقافية مع مصر لما تتمتع به من اهمية سياسية و اقتصادية كبيرة تصب في خدمة المصالح البريطانية في منطقة الشرق الاوسط عموماً و في مصر خصوصاً . اذ انها كانت ترى بأن تحسين العلاقات السياسية لا بد ان يتزامن معه تحسن مماثل في العلاقات الاقتصادية لإيجاد شبكة واسعة من المصالح المشتركة بين البلدين . فقد وجدت الحكومة البريطانية ان مصر تمثل سوقاً مهماً للبضائع البريطانية من خلال زيادة معدلات التبادل التجاري و توسيع الاستثمارات الصناعية البريطانية في مصر لاسيما انها كانت تخشى من التنافس الفرنسي في هذا المجال لان الفرنسيون كانوا يبذلون جهوداً حثيثة من اجل تطوير علاقاتها الاقتصادية معها ⁽¹⁾ . و لذا حرصت بريطانيا على زيادة صادراتها التجارية الى مصر حتى بلغت 231% ، و تمثل هذه الزيادة نجاحاً عظيماً و تؤكد على مدى حرص جماعات و مؤسسات و افراد في بريطانيا للعمل على تحسين و تعميق العلاقات مع مصر ⁽²⁾ .

و بما ان العلاقات الاقتصادية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلاقات السياسية بين الدول و ذلك لعدم امكانية قيام علاقات سياسية جيدة ما لم يكن هناك تعاون اقتصادي جيد من شأنه ان يؤدي الى تكوين

شبكة من المصالح المشتركة لا يمكن الاستغناء عنها ، و انما البحث عن السبل الكفيلة في تطويرها و زيادتها . فعلى الرغم مما كانت تعانيه مصر من عزلة عن محيطها العربي لسبب موقف الدول العربية المعارضة لاتفاقية السلام مع (اسرائيل) الا ان بريطانيا كانت ترى بأنها تمثل مركز ثقل مهم على المستوى السياسي و لا تزال تمثل قوة مهمة على المستوى الاستراتيجي في منطقة الشرق الاوسط للمساهمة الفاعلة في ايجاد تسوية سلمية للمشكلات الاقليمية و العربية. و عليه ، حرصت الحكومة البريطانية على تعزيز العلاقات السياسية مع مصر ، ووجدت من تبادل الزيارات الرفيعة المستوى خير وسيلة لتحقيق هذا المسعى⁽³⁾.

و بناء على ذلك ، قام وزير الخارجية البريطانية كارينغتون (Carrington) بزيارة رسمية الى مصر في 10 كانون الثاني عام 1981 م ، و عقد خلالها اجتماع مع الرئيس المصري انور السادات و عبر له عن رغبة الحكومة البريطانية في تعزيز العلاقات السياسية مع مصر وزيادة مجالات التعاون الاقتصادي⁽⁴⁾. و اعرب عن امله في قيام الرئيس السادات بزيارة الى لندن للبحث عن السبل الكفيلة في تطوير العلاقات الثنائية و مناقشة القضايا الدولية ذات الاهتمام المشترك مؤكداً على ان شعب و حكومة بلاده يسعدان ان يقوم الرئيس المصري انور السادات بزيارة بريطانيا. وصرح قائلاً: " ان بلاده تعلق الكثير من الآمال على هذه الزيارة لما يحمله الجميع في بريطانيا من الاحترام و التقدير للرئيس السادات لشجاعته كرائد للسلام بين قادة المنطقة " ⁽⁵⁾.

وقد فتحت زيارة وزير الخارجية البريطاني الى مصر افاق جديدة من اجل تنمية العلاقات البريطانية المصرية⁽⁶⁾ ، اذ زار رئيس الوفد البرلماني دوجلاس هيرد (Douglas Heard) وزير الدولة بالخارجية البريطانية مصر والتقى خلالها برئيس مجلس الشعب المصري محمد عبد الحميد رضوان ، اذ عبر له عن لسان وزير الخارجية البريطانية شكره للقيادة المصرية و امتنانه الكبير لما لقيه من حفاوة الاستقبال من الرئيس السادات و الشعب المصري خلال زيارته الاخيرة الى مصر. و بالنسبة للأخيرة فقد وجدت في هذه الزيارة فرصة كبيرة للتعاون مع بريطانيا في معالجة المشكلات الاقليمية⁽⁷⁾ . اذ اكد كمال حسن علي نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية ان زيارة كارينغتون وزير الخارجية البريطانية الى مصر تتسم بأهمية خاصة لأنها تأتي أولاً في ظروف دولية تحتاج الى تبادل الرأي مع الدول الصديقة لاسيما وان العلاقات الثنائية بين البلدين هي علاقات ممتازة و ثانياً لأهمية موضوع المبادرة الاوربية خاصة⁽⁸⁾.

و لرغبة الحكومة المصرية مواصلة الحديث الذي بدأه وزير الخارجية البريطاني مع المسؤولين المصريين عند زيارته الى القاهرة . قدم حسن ابو سعدة ⁽⁹⁾ السفير المصري في لندن طلب الى الحكومة البريطانية في يوم 5 شباط 1981م لمقابلة وزير الخارجية البريطاني لمناقشة تطوير العلاقات السياسية و الاقتصادية و القضايا ذات الاهتمام المشترك ⁽¹⁰⁾ . و قد جرى اللقاء بين وزير الخارجية البريطاني كارينغتون و السفير المصري في يوم 6 شباط عام 1981م ، و عبر له عن ترحيب الحكومة البريطانية للتعاون مع الحكومة المصرية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية معربا عن امله بقيام الرئيس السادات بزيارة الى لندن و ذلك لمناقشة القضايا الثنائية التي تخص الجانب السياسي بين بريطانيا و مصر اضافة الى القضايا المهمة التي تسبب توتر الاوضاع في منطقة الشرق الاوسط لما لها من اهمية على مصالح البلدين ، فرد عليه ابو سعدة انه لا مانع لدى الحكومة المصرية من قيام الرئيس السادات بمثل هذه الزيارة الا انه اوضح بأنها لم تتلقى اي دعوة رسمية من الحكومة البريطانية بهذا الشأن ⁽¹¹⁾ . و قد فهم كارينغتون من كلام ابو سعدة ان الحكومة المصرية تريد تقديم دعوة رسمية للرئيس المصري انور السادات لزيارة بريطانيا. و قال ابو سعدة " ان الرئيس السادات سيجد الامر مجديا " ⁽¹²⁾ ، و في الوقت نفسه قدم ابو سعدة دعوة رسمية مماثلة الى رئيسة الوزراء مارغريت تاتشر (Margaret Thatcher) ⁽¹³⁾ لزيارة مصر في شهر تشرين الاول عام 1981م ، للهدف ذاته ، الا ان كارينغتون لعدم امكانية لقبول مثل هذه الدعوة موضحاً سبب ذلك ان مارغريت تاتشر لا تستطيع المجيء الى مصر في ذلك الوقت وذلك لان مثل هذه الزيارة " صعبة للغاية " بسبب تزامنها مع مؤتمر رؤساء دول الكومنولث و مؤتمر حزب المحافظين الذي تحرص رئيسة وزراء بريطانيا حضوره بنفسها ⁽¹⁴⁾ .

و يبدو ان الحكومة البريطانية لم توافق على دعوة الحكومة المصرية خلال شهر تشرين الاول وذلك بسبب تزامنها مع احتفالات النصر في مصر على (اسرائيل) في شهر تشرين الاول فخافت بريطانيا ان يسبب لها مثل هذا الامر الاحراج مع الجانب الاسرائيلي لاسيما ان الحكومة البريطانية كانت تحرص على اقامة علاقات سياسية متوازنة بين مصر و (اسرائيل) وذلك لأنها اذا ما اقدمت على زيارة الى مصر فلا بد من ان تقوم بزيارة مماثلة الى (اسرائيل) على نفس المستوى لرعاية مصالحها السياسية في البلدين .

رأى وزير الخارجية البريطاني ان هناك مبررا قويا لدعوة الرئيس المصري انور السادات لزيارة بريطانيا في منتصف الاول من عام 1981م ، لما لها من اهمية في تحسين العلاقات البريطانية المصرية و تبادل وجهات النظر بشأن القضايا السياسية المؤثرة في المنطقة العربية ⁽¹⁵⁾ . فقد ادركت الحكومة البريطانية ان

نظيرتها المصرية كانت تريد أكثر من زيارة اذ فهمت من خلال كلام السفير في لندن بانها تريد منها توجيه دعوة رسمية لتأكيد مكانة مصر السياسية بين الدول العربية⁽¹⁶⁾ ، لاسيما ان السادات قد عاد من زيارة رسمية الى فرنسا وقتذاك وقد حصل خلالها على معاملة من الدرجة الاولى و استقبال على مستوى عالٍ من القيادة الفرنسية حيث استقبله جيكسار (Valerie Giscard Distin)⁽¹⁷⁾ الرئيس الفرنسي في المطار. و لذا اوصت السفارة البريطانية في القاهرة الحكومة البريطانية ان توجه دعوة رسمية للرئيس السادات الى زيارة بريطانيا و ان تضع بعين الاعتبار برنامجاً خاصاً لا يقل اهمية و اهتمام عن البرنامج الفرنسي ، والتأكيد على ايجاد موعد مناسب ضمن جدول اعمال الملكة و رئيسة الوزراء لاستقبال الرئيس المصري اذ ما قرر قبول دعوتها . و يبدو ان الحكومة البريطانية تخشى من التنافس الفرنسي في هذا المجال⁽¹⁸⁾.

يلحظ مما تم عرضه اعلاه ان الحكومة البريطانية كانت تخشى ان يمضي السادات قدماً على تطوير علاقاته السياسية مع فرنسا على حساب المصالح البريطانية لاسيما بعد التقدير و الاحترام الذي قدم له من قبل الرئيس الفرنسي حينذاك عند زيارته الى باريس ، لاسيما ان فرنسا كانت منافسا قويا لبريطانيا في السوق المصرية فلا بد من تقديم افخم استقبال للسادات عند زيارته الى لندن من اجل جذب و العمل على تطوير العلاقات الثنائية في مختلف الاصعدة السياسية – العسكرية – الدفاعية ، فكانت بريطانيا تنظر الى مصر بانها سوقا مزدهرا لترويج تجارتها خاصة ان مصر قد عمدت الى شراء الاسلحة من بريطانيا و ذلك لتعزيز قدراتها الدفاعية .

وبناء على ذلك ، وافقت رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر في يوم 9 اذار عام 1981 م، على تقديم دعوة رسمية الى السادات لزيارة بريطانيا . و اقترحت وزارة الخارجية البريطانية بأنه افضل وقت يسمح به جدول اعمال رئيسة الوزراء هو خلال يومي 24 – 25 حزيران عام 1981م⁽¹⁹⁾ .

و في ضوء ذلك ، بعث وزير الخارجية البريطاني كارينغتون رسالة الى السفير البريطاني في القاهرة مايكل وير (Michael Weir) يوم 9 اذار عام 1981م ، طلب منه مقابلة الرئيس المصري انور السادات و تسليمه رسالة منه حملت في ثناياها توجيه دعوة رسمية من رئيسة الوزراء تاتشر اليه لزيارة لندن لمدة يومين من 24 – 25 حزيران لأجراء المناقشات بشأن تنمية و توسيع العلاقات البريطانية – المصرية و مناقشة القضايا الدولية و الاقليمية التي ترتبط بمصالحها المشتركة⁽²⁰⁾ .

وبعد ان سلم السفير البريطاني في القاهرة الرسالة الى الرئيس المصري انور السادات في 16 آذار عام 1981م ، طلب منه السادات ابلاغ الحكومة البريطانية عن لسانه بأن الحكومة المصرية تعلق اهمية كبيرة على دور الدول الاوربية في جميع المجالات ليس في مجال المساهمة في ايجاد حل سلمي لمشكلة الشرق الاوسط فحسب ، و انما في مجال تقديم الضمانات و توفير الامن و التعاون الاقتصادي و تبادل الخبرات مركزاً على اهمية الدور البريطاني بالذات و ما يمكن ان تقوم به في هذا الشأن لاسيما بعد ان يتولى وزير الخارجية البريطاني كارينغتون رئاسة المجموعة الاوربية في الاول من تموز عام 1981م ، مؤكداً على ان زيارته الى فرنسا و اجتماعاته مع الرئيس الفرنسي و لوكسمبورج قد أكدت اهمية هذا الدور المتميز للدول الاوربية الكبرى و منها بريطانيا⁽²¹⁾ .

وفي السياق نفسه ، اشار كارينغتون على السفير البريطاني في القاهرة خلال مقابلته بأن يطرح على السادات سؤال اذ ما كانت لديه افكار اخرى يريد ان يطرحها خلال مقابلته رئيسة الوزراء تاتشر في زيارته المرتقبة ؟ ⁽²²⁾ ، وفي المقابل التقى الرئيس المصري بـ " اللورد سيغال " (Lord Segal) في يوم 15 نيسان 1981م و سأله عما اذا كان برنامج الرئيس لأشهر الصيف أكثر ملائمة و خاصة ما اذ كان سيتمكن من القدوم الى لندن في الاسبوع الاخير من شهر حزيران و رد السادات بأنه لا يعتقد انه سيكون قادراً على المجيء حتى وقت ما في الخريف و ذلك لان اتفاق مع هيچ (Haig) ⁽²³⁾ بأنه سيزور واشنطن وقتذاك و رأى انه من المنطقي الجمع بين الاثنين . و ابدى الرئيس المصري موافقته " بحرارة " و اعرب عن امله بأن تتمكن رئيسة الوزراء تاتشر و ملكة بريطانيا من القيام بزيارة مماثلة الى مصر حيث انها لم تأتي ابدأ ⁽²⁴⁾ ، و ذلك للبحث عن سبل تعميق العلاقات البريطانية المصرية و من اجل مناقشة القضايا الدولية التي تربط مصالح الدولتين و منها الموقف من مسيرة السلام ⁽²⁵⁾ و المبادرة الاوربية ⁽²⁶⁾ وموقف مصر وتطورات الاحداث في منطقة الشرق الاوسط ⁽²⁷⁾ .

و نظراً لاهتمام بريطانيا في نجاح زيارة السادات الى لندن على اعلى المستويات السياسية . فقد علمت الحكومة البريطانية ان هناك صعوبة كبيرة في امكانية قيام السادات بزيارة الى مصر في شهر حزيران عام 1981م ، و بعد ان تأكدت الحكومة البريطانية من الحكومة المصرية عن عزم الرئيس المصري زيارة الولايات المتحدة الامريكية في المدة من 5 - 7 آب عام 1981م ، ولذا اعتقد وزير الخارجية البريطاني كارينغتون انه سيكون من الافضل اذ ما استطاعت الحكومة البريطانية دعوة السادات لقضاء يوم واحد في لندن اثناء طريقه الى الولايات المتحدة الامريكية لاسيما ان الامريكيون قد احبروا البريطانيون ان الخطوة

ستكون هي وصول السادات الى واشنطن بحدود الساعة التاسعة مساء بتوقيت لندن في يوم 5 اب و مما يعني بإمكانه قضاء يوم واحد في لندن وهو يوم 4 اب و ربما انه يصل مساء 3 اب و ذلك يكون باستطاعته زيارة لندن للقاء رئيسة الوزراء تاتشر و كارينغتون استعداد الملكة في استقباله أيضاً⁽²⁸⁾.

و عليه اشار كارينغتون ان زيارة السادات لبريطانيا يكون افضل وقت لها يوم 2 الى 4 اب و ستكون بالغة الاهمية لأنها تأتي في الوقت الذي تتولى فيه بريطانيا رئاسة المجموعة الاوربية ، و قال : " ان الرئيس السادات له موقفاً خاصاً و مميزاً : وان من واجب بريطانيا ان تستمع الى وجهات نظره و تستفيد من تحليلاته و آرائه لا بالنسبة لأحداث الشرق الاوسط بل بالنسبة لأحداث العالم و القضايا الدولية المختلفة و خاصة رؤيته المقبلة لمحدثات الحكم الذاتي"⁽²⁹⁾.

كما وجد كارينغتون في هذه الزيارة فرصة مناسبة لمناقشة التعاون العسكري بين بريطانيا و مصر لاسيما ان شركات التسليح البريطانية الخاصة بالوسائل الدفاعية لديها الكثير مما تستطيع تقدمه لمصر و قد شاركت بريطانيا في عدد من المشروعات الدفاعية و الانتاجية مع وزارة الدفاع و وزارة الانتاج الحربي المصري مشيراً ان الدور الاوربي هو مكمل للدور الامريكي في حل قضية الشرق الاوسط و القضية المصرية المتمثلة بالانسحاب من سيناء⁽³⁰⁾ و ان الدول الاوربية مصممة على المشاركة في التوصل الى حل سلمي شامل و اضاف قائلاً : " ان بريطانيا ستتحمل في فترة رئاستها للمجموعة الاوربية دفع جهود اوربا الى الامام في هذا الشأن " و لكنها ستنتظر زيارة السادات لواشنطن و كذلك نتائج اجتماعات بيغن في العاصمة الامريكية لتكون لديها التفاصيل الكاملة التي تساعد على ان تحقق شيئاً من استقرار عملية السلام في منطقة الشرق الاوسط⁽³¹⁾.

و بعد موافقة الرئيس المصري السادات على زيارة بريطانيا طلبت وزارة الخارجية البريطانية من سفيرها في القاهرة اجراء مقابلة مع السادات و تقديم سؤال له عما اذا كان بإمكانه الوصول الى بريطانيا قبل يوم واحد و هذا يعني وصوله يوم 2 اب حتى 3 اب و يغادر بعدها الى واشنطن يوم 4 اب و ذلك استعداد مارغريت تاتشر لاستقباله و عقد اجتماعاته خاصة لتبادل وجهات النظر بشأن مختلف القضايا السياسية و الاقتصادية⁽³²⁾.

قبل الرئيس المصري السادات دعوة تاتشر لزيارة بريطانيا في الفترة 2 - 4 اب و سيرافق السادات وزير خارجيته كمال حسن ووزراء الدفاع و الصحة و الشؤون الرئاسية حيث سيلتقي في هذه الزيارة بمارغريت تاتشر ووزير خارجيتها و اعضاء الحكومة البريطانية . و عقد اجتماع في وزارة الخارجية و

الكونغرس في يوم 13 تموز لمناقشة برنامج زيارة السادات كما اخبرت الحكومة المصرية ان السادات يخطط للوصول بعد ظهر يوم الاحد 2 آب و سيلتقي به وزير الخارجية كارينغتون كما ان مارغريت تاتشر ستكون في انتظاره ايضا العائلة المالكة⁽³³⁾ . و بذلك سينور السادات بريطانيا خلال الفترة المذكورة اعلاه و سيكون ضيفا على رئيسة الوزراء و في يوم 3 آب و ذلك لمناقشة و تطوير العلاقات البريطانية - المصرية الا ان الجانب الاكبر من المحادثات سيكون لمناقشة الشؤون الخارجية بما في ذلك الصراع العربي - الاسرائيلي في المقام الاول⁽³⁴⁾ .

و في خضم هذه الاحداث و لرغبة الحكومة المصرية في تعميق العلاقات السياسية و زيادة مجالات التعاون العسكري مع بريطانيا قام وزير الدولة للإنتاج الحربي اللواء جمال السيد بزيارة الى لندن 18 تموز عام 1981 م ، لمدة اسبوع عقد خلالها العديد من الاجتماعات مع مسؤولي وزارة الدفاع البريطانية و مسؤولو المصانع الحربية البريطانية لتنسيق العمل المشترك من اجل زيادة مجالات التعاون العسكري بين البلدين في مجال انتاج الاسلحة الثقيلة في مصر مثل العربات مدرعة و الدبابات و المدافع الثقيلة لاسيما ان بريطانيا كان لها تعاون سابق مع مصر في هذا المجال تجسد في قيام بريطانيا انشاء لإنشات صواريخ لمصر⁽³⁵⁾ كما قام وزير الدفاع المصري بزيارة خمسة مصانع حربية في بريطانيا لاطلاع على تطور الصناعة العسكرية البريطانية لنقل الخبرة و التكنولوجيا البريطانية بهدف الانتفاع منها في تطوير الصناعات الحربية الثقيلة في مصر و هو ما عرف ب (مشروع 100) لإنتاج مدافع الميدان الثقيلة فوق عيار 120 ميللي ، فضلا عن الانتفاع من الخبراء العسكريين البريطانيين في تطوير الصناعة العسكرية المصرية⁽³⁶⁾ .

كانت زيارة جمال السيد وزير الانتاج الحربي العودة الى بريطانيا و كانت ذات فائدة كبيرة في تنمية العلاقات البريطانية المصرية اذ انها ساعدت على زيادة علاقات التعاون بين المصانع الحربية المصرية و البريطانية⁽³⁷⁾ ، وادت الى ابرام اتفاقية بشأن المساعدة البريطانية للمصانع العسكرية المصرية من أليات و ذخائر عسكرية و تقديم الاستشارة العسكرية للقوات المسلحة المصرية ، و تزويد مصر بسبائك الصلب و مطروقات البنادق للإنتاج الحربي الاول في المصانع المصرية التي قدرت قيمتها ب 2 مليون جنيه استرليني⁽³⁸⁾ .

ومن الجدير بالذكر ان الحكومة البريطانية حرصت على تعزيز علاقاتها العسكرية مع مصر لما لها من اهمية في تقوية علاقاتها السياسية فقد توقعات الحكومة البريطانية ان السادات خلال زيارته الى لندن قد يعتمد الى طرح مسألة التعاون العسكري بين البلدين و لعلمها بان التدريب العسكري يستغرق وقتا طويلا

و هناك ضغط كبير في جدول اعمال وزارة الدفاع البريطانية فقد اوصت الاخيرة بضرورة تقديم مقترحات بهذا الشأن و تحديد وقت للتعاون في هذا المجال كما حرصت بريطانيا على اعادة النظر في الشروط الائتمانية بشأن بيع الاسلحة العسكرية الى مصر و اخذت بعين الاعتبار تقديم المساعدة المطلوبة لصناعة الدفاع المصرية⁽³⁹⁾.

لذا حظيت زيارة السادات الى لندن بأهمية كبيرة من قبل الاوسط السياسية و كان الجميع بانتظار وصول السادات الى لندن للمشاركة في تغطية الزيارة بالكامل و نقل صورة واضحة للعالم العربي عن مدى تحسن العلاقات البريطانية المصرية بشكل جيد⁽⁴⁰⁾.

من جانب اخر اذ اشار عليه شراد كوبر كولز (Shrad Cooper Col) المتحدث الرسمي باسم السفارة البريطانية في القاهرة بان زيارة السادات لبريطانيا المزمع ان يكون في 3 آب القادم سيكون لها تأثير هام على الاوضاع في الشرق الاوسط خاصة و ان تزامنت مع تولي بريطانيا رئاسة المجلس الوزاري للسوق الاوربية المشتركة ، و اضاف قائلاً " ان بريطانيا تؤيد جهود مصر من اجل تحقيق السلام العادل و الشامل في الشرق الاوسط و تسعى لاستمرار جهود السلام مع جميع الاطراف المعنية و ان الزيارة ستساهم في تعزيز التعاون بين البلدين و قال ان الشعب البريطاني و حكومته يرحبان بالزيارة التي تعكس قوة العلاقات التي تربط بين بريطانيا و مصر "⁽⁴¹⁾.

كما استقبلت رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر السفير المصري حسن ابو سعدة و عبرت له عن ترحيبها بزيارة الرئيس انور السادات الى بريطانيا معربة عن سرورها للقاء السادات لأجراء محادثات ثنائية تتناول اهم القضايا الرئيسية التي تمس المصالح البريطانية و المصرية لا سيما ما يتعلق بالنزاع العربي - الاسرائيلي . اذ قال حسن ابو سعدة بأن زيارة السادات المرتقبة هي اول تحرك من جانب الحكومة المصرية بعد ان توقفت الجهود المبذولة في دفع عملية السلام و التي تزامنت مع ترقب ظهور نتائج الانتخابات البرلمانية في (اسرائيل) ، و انها اي زيارة السادات انما تعكس مدى اهتمام القيادة المصرية و اهتمام بريطانيا من اجل تنسيق جهودها المشترك لبدأ مرحلة جديدة من العمل الدبلوماسي من اجل استتباب الامن و السلام في منطقة الشرق الاوسط⁽⁴²⁾.

ولاطلاع الحكومة البريطانية اكد عن كذب عن طبيعة العلاقات البريطانية - المصرية وما السياسية الخارجية التي يجب ان تتبعها تجاه مصر وتحديد اهم الموضوعات التي ترغب الحكومة المصرية طرحها خلال زيارة السادات الى لندن اعدت السفارة البريطانية في القاهرة تقرير مقدم الى مكتب الشؤون الخارجية و

الكومنولث في تموز عام 1981م فيه اوضحت ان على الحكومة البريطانية ان تتبع سياسية خارجية مختلفة عن السياسية الامريكية و ذلك لكي تتلائم مع مصالحها و المصالح المصرية ، لاسيما فيما يتعلق بتطوير العلاقات الثنائية الاقتصادية و السياسية ، و بالنسبة للاتحاد السوفيتي فقد ذكرت السفارة انه على الرغم من وجود اختلاف في وجهات النظر بين بريطانيا و مصر تجاه القضايا الدولية و الاقليمية الا انها استبعدت احتمال قيام مصر بالتحالف مع الاتحاد السوفيتي ⁽⁴³⁾ بدلاً من تحالفها مع الغرب مؤكداً الى ان العلاقات البريطانية - المصرية اصبحت اكثر تقارباً في معالجة القضايا المشتركة بين البلدين من " اي وقت مضى " بشهادة السادات نفسه ⁽⁴⁴⁾.

نستنتج مما تقدم ان الحكومة البريطانية قررت البحث عن سياسية خارجية جديدة تختلف عن السياسية الامريكية ⁽⁴⁵⁾ و ذلك لتطويع هذه السياسة باتجاه مصالح بريطانيا تتناسب مع المصالح المصرية . كما اكدت بريطانيا ايضا انه على الرغم من اختلاف الحكومة البريطانية والمصرية في مسألة الصراع العربي الاسرائيلي الا ان السادات لا يستطيع ان يضحي بعلاقته مع بريطانيا و يريد ان تكون العلاقة اكثر تماسكا و قوة لذلك استبعدت الحكومة البريطانية تحالف السادات مع الاتحاد السوفيتي .

و لذا اوصت السفارة البريطانية في القاهرة الحكومة البريطانية بأن تأخذ بعين الاعتبار تبني سياسة خارجية تهدف الى خدمة المصالح البريطانية في مصر و إيجاد طرق جديدة للتقارب مع الحكومة المصرية عن طريق اظهار الاهتمام السياسي الكبير المتعلق بزيارة الرئيس المصري المزمعة الى لندن ⁽⁴⁶⁾ .

و قبيل وصول الرئيس المصري انور السادات الى بريطانيا ، حددت الحكومة البريطانية الاهداف الرئيسة التي ترغب في تحقيقها من وراء هذه الزيارة و يمكن حصرها في الامور التالية : ⁽⁴⁷⁾

(1) التأكيد على الاهمية التي تعلقها بريطانيا على علاقاتها السياسية و الاقتصادية الجديدة مع مصر .

(2) استقصاء تفكير السادات و تفكير بريطانيا بشأن عملية السلام في الشرق الاوسط بعد فوز بيجن و تطورها في الاشهر المقبلة والتأكد على استعداد الحكومتين البريطانية و المصرية للعمل معا .

(3) الاستماع الى اراء السادات حول مجموعة واسعة من القضايا الدولية .

و لم تغفل الحكومة البريطانية عن اهمية معرفة اهداف الحكومة المصرية من هذه الزيارة و نتائجها و التي اوجزت في الامور التالية :

- 1) التحقق من المواقف الاخيرة البريطانية و الاوربية لتسوية السلام في الشرق الاوسط و الاستراتيجية البريطانية بشأن الشرق الاوسط خلال فترة الرئاسة .
 - 2) التأكد من فهم الحكومة البريطانية لوجهة نظر مصر تجاه الصراع المصري - الاسرائيلي اضافة الى التحقيق من تفكير الحكومة البريطانية في السياسة الامريكية عشية زيارة السادات لواشنطن . و بينت الحكومة البريطانية انها تتوقع ان يسيطر قضايا الشرق الاوسط و النزاع العربي - الاسرائيلي بشكل خاص على المباحثات .
 - 3) تشجيع الملكة و رئيسة الوزراء تاتشر الى زيارة مصر قريبا .
- المبحث الثاني : وصول الرئيس المصري محمد انور السادات الى لندن في 3 آب عام 1981م:**
- وصل الرئيس المصري السادات الى لندن في يوم 3 آب عام 1981 م ، و معه حرمه⁽⁴⁸⁾ و عدد من وزراء الحكومة المصرية⁽⁴⁹⁾ و كانت رئيسة الوزراء البريطانية تاتشر ووزير خارجيتها كارينغتون في استقباله اضافة الى حرس الشرف البريطاني و اعربت تاتشر عن امتنانها الشديد للرئيس السادات لقضاء وقت في القدوم الى لندن لتحدث مع الوزراء البريطانيين قبل زيارته الى واشنطن⁽⁵⁰⁾ . اذ قالت تاتشر: " انه من دواعي بهجتنا و سرورنا ان نرحب بضيف شرفنا الرئيس السادات و حرمه اليوم في لندن " ⁽⁵¹⁾ . و اكدت على اهمية تبادل الزيارات الرفيعة المستوى بين رؤساء وزراء الحكومتين و يجب ان تكون بشكل متوازن من اجل تعزيز العلاقات البريطانية - المصرية ، مشيرة الى ان هذه الزيارة لم يكن الهدف منها من اجل التمتع بملذات نهر النيل فحسب و لكن " لرويتكم و التحدث عن اشياء عظيمة مع رجال الدولة البارزين " . و ان ترحيبها بزيارته ليس لأنه رئيس دولة ذات روابط تاريخية مع بريطانيا ، و ليس كدولة ذات ماضي و مستقبل عظيم فحسب ، و انما انها رحبت به قبل كل شيء " كدولة ذات رئيس عظيم " ⁽⁵²⁾ . و اضافت قائلة : " بانكم سوف تحظون بتقدير عالمي في جميع انحاء العالم بأسره " بأنكم كافحتم و حافظتم من اجل السلام و جلبتم فوائد كبيرة لبلدكم فالسلام يستحق النضال ، كما اعربت عن أملها في إيجاد حل سلمي لمشكلة الصراع العربي - الاسرائيلي بمساعدة حلفائها في الولايات المتحدة الامريكية ⁽⁵³⁾ معرباً عن سرورها بزيارة السادات الى واشنطن و بينت ان مقابلة الرئيس ريغان سيكون لقاء تاريخي ، و اكدت للسادات ان الاجتماع سوف يسير بشكل جيد لاسيما انها صديقة رائعة له . و اكدت على توثيق العلاقات الثنائية بين البلدين و اوضحت ايضا وصرحت قائلة : " بانها تتمنى لمصر مستقبلاً سلمياً و مزدهراً و استمر الصداقة المتبادلة بين البلدين " ⁽⁵⁴⁾ .

و رد الرئيس السادات على الترحيب و حسن الاستقبال هذا و قال : " يسعدني ان التقى بكم مرة اخرى لمتابعة التبادل الودي لوجهات النظر و الآراء ، و يسعدني ايضا ان اقول ان وجهات نظرنا تتلاقى حول مجموعة واسعة من القضايا و ذلك لأننا نتشارك نفس الاهتمام و الآراء ، و نحن مهتمون مثلكم بشدة بصون السلم و الامن العالميين كما اننا ملتزمون بالعمل بلا كلل من اجل القضاء على المعاناة و الظلم في جميع انحاء العالم و نحن مصممون على خلق روح من التعاون و الوثام بين الدول " (55) . كما شكر السادات رئيسة الوزراء البريطانية تاتشر على دعمها لمعاهدات السلام و الحفاظ على امن الشرق الاوسط هذا من ناحية و من ناحية اخرى أكد السادات ان الحكومة البريطانية تدرك تماما الترابط الوثيق بين السلام و الامن و الازدهار في اوربا ، و بالتالي سيكون لبريطانيا دور كبير داخل الاتحاد الاوربي ، مؤكداً ان الحكومة المصرية تمهد الطريق لاستئناف عملية السلام و ان بريطانيا ستلعب دورا كبيرا و نشيطا في رئاسة مجلس المفوضية الاوربية و هي مصدر اطمئنان له و تفاؤله و عبر عن اعجابه بالدور الذي تمارسه تاتشر في دعم قضية السلام و الصداقة بين الامم و طلب منها الاستمرار في دعم مصر و تعزيز روابط الصداقة و التعاون بين البلدين (56) . و خلال الزيارة عقدت رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر مع الرئيس المصري انور السادات اجتماعاً خاصاً لتبادل وجهات النظر تجاه مجموعة من القضايا السياسية الثنائية و الدولية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمصالح البلدين و يمكن حصرهما في المحورين الآتيين :

اولا : العلاقات البريطانية - المصرية :

اذ اعربت مارغريت تاتشر عن استعداد بريطانيا لتعميق العلاقات السياسية مع مصر وزيادة معدلات التعاون الاقتصادي بين البلدين مشيرة الى عدم اية مشاكل بينهما في هذا الاتجاه معرباً عن اهتمام بلاده في تعزيز العلاقات التجارية والعسكرية لما لها من ارتباط بالجانب السياسي فلا تبني علاقة دولة مع دولة اخرى الا اذا ما توفرت المصالح الاقتصادية ، اذ اوضحت تاتشر بأن الحكومة البريطانية حريصة على تطوير علاقاتها التجارية مع مصر ، ولديها مصالح تجارية متوازنة معها ولكنها بحاجة الى كسب المزيد من العقود الاقتصادية الكبيرة للمضي قدماً في هذا المجال مشيرة الى اهمية تبادل الزيارات بين مسؤولي الوزارات المعنية للبحث عن الخطوات الكفيلة نحو تدعيم العلاقات التجارية بين البلدين (57) . و بشأن العلاقات العسكرية بين بريطانيا ومصر فقد بينت تاتشر بأن هذه العلاقات تحظى بأهمية خاصة من جانب الحكومة البريطانية لاسيما ما يتعلق بمسألة مبيعات الاسلحة البريطانية الى مصر والتي تعد سوقاً محتملة ومهمة لها . اذ اعربت عن خيبة الامل في فشل صفقة هوك خلال عام 1980 م (58) ، وانها تأمل

بان تبيع رابيير (Rapier) للحكومة المصرية و المروحيات ودبابات و صواريخ و ستكون رابيير خلفا ل (Swingfire) للإنتاج في المصنع العربي البريطاني للديناميكيات في الهيئة العربية للتصنيع⁽⁵⁹⁾ ، اذ اكدت تاتشر من جانب اخر ان مبيعات الدفاع البريطاني لمصر قد بلغت عام 1976م 170 مليون جنيه استرليني مقابل 108 ملايين ، مشيرة ان بريطانيا حصلت على عقد تركيب و اعادة تسليح قوارب روسية للبحرية المصرية بحوالي 50 مليون جنيه رغم ان مشاريع الدفاع الكبرى تظل سرايا فيما واصل المناخ للعلاقات البريطانية المصرية في المجالات التجارية و مجال العون و العلاقات الثقافية⁽⁶⁰⁾ لاسيما ان الولايات المتحدة الامريكية كانت تهيمن على السوق آنذاك بصفتها المانح الرئيسي للمساعدات العسكرية في السوق من جانب اخر اكدت تاتشر بان حكومتها حريصة على نقل التكنولوجيا البريطانية لصناعة الدفاع المصرية ، كما يجدر بنا ان لا ننسى دور فرنسا الكبير اذ قدمت مبيعات كبيرة من الاسلحة الى مصر فلا بد من تقوية العلاقات مع مصر لكي تكون بريطانيا المهيمنة على التجارة بمشاركة حليفها الولايات المتحدة الامريكية⁽⁶¹⁾ . و في اطار تدعيم العلاقات العسكرية مع مصر بينت الحكومة البريطانية بانها قدمت المشورة و المساعدة المتنوعة للحكومة المصرية خلال عام 1980م ، و الا هم من ذلك هو سلسلة من الزيارات الرسمية المتبادلة بين بريطانيا ومصر⁽⁶²⁾ لتقديم المشورة للجنة اعادة تنظيم وزارة الدفاع المصرية⁽⁶³⁾ . الا ان الحكومة البريطانية اوضحت انها عمدت بتقديم مروحيات ويستلاندز (Westlands) الى مصر عن طريق تقديم شروط ائتمانية بلغت حوالي 100-200 مليون جنيه استرليني من اجل تطوير طائرات الهليكوبتر من 100-200 متر منوهاً الى ان وزير الدفاع جون نوت (John Knott) قرر زيارة مصر في ايلول من عام 1981م لمناقشة هذه القضية⁽⁶⁴⁾ . فرد عليها السادات عن رغبة مساعدة الحكومة البريطانية لتدريب القوات المصرية و اعادة تنظيمها الا ان رئيسة الوزراء البريطاني مارغريت تاتشر اشارت الى ان التمارين و التدريبات تستغرق وقتاً طويلاً للتخطيط و ان الجدول الزمني للمؤسسة العسكرية ممتلئ جداً في هذا الوقت الا انها اعلنت عن استعداد حكومتها للمساعدة في خطط ازالة الغام الحرب العالمية الثانية في الصحراء الغربية⁽⁶⁵⁾ .

كما ناقش السادات مع تاتشر التعاون البريطاني المصري في المجالات الخدمية و تطوير الطاقة النووية في مصر . اذ قدمت بريطانيا مساعدة مالية بلغت 50 مليون جنيه استرليني من اجل تغطية تكاليف نظام الصرف الصحي في القاهرة وموافقة الحكومة البريطانية على توفير غطاء أنماني بلغ حوالي 100 مليون جنيه استرليني للعقود التي منحت للشركات البريطانية⁽⁶⁶⁾ . وناقش السادات ايضاً تطوير

العلاقات البريطانية المصرية في مجال الطاقة النووية اذ ابدت بريطانيا الاستعداد على مواصلة تطوير برنامج الطاقة النووية التي كانت تعمل على أنشائها مشيرةً الى انها قد نجحت في تنفيذ اتفاقها مع مصر بشأن انشاء محطتين للطاقة وتسليمها الى مصر في شهر شباط عام 1981م⁽⁶⁷⁾ ، و فضلاً عن تنفيذ الشركات البريطانية لمشروع الغاز الطبيعي القاهرة - الاسكندرية الذي يعد من المشاريع المهمة والتي عقدت سابقا ما بين بريطانيا و مصر خاصة و ان شركة بريتش (British company) كانت تأمل بالحصول على استشارات لهذا المشروع سيما ان الدولتين قد بدأت تنفيذ مرحلتها الاولى منذ شهر ايار ، اذ عرضت تاتشر على السادات دعم هذا المشروع بمساعدات قدرت نحو مليون جنيه استرليني من بريطانيا لإكماله خاصة و ان السادات قد ابدى اهتمام كبير بنتائجه ، كما تطرق السادات الى موضوع تطوير المستشفيات المصرية مشيرةً الى مباحثات ممدوح جبر وزير الصحة المصري مع الدكتور جيرارد فوغان (Gerard Vaughan) وزير الصحة البريطاني بإنشاء احدث مستشفى عام في مصر بمنطقة الهرم حيث بلغت تكاليف تمويل هذه المستشفى 20 مليون جنيه استرليني و اسهمت فيها بريطانيا بقرض طويل الاجل و قدمت معدات و اجهزة طبية تبلغ قيمتها 2 مليون جنيه استرليني هدية لمصر⁽⁶⁸⁾ .

و بناء على وعد تاتشر بزيارة وزير الدفاع البريطاني لمصر ، فقد زار جون نوت منطقة الشرق الاوسط و منها مصر و الاردن و تايلاند و النيبال و إندونيسيا و ماليزيا لمناقشة قضية مبيعات الدفاع⁽⁶⁹⁾ ، و اعلن نوت عند وصوله الى القاهرة ان هناك اتفاق مشترك بين بريطانيا و مصر لإنتاج المدافع الثقيلة بالإضافة الى المعدات العسكرية الاخرى ، و من ناحية اخرى اكدت الحكومة المصرية ان يجري بحث التعاقد بالحصول على دبابات بريطانية الصنع سيما ان بريطانيا قد اسهمت في صنع قطع غيار الدبابات التي حصلت عليها مصر من الكتلة الشرقية و التي ثبتت جدارتها و كفاءتها عن اعادة تشغيلها. كما اكدت الحكومة المصرية انه حصل الاتفاق على عقود خاصة في المجال البحري و ان بريطانيا هي التي قامت من قبل بتصنيع عدد من لإنشات الصواريخ⁽⁷⁰⁾ ، كما قام نوت بزيارة الشركة العربية البريطانية للصناعات الديناميكية برفقة المهندس جمال السيد وزير الدولة للإنتاج الحربي واكد ان بريطانيا سعت من اجل تطوير العلاقات بين البلدين و تزويد مصر بما تحتاجه من قطع غيار من اجل تطوير صناعتهم المشتركة اضافة الى تطوير العلاقات الثنائية بين بريطانيا و مصر⁽⁷¹⁾ ، و انتهت المباحثات التي اجراها نوت مع الحكومة المصرية بالاتفاق على تزويد مصر بالدبابات الحديثة على ان تتعاون الدولتين على انتاج المدافع الثقيلة لأول مرة في مصر مع تحديد المدافع السوفيتية التي تمتلكها مصر و قد اسفرت المباحثات

التي أجراها نوت مع الحكومة المصرية على إيجاد تعاون في إنتاج البصريات و نقل التكنولوجيا البريطانية الى مصر و انتاج الاسلحة المتقدمة و أثبتت المباحثات انه لا توجد هناك قيود في بريطانيا على تزويد مصر بالأسلحة الحديثة (72) .

ثانيا : مناقشة القضايا الاقليمية ذات الاهتمام المشترك :

و تم في هذا اللقاء مناقشة قضية سيناء و التي كانت مصدر قلق السادات الرئيسي هو اراد ان يتم تسليم ما تبقى من سيناء في 19 نيسان عام 1982م (73) ، و مهما كانت شكوك السادات الخاصة فمن المحتمل عليه ان يبدو متحمسا لقرار انسحاب الإسرائيليين من سيناء لان حريص على عدم اعطاء الإسرائيليين اي ذريعة للتراجع عن التزامهم بالانسحاب عن بقية سيناء بحلول نيسان عام 1982م (74) . كما انتقدت الحكومة البريطانية الهجمات الاسرائيلية على مصر و قالت بانها تضر بعملية السلام (75) ، كما طرحت قضية التوصل آنذاك الى اتفاق بشأن القوة المتعددة الجنسيات (76) معرباً عن قلقه من عدم اعتماد سياسة متماسكة في الشرق الاوسط حتى ذاك الوقت في واشنطن و لديه امال في ان تتولى الحكومة البريطانية المساعدة في دفع عملية السلام الى الامام ، كما ان السادات قد قدم اغراءات استراتيجية كبيرة لبريطانيا والولايات المتحدة الامريكية من اجل تدعيم العلاقات البريطانية - المصرية و منها تأسيس منشأة في سيناء لمواجهة التواجد السوفيتي . اذ قال السادات لتاتشر "ان الزعيم بريجنيف (Brezhnev) اوضح علناً ان الاتحاد السوفيتي كان يحاول الوصول الى المياه الدافئة للخليج العربي وهذا يعني بأن هناك خطر وشيك يحيط بدول الشرق الاوسط و حقول النفط التي يحتاجها الغرب علاوة على ذلك ان ليبيا تتأخم الحدود الغربية لمصر وهي تمتلك ترسانة سوفيتية كما اوضح ان القوات المسلحة الليبية لم تكن ذات اهمية في حد ذاتها و لكنها استخدمت مرتزقة من المانيا الشرقية و كوبا و يوغسلافيا و سوريا اذ صرح قائلاً : " ان التغلغل السوفيتي يحتاج الى ردع منا جميعاً و لكن سيكون من الصعب تحقيق ذلك بدون تسوية عربية - اسرائيلية اولا و سيكون من الخطأ تأجيل المشكلة العربية - الاسرائيلية من اجل البحث عن استراتيجية للتعامل مع التغلغل السوفيتي و قال في نفس الوقت ان الخطر المباشر للدول العربية حالياً هي (اسرائيل) و ليس الاتحاد السوفيتي و الذي يبعد مئات الاميال " لذا ابلغ السادات تاتشر بان مصر مستعدة لمنح بريطانيا أي تسهيلات عسكرية تحتاجها لمساعدتها في التعامل مع أي خطر على الدول العربية و الدول الاسلامية الاخرى اذ حدث أي شيء في الخليج سيكون ذلك ضربة رهيبية للغرب . و ردت عليه رئيسة الوزراء تاتشر بالقول: " اذا كان هناك اي تهديد للإمدادات النفط في الخليج فان

اقتصاد الغرب و حرية الدول الاوربية ستكون في خطر فلا بد من التعاون لدرد هذا الخطر" (77) عن منطقة الشرق الاوسط " (78) .

يبدو ان الرئيس المصري كان على علم واسع بمدى قلق الدول الاوربية من توسيع النفوذ السوفيتي في منطقة الشرق الاوسط ولذا حاول استخدام هذا القلق كورقة ضغط لحث بريطانيا للتعاون مع مصر للضغط على الحكومة الاسرائيلية لإكمال الانسحاب من جزيرة سيناء التي تعد قضية مهمة للأمن القومي المصري و تضر مكانة السادات على المستوى الداخلي والخارجي لاسيما بعد ما واجهه من انتقادات بسبب التصالح مع (اسرائيل) .

كانت القضية الكبرى التي تشغل بال الرئيس المصري انور السادات هو تنفيذ شروط معاهدة السلام مع (إسرائيل) وخاصة ما يتعلق بالانسحاب من سيناء فقد ناقش الرئيس المصري انور السادات مع رئيسة الوزراء البريطاني مارغريت تاتشر الوضع في الشرق الاوسط و النزاع العربي - الاسرائيلي بشكل خاص اذ انها كانت موضع اهتمام بريطانيا و الادارة الامريكية (79) و كانت قضية لبنان محط اهتمام السادات فقد اعربت الحكومة المصرية عن بالغ قلقها ازاء الهجمات الاسرائيلية على لبنان وعرضت مساعدة طبية للبنانيين و منظمة التحرير الفلسطينية (80) ، التي عدتها مصر بأنها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني (81) حيث انتقدت الحكومة المصرية الهجمات الاسرائيلية على لبنان و اشارت بأنها تضر بعملية السلام (82) و حملت الحكومة الاسرائيلية مسؤولية ما حدث في لبنان الى منظمة التحرير الفلسطينية اذ صرح قائلاً : " يجب ان يتقاسموا جميعا المسؤولية تجاه الاحداث الاخيرة في لبنان " كما حمل السادات سوريا مسؤولية المشاكل الاخيرة في لبنان بسبب تبني الحكومة السورية المواقف " المتطرفة " تجاه التعامل مع النزاع العربي - الاسرائيلي (83) . ومن جانبها عبرت تاتشر عن شعور الحكومة البريطانية بالأسف الشديد جراء ما حدث في لبنان و ذلك بسبب ازدياد الهجمات الاسرائيلية على الحدود و اعتبرت ان الهجوم الاسرائيلي على بيروت ردا غير مناسب كلياً على اي شيء فعلته منظمة التحرير الفلسطينية حيث وجد هؤلاء الذين حاولوا ان يكونوا اصدقاء (لإسرائيل) اشياء صعبة للغاية - وفي هذا اشارة الى مصر- في ذلك الحين. ثم وجهت تاتشر سؤال للسادات عن موقفه جراء ما يحدث في لبنان ؟ فأجاب السادات بالقول : " انه مسرور لوجوده في لندن و اتاحة الفرصة ليشرح لرئيسة الوزراء تاتشر وجهة نظره حول المشكلة العربية - الاسرائيلية حيث كان رأي السادات ان وقف اطلاق النار على الحدود الاسرائيلية اللبنانية خاصة بعد قصف بيروت امر مهم " ، منوهاً الى امكانية عقد مؤتمر ثلاثي جديد يضم

مصر و (اسرائيل) و الولايات المتحدة الامريكية لكنه اصر على انه قد يحتاج الى اعداد و تدقيق للغاية (84) . ومن اجل النجاح رأى الى ضرورة وجود الاستعدادات المناسبة لذلك ورأى بأنه من المهم الانتفاع من الثقل الكامل لبريطانيا و الولايات المتحدة الامريكية و مصر للمضي قدماً في تسهيل عملية امكانية التوصل الى اتفاق وان يكون قرار الاستقلال الذاتي قراراً للتسوية الشاملة (85) ، وهذا يعني بمثابة طلب الرئيس المصري انور السادات هو مشاركة الولايات المتحدة الامريكية و بريطانيا في أي مؤتمر لتسوية النزاع العربي - الاسرائيلي التي تساعد في الضغط على بيغن للانصياع للقرارات الدولية ولكن رد مارغريت تاتشر لم يأت على هوى السادات ، اذ علقت تاتشر قائلة : " ان الرئيس ريغان بسبب انشغاله مع بعض المشاكل الداخلية الكبرى لم يواجه انتباهه الى المشكلات الدولية بما في ذلك على وجه الخصوص الشرق الاوسط " (86) .

و في السياق ذاته ، اوضح السادات بأن بيغن قد قبل على وقف اطلاق النار ليس مع الفلسطينيين فحسب بل مع لبنان وأنه قد ناقش قضية لبنان مع بيغن خلال اجتماعهما في شرم الشيخ (87) واخبره الاخير بأنه على استعداد من اجل توقيع اتفاقية كامب ديفيد مع لبنان في اي وقت (88) . و يلاحظ مما تقدم ، ان مفاوضات كامب ديفيد الاولى انها قد حققت النجاح بأنها يمكن احضار بيغن لقبول اتفاق حتى لو كان يجب ممارسة قدر كبير من الضغط عليه في هذه العملية و قد يكون من الضروري القيام بنفس الشي مرة اخرى ، و بمجرد ان التقى ريغان ببيغن في ايلول بدأت المفاوضات على المستوى الوزاري بين مصر و (اسرائيل) و الولايات المتحدة الامريكية ولذا اعرب السادات عن امله في استئناف المفاوضات لكي يتمكنوا من التوصل الى اتفاق ثلاثي حول الاستقلال الذاتي الكامل على الرغم من انه يعتقد انه من المحتمل ان تكون هناك مرحلة متوسطة حيث توصلت الولايات المتحدة الامريكية و مصر الى اتفاق ثم ابتزت تقريبا بيغن لقبول الاتفاقية عن طريق التهديد بفضح عدم معقولية موقفه للعالم ، و رأى ان المملكة العربية السعودية قد يكون لها الدور الكبير لكي تلعبه في المرحلة التالية من عملية السلام و قد اظهروا في اتفاقيات لبنان الخاصة بوقف اطلاق النار انهم قادرون على التعامل مع السوريين و الفلسطينيين و يمكن لبريطانيا ممارسة الضغط على السعودية كما طلب من الأمريكيين اقناع السعوديين بالمساعدة في لبنان على وقف اطلاق النار و لم يعترض على مشاركة السعوديين في العملية اذ ان القضية لم تكن مسألة هيبية بل مسألة سلام بالنسبة للسادات (89) . فردت عليه تاتشر وقالت بأن وزير الشؤون الخارجية و الكومنولث قد اجري محادثات مع وزير الخارجية السعودي في المكسيك حول المسألة و اوضح

بان السعوديون يأخذون لجنة المتابعة العربية ومسؤولياتهم في لبنان على محمل الجد حيث أخبره الامير سعود⁽⁹⁰⁾ ان السوريين يتصرفون بطريقة معقولة لكنه كان "محبط من السياسة الامريكية" و ذلك بسبب موقفهم تجاه (اسرائيل) ، فكرر السادات قوله بأن المفاوضات الطويلة حول كامب ديفيد اسفرت عن تغيير كبير في موقف بيغن واوضح بانهم يجب ان يستسلموا و كان من الضروري اشراك بريطانيا في هذه القمة اذ قال السادات " الامر متروك للبريطانيين لدفع السعوديين " ⁽⁹¹⁾ . و اشار ايضا الى ضرورة استعادة الحقوق العربية المغتصبة وقف القرارات الدولية لأجل اقامة سلام عادل وشامل في الشرق الاوسط ⁽⁹²⁾ .

فشاطرته تاتشر بالقول بالتأكيد على ان الوجود الاسرائيلي في الاراضي العربية المحتلة يجب ان يكون مؤقتاً وانها " تؤيد انهاء الاحتلال الاسرائيلي في اراضي الضفة الغربية و قطاع غزة " و تؤيد الاعتراف بالحقوق الشرعية للفلسطينيين⁽⁹³⁾ . لاسيما و ان المسؤولين البريطانيون شددوا على الموقف الرفض للاعتراف بالسيادة الاسرائيلية ⁽⁹⁴⁾ .

نستنتج مما تقدم ان السادات كان معلق جميع اماله بالحكومة البريطانية لاسيما ارتباط الدول الاوربية و العربية بعلاقات معها سابقاً و في الوقت الحالي اذ تستطيع بريطانيا اقناع السعوديين بعدم ارسال المساعدات المالية للمجاهدين من اجل ضرب (اسرائيل) لكي يستطيع بيغن وقف اطلاق النار على لبنان ، حيث ان السادات كان يشعر ان الحكومة البريطانية تستطيع ان تؤثر على السعودية لذلك قال الامر متروك للبريطانيين خلال لقاءه مع مارغريت تاتشر .

من جانب اخر اشار السادات بانه يجب وقف اطلاق النار بين (اسرائيل) و فلسطين لاسيما بعد اقناع السعوديين بالاعتماد على وقف اطلاق النار فلديهم المال و ذكر السادات وزير الشؤون الخارجية و الكومنولث (Commonwealth) بانه قد حثه في اسوان على الضغط على السعوديين الذين يحترمون بريطانيا بشكل كبير لأسباب تاريخية⁽⁹⁵⁾ . و لذا اشار السادات بان الفلسطينيين قد قبلوا اخيرا ان المشكلة العربية - الاسرائيلية لن تحل من خلال العمل العسكري و لكن يجب إيجاد حل دبلوماسي لهذا السبب قبلوا الفلسطينيون بانهم يحترمون وقف اطلاق النار⁽⁹⁶⁾ . اذ ان السادات يرى بان السياسة الاوربية قادرة على تزويده بشريان الحياة اذ ما تمت إعادة سيناء و ان السادات ليس لديه اي اعتراض بشأن ما جاء في اعلان البندقية (Venice announcement) كأهداف بريطانيا بشكل عام ⁽⁹⁷⁾ .

كما نوه السادات في اللقاء مع تاتشر ان ما هو محل شك آنذاك في المرحلة الاخيرة من السلام كان هذا المعنى الحقيقي لمحدثات الحكم الذاتي في قطاع غزة و الضفة الغربية بأن مصر لن تسمح بالمضايقة و شددت الاخيرة بانها لن تغير موقفها بعد الانسحاب الاسرائيلي من سيناء و هذا موقفا وطنيا اساسيا و لم يكن هناك شك في ان مصر ستخلي يديها من المشكلة⁽⁹⁸⁾ ، و استمر السادات بإصراره على وضع صيغة لمنح الحكم الذاتي الكامل للضفة الغربية و غزة⁽⁹⁹⁾ و بين ان دولته تريد ان يتمتع الفلسطينيون بسلطات واسعة في الضفة و غزة⁽¹⁰⁰⁾ حيث انها مسؤولة القيادة المصرية في العالم العربي و الاسلامي⁽¹⁰¹⁾ .

و في ختام الزيارة اكدت رئيسة الوزراء تاتشر بان حكومتها حريصة على المساعدة باي شكل من الاشكال نحو تحقيق سلام اوسع في الشرق الاوسط ليس من خلال التقاطع و لكن من خلال استكمال اتفاقيات كامب ديفيد فلا يزال اعلان البندقية اساس موقف المفوضية الاوربية و بينت للسادات قائلة : " انه عندما تم مخاطبة البرلمان الاوربي في وقت سابق عام 1980م اوضحتم دعمكم للمبادرة الاوربية " و اشارت تاتشر ان حكومتها على الرغم من وقتها القصير الا انها فرغت نفسها بصفقتها رئيسة للمفوضية الاوربية من اجل متابعة السلام في الشرق الاوسط كما قالت ايضا : " بان العلاقات البريطانية - المصرية ممتازة و كان احد اسباب اهتمامنا الشديد لرؤيتكم اي (للسادات) هو رد للضيافة الرائعة التي قدمتموها انتم و حكومتكم الى اعضاء المملكة المتحدة و العائلة المالكة خلال عام 1980م⁽¹⁰²⁾ " . في نفس الوقت جدد السادات دعوته للرئيسة الوزراء البريطاني مارغريت تاتشر لزيارة مصر و بينت انها لم تتمكن من الزيارة في عام 1982 م ، الا انها اكدت بانها من الممكن ان تزور مصر في شتاء عام 1983 - 1984م⁽¹⁰³⁾ .

الخاتمة :

نستنتج من خلال ما تم طرقه ، عملت الحكومة البريطانية على تطوير علاقاتها مع الجانب المصري لأنها كانت تخشى ان يمضي السادات قدماً على تطوير علاقاته السياسية مع فرنسا على حساب المصالح البريطانية لاسيما بعد التقدير والاحترام الذي قدم له من قبل الرئيس الفرنسي جيكسار حينذاك عند زيارته الى باريس . لاسيما ان فرنسا كانت منافساً قوياً لبريطانيا في السوق المصرية فلا بد من تقديم افحهم استقبال للسادات عند زيارته الى لندن من اجل جذبته و العمل على تطوير العلاقات الثنائية في مختلف الاصعدة السياسية - العسكرية - الدفاعية .

نظرت بريطانيا الى مصر بانها سوقاً مزدهراً لتصريف تجارتها خاصة ان مصر قد عمدت الى شراء الاسلحة من بريطانيا و ذلك لتعزيز قدراتها الدفاعية .

ارادت الحكومة البريطانية ابعاد السادات عن الاتحاد السوفيتي فعملت على تطوير علاقاتها في الجوانب السياسية و الاقتصادية بمصر خاصة و ان الرئيس المصري كان على علم واسع بمدى قلق الدول الاوربية من توسع النفوذ السوفيتي في منطقة الشرق الاوسط .

جرى خلال لقاء التباحث حول مسألة الصراع العربي - الاسرائيلي وقد ايدت الحكومة البريطانية وجهة نظر السادات لأنهاء الوجود الاسرائيلي في الاراضي المحتلة في البلدان العربية ، اذ اكدت رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر على رفض حكومتها بالوجود الاسرائيلي في فلسطين ولبنان مشيرة الى ان يكون ذلك الوجود مؤقتاً لاسيما وانها تؤيد الاعتراف بالحقوق الفلسطينية خاصة وان الحكومة البريطانية رفضت الاعتراف بالسيادة الاسرائيلية على المستوطنات .

الهوامش :

- 1) PRME 19 / 450 , Letter from Richardsch to Michael Weir, Director of the Foreign and Commonwealth Office, London, February 25, 1981.
- 2) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34423 ، 12 آذار 1981 .
- 3) PRME 19 / 450 , Letter from Richardsch to Michael Weir, Director of the Foreign and Commonwealth Office, Op Cit.
- 4) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34362 ، 10 كانون الثاني 1981.
- 5) شهریات السياسة الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 64 ، كانون الثاني 1981 ، ص 242.
- 6) PREM19 / 530, Carrington meeting with Sadat, January 14, 1981.
- 7) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34386 ، 2 شباط 1981 .
- 8) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34362 ، 10 كانون الثاني 1981 ؛ شهریات السياسة الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 64 ، كانون الثاني 1981 ، ص 242 ، PREM19 / 530, Carrington meeting with Sadat, January 14, 1981.
- 9) حسن ابو سعدة : ولد في 13 تشرين الاول عام 1930م ، في إدكو، بمحافظة البحيرة. متزوج وله ابن، حصل على بكالوريوس علوم عسكرية عام 1949م ، وماجستير علوم عسكرية عام 1966م ، كما حصل على درجة في الاستراتيجية من كلية الحرب العليا بأكاديمية ناصر عام 1976م ، اعطي وسام الاستحقاق من الدرجة الاولى الى حسن

ابو سعدة بمناسبة تعيينه درجة سفير في وزارة الخارجية ، ينظر : الجريدة الرسمية ، مصر ، العدد 4 ، 24 كانون الثاني 1980 .

10) FOC 93/ 2729 , Message from D. R. Roycroft to Private Secretary Hurd, February 5, 1981.

11) Ibid .

12) FOC 93/ 2729 , Letter from the Foreign and Commonwealth Office to the British Embassy in Cairo, Cairo Telegram No. 119, February 6, 1981.

13) مارغريت تاتشر : ولدت مارغريت هيلدا روبرتس (Margaret Hilda Roberts) في 13 تشرين الاول عام 1925 م في قرية غرانثام (Grantham) ، و البالغ عدد سكانها 30 الف في لينكولنشاير (Lincolnshire) لعائلة من الطبقة المتوسطة و هي البنت الثانية لأبيها حيث ولدت بعد اختها الكبرى موريل (Morel) عام 1921م بأربع سنوات ولدت مارغريت هيلدا ، و كان ابوها الفريد روبرتس (Alfred Roberts) يمتحن البقالة و كان معروفا بممارسة عدد من الاعمال الصغيرة و المشاريع الخاصة و قد شارك بشكل كبير في العمل السياسي المحلي بمدينة غرانثام حيث انتخب عمدة للمدينة عام 1945 م ، اما والدتها بياتريس اشيل (Beatrice Achille) فقد كانت تتمهن الخياطة . و عاشت مارغريت الفريد روبرتس مع عائلتها في شقة صغيرة تقع فوق محل البقالة الخاصة بهم و ذكرت مارغريت في مذكراتها بأنها " احبت العيش في هذا المكان " ، للمزيد من التفصيلات ينظر : Alan Feiler, Ironmettle:

Margaret Thatcher boldly led her nation on a new path, Boss Summer 2013, p.17

14) FOC 93/ 2729 , Letter from the Foreign and Commonwealth Office to the British Embassy in Cairo, Op Cit.

15) PRME 19 / 450 , Letter from Richardsch to Michael Weir, Op Cit.

16) Ibid.

17) جيڪسار : سياسي فرنسي ولد في كوبلنز بألمانيا 2 شباط عام 1926 م ، تسلم عدة مناصب منها شغل منصب وزير الدولة للشؤون المالية (1959-1962) م وعينه وزيراً للمالية (1962-1966) م شارل ديغول خلال فترة ولايته الأولى كوزير للمالية ، حققت فرنسا ميزانية متوازنة لأول مرة منذ 30 عامًا ، في عام 1966 م أسس جيڪسار وشغل منصب أول رئيس للجمهوريين المستقلين ، وهو حزب محافظ عمل في ائتلاف مع الديجوليين من عام 1969 إلى 1974م كان وزيرا للمالية مرة أخرى في عهد الرئيس جورج بومبيدو ، ثم انتخاب جيڪسار لرئاسة الجمهورية و فاز فيها عام 1974 م و بقي في المنصب حتى عام 1981 م ، ثم رشح مرة اخرى عام 1981 م لكنه خسر امام منافسه ميتران ، ينظر : إدريس بو سكين ، أوروبا والمهجرة: الإسلام في أوروبا ، الحامد للنشر ، عمان - الاردن ، 2013 ، ص 158 .

18) PRME 19 / 450 , Letter from Richardsch to Michael Weir, Op Cit.

19) PRME 19 / 450, Letter from Francis Richards to Prime Minister Thatcher, London, 2 March 1981.

20) PRME 19 / 450, Letter from Carrington to the British Embassy, Cairo, Telegram No. 176, 9 March, 1981.

- (21) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34427 ، 16 أذار 1981 .
- (22) PRME 19 / 450, Letter from Carrington to the British Embassy, Cairo, Op Cit .
- (23) هيج : وهو سياسي وعسكري امريكي سابق ولد في مدينة فيلادلفيا عام 1924م ، درس في مدرسة سانت جوزيف الاعدادية في نفس مدينته ثم انتقل الى مدرسة ميرون الثانوية و بعد اكماله للدراسة انتقل الى الأكاديمية العسكرية وتخرج منها عام 1947م ، تولى عدة مناصب سياسية منها عين مساعد وزير الدفاع عام 1964م وبقي في المنصب عام واحد فقط ثم عين عام 1974م رئيس الاركان العام ومن ثم عين قائد للقوات الامريكية عام 1974-1979م ، ثم تسلم منصب وزير الخارجية الامريكية عام 1981م ، للمزيد ينظر : عكاب يوسف الركابي وحيدر علي خلف العكيلى ، ريغان وايران : سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه الثورة الايرانية 1981-1989، دار ومكتبة عدنان ، ج2 ، بغداد ، 2020 ، ص 262 .
- (24) PRME 19 / 450, Letter from the British Embassy in Cairo to the Office of Commonwealth Affairs, Telegram No. 252, April 15, 1981.
- (25) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34463 ، 21 نيسان 1981 .
- (26) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34466 ، 24 نيسان 1981 .
- (27) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34468 ، 26 نيسان 1981 .
- (28) PRME 19 / 450, Letter from Francis Richardsch, Foreign and Commonwealth Office, to the British Embassy in Cairo, London, 11 June, 1981.
- (29) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34562 ، 29 تموز 1981 .
- (30) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34473 ، 1 أيار 1981 .
- (31) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34562 ، المصدر السابق .
- (32) اذ بحثت الحكومتان المصرية و البريطانية ترتيبات الاشراف على مرحلة الانسحاب من سيناء خاصة ان بريطانيا ستتولى رئاسة المجموعة الاوربية في شهر تموز . و في واشنطن اعلن كورت فالدهايم (Kurt Waldheim) السكرتير العام للأمم المتحدة انه بحث مع الكسندر هيج وزير الخارجية الامريكية موضوع وضع قوة لحفظ السلام في سيناء بعد انسحاب القوات الاسرائيلية بناء على طلب مصر و ان الامر في ايدي مجلس الامن الذي يجري مفاوضات مع الاطراف المعنية ، ينظر : جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34473 ، المصدر السابق .
- (33) PRME 19 / 450, Message from R. M . C. Lynn to the British Embassy in Cairo, London, July 3, 1981.
- (34) PRME 19 / 450, Telegram from the Foreign and Commonwealth Office to the British Embassy in Cairo, July 17, 1981.

35) PRME 19 / 450, Letter from Francis Richards to the British Embassy in Cairo, 17 July , 1981.

(36) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34521 ، 18 حزيران 1981 .

(37) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34553 ، 30 تموز 1981 ، PRME 19 / 450, Letter from the British Embassy to the Foreign and Commonwealth Office, Report of the British Embassy in Cairo, 2-4 August , 1981

38) PRME 19 / 450, Visit of Egyptian President Sadat to London, British - Egyptian Defense Cooperation, 2-4 August, 1981.

39) PRME 19/450, From the British Embassy to the Foreign and Commonwealth Office, Report of the British Embassy in Cairo, 2-4 August, 1981.

40) PRME 19 / 450, Report from the Foreign and Commonwealth Office, Sadat's Visit to London, 10 Dwining Street, July 19, 1981 ; PRME 19/450, Letter from Francis Richardsch to the Foreign and Commonwealth Office, London, 21 July , 1981.

(41) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34551 ، المصدر السابق .

(42) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34564 ، 31 تموز 1981 .

(43) سيما ان الرئيس المصري قد قام عام 1972م بطرد الخبراء السوفييت من مصر ، للمزيد ينظر : ورود هاتو هادي علي الحجاج ، العلاقات المصرية - السوفيتية في عهد الرئيس محمد أنور السادات 1970-1981، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الدراسات التاريخية - جامعة البصرة ، 2011 ، ص 70 - 71 ؛ احمد ياسين الاسطل ، القومية و دورها في السياسة الخارجية المصرية تجاه القضية الفلسطينية في عهدي الرئيس جمال عبد الناصر و محمد انور السادات ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الاقتصاد و العلوم الادارية - جامعة الازهر بغزة ، 2014 ، ص 120 .

44) PRME 19 / 450, Report from the Egyptian Embassy in Cairo to the Foreign and Commonwealth Office, July , 1981.

(45) اذ تمثلت السياسة الامريكية هي بروز حيوية مصالحها في المنطقة و خاصة تلك المتعلقة بالنفط ، ينظر : مجلة البقطة العربية ، السنة 2 ، العدد 11 ، تشرين الثاني 1986 ، ص 60 .

46) PRME 19 / 450, Report from the Egyptian Embassy in Cairo to the Foreign and Commonwealth Office, July, 1981.

47) PRME 19 / 450, Visit of Egyptian President Sadat to London, British Government Report, 2-4 August , 1981.

(48) احمد منصور ، جيهان السادات شاهده على عصر السادات ، دار الشروق ، ط 1 ، القاهرة ، 2002 ، ص 328 .

49) PRME 19 / 450, Visit of His Excellency the President of the Arab Republic of Egypt and his wife, 2-4 August , 1981.

50) PRME 19/ 450, Record the meeting with the Prime Minister and the President of the Arab Republic of Egypt at 10 Downing Street, at 11:30, Monday, August 3, 1981.

51) PRME 19/ 450, The Prime Minister's speech at President Sadat's lunch on Monday, 10 Downing Street, August 3, 1981.

52) PRME 19/ 450, The Prime Minister's speech at President Sadat's lunch on Monday ,Op Cit.

53) Ibid.

(54) شهریات السياسية الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 66 ، اب 1981 ، ص 224 ؛ THCR 5/1/5/108 , Speech at lunch for Egyptian President (Anwar Sadat) , 10 Downing Street, August 3, 1981.

55) PRME 19/450, President Sadat's speech at the lunch given in his honor by the Prime Minister, on Monday, 10 Downing Street, August 3, 1981.

56) Ibid .

57) PRME 19/450, Sadat's Visit to Britain, British-Egyptian Relations (Trade), 2-4 August, 1981.

(58) نجحت صناعة بريتش ابروسيسة في جذب انتباه الحكومة المصرية لمتابعتها نظرا لتمييز اصدار Rapier من بريطانيا فلا تستطيع الولايات المتحدة مطابقة هذا البند كما ان الحكومة المصرية كانت خلال تلك الفترة بوضع لا يسمح لها بتمويل هذا الصفقة لكنها كانت في نفس الوقت بحاجة اليها و ذلك بسبب التهديد على حدودها الغربية و الجنوبية و طالما كانت بريتش مستعدة لإعطاء مصادقية لهذا الاهتمام و الترويج الفعال ل (Rapier) في مصر و يجب على بريطانيا بذل ما في وسعها لدعمهم حيث أكد السفير البريطاني في القاهرة أثناء اجتماعه مع حسني مبارك على أهمية هذه الصفقة و كانت بريطانيا تحشى ان تساعد الولايات المتحدة الأمريكية مصر في تجهيز دبابات T55 و T62 و بالفعل قدمت الولايات المتحدة الامريكية المعونات العسكرية لمصر بذلك قد تراجعت أهمية الصفقة مع بريطانيا ، ينظر :

FCO 93/ 2390, Message from D. a . Adamson, to the British Embassy in Cairo, Defense Sales, January 29, 1980.

59) PRME 19 / 450, Sadat's Visit to Britain, British - Egyptian Defense Cooperation, 2-4 August, 1981.

(60) سمير احمد سيد ، السادات و صفحاته المجهولة ، فاروس للنشر و التوزيع ، القاهرة ، د . ت ، ص 141.

61) PRME 19/450, The visit of the Egyptian president, Sadat, to London, the Arab-Israeli conflict, August 2-4, 1981.

(62) قام الجنرال ادرين براميل (Adrienne Bramel) رئيس اركان الجيش البريطاني على رأس وفد عسكرية لزيارة رسمية الى مصر العربية بدعوة من الفريق احمد بدوي و قد استقبله في المطار عطية سليمان قائد المنطقة العسكرية المركزية و بعض القادة و الملحق العسكري البريطاني في القاهرة حيث تم في هذا اللقاء البحث عن التعاون العسكري = بين البلدين في مجال التسليح و تطوير القوات المسلحة المصرية و الانتاج الحربي ، ينظر: جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 106 ، 34042 ، 25 شباط 1980 ؛ جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 106 ، 34043 ، 26 شباط 1980 .

(63) PRME 19/450, The visit of the Egyptian president, Sadat, to London, British - Egyptian Defense Cooperation, 2- 4 August , 1981.

(64) Ibid.

(65) Ibid .

(66) PRME 19 / 450 , Egyptian President Sadat's visit to London, British / Egyptian relations (including trade) August 2-4, 1981.

(67) PRME 19 / 450 , Letter from the British Embassy to Foreign and Commonwealth Affairs, Embassy Report on Sadat's visit to London, 2-4 August, 1981.

(68) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 106 ، العدد 34567 ، 3 آب 1981.

(69) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34601 ، 6 أيلول 1981.

(70) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34612 ، 17 أيلول 1981 .

(71) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34613 ، 18 أيلول 1981 .

(72) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34614 ، 19 أيلول 1981 .

(73) PRME 19/450, Visit of Egyptian President Sadat to London, British Government Report, 2-4 August , 1981.

(74) PRME 19/450, The visit of the Egyptian president Sadat to London, the Arab-Israeli conflict, August 2-4, 1981.

(75) PRME 19/450, The visit of the Egyptian president, Sadat, to London, Middle East Issues, August 2-4, 1981.

(76) سيما ان الحكومة الامريكية قد طلبت من الحكومة البريطانية المشاركة في قوة سيناء ما تسبب في صعوبة

الولايات المتحدة الامريكية وحدها اذ طلبت من بريطانيا المشاركة فيها ، الا ان الحكومة البريطانية اوضحت انه لا بد من استشارة شركائنا العرب و الا ان هذا الامر سيؤثر على علاقتنا مع مصر و يضعها في خطر اذ اشارت بريطانيا بان الحادث الاخيرة مع مصر لم تنجح فلا بد من وضع افكار جديدة و بينت بريطانيا انه لا يمكنها التصرف بدون استشارة مصر ،

للمزيد ينظر : PRME 19/531129 , The United States of America asked the United Kingdom to participate in the multinational force, September 21, 1981

77) PRME 19/450, Record of a plenary session between the Prime Minister and Egyptian President Sadat, at 10 Downing Street, Monday, August 3, 1981.

78) Ibid .

(79) سليم الحسيني ، مبادئ الرؤساء الأمريكان ، دار السلام للدراسات و النشر ، ط1 ، لندن ، 1987 ، ص 116.

(80) منظمة التحرير الفلسطينية : تم انشاء منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964م بهدف تأسيس دولة فلسطينية مستقلة. بعد قرار صدر من القمة العربية الأولى الذي عقد في مصر بالقاهرة . قبلها كانت فلسطين تمثل في الجامعة تمثيلا شكليا منذ تأسيسها عام 1945م فقد مثلها في البداية موسى العلمي ثم تولى بعد ذلك احمد حلمي عبد الباقي ، وتزايد هذا التمثيل وعظم الاهتمام به بعد حرب 1948م وما تبعها من إقامة الدولة الإسرائيلية ، اذ كان الهدف الأساسي من تأسيس المنظمة هو "تحرير فلسطين" من (اسرائيل) عن طريق المقاومة و التحرر الوطني ، ينظر : محسن محمد صالح ، منظمة التحرير الفلسطينية و المجلس الوطني الفلسطيني تعريف - وثائق - قرارات ، مركز الزيتونة للدراسات و الاستشارات ، ط ، بيروت ، 2014 ، ص 14 ؛ خالد خليل الشيخ ، الدولة في الفكر السياسي الفلسطيني المعاصر 1988 - 2012 ، دار الخليج ، ط 1 ، المملكة الاردنية الهاشمية ، 2019 ، صفحات متعددة ؛ احمد قريع (ابو علاء) ، التجربة الحكومية في ظل النظام السياسي الفلسطيني ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط 1 ، بيروت ، 2008 ، ص 18 ؛ احمد جواد سالم الوادية ، السياسة الخارجية الامريكية تجاه القضية الفلسطينية 2001 - 2008 ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب و العلوم الانسانية - جامعة الازهر بغزة ، 2009 ، ص 10 ؛ د"ح حشيفا، محببليم بحليפות، أרגونيم המקדים ده-לגיטימציה ו-BDS בשירות ארגוני טרור מוכרזים، חלק 2 | קשרו מוכרחם، חלק 2 | קשרו 2019 רסאח، חלק 11 ؛ رباح مرزة خضير المدحتي ، دور منظمة التحرير الفلسطينية في الحرب الاهلية اللبنانية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية - جامعة كربلاء ، 2015 ، ص 7 .

(81) كمال احمد علي ابو شاويش ، ثورة 25 يناير في مصر : اسبابها و تداعياتها و انعكاساتها المتوقعة على القضية الفلسطينية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الاقتصاد و العلوم الادارية - جامعة الازهر بغزة ، 2013 ، ص 112 - 113 ؛ مجلة التضامن ، مصر ، السنة 3 ، العدد 133 ، 1985/10/26-1985/11/1 ، ص 19 .

(82) احمد احمد مصطفى الاسطل ، العلاقات السياسية المصرية السعودية و اثرها على القضية الفلسطينية في الفترة 2000 - 2015 ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، اكااديمية الادارة السياسية للدراسات العليا - جامعة الاقصى ، 2016 ، ص 36 .

83) PRME 19/450, The visit of the Egyptian president, Sadat, to London, Middle East Issues, August 2-4, 1981.

84) PRME 19/450, Minutes of a plenary session between the Prime Minister and Egyptian President Sadat, at 10 Downing Street, Monday, August 3, 1981; 98

PRME 19 / 450, Visit of Egyptian President Sadat to London, Middle East Issues 2-4 August 1981.

85) PRME 19/450, Minutes of a plenary session between the Prime Minister and Egyptian President Sadat, at 10 Downing Street, Monday, August 3, 1981.

86) Ibid.

87) تم اللقاء العاشر بين السادات و بيغن في شرم الشيخ عام 1981 م في مستوطنة اوفيا و اجتمع الاثنان لوحدهما بعدها اعلنا عن اهم النقاط التي تم التوصل اليها و التي يمكن اجمالها بما يأتي :

أ - حول الازمة في لبنان و حمل الطرفان سوريا المسؤولية و طالبا بانسحاب قوات الردع العربية في لبنان ، كما أكد السادات ان مصر لن تتدخل اذ وقعت حرب بين سوريا و (اسرائيل) .

ب - اعطى السادات (لإسرائيل) تسهيلات فيما يخص الطيران كما اعطى بمثلها فيما يخص الملاحة و السياحة مقابل ان تقوم (اسرائيل) بسحب قواتها بأسرع وقت من سيناء ، ينظر : عمر فيصل محمود الغنام ، العلاقات المصرية الاسرائيلية 1981 – 2011 دراسة سياسية تاريخية ، مركز طروس للنشر و التوزيع ، ط 1 ، الكويت ، 2019 ، ص 66 – 67 .

88) PRME 19/450, Minutes of a plenary session between the Prime Minister and Egyptian President Sadat, at 10 Downing Street, Monday, August 3, 1981.

89) PRME 19/450 , Record a plenary session between the Prime Minister and the President of the Arab Republic of Egypt, at 10 Downing Street, on Monday, August 3, 1981.

90) الامير سعود : هو اكبر ابناء الملك عبد العزيز ال سعود و ثاني ملوك المملكة العربية السعودية بعد وفاة والده كان مشاركاً له في حملاته وهو في سن الثالثة عشر من عمره و قائدا للجيش في الحائل و تربة و السبل . و بعد ان وحد الملك عبد العزيز الحجاز بنجد في عام 1952 م ، جعل الملك عبد العزيز ولده سعود وليا للعهد و فيصل نائباً له في الحجاز و في عام 1933 م ، اعلن الملك رسمياً سعود وليا للعهد و قام مع اخيه الامير فيصل بقيادة حملة موفقة على اليمن في السنة التالية ، للمزيد ينظر : امين سعيد ، النهضة السعودية في عهد الملك سعود ، ط 3 ، بيروت ، 2013 .

91) PRME 19/450 , Minutes of a plenary session between the Prime Minister and Egyptian President Sadat, at 10 Downing Street, Monday, August 3, 1981.

92) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 127 ، العدد 41948 ، 12 تشرين الاول 2001.

93) جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 112 ، العدد 36329 ، 27 ايار 1986 .

94) جريدة الدستور ، الاردن ، العدد 9637 ، 23 حزيران 1994 .

95) PRME 19/450 , Minutes of a plenary session between the Prime Minister and Egyptian President Sadat, at 10 Downing Street, Monday, August 3, 1981.

96) PRME 19/ 450 , Record the meeting with the Prime Minister and the President of the Arab Republic of Egypt at 10 Downing Street, 11:30 a.m., Monday, August 3, 1981.

97) PRME 19/ 450, Sadat's visit to London, Arab-Israeli conflict, August 2-4 , 1981.

98) PRME 19/450, Minutes of a plenary session between the Prime Minister and Egyptian President Sadat, Op Cit.

(99) دان تشيرجي ، امريكا و السلام في الشرق الاوسط ، ترجمة محمد مصطفى غنيم ، دار الشروق ، ط 1 ، القاهرة ، 1993 ، ص 180 .

(100) مجلة السياسة الدولية ، العدد 64 ، 1981 ، ص 102 .

101) PRME 19/450, Record of a plenary session between the Prime Minister and Egyptian President Sadat, Op Cit.

102)PRME 19/450, Draft of the prime minister's speech, lunch for the Egyptian president, August 3, 1981.

103)PRME 19/ 450, Visit of the President of Egypt, Sadat, August 2-4, 1981.

المصادر :

اولا : الوثائق البريطانية المنشورة و الغير المنشورة :

1. FCO 93/ 2390, Message from D. a . Adamson, to the British Embassy in Cairo, Defense Sales, January 29, 1980.
2. PREM19 / 530, Carrington meeting with Sadat, January 14, 1981.
3. FOC 93/ 2729 , Message from D. R. Roycroft to Private Secretary Hurd, February 5, 1981.
4. FOC 93/ 2729 , Letter from the Foreign and Commonwealth Office to the British Embassy in Cairo, Cairo Telegram No. 119, February 6, 1981.
5. PRME 19 / 450 , Letter from Richardsch to Michael Weir, Director of the Foreign and Commonwealth Office, London, February 25, 1981.
6. PRME 19 / 450, Letter from Francis Richards to Prime Minister Thatcher, London, 2 March 1981.
7. PRME 19 / 450, Letter from Carrington to the British Embassy, Cairo, Telegram No. 176, 9 March, 1981.
8. PRME 19 / 450, Letter from the British Embassy in Cairo to the Office of Commonwealth Affairs, Telegram No. 252, April 15, 1981.
9. PRME 19 / 450, Letter from Francis Richardsch, Foreign and Commonwealth Office, to the British Embassy in Cairo, London, 11 June, 1981.

10. PRME 19 / 450, Message from R. M . C. Lynn to the British Embassy in Cairo, London, July 3, 1981.
11. PRME 19 / 450, Telegram from the Foreign and Commonwealth Office to the British Embassy in Cairo, July 17, 1981.
12. PRME 19 / 450, Letter from Francis Richards to the British Embassy in Cairo, 17 July , 1981.
13. PRME 19 / 450, Report from the Egyptian Embassy in Cairo to the Foreign and Commonwealth Office, July , 1981.
14. PRME 19 / 450, Report from the Foreign and Commonwealth Office, Sadat's Visit to London, 10 Dwinning Street, July 19, 1981 >
15. PRME 19/450, Letter from Francis Richardsch to the Foreign and Commonwealth Office, London, 21 July , 1981.
16. PRME 19/450, From the British Embassy to the Foreign and Commonwealth Office, Report of the British Embassy in Cairo, 2-4 August, 1981.
17. PRME 19 / 450, Letter from the British Embassy to the Foreign and Commonwealth Office, Report of the British Embassy in Cairo, 2-4 August , 1981.
18. PRME 19 / 450, Visit of Egyptian President Sadat to London, British - Egyptian Defense Cooperation, 2-4 August, 1981.
19. PRME 19 / 450, Sadat's Visit to Britain, British - Egyptian Defense Cooperation, 2-4 August, 1981.
20. PRME 19 / 450, Visit of Egyptian President Sadat to London, British Government Report, 2-4 August , 1981.
21. PRME 19/450, Sadat's Visit to Britain, British-Egyptian Relations (Trade), 2-4 August, 1981.
22. PRME 19/450, The visit of the Egyptian president, Sadat, to London, the Arab-Israeli conflict, August 2-4, 1981.
23. PRME 19/450, The visit of the Egyptian president, Sadat, to London, British - Egyptian Defense Cooperation, 2- 4 August , 1981.
24. PRME 19 / 450 , Egyptian President Sadat's visit to London, British / Egyptian relations (including trade) August 2-4, 1981.
25. PRME 19 / 450 , Letter from the British Embassy to Foreign and Commonwealth Affairs, Embassy Report on Sadat's visit to London, 2-4 August, 1981.
26. PRME 19/450, Visit of Egyptian President Sadat to London, British Government Report, 2-4 August , 1981.
27. PRME 19/450, The visit of the Egyptian president Sadat to London, the Arab-Israeli conflict, August 2-4, 1981.
28. PRME 19/450, The visit of the Egyptian president, Sadat, to London, Middle East Issues, August 2-4, 1981.

29. PRME 19 / 450, Visit of His Excellency the President of the Arab Republic of Egypt and his wife, 2-4 August , 1981 .
30. PRME 19/450, The visit of the Egyptian president, Sadat, to London, Middle East Issues, August 2-4, 1981.
31. PRME 19/ 450, Visit of the President of Egypt, Sadat, August 2-4, 1981.
32. PRME 19/ 450, Sadat's visit to London, Arab-Israeli conflict, August 2-4 , 1981.
33. PRME 19 / 450, Visit of Egyptian President Sadat to London, Middle East Issues 2-4 August 1981.
34. PRME 19/450, Minutes of a plenary session between the Prime Minister and Egyptian President Sadat, at 10 Downing Street, Monday, August 3, 1981 .
35. PRME 19/450, Minutes of a plenary session between the Prime Minister and Egyptian President Sadat, at 10 Downing Street, Monday, August 3, 1981.
36. PRME 19/450 , Record a plenary session between the Prime Minister and the President of the Arab Republic of Egypt, at 10 Downing Street, on Monday, August 3, 1981.
37. PRME 19/450 , Minutes of a plenary session between the Prime Minister and Egyptian President Sadat, at 10 Downing Street, Monday, August 3, 1981 .
38. PRME 19/450 , Minutes of a plenary session between the Prime Minister and Egyptian President Sadat, at 10 Downing Street, Monday, August 3, 1981.
39. PRME 19/ 450 , Record the meeting with the Prime Minister and the President of the Arab Republic of Egypt at 10 Downing Street, 11:30 a.m., Monday, August 3, 1981.
40. PRME 19/450, Draft of the prime minister's speech, lunch for the Egyptian president, August 3, 1981.
41. PRME 19/450, Minutes of a plenary session between the Prime Minister and Egyptian President Sadat, at 10 Downing Street, Monday, August 3, 1981
42. PRME 19/ 450, Record the meeting with the Prime Minister and the President of the Arab Republic of Egypt at 10 Downing Street, at 11:30, Monday, August 3, 1981 .
43. PRME 19/ 450, The Prime Minister's speech at President Sadat's lunch on Monday, 10 Downing Street, August 3, 1981.
44. THCR 5/1/5/108 , Speech at lunch for Egyptian President (Anwar Sadat) , 10 Downing Street, August 3, 1981.
45. PRME 19/450, Record of a plenary session between the Prime Minister and Egyptian President Sadat, at 10 Downing Street, Monday, August 3, 1981 .
46. PRME 19/450, President Sadat's speech at the lunch given in his honor by the Prime Minister, on Monday, 10 Downing Street, August 3, 1981.
47. PRME 19/531129 , The United States of America asked the United Kingdom to participate in the multinational force, September 21, 1981.

ثانيا : الرسائل الجامعية العراقية و العربية :

1. احمد جواد سالم الوادية ، السياسة الخارجية الامريكية تجاه القضية الفلسطينية 2001 – 2008 ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الآداب و العلوم الانسانية – جامعة الازهر بغزة ، 2009 .
2. احمد احمد مصطفى الاسطل ، العلاقات السياسية المصرية السعودية و اثرها على القضية الفلسطينية في الفترة 2000 – 2015 ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، اكااديمية الادارة السياسية للدراسات العليا – جامعة الاقصى ، 2016 .
3. احمد ياسين الاسطل ، القومية و دورها في السياسة الخارجية المصرية تجاه القضية الفلسطينية في عهدي الرئيس جمال عبد الناصر و محمد انور السادات ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الاقتصاد و العلوم الادارية – جامعة الازهر بغزة ، 2014.
4. رباح مرزة خضير المدحتي ، دور منظمة التحرير الفلسطينية في الحرب الاهلية اللبنانية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية – جامعة كربلاء ، 2015 .
5. كمال احمد علي ابو شاويش ، ثورة 25 يناير في مصر : اسبابها و تداعياتها و انعكاساتها المتوقعة على القضية الفلسطينية ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الاقتصاد و العلوم الادارية – جامعة الازهر بغزة ، 2013 .
6. ورود هاتو هادي علي الحجاج ، العلاقات المصرية – السوفيتية في عهد الرئيس محمد أنسور السادات 1970-1981، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الدراسات التاريخية – جامعة البصرة ، 2011 .

ثالثاً : الكتب العربية و المعربة و المذكرات :

1. احمد قريع (ابو علاء) ، التجربة الحكومية في ظل النظام السياسي الفلسطيني ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، ط 1 ، بيروت ، 2008 .
2. احمد منصور ، جيهان السادات شاهده على عصر السادات ، دار الشروق ، ط 1 ، القاهرة ، 2002
3. إدريس بو سكين ، أوروبا والمجرة: الإسلام في أوروبا ، الحامد للنشر ، عمان – الاردن ، 2013 .
4. امين سعيد ، النهضة السعودية في عهد الملك سعود ، ط 3 ، بيروت ، 2013 .
5. خالد خليل الشيخ ، الدولة في الفكر السياسي الفلسطيني المعاصر 1988 – 2012 ، دار الخليج ، ط 1 ، المملكة الاردنية الهاشمية ، 2019 .
6. دان تشيرجي ، امريكا و السلام في الشرق الاوسط ، ترجمة محمد مصطفى غنيم ، دار الشروق ، ط 1 ، القاهرة ، 1993.
7. سليم الحسيني ، مبادئ الرؤساء الامريكان ، دار السلام للدراسات و النشر ، ط 1 ، لندن ، 1987
8. سمير احمد سيد ، السادات و صفحاته المجهولة ، فاروس للنشر و التوزيع ، القاهرة ، د . ت .
9. عكاوب يوسف الركابي وحيدر علي خلف العكيلي ، ريغان وايران : سياسة الولايات المتحدة الامريكية تجاه الثورة الايرانية 1981-1989، دار ومكتبة عدنان ، ج2 ، بغداد ، 2020.

10. عمر فيصل محمود الغنام ، العلاقات المصرية الاسرائيلية 1981 – 2011 دراسة سياسية تاريخية ، مركز طروس للنشر و التوزيع ، ط 1 ، الكويت ، 2019 .

11. محسن محمد صالح ، منظمة التحرير الفلسطينية و المجلس الوطني الفلسطيني تعريف – وثائق – قرارات ، مركز الزيتونة للدراسات و الاستشارات ، ط ، بيروت ، 2014 .

رابعاً : الكتب الانكليزية :

1. Alan Feiler, Ironmettle: Margaret Thatcher boldly led her nation on a new path, Boss Summer 2013.

خامساً : الكتب العبرية :

1. דו"ח חשיפה, מחבלים בחליפות, ארגונים המקדמים דה-לגיטימציה ו-BDS
בשירות ארגוני טרור מוכרזים, חלק 2 | קשרו מוכרחם, חלק 2 | קשרו 2019 רסאח .

سادساً : الدوريات :

1. الجريدة الرسمية ، مصر ، العدد 4 ، 24 كانون الثاني 1980 .
2. جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 106 ، 34042 ، 25 شباط 1980 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 106 ، 34043 ، 26 شباط 1980 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34362 ، 10 كانون الثاني 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34386 ، 2 شباط 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34427 ، 16 آذار 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34463 ، 21 نيسان 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34466 ، 24 نيسان 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34468 ، 26 نيسان 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34473 ، 1 أيار 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34521 ، 18 حزيران 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34562 ، 29 تموز 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34553 ، 30 تموز 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34564 ، 31 تموز 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 106 ، العدد 34567 ، 3 آب 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34601 ، 6 أيلول 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34612 ، 17 أيلول 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34613 ، 18 أيلول 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 107 ، العدد 34614 ، 19 أيلول 1981 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 112 ، العدد 36329 ، 27 ايار 1986 / جريدة الاهرام ، مصر ، السنة 127 ، العدد 41948 ، 12 تشرين الاول 2001 /

3. مجلة السياسة الدولية ، العدد 64 ، 1981 / شهریات السياسة الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 64 ،

كانون الثاني 1981 / شهریات السياسية الدولية ، مجلة السياسة الدولية ، العدد 66 ، اب 1981

4. مجلة التضامن ، مصر ، السنة 3 ، العدد 133 ، 1985/10/26-1985/11/1 .

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

5. مجلة اليقظة العربية ، السنة 2 ، العدد 11 ، تشرين الثاني 1986.
6. جريدة الدستور ، الاردن ، العدد 9637 ، 23 حزيران 1994 .

أهلية المرأة المالية في مصر القديمة

أ.سمية شهابي

المدرسة العليا للأساتذة-بوزريعة-الجزائر

soumia.chahbi@yahoo.com

تاريخ الإيداع: 2021/03/30 م تاريخ التحكيم: 2021/04/15 م تاريخ النشر: 2021/06/15م
الملخص بالعربية:

تمتعت المرأة المصرية القديمة بأهلية مالية كاملة، فهناك عدة نصوص تدل أن المرأة تمتعت بأهلية الوجوب، ولم تكن أهلية المرأة مقصورة على عقود معينة بعينها، بل امتدت إلى الصور المختلفة للعقود. فأحيانا تكتسب أموال خاصة عن طريق الميراث وأحيانا تورث. وأحيانا تكون المرأة واهبة وأحيانا أخرى موهوب لها. وأحيانا مشترية سواء كان البيع خاصا بمنقول أم عقار، وأحيانا مستأجرة. وكثيرا ما كانت المرأة المصرية القديمة طرفا في العقود دون أن يُشار إلى وضعها من حيث كونها متزوجة أم لا.

الكلمات المفتاحية: الذمة المالية، أهلية الوجوب، أهلية الأداء، العقود القانونية، المرأة، مصر القديمة.

Woman's Financial Enabling In Ancient Egypt

Soumia.Chahbi. M A

Higher School of Teachers of Bouzareah, Algeria

soumia.chahbi@yahoo.com

Abstract:

The ancient Egyptian woman had full financial capacity. There are several texts indicating that women had the capacity for obligation, and her capacity was not limited to specific contracts, but extended to different forms of contracts. Sometimes, woman acquire private money through inheritance and sometimes she inherits.

Sometimes the woman is the giver, and other times she is gifted. And sometimes she is a buyer, whether the sale is for movable or property sale, and sometimes she is renting. The ancient Egyptian woman was often considered as a party to contracts without indicating her status of whether she was married or not.

Keywords: Financial liability, eligibility to perform, performance eligibility, legal contracts, women and ancient Egypt.

تميزت مكانة المرأة في الفكر الديني المصري القديم ووصلت لدرجة التقديس، فظهرت معبودات من النساء -إلى جانب آلهة الذكور- فجعل المصريون القدماء للعدل إلهة ماعت، وللحب إلهة حتحور، وللقوة إلهة سخمت، والإلهة إيزيس رمزا للوفاء والإخلاص. لكن هل انعكس هذا التقدير على الحياة الاجتماعية واليومية للمرأة المصرية فاكسبت أهلية قانونية وذمة مالية مستقلة؟ وهل كان للظروف التاريخية السياسية تأثير على مكانتها تلك؟

1. أهلية الوجوب:

أ - حق المرأة في الإرث:

حسب pirenne كانت المرأة مساوية للرجل في الإرث في عصر الدولة القديمة والوسطى، وحرمت من المساواة في العهد الاقطاعي الأول والثاني، لينتهي المطاف إلى إقرار المساواة في الإرث في ظل قانون "بوكخوريس" الذي صار قانونا مطبقا في عهد الأسرة الخامسة والعشرين، وفي ظله صار الأولاد يرثون على قدم المساواة في مال والدهم¹.

ففي وثيقة للوزير "نيكاورع" (الدولة القديمة) تحظى البنات بنصيب يعادل تقريبا نصيب الأولاد الذكور². حيث آل إلى ابنته مجموعتان من الأملاك وآل إلى كل من ولديه ثلاث مجموعات³. وفي ترجمة حياة "متن"⁴ -وهو ابن "انبوام عنخ" الذي كان موظفا قضائيا، ووالدته "نبست"- يُعتقد أنه " وهب 12 أرورا⁵ من أراضيه لأولاده، والواقع غير معروف من أولاده بالضبط إلا ولدا واحدا ورد ذكره عرضا، ومن المحتمل أن بقية أولاده كانوا إناثا، فإذا صح الاحتمال يعني أنه وهب أملاكه دون تمييز بين الذكر والأنثى.

وفي بعض الحالات ليس هناك ما يمنع الأب أو الأم من تمييز إحدى البنات بنصيب من الميراث على باقي الأبناء، وهذا ما تبينه إحدى لوحات المتحف المصري، التي ذكر فيها أن أحد الآباء أراد تمييز ابنته المفضلة لأنها كانت طيبة وبارّة به بمنحها هبة خاصة، وفي نفس الوقت لا يحرمها من حصتها من الميراث⁶.

ويبدو أن التركة كانت تؤول عند انعدام الأولاد إلى الإخوة والأخوات. ويتضح ذلك من نص لأحد رجال البلاط في عهد الملك "خفرع" جاء فيه ذكر أخواته وإخوته والذين سيستفيدون من أملاكه مستقبلاً⁷

ب - حق المرأة في الوصية:

وبالنسبة للزوجين كان عقار كل من الزوجين منفصلاً، وكذلك كان كل منهما لا يرث الآخر. إذ أن الوارثين هم الأولاد الشرعيين. ولكن الزوجة ترث من زوجها بوصية. فقد يوصي الزوج لزوجته بشيء من ممتلكاته يفوق غالباً نصيب أحد أولاده، كما تدل على ذلك الوصايا التي عُثِرَ عليها في عهد الدولة القديمة⁸. مثلاً الوزير "ني كاورع" قد أوصى لزوجته بأربع ضياع. ويبدو أن المورث لجأ إلى الوصية لتوزيع أمواله. وكان من حقه أن يُورث أفراداً ليسوا بوارثين له كزوجته⁹.

كما أوصى "تنتي" بماله إلى كل من أخيه وزوجته، وتحصلت الأخيرة على ما يعادل النصف¹⁰. وما جاء في وصية: «إنه في سنة... قرر ابن الملك "نيكاورع" وكان لا يزال حياً قائماً على قدميه وغير مريض...» يوضح أن الوصية تدون كتابة، ويشترط فيها صحة البدن والعقل¹¹.

ج- حق المرأة في المهر:

تشير وثائق الزواج ان الزوج كان يدفع لزوجته قدراً من المال وهو ما يسمى بالمهر أو الصداق. وقد عثر على عقد زواج مصري مكتوب على ورقة بردي، يعود لعام 231 قبل الميلاد. ويوجد بالمتحف المصري بالقاهرة، أبرم بين «أبي - أم - حتب» (أحمتب) وزوجته «تاحتري» يقول:
«لقد اتخذت زوجة. وللأطفال الذين تلدينهم لي كل ما أملك وما سأحصل عليه. الأطفال الذين تلدينهم لي يكونون أطفالاً. ولن يكون في مقدوري أن أسلب منهم أي شيء مطلقاً لأعطيهِ إلى آخر من أبنائي، أو أي شخص في الدنيا. سأعطيكَ من النبيذ والحنطة والزيت ما يكفي لطعامك وشرابك كل عام.

ستضمنين طعامك وشرابك الذي سأجريه عليك شهرياً وسنوياً، وسأعطيهِ إياك أينما أردت. وإذا طردتك أعطيتكَ خمسين قطعة من الفضة. وإذا اتخذت لك (ضرة) أعطيتكَ مائة قطعة من الفضة.

وتناولي عقد الزواج من يد ابني كي يعمل بكل كلمة فيه. إني موافق على ذلك» وقد شهد على هذا العقد ستة عشر شخصا¹².

من هذا العقد نرى أن ثمة ضمانات كانت موجودة لإتمام عقد الزواج. فقد سجل التزامات الزوج اتجاه زوجته، والتزامه بالنفقة عليها سواء كانت على ذمته، أو حتى بعد طلاقها منه.

ذكر المهر في كل عقود الزواج من غير استثناء وبذلك يُعتبر حقا من حقوق المالية للزوجة على زوجها مقابل زواجها، ويمكن أن يُؤجل باتفاق الطرفين. وتتسلم الزوجة تعويضا ماليا في حالة طلاقها دونما خطأ من جانبها، أو عند الزواج بأخرى.

كما قدم المصري القديم مهرا كاملا لامرأة تتزوج للمرة الثانية، أي أنه لم يفرق بين البكر والثيب¹³.

د-حق المرأة في البائنة:

تشير نفس الوثائق -عقود الزواج- أن الزوجة تأتي إلى زوجها بقدر من المال ويسمى بالبائنة. والبائنة عبارة عن قدر من المال يعطيه الأب، أو من يقوم مقامه إلى ابنته بمناسبة زواجها، فقد كان على الزوجة المساهمة عند الزواج بأموال أو ممتلكات تسجل في عقد الزواج، وكانت الزوجة تحصل على تلك الأموال أو الممتلكات إما عن طريق عملها أو أن والدها كان يمنحها ما يسمى بالبائنة أو متاع المرأة، إذا كان مقتدرا، ففي وثائق الخاصة بالزواج والتي تعود للعصر المتأخر تشير بوضوح إلى نصيب تقررته الزوجة لزوجها أو يقرره والدها نيابة عنها. حيث تعلن امرأة لزوجها «قد نقلت أرض الكاهن...على أنها نصيب الذي أعطيته كمقابل والذي استلمته أنت اليوم...» وفي وثيقة أخرى يعلن والد الزوجة نقل بعض أمواله إلى الزوج ثم يضيف: «سأجعل جميع هذه الأراضي على رأس المرأة "تاسيت" التي تحبها والتي أعطيتها إياك كزوجة»¹⁴.

هذا المال الذي تحصل عليه والذي كانت تساهم به من خلال إحدى مسميات ثلاث:

الأول: nktw n hmt أو متاع المرأة وهو عبارة عن ممتلكات أو منقولات الزوجة ذات القيمة

المادية وتشتمل على الأواني والحلي والمرايا والشعر المستعار وأحيانا بعض الأدوات الموسيقية.

الثاني: hd وهو مال وأحيانا ممتلكات تعطيه الزوجة لزوجها ويتم تسجيله في عقد الزواج وتقدير قيمته.

الثالث: snh ومعناه الإعاشة وهو عبارة عن مبلغ تساهم به الزوجة وتعطيه للزوج ويسجل أيضا في عقد الزواج¹⁵.

وجرت العادة على دمج أموال الزوجين بحيث يتقدم الرجل بثلاثي المال المشترك وتقدم المرأة الثلث الباقي¹⁶، والرجل يقوم بإدارة تلك الأموال طوال استمرار العلاقة الزوجية. وعندما يموت أحد الزوجين يستمر الزوج الآخر في الانتفاع بنصيب شريكه المتوفي في الأموال المشتركة. إلى أن يموت هو أيضا فيذهب ذلك النصيب إلى الورثة¹⁷.

ويبدو أن الزوج إذا طلق زوجته بدون سبب منها، ملزم برد المهر والبائنة إلى زوجته. وفي حالة وفاة الزوجة فيحتمل أن البائنة تكون لأبنائها. ويكون للزوج حق انتفاع منها طالما لم يتزوج. وإذا أراد أن يتزوج مرة ثانية بعد وفاة زوجته الأولى، فثلاثي الأموال التي كانت مشتركة من الزواج الأول هي ملك لأولاده، على أن يستبقي لنفسه الثلث الباقي¹⁸. وإذا لم يكن لديها أولاد فالأمر غير واضح. وفي حالة وفاة الزوج فإن البائنة للزوجة فهي من أموالها منذ البداية ومن بعدها لأولادها¹⁹.

بمعنى أن المرأة المتزوجة لها الأهلية المالية على أموالها المتعلقة بالزواج، حتى وإن كانت هذه الأهلية مقيدة بحدود معينة.

2. أهلية الأداء والتصرف:

أ- المرأة كمورثة:

تستطيع الزوجة أن تحرم بعض أبنائها من الميراث، متصرفة بذلك في أملاكها الخاصة، فزوجة أحد عمال جبانة طيبة "ناونختي" منحت إرثها لإحدى بناتها، وحرمت أبنائها الآخرين، وحجتها في ذلك يتضح من خلال قولها: «لقد قمت بتربيتهم وتنشئة هؤلاء (الأبناء) الثمانية...وقدمت لهم كل ما يلزمهم كي يستطيعوا تأسيس بيت من كافة الأشياء التي تكون من أجل من هم في مثل حالتهم، ولكن انظر، ها أنا قد أصبحت هرمة، وانظروا لا يعتنون بي، أما كل من وضع منهم يديه على يدي، فإنني أمنحه بعض أملاكي، وأما من لم يعطني شيئا فلن أمنحه شيئا من أملاكي» بعد ذلك تأتي قائمة الشهود²⁰.

ب- المرأة كموصية:

حدث أن سيدة لم يكن لها ذرية، وكان لها ثلاثة عبيد فأعتقتهم، وتبنتهم وأوصت لهم بجزء كبير من ممتلكاتها²¹. وهناك وصية صادرة من المدعو "واحو" إلى زوجته "تيتا" يقول فيها أن أوصى إليها: «بجميع الأشياء التي أعطائها إياي لأخي "عنخ-رن" لكي هي تعطيها من تشاء من أولادها الذين أنجبتهم لي...» ثم يقول: «وأعطيتها أيضا العبيد وعددهم أربعة... أما مقبرتي فلأدفن فيها مع زوجتي... أما عن المنزل الذي شيده لي أخي فلتسكنه زوجتي وليس لأي شخص أن يتعرض لها فيه»²² مما يدل على أنها تصرفت بكامل حريتها في ملكها، وتملك في يدها سلطة شرعية مطلقة. ولم تكن تحت سلطان زوجها. أو تحت وصاية والدها أو أي إنسان آخر. ولم تختلط أملاكها بأموال زوجها²³.

ج- التصرف في العقارات:

كانت المرأة المصرية أهلا لتملك العقارات من أراضي زراعية وغيرها، ففي ترجمة "متن" ورث خمسين أرورا من الأرض من والدته "نبسنت". وفي الأسرة الخامسة موظف يسمى "تيتي" Tienti يشير في وثيقة إلى اثنين أرورا من الأرض ورثهم من والدته²⁴.

د- التصرف في المنقولات:

وكانت المرأة المصرية القديمة أهلا لامتلاك المنقولات بأنواعها والرقيق، وتمتعت بأهلية التصرف فيما تملكه. ومن أدلة ذلك شراء امرأة ما قدره 765 دبن ودفعت بعض الملابس والخضر ما قدره خمسة دبن، والباقي بقي كدين، يُدفع فيما بعد. وفي حالة أخرى امرأة تعرض قطعة أرض للبيع مقابل حمار، وفي وثيقة أخرى تعدد ثروة يساوي مجموعها 170 دبن تملكها إمراة تدعى "وييخت" Webkhet. وفي وثيقة تعود للأسرة التاسعة عشرة تتضمن بيعا لبعض الرقيق، وجاء فيها أن المدعوة "إري-نفرت" قالت أمام القاضي أنه: «في سنة 15... أتاني التاجر "رايا" وعرض عليّ جارية سورية تدعى "جم ني حري منتت"، وقد كانت صبية، فقال لي: اشتريني هذه الصبية واعطيني ثمنها... فاشتريت البنت وأعطيته ثمنها»²⁵

واعتبر تأجير الرقيق مصدر دخل إضافي لدخل المرأة. حيث وُجدت نماذج من النساء اللاتي يربحن من الرقيق خارج المدينة²⁶. وتوجد بردية تنص أن رجلا استأجر من امرأة أمة تسمى "هنيت" Henut

لمدة سبعة عشر يوماً، وكذا ستة أيام عمل لأمة أخرى تدعى "كحريت" Kheryt ودفع عدة ملابس وسبعة عشرة نعجة²⁷.

وللمرأة أموال خاصة بها غير متعلقة بمدفوعات الزواج والأموال المشتركة، وكان لها مطلق الحرية في التصرف فيها بدون قيد، وهذا يبدو من العقود المختلفة التي تظهر فيها المرأة دون أن يشار إلى وضعها متزوجة أو غير متزوجة.

فالمرأة يمكن أن تتعاقد بدون أي سلطة لأحد عليها، فهي تملك أموالها الخاصة وتملك القيام بأعمال الإدارة والتصرف، تملك الحرية الكاملة لمناقشة الاتفاقيات المالية وكذلك شروط العقد، فهي تملك السيادة الكاملة على أموالها²⁸.

3. تطور مكانة وأهلية المرأة المصرية القديمة:

مكانة وأهلية المرأة مرت بمراحل مختلفة من التطور. لم تستمر على وتيرة واحدة طوال العصور الفرعونية. ففي الدولة القديمة (في عصر الأسرتين الثالثة والرابعة) استكملت الحضارة المصرية مظاهرها، فكان يغلب عليها النزعة الفردية، وفي ظلها تمتع الفرد سواء كان رجلاً أم امرأة بحرية تامة في جميع معاملاته²⁹. ويتضح ذلك من النص المسجل على جدران مقبرة "متن"³⁰ والذي جاء فيه «أعطي له خمسين أرورا أراضي زراعية من أمه نب-سنت... عملت وصية من أجل أولادها»³¹

ويتضح من هذا النص أن السيدة "نب-سنت" أم "متن" تمتلك قطعة كبيرة من الأراضي الزراعية، ولم يحدد مصدر ملكية هذه الأرض فهي إما عن طريق هدية من الزوج أو إرث من أحد أبويها أو أنها ملكية خاصة بها. وذكر في النص خمسين أرورا (أروور: مقياس من مقاييس قدماء المصريين يساوي 2125 متر مربع). ثم هي أوصت لأولادها ببعض مالها³².

كما يتضح من النص أن السيدة كانت تتمتع بأهلية قانونية كاملة، بمعنى أنها تتمتع بأهلية الوجوب والأداء كاملة تعطيهما الحق في التصرف في أملاكها فهي تحظى بجانب أهلية تملك العقار أهلية إبرام الوصايا وأهلية التعاقد، مما يدل على أن ذمتها المالية كانت منفصلة عن ذمة زوجها، ومن الواضح أن كل فرد في الأسرة سواء كان الأب أو الأم حتى الأبناء، كان له ممتلكاته الخاصة يتصرف فيها كما يشاء، فلا تخضع المرأة لسلطة زوجها أو سلطة ابنها الأكبر، وكان يمكنها أن ترث زوجها مثل أولادها تماماً³³.

غير أن أثناء الفترة من الأسرة الخامسة حتى انتهاء عصر الانتقال الأول (على إثر النظام الاقطاعي)، فقدت الزوجة أهلية مباشرة الحقوق، وقلت الامتيازات القانونية الممنوحة لها، فأصبحت خاضعة لسلطة الزوج ومن بعده الابن الأكبر، أو من يختاره زوجها ليكون وصيا عليها (إذا كان أبنائها ما زالوا أطفالا صغارا، أو لم يكن لديها أطفال)، وبناء على ذلك فقدت المرأة حق إجراء التصرفات القانونية دون إذن زوجها أو الابن الأكبر أو الوصي³⁴.

وبدل على ذلك وثيقتين: الأولى وتخص شخص يدعى " أوسر " Ouser الذي كتب وصية لصالح " سبك حتب " Sebek hetep عهد إليه فيها بزوجه وأولاده وكل أموال بيته. لكن هذا الأمر لم يرض ابنه " تاو " Taou الذي رفع دعوى ضد " سبك حتب " أمام القضاء بالطعن في صحة سند الوصية. وأن كل أموال أوسر يجب أن تؤول إليه هو. وقررت المحكمة أن إذا فشل سبك حتب في دعواه، فلن يبقى في يديه أي مال من أموال أوسر، وستؤول إلى ابنه تاو³⁵.

ويبدو من خلال هذه الوثيقة أن الزوج اكتسب في هذا العصر، الحق في أن يختار لزوجته وصيا، شأنها في ذلك شأن أولاده، أي لم تعد المرأة كاملة الأهلية.

أما الوثيقة الثانية فترجع إلى الفترة التي تلي الأسرة السادسة وهي عبارة عن خطاب أرسلته أرملة لزوجها تشكو فيه الوصي على ابنتها، والذي لم يعطيها ما تستحق من إيرادات تساعد الأم على تربية أولادها. وبذلك نجد أن المرأة لم يكن لها حق الوصاية على أموالها وأولادها، كما أن فقدانها للأهلية القانونية يظهر في عدم مقدرتها في رفع دعوى ضد الوصي³⁶.

والملاحظ أيضا تصوير الزوجة في التماثيل والنقوش في حجم أصغر بكثير من حجم الزوج³⁷ (على خلاف ما كان عليه الحال من قبل حيث تبدو المرأة في حجم مماثل لحجم زوجها) فهذا الاختلاف في تصوير حجمها يدل على اختلاف في وضعها الاجتماعي والقانوني³⁸.

وفقدت المرأة أهلية الأداء، لكنها احتفظت بأهلية الوجوب، فلم تفقد حق التملك. فقد وهب " إيدو " زوجته " دسنك " (كانا يعيشان في عهد الأسرة السادسة) بعض الأملاك. وقد جاء في النص الذي يشير إلى هذه الهبة أن الأموال قد أصبحت ملكا خالصا للزوجة، وقد وهبها زوجها إياها لما لها في قلبه من المنزلة³⁹.

وفي عهد الدولة الوسطى استعادت المرأة المصرية أهليتها ، ويبدو من وثيقة بردية بروكلين (رقم 7476 - 35) أن المرأة تتمتع باستقلال قانوني كامل ، وصلت إلى أن اختصمت هي ووالدها أمام المحكمة بمهدف حماية مصالحها الخاصة بها ، ففي بداية الأسرة الثالثة عشرة رفعت سيدة تدعى " تحنوت " دعوى على أبيها ، الذي فضّل زوجته الثانية على حساب أولاده من زوجته الأولى ، وأعطى لها في العقد أملاكا تراها أنها من حقها : «لقد ارتكب أبي مخالفة قانونية ، ففي حيازته بعض الأشياء التي تخصني ، والتي كان زوجي قد أعطاني إياها ، لكن أبي نقلها إلى زوجته الثانية " سنبت تيسي " Senebtysy فهل استطيع استرجاع ممتلكاتي ؟ »⁴⁰

وإذا كانت المرأة قد نالت الكثير من الحقوق في عصر الدولة الوسطى، إلا أنها في عصر الانتقال الثاني رجعت لسلطة الزوج أو الابن الأكبر أو الوصي. لكن هذا لم يدم طويلا⁴¹ ، وذلك لأنها استردت أهليتها كاملة في عصر الدولة الحديثة. وبصفة خاصة ابتداء من عهد الأسرة الثامنة عشر، فلم تعد بحاجة إلى إذن زوجها للتصرف في أموالها⁴². فهناك وثائق عديدة تتضمن عقودا متنوعة أحد طرفيها امرأة. فالمرأة قد تكون بائعة أو مشترية، وقد تكون مؤجرة أو مستأجرة. وقد تكون مدعيا أو شاهدا. وكانت أهلا لمباشرة الوصاية على غيرها. ففي إحدى الوثائق التي ترجع إلى الأسرة التاسعة عشرة توضح امرأة وقد عينت وصيا على اخوتها وأخوتها⁴³.

وفي المثال الآتي يوضح مدى المكانة التي وصلت إليها المرأة في هذه الفترة من تاريخ مصر القديمة، والمتمثل في البردية المعروفة ببردية التبنّي، والتي تشير إلى أرملة عجوز تبنت عبيدها الثلاثة بعد أن اعتقتهم: «لقد قمنا بشراء الأمة " ديو - ني - حوت - أرى"، وأنجبت أبناء ثلاثة أحدهما ذكر واثنان من الإناث وعددهم الكلي ثلاثة. لقد أخذتهم وقمت بتربيتهم وتنشئتهم ووصلت إلى (أو أدركت) هذا اليوم معهم دون أن يسببوا أي شر تجاهي، ولكنهم تعاملوا جيدا معي ليس لي ابن أو ابنة سواهم إذا كنت أملك أي أشياء في الأرض أو أملك بضائع، هذا سوف يُقسم بين أطفالي»⁴⁴

يبدو من خلال النص أن هذه السيدة قامت بعمل العديد من الإجراءات القانونية وهي: العتق، والتبني، وكتابة الوصية والتوريث، ولقد تمت جميعها أمام عدد من الشهود، بدون أن تأخذ رأي أحد من أقاربها وإيرادتها الخاصة، ودون وصاية من أحد.

ومما سبق يتضح أن القانون المصري القديم أعطى للمرأة المصرية القديمة وجودا قانونيا كاملا، وأهلية مالية مطلقة، وكانت تُعامل على قدم المساواة مع الرجل - باستثناء العهود الإقطاعية - وذلك لأنها تتمتع بوضع قانوني مساو له، فذمتها المالية مستقلة وأهلية الوجوب والآداء عندها كاملة. لقد تمكنت المرأة من التملك واكتساب الحقوق المالية أي كان نوعها، كما كان بمقدورها إبرام التصرفات القانونية التي تُكسبها حقا ماليا، أو تحملها التزاما ماليا وترتب على هذا التمتع المرأة بذمة مالية مستقلة عن ذمة زوجها أو وليها، حتى وإن وُجد نوع من الاشتراك في الأموال بين الزوجين في عصر الدولة الحديثة.

كما أن أهلية المرأة المصرية لم تتأثر بالزواج. فالمرأة تتمتع بأهليتها الكاملة، فلها اكتساب ما تشاء من الأموال وبإمكانها إبرام كافة التصرفات القانونية، أي تستوي في ذلك المرأة المتزوجة وغير المتزوجة. بينما في العصر الإقطاعي حدثت عدة متغيرات انعكست على مركز المرأة وأصبحت خاضعة لسلطة الأب، أو الزوج، أو الابن الأكبر، أو الوصي المختار من قبل الأب أو الزوج، وبزوال العهد الإقطاعي استردت المرأة أهليتها المالية كاملة.

¹ - Jacques Pirenne, Histoire des institutions et du droit privé de l'ancienne Egypte, vol 3, la fondation Egyptologique reine Elisabeth, Bruxelles 1934, p36

² - شفيق شحاتة، تاريخ القانون الخاص في مصر، الجزء الأول القانون المصري القديم، ط 2، المطبعة العالمية، القاهرة 1950، ص 34.

- James Henry Breasted, Ancient records of Egypt historical documents from the earliest times to the persian conquest, V1, the university of Chicago Press, Chicago 1906, p89-90.

³ - Jacques Pirenne, op cit, vol 3, p 347.

- James henry Breasted, Historical Documents from the earliest times to the persian conquest, vol 1, the university of Chicago press, Chicago 1906, p 89.

⁴ - لمعرفة ترجمة "متن" انظر

Jacques Pirenne, op cit, vol 2, p 358.

⁵ - الأورورا يساوي ألفين وسبعمائة وخمسة وثلاثين مترا مربعا

⁶ - محمود السقا، معالم تاريخ القانون المصري الفرعوني، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة 1979، ص 440.

- ⁷ - شفيق شحاتة، المرجع السابق، ص 33.
- Jacques Pirenne, op cit, vol 2, p 335.
- ⁸ - هناك من العلماء من ينكر وجود الوصايا في ذلك العهد، ففي نظر Erwin Seidl هاتين الوثيقتين لا تتضمنان وصية، والظاهر أن الخلاف يدور حول كلمة "إميت-پر" فهي في نظر Pirenne تعني الوصية لكن عند Seidl يرى أنها تدل على وثيقة، راجع بحثه تحت عنوان Law
- S.R.K.Glanville, The Legacy of Egypt, Oxford university Press, London 1942, p 199
- ⁹ - محمد أمين محمد السيد، المرأة في مصر القديمة وبلاد النهرين القديم، أطروحة لنيل الدكتوراه في الحقوق، كلية الحقوق، جامعة أسيوط، 2010، ص 502.
- ¹⁰ - شفيق شحاتة، المرجع السابق، ص 35.
- Jacques Pirenne, op cit, vol 2, p 348.
- Alexandre Moret, Une nouvelle disposition testamentaire de l'ancien Empire égyptien, In: Comptes rendus de l'Académie des inscription, Paris 1914, pp 538...546.
- ¹¹ - شفيق شحاتة، نفسه، ص 36.
- ¹² - وليم نظير، المرأة في تاريخ مصر القديم، دار القلم، القاهرة 1965، ص 27.
- محمد شفيق غربال وآخرون، تاريخ الحضارة المصرية المجلد الأول العصر الفرعوني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة د.ت، ص 142.
- ¹³ - محمد أمين محمد السيد، المرجع السابق، ص 424
- ¹⁴ - محمد أمين محمد السيد، نفسه، ص 428.
- ¹⁵ - سعاد عبد العال، المجتمع المصري القديم، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة 2002، ص 30.
- ¹⁶ - J.Cerny and T.Eric Reet, «A marriage settlement of the twentieth dynasty: An unpublished document from Tutin, The journal of Egyptian archaeology, V13, N 1/2, Apr 1927, pp 30...39.
- ¹⁷ - محمد أمين محمد السيد، المرجع السابق، ص 502.
- ¹⁸ - S.R.K.Glanville, op cit, p 204.
- عباس مبروك الغزيري، تاريخ القانون المصري «القانون الفرعوني»، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية 2011، ص 224.
- ¹⁹ - محمد أمين محمد السيد، المرجع السابق، ص 429.

- ²⁰ - كرستيان ديروش نوبلكور، المرأة في زمن الفراعنة، ترجمة حليم طوسون، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 2000، ص 188.
- ²¹ - كرستيان ديروش نوبلكور، نفسه، ص 288.
- ²² - E.Revillout, Précis du droit Egyptien comparé aux autres droits de l'antiquité, Paris 1899, p 331.
- ²³ - Jacques Pirenne, op cit, vol 2, p 346
- ²⁴ - محمد أمين محمد السيد، المرجع السابق، ص 421.
- ²⁵ - Alan H Gardiner, «A lawsuit Arising from the purchase of two slaves», The journal of Egyptian Archaeology, Vol 21, N 2, Dec 1935, pp 140..146.
- ²⁶ - Alan H Gardiner, «four papuri of the XVIII th dynasty from Kahun», Zeitschrift fur Agyptische sprache und althertumskunde, V43-44, Issue 1, 1916, p 37-38.
- Jacques Pirenne et de Walle, «Documents juridiques Egyptiens», Archives d'histoire du droit oriental, doc N 09, t1, Bruxelles 1950, p 32-33.
- ²⁷ - محمد أمين محمد السيد، المرجع السابق ص 421.
- ²⁸ - محمد أمين محمد السيد، نفسه، ص 431.
- ²⁹ - آمال محمد بيومي محمود مهران، مركز المرأة في الأسرة في مصر القديمة، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، جامعة الإسكندرية 1992، ص 257.
- ³⁰ - عاش في أواخر الأسرة الثالثة وامتد به العمر إلى أن توفي في عهد الملك سنفرؤ آل ملوك الأسرة الرابعة، كان أحد كبار موظفي الملك، مقبرته بسقارة.
- ³¹ - عباس مبروك الغزيري، المرجع السابق، ص 220.
- ³² - شفيق شحاته، المرجع السابق، ص 32.
- ³³ - كرستيان ديروش نوبلكور، المرجع السابق، ص 144-145.
- ³⁴ - محمد علي الصافوري، القانون المصري القديم، القاهرة 1998، ص 198.
- ³⁵ - محمود سلام زناطي، تاريخ القانون المصري، دار النهضة العربية، القاهرة 1972، ص 149.
- Jacques Pirenne, op cit, vol 2, p 133.
- ³⁶ - آمال محمد بيومي محمود مهران، المرجع السابق، ص 261.
- ³⁷ - Jacques Pirenne, op cit, vol 2, p 371.
- ³⁸ - أيمن السيد عرفة محبوب، الزواج وحقوق المرأة في المجتمعات القديمة (دراسة تاريخية مقارنة)، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة 2000، ص 82.

³⁹ - شفيق شحاته، المرجع السابق، ص 76.

- Jacques Pirenne, op cit, vol 2, p 370.

- James Henry Breasted, Ancient records of Egypt, op cit, p 100.

⁴⁰ - كرستيان ديروش نوبلكور، المرجع السابق، ص 146.

⁴¹ - فتحي المرسفاوي، تاريخ الشرائع الشرقية القانون الفرعوني، دار النهضة العربية، القاهرة د.ت، ص 111.

⁴² - عبد الحميد فودة، تاريخ القانون المصري، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 290.

⁴³ - محمود سلام زناقي، المرجع السابق، ص 151.

⁴⁴ - آمال محمد بيومي محمود مهران، المرجع السابق، ص 264-265.

قائمة المراجع العربية:

1. زناقي محمود سلام، تاريخ القانون المصري، دار النهضة العربية، القاهرة 1972.
2. السقا محمود، معالم تاريخ القانون المصري الفرعوني، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة 1979.
3. شحاتة شفيق، تاريخ القانون الخاص في مصر، الجزء الأول القانون المصري القديم، ط 2، المطبعة العالمية، القاهرة 1950.
4. عبد العال سعاد، المجتمع المصري القديم، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع، القاهرة 2002.
5. غريال محمد شفيق وآخرون، تاريخ الحضارة المصرية المجلد الأول العصر الفرعوني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة د.ت
6. الغزيري عباس مبروك، تاريخ القانون المصري «القانون الفرعوني»، مكتبة الوفاء القانونية، الإسكندرية 2011.
7. المرسفاوي فتحي، تاريخ الشرائع الشرقية القانون الفرعوني، دار النهضة العربية، القاهرة د.ت
8. فودة عبد الحميد، تاريخ القانون المصري، دار النهضة العربية، القاهرة.
9. نظير وليم، المرأة في تاريخ مصر القديم، دار القلم، القاهرة 1965.
10. نوبلكور كرستيان ديروش، المرأة في زمن الفراعنة، ترجمة حليم طوسون، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة 2000

قائمة الرسائل والأطروحات:

1. السيد عرفة محجوب (إيمان)، الزواج وحقوق المرأة في المجتمعات القديمة (دراسة تاريخية مقارنة)، رسالة دكتوراه، كلية الحقوق، جامعة القاهرة 2000
2. محمد بيومي محمود مهران (آمال)، مركز المرأة في الأسرة في مصر القديمة، رسالة ماجستير، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، جامعة الإسكندرية 1992.
3. محمد السيد (محمد أمين)، المرأة في مصر القديمة وبلاد النهرين القديم، أطروحة لنيل الدكتوراه في الحقوق، كلية الحقوق، جامعة أسيوط، 2010

قائمة المراجع الأجنبية:

1. Breasted James Henry, Ancient records of Egypt historical documents from the earliest times to the persian conquest, V1 , the university of Chicago Press, Chicago 1906.
2. Breasted James henry, Historical Documents from the earliest times to the persian conquest, vol 1, the university of Chicago press, Chicago 1906
3. Glanville S.R.K., The Legacy of Egypt, Oxford university Press, London 1942
4. Pirenne Jacques, Histoire des institutions et du droit privé de l'ancienne Egypte, vol 3, la fondation Egyptologique reine Elisabeth, Bruxelles 1934
5. Revillout. E, Précis du droit Egyptien comparé aux autres droits de l'antiquité, Paris 1899.

قائمة المجالات الأجنبية:

1. Gardiner Alan H, «A lawsuit Arising from the purchase of two slaves», The journal of Egyptian Archaeology, Vol 21, N 2, Dec 1935.
2. Gardiner Alan H, «four papuri of the XVIII th dynasty from Kahun», Zeitschrift fur Agyptische sprache und althertumskunde, V43-44, Issue 1, 1916.
3. Pirenne Jacques et de Walle, «Documents juridiques Egyptiens», Archives d'histoire du droit oriental, doc N 09, t1, Bruxelles 1950

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

رأي الشيوعيين في اتفاقية الجلاء وصفقة الأسلحة (1954-1955)

أ.م.د. أميرة رشك لعبيي الباحث كاظم وادي خشان

جامعة البصرة- كلية التربية للعلوم الإنسانية- قسم التاريخ

المديرية العامة لتربية البصرة/ قسم الأشراف الاختصاصي - عراق

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 م تاريخ التحكيم: 2021/04/13 م تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص:

يتناول هذا البحث رأي الشيوعيين في اتفاقية الجلاء التي رفضوها منذ أن علموا بعزم الحكومتين المصرية والبريطانية على إبرامها خلال عام 1954، واخذوا ببث البيانات والنداءات للشعب المصري من أجل الوقوف معاً ضدها. ولكن اختلفت آراءهم في عام 1955 فقد ساندوا الرئيس المصري جمال عبد الناصر حينما قرر عقد صفقة أسلحة مع المعسكر الشرقي المتمثل بالاتحاد السوفيتي، وكيف تم التقرب المصري - السوفيتي خلال ذلك، الأمر الذي رحبت به الحركة الشيوعية المصرية المساندة للاتحاد السوفيتي.

The Communists 'Opinion on the Evacuation Agreement and the Arms Deal (1954-1955)

**By: Kazem Wadi Khashan Supervisor Prof. Dr. Amira Rishag AlEabi
Basra University - College of Education for Human Sciences - Department
of History**

**General Directorate of Education in Basra / Department of Specialized
Supervision - Iraq**

Abstract

This research deals with the Communists 'view of the evacuation agreement, which they rejected since they learned of the intention of the Egyptian and British governments to conclude it during 1954, and began to broadcast statements and calls to the Egyptian people to stand together against it. But the communists' opinions differed in 1955 and supported Egyptian President Gamal Abdel Nasser when the latter decided to conclude an arms deal with the eastern camp represented by the Soviet Union, and how the Egyptian - Soviet rapprochement took place during that, which was welcomed by the Egyptian Communist movement in support of the Soviet Union.

المقدمة:

كان للحركة الشيوعية المصرية دوراً مهماً ونشطاً تجاه سياسة الرئيس المصري جمال عبد الناصر الخارجية. لاسيما وأن الأخير لم يكن على وفاق مع الشيوعيين منذ بداية حكمه، وأنه مؤيداً للمعسكر الغربي، وتبين ذلك الموقف حينما أبرم عبد الناصر اتفاقية الجلاء مع الحكومة البريطانية، إذ وقفوا ضد عقد تلك الاتفاقية. لكن تغيرت الموازين حينما لم يلب الجانب الغربي طلباته لاسيما فيما يخص الأسلحة، الأمر الذي ارتقى به بالتوجه نحو المعسكر الشرقي المرتبط بالاتحاد السوفيتي، لذا رحب الشيوعيين بذلك التوجه.

وبناءً على ذلك، ارتقينا البحث والدراسة في موضوع "رأي الشيوعيين في اتفاقية الجلاء وصفقة الأسلحة (1954-1955)", لتوضيح آراء الشيوعيين في تلك الاتفاقية، وصفقة الأسلحة. فخلال عام 1954 أبرمت الحكومة المصرية مع نظيرتها البريطانية اتفاقية الجلاء، وفي عام 1955 عقد الرئيس المصري جمال عبد الناصر صفقتين أسلحة مع المعسكر الشرقي.

خلال المدة من العاشر إلى السابع والعشرين من تموز 1954، جرت مفاوضات رسمية بين الحكومتين البريطانية والمصرية، توجت بتوقيع اتفاقية من حيث المبدأ بالأحرف الأولى، بين الطرفين في السابع والعشرين من تموز من العام نفسه⁽¹⁾، لخصت الاتفاقية بثلاثة عشر بنداً⁽²⁾، منها: مغادرة القوات البريطانية منطقة قناة السويس⁽³⁾، بعد احتلال دام أكثر من سبعين عاماً⁽⁴⁾. وقد أعلنت الحكومة المصرية في اليوم نفسه، توقيعها على بنود تلك الاتفاقية مع الجانب البريطاني⁽⁵⁾. وصادر رئيس مجلس الوزراء جمال عبد الناصر⁽⁶⁾ إعلاناً إلى الشعب المصري في الوقت ذاته، أشاد فيه بجهود الشعب المصري وقيادته الوطنية، محققاً في الوقت نفسه صرخته "على الاستعمار أن يضع عصاه على كتفه ويرحل أو يقاتل حتى الموت". وقد تمكنت الثورة المصرية من أن تحقق ما كان يتطلع إليه الوطنيون المصريون كافة⁽⁷⁾.

بذلت الحكومة المصرية بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر جهوداً كبيرة، من أجل تحقيق أهدافها التي تسعى إلى تحقيقها، وكان من أهمها هو مغادرة القوات البريطانية، إذ عدت هذه الاتفاقية بمثابة مرحلة مهمة ونقطة تحول كبيرة في مسار تاريخ مصر السياسي، تمكنت مصر خلالها من إنهاء وطرد المحتل البريطاني بوساطة الكفاح والمقاومة المسلحة⁽⁸⁾. وفي خطاب له في الثامن والعشرين من تموز عام 1954، أكد الرئيس جمال عبد

الناصر، أن هذه الاتفاقية تعد غاية في الأهمية، لكونها قد مهدت الطريق لإخراج الغزاة عن أرض مصر أولاً⁽⁹⁾، قائلاً: "أننا سنحرر أرض مصر وكل شبر فيها"⁽¹⁰⁾.

وبشأن الحركة الشيوعية المصرية وموقفها من عقد اتفاقية الجلاء مع الجانب البريطاني، فقد بينت الحركة الديمقراطية للتحرر "حدثو"⁽¹¹⁾، موقفها من تلك الاتفاقية بعد ثلاثة أيام من أبرامها أي في الثلاثين من تموز عام 1954، إذ أصدرت بياناً إلى الشعب المصري طالبتهم للوقوف ضد الاتفاقية وذكرت "حدثو" "أن الاتفاقية ما هي إلا مؤامرة جديدة بين الدكتاتورية العسكرية الخائنة وبريطانيا... أيها الشعب أننا قادرون على الوقوف بوجههم من خلال تنظيم الإضرابات والمظاهرات احتجاجاً على الاتفاقية... على العمال أن يظهروا إضرابات ومظاهرات في المصانع-وعلى الفلاحين أن يمتنعوا عن دفع الضرائب لحكومة الخونة..."⁽¹²⁾.

وفي مطلع شهر آب عام 1954 أصدر مجموعة من الشيوعيين التابعين لأنصار السلام⁽¹³⁾، بياناً للشعب عن اتفاقية الجلاء، وأكدوا فيه "أن آثار هذه الاتفاقية تتجاوز أشكال العلاقة السياسية بين مصر وبريطانيا إلى حياة المواطنين وأرزاقهم ومستقبلهم، وآثار لاتفاقية تتجاوز قاعدة القتال في مصر كلها... إن من مصلحة مصر أن تسلك سبيل المعاهدات المتكافئة مع جميع دول العالم على أساس احترام السيادة الوطنية والسلام العالمي..."⁽¹⁴⁾.

وفي الرابع من آب 1954، عاودت منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني "حدثو" في إصدار بياناً آخر شديد اللهجة بعنوان: "وقفية لا اتفاقية" إلى الشعب المصري، إذ ذكرت المنظمة "أن الاتفاقية والموافقة عليها ما هو إلا استهتار بالعقول فلم يكن فيها غير الخيانة وإجرام وبيع البلاد ومستقبلها إلى أعدائها الأذليين... وهي استسلام كامل وارتقاء وراء أحضان الاستعمار القرين... يجيب على الشعب المصري الوقوف حالياً موقفاً سلبياً منها..."⁽¹⁵⁾.

وثق الحزب الشيوعي المصري "الرأي"⁽¹⁶⁾، في العاشر من آب 1954 موقفه الرفض للاتفاقية الموقعة مع البريطانيين، إذ كتب في بيان له ذكر فيه أن الحركة الشيوعية بمختلف تنظيماتها عدت تلك الاتفاقية إنها "اتفاقية الذل"، وأن بنودها تدل على "احتلال جديد" قد تتعرض له البلاد. وقد بين الحزب الشيوعي المصري

أيضاً "أن من حق جميع المصريين أن يعرفوا من هو الخائن، ومن هو الوطني عبد الناصر أم نحن الشيوعيون الذين نعبر عن مشاعر ومطالب ملايين المصريين" (17).

وأوضح الحزب الشيوعي المصري، أن الهدف من توقيع تلك الاتفاقية هو تقوية وتوثيق الروابط والعلاقات بين السلطة الحاكمة في مصر وبين الدول الغربية، وأنها في الوقت نفسه يمكن أن يكون لها تأثيراً ودوراً مهماً في تقوية وترسيخ النفوذ الأمريكي في مصر (18). فضلاً عن ذلك لم يقتنع الشيوعيين بالاتفاقية البريطانية المصرية (19).

وفي بيان منشور آخر صادر عن الحزب الشيوعي "الرأية" في الحادي والثلاثين من آب 1954، وثق فيه الحزب موقفه أيضاً، حمل عنوان "بيان إلى جميع الإخوان الوطنيين"، ذكر فيها أن جمال عبد الناصر قد ارتكب "جريمة" توقيع الاتفاقية التي تحمل في طياتها "التسليم والخيانة". فرد عليها الوطنيون -حسب رأي الشيوعيين- على اختلاف توجهاتهم السياسية بالرفض والاستنكار، وكان من بينها وأقواها هي تلك التي أصدرها الحزب الشيوعي المصري عن طريق بيانات وصحف تحمل الكثير من التحليلات التي تخص الجانب السياسي، فضلاً عن "الآراء الوطنية المخلصة"، الأمر الذي "ارعب عبد الناصر وأسياده، فراح يقول أسباباً قدره للأبطال الوطنيين من الشيوعيين" (20).

وفي مطلع شهر أيلول عام 1954 أصدرت الجبهة الوطنية الديمقراطية الشيوعية بياناً إلى الشعب للوقوف ضد توقيع اتفاقية الجلاء جاء في مضمونه "لقد وقعت الدكتاتورية لعسكرية الجريمة اتفاقية مع المستعمرين- وهي ماضية في فرضها على الشعب... أن الجبهة الوطنية تعلن اليوم باسم جميع الوطنيين على اختلاف طبقاتهم واتجاهاتهم أنها ترفض هذه الاتفاقية الإجرامية- شكلاً وموضوعاً- وأنا ندعو جميع الوطنيين أن نقود معركة لا هوادة فيها لتحطيم هذه المؤامرة الدنيئة..." (21).

وفي مطلع تشرين الأول عام 1954 عاود الحزب الشيوعي "الرأية" إصدار بياناً له بعنوان "قولوا.. لا" ضد معاهدة 1954، دعا الحزب خلالها ووقوف الشعب المصري بكافة أطيافه ضد "حكومة عبد الناصر الخائنة"، فضلاً عن ذلك دعا الشعب لمقاومة "عصابة عبد الناصر الخونة" (22).

عدت الحركة الشيوعية المصرية، أن هذه الاتفاقية هي تفسير يعطي دلالة واضحة عن موقف الضعف والمهانة من سلطة ضباط حركة تموز مع الاستعمار البريطاني، إذ أنها أعطت الضوء الأخضر له عندما أبدت المرونة والموافقة على بقاء الجيش البريطاني والسيطرة البريطانية حتى تموز عام 1956⁽²³⁾.
لقد بين الشيوعيون موقفهم من أبرام اتفاقية الجلاء بشكل واضح في شهر تشرين الثاني 1954، وهو اتخاذ جانب المعارضة والرفض لبنودها، لأنها -من وجهة نظرهم- كانت تحوي على نص أعطى الحق لبريطانيا في إمكانية الرجوع والعودة لقواتها، إذا ما تعرضت كل من تركيا وإيران إلى خطر يهدد مصالحهما. والمقصود بذلك الخطر هو الاتحاد السوفيتي، لذا سيتم تحجيم دور الشيوعيين بشكل نهائي -حسب وجهه نظرهم- (24).

يرجع سبب الرفض من الشيوعيين لهذه الاتفاقية إلى أنها لم تؤد -من وجهة نظرهم- إلى الانسحاب الكامل للقوات البريطانية ولما كان (نصف انسحاب) من منطقة القناة، إذ وصفها الحزب الشيوعي المصري "الرأية" أنه "جلاء مزيف" (25)، وأنها لا تمثل الشعب المصري لما فيها من شروط مجحفة "مثل رجوع القوات البريطانية في حالة الاعتداء على تركيا" (26).

وبناءً على الموقف الشيوعي الرفض لإبرام تلك الاتفاقية، شددت السلطة الحاكمة ضرباتها ضد الشيوعيين، وكان من ضمن الإجراءات التي اتخذتها السلطة هو قيام المحاكم العسكرية والاستثنائية لتوزيع أحكامها الشاقة على الشيوعيين (27).

ومن جهتها ضغطت الولايات المتحدة الأمريكية على الحكومة البريطانية، من أجل موافقتها على توقيع تلك اتفاقية مع نظيرتها المصرية لغرض الجلاء عن الأراضي المصرية. وبالفعل تم التوقيع على تلك الاتفاقية في التاسع عشر من تشرين الأول 1954 (28). وقد مثل عن الجانب البريطاني وزير الخارجية هارولد أنتوني ناتنغ (Harold Anthony Nutting) (29)، في حين مثل الرئيس جمال عبد الناصر الجانب المصري. ولكن من المثير للاهتمام أن الأخير لم يعلن عنها إلا في الثاني والعشرين من تشرين الأول من العام نفسه، ومن المؤكد أن هذه الاتفاقية جاءت نتيجة صراع قاسي خاضه الشعب المصري ضد القوات المحتلة

والمعاونين معها⁽³⁰⁾، علماً أن الاتفاق النهائي بين الجانبين تضمن رحيل القوات خلال عشرين شهر بدءاً من تشرين الأول عام 1954⁽³¹⁾.

على الرغم من الانتقادات الكثيرة التي وجهتها الحركة الشيوعية لبنود الاتفاقية، إلا أن الحكومة المصرية استطاعت أن تحقق أملاً كبيراً لأبناء الشعب المصري، إلا وهو رحيل القوات البريطانية الجاثمة على الأراضي المصرية، فضلاً عن أن مدة الاتفاقية الموقعة بين الطرفين كانت قصيرة، إذ لم تتجاوز (سبع سنوات)، إذ تمكنت مصر من ممارسة حريتها واستقلالها بعد انتهاء السيطرة البريطانية⁽³²⁾.

نستنتج من ذلك أن الحكومة المصرية بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر قد تمكنت من تحقيق إنجاز مهم، إلا وهو مغادرة القوات الأجنبية للأراضي المصرية، وانها فتحت الطريق أمام المصريين لإقامة علاقات مع مختلف دول العالم، ومن بينها الاتحاد السوفيتي. ويتضح أيضاً أنه على الرغم من رفض الحزب الشيوعي المصري والحركة الشيوعية المصرية ككل لإبرام الاتفاقية البريطانية المصرية، إلا أن كل أساليب الرفض تلك لم توقف عقد وتوقيع الاتفاقية بين الجانبين.

وخلال انعقاد مؤتمر (باندونغ) عام 1955⁽³³⁾ في إندونيسيا، طلب الرئيس المصري جمال عبد الناصر من نظيره الصيني شوان لاي (Chan Lai)⁽³⁴⁾، تزويد بلاده بما تحتاجه من السلاح، نظراً لرفض الدول الغربية⁽³⁵⁾، تزويد مصر بالسلاح، إلا أن شوان لاي، أوضح للرئيس المصري، أن بلاده تعتمد في تسليح قواتها على ما تستورده من السلاح السوفيتي، بيد أنه أعلن عن استعداداته الكامل بمفاتيح الجانب السوفيتي في هذا الشأن⁽³⁶⁾. وشكل أيضاً تطور الأحداث في المنطقة العربية، والمتمثلة بالهجوم الإسرائيلي على غزة في الثامن والعشرين من شباط 1955⁽³⁷⁾، الذي ذهب ضحيته في ذلك الوقت أكثر من تسعة وثلاثين جندياً مصرياً⁽³⁸⁾، نقطة تحول رئيسة في الاتجاه المصري نحو الاتحاد السوفيتي، وحسمت موضوع الأسلحة من الكتلة الشرقية. وبعد مخاض طويل⁽³⁹⁾، أعلن الرئيس جمال عبد الناصر في السابع والعشرين من أيلول عام 1955، نجاح بلاده في التوقيع على اتفاقية مع تشيكوسلوفاكيا لتوريد السلاح إلى الجانب المصري⁽⁴⁰⁾، إذ تضمنت الصفقة طائرات من نوع (ميغ 15) وقاذفات ل - 28، مع دبابات من طراز ت 34، فضلاً عن اعتده ثقيلة⁽⁴¹⁾.

نظر الجانب الأمريكي إلى هذه الصفقة على أنها خسارة كبيرة لمصالحها في المنطقة، إذ أكد السفير الأمريكي في القاهرة هنري بايرو (Henry Bayrou) أن هذا الاتفاق شكل "صفعة قوية ومؤثرة من جانب الحكومة المصرية لعلاقتها مع الولايات المتحدة الأمريكية"⁽⁴²⁾.

وعلى الرغم من أن مصر قد تمكنت من التخلص من التبعية الغربية مع كسر احتكار الغرب في مسألة توريد الأسلحة، ألا أن هذه الصفقة قد شاحبا الغموض في تلك المدة. لكن المعلن عنه كان يشير إلى حصول مصر على معدات عسكرية متطورة⁽⁴³⁾، وأن الصفقة التي أبرمتها الحكومة المصرية كانت حاجة ملحة وضرورية، وليس بالإمكان تفاديها، ونظراً للتحركات العسكرية الإسرائيلية⁽⁴⁴⁾. أن مصر قد أنهت خلال عام 1955، اثنين من صفقات الأسلحة مع دول الكتلة الشرقية، إذ كانت الأولى صغيرة عقدت مع الحكومة التشيكوسلوفاكية. والثانية كانت أكبر وأكثر شهرة، إذ كانت هذه المرة مع الاتحاد السوفيتي، وقد تمت في الربع الأخير العام نفسه⁽⁴⁵⁾.

عدت صفقة الأسلحة هذه نقطة تحول مهمة في تاريخ المنطقة، لأنها مثلت نهاية حقبة زمنية قديمة. وعدت نصراً على المستوى السياسي للجانب السوفيتي، ونصراً في مجرى الصراع الدائر بين المعسكرين الشرقي والغربي⁽⁴⁶⁾، إذ ازداد النشاط السوفيتي بشكل ملحوظ في مصر، لاسيما بعد توقيع تلك الصفقة⁽⁴⁷⁾. وفي حديث له أكد الرئيس المصري عبد الناصر قائلاً: "استطعنا من أن نحصل على الأسلحة من روسيا لا من تشيكوسلوفاكيا، إذ وافقت روسيا على أمدادنا بالأسلحة، وتمت هذه الصفقة، وحصلت ضجة وقالوا أن السلاح شيوعي، ولكن أن السلاح هنا سلاح مصر"⁽⁴⁸⁾.

أبدى الشيوعيون المصريون ترحيباً كبيراً بصفقة الأسلحة التشيكية، لأن هذا يجعلهم -من وجهة نظرهم- أكثر صلة وارتباط بدول المعسكر الشرقي، فضلاً عن "الشعوب التي تصارع من أجل السلام". وهذا أنجاز كبير ومهم "الحركة السلام والحركة الديمقراطية في مصر والعالم"⁽⁴⁹⁾، وعبر الحزب الشيوعي المصري عن رأيه قائلاً "أن لمصر الحق في اختيار أي دولة يمكن أن تتعامل معها تجارياً وعسكرياً"، شرط أن يكون التعامل بعيداً عن التأثير والتدخل في الشؤون الداخلية، واحترام سيادة واستقلالية البلد، ومطالباً الحكومة المصرية، أن تراعي مصالح الشعب في تعاملها مع الدول. ومن هذا المنطلق دافع الحزب الشيوعي المصري عن صفقة شراء

مصر للأسلحة من تشيكوسلوفاكيا، رافضاً الضغوط التي مارستها "الحكومات الإمبريالية" تجاه الحكومة المصرية، من أجل التخلي والانسحاب عن هذه الصفقة والمترتبات الأخرى⁽⁵⁰⁾. وبدأت المنظمات الشيوعية المصرية ومنذ عام 1955، بالوقوف إلى جانب السلطة الحاكمة، وكان من بينها الحزب الشيوعي المصري "الرأية" و "حدثو"، إذ عبرت عن موقفها المساند لجمال عبد الناصر بشأن تلك الصفقة⁽⁵¹⁾.

وهكذا تغيرت وجهة نظر الحركة الشيوعية تجاه الثورة، ورأت إنها تشق طريقها باتباع سياسة وطنية مستقلة، تتماشى مع طموحات الشعب المصري ومصالحه، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن توقيع هذه الاتفاقية جاء على وفق التبادل التجاري المعمول به بين الدول، ولا يتخلله أي شرط قد يؤدي إلى المساس بالاستقلال الوطني وحرية اتخاذ القرار⁽⁵²⁾. ونظر الشيوعيون إلى تلك الصفقة على أنها قد تسهم بشكل كبير وفعال في مقاومة أي اعتداء تتعرض له مصر -في إشارة إلى الكيان الصهيوني-، وما يتلقاه من الدعم اللامحدود من جانب الولايات المتحدة الأمريكية⁽⁵³⁾، إلا أن الحزب الشيوعي المصري "الرأية"، وعلى الرغم من موقفه المساند لتسليح الجيش المصري، قد انتقد ما صرح به جمال عبد الناصر لوسائل الإعلام المصرية، بعد عقد صفقة الأسلحة في عام 1955، من أن هذه الصفقة تأتي "لتعزيز الأمن الداخلي". وهذا خلاف ما كان يطمح إليه الحزب الشيوعي، أن تستعمل هذه الأسلحة لأغراض دفاعية بحتة، مشدداً في الوقت نفسه على أن هذه الصفقة خطوة بالاتجاه الصحيح نحو حرية التجارة، واختيار البلد الذي ترغب في التعامل معه، دون أي ضغوط خارجية، على وفق ما تمليه عليه المنافع المتبادلة والمصالح المشتركة⁽⁵⁴⁾.

عد الحزب الشيوعي المصري توجه عبد الناصر نحو المعسكر الاشتراكي من خلال صفقة الأسلحة، دافعاً لتغيير منهج الحزب السياسي، متخلياً عن تحليله ورؤيته السابقة، متبعاً منهجاً جديداً في مساندة النظام والوقوف معه، على وفق المعطيات الموجودة على الساحة السياسية المصرية⁽⁵⁵⁾.

ومن هذا المنطلق والرغبة في إيجاد أواصر تقارب مع النظام، أوقف الشيوعيون حملاتهم المعادية للسلطة، إذ اثنوا على الرئيس جمال عبد الناصر من خلال وصفة بـ "المدافع الشجاع عن السلام والاستقلال"، وقد أعطى هذا التغير الإيجابي في موقف الشيوعيين تجاه النظام حافزاً لدى الحركات الشيوعية المصرية نحو تظافر الجهود، والاتفاق على تأسيس حزب شيوعي موحد، من خلال اتحاد جميع المنظمات الشيوعية لمساندة عبد

الناصر، جعل الأخير يعمل على تخفيف الضغط المسلط على الشيوعيين، والعمل على إطلاق سراح الكثير منهم⁽⁵⁶⁾.

وابدى الشيوعيون المصريون تغييراً كبيراً في موقفهم، لا سيما بعد مؤتمر باندونغ عام 1955، وعندما تمكن عبد الناصر من الحصول على تأييد السوفيت والإعجاب به في ذلك المؤتمر، فضلاً عن الشجاعة في اتخاذ قراره الحازم بتوقيع صفقة الأسلحة التشيكية⁽⁵⁷⁾، نظم الشيوعيين عام 1955، مؤتمراً في الجامعات المصرية، أعلنوا فيه أمام الجماهير حماساً، وأنهم يؤيدون وبقناعة تامة عقد صفقات السلاح مع المعسكر الاشتراكي⁽⁵⁸⁾.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم يتضح أن توجه الرئيس المصري جمال عبد الناصر نحو المعسكر الاشتراكي، شكل ضربة وخيبة أمل للولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها (إسرائيل)، إذ أيقنت الولايات المتحدة الأمريكية أن التقارب المصري - السوفيتي المتمثل بعقد صفقات أسلحة، سيظهر الاتحاد السوفيتي بمظهر المنافس لها في المنطقة، وسيعمل على زيادة المشكلات من الناحيتين العسكرية والاقتصادية، وربما سيؤدي إلى حدوث صراع عسكري أمريكي-سوفيتي من جهة. ومن جهة أخرى نظرت الحركة الشيوعية المصرية وتنظيماتها كافة إلى أن تقرب الرئيس جمال عبد الناصر نحو المعسكر الشرقي، سيشجع لها الفرصة في ممارسة نشاطها على الساحة السياسية المصرية، مدعوماً من الاتحاد السوفيتي.

الهوامش:

⁽¹⁾Charles B. Selak, The Suez Canal Base Agreement of 1954, American Journal of International Law, Vol. 49, Issue 4, N.P, October 1955, P. 487;

محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، المجلد 1، ط1، دار النهار للنشر، مصر، 1972، ص95.

⁽²⁾المادة 1 تجلو قوات صاحبة الجلالة جلاء تاماً عن الأراضي المصرية وفقاً للجدول المبين في الجزء (أ) من الملحق الرقم (1) خلال مدة عشرين شهراً من تاريخ التوقيع على الاتفاق الحالي. المادة 2 تعلن حكومة المملكة المتحدة انقضاء معاهدة التحالف المسقط عليها في لندن في السادس والعشرين من شهر أغسطس سنة 1936، وكذلك المحضر المتفق عليه، والمذكرات المتبادلة، والاتفاق الخاص بالإعفاءات والميزات التي تتمتع بها القوات البريطانية في مصر وجميع ما تفرع عنها من اتفاقات أخرى. المادة 3

تبقى أجزاء من قاعدة قناة السويس الحالية. وهي المبينة في المرفق (أ) بالملحق الرقم (2) في حالة صالحة للاستعمال ومعدة للاستخدام فوراً وفق أحكام المادة الرابعة من الاتفاق الحالي. وتحقيقاً لهذا الغرض يتم تنظيمها وفق أحكام الملحق الرقم (2).

المادة 4 في حالة وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على أي بلد قد يكون عند توقيع هذا الاتفاق طرفاً في معاهدة الدفاع المشهجر بين دول الجامعة العربية المسقط عليها في القاهرة في الثالث عشر من شهر نيسان سنة 1950، أو على هجريا، تقدم مصر للمملكة المتحدة من التسهيلات ما قد يحدث لازماً لتهيئة القاعدة للحرب وإدارتها إدارة فعالة. وتتضمن هذه التسهيلات استخدام الموانئ المصرية في حدود ما تقتضيه الضرورة القصوى للأغراض سالفة الذكر. **المادة 5** في حالة عودة القوات البريطانية إلى منطقة قاعدة قناة السويس وفقاً لأحكام المادة (4)، تجلو هذه القوات فوراً بمجرد وقف القتال المشار إليه في تلك المادة.

المادة 6 في حالة حدوث تهديد بهجوم مسلح من دولة من الخارج على أي بلد قد يكون عند توقيع هذا الاتفاق طرفاً في معاهدة الدفاع المشهجر بين دول الجامعة العربية، أو على هجريا يجري التشاور فوراً بين مصر والمملكة المتحدة. **المادة 7** تقدم حكومة جمهورية مصر تسهيلات مرور الطائرات وكذا تسهيلات النزول وخدمات الطيران المتعلقة برحلات الطائرات التابعة لسلح الطيران الملكي التي يتم الإخطار عنها. وتعامل حكومة جمهورية مصر هذه الطائرات فيما يتعلق بالإذن بأية رحلة لها، معاملة لا تقل عن= معاملتها لطائرات أية =دولة خارجية أخرى مع استثناء الدول الأطراف في معاهدة الدفاع المشهجر بين دول الجامعة العربية. ويكون منح التسهيلات الخاصة بالنزول وخدمات الطيران المشار إليها آنفاً في المطارات المصرية في قاعدة قناة السويس. **المادة 8** تقر الحكومتان المتعاقدتان حتى قناة السويس البحرية. التي هي جزء لا يتجزأ من مصر. طريق مائي له أهميته الدولية من النواحي الاقتصادية والتجارية والاستراتيجية، وتعربان عن تصميمهما على احترام الاتفاقية التي تكفل حرية الملاحة في القناة المسقط عليها في القسطنطينية في التاسع والعشرين من شهر أكتوبر سنة 1888. **المادة 9** (أ) لحكومة المملكة المتحدة حتى تنقل أية مهمات بريطانية من القاعدة أو إليها حسب تقديرها. (ب) لا يجوز حتى تتجاوز المهمات القدر المتفق عليه في الجزء (ج). من الملحق الرقم (2) إلا بموافقة حكومة جمهورية مصر. **المادة 10** لا يمس الاتفاق الحالي، ولا يجوز تفسيره على أنه يمس، بأية حال حقوق الطرفين والتزاماتهما بمقتضى ميثاق الأمم المتحدة. **المادة 11** تعد ملاحق هذا الاتفاق ومرفقاته جزءاً لا يتجزأ منه. **المادة 12** (أ) يظل هذا الاتفاق نافذاً مدة سبع سنوات من تاريخ توقيعه. (ب) تتشاور الحكومتان خلال الإثنى عشر شهراً الأخيرة من تلك المدة. لتقرير ما قد يلزم من تدابير عند انتهاء الاتفاق. (ج) ينتهي العمل بهذا الاتفاق بعد سبع سنوات من تاريخ التوقيع عليه، وعلى حكومة المملكة المتحدة حتى تنقل، أو تنصرف، فيما قد يتبقى لها وقتئذ من ممتلكات في القاعدة ما لم تتفق الحكومتان المتعاقدتان على أعطى هذا الاتفاق. **المادة 13** يعمل بالاتفاق الحالي على اعتبار أنه نافذ من تاريخ توقيعه وتبادل وثائق التصديق عليه في القاهرة في أقرب وقت ممكن. ينظر: موسوعة الكشف الإلكترونية.

على بنود اتفاقية الجلاء برئاسة الزعيم جمال عبد الناصر، 19 أكتوبر 2016، <https://www.kachaf.com/wiki.php?n=5ed92e7067717625af0ec3cd>؛ محمد السيد، تعرف

(3) قناة السويس: ممر مائي اصطناعي مزدوج المرور في مصر، يبلغ طولها 193 كم، وتصل بين البحرين المتوسط والأحمر، وتنقسم طولياً إلى قسمين: شمال وجنوب البحيرات المرة، وعرضياً إلى ممرين في أغلب أجزائها لتسمح بعبور السفن في اتجاهين في الوقت نفسه بين كل من أوروبا وآسيا. وتعد أسرع ممر بحري بين القارتين، وتوفر نحو 15 يوماً في المتوسط من وقت الرحلة عبر رأس الرجاء الصالح. بدأت فكرة إنشاء القناة عام 1798 مع قدوم الحملة الفرنسية على مصر، ففكر نابليون في شق القناة، إلا أن تلك الخطوة لم تكلل بالنجاح. وفي عام 1854 استطاع دي لسبس (De Lesseps) إقناع محمد سعيد باشا بالمشروع، وحصل على موافقة الباب العالي، فقام بموجبه بمنح الشركة الفرنسية برئاسة دي لسبس امتياز حفر وتشغيل القناة لمدة 99 عام. استغرق بناء القناة عشرة سنوات (1859 - 1869)، وأسهم في عملية الحفر نحو مليون عامل مصري، مات منهم أكثر من 120 ألف أثناء عملية الحفر، نتيجة الجوع والعطش والأوبئة والمعاملة السيئة. وتم افتتاح القناة عام 1869 في حفل مهيب وبميراث ضخمة. وفي عام 1905 حاولت الشركة الفرنسية تمديد حق الامتياز خمسين عاماً إضافية، إلا أن تلك المحاولة باءت بالفشل. وفي تموز عام 1956 قام الرئيس عبد الناصر بتأميم قناة السويس، الذي تسبب في إعلان بريطانيا وفرنسا بمشاركة "إسرائيل" الحرب على مصر ضمن العدوان الثلاثي الذي انتهى بانسحابهم تحت ضغوط دولية ومقاومة شعبية. للمزيد من المعلومات ينظر: أنجلو ساماركو، قناة السويس تاريخها ومشكلاتها، ط1، ترجمة: ولاء عفيفي عبد الصمد وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.

(4) محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، ص 95.

(5) محمد حامد أبو النصر، حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمون وعبد الناصر، مكتبة الإسكندرية، 1987، ص 127.

(6) جمال عبد الناصر (1918-1970): عسكري وسياسي مصري، ثاني رئيس جمهورية مصر العربية بعد محمد نجيب، ولد في شارع قنوات في حي باكوس الشعبي بالإسكندرية، تولى رئاسة الوزراء للمدة (1954-1956)، ثم أصبح في عام 1956 رئيساً لجمهورية مصر العربية، وفي عام 1958 أصبح جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة بعد إعلان الوحدة بين مصر وسوريا، وبقي في منصبه هذا حتى وفاته، وخلال مدة حكمه أعلن عن حل جميع الأحزاب السياسية وتفرد بالسلطة وحكم بطريقة نظام الحكم الشمولي. ينظر: هدى جمال عبد الناصر، سيرة تاريخية للرئيس جمال عبد الناصر، مكتبة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية. <http://nasser.bibalex.org/Common/pictures01-%20sira.htm>

(7) لجنة من المؤرخين المصريين، جمال عبد الناصر وعصره، إشراف وتقديم عادل غنيم، دار المعارف، القاهرة، 2012، ص 179.

- (8) بريزه زمالي ومروة كحاحلية ، مشروع الوحدة المصرية السورية 1958-1961 خلفياته ومصيره، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة التبسي-تبسة، الجزائر، 2017، ص18.
- (9) فؤاد المرسى، العلاقات المصرية-السوفيتية 1943-1956، دار الطباعة الحديثة ، مصر، 1975، ص136.
- (10) نقلاً عن: شوقي عبد الناصر، ثورة عبد الناصر، بيت العرب للتوثيق المصري، القاهرة، د.ت، ص 56.
- (11) حدثو: هي حركة شيوعية أسسها هنري كوريل منذ عام 1942 كانت تحمل اسم منظمة "حمّو"، ولكن سعى كوريل لدمج تلك الحركة "حمّو" مع بعض المنظمات والحركات الشيوعية مصر، وقد نجح في مسعاه ذلك واندجت العديد من الحركات مع "حمّو" منذ عام 1947، وغيرت اسمها باسم "حدثو" وهي اختصار لاسم منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني. ينظر: ألياس مرقص، تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1964، ص60؛ عبد المنعم شمس، أسرار الأحزاب الشيوعية في العالم العربي، كتب قومية للكتاب، الكتاب 114، د. م. د.ت، ص 6؛ محمود محمد سليمان، الأجانب في مصر 1922-1952 دراسة في تاريخ مصر الاجتماعي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، 1996، ص 173.
- (12) وثائق الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الثالث 1953-1954، بيان من الحركة الديمقراطية للتحرر (حدثو) إلى الشعب حول الدكتاتورية العسكرية، وضد معاهدة 54، الوثيقة رقم (1055)، 1954/7/30، ص407-409.
- (13) انصار السلام: في عام 1934 قامت جماعة من الماركسيين الأجانب في الإسكندرية بتأسيس "رابطة أنصار السلام"، بقيادة بول جاكودي كومب (Paul Jaca de Combe)، اقتصر نشاطها على أوساط الأجانب وأغلبية من اليهود. وكان للرابطة ثلاثة أهداف تسعى لتحقيقها، وهي أولاً: السلام بين جميع الشعوب، ومكافحة الحروب؛ ثانياً استقلال الشعوب والحرص على حريتها؛ ثالثاً الكفاح ضد الفاشية العنصرية. شهادات وروى، من تاريخ الحركة الشيوعية في مصر، ج 1، مركز البحوث العربية، لجنة توثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام 1965، ص 16؛ محمد يوسف عيدان، الموقف الحكومي من التنظيمات اليسارية في مصر 1922-1952، مجلة كركوك للدراسات الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كركوك، المجلد 1، العدد2، 2018؛ صحيفة السوسة الحرة المستقلة، 4 كانون الأول 2015؛ صلاح الأنصاري، من أرشيف اليسار المصري .. منظمة طليعة العمال 1945-1957، الحوار المتمدن: المحور: دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات، العدد: 22 آب 2007 - 2015. <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=106693>.
- (14) وثائق الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الثالث 1953-1954، بيان من اللجنة الوطنية المصرية لأنصار السلام عن مشروع اتفاقية الجلاء، الوثيقة رقم (262)، 1954/ 8/...، ص413-420.

⁽¹⁵⁾ وثائق الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الثالث 1953-1954، بيان من المواطن يوسف حلمي إلى الشعب المصري وشعوب العالم بعنوان "وقفية لا اتفاقية"، الوثيقة رقم (939)، 1954/ 8/4، ص 421-426.

⁽¹⁶⁾ الحزب الشيوعي "الرأية": وفي عام 1950 حاول بعض الشباب المصريين ممن أكملوا دراستهم في فرنسا إعادة التنظيم الشيوعي المصري السابق "الحزب الشيوعي المصري" إلى الواجهة. فقد نجح (فؤاد مرسى) في تشكيل قيادة مركزية تتكون من أربعة أشخاص كان المرسى على رأسهم، إذ تبلور عن النشاط الذي قامت به تلك القيادة النواة الأولى للحزب الشيوعي المصري. ففي مطلع كانون الثاني من العام نفسه، نشر الحزب الشيوعي المصري برنامجه السياسي المتضمن ضرورة القضاء على النظام الرأسمالي، والسعي لبناء مجتمع اشتراكي، مع التأكيد على الديمقراطية في إدارة الدولة. ولهذا يضع الحزب الشيوعي المصري على رأس الطبقة العاملة نصب عينه كهدف سياسي مباشر في الثورة الوطنية الديمقراطية أن يحقق على وفق النقاط الآتية: أولاً: تحرير مصر التام من الاستعمار البريطاني والكفاح المشترك مع الشعب السوداني ورفض أي تحالف عسكري مع الاستعمار أو أي مشاركة إلى جانب الاستعمار في حرب ضد الاتحاد السوفيتي. ثانياً: محاكمة جميع "الخونة" أمام المحاكم الشعبية أي جميع هؤلاء الذين يتعاونون مع الاستعمار. ثالثاً: قلب حكم البرجوازية "ويعني بحكم البرجوازية المستغلين في المدن والريف". رابعاً: السودان - وحدة بين مصر والسودان على أساس المساواة التامة بين الشعبين مع ضمان حق تقرير المصير للسودان. سمي الحزب الشيوعي المصري بـ "الرأية"، نسبة إلى مجلة الحزب "رأية الشعب"، التي كانت أهم مجلة شيوعية مصرية، حتى أن الحزب عرف بها، وظلت أغلبية الشيوعيين يعرفونه باسم الحزب الشيوعي المصري "الرأية". عبد القادر ياسين، الحركة الشيوعية المصرية والوحدة العربية وفلسطين، دار المسار، القاهرة، 2010، ص 91-95؛ وثائق الحركة الشيوعية المصرية 1944-1952، المجلد الأول، مشروع برنامج المنظمة الشيوعية المصرية والمذكورة التفسيرية، الوثيقة رقم 5، التاريخ 1948/9/30، ص 97-98.

⁽¹⁷⁾ وثائق الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الثالث 1953-1954، بيان من الحزب الشيوعي المصري (الرأية) حول اتفاقية الجلاء بعنوان "تسقط معاهدة عبد الناصر يسقط الخائن عبد الناصر"، الوثيقة رقم (125)، 1954/8/10، ص 427-428.

⁽¹⁸⁾ فؤاد مرسى، العلاقات المصرية - السوفيتية 1943-1956، ص 135.

⁽¹⁹⁾ عبد الله تركماني، الأحزاب الشيوعية في الشرق العربي والمسألة القومية من العشرينيات إلى حرب الخليج الثانية، ط 1، منشورات الآن، لبنان، 2002، ص 242.

⁽²⁰⁾ وثائق الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الثالث 1953-1954، بيان من الحزب الشيوعي المصري (الرأية) بعنوان "بيان إلى جميع الإخوان الوطنيين"، الوثيقة رقم (121)، 1954/8/31، ص 437-438.

⁽²¹⁾ وثائق الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الثالث 1953-1954، بيان من الجبهة الوطنية الديمقراطية إلى الشعب المصري ضد توقيع معاهدة الجلاء، الوثيقة رقم (759)، 1954/9/...، ص 441-442.

(22) وثائق الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الثالث 1953-1954، بيان من الحزب الشيوعي المصري (الرأية) بعنوان "قولوا ..لا" ضد معاهدة 1954، الوثيقة رقم (759)، 10/.../1954، ص 467-468.

(23) شهادات وروى، من تاريخ الحركة الشيوعية في مصر، ج1، ص71.

(24) وثائق الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الثالث 1953-1954، بيان من لجنة التنسيق للشيوعيين المصريين بوجه بحرى بعنوان " الخونة يبيعون الوطن-تسقط المعاهدة الخائنة"، الوثيقة رقم (1058)، 11/.../1954، ص 473-475؛ شهادات وروى، من تاريخ الحركة الشيوعية في مصر، ج2، ص45.

(25) وثائق الحركة الشيوعية المصرية، المجلد الرابع 1955-1956، بيان من الرفيق غالب سكرتير الحزب الشيوعي المصري (الرأية) بعنوان "الحلاء المزيف"، الوثيقة رقم (1024)، 8/.../1954، ص 11-30؛ سمير أمين، قضايا الشيوعية المصرية، وثائق الحزب الشيوعي المصري (الرأية) الوحدة والتعددية في الحركة نحو الاشتراكية 1955-1957، دار العين للنشر، الإسكندرية، 2014، ص23.

(26) أحمد القصير، سنوات اعتقال وثورات، الأمل للنشر والطباعة، القاهرة، 2010، ص84.

(27) دليل المناضل، تجارب حزبية، برنامج الحزب الشيوعي المصري، من وثائق المؤتمر الأول، ط1، دار بن خلدون للطباعة، بيروت، 1981، ص36.

(28) Charles B. Selak, Jr., Op. Cit., P. 487.

(29) هارولد أنتوني ناتنغ (1920-1999) : دبلوماسي وسياسي بريطاني في حزب المحافظين. خلال الحرب العالمية الثانية التحق بالسلك الدبلوماسي، وعمل ملحقاً في السفارة البريطانية في باريس. عندما سقطت فرنسا 1940، تم تعيينه في السفارة في مدريد، فقد نظم طرق هروب لجنود الحلفاء الذين تم القبض عليهم خلف خطوط العدو خلال المدة (1940-1944). عين سفيراً في روما في المدة (1944-1945) وكان سكرتيراً خاصاً لمدة وجيزة لأنتوني إيدن (Anthony Eden) شغل منصب عضو في البرلمان خلال المدة (1945-1956). وكان وزيراً للدولة للشؤون الخارجية خلال المدة (1954-1956). ينظر:

Encyclopedia Britannica, Chicago, 2009; https://www.goodreads.com/author/show/311671.Anthony_Nutting.

(30) شريف حتاتة، النوافذ المفتوحة، د.م. د.ت، ص611.

(31) فادية سراج الدين، المواجهة مصر وإسرائيل 1952-1956، مكتبة الأسرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002، ص42.

(32) فؤاد المرسى، المصدر السابق، ص137.

(33) عقد مؤتمر باندونغ في الثامن والعشرين من نيسان 1955، إذ جمع تسعة وعشرين دولة وهي: أفغانستان، وكمبوديا، والصين الشعبية، وإيران، واليابان، والأردن، ولبنان، والنيبال، والفلبين، والسعودية وسوريا، وتايلند، وتركيا، وفيتنام الشمالية، وفيتنام الجنوبية، واليمن، ومصر، وأثيوبيا، ولاوس، وساحل الذهب (غانا)، وليبيا، والسودان، وليبيريا، وبورما، والهند، وسيلان، وإندونيسيا، وباكستان والعراق، وعندما تم التوصل لأهداف المؤتمر كانت أحد نقاطه التحرر من الاستعمار. ينظر: منشورات العالم العربي في باريس، عدم الانحياز من بلغراد إلى بغداد، ط 1، 1982، ص 91؛ فريق الدراسات الاستراتيجية، تجربة العالم الثالث (مدخل عام)، ط 1، معهد الإنماء العربي فرع لبنان، بيروت، 1976، ص 74.

(34) شوان لاي (1889-1976): أول رئيس وزراء لجمهورية الصين الشعبية، تقلد مهام منصبه بدءاً من 1949 حتى وفاته في 1976. قام بدور فعال في تعزيز سيطرة الحزب الشيوعي على السلطة وتشكيل السياسة الخارجية وتنمية الاقتصاد الصيني. وساعدت مهارته الدبلوماسية في العمل لتولي منصب وزير الخارجية الصيني من 1949 إلى 1958. فقد دافع عن التعايش = السلمي مع الغرب بعد توقف الحرب الكورية في مؤتمر جنيف 1954 وساعد في تنسيق زيارة ريتشارد نيكسون 1972 للصين. وأسهم في وضع السياسات المرتبطة بالنزاعات الميزة مع الولايات المتحدة وتايوان والاتحاد السوفيتي والهند وبنم. وعُرف عنه أنه من كبار مساعدي ماو تسي تونغ، الذي رافقه مدة طويلة، وأنه كان متخصصاً في السياسة الخارجية.

<https://artsandculture.google.com/entity/>

(35) منذ ثورة 1952 بمصر والحكومة المصرية كانت تحاول تسليح الجيش المصري بأسلحة أمريكية أو بريطانية أو فرنسية. وظلت المفاوضات بين مصر من جهة، وتلك الدول من جهة أخرى لعامين (1953-1954) للحصول على أسلحة من المصانع الغربية، حتى إذا حدثت اعتداءات إسرائيلية على قرية قبية الفلسطينية الواقعة بالضفة الغربية لنهر الأردن عام 1953. وهجوم الجيش الإسرائيلي المفاجئ على موقع حربي مصري في قطاع غزة عام 1953، شددت مصر مطالبتها بالأسلحة من الدول الغربية الثلاث، فأرسلت بريطانيا إلى مصر أربعين دبابة حربية كافية. واشترطت فرنسا أن توقف مصر مساعدتها للثوار الجزائريين قبل الاستجابة للمطالب المصرية بالأسلحة. أما الولايات المتحدة فقد علقت إمداد مصر بالأسلحة بانضمامها لاتفاق دفاعي مع المعسكر الغربي الذي تنزعه الولايات المتحدة. ينظر: جيفري ارونسن، واشنطن تخرج من الظل السياسة الأمريكية تجاه مصر 1946-1956، تقدم محمد سيد أحمد، ترجمة سامي الرزاز، ط 1، دار الببادر للنشر، لبنان، 1987، ص 205-244؛ رأفت غنيمي الشيخ، أمريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر، ط 1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2006، ص 142-143.

(36) ممدوح محمد منصور، الصراع الأمريكي - السوفيتي في الشرق الأوسط، تقدم محمد طه بدوي، مكتبة مدبولي، مصر، 1995، ص 37.

(37) كان يوم الثامن والعشرون من شباط عام 1955، فاصلاً في تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي. أطلقت فيه "إسرائيل" أولى حملاتها العسكرية على قطاع غزة الذي كان يخضع في ذلك الحين للإدارة المصرية. كانت هناك استغزازات إسرائيلية مستمرة تستهدف خلق أجواء من التوتر في ظل عدم وجود رادع عسكري عربي، وكانت عين الكيان الإسرائيلي دوماً على مصر بعد قيام ثورتها في تموز 1952. وكان قد خطط لتوتير العلاقات بين القاهرة وكل من بريطانيا والولايات المتحدة. وبدأت الغارة على غزة في الساعة الثامنة والنصف من مساء الثامن والعشرين من شباط 1955، إذ اجتازت قوة مظلات إسرائيلية بقيادة أربل شارون خط الهدنة إلى داخل القطاع في عملية سميت بالسهم الأسود. قامت مجموعة من تلك القوة بنسف محطة المياه، وأخرى أغارت على مسكن مدير محطة سكة حديد غزة، وهوجم معسكر القوات المصرية القريب من المحطة. وطلب قائد المعسكر المساعدة من أقرب موقع عسكري مصري. وبالفعل أسرعت الشاحنات الناقلة للجنود لتلبية النداء، وهذا ما أرادت إسرائيل "على ما يبدو، إذ وقعت القوة القادمة في الكمين الذي أعده الإسرائيليون في الطريق، وسقط تسعة وثلاثين قتيلاً وثلاثة وثلاثين جريحاً. وعد الإسرائيليون أن ما قاموا به هو "عمل بطولي". وزعموا أن سبب الهجوم على غزة هو الثأر لمقتل أحد الإسرائيليين في (ديران - رخوبوت). ينظر: مدارات تاريخية 1955./2/28. أول عدوان إجرامي على غزة، مقالة نشرت على موقع البيان الإماراتي بتاريخ 28 فبراير 2009.

<https://www.albayan.ae/paths/2009-02-28-1.409917> .

(38) عبد القادر ياسين، الصدر السابق، ص 29.

(39) عبد الرحمن الرافعي، ثورة يوليو 1952، تاريخنا القومي في سبع سنوات 1952-1959، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1989 ص 197.

(40) Motti Golani, The Historical Place of the Czech-Egyptian Arms Deal, Fall 1955, Middle Eastern Studies, Vol. 31, No. 4, Israel, Oct., 1995, P.803; Jan Adamec , Czechoslovakia and Arms Deliveries to Syria 1955-1989, Les cahiers Irice 2013, P. 69; Thomas Michael Shaughnessy Skaggs, The Czech-Egyptian Arms Deal of 1955 : a turning point in Middle Eastern Cold War history, A Thesis Submitted to the Faculty of the College of Arts and Sciences of the University of Louisville in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in History, University of Louisville Louisville, Kentucky, December 2015.

(41) هيلين كاريز دانكوس، السياسة السوفيتية في الشرق الأوسط 1955-1957، ط2، ترجمة عبد الله إسكندر، دار الكلمة العربية، لبنان، 1983، ص 18.

(42) نقلاً عن: محمد عبد الوهاب سيد أحمد، العلاقات المصرية - الأمريكية من التقارب إلى التباعد 1952-1958، دار الشروق، القاهرة، 2007، ص 43.

-
- (43) نقلاً عن: جيفري أرونسن، المصدر السابق، ص23.
- (44) أحمد حمروش، قصة ثورة 23 يوليو، خريف عبد الناصر، ج5، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1984، ص23.
- (45) Remiginat, the Soviet Union and the Egypt, 1949-1955, London School of Economics and Policed Science, University London , 1991, P.3; F. R. U. S., 1955-1957, VOL. XIV , Telegram From the Embassy in Egypt to the Department of State, Cairo, August 31, 1955; F. R. U. S., 1955-1957, VOL. XIV ,Memorandum of a Conversation, Department of State, Washington, October 3, 1955, No. 323.
- (46) أياد طارق العلواني، سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية 1956-1964 (دراسة تاريخية)، ط1، دار سرمد للنشر، العراق، 2016، ص56.
- (47) لطيفة محمد سالم، أزمة السويس، الجذور، الأحداث، النتائج 1954-1957، كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، 2008، ص27.
- (48) خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر 1952-1959، الجزء السابع، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، ص1329.
- (49) شهادات ورؤى، من تاريخ الحركة الشيوعية في مصر، ج3، ص92.
- (50) سمير أمين، المصدر السابق، ص58.
- (51) عبد القادر ياسين، الحركة الشيوعية المصرية، الجذور، القسومات، المال، 1921-1965، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011، ص31.
- (52) مؤيد شاكر كاظم، موقف الحزب الشيوعي العراقي من القضايا القومية 1949-1958، مجلة جامعة ذي قار، كلية الآداب، العدد4، المجلد3، آذار 2008، ص7.
- (53) شهادات ورؤى، من تاريخ الحركة الشيوعية في مصر، ج3، ص136.
- (54) سمير أمين، المصدر السابق، ص95.
- (55) فؤاد المرسى، تطور الرأسمالية وكفاح الطبقات في مصر، المكتبة الاشتراكية، القاهرة، 1990، ص152.
- (56) عزة عاطف السيد إباضة، التيارات الايدلوجية وموقفها من الجمهورية الأولى 1952-1970، (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، 2018، ص174.
- (57) فؤاد المرسى، العلاقات السوفيتية -المصرية 1944-1956، ص275.
- (58) شهادات ورؤى، من تاريخ الحركة الشيوعية في مصر، ج4، ص46.

المصادر:

أولاً: الوثائق:

• الوثائق غير المنشورة:

أ. الوثائق لجنة توثيق الحركة الشيوعية المصرية

1. وثائق الحركة الشيوعية المصرية 1944-1952، المجلد الأول، تحرير سعد الطويل وآخرون، لجنة التوثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام 1965، ط1، 2007.
2. _____ 1953-1954، المجلد الثالث، تحرير سعد الطويل وآخرون، لجنة التوثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام 1965، ط1، 2011.
3. _____ 1953-1954، المجلد الرابع، تحرير سعد الطويل وحنان رمضان، لجنة التوثيق تاريخ الحركة الشيوعية المصرية حتى عام 1965، ط1، 2013.

ب. سلسلة " شهادات ورؤى " الصادرة عن لجنة توثيق الحركة الشيوعية المصرية

- الجزء الأول: ويضم شهادات (أحمد الجبالي - د خضر - ثريا شاكر - سعد الطويل - عدلي برسوم - عريان نصيف - مارسيل تشيريزي - محمد عبد الواحد - نجاتي عبد المجيد) ، تحرير عاصم الدسوقي، 1998.
- الجزء الثاني: ويضم شهادات (ثريا إبراهيم - سيد عبد الوهاب ندا - فخرى لبيب - فرسيس كيرلس - متولى محمد بحر - محمد فخرى - محمد الجندي - وداد ميري - يوسف درويش)، تحرير عاصم الدسوقي، 1999.
- الجزء الثالث: ويضم شهادات (جنيف سيفيداروس - حلمي ياسين - خالد حمزة - رزق مكارى - رشاد الملاح - رمسيس لبيب - سعد زهير - سعيد مصطفى - شريف حتاتة- عبد العال البسطاويسى - فوزى حبشى - حروس سليمان - محمد سيد أحمد)، تحرير عاصم الدسوقي، 2000.
- الجزء الرابع: ويضم شهادات (أديب ديمترى - أمينة رشيد - بهيج نصار - جمال البراد - حمزة البسيوني - شحاتة عبد الحليم - فؤاد مصطفى - متولى السلماوى - محمد شريف - معروف عبد الحميد - نبيل قرنفل)، تحرير عاصم الدسوقي، 2001.

• الوثائق المنشورة:

- Foreign Relations of the United States, 1955-1957, Suez Crisis, July 26-December 31, 1956, Volume XVI Editor:Nina J. Noring General Editor:John P. Glennon United States Government Printing Office, Washington,1990. <https://history.state.gov/historicaldocuments/frus1955-57v16>

ثانياً: الكتب الوثائقية.

1. دليل المناضل، تجارب حزبية، برنامج الحزب الشيوعي المصري، من وثائق المؤتمر الأول، ط1، دار بن خلدون للطباعة، بيروت، 1981.
2. سمير أمين، قضايا الشيوعية المصرية، وثائق الحزب الشيوعي المصري (الرأية) الوحدة والتعددية في الحركة نحو الاشتراكية 1955-1957، دار العين للنشر، الإسكندرية، 2014.

ثالثاً: الكتب الوثائقية.

1. هدى جمال عبد الناصر، سيرة تاريخية للرئيس جمال عبد الناصر، مكتبة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية. <http://nasser.bibalex.org/Common/pictures01-%20sira.htm>

رابعاً: الرسائل والاطاريح الجامعية:

1. بريز زمالي ومروة كحاحلية، مشروع الوحدة المصرية السورية 1958-1961 خلفياته ومصيره، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة التبسي-تبسة، الجزائر، 2017.
2. عزة عاطف السيد إياضة، التيارات الايدلوجية وموقفها من الجمهورية الأولى 1952-1970، (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، 2018.

خامساً: الرسائل والاطاريح المطبوعة باللغة الإنكليزية:

- Thomas Michael Shaughnessy Skaggs, The Czech-Egyptian Arms Deal of 1955 : a turning point in Middle Eastern Cold War history, A Thesis Submitted to the Faculty of the College of Arts and Sciences of the University of Louisville in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arts in History, University of Louisville Louisville, Kentucky, December 2015.

سادساً: الكتب العربية والعربية.

1. أحمد القصير، سنوات اعتقال وثورات، الأمل للنشر والطباعة، القاهرة، 2010.
2. أحمد حمروش، قصة ثورة 23 يوليو، خريف عبد الناصر، ج5، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1984.
3. ألياس مرقص، تاريخ الأحزاب الشيوعية في الوطن العربي، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1964.
4. أنجلو ساماركو، قناة السويس تاريخها ومشكلاتها، ط1، ترجمة: ولاء عفيفي عبد الصمد وآخرون، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015.

5. أياد طارق العلواني، سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية 1956-1964 (دراسة تاريخية)، ط1، دار سردم للنشر، العراق، 2016.
6. جيفري ارونسن، واشنطن تخرج من الظل السياسة الأمريكية تجاه مصر 1946-1956، تقديم محمد سيد أحمد، ترجمة، سامي الرزاز، ط1، دار البيادر للنشر، لبنان، 1987.
7. خطب وتصريحات الرئيس جمال عبد الناصر 1952-1959، الجزء السابع، مطابع شركة الإعلانات الشرقية.
8. رأفت غنيمي الشبخ، أمريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 2006.
9. شريف حتاته، النواقد المفتوحة، د.م، د.ت.
10. شوقي عبد الناصر، ثورة عبد الناصر، بيت العرب للتوثيق المصري، القاهرة، د.ت.
11. عبد الرحمن الرفاعي، ثورة يوليو 1952، تاريخنا القومي في سبع سنوات 1952-1959، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1989.
12. عبد القادر ياسين، الحركة الشيوعية المصرية والوحدة العربية وفلسطين، دار المسار، القاهرة، 2010.
13. عبد القادر ياسين، الحركة الشيوعية المصرية، الجذور، القسومات، المال، 1921-1965، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011.
14. عبد الله تركماني، الأحزاب الشيوعية في الشرق العربي والمسألة القومية من العشرينيات إلى حرب الخليج الثانية، ط1، منشورات الآن، لبنان، 2002.
15. عبد المنعم شميس، أسرار الأحزاب الشيوعية في العالم العربي، كتب قومية للكتاب، الكتاب 114، د. م، د.ت.
16. فادية سراج الدين، المواجهة مصر وإسرائيل 1952-1956، مكتبة الأسرة، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002.
17. فريق الدراسات الاستراتيجية، تجربة العالم الثالث (مدخل عام) ، ط1، معهد الإنماء العربي فرع لبنان، بيروت، 1976.
18. فؤاد المرسى، العلاقات المصرية-السوفيتية 1943-1956، دار الطباعة الحديثة ، مصر، 1975.
19. فؤاد المرسى، تطور الرأسمالية وكفاح الطبقات في مصر ، المكتبة الاشتراكية، القاهرة، 1990.
20. لجنة من المؤرخين المصريين، جمال عبد الناصر وعصره، إشراف وتقديم عادل غنيم، دار المعارف، القاهرة، 2012.

-
21. لطيفة محمد سالم، أزمة السويس، الجذور، الأحداث، النتائج 1954-1957، كلية الآداب، جامعة بنها، مصر، 2008.
22. محمد حامد أبو النصر، حقيقة الخلاف بين الإخوان المسلمون وعبد الناصر، مكتبة الإسكندرية، 1987.
23. محمد حسنين هيكل، عبد الناصر والعالم، المجلد 1، ط1، دار النهار للنشر، مصر، 1972.
24. محمد عبد الوهاب سيد أحمد، العلاقات المصرية - الأمريكية من التقارب إلى التبعاد 1952-1958، دار الشروق، القاهرة، 2007.
25. محمود محمد سليمان، الأجانب في مصر 1922-1952 دراسة في تاريخ مصر الاجتماعي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، مصر، 1996.
26. ممدوح محمد منصور، الصراع الأمريكي - السوفيتي في الشرق الأوسط، تقديم محمد طه بدوي، مكتبة مدبولي، مصر، 1995.
27. منشورات العالم العربي في باريس، عدم الانحياز من بلغراد إلى بغداد، ط1، 1982.
28. هيلين كاريز دانكوس، السياسة السوفيتية في الشرق الأوسط 1955-1957، ط2، ترجمة عبد الله إسكندر، دار الكلمة العربية، لبنان، 1983.
- سابعاً: الكتب المطبوعة باللغة الإنكليزية:
1. Motti Golani, The Historical Place of the Czech-Egyptian Arms Deal, Fall 1955, Middle Eastern Studies, Vol. 31, No. 4, Israel, Oct., 1995.
 2. Jan Adamec , Czechoslovakia and Arms Deliveries to Syria 1955-1989, Les cahiers Irice 2013.
 3. Remiginat, the Soviet Union and the Egypt, 1949-1955 ,London School of Economics and Policed Science, University London , 1991.

ثامناً: الدوريات المطبوعة باللغة العربية:

أ. المجالات:

1. مؤيد شاعر كاظم، موقف الحزب الشيوعي العراقي من القضايا القومية 1949-1958، مجلة جامعة ذي قار، كلية الآداب، العدد4، المجلد3، آذار 2008.
2. محمد يوسف عيدان، الموقف الحكومي من التنظيمات اليسارية في مصر 1922-1952، مجلة كركوك للدراسات الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كركوك، المجلد 1، العدد2، 2018.

ب. الصحف:

1. صحيفة السوسة الحرة المستقلة, 4 كانون الأول 2015.

تاسعاً: الدوريات المطبوعة باللغة الإنكليزية:

- Charles B. Selak, The Suez Canal Base Agreement of 1954, American Journal of International Law , Vol. 49 , Issue 4 , N.P, October 1955.

عاشراً: الدراسات والبحوث المنشورة على الانترنت:

1. محمد السيد, تعرف على بنود اتفاقية الجلاء برئاسة الزعيم جمال عبد الناصر, 19 أكتوبر 2016.

[/https://alwafd.news](https://alwafd.news)

2. صلاح الأنصاري, من أرشيف اليسار المصري .. منظمة طليعة العمال .. 1945-1957, الحوار المتمدن: المحور:

دراسات وأبحاث في التاريخ والتراث واللغات, العدد: 22 آب 2007 - 2015.

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=106693>

3. مدارات تاريخية 28/2/1955. أول عدوان إجرامي على غزة, مقالة نشرت على موقع البيان الإماراتي بتاريخ 28

فبراير 2009. <https://www.albayan.ae/paths/2009-02-28-1.409917.2009>

الحادية عشر: الموسوعات والروابط الإلكترونية:

1. <https://www.kachaf.com/wiki.php?n=5ed92e7067717625af0ec3cd>.
2. Encyclopedia Britannica, Chicago, 2009.
3. https://www.goodreads.com/author/show/311671.Anthony_Nutting.
4. <https://artsandculture.google.com/entity/>

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية للدومينيكان في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية
1882 – 1844

أ.د/ أيمن كاظم حاجم

جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ

الباحثة ربيعة شهيد محمد

جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الإنسانية/قسم التاريخ

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 م تاريخ التحكيم: 2021/04/13 م تاريخ النشر: 2021/06/15م
الملخص بالعربية:

لعل تسليط الضوء على المكانة الاستراتيجية والاقتصادية المهمة التي حظيت بها الدومينيكان في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية يعد تمهيداً ضرورياً لدراسة العلاقات الأمريكية الدومينيكانية خلال مرحلة التوسع التي شهدتها الولايات المتحدة منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فبما أن الدومينيكان كانت قد نالت استقلالها عن هايتي عام 1844، وحيث الحاجة لنيل وكسب اعتراف الدول الكبرى (فرنسا وإسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية) فهي يمكن اعتبارها الممهد للسيطرة الأمريكية على الاقتصاد الدومينيكي والتي بدأت إبان حكم (أمراء الحرب) وما قبلها، وذلك بتوطيد علاقات رؤسائها مع الإدارات الأمريكية التي هي الأخرى، ولكي تستغل أوضاع البلاد المتأزمة لصالحها، قد سعت في إطار تأمين مصالحها الاستراتيجية في قناة بنما إلى ترسيخ تلك العلاقات، كونها من جانب آخر كانت تسعى لتأمين السيطرة على خليج سامانا ومينائها، فتراها خلال النصف الثاني من القرن (19) قد كشفت مساعيها عبر إرسالها مبعوثيها للبلاد لتتمكن عام 1853 من التفاوض بشأن عقد إيجار جزيرة سامانا، لينتهي الأمر بعد ذلك بعقد معاهدي عام 1859 و1869 اللتان رسختا النفوذ الاستراتيجي والاقتصادي الأمريكي في الدومينيكان.

الكلمات المفتاحية : خليج سامانا، وليام كازينيو، يوليسيس غرانت.

**The strategic and economic importance of Dominicans in the foreign
policy of the United States of America 1844 -1882**

Assistant .Prof . Dr. ymen K. Hachem

Researcher :Rabia Shahid Muhammad al-Hasan

**Basra University, College of Education for Human Sciences,
Department of History**

2020

1441

Abstract:

Perhaps highlighting the important strategic and economic position that the Dominicans have enjoyed in the foreign policy of the United States of America is a necessary prelude to studying the American-Dominican relations during the expansion phase that the United States has witnessed since the second half of the nineteenth century, since the Dominicans had gained its independence from Haiti in 1844 And since the need to obtain and gain the recognition of the major countries (France, Spain and the United States of America), it can be considered the pavilion for American control over the Dominican economy, which began during the rule of the (warlords) and before it, by strengthening the relations of their leaders with the American administrations that are the other, and in order to exploit the situation of the country Struggling in its favor, it sought, in the framework of securing its strategic interests in the Panama Canal, to consolidate these relations, being on the other hand seeking to secure control over Samana Bay and its port, so we saw that during the second half of the 19th century, it intensified its efforts by sending its envoys to the country to enable it in 1853 Negotiating a lease on the island of Samana, to end up with the treaty of 1859 and 1869 that established fundamental influence American strategist and economist in the Dominican Republic.

Keywords: Samana Bay, William L. cazneau, Ulysses Grant.

المقدمة

تناول هذا البحث أهمية جمهورية الدومينيكان كموقع جغرافي استراتيجي هام في السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، سيما سياستها القائمة على مبدأ التوسع في مجتمعات نصف الكرة الغربي الذي مارسه إدارتها المتعاقبة ابان النصف الثاني من القرن التاسع عشر وما قبل ذلك وفق استخدام الأسلوب الدبلوماسي وعقد الاتفاقيات او الحروب لضم اراضي تلك المجتمعات اعتباراً لما يضمن وتحقيق

تأمين وحماية مصالحها الاقتصادية والعسكرية هناك. فجمهورية الدومينيكان بحكم طابع موقعها الجغرافي المميز في أميركا اللاتينية تحتم جعلها حليفاً استراتيجياً للولايات المتحدة الأميركية في المنطقة خصوصاً بعد أن أدركت مكانتها العسكرية والاستراتيجية الهامة لديها. هذه الأهمية التي تزايدت بعد توقيع معاهدة مالارينو - بيدلاك *Mallarino - Biblak treaty* مع غرناطة الجديدة عام 1846، الأمر الذي شكل حافزاً أمام الإدارات الأميركية ورؤسائها من أجل السعي لضم الجزيرة أو عقد اتفاقية معها لتثبيت موطن قدم لها فيها إلا أنها رغم ذلك كانت محاولات فاشلة نتيجة لعدة أسباب.

على أثر استقلال الدومينيكان في السابع والعشرين من شباط عام 1844 تأسس في العاصمة سانتودومينغو مجلساً عسكرياً بزعامة أحد الآباء المؤسسين وهو دوارتي رامون ماتياس ميلان، إذ تولى هذا المجلس إدارة الدومينيكان مؤقتاً فأصدر في السادس من تشرين الثاني من العام نفسه دستوراً للبلاد، هذا الدستور الذي عدّ دستوراً ليبرالياً سيما وأنه كان مزيجاً بين جملة من الدساتير الليبرالية التقدمية التي شرعت إبان تلك المدة، ولعل في مقدمتها دستور الولايات المتحدة الأميركية 1789 - The United States Constitution 1789⁽¹⁾، والدستور الفرنسي 1791⁽²⁾، وأن أهم ما يميز ذلك الدستور هي مسألة الفصل ما بين السلطات، وأن الشعب هو المصدر الرئيس والأساسي للسلطات سيما التشريعية التي يمثلها الكونغرس (مجلس النواب) ويضم 24 نائباً وبمعدل عضوين عن كل محافظة يتم انتخابهم بالاقتراع المباشر من قبل الشعب⁽³⁾. واستناداً إلى المادة (210) منه التي نصت على "أن رئيس الجمهورية يتم انتخابه من قبل الشعب بالاقتراع المباشر لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد مرة واحدة عبر الانتخابات، وعلى أثر ذلك جرت الانتخابات الرئاسية في 13 تشرين الثاني 1844 وفاز بها بيدروسانتانا لان زعيم حركة الثالوث خوان بابلو دوارتي لم يشترك فيها بسبب مرض كان قد ألمّ به وجعله عاجزاً⁽⁴⁾.

بعد الإعلان عن تأسيس جمهورية الدومينيكان وانتخاب سانتانا أول رئيس لها، كانت جمهورية الدومينيكان من أحوج ما يكون إلى تثبيت وجودها الرسمي خارجياً، عبر الحصول على اعتراف الدول الكبرى آنذاك بعد أن وطدت أركان حكمها داخلياً. ولاسيما أن حكومة سانتانا الفتية كانت قد أيقنت وأدركت بأن خير وسيلة لها تستطيع بها درء الأخطار ودفع احتمالية تجدد الغزو الهايتي لها، هو نيل اعتراف الدول الكبرى وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية. فالأخيرة كانت طامحة ومستعدة لإقامة

علاقات ثنائية مع الدومينيكان، هذه العلاقات التي من شأنها أن تعزز وتؤمن مصالحها الاستراتيجية في بنما والتي سعت جاهدة لتوطيدها في العام نفسه عبر عقد اتفاقية مع كولومبيا العظمى حول الحصول على موطن قدم لها في بنما⁽⁵⁾. أن المتمعن في دوافع كلا البلدين في إقامة العلاقات الدبلوماسية الثنائية سيعرف يقينا أن تلك العلاقات كان يكمن ورائها دافع ومحركات عسكرية واستراتيجية، فالدومينيكان تطمح بالحصول على الدعم العسكري لدرء الأخطار الهايتية عن أراضيها مقابل تعهدها بتأمين المصالح الأميركية الاستراتيجية في بنما الكولومبية.

وبناءً على ذلك كان وزير الخارجية الأميركي آنذاك وهو جون كالهون - John Calhoun⁽⁶⁾، قد ابلغ الرئيس الأميركي جيمس مونرو - James Monroe⁽⁷⁾، بضرورة اعتراف الولايات المتحدة الأميركية الرسمي بالحكومة الناشئة في الدومينيكان برئاسة سانتانا، وقد كان ذلك في كانون الأول من عام 1844 أي في الشهر الأخير من مدة رئاسة الرئيس تايلر⁽⁸⁾. وفي عهد خليفة الرئيس جيمس بولك - James K. Polk⁽⁹⁾، لم يتوان الأخير عن تنفيذ أرادة سلفه والرامية إلى توطيد علاقات الولايات المتحدة الأميركية بجمهورية الدومينيكان. وفعلاً في آذار من عام 1845 أرسلت الإدارة الأميركية مبعوث الرئيس الخاص جون هوكان - John Hogan وهو أول مبعوث رسمي أميركي رفيع المستوى يرسل إلى الدومينيكان في مهمة رسمية دبلوماسية تنص على إبلاغ حكومة سانتانا بنية الولايات المتحدة الأميركية الاعتراف بها، وبالمقابل معرفة ماهي المكاسب التي ستحصل عليها حكومته من وراء هذا الاعتراف⁽¹⁰⁾.

وفي تقرير هوكان الذي قدمه للرئيس بولك عام 1845 أوصى به إدارة الأخير بضرورة الاعتراف بحكومة سانتانا، سيما إن هذا الاعتراف قد يُعد رادعاً لأية محاولة هايتية لفرض سيطرتها على الدومينيكان مستقبلاً، وتحذيراً لأية دولة أخرى قد تسعى لتحويل الدومينيكان إلى مستعمرة تابعة لها، حيث أن هذا الاعتراف سيجعل الدومينيكان دولة من دول أميركا اللاتينية لها كيائها المستقل وتتمتع بالحماية التي وفرها مبدأ مونرو - Monroe Doctrine⁽¹¹⁾، لتلك الدول⁽¹²⁾. هذا من جانب ومن جانب آخر فقد تزايدت أهمية الدومينيكان كحليف استراتيجي للولايات المتحدة الأميركية بسبب موقعها المميز في المنطقة فهي تطل بجزئها الشمالي على المحيط الأطلسي والجزء الجنوبي على البحر الكاريبي فقد تعاظمت أهمية هذا الموقع بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية بعد توقيع الأخيرة معاهدة مالارينو -

بيدلاك - The Mallarino Biblak⁽¹³⁾، أو معاهدة السلام والصداقة والتجارة والملاحة أو ما يسمى بمعاهدة غرناطة الجديدة - New Granda في عام 1846 مع كولومبيا العظمى. هذه المعاهدة التي منحت للولايات موطن قدم في بنما ومنحت سفنها العسكرية والتجارية حق عبور البرزخ البنمي، إذ كان على سفن الولايات المتحدة الأمريكية، حتى تعبر البرزخ البنمي أن تمر عبر المياه الإقليمية للدومينيكان⁽¹⁴⁾. وبناءً على ذلك فإن وقوع الدومينيكان تحت السيطرة الهايتية أو أي دولة أوروبية استعمارية (كفرنسا وبريطانيا) سيجعل من معاهدة مالارينو - بيدلاك غير ذات جدوى اقتصادية أو عسكرية للولايات المتحدة الأمريكية. إلا أن سياسة التوسع التي كانت تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية في الأمريكتين عبر ضم الأراضي الجديدة لها بالأسلوب الدبلوماسي وعقد الاتفاقيات أو الشراء تارة، ومثال ذلك الأراضي الواقعة جنوب خط عرض 49 شمالاً التي حصلت عليها من بريطانيا عام 1846 مقابل (7) مليون دولار أميركي⁽¹⁵⁾، أو جنوبها للحرب تارة أخرى، كما في الحرب الأمريكية المكسيكية عام 1846 والتي حصلت على أثرها على كل من تكساس وكاليفورنيا ونيومكسيكو من المكسيك⁽¹⁶⁾، جعلها تتخلى عن فكرة الاعتراف باستقلال الدومينيكان وتفكر بإمكانية ضمها إليها. إلا أنها كانت بحاجة إلى ذريعة للتدخل في الشأن الداخلي الدومينيكاني تمهيداً لفرض سيطرتها عليها. ويبدو أن هذه التوجهات الأمريكية كان لها ما يغذيها إلى جانب الأسباب آنفه الذكر ألا وهي رسالة المبعوث الأمريكي إلى الدومينيكان والمدعو جوناثان اليوت - Jonathan Elliot الذي كان قد رفع تقريراً إلى إدارته عام 1847 بعد زيارة دبلوماسية قام بها إلى الدومينيكان في العام نفسه جاء فيها "... أن سانتانا يسعى جاهداً إلى تحقيق التعاون مع الدول الأوروبية وعقد الاتفاقيات التي تخدم مصالحه الخاصة ... أو لوقف التهديد الهايتي لحكومته. لذلك على الولايات المتحدة أن تفكر ملياً بإمكانية ضم الدومينيكان لها"⁽¹⁷⁾. واستناداً إلى ما تقدم يمكننا أن نستشف من رسالة اليوت إلى إدارة بلاده بأنها لم تكن تحريضية، بقدر ما كانت نابعة من مخاوفه من أي محاولة أوروبية للسيطرة على الدومينيكان، وتحويلها إلى مستعمرة قد تهدد المصالح الاقتصادية والاستراتيجية للولايات المتحدة في المحيط الأطلسي والبحر الكاريبي. ولكي تحقق الولايات المتحدة تطلعاتها في الدومينيكان، بدأت ومن خلال عملائها بإثارة أعمال الشعب ضد حكومة سانتانا، ولا سيما أن الأخير كان يعاني رفضاً جماهيرياً ولا يحظى بدعم أي من الأوساط الشعبية. وتحت وطأة ذلك الرفض الشعبي فضلاً عن تأزم الوضع الاقتصادي آنذاك لم يجد سانتانا بديلاً

عن تقديم استقالته في شباط 1848⁽¹⁸⁾. لكن بدء الغزو الهايتي للدومينيكان عام 1849، من الإمبراطور فوستين سولوك - Faustin Soulouque⁽¹⁹⁾ كان قد دفع سانتانا للعودة أبان حكومة الرئيس مانويل خيمينز - Manuel Jimenes⁽²⁰⁾ المؤقتة، ليتولى قيادة الجيش الدومينيكي والتصدي للقوات الهايتي الغازية، إذ تمكن من هزيمة الأخيرة في واحدة اشد المعارك ضراوة التي خاضتها القوات الدومينيكية في تاريخها وهي معركة لاس كسيراس - Las Csrreras وذلك في 21 نيسان عام 1849⁽²¹⁾. بعد هذا الانتصار عمد الرئيس خيمينز المؤقت على إجراء تعديلات على الدستور بهدف توسيع صلاحيات رئيس الجمهورية، إلا أن هذه التعديلات مكنت رامون بوينا فنتورا بايز - Ramon Buenaventura Baes⁽²²⁾. وهو واحد من أبرز السياسيين من الفوز بالانتخابات الرئاسية التي جرت في آب من العام نفسه⁽²³⁾ وهذا الأخير كان معروفاً بعلاقاته الحسنة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وعدداً عن الدول الأوربية الكبرى. ما أن تولى بايز دكة الحكم حتى سعى الى تعزيز وتوثيق علاقات بلاده بالولايات المتحدة الأمريكية، لغرض الحصول على اعترافها بحكومته، في وقت كانت فيه الولايات المتحدة راغبة هي الأخرى بتوثيق علاقتها بحكومته من أجل الحصول على شبه جزيرة سامانا لكي تتحكم بمينائها البحري الواقع في الشرق والموازي للمحيط الأطلسي ولربما أيضاً كان لحماية تجارتها المهمة في المنطقة من خطر الدول الأوربية التي كانت تهدد وجودها⁽²⁴⁾. ولعل السبب الذي يكمن وراء سعي الولايات المتحدة الأمريكية في للسيطرة على جزيرة سامانا هو أن مينائها البحري كان يشرف ويتحكم بالممر المائي المعروف بـ مينا - Mina والذي يقع في المحيط الأطلسي ويربط قارة أميركا اللاتينية بأوروبا عبر قناة بنما⁽²⁵⁾.

ومن المفيد ذكره أنه في ضوء تعزيز العلاقات الدومينيكية الأمريكية أثناء تسلم بايز للسلطة، أن الأخير كان ولغرض تحقيق طلبه للحماية أو الضم، ولاسيما بعد سعيه دون جدوى للحصول عليهما من الدول الأوربية، (فرنسا وبريطانيا)، كان قد كثّف مساعيه في السياق مع الولايات الأمريكية، طالباً الضم منها عبر اتصاله بأحد ممثليها في سنتادومنيغو بشأن ذلك، وبما أن الإدارة الأمريكية كانت تتحين الفرصة المناسبة من أجل مفتحة الحكومة الدومينيكانية بمسألة شبه جزيرة سامانا، فقد جاءت الفرصة لها فعلاً لتحقيق أهدافها الاستراتيجية في الجزيرة ومينائها، في أيلول من عام 1849 الشهر نفسه ورداً على ما أبداه بايز من مبادرة أرسلت إدارة الرئيس جيمس بولك مبعوثاً آخر لها إلى سانتودومنيغو، ليقدم إلى بايز عرضاً

بهذا الصدد، نص على "منح الحماية للدومينيكان والاعتراف باستقلالها إلا أن ذلك لا يمكن تحقيقه دون مقابل". وتعني من ذلك هو ضرورة حصولها على ضمانات مقابل حمايتها من هايتي⁽²⁶⁾.

وعلى اثر ذلك الرد، يصح القول بأن جهود الرئيس بايز عام 1849 لضم الجمهورية قد انتهت بالفشل. لكن ما كان لذلك الفشل أن يشكل عائقاً أو مانع له من مواصلة مساعيه لتحقيق هدفه. ففي عام 1850 كان الإمبراطور فورستن قد جدد هجماته على الدومينيكان، فما كان الرئيس بايز ألا أن طالب مساعدة الولايات الأمريكية عندما طلب منها "ضرورة التدخل لوقف الحرب مع هايتي" بواسطة التفاوض مع سولوك، وبموجب ذلك الطلب دخلت الولايات المتحدة الأمريكية في حلف ثلاثي ضم كلا من فرنسا وبريطانيا ضد سولوك لتفرض قراراتها عليه، قاصدةً من وراء ضغطها على حكومة هايتي بتلك الطرق التوصل إلى مفاوضات جديدة مع الحكومة الدومينيكية، لكن إصرار الإمبراطور الهايتي وثباته في موقفه بعدم الاعتراف باستقلال الدومينيكان وفصلها عن هايتي، قد انهي المفاوضات الهايتية - الأمريكية الأوربية عام 1851 بالفشل، مما ساهم في فشل ما خططت له الولايات الأمريكية وهو التوسع في الدومينيكان أبان حكومة بايز أيضاً⁽²⁷⁾.

داخلياً، وفي ظل تأزم الوضع الخارجي الذي تمثل بتشدد الإمبراطور فوستين بموقفه ورفضه الاعتراف باستقلال الدومينيكان من جانب وتزايد الأطماع الأوربية الأمريكية في الداخل أبان حكومة بايز من جانب آخر، كانت الانتخابات الرئاسية في الدومينيكان قد جرت عام 1853، فانتخب الرئيس السابق بيدرو سانتانا رئيساً للجمهورية بموجب الدستور وذلك بفوزه في الانتخابات في شباط من العام نفسه على منافسه الرئيس بايز فنتورا⁽²⁸⁾.

ووفقاً لذلك كان سانتانا قد مثل السلطة، ألا أن هذا الأخير لم يكن بإمكانه اتخاذ أي إجراء يستطيع من خلاله تغيير موقف حكومة هايتي من استقلال بلاده، فضلاً عن عدم قدرته على إيقاف التوسع الأمريكي الأخذ بالتصاعد حتى صار يهدد سلامة الجمهورية الدومينيكية، وهو ما تمثل بوصول مبعوثا إدارة الرئيس فرانكلين بيرس - Franklin Pierce⁽²⁹⁾ هما جورج بي ماكلان - George B. McClellan ووليام كازينو - William L. Cazneau⁽³⁰⁾ إلى سانتو دومينغو للتفاوض مع الحكومة الدومينيكية حول مشروع (عقد إيجار) لجزيرة سامانا ومينائها للولايات المتحدة الأمريكية، وكان الهدف من ذلك هو تأسيس قاعدة عسكرية للبحرية الأمريكية فيها. ألا أن الولايات الأمريكية وبغض

النظر عن ذلك كانت قد شرعت ومن قبل بدئها للمفاوضات المقررة، بإرساء نفوذها في الجزيرة، فأجرت عمليات مسح على أراضي الجزيرة نفسها، مما دعا لمعارضتها من قبل فرنسا وبريطانيا، اللتان بدأتا آنذاك بالعمل لتقليل الثقة بـ الإدارة الأميركية من قبل حكومة سانتانا، عبر إثارة مخاوف الشعب الدومينيكي بأن الولايات الأميركية ترمي من وراء حصولها على أراضي في الجزيرة إلى إيجاد مجتمع من الزنج الأميركيين في الداخل⁽³¹⁾.

لم تعبء الولايات المتحدة الأميركية بمواقف كل من بريطانيا وفرنسا ومضت قدماً في تنفيذ مخططاتها الاستراتيجية والاقتصادية في الدومينيكان، حيث أجرى ماكلان وكازينو المفاوضات مع الحكومة الدومينيكية خلال عام 1853 لأجل الحصول على العقد المذكور سلفاً، وليتم توصيل الطرفان من خلال ذلك إلى توقيع مشروع معاهدة تولى وليم كازينو مسؤولية عرض مسودتها على إدارة بلاده لأعدادها بالشكل الذي يتيح لها الحصول على كافة الحقوق الاقتصادية والامتيازات في الجزيرة ومينائها. وفي 8 أيلول 1854 كانت المعاهدة قد عدت للتوقيع عليها، مما عرض الرئيس الدومينيكي سانتانا، للتهديد من قبل الدول الأوروبية (فرنسا وبريطانيا)، وذلك باتخاذ قرار سحب مساعدتهما له في حال توقيع المعاهدة الأميركية الدومينيكية أعلاه دون إجراء التغيير في بنودها⁽³²⁾.

وبناءً على ما تقدم وتحت ضغط تلك التهديدات، أجرى بيدروسانتانا التعديلات على نص المعاهدة الأنف ذكرها وذلك بموافقه كازينو الذي وقع على المعاهدة بموجب ما طرأ عليها من تعديلات وقدمها لحكومته تمهيداً لعرضها على الكونغرس الأميركي للمصادقة عليها بالمقابل كان الكونغرس الدومينيكي صادق على المعاهدة في 5 كانون الأول عام 1854. ألا أن المعاهدة نفسها بالرغم من إعلان مصادقة المجلس الدومينيكي عليها لم تكن لتحظى بمصادقة وقبول نظيره الأميركي، بذريعة أن ما ادخل على بنودها من تعديلات كان بتدخل أوروبي، وليس بإرادة الحكومة الدومينيكية وهذا ما لا يمكن أن يتقبله الكونغرس⁽³³⁾، وبذلك تم رفضها للمعاهدة.

إزاء رفض الكونغرس المصادقة على المعاهدة، وما رافقه من اضطراب في الدومينيكان تمثل بمحوم عسكري جديد شن من قبل القوات الهايتية على الدومينيكان في شباط عام 1855، كانت المفاوضات الأميركية-الدومينيكية قد توقفت، ولم تستأنف إلا بعد هزيمة القوات الهايتية وإجبارها على التقهقر عبر حدودها في كانون الثاني 1856 على يد القوى المحلية بقيادة سانتانا، إذ تقرر على أثر ذلك الانتصار عزم

الحكومة الدومينيكية على استعادة المفاوضات مع المبعوث الأمريكي نفسه، وليترتب على أثر ذلك توصل الطرفان إلى توقيع معاهدة اقتصادية تجارية جديدة عام 1856، تم بموجبها موافقة الرئيس الدومينيكي على تأجير عدد من الممرات المائية في جزيرة سامانا وخليجها للولايات المتحدة الأمريكية لغرض استعمالها كمحطات لتزويد سفنها بالوقود. لكن مع ذلك وبالرغم مما منحتة حكومة الدومينيكان للولايات المتحدة من امتيازات فهي لم تمنحها حق إنشاء قاعدة بحرية في الجزيرة وهو الهدف الأسمى للولايات المتحدة وغاياتها في الدومينيكان، وعلى أثر ذلك رفض الكونغرس الأمريكي القبول والمصادقة على المعاهدة للمرة الثانية على التوالي⁽³⁴⁾.

على وفق ما تقدم يمكننا الاستنتاج على أن موقف فرنسا وبريطانيا المعارضة والرافضة للوجود الأمريكي في الدومينيكان قد يكون نابعاً في الأساس من التهديد العسكري والاستراتيجي الذي يمكن أن تشكله الولايات المتحدة الأمريكية على مصالحهم الاقتصادية والحيوية في جزر الأنتيل خاصة ونصف الكرة الغربي عامة. بعد حصول الولايات المتحدة الأمريكية على موطن قدم في البرزخ البنمي وتأمين ذلك التواجد استراتيجياً وعسكرياً حصولها على جزيرة سامانا في الدومينيكان. وقد تزامن هذا الأمر مع السياسة التوسعية الاستعمارية التي انتهجتها الولايات المتحدة الأمريكية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

وعلى اثر فشل المفاوضات الأخيرة بين الطرفين وانتهائها بالشكل الآنف ذكره أعلاه، قررت الحكومة الدومينيكية عام 1856 إعادة الحكم الإسباني من جديد للجمهورية. وبات أمر الدخول في مفاوضات لعقد اتفاقية مع إسبانيا عنصراً مهماً في تفكير الرئيس سانتانا، وليكون اتخاذه لهذا الأمر "بديلاً عن التنازل عن جزيرة سامانا للولايات المتحدة". وما أن شرع الرئيس سانتانا باتخاذ التدابير اللازمة لعقد اتفاقية الضم لبلاده مع إسبانيا حتى اضطرب الوضع الداخلي لبلاده، حيث نشط دور المعارضة واشتد ضد سانتانا لوقف ما تفاوضت بشأنه حكومته مع إسبانيا، وكان ذلك بدفع من قبل القنصل الأمريكي، مما أدى إلى تقديم استقالته الثانية في 26 أيار 1856، وعودة الرئيس بايز لتولي السلطة خلال الشهر نفسه، وبحيى بايز، كانت هايتي قد أعادت تجهيز قواتها وغزت الأراضي الدومينيكية مرة أخرى في كانون الأول لعام 1856 وبقوة عسكرية بلغت تعدادها (6000) جندي، لكن القوات الدومينيكية تمكنت من صدّها وهزمتها في عدة مواجهات ومعارك كمعركة سانتومي - Santome ومعركة سابانا لارغا - Sabanaa

Larga التي حدثت عند منطقة اوانامينث - Ouanaminthe الحدودية أوائل كانون الثاني عام في 1857، حيث منيت خلالها القوات الهايتية المهزومة بخسائر بشرية هائلة، فضلاً عن ما لحق بالإمبراطور الهايتي على أثرها من رفض شعبي. ولولا الموقف الأوربي المتمثل بفرنسا وبريطانيا بالتدخل لإقناع سولوك بوقف الحرب بين البلدين ما كان للحرب أن تنتهي إطلاقاً. لكن سولوك اعتباراً لموقف تلك الدول أعلن موافقته على إقامة السلام مع الدومينيكان وهو سلام مؤقت أمدته عامين فحسب ابتداءً من عام 1857⁽³⁵⁾.

لم يمض سوى شهرين على التولي بايز السلطة حتى اندلع تمرد ضده حكمه قاده بيدرو سانتانا انتهى بالإطاحة به في تموز عام 1858، وانتخاب سانتانا رئيساً للجمهورية، وما أن انتخب سانتانا حتى بدأ بمواصلة جهوده ومحاولاته لضم الجمهورية وتأمين لإسبانيا وتأمين الحماية الأجنبية لها⁽³⁶⁾. ففي الأول من تشرين الأول 1858، افتتحت المفاوضات بسرية تامة بين سانتانا والحكومة الإسبانية لطلب حماية الأخيرة، على الرغم من إن المفاوضات مع إسبانيا لم لسفر عن شيء في بدايتها، وعلى الرغم من ذلك لم تصل إلى طريق مسدود مع الطرفين. وأثناء ما كان عليه الأمر بين الدومينيكان وإسبانيا، كانت الولايات الأمريكية قد هيأت نفسها لإعادة البت في موضوع جزيرة سامانا بالتفاوض مع سانتانا، وذلك لغرض إقامة مشاريعها واستثماراتها الاقتصادية والعسكرية في الجزيرة لاسيما بعد فشلها في الوصول إلى مبتها خلال مفاوضات عامي 1854 و1856 السابقة، فأرسلت وليم كازينو إلى سانتودومينغو للمرة الثالثة في أوائل عام 1859، وقد تم اختياره لتمثيل إدارة الرئيس جيمس بوكنان - James Buchanan⁽³⁷⁾، في استئناف المفاوضات حول معاهدة عام 1856 مع الدومينيكان⁽³⁸⁾.

وما أن وصل كازينو في أوائل نيسان لدومينيكان، حتى بدأ التفاوض مع الحكومة الدومينيكية مستخدماً أسلوب الدهاء والمكر السياسي أثناء مباحثاته مع سانتانا تحقيقاً لهده المتمثل بإقامة مشروع بناء مستوطنة أميركية داخل أراضي الجمهورية، وكان الغرض من ذلك هو لتوطين المهاجرين الأميركيين "الزنج" من سكان الولايات المتحدة لاسيما بعد كسبه لتأييد وزير خارجية بلاده لويس كاس - Lewis Cass، وفعلاً عقدت المفاوضات بين الحكومتين الأميركية والجمهورية الدومينيكية حول ما ورد في معاهدة 1856، فتم الاتفاق على إقامة مشروع حق بموجبه إيجار جزيرة سامانا وهو الهدف الأسمى للمفاوضات سيما بعد أن

وافق سانتانا على منح الولايات المتحدة جزءاً من أراضي بلاده خصصت لتحقيق هدف كازينو بإقامة مستوطنة أميركية⁽³⁹⁾. شجع نجاح المفاوضات أعلاه المستثمرين الأميركيين وأصحاب رؤوس الأموال والباحثين عن الثراء على الهجرة إلى الدومينيكان، ساعين وهادفين إلى إقامة مشاريع استثمار صناعية وزراعية فيها ومشاريع تنقيب عن الذهب ولاسيما في أعقاب اكتشاف الذهب في وادي سيباو القريب من جزيرة سامانا⁽⁴⁰⁾.

إلا أن تلك التطورات في العلاقات الثنائية بين الولايات المتحدة الأميركية وجمهورية الدومينيكان، كانت قد شجعت إسبانيا على التحرك وفرض حمايتها على الدومينيكان واحتلالها أن صح التعبير عام 1861. فترامناً مع المكاسب التي حققها كازينو لصالح إدارة بلاده من مفاوضات مع سانتانا، كانت المفاوضات الدومينيكية الإسبانية هي الأخرى قد تقدمت، رغم أنها كما اسلفنا مسبقاً لم تسفر عن شيء، لكن في مطلع عام 1860، كانت إسبانيا قد أصبحت في وضع الاستعداد التام للإعلان عن تحمل مسؤولية حماية الجمهورية الدومينيكية، فأعلنت عن حمايتها لها بحلول حزيران من العام نفسه 1860، ثم أعلنت عن ضمها لها في 18 اذار 1861، ومنذ الإعلان عن ذلك أصبحت سانتودومينغو مستعمرة تابعة لإسبانيا، أو بمعنى آخر مستعمرة إسبانية⁽⁴¹⁾.

هذا الاحتلال والضم جاء كنتيجة حتمية لعدة أسباب لعل في طليعتها :

أولاً: مطالبات الرئيس الدومينيكاني سانتانا وأصرار مسؤولي الحكومة الدومينيكية بضم الجزيرة لإسبانيا، فكما أدلت بعض المصادر عن وجود رسالة بعث بها رئيس الجمهورية منذ عام 1857 إلى ملكة إسبانيا اليزابيث يلتمسها فيها بضم بلاده لإسبانيا⁽⁴²⁾.

ثانياً: رفض إسبانيا لمعاهدة 1856 الموقعة بين الولايات المتحدة الأميركية وجمهورية الدومينيكان خلال عام 1859⁽⁴³⁾. هذه المعاهدة التي أعطت الصفة القانونية والرسمية للوجود الأمريكي في الجزيرة بكل ما يشكله هذا التواجد من تهديد لسلطاتها ومصالحها في كوبا التي تحدها الدومينيكان شمالاً⁽⁴⁴⁾.

ثالثاً: أن هذا الضم جاء بتزامن مع تدهور واضطراب الأوضاع في الولايات المتحدة الأميركية على اثر نشوب الحرب الأهلية الأميركية 1861-1865 - 1865-1861 Civil War⁽⁴⁵⁾. حيث تجدر الإشارة على أن عامل الخوف مما سيترتب على خلفية قيام الحرب الأهلية الأميركية التي أعلن عن قيامها آنذاك، كان الدافع الأساس الذي دفع الحكومة الدومينيكية نحو طلب الحماية⁽⁴⁶⁾ ومن المهم ذكره في

هذا المجال، بأن الولايات المتحدة رغم ما كان يحاط بها من ظروف أبان تلك المدة، ألا أن ذلك لم يكن ليمنع إدارتها من تشجيع فكرة الاستثمار في الدومينيكان وإقامة المشاريع الصناعية والاقتصادية بغية تعزيز الوجود الأمريكي فيها، وفي هذا الصدد كان الأمريكي وليام كازينان قد أنشأ شركة الهند الغربية الأمريكية في جزيرة سامانا عام 1861 بهدف تشجيع الاستثمار الأمريكي في الدومينيكان بأمر من إدارة واشنطن⁽⁴⁷⁾. وعلى أثر موافقة سانتانا للضم سارعت إسبانيا بأرسال سفينتين حربييتين إلى ميناء سانتودومينغو تحت ذريعة أنها تسعى إلى حماية مستعمراتها في جزر الأنتيل⁽⁴⁸⁾. كما حظي ذلك الضم الإسباني للدومينيكان بموافقة كل من فرنسا وبريطانيا ومباركتها لاسيما أنهما كانتا تدركان بمحدودية التأثير العسكري الإسباني على مصالحهما في نصف الكرة الغربي إذا ما قورن بالتهديد العسكري الخطير للولايات المتحدة الأمريكية⁽⁴⁹⁾.

أما عن موقف الولايات المتحدة الأمريكية من الضم، فقد تلخص بالبرقية التي أرسلها وزير الخارجية وليم هنري سيوارد - William H. Seward⁽⁵⁰⁾، إلى الرئيس الأمريكي آنذاك ابراهام لينكولن - Abraham Lincoln⁽⁵¹⁾، في نيسان عام 1861 جاعلاً فيها خيار الحرب على أنه الخيار الأمثل للرد على إسبانيا بعد ضمها للدومينيكان واحتلالها. هذا الخيار الذي رفضه الرئيس ابراهام بسبب انشغاله بالحرب الأهلية الدائرة رحاها في الولايات المتحدة الأمريكية⁽⁵²⁾، إلا أن ذلك لم يمنع أدارته من مواصلة جهودها الرامية للسيطرة على الاقتصاد الدومينيكاني من خلال مستثمريها وشركاتها العاملة في الدومينيكان⁽⁵³⁾. هذه الجهود التي وجدتها الولايات المتحدة الأمريكية بأنها الخيار الأمثل لأضعاف الوجود الإسباني مقابل تعزيز وجودها في الجزيرة تمهيداً لاحتلالها مستقبلاً.

وعليه فقد واصلت إدارة الولايات المتحدة الأمريكية دعمها لتلك الشركات وأصحاب رؤوس الأموال من أمثال وليام كازينو وغيره من المستثمرين الذين عملوا على توسيع استثمارات شركة الهند الغربية، لتشمل هذه الأخيرة في تعاملاتها التجارية والاقتصادية في الدومينيكان عامةً وسانتو دومينغو خاصةً⁽⁵⁴⁾.

داخلياً لم يسر الوضع كما خطط إليه سانتانا ألا وهو تطوير الاقتصاد الدومينيكاني من خلال ربطه بعجلة الاقتصاد الإسباني. فكل الدلائل والمؤشرات عن مدة الضم الإسباني للدومينيكان تشير إلى أن إسبانيا حكمت الجزيرة حكماً قسرياً قاسياً، إذ فرضت الضرائب على الفقراء والأثرياء من الشعب على حدٍ سواء، وأخروا دفع رواتب الموظفين، إلى جانب التفاوت الكبير فيها بين المقربين من حكمها وبين

عامّة الشعب، كما خفضوا قيمة العملة الدومينيكانية إلى جانب تسخيرها عجلة الاقتصاد لصالح خدمة اقتصاد إسبانيا⁽⁵⁵⁾.

ونتيجةً للسياسة الاستعمارية القاسية التي مارسها الإسبان في الدومينيكان، ولاسيما ضد طبقات الشعب الفقيرة. لذلك واعتباراً من أيلول عام 1863، ثارت ثائرة الشعب الدومينيكاني ضد الوجود الإسباني ولتشكل في جبال مدينة سانتو دومينغو النواة الأولى للثورة، عندما تشكل فيها تنظيم سري للثوار بقيادة الجنرال خوسيه أنطونيو سالسيدو راميريز - Jose Antonio Salcedo Ramires⁽⁵⁶⁾، خاضوا ما يعرف بحرب الاستعادة - War of Restoration 1863-1865⁽⁵⁷⁾، ضد الاستعمار الإسباني لبلاده. إذ أُنْتُخِبَ الثوار في 16 آب من عام 1863 راميريز رئيساً للحكومة المؤقتة التي شكلوها في سانتياغو⁽⁵⁸⁾. وأمام هجمات حرب العصابات التي شنها الثوار ضد القوات الإسبانية في مدن الدومينيكان، طلبت السلطات الإسبانية الدعم من قوات الحكومة الدومينيكانية بقيادة حليفها الجنرال سانتانا. ولم يتوان هذا الأخير عن دعم القوات الإسبانية ضد الثوار من أبناء شعبه. فما كان من رئيس الحكومة المؤقتة ألا أن أصدر قراراً بالإعدام بحق سانتانا رداً على موقفه ضد أبناء شعبه⁽⁵⁹⁾.

ورغم التعاون العسكري بين سانتانا والقوات الإسبانية ألا أن هذه القوات لم تصمد أمام المد الثوري لقوات الثوار التي أجبرت القوات الإسبانية على الانسحاب من سانتياغو عام 1864. وإزاء هذا الانتصار عقد الثوار مؤتمراً وطنياً في مدينة سانتياغو عام 1865 تمخض عنه إصدار دستوراً جديداً للبلاد بدلاً عن دستور عام 1844⁽⁶⁰⁾.

وعلى أثر ذلك زاد الثوار من عزيمتهم وإصرارهم على طرد القوات الإسبانية من بلادهم التي بدت عاجزة عن هزمهم، ولاسيما بعد تعرض قواتها إلى هزائم متوالية، فضلاً عن إصابة جنودها بأمراض وأوبئة فتكت بهم كمرض الطاعون والكوليرا. وعلى الصعيد الخارجي وتحديداً في الولايات المتحدة الأميركية التي انتهت فيها الحرب الأهلية بانتصار الولايات الشمالية على نظيرتها الجنوبية. هذا الانتصار الذي أعقبه إعلان حكومة الرئيس الأميركي أبراهام عام 1865 عزمها إيجاد حلولاً ناجعة من شأنها أن تعيد الاستقرار لجمهورية الدومينيكان وشعبها⁽⁶¹⁾.

في تلك الأثناء كانت قوات الثوار ليس بأحسن حالاً من القوات الإسبانية. إذ مر الثوار بانتكاسة مؤقتة على أثر اغتيال قائدهم الجنرال خوسيه أنطونيو سالسيدو راميريز في ظروف غامضة أثناء تنفيذ إحدى

الهجمات ضد القوات الإسبانية في شباط عام 1865. لكن تلك الحادثة لم تكن الثوار عن مواصلة جهودهم الثورية تحت قيادة خلفه الجنرال بيدرو انطونيو بيمنتل تشامورو - Pedro Antonio Pimetel Chamorro⁽⁶²⁾، الذي انتخبه الثوار بموجب الدستور الجديد رئيساً للبلاد⁽⁶³⁾.
وتحت وطأة الانتصارات المتتالية التي حققها الثوار على القوات الإسبانية التي عانت المرض والافتقار إلى الإمدادات، فضلاً عن خشية إسبانيا من الدخول في حرب ضد خصم لا قدره لها ولا قوة على مواجهته وهي الولايات المتحدة الأمريكية، التي سبق أن أعلنت عن عزمها إعادة الاستقرار إلى الدومينيكان ومن خلفه الاستقرار وضمان مصالحها الاقتصادية فيها التي تعرضت إلى الضعف والفتور أبان مدة الضم الإسباني وانشغالها هي باتون الحرب الأهلية. لذا قررت الحكومة الإسبانية في الثالث من آذار من عام 1865 إلغاء الضم احتلالها الإسباني للدومينيكان وسحب قواتها منها في الخامس عشر من تموز من العام ذاته⁽⁶⁴⁾.

طبقاً لمسار وتطورات الأحداث المذكورة آنفاً، كان من المفترض أن تشهد الدومينيكان استقراراً سياسياً في أعقاب انسحاب القوات الإسبانية لكنها في الحقيقة شهدت بدلاً من ذلك فوضى واضطراباً سياسياً، وصراع عسكري على السلطة ليطلق على تلك المدة من تاريخ الدومينيكان مدة حكم أمراء الحرب - The War lords ruled. فكانت الانقلابات العسكرية خلالها أمراً شائعاً. فقد بدأ الصراع على السلطة بين حزب الوطنيين الأحرار - National Libral Party والذي عرف باسم الحزب الأزرق - Blue party ونظيره (غريمه) في الصراع هو حزب المحافظين - Unionist Party أو الحزب الأحمر - Red Party أتباع الحزب الأحمر وبسبب وتمركزه في العاصمة سانتودومينغو وانتماء أغلب قيادات الجيش إلى صفوفه، من القيام بانقلاب عسكري ضد حكومة الثوار بزعامة بيدرو انطونيو والإطاحة بحكومته وتنصيب الرئيس الأسبق رامون بايز رئيساً للبلاد في الثامن من كانون الأول عام 1865⁽⁶⁵⁾.

إلا أن أتباع الحزب الأزرق لم يُمهّلوا بايز الوقت الكافي لتثبيت أركان حكمه. فقاموا بانقلاب عسكري مضاد على شاكلة وسيناريو الانقلاب الذي جاء به إلى دفة الحكم وذلك في آذار من عام 1866 شارك فيه انصار الحزب الأزرق وقادة الجيش والشرطة الذين تم شراء ولائتهم، ولتتم الإطاحة به وتنصيب الجنرال خوسيه ماريا غابريال - Jose Maria Gabral⁽⁶⁶⁾، رئيساً للبلاد خلال المدة 1866 - 1868.

وخلال عهد غابريال استغلت الولايات المتحدة الأمريكية الأوضاع الحرجة التي كانت تمر بها الدومينيكان في أعقاب الانسحاب الإسباني منها وتأثيرات الصراع على السلطة بين الحرب الأزرق (حزب الوطنين الأحرار) والحزب الأحمر (حزب المحافظين) وما خلفته من فوضى سياسية في البلاد.⁽⁶⁷⁾ لتمارس ضغطاً سياسياً على حكومة غابريال بغية تعديل اتفاقية خليج سامانا⁽⁶⁸⁾. فالولايات المتحدة الأمريكية ورئيسها اندرو جونسون - Andrew Johnson⁽⁶⁹⁾ كانوا طامعين في تحويل خليج سامانا إلى محطة أميركية دائمة لأهدافها الاستراتيجية والاقتصادية، فالاستراتيجية والعسكرية هي حماية مصالحها في البرزخ البنمي والاقتصادية هي تزويد سفنها التجارية التي تمر عبر الكاريبي بالوقود⁽⁷⁰⁾.

واستناداً لما تقدم، استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية أقناع الرئيس غابريال على الدخول معها في مفاوضات ثنائية حول تأجير خليج سامانا⁽⁷¹⁾، فلم يجد الرئيس الدومينيكاني تحت وطأة الوضع الاقتصادي المتدهور لبلاده ألا الخضوع للإرادة الأميركية، وليشرح الطرفين في المفاوضات عام 1868. إلا أن هذه المفاوضات لم تتم بسبب الإطاحة بغابريال بحكومته بانقلاب عسكري نفذه بايز وأتباعه وعلى أثره نصب الأخير نفسه رئيساً للبلاد للمرة الثانية بقوة السلاح اعتباراً من أيلول من نفس العام⁽⁷²⁾.

ونستشف مما سبق انه بتولي بايز دكة الحكم، كان أنصاره من أتباع حزب المحافظين (الحزب الأحمر) خاصةً والشعب الدومينيكاني عامة يعولون عليه لإيجاد حلول ناجحة لمشاكل البلاد، لاسيما تدهور اقتصادها أبان مدة الاستعمار الإسباني، وتدمير بناها التحتية جراء الصراع على السلطة بين الأحزاب السياسية خلال مدة حكم أمراء الحرب، وبعبارة أدق نُظر إلى بايز وبحكم خبرته السياسية أنه المنقذ للبلاد من أزمتها الاقتصادية ومشاكلها السياسية عبر إيجاد حلول للنهوض بالاقتصاد وتطويره وهو خير من سيحقق استقرارها السياسي. ورغم أجماع البعض من الباحثين والمختصين بالشأن الدومينيكاني على أن بايز سعى جاهداً لضم الدومينيكان إلى الولايات المتحدة الأميركية⁽⁷³⁾، وهي إحدى السمات الأساسية لرئاسته حكمه الثالثة للدومينيكان إلا أن الملفت للنظر أن بايز كان قد بدأ حكمه برفض المفاوضات التي كانت دائرة بين سلفه المخلوع غابريال والولايات المتحدة الأميركية حول إمكانية تأجير الأخيرة لجزيرة سامانا⁽⁷⁴⁾. لكن الواضح أن هذا الرفض كان مناورة استراتيجية - سياسية من بايز هدف من ورائها استغلال رغبة الولايات المتحدة الأميركية الملحة باستئجار الجزيرة لأهميتها الاستراتيجية والعسكرية

لمصالحها في الكاريبي عامة والقناة البرزخية في بنما خاصة، في محاولة منه لرفع قيمة عقد الإيجار، وما يحققه هذا الأمر من مردود إيجابي مالي سينعكس على تحقيق نوع من الإنعاش لاقتصاد بلاده المنهك. إلا أن الحقيقة التي يمكننا إبرازها في هذا السياق، والتي مفادها أن بايز نفذ هذه المناورة على مضض. فهو مدرك تماماً على أنه في أحوج ما يكون لدعم الولايات المتحدة ليثبت أركان حكمه ضد أطماع القوى المعارضة له داخلياً (حزب الوطنيين الأحرار) والأخطار المحدقة به خارجياً (الحملات الهايتية) على بلاده. وخير ما يؤكد ذلك هو أن رفضه للمفاوضات تزامن مع إرسال الرئيس الأمريكي الجديد آنذاك وهو اوليسيس غرانت - Ulysses Grant⁽⁷⁵⁾، قوات عسكرية أميركية لصدهجمات القراصنة الهايتيين، التي كانت تهدد السفن التجارية الأميركية والدومينيكانية في البحر الكاريبي. إذ تمكنت القوات الأميركية من مطاردتهم وأنزال خسائر فادحة وجسيمة بسفنهم وإلزامها الحدود الهايتية⁽⁷⁶⁾، وعلى أثر تصدي القوات الأميركية لخطر القراصنة الهايتيين، وافق الرئيس بايز على إعادة فتح المفاوضات والمبادرات الثنائية بين حكومته والولايات المتحدة الأميركية. إذ ألتقى مساعد وزير الخارجية لشؤون أميركا اللاتينية فريدريك ويليام سيوارد - Fredric William Seward⁽⁷⁷⁾، بالرئيس بايز في العاصمة سانتودومينغو في تشرين الثاني عام 1869. وبعد سلسلة من اللقاءات توصل الطرفان إلى عقد معاهدة نصت على موافقة الدومينيكان على تأجير جزيرة سامانا وخليجها للولايات المتحدة الأميركية لمدة خمسون عاماً وحق إنشاء قاعدة بحرية فيها مقابل دفعها أيجاراً سنوياً قدره (150) ألف دولار⁽⁷⁸⁾ إلى جانب (1,500,000) دولار كان ذلك ضمن معاهدة الضم لسداد ديون الدومينيكان للبنوك الأوربية⁽⁷⁹⁾ ولاسيما أن بايز أثناء تولية السلطة كان قد أخذ قرضاً من أحد الممولين الإنكليزي قدره (5420,000) جنيه إسترليني أي ما يعادل (100,000) دولار أميركي عُرف ذلك القرض، بقرض هارتمونت - Hartmont⁽⁸⁰⁾. ويعتبر أول دومينيكي في سلسلة التعاملات المالية الخارجية لجمهورية الدومينيكان⁽⁸¹⁾.

لم يكتف بايز بتأجير جزيرة سامانا ومينائها للولايات المتحدة الأميركية، بل سعى ومنذ عام 1870 إلى ضم بلاده بأكملها إلى الولايات المتحدة الأميركية عبر بيعها مستغلاً طموح الرئيس الأميركي غرانت ورغبته في ضم الدومينيكان لبلاده⁽⁸²⁾، وخير ما يؤكد هذا التوجه لدى الرئيس بايز هو ما قاله السيناتور تشارلز سومنر - Charles Sumner⁽⁸³⁾، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ إذ صرح

قائلاً " أن احتفاظ بايز بالسلطة في الدومينيكان هو بفضل وجود القوات البحرية الأميركية في جزيرة سامانا ... ألا أننا في السلطة نسعى للتفاوض معه من أجل بيع بلاده لنا "(84).

هذا التصريح من قبل سومنر يؤكد رفضه لفكرة شراء الجزيرة بالمال أو مساومة الرئيس بايز إدارة الولايات المتحدة الأميركية على شرائها وهو يعلم انه لولا دعم القوات البحرية الأميركية له ما بقي في الحكم. الأمر الذي يعطينا دلالة واضحة على أن الساسة الأميركيين لم يكونوا رافضين لفكرة الضم وإنما رافضين لفكرة المساومة والبيع من شخص مرهون بقائه بقواتها. فهذه القوة التي تحميه يمكنها أن تحتل بلاده متى ما أرادت ذلك.

ورغم ذلك لم يعجب الرئيس غرانت بتصريح سومنر. وقرر في كانون الثاني 1871 إرساله لجنة أميركية (85)، خاصة من قبله إلى الدومينيكان لتقييم الأوضاع العامة فيها وأعداد تقريراً شاملاً لذلك، تمهيداً لشرائها بعد استحصاله موافقة الكونغرس. وفعلاً أكملت اللجنة أعمالها رفعت تقريرها إلى الرئيس في أيار 1871. هذا التقرير الذي جاء متطابقاً وتوجيهات الرئيس غرانت ورغباته حول ضم الدومينيكان. فقرر عرضه على الكونغرس والأمل يحذوه بموافقة على مشروع قرار الضم (86). لكن سرعان ما فوجئ الرئيس غرانت برفض المشروع من قبل الكونغرس. بعد أن صوتت ثلثي أعضائه بالضد من المشروع (87).

بدا واضحاً أن رفض الكونغرس لمشروع الضم كانت تقف وراءه عدة أسباب وتحركه وتغذيته. ولعل في طليعتها كثرة أعداد الزوج العبيد الأفارقة في الدومينيكان الذين تشكل نسبتهم أكثر من 47% من إجمالي سكانها (88). ورغم أن الولايات المتحدة الأميركية كانت قد حررت العبيد في ولاياتها بموجب التعديل الثالث عشر للدستور الأمريكي الذي صدر في 18 كانون الأول عام 1865 ، والذي نص على "تحرير الرقيق في جميع أراضي الولايات المتحدة الأميركية" (89). إلا أن أغلب الولايات الأميركية وخاصة الجنوبية منها لم تلتزم به، الأمر الذي دفع الولايات المتحدة الأميركية إلى استخدام القوة واحتلال الولايات التي رفضت تطبيقه (90). وبقينا أن الولايات الشمالية التي وخاضت الحرب الأهلية لم تكن مستعدة لضم دولة يشكل فيها العبيد أكثرية، هذا من جانب. ومن جانب آخر لا نستبعد أن يكون لتصريح السيناتور سومنر سابق الذكر، تأثير على هذا القرار والذي رفض فيه ضم الدومينيكان وشرائها مقابل المال في وقت كانت فيه الولايات المتحدة الأميركية قادرة على احتلالها، فضلاً على أن الولايات المتحدة الأميركية كانت أحوج ما يكون لتلك الأموال لتعمير ولايتها من آثار الحرب الأهلية.

لم ييأس الرئيس بايز من محاولات أقناع الولايات المتحدة الأمريكية بضم بلاده إلى ولاياتها لكن دون جدوى، فقد بعث في 18 آب عام 1873 برسالة إلى الرئيس غرانت حدد فيها التهديدات الخارجية التي تهدد بلاده. هذه التهديدات التي كان مصدرها أربعة دول حددها بايز برسائلته وهي (بريطانيا - فرنسا - ألمانيا - وهائيتي). مشيراً إلى أن ما تمر به بلاده من أزمات سياسية، وعدم استقرار سياسي بسبب قلة الموارد، الأمر الذي جعلها في وضع لا يمكن من خلاله صد أي عدوان من هذه الدول، وأن أمنها وبقائها مرهون بمدى توفر الحماية الأمريكية لها. هذه الحماية التي ظلت مرتبطة بضم الدومينيكان إلى الولايات المتحدة الأمريكية⁽⁹¹⁾.

وفي إطار رد الإدارة الأمريكية على رسالة بايز - آنفة الذكر - كتب الرئيس الأمريكي غرانت له في الحادي عشر من آب من عام 1873 قائلاً ".... أن إدارة الولايات المتحدة الأمريكية لا تخفي تعاطفها مع اقتراحكم حول انضمام بلادكم إلى الولايات المتحدة الأمريكية . إلا أن هذا الأمر لا يمكن تحقيقه إلا من خلال عرضه على الكونغرس للبت فيه ...". لكن الرئيس الأمريكي حاول طمأنته قائلاً "أن تواجد قواتنا في قاعدة جزيرة سامانا حتماً سيضمن أمن وسيادة الدومينيكان..."⁽⁹²⁾.

ورغم ذلك واضب بايز واستمرت جهوده ومساغيه والتي طالما اقترنت بتأييد الرئيس غرانت لها، لكنها طالما اصطدمت بمعارضة الكونغرس لها. هذه المعارضة التي وقفت حجر عثرة أمام ضم الدومينيكان للولايات المتحدة الأمريكية للأسباب سالفة الذكر حتى تم الإطاحة بحكمه عام 1879 بانقلاب عسكري قاده فيرناندو أنطونيو ارتورو دي ميرينو - Fernando Antonio Arturo de Merino⁽⁹³⁾، الذي مكّنه من ترشيح نفسه في انتخاباتها عام 1880 وفاز فيها. وهو أول رئيس دستوري للدومينيكان بعد مدة أمراء الحرب، ف دستورية انتخابه مكنته من إكمال مدته الرئاسية وليس كما حصل مع أسلافه من أمراء الحرب الذين أما استقالوا أو أطيح بهم بانقلاب عسكري⁽⁹⁴⁾.

بأسقاط بايز وانتهاء حكمه انتهت معه مرحلة حكم أمراء الحرب. تلك المرحلة التي بدأت في أعقاب الانسحاب الإسباني من الدومينيكان عام 1865 والتي تناوب فيها اثنان من أبرز القادة العسكريين (جنرالات الحرب) وهما كل من سانتانا وبايز اللذان حكماً البلاد حكماً دكتاتورياً وأدارا الجمهورية حسب أهوائهم ومصالحهم الشخصية. فالأول ربط البلاد بإسبانيا والثاني سعى جاهداً إلى ضمها

للولايات المتحدة الأميركية. وهذا ما جعل الدومينيكان تفتقر خلال حكمهما إلى أبسط مقومات النهوض والنمو الاقتصادي أو الاستقرار السياسي وقد استمر هذا الوضع حتى عام 1882.

الخاتمة

استناداً الى ما تقدم يمكن ملاحظة ان رؤساء الحكومة الدومينيكية ممن حكم البلاد اثناء مرحلة حكم امراء الحرب ومن قبل ذلك، هم من اسهم بشكل واضح وصريح في ربط الاقتصاد الدومينيكي بعجلة نظيره الاميركي. ففي ظل إلتماس رؤساء البلاد قبول اعتراف الدول الاوربية والولايات المتحدة الاميركية باستقلال البلاد وتأمين حمايتها من هايتي، ومن هؤلاء الرؤساء، وذلك تبعاً لأهوائهم ومصالحهم الشخصية، من ربط البلاد بإسبانيا ومنهم من سعى جاهدا لضمها الى الولايات المتحدة الاميركية مما جعل الدومينيكان تفتقر خلال حكم أولئك الرؤساء الى ابسط مقومات النهوض والنمو الاقتصادي او الاستقرار السياسي وقد استمر هذا الوضع حتى عام 1882.

الهوامش

⁽¹⁾ **دستور الولايات المتحدة 1789**: وهي المبادئ الأساسية للأمة الأميركية، والقانون الفدرالي الأول للولايات المتحدة، تم صياغته في 14 حزيران عام 1789، في مؤتمر فلادلفيا الدستوري، كدستور فيدرالي اتحادي صمم على اثر إلغاء ميثاق المجلس الكونغرس الدائيت الأساسي المعمول به منذ 1781 بعد حرب الاستقلال الأميركية، تم توقيعه والتصديق عليه من قبل تسع ولايات أميركية خلال المدة 17 أيلول 1787 - 21 حزيران 1788، وذلك بالاستناد بشكل كبير على أساسيات ومبادئ الدستور البريطاني، تضمن الدستور الأميركي الذي بدأ العمل به عام 1789 مقدمة وسبع فقرات تشكل أساس صياغته العامة، وتشمل الكونغرس، والسلطة التنفيذية والقضائية، والولايات، والتعديلات، وتعديل الدستور، ووثيقة الحقوق). للتوسع ينظر:

- *Constitution (principles of government)*, *The Columbia Encyclopedia*, 6th ed, The Columbia University Press, 2018; *Constitution of the United States*, *The Columbia Encyclopedia*, 6th ed, The Columbia University Press. 2018;

حسن سيد احمد إسماعيل، النظام السياسي للولايات المتحدة الأميركية وإنجلترا، جامعة أم درمان كلية الدراسات الاجتماعية
شعبة الشريعة والقانون، دار النهضة العربية، مصر- القاهرة، ص 11؛

- <http://www.Parliament.gof.S>.

⁽²⁾ **الدستور الفرنسي 1791** : وهو أول دستور مكتوب في فرنسا تمت كتابته بعد سقوط وانحيار الملكية المطلقة أذ وضعت ديباجته في 3 أيلول عام 1791، ليشتمل على مبادئ الثورة الفرنسية لعام 1789، أذ جعل هذا الدستور من

فرنسا دولة ذات ملكية دستورية، وذات هيئة تشريعية مؤلفة من مجلس واحد، وأعاد تسمية لويس السادس عشر من ملك فرنسا إلى ملك للفرنسيين. للتوسع ينظر:

-Wiz Pual , the Constitution of 1971 National Assembly , September 3 , 1971 , Paris , 1980 , Pp.1-22.

(3) Emelio Betances , Op. Cit., P. 19.

(4) ...The Dominican Republic , Published by Direction of the Department of Promotion and Public Works for the James Town Tercentennial , 1907 , Pp. 30-31;Valentina Paguero , Op. Cit., Pp.15-16.

(5) Mathew C. Cutmann and Other , Perspective on Las American , Library Congress , American United State , 2003 , P.276 ; Chester Lloyd Jones , Caribbean Interests of the United States , D. Appleton , New York , 1916 , P.195.

(6) جون كالهون : سياسي وفيلسوف أمريكي، ولد لأسرة ثرية في مدينة أبافلي-Abbeville في ولاية كارولينا الجنوبية في 18 آذار 1782، تلقى تعليمه الأولي في ولاية جورجيا بسبب ندره المدارس في كارولينا الجنوبية، ثم التحق بكلية بيل في ولاية كونتيكت عام 1802 وحصل على شهادة القانون عام 1806، شغل العديد من المناصب، منها نائب الرئيس جون كوينس أدم للمدة 1825-1829 ونائب للرئيس أندرو جاكسون على مدار دورتين 1828-1937، ثم أصبح وزيراً للخارجية في عهد الرئيس جون تاير عام 1844-1845، توفي عام 1850. للتوسع ينظر:

- Mark Byrnes , James K. Polk , A Biographical Companion , ABC. Clio Press , U S A , 2001 , P. 27; Calhoun , John Caldwell , The Columbia Encyclopedia , 6th ed , The Columbia University Press , 2018 .

(7) جون تايلر: سياسي ومشرع قانوني أمريكي وهو الرئيس العاشر للولايات المتحدة، ولد في مقاطعة تشالزستي بولاية فرجينيا 29 آذار عام 1790 دخل في سن الثانية عشر للفرع التحضيري لكلية النخبة وليام وماري وبعد تخرجه من الكلية 1807، عكف على دراسة القانون وحصل على شهادة القانون عام 1813. فتم قبوله بنقابه المحامين، وليكون مشرعاً لولاية فرجينيا أبان المدة 1813-1825، أصبح عضواً في الحزب الجمهوري عام 1816. ثم أنتخب حاكماً لولاية فرجينيا في كانون الأول عام 1825، وعضواً في مجلس الشيوخ 1828-1836، قبل انتخابه رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية في الأول من نيسان عام 1845، توفي 1862. للتوسع ينظر:

- Alexander Gurdon Abell , Life John Tyler president of the United States , Harper as brothers , New York , 1843 , P. 9; Tyler , John , The Columbia Encyclopedia , 6th ed , The Columbia University Press 2018; Complicated John Tyler and His Brief Presidency , Newspaper: The Washington Times (Washington , DC) , March 11 , 2007 , P.80.

(8) Mathew C. Cutmann and Other , Op. Cit., P.276.

(9) جيمس نوكس بولك: سياسي وحقوقى أمريكي، وهو الرئيس الحادي عشر للولايات المتحدة الأمريكية، ولد في مقاطعة مكلنبورغ في ولاية كارولينا الشمالية في 2 تشرين الأول 1795، بعد أن أكمل بولك تعليمه الأولي والثانوي قبل بولك

بجامعة نورث كارولينا في تشابل هيل 1816 لدراسة القانون ولتخرج منها عام 1820 عين بولك كاتباً في مجلس الشيوخ عام 1821 وأستمر في عمله حتى 1822، أنتخب عضواً في مجلس النواب عن ولاية تينيسي عام 1823، وقد كان من أشد المؤيدين والداعمين لسياسات الرئيس أندرو جاكسون، وفي عام 1834 أنتخب بولك رئيساً لمجلس النواب، وبعدها حاكماً لولاية تينيسي عام 1835-1839، قبل أن ينتخب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية 1845-1849. توفي عام 1849. للتوسع ينظر:

-Mark k.Byrnes , James k. Polk ABiographical Companion , U S A , ABC Clio Press ,

2001 , P. 5 ; Polk , James Knox.The Columbia Encyclopedia , 6th ed , The Columbia , University Press.2018 ; James K. Polk <http://Britannica.Com>.

(10) Silvio Torres and Romana Hemandes , Op. Cit., Pp.14-15; Mathew C. Cutmann and Other , Op. Cit., P.276.

(11) **مبدأ مونرو**: وهو المبدأ الذي اعلن عنه الرئيس جيمس مونرو المسمى باسمه وذلك في رسالته السنوية السابعة إلى الكونغرس الأمريكي الثاني من كانون الأول عام 1823، والتي جاء فيها " أن النظام السياسي لقوى التحالف- التحالف المقدس مختلف جوهرياً كما هو عليه في أمريكا، ونحن سوف نعتبر أية محاولة يقصد من جرائها توسيع أو نشر نظامها في أي جزء من نصف الكرة الغربي هو تحديداً خطراً على أمننا وسلامتنا. ومن خلال الاحتلال والتواجدات لأية قوة أو سلطة أوروبية نحن سوف لن نتدخل وسوف لن نتدخل. لكن مع الدول التي أعلنت استقلالها فأنا سوف لن نبت اعتراضنا عليها فقط بل نرفض السيطرة على مصيرها من قبل أي دولة أوروبية وأن الولايات المتحدة الأمريكية سوف لن تتدخل في حروب القارة الأوروبية وحروبها وهي تطالب الدول الأوروبية بالمثل وعدم التدخل في شؤون القارتين الأمريكيتين. ويتفق أغلب المؤرخين على أن إعلان الرئيس مونرو لمبدئه جاء لوضع حد للأطماع الروسية في الساحل الشمالي الغربي لأمريكا الشمالية وتحديداً في ألاسكا. للتوسع ينظر:

- حسن عطية عبد الله، مبدأ مونرو وأثره على السياسة الخارجية الأمريكية 1832-1865، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2006، ص 78-83؛

Gaddis Smith , the Last Years of the Monroe Doctrine , 1945- 1993 , New York , 1994 , Pp.21-22.

(12) Silvio Torres and Romana Hemandes , Op. Cit., Pp.14-15.

(13) **مالارينو - بيدلاك** : وهي المعاهدة التي وقعت بين الولايات المتحدة الأمريكية وغرناطة الجديدة (كولومبيا اليوم) في 12 كانون الأول 1846 وعُرفت بمعاهدة (السلام والصداقة والتجارة والملاحة) إذ وقعها عن الولايات المتحدة الأمريكية بنجامين الدن بيدلاك وهو القائم بالأعمال الأمريكية في غرناطة الجديدة وعن الأخيرة وقّعها وزير خارجيتها مانويل ماريا مالارينو، أذ كان القصد والمهدف من وراء المعاهدة هو التعاون المتبادل بين البلدين إذ منحت الولايات المتحدة الأمريكية بموجبها حق العبور لنفسها عبر قناة البرزخ في بنما، فضلاً عن سلطات وامتيازات عسكرية لقمع الصراعات الداخلية

واضطرابات في كولومبيا، وقد تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية عسكرياً عدة مرات في بنما لقمع الليبراليين مقابل ضمان حياد المنطقة. للتوسع ينظر :

-*Bidlack-Mallarino Treaty , New Granada Treaty , Encyclopaedia Britannica; Mattox , Jake , Claiming Panama: Genre and Gender in Antebellum U.S. Isthmiana , Journal , American Studies , January 1 , 2014 , Vol. 53 , Issue: 1 , P. 117; Thomas E. Skidmore and Peter H. Smith , Modern Latin America , Oxford University Press , New York , 2005 , P.229.*

(14) *Chester Lloyd Johnes , The Caribbean interests , Op. Cit., P.195.*

(15) عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة، 1999، ص 101-102؛ عبد الفتاح حسن أبو علي، تأريخ الأمريكيتين والتكوين السياسي للولايات المتحدة الأمريكية، دار المريخ العربي، للنشر المملكة العربية السعودية، 1986، ص 126-127.

(16) عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، ص 101-102.

(17) *Silvio Torres and Romana Hemandes , Op. Cit., Pp. 14-15.*

(18) *Helen Chapin Metz , Op. Cit., P.24.*

(19) **فوستين سولوك**: سياسي وقائد عسكري هايتي، شغل منصب رئيس هايتي 1847-1849، وحصل على لقب إمبراطور هايتي، ولد في بلدة بيتي غوف في مستعمرة سانت دومينيك الفرنسية في 15 آب عام 1782، خدم كجندي في الجيش الهايتي اعتباراً من عام 1803، شارك في التمرد ضد الرئيس توسان في نفس العام، تدرج بالرتب العسكرية في الجيش الهايتي حتى تم ترقيته إلى رتبة عقيد في عهد الرئيس فيليب غرير أبان المدة 1818-1843، تم ترشيحه لمنصب الرئيس من قبل مجلس الشيوخ في الأول من آذار عام 1847، وبعد أن تم انتخابه، أطلق على نفسه (إمبراطوراً هايتي) وحكم باسم الإمبراطور فوستين الأول منذ عام 1849. وأستمر بالحكم لغاية عام 1859، عندما أطيح به على يد زعيم المقاومة فابريغيفر، توفي عام 1873. للتوسع ينظر:

-*Richard M.Juang and Other , Africa and the Americas :Culture Politics and History-Vol. I , A B C-Clio Press , USA , 2008 , P. 1021 ; Soulouque , Faustin Élie , The Columbia Encyclopedia , 6th ed , The Columbia University Press , 2018 ; Adwara Walford , Men of the time. Biographical Dictionary Eminent livingcharacters , London , 1862 , P.347 ; Geffrard , Nicholas Fabre , The Columbia Encyclopedia , 6th ed , The Columbia University Press , 2018.*

(20) **مانويل خيمينز**: عسكري وسياسي دومينيكي، وهو رئيس جمهورية الدومينيكان الثاني، ولد في مقاطعة غوانتانامو 1808 لأحدى الأسر الكوبية المهاجرة، قضى سنوات طفولته في الدومينيكان ونشأ فيها، لم تشر المصادر إلى تعليمه، أتم صناعة التلغراف فنال من خلال ذلك الاحترام والتقدير أواسط المجتمع، شارك في حركة الانفصال السياسي الدومينيكي، شغل منصب وزيراً للحرب والبحرية الدومينيكية في حكومة الرئيس بيدرو سانتانا 1848 ومن ثم رئيساً للبلاد للمدة 8

أيلول 1848-29 أيار 1849، بعد أن قدم الأخير استقالته، غير أن زعزعة الاستقرار الخارجي المتمثل يتصاعد الغزو الهايتي ومحاولة استعادة سانتانا مكانته كرئيس رجحت كفة استمرار بقاءه في السلطة فتم بذلك نفيه إلى هايتي بعد أن استقال عن منصبه في 30 من أيار 1849، توفي في العاصمة أوتورنس عام 1854. للتوسع ينظر:

-Eric Paul Roorda, *Historical Dictionary of the Dominican Republic* Op. Cit., P.158; <https://peoplepill.com/people/manuel-jimenez>; https://thebiographhy.us/en/jimenez_manuel; https://www.biografiasyvidas.com/biografia/j/jimenez_manuel.

⁽²¹⁾ Eric Paul Roorda, *Historical Dictionary of the Dominican Republic*, Op. Cit., P.266.

⁽²²⁾ **امون بوينا فنتورا بايز**: سياسي دومينيكي، ولد في قرية رينكون حالياً (كابراي) في 14 تموز 1812، ولكونه ولد لعائلة ثرية ذات ثقافة واسعة، فقد تلقى تعليمه في أوروبا وتحديداً في فرنسا، كان يجيد اللغتين الإنجليزية والفرنسية إلى جانب لغته الأساس الإسبانية. شغل العديد من المناصب منها نائباً في الجمعية التأسيسية الهايتية عام 1843 أبان حكم هايتي للدومينكان، أُنْتُخِبَ رئيساً لجمهورية الدومينكان لأول مرة أبان المدة 1849-1853، وبقي منافساً للرئيس بيدروسانتا بالتناوب على السلطة، حكم بايز السلطة حكماً دكتاتورياً إذ حاول ساعياً لأقناع الولايات المتحدة الأميركية باستيلاء على الدومينكان بالتفاوض مع إدارة الرئيس يوليسيس غرانت عام 1869، أُنْتُخِبَ رئيساً للمرة الثانية عام 1856-1857. عندما أُطِيعَ به بانقلاب، أصبح بعدها رئيساً للمرة الثالثة عام 1876-1878، أذ تم لأطاحه به في انقلاب آخر ونفي إلى بورتوريكو وكانت مستعمرة إسبانيا آنذاك، توفي في المنفى نفسه عام 1884. للتوسع ينظر:

- Eric Paul Roorda and other, *the Dominican Republic Reader History, Culture, Politics*, Op. Cit., P.146; William M. Ferraro, J. Thomas Murphe, *the papers of Ulysses S. Grant*, Vol. 19, July 1, 1868- October 31, 1869, Southworn Illinois University Press, U S A, 1995. P. 209; Báez, *Buenaventura, Dominique The Columbia Encyclopedia*, 6th ed, The Columbia University Press, 2018.

⁽²³⁾ Helen Chapin Metz, Op. Cit., Pp.24-25.

⁽²⁴⁾ Helen Chapin Metz, Op. Cit., Pp.24-25.

⁽²⁵⁾ William D. Boyce, *United States Dependencies, Cuba, Dominican Republic, Haiti, Panama Republic*, New York, 1914, P.90.

⁽²⁶⁾ Chester Lioyd Jones, *The Caribbean Since 1900*, Op. Cit., P.77; Valentina Peguero, Op. Cit., P.16.

⁽²⁷⁾ Melvin M. Knight, Op. Cit., P.5; Chester Lioyd Jones, *The Caribbean Since 1900*, Pp.77-79; Michael R. Hall, *Historical Dictionary of Haiti*, P.202.

⁽²⁸⁾ Helen Chapin Metz, Op. Cit., P.25.

⁽²⁹⁾ **فرانكلين بيرس**: محامي وسياسي أميركي، وهو الرئيس الرابع عشر للولايات المتحدة الأميركية، ولد في مقاطعة هيلزبورج - Hillsborough ولاية نيوهامبشاير - New Hampshire 23 شباط 1804 لأسرة ذات طابع

سياسي كان له الأثر في نشأته، تلقى تعليمه بإحدى المدارس المحلية، وأكمل خارج المدينة في أكاديميتي هانكوك وفرانيسيتاون، دخل جامعة بودوين - *Bowdoin College* في برونزويك بولاية مين عام 1820 وتخرج منها 1824. عين موظفاً عام 1825 ثم درس القانون في كلية امهيرست وتخرج منها في تموز عام 1827 ليتم قبوله بعد شهرين من ذلك في نقابة المحامين في العام نفسه، وبعد عامين من تولي فرانكلين المحاماة انتخب لعضوية مجلس الشيوخ الأمريكي لمدينته وعلى مدى ثلاث سنوات ببقائه في المنصب جدد انتخابه من قبل أعضاء المجلس نفسه ليصبح رئيساً لمجلس النواب عام 1833، وفي عام 1834 أبدا اهتمامه بحياته الشخصية، مما أدى إلى اعتزاله الحياة السياسية لكنه ما لبث أن عاد وشارك في الحرب المكسيكية الأمريكية في عام 1846-1848 ليتسنى له بعد ذلك في عام 1852 الحصول على ترشيح الحزب الديمقراطي، والفوز في انتخابات الرئاسة = الأمريكية في العام نفسه بعد حصده لنتائج تلك الانتخابات في تشرين الثاني بـ 254 صوتاً مقابل 42 صوتاً لنظيره ويفيلد سكوت - *Winfield Scott*. تم تنصيبه رئيساً للولايات المتحدة في 4 نيسان 1853، توفي في 8 تشرين الأول عام 1869. للتوسع ينظر:

- *Michael F. Holt , Franklin Pierce: The American Presidents Series: The 14th President , 1853-1857, Times Books , New York , 2010 , Pp. 6-10; Caroline Evensen Lazo , Franklin Pierce, Twenty-First Century, Minneapolis, 2007, Pp. 11-15; Nathaniel Hawthorne , Life of Franklin Pierce , George Routledge and Farrington , London , 1853 , Pp. 7-8; Kauffman , Bill -Author: Frank and Nat. (Flashback: To Know Nothing of What Happened before You Were Born Is to Remain Ever a Child-Cicero) , Magazine: The American Enterprise Vol.12 , Issue:8 , Publication date: December 2001. P.49 ; Franklin Pierce <https://www.britannica.com/biography/Franklin-Pierce>.*

⁽³⁰⁾ **وليام كازنيو** : سياسي ديمقراطي أمريكي، وهو مؤسس شركة الهند الغربية الأمريكية عام 1862، ولد في ولاية ماساتشوستس في بوسطن 1807، وبعد أن أنهى دراسته عمل تاجراً في مدينة ماتاجودا - *Matagoda* في ولاية تكساس التي أنتقل للعيش فيها عام 1830، بدأ مسيرته السياسية بالتحاقه بالجيش الحرس الوطني عام 1835، تدرج في السلك السياسي حتى عين من قبل الرئيس جيمس بوك نان مبعوثاً خاصاً في جمهورية الدومينيكان عام 1853، سعى جاهداً لتحقيق الأطماع الأمريكية في نيكاراغوا من خلال تحويلها إلى محمية أمريكية عام 1858. توفي في جامايكا 1876. للتوسع ينظر:

- *Edward T . James and other , Notable American Women 1607-1950 , Abiographical Dictionary , Vol. 1 A-F , Harvard University Press , United States of America , 1971 , P.316 ; Margarets Swett Henson , The Texas That Might Have Been , texas AM University Press , United States of America , 2009 , P. 214 ; Prologue , Journal of the National Archives , Spring 1986 , Vol.18 No.1 , Jun 24 1986 ; Wikipedia .*

⁽³¹⁾ *Valentina Peguero , Op. Cit., P.19; Melvin M. Knight , Op. Cit., P.4; Chester Lloyd Jones , The Caribbean Since 1900 , Op. Cit., P. 80.*

⁽³²⁾ Chester Lloyd Jones , *The Caribbean Since 1900* , Op. Cit., Pp. 80-18.

⁽³³⁾ *Ibid.*, P.81.

⁽³⁴⁾ Helen Chapin Metz , Op. Cit., P. 26; Chester Lloyd Jones , *The Caribbean since 1900*, Op .Cit., P.81.

⁽³⁵⁾ Matthew J. Smith , *Liberty , Fraternity , Exile: Haiti and Jamaica after Emancipation* , University of North Carolina Press , Chapel Hill , NC , 2014 , Pp. 81-82; Eric Paul Roorda , *Historical Dictionary of the Dominican Republic* , Op .Cit., P.267.

⁽³⁶⁾ Helen Chapin Metz , Op. Cit., P. 27; Valentina Peguero , Op. Cit., P.51.

⁽³⁷⁾ **جيمس بوكنان**: محامي وسياسي أمريكي، وهو الرئيس الخامس عشر للولايات المتحدة الأمريكية، ولد في مدينة غوف غاب -Cove Gap بولاية بنسلفانيا 23 نيسان عام 1791، لأسرة اسكتلندية إيرلندية، تلقى تعليمه في إحدى مدارس منطقة ميركسبورغ -Mercersburg، فأتقن اللغتين اللاتينية واليونانية فضلاً عن إتقانه للإنجليزية، التحق بجامعة يكنسون -Dickinson عام 1807 وتخرج منها، وبعد تخرجه التحق بجامعة لانكاستر -Lancaster عام 1809 لدراسة القانون، وبعد تخرجه مارس المحاماة بعد قبوله في نقابة المحامين عام 1812، فشارك أبان المدة 1812-1814 في الحرب ضد بريطانيا، انتخب لعضوية المجلس التشريعي بولاية بنسلفانيا عام 1814-1816، بعد أن مثل ولايته عضواً في مجلس النواب عام 1815، رشح بعد 5 سنوات للكونغرس فشغل مقعده في 17 كانون الثاني 1821، تقلد عدة مناصب سياسية قبل توليه الرئاسة، فشغل منصب وزيراً للولايات المتحدة الأمريكية في بطرسبورغ خلال 1831-1833 خلال إدارة الرئيس أندرو جاكسون، ثم وزيراً للخارجية 1845-1849 في عهد الرئيس جيمس بولك، ثم أصبح للمرة الثانية وزيراً للخارجية للمدة 1853-1855 أبان إدارة الرئيس فرانكلين بيرس وخلال ذلك ساهم في صياغة بيان أوستند في 18 تشرين الأول 1854، اكتسب بشعبية كبيرة أهله للظفر بمنصب رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية عام 1857. توفي 1868. للتوسع ينظر:

- George Ticknor Curtis , *Life of James Buchanan: Fifteenth President of the United States* , Vol. I , Library of the University of Michigan , New York , 1883, Pp.2-8; Rushmore G. Horton , *The Life and Public Services of James Buchanan President of the United States* , New York , 1858 , Pp. 12 -32; Jean H. Baker; *James Buchanan: The American Presidents Series: The 15th President , 1857-1861* , Times Book Henry Holt and Company Publishers Sins 1866 , New York , 2004 , Pp. 67-97.

⁽³⁸⁾ Silvio Torres-Saillant and Ramona Hernandez , Op. Cit., P.17 ; Chester Lloyd Jones , *The Caribbean since 1900* , Op .Cit., Pp. 83-84.

⁽³⁹⁾ Silvio Torres-Saillant and Ramona Hernandez , Op. Cit., P.17; Cyrus Veaser , *A world Safe for the Capitalisim , Dollar Diplomacy and American Rise to Globy Power* , New york , 2002 , P.35.

⁽⁴⁰⁾ Silvio Torres and Romana Hemandes , Op. Cit., P.17-18.

(41) Chester Lloyd Jones , *The Caribbean since 1900* , Op .Cit., P. 84.

(42) Wayny H. Bowen , *Op. Cit.*, P.85.

(43) Helen Chapin Metz , *Op. Cit.*, P.26.

(44) إيمان كاظم حاجم، عملية خليج الخنازير الأمريكية ضد كوبا 1960-1961 التخطيط - التنفيذ - النتائج ، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، جامعة البصرة ، 2011، ص24.

(45) **الحرب الأهلية الأمريكية 1861-1865**: وهي حرب أو صراع أمريكي داخلي بين الولايات الشمالية والجنوبية حول مسألة الرق، إذ طالبت الولايات الشمالية بإلغائه، في حين تمسكت الجنوبية به، فأدى ذلك إلى اندلاع حرب دموية عام 1861 بين الولايات الشمالية (الاتحاديون) بقيادة أبراهام لنكولن والولايات الجنوبية السبع المنفصلة والتي شكلت بمدينة مونتغمري بولاية ألباما في شباط من نفس العام اتحاداً اثنائياً عرف باسم الولايات الأمريكية المتحالفة- *Confederate States of America* بقيادة جيفرسون ديفيس، وهكذا تشكلت دولة أمريكية جنوبية خارجة عن الاتحاد كانت الشرارة الأولى لبدء الحرب التي استمرت لعام 1865 وهي محاولة الولايات الجنوبية الاستيلاء على قلعة فورت سومتر - *Fortsomtter* ، إذ تكبدت الولايات الشمالية والجنوبية خسائر بشرية كبيرة أذ قتل من الشماليون ما لا يقل عن (359,000) جندي في حين خسر الجنوبيون (258,000) جندي هذا بخلاف الجرحى والمعاقين قدرت الخسائر المادية لهذه الحرب بـ(3,250,000) دولار من الشمال و(1,500,000) انتهت بحرب انتصار الولايات الشمالية وهزيمة الجنوبية. للتوسع ينظر:

Steven Ewoodwoorth , *Cultures in Conflict: The American Civil War* , Green wood , Westport -Ct , 2000 , P.3 ; *Civil War (in U.S. history)* , The Columbia Encyclopedia , 6th ed , The Columbia University Press , 2018.

(46) Chester Lloyd Jones , *The Caribbean since 1900* , Op .Cit., P. 84.

(47) Melvin M. Knight , *Op. Cit.*, P.6.

(48) Valentina Paguero , *Op. Cit.*, P.16.

(49) Eric Paul Roorda , *Historical Dictionary of the Dominican Republic* , Op. Cit., P. 240.

(50) **وليم هنري سيوارد** : سياسي ورجل دولة أمريكي، ولد في قرية فلوريدا في مقاطعة أورانج بولاية نيويورك في 16 أيار عام 1801، أكمل دراسته الابتدائية في قرينته قبل التحاقه بكلية يونيون إذ حصل على شهادة القانون منها عام 1820، بعد تخرجه عمل محامياً في مدينة نيويورك أبان المدة 1821-1824 ، رشح نفسه لعضوية مجلس النواب عام 1829، ثم أنتخب عضواً في مجلس الشيوخ عام 1849 وأعيد انتخابه 1855 ، أنضم للحزب الجمهوري عام 1860، قبل أن يصبح وزيراً خارجية الولايات المتحدة الأمريكية 1861-1869، توفي عام 1872. للتوسع ينظر:

Seward , William Henry , *The Columbia Encyclopedia* , 6th ed , The Columbia University Press , 2018; William H.Seward *Encyclopedia Britannica*. [http :// Britannica Com](http://Britannica Com).

(51) **أبراهام لينكولن**: محامي وسياسي ورجل دولة أمريكي، وهو الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية، ولد في كوخ في مزرعة في مدينة هودغنفيل في مقاطعة لارو بولاية كنتاكي في 12 شباط 1809 تلقى تعليمه الأول في مدارس كركيا ريني وكالي هازيل، ثم بدأ بتطوير تعليمه بنفسه، وبسبب الوضع الاجتماعي المتدني لأسرته، كان لينكولن ينتقل داخل المدن الأمريكية بين عام (1830-1831) كولايي كنتاكي واندانا، ويعمر 21 عام تولى مسؤولية الأعمال الروتينية لأسرته، قبل أن ينتقل هو وأسرته إلى ولاية إلينوي ليستقروا في مقاطعة ماكون، وفي عام 1832 اشترك مع صديق له في شراء متجر في مدينة نيوسالم، لكن ذلك لم يثنه عن مواصلة دراسته فحصل على شهادة في القانون العام 1836 وأصبح عضواً في نقابة المحامين في إلينوي ثم انتخب عضواً في المجلس التشريعي في المدينة نفسها لمدة أربع سنوات 1836-1841، ثم عضواً في مجلس النواب الأمريكي 1843-1849 إذ عارض العبودية وسياسة العنف في أركينساس ونبراسكا. انظم للحزب الجمهوري 1856، ثم رشح لمنصب لنائب الرئيس، ثم أصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية عام 1861. اقتيل في مدينة بيترسن هاوس في العاصمة واشنطن في 15 نيسان 1865. للتوسع ينظر:

-Robert Black , Amemoir of Abraham Lincoln President Elect of the United States of America , Sampson low Son Company , London , 1816 , Pp.21-22; Abraham Lincoln , The Words of Abraham Lincoln , for Use in Schools , Western Publishing House , Chicago , 1898 , Pp. 20-21 ;Lincoln , Abraham , The Columbia Encyclopedia , 6th ed , The Columbia University Press , 2018 ;Cobb Jelani , Article: Lincoln Died for Our Sins: The Greatest Impediment to Achieving Racial Equality Is the Narcotic Belief That We Already Have , -----Magazine TheWashington Monthly , Vol.45 , No.1-2 , January-February , 2013 , Copright , 2013 , P.60; <https://www.britannica.com/biography/Abraham-Lincoln>

(52) Eric Paul Roorda , Historical Dictionary of the Dominican Republic , Op. Cit., P.240.

(53) Wayny H. Bowen , Op. Cit., P.89.

(54) Wayny H. Bowen , Op. Cit., P.89.

(55) Eric Paul Roorda , Historical Dictionary of the Dominican Republic , Op. Cit., P.240.

(56) **خوسيه انطونيو سالسيدو راميريز**: جنرال سياسي دومينيكي، رئيس الجمهورية الثانية بعد إعادة استقلال الدومينيكان عام 1863، ولد في سانتو دومينغو عام 1816، لعائلة إسبانية في سيباو، نشأ لمزاولة عمله قرب مدن الحدود من هاييتي فيما كان يمتلكه من أراضي الزراعية وقطعان ماشية في تلك المدن، شارك في حرب الاستعادة (1863-1865) كزعيم لحركة المقاومة ضد الحكم الإسباني في 16 آب عام 1863 انتخب رئيساً للحكومة المؤقتة المشكلة من قبل القوى الوطنية في سانباغو، التي اتخذت الطابع الرسمي لها في 27 تشرين الثاني توفي عام 1864 : للتوسع ينظر.

-Rafael Chaljub Mejia , Diccionario biografico de los restauradores , dl la Republica .Santo Domingo : Banreservas , 2007, Pp.277-281 ; IBP .Inc ,

Dominican Republic foreign policy and Government Guide , lulu Press , Vol.1 , U S A , P. 47.

⁽⁵⁷⁾ **حرب الاستعادة** : وهي الحرب التي نشأت إبان المدة 1861-1865 في الدومينيكان بين الوطنيين والقوميين وقوات الاحتلال الإسباني، أذ كانت هذه الحرب تهدف إلى إعادة الاستقلال للدومينيكان الذي فقدته بعد 17 عاماً على أثر الاحتلال الإسباني لها، انتهت هذه الحرب باستعادة الدومينيكانيين السيادة، بعد انسحاب القوات الإسبانية وفصل ارتباط سانتو دومينغو بإسبانيا، وأنشاء الجمهورية الثانية في الدومينيكان. للتوسع ينظر:

- *Spencer C .Tucker , A Global Chronology of Conflict- from the Ancient World to the Modern Middle East , Vol. I , A.B.C -Clio. Press , New York , 2010 , P. 1405 ; Country Studies –U S , 6 htm , Dominican Republic –Annexation by Spain , 1861-1865; <http://Omniatlas .Com>, Dominican Restoration war l Historical A has of North America (20 November 1863).*

⁽⁵⁸⁾ *Pope G. Atkin and Larman C. Wilson , The Dominican Republic and United States , New York , 2012 , P.19.*

⁽⁵⁹⁾ *Helen Chapin Metz , Op. Cit., P.28.*

⁽⁶⁰⁾ *Samuel Hazard , Op. Cit., Pp.259-261.*

⁽⁶¹⁾ *Richard A. Haggerly , Dominican Republic : A country Study , Washington , 1989 , Pp.10-15.*

⁽⁶²⁾ **بيدرو انطونيو يمينتل تشامورو**: عسكري سياسي دومينيكي، وهو الرئيس التاسع لجمهورية الدومينيكان أبان المدة المحدودة من 25 آذار-4 آب 1865، ولد في كابتليو عام 1830، بدأ عمله مزارع ثم عسكري في الجيش الدومينيكي خلال حكومة بيدرو سانتانا حيث برز خلالها معارضاً للضم الإسباني، مما تسبب في لجوؤه إلى هايتي 1863 بعد سجنه، والعودة للمشاركة في الثورة ضد الحكم الإسباني في حرب الاستعادة 1863-1865 كقائد عام للجيش والعمليات العسكرية في الشمال الغربي لمتابعة انسحاب القوات الإسبانية 1865، توفي في هايتي عام 1874 اثر مرض الم به. للتوسع ينظر:

<http://revolvoy.com> , Topics matching pedro Antonio pimentl .

⁽⁶³⁾ *Helen Chapin Metz , Op. Cit., P.29.*

⁽⁶⁴⁾ *Wayny H. Bowen , Op. Cit., P.89.*

⁽⁶⁵⁾ *Helen Chapin Metz , Op. Cit., P.29.*

⁽⁶⁶⁾ **خوسيه ماريا غابريال** : واسمه الحقيقي نويغو- *Ingenio Nuevo* عسكري سياسي دومينيكي ، رئيس جمهورية الدومينيكان الثانية عام 1865، بعد حرب الاستعادة وذلك باستعادة الجزء الشرقي من إسبانيا ، لمرتين ، ولد 12 كانون الأول 1816 في المقاطعة الشمالية سان كرسطوبال، مارس عمله بمجال تصدير أخشاب الماهوجني - *Mahogany* ، قائد من أراضي هايتي حركة المقاومة قبل بدأ حرب الاستعادة بتعاون مع فرانسيسكو ديل روساريو سانشيز، نجح بأبعاد منافسه عن سدة الحكم بعد الاستقلال بفترة ليكون هو من يعتلي المنصب الرئاسي في الرابع من آب 1865 لأول مرة.

معلنًا نفسه (حامي للامة)، تنازل عن السلطة بانتهاء نفس العام لبايز فتورا ليكون بعد ذلك مشاركاً بأحداث الانقلاب العسكري 1866 بقيادة كريويولوبيرون، ليتولى منصب الرئيس للمرة التالية في 22 آب 1866 بقي مستمراً بمنصبه لغاية كانون الثاني 1868، باستيلاء بايز على السلطة توفي في سانتودمنغو 28 شباط 1899. للتوسع ينظر:

- Eric Paul Roorda , *Historical Dictionary of the Dominican Republic* , Op .Cit., P.64. ;Wikipedia.

(67) Helen Chapin Metz , Op. Cit., P.29.

(68) Jonathan Hartlyn , Op. Cit., P. 28.

(69) اندرو جونسون: سياسي أميركي، وهو الرئيس السابع عشر للولايات المتحدة الأمريكية، ولد في رالي - *Raleing* عاصمة ولاية كارولينا الشمالية في 29 كانون الأول 1808، لم يلقى أي تعليم خلال مراحل طفولته، غادر جونسون ولايته، إذ سافر سيراً على الأقدام ليصل إلى نوكسفيل ثم أنتقل إلى مورسفيل في ألاباما قبل استقراره في مدينة كولومبيا بولاية تينيسي وليمتهن الخياطة. أذ أسس في غرنفيل أعمال خياطة ناجحة وذلك عام 1827. كما ساعد جونسون في تنظيم انتخابات بلدية غرنفيل عام 1829، ثم ما لبث أن أنتخب حاكم للولاية عام 1834 ثم عضواً في المجلس التشريعي لولاية تينيسي في العام التالي ثم ليصبح عام 1843 عضواً في مجلس النواب حتى عام 1853، قبل أن يصبح عضواً في مجلس الشيوخ 1857-1862 عين في الحزب الديمقراطي أدى اليمين الدستوري رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية بعد اغتيال لنكولن في 15 نيسان 1865، توفي عام 1875. للتوسع ينظر:

- Carl C.Hodge , Cathal J.Nolan , *U.S. Presidents and Foreign Policy From 1789 to the Present* , ABC-Clio , United states of America , 2007 , P. 137 ; Johnson , Andrew , *The Columbia Encyclopedia* , 6th ed , The Columbia University Press , 2018 Andrew Johnson , *Encyclopedia Britannica* . [http : // Britannica Com](http://Britannica.Com).

(70) Helen Chapin Metz , Op. Cit. , Pp.80-81.

(71) Otto Schoenrich , *Santo Domingo Acountry with a future* , New York , 1918 , Pp.63-65.

(72) Helen Chapin Metz , Op. Cit., P.29.

(73) *Ibid*; Chester Llyod Jones , *The Caribbean since 1900* , Op. Cit., P.91.

(74) Otto Schoenrich , Op. Cit., Pp.62 -64.

(75) اوليسيس غرانت: سياسي أميركي وهو الرئيس الثامن عشر للولايات المتحدة الأمريكية ولد بمدينة بوينت بليزنت في بولاية أوهايو 27 نيسان 1822، بعد إكمال دراسته الابتدائية والثانوية، التحق بالأكاديمية العسكرية في ويست بوينت عام 1839 وتخرج منها برتبة ملازم ثاني عام 1843، شارك في الحرب الأمريكية المكسيكية 1846- 1848 ألا أنه أقيّل من الخدمة العسكرية عام 1849 بسبب ما نسب إليه من بعض الممارسات والعادات السيئة. ألا أنه عاد إلى الجيش أبان اندلاع الحرب الأهلية الأمريكية 1861-1865، إذ كلف لقيادة بعض وحدات جيش في الولايات الشمالية الفدرالية، إذ كان أعظم إنجازاته حصار مدينة فيكسبورج على نهر الميسيسيبي 1861-1863 التي على أساسها تم ترقيته إلى قائد عام.

عين بعد انتهاء الحرب وزيراً مؤقتاً للحرب من قبل الرئيس اندرو جونسون عام 1867 تولى رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية لدورتين متتاليتين 1869-1877 ، توفي عام 1885. للتوسع ينظر:

-Gary Gallagher , *Ulysses Grant Triumph Over Advsity 1822-1865* , Zenth Press , U S A , 2000 , P. 2 ; Grant , *Ulysses Simpson* , The Columbia Encyclopedia , 6th ed , The Columbia University Press , 2018.

(76) Lynne Guitar *History of the Dominican Republic* , New York , 2007 , Pp.21-23.

(77) **فردريك وليام سيوارد** : سياسي ودبلوماسي أمريكي، ولد بمدينة نيويورك 8 تموز 1830 ، التحق بكلية يوتيون عام 1849 ، وحصل على شهادة القانون عام 1853 وبعده بعام تم قبوله في نقابة المحامين في مدينة روتشستر في مدينة نيويورك، عمل سكرتيراً لوالده وزير الخارجية وليام سيوارد أبان المدة 1853-1857، قبل أن يشغل منصب مساعد وزير الخارجية خلال إدارتي الرئيس لنكولن وجونسون للمدة 1861-1869 وكذلك في عهد الرئيس رذرفورد هايز 1877-1879 ، توفي عام 1915. للتوسع ينظر:

-David J . Eicler , *Civil Wer in Book An Analxtical Bibliography* , University of the Illinois Press , U. S. A. , 1997 , P.184 ; W.H Molroy , *Elez Mcbrid , Life Sketches or Government officer and Member of the legislature or the State of New york for 1875* , In the Office of the Librarian of Congress , Washington , 1875 , P .273.

(78) Otto Schoenrich , *Op. Cit.*, Pp. 63 -64.

(79) Melvin M. Knight , *Op. Cit.*, P.11 .

(80) يعد قرض هارتمونت القرض الأول لحكومة الدومينيكان الذي تم التعاقد عليه بين إنكلترا بواسطة المصرف والرئيس الدومينيكي بايز فنتورا أبان مجيئه السلطة عام 1869 ونظيره البريطاني ادورد هيرزبرج هارتمونت - *Edward Herzberdg Hartmont* تم توقيعه أوائل أيار في عام 1869، وذلك بدفع (5420,000) جنيه إسترليني للحكومة الدومينيكية، وافقت حكومة بايز على دفع النسبة المذكورة لمدة (52) عام، وبموافقه الأخيرة، كانت الحكومة الدومينيكية قد عملت على بيع سندات مالية قدرها (700,757) جنيه استرليني رغبة منها في الحصول على مال قدره (320,000) إلا أنها لم تروم الحصول على ذلك ألا بنسبة اقل مما يجب عليها استلامه ، انتهت مدة القرض عام 1872. للتوسع ينظر:

-Cyrus Veese , *Op. Cit.*, P.52 ; Dana G.Munro , *The United States and the Caribbean Area* , World Peace Foundation , Boston , 1934 , P. 103.

(81) Cyrus Veese , *Op. Cit.*, P. 52.

(82) Chester Lioyed Jones , *The Caribbean Since 1900* , Pp.78-81; Ellen D. Tillman , *Dollar Diplomacy by Force: Nation-Building and Resistance in the Dominican Republic* , University of North Carolina Press , Chapel Hill , 2016 , P.80.

⁽⁸³⁾ **تشارلز سومنر** : محامي وسياسي أمريكي، ولد في مدينة بوسطن في 6 كانون الثاني 1811، التحق بكلية الحقوق بجامعة هارفارد عام 1830 وتخرج منها عام 1834، وسرعان ما تم قبوله بنقابة المحامين في بوسطن. سافر سومنر إلى العديد من دول أوروبا ومنها فرنسا عام 1737، إذ أتقن الفرنسية في ستة أشهر فقط، عاد بعدها إلى الولايات المتحدة عام 1840 وأنتخب عضواً في جمعية الأثار الأميركية عام 1843 ثم حصل على مقعد في مجلس الشيوخ 1851 عن ولاية ماساشوسيتس، كان من أشد السيناتورات المعارضين لضم جمهورية الدومينيكان، أذ قد معارضة في مجلس الشيوخ والتصويت بالضد على معاهدة سانتو دومينغو عام 1870 عندما كان رئيساً للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ، توفي عام 1974. للتوسع ينظر:

- *Charies Sumner*, In : [http://en.Wikipedia.org/Wiki/ Charles Sumner](http://en.Wikipedia.org/Wiki/Charles_Sumner).

⁽⁸⁴⁾ Quoted in: *Silvio Torres Saillant and Ramona Hernandez*, Op. Cit., Pp. 20 - 21.

⁽⁸⁵⁾ كانت اللجنة قد تألفت من فريدريك دوغلاس مرشح من قبل يوليسيس غرانت رئيساً إلى جانب ثلاثة آخرين هم بنجامين فرانكلين واد - *Benjamin Franklin Wade* واندريو وايت - *Andrew Dickson* وصمويل غريديلي هاو - *Samuel Gridley Howe*، اقتضت مهمتها على إظهار اهتمام الولايات المتحدة بشأن مسألة ضم الجمهورية لها. وتأكيد أهمية ضرورة ذلك للضم للشعب الدومينيكي عن طريق محادثاتها وأقناعها له بما سيكون عليه وضع البلاد وما ستحققه من انتعاش وأمن اقتصادي بعد قبول الحماية الأميركية. استمر وجود اللجنة أربعة أشهر منذ وصولها سانتو دومينغو في كانون الثاني 1871. للتوسع ينظر:

Eric paual Roorda, the *Dominican Republc Reader History*, Op. Cit., Pp.161-163.

⁽⁸⁶⁾ *Silvio Torres Saillant and Ramona Hernandez*, Op. Cit., Pp. 20 -21.

⁽⁸⁷⁾ *Joan Waugh*, *U.S Grant: American Hero*, New York, 2009, Pp. 37-38.

⁽⁸⁸⁾ *Joan Waugh*, Op. Cit., Pp. 37-38.

⁽⁸⁹⁾ عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، المصدر السابق، ص 120.

⁽⁹⁰⁾ المصدر نفسه، ص 120.

⁽⁹¹⁾ *Letter from president Baez to president Grant*, Santo Domingo, August 18, 1873, (Enclosure) in: *F.R.U.S Excutive Ducments of the House of the Representatives*, 1873-1874, Dominican Republic, Vol.I, No:87, Pp. 222-223.

⁽⁹²⁾ *Letter from Mr.Fish to president Baez*, October 25, 1873, in: *F.R.U.S Dominican Republic 1873-1874*, Vol.I, No.88, Pp. 223-224.

⁽⁹³⁾ **فيرناندو أنطونيو ارتورو دي ميرينو**: سياسي ورجل دين دومينيكي، ولد في مقاطعة أنتوسي ياماسا 9 كانون الثاني 1833، نشأ في مدينة سان كارلوس تلقى تعليمه في المدرسة الكليركية، كان نائب الجمعية التأسيسية في موكا. أثناء وضعها للدستور التقدمي، خلال عام 1858 أصبح المسؤول عن الكاتدرائية ومدرسة سانتو دومينغو. ثم أصبح المسؤول

الأعلى عن الكنيسة ثم مديراً للأبرشية في سانتو دومينغو عام 1861، وبناءً على قرارات الكنيسة في روما نصب عام 1885 رئيساً لأساقفة سانتو دومينغو، يعد أرتورو أول رئيس ينتخب بالدستور الذي تم تحديد الرئاسة فيه لعامين، كان معارضاً لحكومة الرئيس بايز فنتورا إذ عمل على تشجيع الحركات الوطنية على الحدود الجنوبية ضد الحكومة خلال حرب السنوات الست 1868، توفي عام 1906. للتوسع ينظر:

- Fernando Artuoro de Merino. Ln; es. Wikipedia.org .

⁽⁹⁴⁾ Helen Chapin Metz , Op. Cit., P.30 ; Leslie Bethell , Op. Cit., Pp.145 -146.

المصادر :

أولاً : الوثائق وزارة الخارجية الأميركية المنشورة:

1. F.R.U.S , Vol.I , No:87 , United States Government Printing Office , Washington, 1873 -1874.
2. F.R.U.S , Vol.I , No.88 , United States Government Printing Office , Washington,,1873, 1873-1874.

ثانياً : الرسائل والأطاريح الجامعية المطبوعة باللغة العربية :

- 1 -إمين كاظم حاجم، عملية خليج الخنازير الأميركية ضد كوبا 1960-196 التخطيط - التنفيذ - النتائج ، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، جامعة البصرة ، 2011.
- 2 - حسن عطية عبد الله، مبدأ مونرو وأثره على السياسة الخارجية الأميركية 1832-1865، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد ، 2006.

ثالثاً : الكتب العربية والمعربة :

1. عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين، تاريخ الولايات المتحدة الأميركية من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، دار الفكر العربي للنشر، القاهرة ، 1999.

الكتب باللغات الاجنبية :

1. Abraham Lincoln , The Words of Abraham Lincoln , for Use in Schools , Western Publishing House , Chicago , 1898.
2. Adwara Walford , Men of the time. Biographical Dictionary Eminent livingcharacters , London , 1862.
3. Alexander Gurdon Abell , Life John Tyler president of the United States , Harper as brothers , New York , 1843.
4. Carl C.Hodge , Cathal J.Nolan , U.S. Presidents and Foreign Policy From 1789 to the Present , ABC-Clio , United states of America , 2007.
5. Caroline Evensen Lazo , Franklin Pierce, Twenty-First Century, Minneapolis, 2007.

6. Chester Lloyd Jones , *Caribbean interests of the United States* , D. Appleton , New York , 1916.
7. Cyrus Veaser , *A world Safe for the Capitalisim , Dollar Diplomacy and American Rise to Globy Power* , New york , 2002.
8. Dana G.Munro , *The United States and the Caribbean Area* , World Peace Foundation , Boston , 1934.
9. David J . Eiclder , *Civil War in Book An Analxtical Bibliography* , University of the Illinois Press , U. S. A. , 1997.
10. Edward T . James and other , *Notable American Women 1607-1950* , Abiographical Dictionary , Vol. 1 A-F , Harvard University Press , United States of America , 1971.
11. Ellen D. Tillman , *Dollar Diplomacy by Force: Nation-Building and Resistance in the Dominican Republic* , University of North Carolina Press , Chapel Hill , 2016.
12. Eric Paul Roorda and other , *the Dominican Republc Reader History , Culture , Politics* , Duke University Press , Durham and London , 2014.
13. Eric Paul Roorda, *Historical Dictionary of the Dominican Republic*, Rowman and Littlefield Press, United States of America, 2019.
14. Gaddis Smith , *the Last Years of the Monroe Doctrine , 1945- 1993* , New York , 1994.
15. Gary Gallagher , *Ulysses Grant Triumph Over Advsity 1822-1865* , Zenth Press , U S A , 2000.
16. George Ticknor Curtis , *Life of James Buchanan: Fifteenth President of the United States* , Vol. I , Librart of the University of Michigan , New York , 1883
17. Helen Chapin Metz , *Dominican Rebuplic and Haiti Country Studies* , Washington D.C. 2001
18. IBP .Inc , *Dominican Republic foreign policy and Government Guide* , lulu Press , Vol.1 , U S A.
19. Jean H. Baker; *James Buchanan: The American Presidents Series: The 15th President , 1857-1861* , Times Book Henry Holt and Company Publishers Sins 1866 , New York , 2004 .
20. Joan Waugh , *U.S Grant: American Hero* , New York , 2009.
21. Jonathan Hartlyn , *The Struggle for Democratic Politics in the Dominican Republic* , University of North Carolina Press , Chapel Hill , NC , 1998.
22. Lynne Guitar *History of the Dominican Republic* , New York , 2007.
23. Margarets Swett Henson , *The Texas That Might Have Been* , texas AM University Press , United States of America , 2009.
24. Mark Byrnes , James K. Polk , *A Biographical Companion* , ABC. Clio Press , U S A , 2001.
25. Mathew C. Cutmann and Other , *Perspective on Las American* , Library Congress , American United State , 2003.

-
26. Matthew J. Smith , *Liberty , Fraternity , Exile: Haiti and Jamaica after Emancipation* , University of North Carolina Press , Chapel Hill , NC , 2014.
 27. Melvin M. Knight ,*The Americans in Santo Domingo*, Vanguard Press , New York, 1928.
 28. Michael F. Holt , *Franklin Pierce: The American Presidents Series: The 14th President , 1853-1857*, Times Books , New York , 2010.
 29. Michael R. Hall , *Historical Dictionary of Haiti* .
 30. Nathaniel Hawthorne , *Life of Franklin Pierce* , George Routledge and Farringdon , London , 1853.
 31. Otto Schoenrich , *Santo Domingo Acountry with a future* , New York , 1918.
 32. Pope G. Atkin and Larmanc C. Wilson , *The Dominican Republic and United States* , New York , 2012.
 33. Rafael Chaljub Mejia , *Diccionario biografico de los restauradores , dl la Republica .SantoDomingo : Banreservas* , 2007.
 34. Richard A. Haggerly , *Dominican Republic : Acountry Study* , Washington , 1989.
 35. Richard M.Juang and Other , *Africa and the Americas :Culture Politics and History-Vol. I* , A B C-Clio Press , USA , 2008.
 36. Robert Black , *Amemoir of Abraham Lincoln President Elect of the United States of America* , Sampson low Son Company , London , 1816.
 37. Samuel Hazard , *Santo Domingo , Past and Present with a glance at Haiti* , New York , 1873 .
 38. Silvio Torres –Saillant, Ramona Hernandez , *The Dominican Americans* , Greenwood Press , London, 1998
 39. Southwrn Illinois University Press , U S A, 1995.
 40. Spencer C .Tucker , *A Global Chronology of Conflict- from the Ancient World to the Modern Middle East* , Vol. I , A.B.C -Clio. Press , New York , 2010.
 41. Steven Ewoodwoorth , *Cultures in Conflict: The American Civil War* , Green wood , Westport –Ct , 2000.
 42. *The Life and Public Services of James Buchanan President of the United States* , New York , 1858.
 43. Thomas E. Skidmore and Peter H. Smith , *Modern Latin America* , Oxford University Press , New York , 2005.
 44. W.H Molroy , Elex Mcbrid , *Life Sketches or Government officer and Member of the legislature or the State of Newyork for 1875 , In the Office of the Librarian of Congress* , Washington , 1875.
 45. Wayne H. Bowen ,*Spain and American Civil War* ,University of Missouri press, London.
 46. William D. Boyce , *United States Dependencies , Cuba , Dominican Republic , Haiti , Panama Republic* , New York , 1914.

رابعاً: الدوريات باللغات:

1. *Genre and Gender in Antebellum U.S. Isthmiana* , *Journal , American Studies* , January 1 , 2014 , Vol. 53 , Issue: 1.
2. *Prologue* , *Journal of the National Archives* , Spring 1986 , Vol.18 No.1 , Jun 24 1986 ; Wikipedia

خامساً : المجلات الأجنبية :

1. *The American Enterprise* , Vol.12 , Issue:8 , December , 2001.
2. *The Washington Monthly* , Vol.45 , No.1-2 , January-February , 2013 , Copy right , 2013 .

سادساً : الموسوعات باللغات الأجنبية :

1. *The Columbia Encyclopedia* , 6th ed , The Columbia University Press , 2018.
2. *Encyclopedia Britannica*.

سابعاً : المواقع على شبكة المعلومات الدولية(الانترنت) :

1. <https://www.britannica.com/biography/Franklin-Pierce>.
2. <http://www.Parliament.gof.S> .
3. <http://revolvoy.com> , Topics matching pedro Antonio pimentl.
4. <http://countrystudies.us/dominican-republic/6.htm>
5. <http://Omniatlas.Com>, Dominican Restoration war l Historical A has of North America (20 November 1863).
6. <https://peoplepill.com/people/manuel-jimenez> .
7. https://thebiograaphy.us/en/jimenez_manuel.
8. https://www.biografiasyvidas.com/biografia/j/jimenez_manuel.
9. <http://Britannica.Com>. James K. Polk
10. <http://Britannica.Com>. William H.Seward Encyclopedia Britannica.
11. <http://Britannica.Com>. William H.Seward Encyclopedia Britannica.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

عناية فقهاء حاضرة تازة برسالة ابن أبي زيد القيرواني

أ.د/ عبد الرحيم الحمدادي

أستاذ باحث، الثانوية التأهيلية الإمام الغزالي، المديرية الإقليمية: مكناس، المغرب.

elhamdadiabdo@hotmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/04/18 م تاريخ التحكيم: 2021/04/28 م تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص:

يتناول هذا المقال عناية فقهاء حاضرة تازة بكتاب "الرسالة" لابن أبي زيد القيرواني بالشرح والتقييد عليها، هذا الكتاب الذي يعتبر من أهم ما ألف في الفقه المالكي، فقد اهتموا بقراءتها وشرحها والتعليق عليها، ومن هؤلاء: إبراهيم التسولي التازي، وأحمد زروق، وأبو الحسن الصغير الزرويلي. الكلمات المفتاحية: الرسالة، ابن أبي زيد القيرواني، تازة، شروح الرسالة.

**The interest of the fqahaa of the city of Taza to the message of Ibn
Abi Zaid al-Qayrawani.**

Pr. Dr: Elhamdadi abderrahim

**Research Professor, Imam El-Ghazali Qualifying Secondary School, Regional
Directorate: Meknes, Morocco.**

elhamdadiabdo@hotmail.com

abstract:

This article deals with the attention of the jurists of the city of Taza about the book "The Message" by Ibn Abi Zaid al-Qayrawani, explaining and restricting it. This book is considered one of the most important writings in Maliki jurisprudence. Sagheer Al-Zarwili.

Key word: The message, Ibn Abi Zaid, Taza, commentaries on the message.

مقدمة:

الحمد لله الحق المبين، هادي الورى إلى صراط مستقيم، باعث محمد صلى الله عليه وسلم بلسان عربي مبين،
رحمة بالمؤمنين وحنّة على العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبعد:

يعد المذهب المالكي من أعظم المذاهب السنية وأرجحها عند المغاربة، فقد عرفوا قدره والتزموا به
ولم يتركوه منذ عرفوه، وذلك راجع لأسباب عديدة منها: تأثير علمائه في الأوساط الاجتماعية التي عاشوا
فيها، وقد أنجب المذهب فقهاء أفذاذ بلغوا رتبة عالية في الاجتهاد وفهم الدين والعمل بأحكامه.
فقد وهبوا حياتهم لنشر هذا المذهب وتدريسه، وبذلك ألفوا كتباً تعتبر من أمهات الكتب
الفقهية، في حين عمل البعض على العناية بها بشرحها والتقييد عليها، هذه الكتب التي كانت ولا تزال
إلى يومنا هذا منارات سار عليها الأعلام الذين جاؤوا من بعدهم، وذخائر تشريعية وفقهية ضخمة كانت
بمنزلة كنوز ادخرت لهذه الأمة.

ومن بين الكتب التي ألّفت في المذهب المالكي "الرسالة" للإمام ابن أبي زيد القيرواني، التي تعتبر
من أعظم ما ألّف في المذهب، بحيث تعد الكتاب الثالث بعد "الموطأ" و"المدونة"، لذلك رزقت من
القبول والانتشار وعناية الناس بها وإقبالهم عليها وتأثرهم بها ما لم يحظ به أي مؤلف غيره، ولا يضاهيه في
المنزلة والخطوة إلا "الموطأ" و"المدونة".

ولذلك اعتنى الفقهاء بها شرحاً وتقييداً عليها ومن اهتموا بشرحها فقهاء حاضرة تارة منهم:
أبو الحسن الصغير الزرويلي، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي يحيى التسولي التازي، والشيخ أحمد
رزّوق.

لذلك سأتناول في مقالي هذا: ترجمة موجزة لابن أبي زيد القيرواني صاحب كتاب الرسالة، مبيّنا
اسمه ونسبه، مولده، مكانته العلمية وفضله، شيوخه، تلاميذه، آثاره العلمية، وفاته، سبب وفاته، مدفنه.
كما سأحدث فيه عن التعريف بكتاب "الرسالة"، من خلال: توثيق اسم الكتاب، وصحة
نسبته إلى مؤلفه، سبب وضع الكتاب وتاريخ تأليفه وموضوع الكتاب ومحتواه.

وسأختمه بالحديث عن عناية فقهاء حاضرة تازة بكتاب الرسالة منهم: أبو الحسن الصغير الزرويلي، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي يحيى التسولي التازي، والشيخ أحمد زروق.

الفصل الأول: ترجمة ابن أبي زيد القيرواني ورسالته

المبحث الأول: ترجمة ابن أبي زيد القيرواني.

المطلب الأول: اسمه ونسبه.

هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي¹ القيرواني². ولد الإمام ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله سنة 310هـ/922م، على الأرجح بمدينة القيروان³، في حين خالف بروكلمان المؤرخين فذهب إلى أن سنة ولادته 316هـ⁴.

المطلب الثاني: مكانته العلمية وفضله

تجمع جميع المصادر التي ترجمت لابن أبي زيد القيرواني، أنه كان ورعا، موثوقا به، إمام المالكية في وقته، وقدوتهم لخص المذهب المالكي وذب عنه، وجامع مذهب مالك، وشارح أقواله، إليه كانت الرحلة من الأقطار، كان يعرف بمالك الصغير، ملأت تواليفه البلاد⁵.

قال القاضي عياض: "هو الذي لخص المذهب وضم كسره، وذب عنه، وملأت تواليفه البلاد، عارض كثير من الناس أكثرها فلم يبلغوا مداه مع فضل السبق، وصعوبة المبتدأ، وعرف قدره الأكابر"⁶. وقال فيه حافظ المغرب أبو الحسن بن عبد الله بن القطان: "ما قلدته حتى رأيت السبائي⁷ يقلده، واستجازه ابن مجاهد البغدادي وغيره من أصحابه البغداديين"⁸.

وقال فيه تلميذه القابسي: "كان أبو محمد إماما موثوقا في ديانتته وروايته"⁹.

وقال الدباغ: "انتشرت إمامته في العلم شرقا وغربا، وظهرت فضائله وفواضله، بعدا وقربا واحد الزمان جلالاتا وعلماء، فريد العصر عقلا وفها، مع ورع حافز وحسن سمت ووقار، وارتفاع همة وعذوبة ألفاظ، ضربت إليه الأكباد عن سائر البلدان"¹⁰.

وقال ابن فرحون: "كان إمام المالكية في وقته وقدوتهم وجامع المذهب، وشارح أقواله، وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية وكتبه تشهد له بذلك، فصيح القلم ذا بيان ومعرفة بما يقوله ذابا عن

مذهب مالك قائما بالحجة عليه، بصيرا بالرد على أهل الأهواء، يقول الشعر ويبيده ويجمع إلى ذلك صلاحا تاما وورعا وعفة، وحاز رئاسة الدين والدنيا، وإليه الرحلة من الأقطار، ونجب أصحابه وكثر الآخذون عنه"¹¹.

أما أبو المحاسن جمال الدين بن تغري بردي فيقول فيه: "كان واسع العلم كثير الحفظ ذا صلاح وعفة وورع"¹².

وأما أبو محمد عبد الله الياضي، فيقول فيه: "الإمام الكبير الشهير شيخ المغرب، وإليه انتهت رئاسة المذهب"¹³.

وأما أحمد النفراوي فيقول عن مناقبه: "إنها كثيرة منها كثرة حفظه وديانته، وكمال ورعه وزهده"¹⁴.

المطلب الثالث: شيوخه:

تتلمذ الإمام ابن أبي زيد القيرواني على مجموعة كبيرة من العلماء منهم:

. أبو محمد عبد الله بن أبي عثمان سعيد بن محمد بن الحداد، (ت 320 هـ)¹⁵.

. أبو عثمان سعدون بن أحمد الخولاني (ت 324 هـ)¹⁶.

. أبو بكر محمد بن محمد بن وشاح، يعرف بابن البلاد القيرواني (ت 333 هـ)¹⁷.

. أبو الفضل عباس بن عيسى الممسي نسبة لقرية ممس بإفريقية (ت 333 هـ)¹⁸.

. أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي القيرواني مؤلف طبقات علماء إفريقية (ت 333 هـ)¹⁹.

. الغرابلي السوسي: موسى بن أحمد الغرابلي السوسي (ت 333 هـ)²⁰.

. ربيع القطان: أبو سليمان ربيع بن سليمان بن عطاء الله القرشي²¹.

. محمد بن الفتح المرجي المؤدب المعروف بالصواف (ت 334 هـ)²².

. أبو مسيرة بن نزار أحمد بن نزار (ت 337 هـ)²³.

. حبيب مولى أبي سليمان بن الربيع (ت 339 هـ).

. الحسن بن نصر السوسي (ت 341 هـ)²⁴.

- . سحنون بن أحمد: سحنون بن أحمد التنوخي (ت 343هـ)²⁵.
- . أبو بكر بن سعدون التميمي (ت 344هـ)²⁶.
- . أبو عبد الله محمد بن مسرور العسال (ت 346هـ)²⁷.
- . أبو محمد عبد الله بن أبي هشام بن مسرور بن قاسم التحيي المعروف بابن الحمام (ت 346هـ)²⁸.
- . أبو الحسن بن محمد الخولاني الكناشي (ت 347هـ)²⁹.
- . أبو عبد الله محمد بن نظيف البزار (ت 355هـ)³⁰.
- . إبراهيم بن أحمد أبو إسحاق السبائي (ت 356هـ)³¹.
- . دراس الفاسي أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الجراوي الفاسي (ت 357هـ)³².
- . الأبياني: أبو العباس عبد الله بن أحمد التونسي المعروف بالأبياني (ت 361هـ)³³.
- . الجبنياني: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البكري الجبنياني (ت 369هـ)³⁴.
- . عبد الوارث بن حسن بن أحمد بن أخي أبي الأزهر (ت 371هـ)³⁵.
- . أبو سعيد خلف بن عمر (ابن أخي هشام الحناط) (ت 373هـ)³⁶.
- . أبو عثمان بن أحمد بن إبراهيم بن حماد القاضي (ت 329هـ)³⁷.
- . ابن الوراق المروزي: أبو بكر بن محمد بن أحمد بن محمد بن الجهم (ت 329هـ)³⁸.
- . ابن شعبان: أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان يعرف بابن القرطي وهو من نسل الصحابي عمار بن ياسر رضي الله عنهما روى عن ابن صدقة (ت 355هـ)³⁹.
- . أبو محمد بن عبد الله التميمي، الشهير بالأبهرى البغدادي (ت 375هـ)⁴⁰.
- . أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد المؤمن المكي السني الأشعري⁴¹.
- . أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر الأصيلي، (ت 392هـ)⁴².

المطلب الرابع: تلاميذه

تتلمذ على الشيخ أبا محمد بن أبي زيد القيرواني عدد كبير من مختلف الأقطار والبقاع، وقد قسمهم القاضي عياض أقساماً أربعة حسب الانتماء الجغرافي (القيروان . الأندلس . سبتة . المغرب)، وهو تقسيم أثبتته ابن فرحون صاحب الديباج، ومخلوف صاحب شجرة النور الزكية نذكر منهم:

القيروانيين

- . أبو سعيد خلف بن أبي القاسم الأزدي: المعروف بالبرادعي (ت 386هـ)⁴³.
- . أبو الحسن علي بن عبد الله القطان المعروف بابن الخلاف (ت 391هـ)⁴⁴.
- . أبو علي حسن بن خلدون البلوي القيرواني، (ت 407هـ)⁴⁵.
- . أبو بكر عتيق بن خلف التجيبي (ت 422هـ)⁴⁶.
- . أبو عبد الله محمد بن العباس الأنصاري الخواص (ت 428هـ)⁴⁷.
- . أبو زكرياء يحيى بن علي بن زكرياء التوزري الشقراطي (ت 429هـ)⁴⁸.
- . أبو بكر أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الخولاني القيرواني (ت 432هـ)⁴⁹.
- . أبو محمد مكّي بن أبي طالب (ت 437هـ)⁵⁰.
- . أبو سعيد خلف بن محمد الخولاني المعروف بالخياط⁵¹.
- . أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الحضرمي القيرواني (ت 440هـ)⁵².

الطرابلسيين

- . أبو الحسن علي بن محمد الطرابلسي (ت 432هـ)⁵³.
- . القاضي أبو عبد الله الخشاب⁵⁴.

المغاربة

- . أبو مروان عبد الملك الكوري (ت 407هـ)⁵⁵.
- . ابن العجوز أبو عبد الرحمن بن أحمد الكتامي السبتي، الفاسي (ت 413هـ)⁵⁶.
- . أبو عبد الله بن محمد بن غالب الحمذاني (ت 434هـ)⁵⁷.

الصقليين

. أبو بكر الصقلي: أبو بكر بن العباس الصقلي⁵⁸.

. أبو الحسن بن الحصائري، أحمد بن عبد الرحمن الخلفي القاضي الصقلي⁵⁹.

الأندلسيين

. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله المعروف بابن العطار القرطبي (ت399هـ)⁶⁰.

. أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بابن الفرضي (ت403هـ)⁶¹.

. أبو بكر محمد بن موهب التميمي المعروف بالمقبري (ت406هـ)⁶².

. القاضي أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب بن داود

المعروف بابن الحذاء التميمي (ت416هـ)⁶³.

. أبو الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث المعروف بابن القصار (ت429هـ)⁶⁴.

. أبو عبد الله بن عابد محمد بن عبد الله بن سعيد بن عابد المعافري القرطبي (ت439هـ)⁶⁵.

. أبو القاسم الوراق خلف بن مروان التميمي الوراق الدقاق القرطبي (ت440هـ)⁶⁶.

المشاركة

. أبو محمد بن عبد الله التميمي، الشهير بالأبهرقي البغدادي (ت375هـ)⁶⁷.

. أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد القاضي المعروف بالباقلاني (ت403هـ)⁶⁸.

. القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين التغلبي البغدادي (ت

422هـ)⁶⁹.

المطلب الخامس: آثاره العلمية

صنف ابن أبي زيد القيرواني في مجالات مختلفة: كالفقه وأصول الدين والزهد والرقائق... فمن

هذه الكتب نذكر:

كتاب "الرسالة"، والنوادر والزيادات على ما في المدونة وغيرها من الأمهات"، مختصر المدونة"،
و"تهديب العتبية"، و"كتاب الجامع في السنن والآداب والحكم والمغازي والتاريخ وغير ذلك"، و"الذب
عن مذهب مالك"، و"مسألة الحبس على أولاد الأعيان"، و"النهي عن الشذوذ عن العلماء"، و"مناسك
الحج"، و"النهي عن الجدل"، و"المعرفة واليقين"، و"كشف التلبيس في الرد على البكرية"، و"طلب

العلم"، "فضل قيام رمضان"، و"في من تأخذ عنه قراءة القرآن والذكر"، و"رسالة إلى أهل سجلماسة في تلاوة القرآن"، و"رسالة في أصل التوحيد"، "رسالة في الرد على القدرية ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي"، و"الثقة بالله والتوكل على الله سبحانه"، و"التنبيه على القول في أولاد المرتدين"، و"الإقتداء بأهل المدينة"، و"قصيدة في البعث"، و"قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم"، و"رسالة في الفروع المالكية"، و"رد السائل"، و"الرد على ابن مسرة المارق"، و"حماية عرض المؤمن"، و"البيان عن إعجاز القرآن"، و"الأمر والإقتداء"، و"إثبات كرامات الأولياء"، و"الاستظهار في الرد على البكرية"، و"إعطاء القرابة من الزكاة"، "المضمون من الرزق"، و"الموعظة الحسنة لأهل الصدق"، و"زوائد ابن أبي زيد"، و"تفسير أوقات الصلاة"، و"أحكام المعلمين والمتعلمين"، و"جملة مختصرة من واجب أمور الديانة"، "التقريب التبيين"⁷⁰.

المطلب السادس: وفاته ومدفنه

اختلف المؤرخون في وفاة ابن أبي زيد القيرواني، فمنهم من ذهب إلى أنه توفي سنة 389هـ⁷¹، والصحيح أن وفاته كانت في الثلاثين من شعبان سنة ست وثمانين وثلاثمائة 386هـ، عن سن ستا وسبعين سنة⁷².

ودفن الإمام أبو محمد بن أبي زيد القيرواني بداره بالقيروان، وصلى عليه الشيخ أبو الحسن القاسبي بالرحمانية عند باب أصرم يوم الثلاثاء في جمع لا يحصون⁷³.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب: "الرسالة"

المطلب الأول: سبب وضع الكتاب وتاريخ تأليفه

1. سبب وضع الكتاب

إن سبب تأليف أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني كتابه "الرسالة"، هو الاقتراح الذي تقدم به إليه أحد شيوخه الذي اختلف فيه، فقبل هو الشيخ أبو إسحاق السبائي، وقيل المعلم لكتاب الله بمدينة تونس المؤدب أبو محفوظ محرز بن خلف الصديقي، وإليه مال ابن ناجي⁷⁴ وحزم به مخلوف في شجرة النور الزكية⁷⁵، ولكن الذي لم يختلف فيه، هو أنه ألفها بناء على طلب وجه إليه، فقد ورد في مقدمتها، أما بعد: "... فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة من واجب أمور الديانات مما تنطق به الألسنة،

وتعتقد الأفئدة وتعلمه الجوارح وما يتعلق بالواجب من ذلك في السنن من مؤكدها ونوافلها ورغائبها وشيء من الآداب منها⁷⁶.

وقد أكد كذلك في خاتمة "متن الرسالة" على الغرض من تأليفه فقال: "قد أتينا على ما شرطنا أن نأتي به في كتابنا هذا مما ينتفع به إن شاء الله من رغب في تعليم ذلك من الصغار، ومن احتاج إليه من الكبار، وفيه ما يؤدي الجاهل إلى علم ما يعتقد من دينه، ويعمل به من فرائضه، ويفهم كثيرا من أصول الفقه وفنونه، ومن السنن والرغائب"⁷⁷.

2. تاريخ تأليفه

تعتبر "الرسالة" من أول التأليف التي دونها عبد الله بن أبي زيد فقد ذهب صاحب معالم الإيمان إلى أن ابن أبي زيد القيرواني ألف كتاب "الرسالة" في سن الحداثة وعمره لا يتجاوز السابعة عشر وذلك سنة 327هـ⁷⁸.

وقال الدكتور عمر الجيدي: " وإذا عرفنا أنه ألفها وسنه لا يتجاوز سبعة عشر عاما تبين لنا أنه كان على درجة عالية من الذكاء والنبوغ والاستعداد الفطري لتقبل العلم واستيعابه، إذ التأليف في مثل هذه السن المبكر، لا يقدم عليه إلا من آتاه الله الحكمة والتوفيق"⁷⁹.

المطلب الثاني: موضوع الكتاب ومحتواه

1. موضوع الرسالة: "جملة مختصرة من واجب أمور الديانة، مما تنطق به الألسنة، وتعتقد القلوب، وتعلمه الجوارح، وما يتصل بالواجب من ذلك من السنن من مؤكدها، ونوافلها ورغائبها، وشيء من الآداب فيها، وجمال من أصول الفقه وفنونه على مذهب مالك بن أنس رحمه الله وطريقته، مع ما سهل سبيل ما أشكل من ذلك من تفسير الراسخين وبيان المتفقهين"⁸⁰.

كل هذه العناصر العلمية ضمنها ابن أبي زيد القيرواني في هذا المختصر المركز، ومن ثم فلا عجب أن تحتوي مع اختصارها وصغر حجمها على أربعة آلاف مسألة، مأخوذة من أربعة آلاف حديث، ما من مسألة إلا وهي مأخوذة من حديث⁸¹.

2. محتويات "الرسالة"

جمع ابن أبي زيد القيرواني في كتابه هذا "الرسالة". ما يجب على المكلف معرفته من عقائد الإيمان وأحكام العبادات والمعاملات، وما يسن أو يندب من الآداب⁸². فقد وضع ابن أبي زيد القيرواني مباحث هذا الكتاب في خمسة وأربعين باباً دون المقدمة والخاتمة، حسب ترتيب ممنهج ودقيق.

وقد افتتح المؤلف كتابه هذا "الرسالة" بباب ما تنطق به الألسنة وتعتقد الأفئدة من واجب الديانات، وختمه بباب فضل الإتيان لكتاب الله وسنة رسوله، وللسلف الصالح من المسلمين، وما فيه من نجاة المؤمنين.

المطلب الثالث: أهمية ومكانة "الرسالة"

يعتبر كتاب "الرسالة" لابن أبي زيد القيرواني من أهم ما ألف في المذهب المالكي، وتعد من حيث الأهمية والتداول الكتاب الثالث بعد "الموطأ" و"المدونة"، وقد رزقت من القبول والانتشار وعناية الناس بها وإقبالهم عليها، وتأثرهم بها ما لم يحظ به أي مؤلف غيره ولا يضاهيه في المنزلة والخطوة إلا "الموطأ" و"المدونة"، فقد عظم شأن "الرسالة" هذا وجل بالنفع والبركة والقبول مكانه⁸³.

ويصف الشيخ أبو العباس القلشاني⁸⁴، في مقدمة شرحه لها انتشار "الرسالة" وشيوعها وإقبال الناس عليها واهتمامهم بها فيقول: "اشتهرت اشتهاً النهار وشاعت في جميع الأقطار وتلقاها الناس بالقبول في جميع الأعصار، وظهرت بركتها وبمنها على من اشتغل بها من الكبار والصغار، ولهذا قيل: إن من حفظها واعتنى بها وهبه الله تعالى ثلاث أو واحدة من الثلاث، العلم والمال والطيب والصلاح، ولم تسمح القرائح بأمثالها، ولم ينسج ناسج على منوالها، وكثرت بسبب ذلك الأوضاع عليها⁸⁵".

وقال الشيخ الدباغ: "اشتهرت "الرسالة" في سائر بلاد المسلمين حتى بلغت العراق واليمن والحجاز والشام ومصر وصقلية وبلاد النوبة، وجميع بلاد إفريقيا والمغرب وبلاد السودان، وتنافس الناس في اقتنائها حتى كتبت بالذهب، وأول نسخة منها بيعت ببغداد في حلقة أبي بكر الأبهري بعشرين دينار ذهباً⁸⁶".

ويحكي أن ابن ناجي أنه لما أتم تأليفها كتب منها نسختين بعث بواحدة إلى أبي بكر الأبهري كبير فقهاء المالكية في بغداد، فأبدى إعجابه بها، ولم يتمالك. من فرط الإعجاب. إذ أثنى على صاحبها، وأشاع خبرها بين الناس، وعرف مؤلفها، وأمر ببيعها فبيعت بمائتي دينار، ولكنه لم يرضى إلا أن تباع بوزنها ذهباً، كما بعث بالثانية إلى أبي بكر بن زرب القرطبي، إلا أن ما فعله هذا الأخير بها. إن صح.⁸⁷ لا ينم عن أخلاق العلماء، ولا يتفق مع سلوكهم وشيمهم ومروءتهم، إذ كما يقال: أخفاها وأخذ ينسج على منوالها، حتى إذا أتم ما كتب وسماه الخصال أظهرها بعد ذلك، ووصل هذا الصنيع من ابن زرب إلى مؤلف "الرسالة" فيما يحكي المؤرخون فتشكى من سوء هذا التصرف.⁸⁸

وقد عد القرافي "الرسالة" من جملة خمسة كتب عكف عليها المالكيون شرقاً وغرباً.⁸⁹ ونقل النفراوي في شرحها أن من عمل بها بعد قراءتها يجمع فيه الله من الأوصاف الحسان ما كان في المصنف أو معظمها، ومن أعظم أوصافه علو إسناده لأنه كان يروي عن سحنون بواسطة، وعن ابن القاسم بواسطتين، وعن مالك بثلاث، وكان يعرف صاحبها بمالك الصغير وبخليفة مالك وقطب المذهب.⁹⁰

وقال القاضي أبو العباس بن عرضون الغماري: "يطلق عليها "الرسالة" زبدة المذهب، وينصح المتعلمين بالبدء بقراءتها"، وقبله قال ابن عباد⁹¹: "طلبوا الفقه في غير "الرسالة" فأضلوه".⁹²

وقد أنشد في الثناء عليها القاضي عبد الوهاب البغدادي قائلاً:

رسالة علم صاغها العلم النهد	***	قد اجتمعت فيها الفرائض والزهد
أصول أضاءت بالهدى فكأتمما	***	بدا لعيون الناظرين بها الرشده
وفي صدرها علم الديانة واضح	***	وآداب خير الخلق ليس لها ند
لقد أم بانيتها السداد فذكره	***	بها خالد ما حج واعتمر الوفد ⁹³

وذكر الدكتور عمر الجدي رحمه الله تسعة وخمسين شرحاً لها في المحاضرة الثانية عشرة من كتابه⁹⁴، والدكتور حمزة أبو فارس صنفها ما بين المطبوع والمخطوط والمفقود إلى أربع ومائة شرح⁹⁵، كما أحصى الدكتور الحسن زين فيلالي أزيد من مائة وأربعة وثلاثين شرحاً، ما بين الموجود منها والمفقود.⁹⁶

الفصل الثاني: عناية فقهاء حاضرة تازة بكتاب " الرسالة".

المبحث الأول: نبذة تاريخية عن حاضرة تازة:

تقع مدينة تازة في شرق مدينة فاس بنحو 127 كلم، في منتصف الطريق المؤدي إلى مدينة وجدة، وتمتاز بموقعها العسكري الهام، كونها تقع في هضبة مرتفعة⁹⁷. وهي حلقة الوصل بين المغربين الشرقي والغربي، كما أنها تشكل حلقة وصل بين كل من مقدمة الريف الشمالي والجهة الشرقية الجنوبية من المحيط الأطلسي، وتقدر مساحتها بحوالي 37 كلم مربع.

عرفت المنطقة استقرارا بشريا منذ القدم، والدليل على ذلك اكتشاف العديد من المخلفات البشرية فيها؛ كالأواني الفخارية، والنقوش والرسومات في مغاراتها، والعديد من الأدوات الحديدية والحجرية، وفي عصر من العصور القديمة أنشأت قبيلة مكناسة الزناتية ما يسمى بمكناسة تازة، وأقامت فيها قلعة.

أما في العصر الموحدى فقد أسس عبد المؤمن بن علي سورها، وبنى فيها المسجد الجامع الأعظم⁹⁸، وذلك خلال سنة 542 للهجرة، وأصبحت المدينة كرباط فسميت باسم رباط تازة⁹⁹.

دخل إلى المدينة المرينيون سنة 614 هـ، واتخذوا منها عاصمة مؤقتة؛ كونها تتمتع بموقع محصن، قال الحسن الوزان: " تازا مدينة كبيرة... أسسها الأفاقة القدماء... ومن عادة ملوك فاس لهذا العهد أنهم يقطعون هذه المدينة لثاني أبنائهم، ومن الواجب. والحق يقال. أن تكون حاضرة المغرب لطيب هوائها شتاء وصيفا، وكان ملوك بني مرين يقيمون بها الصيف كله، لا لهذا السبب فحسب، ولكن أيضا لحراسة البلاد وحمايتها من أعراب الصحراء"¹⁰⁰.

أما في العصر الوطاسي فكانت المدينة عبارة عن مدينة تحتوي على ثلاث مدارس وعدد من الأسواق والحمامات، وبعد الاضطرابات التي حدثت في المدينة خلال نهايات العصر المريني استرجعت المدينة بعضا من أهميتها العسكرية؛ فتمت إضافة بعض التحصينات إليها في الجهة الجنوبية الشرقية منها على غرار برج البستيون الذي تم تشييده خلال عهد أحمد المنصور الذهبي.

وفي العصر العلوي كان السلطان مولاي رشيد أول من اهتم بالمدينة خلال سنة 1075هـ، فاتخذ منها قاعدة للسيطرة على مدينة فاس والتحكم بها، كما أنه أحدث فيها بعض التغييرات؛ حيث

حوّل دار المخزن والمشور من جانب المسجد الجامع الأعظم إلى محاذاة البستون الشهير باتجاه الجنوب الشرقي للمدينة، ثم جدد المسجد الجامع الأعظم.

وأصبحت المدينة في أوائل القرن العشرين مقسومة إلى حين: الأول شمالا محيط بالجامع الكبير، وأطلق عليه اسم "موالين الجامع"، والحي الآخر بالجهة الجنوبية، وأطلق عليه اسم الفوقيين " كونه مرتفعا.

المبحث الثاني: فقهاء حاضرة تازة وعنايتهم بالرسالة

لقد عرفت حاضرة تازة علماء أجلاء تركوا لنا كماً لا بأس به من المؤلفات في مختلف الميادين الفقهية والأدبية وعلم القراءات وأدب النصوص وغير ذلك من ألوان المعرفة الإنسانية والحضارية الفكرية. ذلك التراث الذي مثل حضارتنا المغربية أحسن تمثيل، فقد شكل هؤلاء العلماء بمؤلفاتهم وأفكارهم نقطة بيضاء مشعة في تاريخ حاضرة تازة خاصة وتاريخ المغرب عامة، وبذلك فإن تازة شكلت منذ القدم مركزاً إشعاعياً علمياً.

واعتبرت قاعدة لإعداد العلماء محاربة الجهل والتخلف والنهوض بالبلاد وتقديمها، وقد قال الحسن الوزن في كتابه وصف إفريقيا: " وسكانها شجعان كرماء... من بينهم عدد من العلماء والأخيار والأثرياء"¹⁰¹.

ومن الكتب التي حظيت بالعناية والتقدير من طرف فقهاء حاضرة تازة كتاب "الرسالة"، فاهتموا كثيراً بقراءتها وشرحها والتعليق، وفيهم من أطل في شرحها فجاء شرحه في مجلدات، وفيهم من أوجز الكلام عليها فجاء شرحه قصيراً، وفيهم من اهتم بشرح بعض ألفاظها ومفرداتها فجاءت تعليقات ذات أهمية نافعة.

فمن فقهاء حاضرة تازة الذين اعتنوا بشرح الرسالة نذكر منهم:

. أبو الحسن الصغير: علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي¹⁰²، يعرف بالصغير بضم

الصاد وفتح الغين والياء مشددة، الشهير عند أهل إفريقيا بالمغربي.

أخذ عن: أبو الفضل راشد بن راشد الوليدي، وأبو إبراهيم إسحاق بن يحيى بن مطر

الورياغلي¹⁰³، وأبو عمران الجورائي، وأبو زيد بن عبد الرحمن الجزولي.

كان قيما على تهذيب البراذعي حفظا وتفقهها، أحد الأقطاب الذين دارت عليهم الفتوى، كان إليه المفرغ في المشكلات والفتوى، توفي سنة 719هـ¹⁰⁴.

قال صاحب الفكر السامي: " ينسب له شرح على الرسالة¹⁰⁵ قيده عنه تلاميذه¹⁰⁶، وهو من الكتب التي يفتي بها في المغرب¹⁰⁷."

قال المقرئ: " اعلم أرشدك الله، أن الشيخ أبا الحسن كان إمام وقته في فقه المدونة، وهو المستقل برياستها بعد شيخه الفقيه راشد... ولم ينظر في الفقه حتى أتقن علم الفرائض وفنون البلاغة، وتلقى ذلك من أربابه، وارتحل وانتقل إلى تازة فلازم أهل اللسان وفرسان المعارف وقتا طويلا، ثم اعتكف على قراءة "التهذيب"، ولازم الفقيه راشدا واقتصر عليه...¹⁰⁸."

والذين ترجموا لأبي الحسن الصغير الفقيه المالكي الحافظ يذكرون أنه تولى قضاء حاضرة تازة أولا أيام أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني الذي تولى سنة 656 هـ، ثم تولى بعد ذلك قضاء مدينة فاس¹⁰⁹.

وفي هذه المدينة العلمية قضى معظم حياته في التدريس والفتوى رغم اشتغاله بمهمة القضاء. إبراهيم ابن عبد الرحمن بن أبي يحيى التسولي¹¹⁰ التازي، الإمام الفقيه العلامة العمدة، الفاضل الفهامة.

وقال فيه ابن مرزوق: "هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي يحيى التسولي، التازي، وشهرته بكنية أبيه، إمام حافظ، كان قارئ شيخ الشيوخ أبي الحسن الصغير في أعوام، وكان أحفظ أهل مجلسه، وأشهرهم بسلوك طريقه، والقيام مقامه، وكان قد جمع إلى ذلك حفظ التاريخ المتقدم والقريب العهد¹¹¹".

أخذ عن: ابن رشيد، وأبي الحسن بن سليمان، وأبي الحسن الصغير، لازمه وتفقه عليه، وعلى أبي زكرياء بن ياسين، وأبي الحسن السدراتي وغيرهم.

وأخذ عنه جماعة منهم: لسان الدين ابن الخطيب، له تقييد على التهذيب، وتقييد على الرسالة، نبيلان، وجمع أجوبة شيخه المذكور التي شرحها الشيخ إبراهيم بن هلال المسمى "بالدر النثير"، توفي بفاس سنة 749هـ / 1348م¹¹².

وقد وقفت على قوله له في شرحه للرسالة:

وقال ابن أبي يحيى التازي: عند قولها: "إِلَّا الدُّفَّ فِي النَّكَاحِ". بعد كلام. وفي هذا كله لا يرفع النساء أصواتهن بحيث يُسمِعْنَ الرجال، فإن أصواتهن عورة، وقال: وكذلك الأولُ المعتادة¹¹³.
الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي¹¹⁴ الفاسي المعروف بزروق¹¹⁵:
الإمام الفقيه المحدث الصوفي، المشهور في العالم الإسلامي الرحالة، ذو التصانيف العديدة المفيدة، والمناقب الحميدة والزهد والورع، والإنكباب على العلم والهداية.

شيوخه

أخذ الإمام أحمد زروق على أعلام كثيرين منهم المغاربة والمشاركة، نذكر منهم:

أ. المغاربة

علي السطحي، والشيخ عبد الله الفخار، والقوري، والمحاضي الصغير، والزرهوني، والشيخ عبد الرحمن المجذولي، وعبد الرحمن الثعالبي، والولي إبراهيم التازي، والمشدالي، والشيخ حلولو الصغير والرصاع، وأحمد بن سعيد الحباك، والحافظ التنسي، والإمام السنوسي، وابن زكرياء، وأبو مهري عيسى المواسي، والخروبي الكبير، والجزولي.

ب. المشاركة

منهم: النور السنهوري، والحافظ الديميري، والحافظ السخاوي، والقطب أبو العباس أحمد بن عقبة الحضرمي، وولي الله الشهاب الأفشيبي.

تلاميذه: تتلمذ على الشيخ زروق تلاميذ كثير نذكر منهم:

الإمام القسطلاني، والخطاب الكبير، وشمس الدين اللقاني، وناصر الدين اللقاني، وظاهر بن زيان الزواوي القسنطيني، وأبو محمد عبد الرحمن بن علي القنطري، وعبد الوهاب الشعرائي، وأبو الحسن البكري، والخروبي الصغير.

مؤلفاته

له شرحان على الرسالة أحدهما مطبوع ومتداول¹¹⁶، أما الشرح الثاني فذكره مترجموه ولم أفق عليه¹¹⁷، وآخر على مختصر خليل، وشرح إرشاد ابن عسكر، والقرطبية، والوعليسية، والغافقية، والعقيدة

القدسية للغزالي، ونيف وعشرون شرحاً على الحكم، والنصيحة الكافية، وكتاب القواعد في التصوف، وكتاب عدة المريدين فيما أحدثه الصوفية من البدع، وله تعليق على البخاري.

وفاته

توفي الشيخ زروق سنة 899هـ، بتكرين من أعمال طرابلس الغرب، وقبره هناك مشهور¹¹⁸.

خاتمة:

وخلاصة القول فقد توصلت إلى النتائج التالية:

. أن رسالة ابن أبي زيد من أهم أمهات كتب المذهب المالكي لذلك استحققت هذه العناية من مختلف فقهاء المذهب عموماً وفقهاء حاضرة تازة خصوصاً، فمنهم من جاء شرحه طويلاً كالشيخ أحمد زروق، ومنه من اختصر شرحه، ومنهم من قيد عنه تلاميذه تقييدات كأبي الحسن الصغير. كما أن اهتمام فقهاء حاضرة تازة برسالة ابن أبي زيد القيرواني راجع إلى تأثيرهم بالمدرسة المالكية القيروانية على اعتبار أن المدرسة الفاسية هي امتداد طبيعي علمي كما هو جغرافي لمدرسة تونس منهجاً وآراءً.

. أن هذه الشروح تعرضت لشرح وتفسير الرسالة القيروانية بأكملها من مقدمة العقيدة إلى باب الجامع.

. أن شروح فقهاء حاضرة تازة منتشرة في مختلف الخزائن الوطنية والمكتبات الدول العربية مما يدل على أهميتها وتداولها بين الناس وانتشارها على نطاق واسع. وفي الأخير لا أزعجني وفي الموضوع حق، ولكنني أرى أنني بذلت قصارى جهدي، فما وفقت فيه فمن الله، وما كان من خطأ وزلل فمن عجزني وأسأل الله التوفيق والسداد، وهو ولي ذلك والقادر عليه.

الهوامش:

1. اعتبر محمد بن شنب أن نسبته إلى نفزة من أعمال الأندلس. انظر دائرة المعارف الإسلامية ج 1، ص 80، في حين ذهب الشيخ زروق البرنسي إلى أنه نفزي من بلاد الجريد. انظر شرح الرسالة ج 1، ص 5، أما كارل بروكلمان فذهب إلى

- أنه من نفزاوة. انظر بروكلمان، كارل، (1969)، "تاريخ الأدب العربي"، ترجمة عبد الحميد النجار، دار المعارف، مصر، ج 3، ص 286.
- وذهب يوسف بن عمر الأنفاسي إل أن ابن أبي زيد القيرواني نفزي النسب قيرواني الدار. الأنفاسي، يوسف، شرح الرسالة، تحقيق الحمداي عبد الرحيم، دار الكلمة مصر، ج 5 ص 1366.
2. ابن فرحون، إبراهيم بن علي، "الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب"، تحقيق الدكتور علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر (2003)، ج 1، ص 376.
3. ذهب يوسف بن عمر الأنفاسي شارح الرسالة إلى أنه ألفا وعمره سبع عشرة سنة في عام 327 هـ. الأنفاسي، يوسف، شرح الرسالة، مرجع سابق ج 5 ص
4. بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، مرجع سابق ج 3، ص 286.
5. الشيرازي، "طبقات الفقهاء"، تصحيح ومراجعة خليل الميس، دار القلم، بيروت لبنان، ص 160.
6. القاضي عياض، "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"، تحقيق جماعة من الأساتذة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، (1983)، ج 4، ص 493، الأنصاري، عبد الرحمن، "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان"، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، الجزء الأول الطبعة الثانية، الجزء الثاني والثالث، مكتبة الخانجي بمصر، والمكتبة العتيقة بتونس، (1968). ج 3، ص 110، الديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1، ص 376.
7. المدارك، مرجع سابق، ج 3، ص 376-377، ورياض النفوس ج 2، ص 469. 484.
8. الحجوي الثعالبي، "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي"، مطبعة البلدية بفاس، (1345هـ)، ج 2، ص 140، الديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1، ص 376.
9. الفكر السامي، مرجع سابق، ج 2، ص 140، الديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1، ص 376.
10. معالم الإيمان، مؤجع سابق، ج 3، ص 110.
11. الديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1، ص 376.
12. ابن تغري، جمال الدين، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، سلسلة تراثنا طبعة مصر، ج 4، ص 200.
13. مرآة الجنان ج 2، ص 441.
14. النفراوي، الفواكه الدواني ج 1، ص 8.
15. المدارك، مرجع سابق، ج 3، ص 340، معالم الإيمان، مرجع سابق، ج 2، ص 295، مشاهير التونسيين 230.

16. طبقات علماء إفريقية ج 5، ص 166، ابن مخلوف، محمد، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 82.
17. المدارك، مرجع سابق، ج 5، ص 286، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 2، ص 180، ومعاليم الإيمان، مرجع سابق، ج 3، ص 21، وطبقات علماء إفريقية ج 6، ص 232، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 84، ورياض النفوس ج 2، ص 283، ومشاهير التونسيين ص 570.
18. المدارك، مرجع سابق، ج 3، ص 313، ومعاليم الإيمان، مرجع سابق، ج 3، ص 27، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 83.
19. الديباج المذهب، مرجع سابق، ج 2، ص 182، ومعاليم الإيمان، مرجع سابق، ج 3، ص 63، وطبقات علماء إفريقية ج 5، ص 173.
20. المدارك، مرجع سابق، ج 3، ص 358، ومعاليم الإيمان، مرجع سابق، ج 3، ص 109.
21. ومعاليم الإيمان، مرجع سابق، ج 3، ص 30، وطبقات علماء إفريقية ج 5، ص 179.
22. معاليم الإيمان، مرجع سابق، ج 3، ص 38.
23. معاليم الإيمان، مرجع سابق، ج 3، ص 41.
24. المدارك، مرجع سابق، ج 3، ص 363.
25. المدارك، مرجع سابق، ج 3، ص 375.
26. معاليم الإيمان، مرجع سابق، ج 3، ص 52.
27. معاليم الإيمان، مرجع سابق، ج 3، ص 59.
28. الديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1، ص 372، وطبقات علماء إفريقية ص 176.
29. معاليم الإيمان، مرجع سابق، ج 3، ص 60.
30. المدارك، مرجع سابق، ج 3، ص 485، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 2، ص 288.
31. المدارك، مرجع سابق، ج 3، ص 376، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1، ص 231-232، ومعاليم الإيمان، مرجع سابق، ج 3، ص 63، ورياض النفوس ج 2، ص 469. 484.
32. المدارك، مرجع سابق، ج 3، ص 395، التنكي، أبي العباس، نيل الابتهاج بتطريز الديباج"، مطبوع بمامش الديباج، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، مصر، (1329هـ)، ص 116، وبغية الملتبس ص 282.
33. المدارك، مرجع سابق، ج 3، ص 347، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1، ص 274-275.
34. المدارك، مرجع سابق، ج 4، ص 497، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1، ص 232، ومشاهير التونسيين ص 51-52.

35. المدارك، مرجع سابق، ج 3 ص 376، ومعالم الإيمان، مرجع سابق، ج 3 ص 98، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 2 ص 41.
36. المدارك، مرجع سابق، ج 3 ص 488، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1 ص 303-304، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 96.
37. المدارك، مرجع سابق، ج 1 ص 285، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1 ص 294.
38. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 493، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 2 ص 293، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 78-79.
39. المدارك، مرجع سابق، ج 3 ص 293، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 2 ص 194، طبقات الفقهاء ص 159، الذهبي، شمس الدين "سير أعلام النبلاء"، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة السابعة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (1990)، ج 16 ص 87.
40. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 466، والفكر السامي، مرجع سابق، ج 2 ص 143، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 91، والأعلام ج 7 ص 98، ومعجم المؤلفين ج 12 ص 315.
41. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 465.
42. انظر: المدارك مرجع سابق، ج 3 ص 340، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1 ص 380، والفكر السامي، مرجع سابق، ج 2 ص 142، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 100، ومعجم المؤلفين ج 6 ص 18، طبقات الفقهاء ص 166، الحميدي، عبد الله محمد بن فتوح، "جدوة المقتبس"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 257-258.
43. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 708، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1 ص 305.
44. معالم الإيمان، مرجع سابق، ج 3 ص 125.
45. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 473، ومعالم الإيمان ج 3 ص 151.
46. معالم الإيمان، مرجع سابق، ج 3 ص 158.
47. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 710، ومعالم الإيمان، مرجع سابق، ج 3 ص 169.
48. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 710.
49. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 700، ومعالم الإيمان، مرجع سابق، ج 3 ص 165، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1 ص 178، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 107، وسير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج 17 ص 519، والفكر السامي، مرجع سابق، ج 4 ص 241.
50. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 737، والأعلام ج 8 ص 214.

51. معالم الإيمان، مرجع سابق، ج 3 ص 156.
52. معالم الإيمان، مرجع سابق، ج 3 ص 157، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1 ص 427.
53. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 713، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 110، التيجاني، محمد عبد الله، "رحلة التيجاني"، المطبعة الرسمية، تونس (1958)، ص 266. الزواوي، الطاهر أحمد، (1961)، "أعلام ليبيا"، نشر وتوزيع مكتبة الفرجاني، الطبعة الأولى، طرابلس، ليبيا، ص 216. 217، الشريف، ناصر الدين محمد (1999)، "الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا"، الطبعة الأولى، دار البيارق، الأردن. ص 82. 83.
54. رحلة التيجاني، مرجع سابق، ص 250.
55. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 630.
56. ابن القاضي، أحمد، "جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس"، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، (1973)، ج 2 ص 408، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 115، وسير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج 17 ص 374.
57. الديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1 ص 382، ابن بشكوال، أبي القاسم خلف بن عبد الملك، "الصلة"، مراجعة عزت العطار الحسيني، الطبعة الثانية، مطبعة الخانجي، (1414هـ). ج 1 ص 299.
58. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 716، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 98.
59. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 715، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 98.
60. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 650، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 2 ص 214.
61. جذوة المقتبس، مرجع سابق، ص 245، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1 ص 398، وبغية الملتبس ص 321، والصلة، مرجع سابق، ج 1 ص 251.
62. انظر ترجمته في: المدارك، مرجع سابق، ج 7 ص 188-191، وجذوة المقتبس، مرجع سابق، ص 92، والصلة، مرجع سابق، ج 2 ص 497، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 2 ص 234، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 111.
63. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 733، وجذوة المقتبس، مرجع سابق، ص 399.
64. الديباج المذهب، مرجع سابق، ج 2 ص 356، والصلة، مرجع سابق، ج 2 ص 684.
65. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 739، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 307.
66. الصلة، مرجع سابق، ج 1 ص 167.
67. المدارك، مرجع سابق، ج 5 ص 183-188، الفكر السامي، مرجع سابق، ج 3 ص 122، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 91، والأعلام ج 7 ص 98، ومعجم المؤلفين ج 12 ص 315، طبقات الفقهاء ص 168-169.

68. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 585، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 2 ص 225.
69. المدارك، مرجع سابق، ج 7 ص 220، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 2 ص 25-28، والفكر السامي، مرجع سابق، ج 4 ص 39-41، وشجرة النور، مرجع سابق، ص ج 103-104، والأعلام ج 4 ص 335.
70. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 494، ومعالم الإيمان، مرجع سابق، ج 3 ص 111، والديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1 ص 429، وشجرة النور ص 96، وتراجم المؤلفين التونسيين ج 2 ص 446.
- 71- مرآة الجنان ج 2 ص 441، النجوم الزاهرة، مرجع سابق، ج 4 ص 200، شذرات الذهب ج 3 ص 131، حاجي خليفة، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، الطبعة الثالثة، طبعة بالأوفست، المكتبة الإسلامية طهران إيران، (1378هـ). ص 841.
72. المدارك، مرجع سابق، ج 4 ص 494، الديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1 ص 430، معالم الإيمان، مرجع سابق، ج 3 ص 118، شرح الرسالة، مرجع سابق، ج 1 ص 5، شجرة النور، مرجع سابق، ص 96، معجم المؤلفين ج 6 ص 73، الأعلام ج 4 ص 230.
73. انظر ترجمة ابن أبي زيد القيرواني في: المدارك، مرجع سابق، ج 7 ص 496، ومعالم الإيمان، مرجع سابق، ج 3 ص 118، وكشف الظنون، مرجع سابق، ج 1 ص 841، وشذرات الذهب ج 3 ص 131، والأعلام ج 4 ص 230-231، الديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1 ص 378، وسير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج 17 ص 10-13، وشجرة النور، مرجع سابق، ص 96، وكتاب العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين ج 2 ص 643-649، ومشاهير التونسيين ص 324-325.
74. معالم الإيمان، مرجع سابق، ج 3 ص 138.
75. شجرة النور، مرجع سابق، ص 96.
76. متن الرسالة في الفقه المالكي ص 16.
77. متن الرسالة في الفقه المالكي ص 216.
78. معالم الإيمان، مرجع سابق، ج 3 ص 138.
79. الجيدي، عمر، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، عكاظ، الرباط (2011)، ص 194.
80. متن الرسالة في الفقه المالكي ص 15-16.
81. زروق، شرح الرسالة ج 1 ص 16. 17، ومحاضرات في تاريخ المذهب المالكي، مرجع سابق، ص 195، محمد إبراهيم، علي (2002)، "اصطلاح المذهب عند المالكية"، الطبعة الثانية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
- ص 244.

82. محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، مرجع سابق، ص 194.
83. محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، مرجع سابق، ص 193.
84. توشيح الديباج ص 63، وشجرة النور الزكية، مرجع سابق، ص 258، وذرة الحجال ج 1 ص 81-82، والأعلام ج 1 ص 229.
85. تحرير المقالة في شرح الرسالة ج 1 ص 2، مخطوط بخزانة القرويين تحت رقم ج 392.1.
86. معالم الإيمان، مرجع سابق، ج 3 ص 137.
87. قال عمر المجيدي رحمه الله عليه: " نقول إن صح لأن ابن زرب عارض بخصاله كتاب الخصال لابن كاووس الحنفي كما ذكره عياض في المداير، مرجع سابق، ج 7 ص 115، ولو صح الخبر لما سكت عنه عياض وهو شغوف بتتبع مثل هذه السقطات. ر محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، مرجع سابق، ص 195.
88. محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، مرجع سابق، ص 195.
89. الذخيرة ج 1 ص 34.
90. الفواكه الدواني ج 1 ص 10.
91. الكتاني، محمد بن جعفر، " سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس عمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس"، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، ومحمد بن حمزة بن علي الكتاني، الطبعة الأولى، دار الثقافة البيضاء، المغرب (2004)، ج 2 ص 149-150.
92. شرح الرسالة ج 2 ص 423، ومحاضرات في تاريخ المذهب المالكي، مرجع سابق، ص 194.
93. معالم الإيمان، مرجع سابق، ج 3 ص 112.
94. محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، مرجع سابق، ص 196. 200.
95. أبو فارس حمزة 2004، شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني، ضمن منشورات البحوث بالدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة الأولى، دبي.
96. فيلالي، زين الحسن، رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دراسة بيبليوغرافية لأهم الشروح، مداخلة في ملتقى ابن أبي زيد القيرواني، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، بتاريخ: 16. 17. 18 أبريل 1993.
97. البكري، أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 108، وإعمال الأعلام، ج 3 ص 210.
98. الزياتي، أبو القاسم 1967، الترجمة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، المحمدية، ص 80.
99. الإستبصار في عجائب الأمصار، ص 186. 187.

100. الوزان، محمد بن الحسن، (1983م)، وصف إفريقيا، ترجمة إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج 1 ص 354. 355.
101. نفس المرجع السابق، ج 1 ص 355.
102. التسولي: نسبة إلى تسول، وتعرف بعين إسحاق، تقع على طريق فاس القيروان، وعلى مسافة أكثر من 90 كلم عن فاس، حيث تبعد عن قلعة جرماط عشرة أميال وقلعة جرماط عن فاس مرحلتين، وهي قاعدة ابن أبي العافية وبها جامع وأسواق وحمام وعين ماء عذبة. البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص 142.
103. ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 262.
104. أنظر ترجمته في: الديباج المذهب، مرجع سابق، ج 1 ص 271، شجرة النور، مرجع سابق، ص 220، ابن المقرئ التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (1997)، ج 7 ص 362، تاريخ قضاة الأندلس ص 127، المقرئ، أحمد بن محمد، (1978)، أزهار الرياض في أخبار عياض، صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرباط ج 5 ص 57، الإحاطة في أخبار غرناطة ج 1 ص 196، الونشريسي، أحمد بن يحيى، "وفيات الونشريسي"، طبع ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق وتنسيق محمد حجي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت (1996)،
- ص 116، جذوة الإقتباس، مرجع سابق، ج 1 ص 85، شرف الطالب ص 80، الكتاني، سلوة الأنفاس، مرجع سابق، ج 2 ص 138، ابن قنفذ، الوفيات ص 353، وكحالة، معجم المؤلفين ج 1 ص 44، باشا، إسماعيل، هدية العارفين، ج 1 ص 15.
105. الكتاني، أبو المواهب، مواهب الأرب المبرئة من الجرب في السماع وآلات الطرب، تحقيق هشام بن محمد حيحر، دار الكتب العلمية، لبنان، ج 2 ص 383.
106. ابن جماعة الكتاني، هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك، تحقيق صالح بن ناصر بن صالح الخريم.
107. الزرويلي: نسبة إلى بني زروال وهي قبيلة من القبائل الجبلية الشهيرة بشمال المغرب، وتنقسم إلى خمس فخذات أو فرق هي: بومعان وأولاد قاسم وبني إبراهيم وبني ملول وبني مكة ولذلك يسميها أبناءها بقبيلة بخمس خموس، يجدها من الشرق قبيلة كتامة ومزيات، ومن الغرب بني مستارة وسطة وبني مركلدة وبني ورياغل، ومن الجنوب قبائل سلاس وفشتالة والحاية ومن الشمال غمارة وبني أحمد. انظر معلمة المغرب (1528/5). وانظر الوزان، الحسن، وصف إفريقيا، مرجع سابق، ج 1 ص 331، ومحمد البشير الفاسي الفهري، قبيلة بني زروال لحمد البشير الفاسي الفهري ص 8. 10.
108. جذوة الإقتباس، مرجع سابق، ج 1 ص 146. نيل الابتهاج، مرجع سابق ص 100، شجرة النور، مرجع سابق، ص 202، التازي، عبد الهادي، "جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس"، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (1972)، ج 2 ص 480.

109. جذوة الإقتباس، مرجع سابق، ج 2 ص 274. شجرة النور، مرجع سابق، ص 125. والفكر السامي، مرجع سابق، ج 2 ص 237. كنون، عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب، ص 204.
110. يوجد مخطوطا في دار الكتب الوطنية تونس تحت الأرقام التالية: (85)، (94)، (1083).
111. الفكر السامي، مرجع سابق، ج 2 ص 237.
112. اصطلاح المذهب، مرجع سابق، ص 564.
113. أزهار الرياض في أخبار عياض، مرجع سابق، ج 3 ص 32. 33.
114. الفكر السامي، مرجع سابق، ج 2 ص 278.
115. البرنسي: نسبة إلى قبيلة البرانس، وسميت بذلك نسبة إلى جبل البرانس الواقع على بعد خمسة عشر ميلا شمال تازة، وكانت من أغنى القبائل وأقواها، تميز أهلها بقساوة الطبع. وصف إفريقيا، مرجع سابق، ج 1، ص 356-359.
116. زروق: لم يكن لقب زروق أساسا للعائلة، وإنما ورثه عن جده الذي كان أزرق العينين، زرقه معروفة في العرق البربري، فمما لا ريب فيه أن للقب أصله من الزرقه على كل حال. خشيم فهمي علي، 2002، أحمد زروق والزرقية، الطبعة الثانية، دار المدار الإسلامي.
117. طبعته دار الفكر ومعه شرح ابن ناجي سنة 1982، وطبعته دار الكتب العلمية سنة 2006.
118. الضوء اللامع، ج 1 ص 222، نيل الإيتهاج، مرجع سابق، ص 45. 50، شجرة النور، مرجع سابق، ص 267.
268. الفكر السامي، مرجع سابق، ج 2 ص 264، النبوغ المغربي، مرجع سابق، ص 207. 208.
- لائحة المصادر والمراجع:
1. ابن الخطيب، لسان الدين، إعمال الأعلام في من بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد بن إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء، (1964).
2. ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد بن عبد الله عنان، الطبعة الثانية، طبعة الشركة المصرية للطبع والنشر، (1393هـ).
3. ابن العماد الحنبلي، أبي الفلاح عبد الحي، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب"، مكتبة القدسي، (1350هـ).
4. ابن القاضي، أحمد، "جذوة الإقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس"، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، (1973).
5. ابن القاضي، أحمد، "درة الحجال في غرة أسماء الرجال"، لأحمد بن محمد بن أحمد المعروف بابن القاضي، اعتنى بنشرها وتصحيحها علوش، المطبعة الجديدة رباط الفتح، نصح المأمونية، الرباط، المغرب (1936).
6. ابن المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (1997).

7. ابن بشكوال، أبي القاسم خلف بن عبد الملك، "الصلة"، مراجعة عزت العطار الحسيني، الطبعة الثانية، مطبعة الخانجي، (1414هـ).
8. ابن تغري، جمال الدين، "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، سلسلة تراثنا طبعة مصر.
9. ابن خير، أبي بكر محمد، "فهرسة ابن خير"، تحقيق فرنشكه قداده زيدينو تلميذه خليان ربارة طرغوه، الطبعة الثانية، منشورات المكتب التجاري بيروت، ومكتبة المثنى بغداد ومؤسسة الخانجي القاهرة، (1963).
10. ابن فرحون، إبراهيم بن علي، "الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب"، تحقيق الدكتور علي عمر، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر (2003).
11. ابن مخلوف، محمد، "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
12. ابن مرزوق، "المسند الحسن"، تحقيق ماريا خيسوس بيغرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر (1981).
13. أبو فارس، حمزة، شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني في كتابه الرسالة للقاضي عبد الوهاب البغدادي، طبعة 1، ضمن منشورات البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي (1964).
14. الأنصاري، عبد الرحمن، "معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان"، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، الجزء الأول الطبعة الثانية، الجزء الثاني والثالث، مكتبة الخانجي بمصر، والمكتبة العتيقة بتونس، (1968).
15. الأنفاسي، يوسف بن عمر، شرح الرسالة ابن أبي زيد القيرواني، تحقيق الدكتور: عبد الرحيم الحمدادي، الطبعة الأولى، دار الكلمة، القاهرة مصر (2019).
16. بروكلمان، كارل، "تاريخ الأدب العربي"، ترجمة عبد الحميد النجار، دار المعارف، مصر، (1969).
17. البكري، أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثنى بغداد.
18. بوذينة، محمد، "مشاهير التونسيين"، الطبعة الثانية.
19. التازي، عبد الهادي، "جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس"، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، (1972).
20. التنبكتي، أبي العباس، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مطبوع بمأمش الديباج، الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، مصر، (1329هـ).
21. التيجاني، محمد عبد الله، "رحلة التيجاني"، المطبعة الرسمية، تونس (1958).
22. الجيدي، عمر، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي، عكاظ، الرباط، (2011).
23. حاجي خليفة، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، الطبعة الثالثة، طبعة بالأوفست، المكتبة الإسلامية طهران إيران، (1378هـ).

24. الحجوي الثعالبي، "الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي"، مطبعة البلدية بفاس، (1345هـ).
25. الحميدي، عبد الله محمد بن فتوح، "جذوة المقتبس"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
26. خشيم، علي فهمي، أحمد زروق والزروقية، الطبعة الثالثة، دار المدار الإسلامي (2002).
27. الذهبي، شمس الدين "سير أعلام النبلاء"، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة السابعة مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، (1990).
28. زروق البرنسي الفاسي، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وبهامشه "شرح العلامة قاسم بن ناجي التنوخي الغروي على متن الرسالة"، دار الفكر بيروت (1982).
29. الزواوي، الطاهر أحمد، "أعلام ليبيا"، نشر وتوزيع مكتبة الفرجاني، الطبعة الأولى، طرابلس، ليبيا، (1961).
30. الزباني، أبو القاسم، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا، تحقيق عبد الكريم الفيلاي، دار النشر المعرفة، الرباط، (1991).
31. الشريف، ناصر الدين محمد، "الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا"، الطبعة الأولى، دار البيارق، الأردن (1999).
32. الشيرازي، "طبقات الفقهاء"، تصحيح ومراجعة خليل الميس، دار القلم، بيروت لبنان.
33. العابد الفاسي، محمد، "فهرس مخطوطات خزانة القرويين"، الطبعة الأولى، فاس، المغرب، (1963).
34. الفاسي الفهري، البشير بن عبد الله، "قبيلة بني زروال، مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية"، مطبوعات المركز الجامعي للبحث العلمي، بيانات ومستندات الجزء الثاني والعشرون، مطبوعات إفريقيا الشمالية الفنية، الرباط.
35. الفندي محمد ثابت، الشنتاوي، أحمد، خورشيد، إبراهيم زكي، "دائرة المعارف الإسلامية"، مراجعة محمد مهدي علام.
36. فيلاي، زين الحسن، رسالة ابن أبي زيد القيرواني، دراسة بيبليوغرافية لأهم شروحيها، مداخله ضمن ملتقى ابن أبي زيد القيرواني، المنعقد بمركز الدراسات الإسلامية القيروان بتاريخ: 16. 17. 18 أبريل 1993.
37. القاضي عياض، "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"، تحقيق جماعة من الأساتذة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، (1983).
38. القرافي، شهاب الدين، أحمد بن إدريس، الذخيرة، تحقيق محمد حجي ومحمد بوخبزة وسعيد أعراب، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان (1994).
39. الكتاني، أبي المواهب، مواهب الأرب المبرئة من الجرب في السماع وآلات الطرب، تحقيق هشام بن محمد حيجر، دار الكتب العلمية، لبنان.

40. الكتاني، محمد بن جعفر، "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس عمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس"، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، ومحمد بن حمزة بن علي الكتاني، الطبعة الأولى، دار الثقافة البيضاء، المغرب (2004).
41. كحالة، عمرضا، "معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية"، مطبعة الترقى، دمشق (1975).
42. كنون، عبد الله، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دار الثقافة الدار البيضاء، المغرب
43. محمد إبراهيم، علي، "اصطلاح المذهب عند المالكية"، الطبعة الثانية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، (2002).
44. المقري، أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، صندوق إحياء التراث الإسلامي، الرباط، (1978).
45. المقري، شهاب الدين، أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، طبع صندوق إحياء التراث المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة، (1978).
46. البهاني، المالقي، عبد الله، "المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"، تحقيق ليفي بروفنسال، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر (1971).
47. النفراوي، أحمد بن غنيم، الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، طبعة دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب (2013).
48. الوزان، محمد بن الحسن، وصف إفريقيا، ترجمة إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (1983م).
49. الونشريسي، أحمد بن يحيى، "وفيات الونشريسي"، طبع ضمن موسوعة أعلام المغرب، تحقيق وتنسيق محمد حجي، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت (1996).
50. اليافعي، عبد الله بن سعيد بن علي، "مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان"، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت (1992).

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الاتجاه الإنساني في الحكم النثرية في العصر الجاهلي

رشا العميرة

مدرسة لغة عربية في مدرسة الدرة الشريفة/ الأردن، وطالبة في برنامج ماجستير اللغة العربية

وآدابها، جامعة الإسراء/ الأردن.

rasha78amayrha@gmail.com

أ.د. هاشم صالح منّاع

أستاذ الدراسات العليا في النقد والأدب عميد كلية الآداب سابقاً، جامعة الإسراء/ الأردن.

hashim.manna@iu.edu.jo

تاريخ الإيداع: 2021/04/18 م تاريخ التحكيم: 2021/04/28 م تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص بالعربية:

هذه دراسة تتناول تعريف الحكمة، وشروطها، وخصائصها، وروادها، وترصد ذبوعها في النثر الجاهلي التي نتجت عن المشاهدات، والملاحظات، والمراقبات، والخبرات، والتجارب، والتأمل في الحياة، وكان من أهم أهدافها رصد الواقع، والتعبير عن سلوكيات الناس في العصر الجاهلي، ثم يعرض أهم الموضوعات التي تناولتها الحكمة، لا سيما ما كان منها شائعاً في ذلك العصر، ثم يبين البحث الصياغة الأسلوبية لهذه الحكم، وما تتميز به من غيرها، ثم يقف على بعض القضايا البلاغية، لا سيما الاستعارة التمثيلية؛ لأنها قائمة على مثل هذه الحكم، وما دخل في بابها عبر العصور، وينتهي البحث بنتائج تبين أهم ما توصل إليه، مردوفة بالهوامش، وبأهم المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث. وقد سار البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمد النصوص النثرية المتمثلة في فن الحكمة؛ لتكون أساس البحث.

الكلمات المفتاحية: الاتجاه الإنساني، الحكم النثرية، العصر الجاهلية.

Human Directions in the Prose Epigrams of Pre-Islamic Period

By: Rasha al Amayreh

M.A. student, Department of Arabic language and literature, Isra University, Jordan.

rasha78amayrha@gmail.com

Prof. Hashim Salih Manna

Dr. Hashim S. Manna, Professor of Postgraduate Studies in Criticism and Literature, Ex-Dean of the College of Arts, Isra University, Jordan.

hashim.manna@iu.edu.jo

Abstract :

This research deals with the definition of epigram, its conditions, characteristics and its matrons. It explores how it developed in the prose writings of that age out of observations, descriptions, experiences and life meditations. It shows the aims of using epigrams which was the depiction of real world and human behaviour. Then, the research shows the important topics covered by the epigrams, especially the most common at the age. It also discusses the stylistic and other distinguished forms of the epigrams. Some rhetorical issues, like the metaphors and any later influences, are also discussed. The research concludes with a listing of the main findings followed by the references and resources used throughout.

The research follows the descriptive, analytic method and uses the prose epigrammatic works as the basis of study.

Keywords: (Human Directions), (Prose Epigrams), (Pre-Islamic Period).

الاتجاه الإنساني في الحكم النثرية في العصر الجاهلي

تعدّ الحكمة من الموضوعات المهمة التي شاعت في العصر الجاهلي، لا سيما في النثر، وفي الخطابة والوصايا على وجه الخصوص، ذلك أنها كانت تصدر عن خطباء مفلّحين مفوهين، تمرسوا بخطبهم، وتعودوا على خطابتهم، وأكثروا من حكمهم التي كانت تأخذ بمجامع القلوب، وتحدث في النفوس ما يُحدثه السحر، يأخذون بها، ويطبّقونها، ويتمثلونها؛ لما تحمله من دلالات عميقة.

مشكلة البحث وفرضيته:

يؤمن الباحثان أن مشكلة البحث تكمن في عدم وجود دراسات سابقة معمقة، تبين الاتجاه الإنساني في الحكم النثرية في العصر الجاهلي، إلا من بعض الإشارات نجدها في ثنايا الكتب والبحوث، ولذلك جاءت هذه الدراسة؛ لتبرز نتائج مهمة حول هذا الموضوع؛ لعلها تنبه لأهميته، وتفتح مجالاً أمام الباحثين؛ للقيام بأبحاث أخرى ذات صلة.

أسباب الدراسة ودوافعها:

تقوم هذه الدراسة حول الاتجاه الإنساني في الحكم النثرية في العصر الجاهلي، ولعل الدافع الأساس وراء كتابة هذا البحث يتمثل في أهميته، وفائدته، إذ ظهر هذا من خلال دراسة مستفيضة تم إعدادها حول الاتجاه الإنساني في النثر الجاهلي، فقد تبين أن الخطابة والوصايا قد شاعت في ثناياها الحكمة التي تحضّ على التمسك بالأخلاق والقيم النبيلة، وتحاول أن تبني مجتمعاً تسوده: المحبة، والإخاء، والفضيلة، ويشيع فيه المعاني الإنسانية.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات تناولت الأدب الجاهلي، ولكنها لم تفرد باباً خاصاً للاتجاه الإنساني في الحكم النثرية الجاهلية، ومن تلك الدراسات:

- 1) ضيف، شوقي (1971)، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط6، القاهرة.
- 2) تناول هذا الكتاب مذاهب الصنعة والتصنيع والتصنع، وقد فسر الفن في النثر العربي ومراحل المتعاقبة على أساسها، عبر العصور الأدبية، أما دراستنا؛ فتميزت بأنها وقفت فقط على الاتجاه الإنساني نصوص الحكم في النثر الجاهلي.
- 3) قميحة، مفيد محمد (١٩٨١)، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الافاق الجديدة، بيروت.
- 4) تناول هذا الكتاب ملامح النزعة الإنسانية وعوامل اتساع دائرتها في الشعر العربي المعاصر، كما تناول موضوعاتها، ثم عرض لأهم سمات القصيدة المعاصرة، وتناول أيضاً استشراف مستقبل الشعر العربي.

ويتميز بحثنا من هذا الدراسة أننا تناولنا النشر، والحكم فيه على وجه الخصوص، في الوقت الذي لم يتناول ذاك البحث شيئاً من النشر في العصر الجاهلي.

5) مناع، هاشم صالح (1993)، النشر في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، ط1 بيروت. تناول هذا الكتاب النشر في العصر الجاهلي، وتحليل بعض النصوص على اختلاف موضوعاتها، بما فيها الحكم، أما دراستنا فتميز منه بأنها تناولت الاتجاه الإنساني في الحكم في النشر الجاهلي لا غيره.

منهج الدراسة:

اتبع هذه الدراسة المنهج الوصفي، والتحليلي المبني على النصوص النثرية التي وردت في الحكمة. أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال ما سيقوم به الباحثان به من عرض، وتحليل للحكم النثرية في العصر الجاهلي، ومن ثم إثبات النتائج التي توضح هذه الأهمية، وتبين فائدة الدراسة. مباحث الدراسة:

ستتركز الدراسة على المباحث الآتية:

المبحث الأول: الحكمة: مفهومها، خصائصها، وسماتها، روادها في العصر الجاهلي.

المبحث الثاني: الاتجاه الإنساني في موضوعات الحكم النثرية في العصر الجاهلي.

المبحث الثالث: الخصائص الفنية للحكم النثرية في العصر الجاهلي.

الخاتمة والنتائج والمصادر والمراجع.

المبحث الأول: الحكمة: مفهومها، خصائصها، وسماتها، روادها في العصر الجاهلي.

الحُكْمُ لغة: العلم والفقه والقضاء العدل، وهو مصدر (حَكَمَ يَحْكُمُ)، وأصله: المنع، يقال: حَكَمْتُ عليه بكذا، إذا منعته من خلافه، ومنه اشتقاق (الحكمة)؛ لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرزال، وهذا معنى بلا شك هو الذي يوضح دلالة المعنى، ويحقق هدف الحكمة(1)، والحكمة: "هي معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال: لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم، وهو: ذو حكمة، أي: عالم، والحُكْمُ والحكمة من العلم(2)، وقد ورد في الحديث الشريف: "... وإن من الشعر

حِكْمًا"، ويروى: "لِحِكْمَةٍ" (3)، أي: كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسفه، وينهى عنهما. ويقال: أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع الناس بها" (4).

أما الحكمة كما عُرِفَتْ اصطلاحاً، فهي: "قول بليغ موجز يحاول سنَّ نظم خلقية يتبعها الناس فيما يرضونه من خصال وسلوك، أو ما ينكرونه من أفعال وعادات، تصاغ في بيت شعر، أو مثل، أو عبارة أنيقة موجزة غزيرة المعنى، ذات دلالات بعيدة" (5)، والحكمة "تؤدي ما يؤديه المثل، إلا أنها لم تشع في الجمهور، ولم تجر إلا بين الخواص، وليس بينها وبين المثل إلا الشيع وحده"، هذا ما يقوله السيوطي (6)، بمعنى أنها إذا شاعت على الألسن صارت مثلاً، ولكن السيوطي لم يحدد الشروط الواجبة في تحولها، ويرى الدكتور هاشم مناع، أنه لا بدّ من توافر شروط في كل منهما؛ لتمييزا من بعضهما بعضاً، من ذلك أن الحكمة لا يشترط فيها أن ترتبط بمحادثة، أو مناسبة، بينما المثل لا بدّ من ارتباطه بذلك، ثم إن الحكمة تسمو في معانيها، ولا تمبط في لفظها، وتهدف إلى توجيه النفس الإنسانية إلى الرقي والسمو والكمال، وتدعوها إلى الفضيلة والمحمدة والشميمة، وكذلك إلى المنفعة والمصلحة والفائدة، وتنهاها عن الجهل والاضطراب والفساد، أو الوقوع في الخطأ، أو الزلل، أو الغلط، وليس هذا من هدف المثل الذي قد ينحطّ في لفظه، ويسفّ، ولا يدعو إلى الفضيلة والخلق الحسن، كما أن الحكمة يشترط فيها أن يسلم بها الجميع؛ لأنها تدعو إلى الأخلاق، وتنهى عن الرذائل (7)، كما أنها تصلح لكل زمان ومكان؛ لأنها تدعو إلى الفضيلة كما بيّنا.

وقد حاول الباحثان تلمس الفروق بين الحكمة والمثل في المصادر القديمة، ولم يفلحا في ذلك؛ ويبدو أنها اهتمت بتناول المثل والأمثال، متجاهلة تسمية الحكمة والحكم، مع أنها أوردت بعضها في تلك المصادر، ولعلنا نجد المسوّغ لها في ذلك؛ لأنه - على ما يبدو - سارت بمفهوم السيوطي نفسه الذي أشرنا إليه آنفاً، مفاده أنه لا فرق بين الحكمة والمثل إلا الشيع، وعدّوا الحكم شائعة؛ ولذلك أدخلت في باب المثل، وهذا يبعث على الظن أن الحكمة لدى العلماء القدامى أقوى من الحكمة في التمثيل والتمثيل، وفي الشيع بين الناس، ولذلك لم تذكر لفظة الحكمة في عناوين المصادر الكثيرة التي ألفت في هذا المجال، مجال الحكمة والمثل... وهذا يعني أن المثل أخذ نصيبه من الدراسة والبحث أكثر من الحكمة.

ولا يمكن أن تكون شروط الحكمة هي نفسها، شروط المثل؛ لأن كلاً منهما له شروطه وخصائصه، ومماته، ونحن غير معنيين في هذا البحث بالوقوف على المثل بالتفصيل، وما يتصل به من خصائص ومميزات، فهذا البحث يتناول الحكمة التي تتمثل في: "أن تَرْضَى العامة والخاصة بها، في لفظها ومعناها، يتناقلونها فيما بينهم، ويتفوهون بها في السراء والضراء... وهي تتناول أخلاق الأمة، وتفكيرها، وعقليتها، وعاداتها، وحضارتها، وتقدمها، فبالحكم كانت تعارض كلامها، فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق بكناية غير تصريح(8).

ولما كانت الحكمة تتجه اتجاهاً أخلاقياً، وتدعو إلى الفضيلة؛ لبناء مجتمع تسوده القيم النبيلة، والمثل العليا، فإنها لا تقتصر على موضوع دون آخر، فقد تناولت كل الموضوعات التي تهم المجتمع، ويتعامل بها، والحكمة لا شك أنها تمثل القيم الاجتماعية والتربوية والعقلية والتاريخية؛ ذلك أنها تعبر عن بيئة المجتمع في كل اتجاهاته، وبيئاته وأخلاقه، لا سيما فيما يتعلق بتصرفات الفرد تجاه الآخرين، وعلاقاته بمجمعه، فالحكمة تتمثل فضيلتها في متصرفاتها، وحسن واقعها في جهاتها(9)، يقول أبو هلال العسكري: "إني ما رأيت حاجة الشريف إلى شيء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن، كحاجته إلى الشاهد والحكمة والمثل والكلمة السائرة، فإن ذلك يزيد المنطق تفخيماً، ويكسبه قبولاً، ويجعل له قدراً في النفوس، وحلاوة في الصدور، ويدعو القلوب إلى وعيه، ويبعثها على حفظه، ويأخذها باستعدادها لأوقات المذاكرة، والاستظهار به أو أن المحاولة في ميادين المجادلة، والمصاولة في حلقات المفاولة، وإنما هو في الكلام كالتفصيل في العقد، والتنوير في الروض، فينبغي أن يُستكثر من أنواعه؛ لأن الإقلال منها كاسمه إقلال، والتقصير في التماسه قصور، وما كان منه مثلاً سائراً فمعرفة ألزم؛ لأن منفعة أعم، والجهل به أقبح"(10).

ويتضح لنا مما ذكره العسكري أنفاً أن الحكمة ضرورة؛ لأنها تصدر عن تجربة، وخبرة تقدم للمجتمع عبراً ومواعظ، وتدعو إلى التمسك بالأخلاق النبيلة؛ لبناء مجتمع صالح، وتورث الأبناء القيم النبيلة، والأخلاق الحميدة، حتى لا يسود المجتمع فساد، أو رذيلة، ومن المهام الأساسية للحكمة كما يتبين حرصها على قضيتين أساسيتين، الأولى: وضع المجتمع على جادة الصواب، تسوده والأخرى: نهي عن الانحراف والسفاهة والضلال، وتطهيره من الفساد.

ولما كانت هذه الحكمة تؤدي كل هذه المعاني، فإنه جدير بها أن تتميز بمجموعة من الخصائص، تميزها من غيرها من فنون القول الأخرى، ويتمثل هذا التميز بأربعة أمور، وهي: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهذه هي نهاية البلاغة(11).

وقد امتثلت العرب إلى الحكمة، ومالت إليها، واستأنست بها، وطبقتها، وحفظتها، وروتها؛ لما تحملها من معان غزيرة، ودلالات عميقة، رصدت أخلاق العصر الجاهلي، وعاداته وتقاليده، ومبادئه، ولم تكن تلك الحكم معقدة، قائمة على أسلوب فلسفي، أو منطقي، احتاج من مصدر الحكمة إلى برهان ودليل؛ إنما صدرت من خلال تجربة، وخبرة، ومشاهدة، ومناظرة، وملاحظة، ولم تكن الحياة الجاهلية معقدة صعبة على الرغم من شظف العيش، وقسوة الحياة، لا سيما في الجزيرة العربية، ولذلك جاءت هذه الحكمة مفسرة للحياة دون فلسفة، ومعبرة عن البيئة دون تعقيد، ما دفع الجاهلي إلى أن يتلقفها، ويتعامل بها، ويستشهد بها حينما تكون حاجة إليها؛ ليدعم الرأي الذي يتبناه، والفكر الذي يدافع عنه، والحياة التي يرتضيها وفق تلك القيم والأخلاق التي يؤمن بها، ولذلك كانت الحكمة "تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جُلِّ أساليب القول، أخرجوها في أقواها من الألفاظ؛ ليخف استعمالها، ويسهل تداولها، فهي من أجلِّ الكلام وأنبه، وأشرفه وأفضله، لقلة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسير مؤنتها، على المتكلم، مع كبير عنايتها، وجسيم عائدتها، ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب، والحفظ مُوَكَّل بما راع من اللفظ، ونذر من المعنى"(12). فالحكمة غرض شعري، أو فن قائم بذاته، على الرغم من أنها لم تكن قائمة في ذاتها في قصيدة، أو نص نثري، إنما تأتي في ثنايا تلك القصائد والنصوص، فالحكمة علم "لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه، حتى أحكمه، وبالغ في التماسه، حتى أتقنه... ومن لم يُعِن بها من الأدباء عناية تُبَلِّغه أقصى غاياتها، وأبعد نهاياتها، كان منقوص الأدب، غير تام الآلة فيه، ولا موفور الحظ منه"(13).

وما دمنّا نتحدث عن الحكمة لا بدّ من الإشارة إلى قضية مهمة أن الحكمة في النثر من حيث الكم، أكثر بكثير من الشعر؛ لأنها في الشعر لم تكن تقصد لذاتها، بل تأتي عرضاً، وفقاً لطبيعة الموضوع الشعري المتناول، وتبعاً لما يتمتع به الشاعر من تجربة وخبرة، ولا شك أن ما ورد في الشعر الجاهلي مثلاً من الحكمة، ظل خالداً إلى يومنا هذا، إذ يتناقلها الناس، ويحفظونها، ويستشهدون بها، بل يجدونها حلاً لكثير

من القضايا المماثلة التي تحتاج إلى دليل، أو برهان، أو توضيح، بينما قد لا يعرفون من قائلها، أو مرسلها، ولا يعلمون أين وردت، وفي أي مناسبة، ولم يقرؤوا القصيدة التي وردت فيها، ولا يعرفون الدوافع والأسباب التي كانت وراء صدورها.

وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من الرواة والناس قد تناقلوا الحكم الشعرية أكثر مما تناقلوا الحكم النثرية، بسبب ارتباط العشر بالوزن والقافية، وسهولة الحفظ؛ لما يتخلله من موسيقا وإيقاع، فإن الحكم كمّاً أكثر بكثير من الحكم في الشعر، لا سيما من حيث العدد، فلو قمنا بعمل دراسة إحصائية بسيطة؛ لوجدنا أن أكثرهم بن صيفي خطيب العرب وحكيمها، في خطبة واحدة، أو وصية واحدة له، يزيد فيها عدد الحكم عن كل الحكم التي وردت في الشعر، ولا غرابة في ذلك، فإننا قد قرأنا قصيدة كاملة، حتى من القصائد الطويلة التي تسمى المعلقات، فإننا لا نكاد نعثر على حكمة واحدة، انظر مثلاً معلقة امرئ القيس، وإذا ما استثنينا ما ورد في قصائد زهير بن أبي سلمى، فالحكمة في الشعر قليلة لا تقارن بالحكمة التي وردت في النثر، ولهذا كان لا بدّ لنا من توضيح هذه القضية ههنا؛ لأهميتها، بقي أن نشير ههنا إلى أن الحكم الشعرية شاعت بين الناس، أكثر من شيوع الحكمة النثرية، بينما عدد الحكم النثرية أكثر بكثير من الحكم الشعرية، ولا وجه للمقارنة في هذا الباب بسبب الكثرة في النثر، وعلى أية حال، فإن الحكمة أينما وردت فهي "أبقى من الشعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عمّ عمومها..." (14).

أما رواد الحكمة في العصر الجاهلي فهم أكثر، لا سيما الخطباء منهم، ويمكن أن نذكر بعض المشهورين منهم، من أمثال: (قَسَّ بن ساعدة الإيادي) خطيب العرب، وحكيمهم الذي روى عن الرسول - صلى الله عليه وسلم -، و(أَكْثَم بن صيفي) حكيم العرب، و(عامر بن الظرب) حَكَم العرب، و(هَرَم بن قُطَبَة الفزاري)، و(كَيْد بن ربيعة) أحد حكام العرب، و(هاني بن قبيصة) خطيب بكر، و(زهير بن جَنَاب الكلبي) خطيب كلب وقُضاعة، وربيعة بن جَذَار الأسدي) خطيب بني أسد، وغيرهم كثير، لا سيما الكهان، وخطباء اليمن (15).

المبحث الثاني: الاتجاه الإنساني في موضوعات الحكم النثرية في العصر الجاهلي:

إن الحكمة حين ترد في النص النثري، فإنها تخدم غرض الخطبة، أو الوصية، وتحقيق غاية الموضوع المتناول، وتوضح فكرته، وتقوي بناءه، وتصل إلى المتلقي بكل يسر وسهولة، لا سيما أنها تسعى إلى الدعوة

للفضيلة، وبناء مجتمع تسوده القيم النبيلة، ما يجعلها خالدة على مدى الزمن؛ لأن الأخلاق النبيلة، والفضائل، لا تتغير بتغير الأزمان، ولهذا تبقى الحكمة حيّة في كل المجتمعات، وفي كل العصور، مهما اختلفت الأماكن والأمم، كما أن الحكمة لا تصدر عن أي إنسان، وإن كان هناك مثل يقول: "خذوا الحكمة من أفواه المجانين"، ولعل المقصود بهذا أن الحكمة وإن كانت صادرة عن مجنون، فلا يجوز العزوف عنها، أو رفضها، أو إهمالها؛ لأنها من صادرة عن مجنون، وحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - يحث على أخذ الحكمة من أي شخص، وفي أي مكان، أو زمان: "الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها" (16)، إذن، فإن الحكمة مهمة، فإذا كانت تؤخذ من المجانين، فما بالناس بالحكمة التي تصدر عن عقل واع، في مرحلة الشعور، من خلال تجربة وخبرة؟ ونحن نتحدث ههنا عن حكم تدعو للفضيلة، وإحقاق الحق، وبناء مجتمع يقوم على الأخلاق النبيلة، إن الحكم في الجاهلية، لا سيما في الفن الثري، لعب دوراً بارزاً في كثير من الموضوعات على مستويات متنوعة؛ لأنها رصد للواقع، وتأمل في الحياة، وتعبير عن طبائع البشر، وتصوير سلوكياتهم، نورد بعض تلك الحكم ههنا؛ لتبين مدى تطابقها مع ما ذهبنا إليه.

ولم تكن الحكم التي وردت في النثر على اختلاف موضوعاتها في جمل متفرقة هنا وهناك، إلا ما ندر، ولكنها في النثر غالباً ما تأتي متتالية مثل تتابع المطر، سواء أكان ذلك في الخطب، أو الوصايا، لاسيما ما صدر من خطيب العرب (أكثم بن صيفي)، و(عمرو بن كلثوم) صاحب المعلقة، في وصاياه، وسنورد بعض هذه الحكم التي وردت في مناسبات عدة، نذكر منها:

• الزواج: ما ورد في خطبة أبي طالب بن عبد المطلب في زواج الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالسيدة خديجة: "إِنَّ الْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ، وَعَارِيَةٌ مُسْتَرْجَعَةٌ" (17).

• التعزية: عَزَى أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ عَمْرُو بْنُ هِنْدَ مَلِكَ الْعَرَبِ عَلَى أَخِيهِ، فَقَالَ لَهُ: "أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّ أَهْلَ الدَّارِ سَقَرٌ لَا يَحْلُونَ عُقَدَ الرِّجَالِ إِلَّا فِي غَيْرِهَا، وَقَدْ أَتَاكَ مَا لَيْسَ بِمَرْدُودٍ عَنْكَ، وَارْتَحَلَ عَنْكَ مَا لَيْسَ بِرَاجِعٍ إِلَيْكَ، وَأَقَامَ مَعَكَ مَنْ سَيَظُنُّ عَنْكَ وَيَدْعُكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنْيَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ: فَأَمْسَ عِظَةٌ وَشَاهِدٌ عَدْلٌ، فَجَعَلَ بِنَفْسِهِ، وَأَبْقَى لَكَ عَلَيْهِ حُكْمَكَ؛ وَالْيَوْمَ غَنِيمَةٌ وَصَدِيقٌ، أَتَاكَ وَلَمْ تَأْتَهُ، طَالَتْ عَلَيْكَ عَيْبَتُهُ، وَسُتِّرَ عَنْكَ رَحْلَتُهُ؛ وَعَدَّ لَا تَدْرِي مِنْ أَهْلِهِ، وَسَيَأْتِيكَ إِنْ

وَجَدَكَ. فما أَحْسَنَ الشُّكْرَ لِلْمُنْعَمِ، والتَّسْلِيمَ لِلْقَادِرِ! وقد مَضَتْ لَنَا أَصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا، فما بَقَاءُ الْفُرُوعِ بَعْدَ أَصُولِهَا! واعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ مِنَ الْمُصِيبَةِ سُوءُ الْخَلْفِ مِنْهَا، وَخَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ مُعْطِيهِ، وَشَرٌّ مِنَ الشَّرِّ فَاعِلُهُ(18).

- الوعظ والإرشاد: من وصية لعمر بن كلثوم التَّغْلِي لأبنائه جاء فيها: ...إني والله ما عيرت رجلاً قط أمراً إلا عير بي مثله، إن حقاً فحقاً، وإن باطلاً فباطلاً، ومن سَبَّ سَبَّ، فكفوا عن الشتم، فإنه أسلم لأعراضكم، وصلوا أرحامكم، تعمر داركم، وأكرموا جاركم يحسن ثناؤكم... ولا خير فيمن لا يغار لغيره. كما يغار لنفسه... رب رجل خير من ألف، وود خير من خلف... إن مع الإكثار يكون الأهدار، وموت عاجل خير من ضئى آجل، وما بكيت من زمان إلا دهاني بعده زمان، وربما شجاني من لم يكن أمره عنائي، وما عجبت من أحدىة إلا رأيت بعده أعجوبة، وخير الموت تحت ظلال السيوف، ولا خير فيمن لا روية له عند الغضب، ولا فيمن إذا عوتب لم يعتب، إن الحكيم سليم، وأن السيف كليم"(19).
- مواظب عامة: من وصية لأكنم بن صيفي كتب بها إلى طيئ: "لن يهلك امرؤ عرف قدره. والعدم عدم العقل، لا عدم المال، ولرجل خير من ألف رجل، ومن عتب على الدهر طالت معتبته. ومن رضي بالقسم طابت معيشتة، وآفة الرأي الهوى، والعادة أملك، والحاجة مع المحبة خير من الغض مع الغنى، والدنيا دول؛ فما كان لك أذاك على ضعفك، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك، والحسد داء ليس له دواء، والشماتة تعقب، ومن ير يوماً ير به، قبل الرماء تملأ الكنائن، الندامة مع السفاهة، دعامة العقل الحلم. خير الأمور مغبة الصبر، بقاء المودة عدل التعاهد، من يزر غباً يزدد حباً، التغيرير مفتاح البؤس، من التواني والعجز نتجت الهلكة، لكل شيء ضراوة. فضر لسانك بالخير، عي الصمت أحسن من عي المنطق، الحزم حفظ ما كلفت وترك ما كنيت، كثير النصيح يهجم على كثير الظنة، من أخف في المسألة ثقل، من سأل فوق قدره استحق الحرمان، الرفق يمن، والخرق شؤم، خير السخاء ما وافق الحاجة، خير العفو ما كان بعد القدرة"(20).

- الوعظ والإرشاد الاجتماعي: من وصية أُمّامة بنت الحارث لابنتها أم إياس في ليلة زفافها: "أي بنية: "...النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال، كوني له أمة يكن لك عبداً وشيكا... الكحل أحسن الحسن، والماء أطيب الطيب المفقود، وتنغيص النوم مغضبة... فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير"(21).
 - حث على القتال والتضحية والفداء: قال هاني بن قبيصة الشيباني يُخَرِّضُ قَوْمَهُ يوم ذي قار: يا معشر بكرٍ، هَالِكٌ مَعْدُورٌ خَيْرٌ مِنْ نَاجٍ فَرُورٍ. إِنَّ الْخَدَرَ لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ، وَإِنَّ الصَّبْرَ مِنْ أَسْبَابِ الظَّفَرِ. الْمَيِّتَةُ وَلَا الدَّيِّتَةُ، اسْتِقْبَالُ الْمَوْتِ خَيْرٌ مِنْ اسْتِدْبَارِهِ، الطَّعْنُ فِي ثَعْرِ النُّحُورِ أَكْرَمُ مِنْهُ فِي الْأَعْجَازِ وَالظُّهُورِ. يَا آلَ بَكْرِ، قَاتِلُوا فَمَا لِلْمَنَيا مِنْ بُدٍّ"(22).
 - جملة من الحكم المتنوعة في موضوعات متنوعة: "رب عجلة تهب رثيا"، و"رب ريث يُعقب فوئًا"، "رب أخ لم تلده أمك"، و"رب فرحة تعود ترحه"، و"رب ملوم لا ذنب له"، و"أول الحزم المشورة"، و"من طلب شيئا وجده"، و"من مأمنه يؤتى الحذر"، و"رضا الناس غاية لا تدرك"، و"كلم اللسان أنكأ من كلم السنان"، وفي رواية: "الحسام"، و"من سلك الجدد أمن العثار"، و"نفاذ الرأي الصائب في الحرب أنفذ من الطعن والضرب"(23).
- فهذه باقية من الحكم المتنوعة كانت تأتي وراء بعضها بعضاً، في خطبة واحدة، أو وصية واحدة، أو أنها كانت تأتي شوارد في مناسبات عدة، وكلها كما نلاحظ تترفع في معانيها، ولا تسف في لفظها، وتدعو الفرد إلى أن يحترم نفسه، وينخرط في مجتمعه، ويعمل من أجل إسعاده، ثم تدعو إلى بناء مجتمع يقوم على المحبة والوئام والاحترام، ثم تحث على إقامة علاقات طيبة مع الإنسان كإنسان، ثم مع المجتمعات الأخرى، وهذا يدعو إلى إقامة حسن جوار مع الدول المجاورة، والأمم المختلفة، لأن العرب كانوا يؤمنون بتلك القيم التي تبني مجتمعات راقية سليمة، إذا ما تمسكت بتلك القيم النبيلة، والعادات السليمة، والتقاليد الحسنة، لذلك أصدرت هذه الحكم من منطلق الحرص على إشاعة الأخلاق الحميدة التي لا بد لكل فرد أن يتمسك بها، حتى يسود بأمن وأمان، وسلم وسلام، ولهذا فإن توجيه الحكمة من الحكماء إلى المتلقين ضرورة، إذ لا يتمتع بها إلا من ملك قدرة، ومهارة، وخبرة، وتجربة، وعقلاً واعياً، وشعوراً

يقطاً، ثم يمدد الله بنعمة الحكمة، وهذا واضح في قول الله تعالى: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا} (24).

إن الحكمة هي سبيل قوي للإقناع، وإقامة الحجة، لأنها برهان ودليل، لا يحتاج إلى نقاش، أو إغفال، وعلى الإنسان أن يؤمن به، لما يحمله من أهداف سامية وغايات نبيلة، فما دام الأمر كذلك، إذن، فالحكمة لا بد من أن تشيع في المجتمعات عبر العصور وفي كل الأزمان؛ لأنها تصلح لكل زمان ومكان، وهي ليست كلاماً إنشائياً، يعتمد العاطفة سبيلاً، للتأثير، إنما الحكمة تعتمد العقل والوجدان والعاطفة والشعور في آن واحد، لأنها هي خلاصة تجارب وخبرات، تسعى لتقويم الفرد، ووضعه على جادة الصواب، من أجل؛ ليحافظ على مجتمع ينبذ الرذائل...

وكما رأينا فإن الحكمة تصدر من العقول الواعية المستنيرة، وهي هبة من الله، ومنحة، ونعمة، ذلك أن الله يؤتي الحكمة لمن يشاء، ومن أتته أتاه خير كثير، كما ورد في نص الآية آفة الذكر، من ذلك أنه يتميز بالصلاح والفلاح، ونفاذ البصيرة، ونقاء السريرة، وطهارة القلب، وحب الخير، ورجاحة العقل، وصواب الرأي، وسداد العمل، ومنزلة عالية في المجتمع، لأنه يهدف إلى الحيلولة دون وقوع الفرد والمجتمع في الخطايا التي تكون سبباً في تدميره، وفنائه.

ومن الجدير بالذكر أن الحكمة تمثل اتجاهًا إنسانياً لا ذاتياً، ونزعة إنسانية لا فردية، بدليل أن الحكمة تصلح لك مجتمع، في كل زمان ومكان، دون حاجة إلى معرفة مرسلها، ولا العصر الذي قيلت فيها، وهذا دليل على أهميتها، وفائدتها، وتحقيق هدفها المنشود، وغايتها المأمولة.

قبل أن ننهي الحديث في هذا الباب، فلا بد من أن نذكر ثلاث قضايا مهمة:

1) إن هدف الحكم كما ذكرنا هو توجيه النفس الإنسانية إلى الكمال والفضيلة، والبعد عن الرذيلة، إذن الحكمة إنسانية، قبل كل شيء، أي: إنها تصلح لكل إنسان، في كل زمان ومكان، وليس إلى فئة معينة، أو أمة بعينها.

2) إن تسليط الضوء على الاتجاه الإنساني في الحكم، هو تأكيد على إنسانيتها، وفضيلتها، ومحمدتها، وشيمنتها... لندلل على أن النش الجاهلي لم يكن سائراً على عواهنه، بل كان يصدر

عن عقل واع، يدعو إلى بناء مجتمع صالح، يسير بخطوات ثابتة، يؤمن بقيم وعادات وتقاليد ومفاهيم تقوده - من خلال جادة الصواب - إلى تحقيق الهدف المنشود.

(3) يؤمن الباحثان أن الحكمة تمثل فناً ملتزماً، لا ملزماً، إذ حمل خطباء العرب على عاتقهم التزاماً تجاه مجتمعهم، بل الإنسانية كلها؛ لتوجيهها توجيهاً سليماً مستفيدين من تجربتهم وخبرتهم التي اكتسبوها من خلال المشاهدة والملاحظة والتدقيق، وهذا يدل على المثل العليا التي مثلوها، وآمنوا بها، ونادوا بها أيضاً، ورأوا أنهم ملتزمون تجاه كل الأمم في أي مكان، وأي زمان؛ لتوجيههم توجيهاً سليماً، حتى يتسلحوا بالآمال التي ترفع من معنوياتهم، ويتمسكوا بالآمال التي تطلعوا إليها، ويرشدوا مجتمعاتهم لتلك المثل النبيلة التي طالما حلموا إلى تحقيقها..

المبحث الثالث: الخصائص الفنية للحكم النثرية في العصر الجاهلي:

أشرنا آنفاً في هذا البحث إلى أن الحكمة لم تكن مستقلة بذاتها، في خطبة، أو وصية، إنما ترد في العادة في ثناياها؛ لتكون وسيلة إقناع وحجة؛ لما تتميز به من خصائص وسمات، لا سيما السيطرة على الأبواب، والتأثير القوي في العواطف، ولما تبعته في النفس من تأثير قوي، يدفع المتلقي إلى العمل بما تدعو إليه الحكمة، فإذا كان الخطيب يتأنق في اللباس، ويتفنن في اختيار الكلمات، ويتألق في الإلقاء؛ ليجذب الناس إليه، يسيطر عليهم؛ لمتابعته، واستيعاب ما يقوله، وفهم ما يدعو إليه وتطبيقه، فإنه حريص كل الحرص أن يكون أكثر اهتماماً بالحكمة وصياغتها، وقصرها، وقوتها، ومتانتها؛ لأنها تصدر عن عقل واع، في مرحلة الشعور، والوعي القائم على أعمال الفكر، وكد القريحة، والنفاد إلى جوهر الأشياء من خلال تجربة عميقة، وخبرة طويلة.

والحكمة فن من فنون القول، تتميز بمجموعة من الخصائص التي تميزها من غيرها، سواء أكانت في خطبة واحدة، أو في وصية واحدة، أو أطلقت في عبارة هنا وهناك، ومن أهم ما تمتاز به الحكمة:

(1) إيجاز اللفظ. (2) إصابة المعنى.

(3) حسن التشبيه. (4) جودة الكناية.

فهذه هي نهاية البلاغة (25).

وحري بنا أن ندون مجموعة من السمات التي لاحت على هذه الحكم، من خلال عرضنا لها، نذكر منها:

- 1) ابتعادها عن الغريب وحوشي اللفظ، وتميزها بالسهولة والبساطة.
- 2) أسلوبها سهل ممتنع؛ لأنها يتوجه إلى الناس كل الناس، ويصلح في كل زمان ومكان.
- 3) اعتمادها أسلوب الإقناع المتمثل بمخاطبة العقل والعاطفة معاً، ثم إقامة الحجة، والبرهان في بعض الأحيان حين يتطلب الأمر ذلك، لا سيما أن الحكمة تدعو إلى بناء مجتمع يقوم على الفضيلة ونبذ الرذيلة.
- 4) الإيجاز الشديد في اللفظ، والابتعاد عن التطويل، أو الإطالة؛ ليكون الإيجاز أشد تأثيراً، وأسرع فهماً؛ لا سيما أننا نعد الحكمة "أدباً مركزاً"، أو "أدباً مكثفاً".
- 5) عدم التكلف بالبحث عن التعقيد، والتصنيع، من أجل رسم صورة، أو الإتيان بتشبيه أو استعارة أو ما شابه، إلا ما جاء عفويّاً احتاجته الحكمة؛ لتقريب المعنى؛ وليكون أكثر تأثيراً في النفوس.
- 6) محاولة ربط الحكم بالموضوع المتناول ذات الصلة، على الرغم من أنها قد تأتي متتالية منهجرة، لكنها تخدم موضوعها، وتؤدي وظيفتها، بكل يسر وسهولة، يُقرّها المتلقي، ويعمل بها، ويطبقها، وينفذ ما جاء فيها.
- ولما كانت الحكمة غاية البلاغة، لا بدّ من أنها استندت إلى بعض القضايا البلاغية التي يمكن أن نبين بعضها ههنا:
- 1) حسن التقسيم، أو التوازن في الجمل يسهل الحفظ، ويعطي شيئاً من الإيقاع، والنغم الموسيقي؛ لأنه يعتمد التقسيم سبيلاً؛ لإظهار الزينة، والجمال، ومثاله: (من الناس من لا يرجي خيره، ولا يخاف شره، فبُكِّوه خير من درّه، وعقوقه خير من برّه)، (ربّ رجل خير من ألف، ورد خير من خُلف)، و(إن مع الإكثار تكون الأهدار)، و(خيرٌ من الخير معطيه، وشر من الشر فاعله).
- 7) السجع: وهو في النثر كالقافية في الشعر، لا سيما حين تكون الجمل متتالية، فإنها تولد نغمة، وجرساً موسيقياً، يعين على الحفظ، ويقرب المعنى، ويعطي جمالية في اللفظ رسماً ونطقاً، ومثاله: و(ربّ رجل خير من ألف، ورد خير من خُلف)، و(إن مع الإكثار تكون الأهدار)، و(من

الناس من لا يرجى خيره، ولا يخاف شره، فُبِكُّهُ خَيْر من دَرَّة، وعقوبه خَيْر من بره)، و(من يزر غبًا يزدد حُبًا)، و(الحسد داء ليس له دواء)،

8) الجناس: تشابه اللفظان، واتفاقهما في النطق، واختلافهما في المعنى، ومثاله: (المَيْتَةُ ولا الدَّيَّةُ)، (ألف... خلف)، و(إن مع الإكثار تكون الأهدار)، و(من يزر غبًا يزدد حُبًا)، وهو من الأنواع البديعة التي تضفي جمالاً على المعنى، وتقويه، ثم تضيف مسحة موسيقية أحاذة على اللفظتين المتفقتين في اللفظ، والمختلفتين في المعنى، ثم تثير انتباه المتلقي؛ ليشحذ الذهن، ويكبد القريحة، ويمعن في التركيز؛ ليكتشف المعاني المقصودة من هذا الجناس.

9) الطباق: وهو أن يتم الجمع بين الضدين، ومثاله: (استقبال الموت خَيْرٌ من استدباره)، و(الحسد داء ليس له دواء)، و(عي الصمت أحسن من عي المنطق)، وفيه نوع من الإثارة، واليقظة الدائمة، والحركة؛ كمن يجمع بين (القط)، و(الفأر)، وكذلك اللغة، تأخذ هذا الدور في النشاط والحيوية، إلى جانب أن الطباق نوع من الزينة يتم به تحميل العبارة، كمن بين اللونين المختلفين: الأبيض والأسود، في توافق وتناسق وجمال.

10) المقابلة: وهو أن يؤتى بمعنيين، أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، ومثالها: (هَالِكٌ مَعْدُورٌ خَيْرٌ مِنْ نَاجٍ فَرُورٌ)، (الطَّعْنُ فِي ثَغْرِ النُّحُورِ أَكْرَمُ مِنْهُ فِي الْأَعْمَارِ وَالظُّهُورِ)، و(خيرٌ من الخير معطيه، وشر من الشر فاعله)، و(الحاجة مع المحبة خير من الغض مع الغنى)، و(الرفق يمن، والخرق شؤم)، و(كوني له أمة، يكن لك عبداً)، وتتميز المقابلة بشد الانتباه إلى الفكرة، وإثارة الفكر، للتمعن في المعاني، لترسيخها في النفس.

11) التشبيه: نجد التشبيه البليغ الذي حذفت أدياته، ووجه الشبه منه؛ ليكون المشبه هو المشبه به نفسه، لتقويته، ومثاله: (المالُ ظلٌّ زائل)، و(المال عاريةٌ مسترجعة)، و(كوني له أمة، يكن لك عبداً)، و(الرفق يمن، والخرق شؤم)، ويأتي التشبيه البليغ، للتأكيد، والتقريب، وإزالة اللبس، والإبانة والتوضيح.

12) الاستعارة المكنية: وهي أن يتم حذف المشبه به، وذكر المشبه، والإتيان بشيء من لوازم المحذوف، ومثاله: (الطعن أكرم)، و(الحذر لا ينجي)، و(استقبال الموت)، فقد شبه (الطعن)،

و(الحذر)، و(الاستقبال) بإنسان، ولكل صورة جمالية، وفائدة، وأهمية، إذ حققت الهدف المطلوب، (نفاذ الرأي الصائب في الحرب أنفذ من الطعن والضرب)، وأتي الاستعارة المكنية بإسبال الصفات الإنسانية وما إلى ذلك على الأشياء الجامدة؛ أو تجسيد المعنوي، أو ما إلى ذلك: لتعطيها قوة في المعنى، إذ تنفذ إلى جوهر الأشياء، وتمنحها بعض الصفات التي لا يمكن أن تتحقق بها غالباً، وبذلك تبعث في هذه الأشياء الحيوية والنشاط والحركة، وقد تضيف الاستعارة اللون أيضاً؛ لتبث الحياة فيها، كتشبيه الطعن بالإنسان الذي تم حذفه، بعد ذكر شيء من لوازمه، وهو الكرم، وبذلك يجعل من الطعن إنسان يتصف بصفة الكرم والسخاء والعطاء والخير، مع أنه لا يمكن أن يكون الطعن، أي: القتل كريماً أو سخيّاً، لكن المرسل رأي أن تكون صورته هكذا؛ ليشخصها؛ ليقرب المعنى إلى المتلقي الذي يبدي رضاه عن مثل هذه الصور.

1) الاستعارة التمثيلية: وهي من الاستعارات المهمة في البلاغة، إذ يتم التعبير بها عن حال معينة عن طريق آية قرآنية، أو حديث نبوي، أو حكمة سائرة، أو مثل، أو قول مأثور، أو بيت شعر، ذلك أن الحال السابقة هي التي تذكر، والحال الحاضرة هي التي تحذف... (26)، ومثال ذلك، نجري استعارة واحدة مما أوردناه من حكم، وتجري كلها بالطريق نفسها التي نبينها ههنا، ففي حكمة: (إن مع الإكثار تكون الأهدار)، نقول: شبه حال من يزرع مساحات واسعة، وقد لا يسيطر عليها، ويتلف محصولها)، أو شبه حال من يكثر من الصنائع، ولا يستطيع متابعتها فيخسر، بمن يتكلم كثيراً فيخطئ؛ لأن كثرة الكلام يتولد عنها الأخطاء، وكلما قل الكلام، قل الخطأ، إذ من لم يتكلم لا يخطئ، وقد نسمي هذا النوع من الاستعارة، "الاستعارة المركبة"، لأنها تمثيلية، تختلف عن التصريحية، والمكنية، فالتمثيلية بلا شك تفيد الإيماء، والإشارة، والرمز، وتحفظ مرسلها من المساءلة؛ لأنه يكتفي بذكر الحكمة مثلاً، دون وجود داع لذكر حال المشبه؛ وفي هذا احترام لعقلية المتلقي، اعتماداً على عقليته، وفكره وفهمه وذوقه ومهارته؛ ليصل إلى الهدف المنشود من الإتيان بالحكمة، ثم إن الاستعارة التمثيلية تعطيك مساحة من تطبيق الحكمة وغيرها عند استخدامها، أو توظيفها في حال معينة، في أكثر من حال.

2) الكناية: هو أن يصرح بالكلام، ويراد به معنى آخر غير الذي تم التصريح به، وللكناية أقسام، هي الصفة، والموصوف، والنسبة، ولها وسائل، منها: التلميح والتلويح، والتعريض، ومثاله: (الطَّعْنُ فِي ثُغْرِ التُّحُورِ) كناية عن البسالة والشجاعة والجرأة والقتال وجهاً لوجه دون خوف أو فرع، والطعن (... في الأعجازِ والظهورِ) كناية عن الفرار من أرض المعركة، والتسليم بالهزيمة، ولا شكَّ أنَّ الكناية لها جمالية تختص به، وتتميز بها من غيرها، أنها تقرب المعاني بصورة واضحة، ثم إنها تعتمد الإيجاز، والتلويح، والتلميح، لا سيما حين لا يريد المرسل أن يصرح بشيء ما، لأي سبب، فيميل إلى تأدية المعنى عن طريق الإيحاء، والإيماء، والرمز. ونلاحظ فيما أوردنا ملحوظتين:

1) أن الحكمة الواحدة يمكن أن يكون فيها سجع، وطباق، وجناس، وحسن تقسيم، واستعارة، في آن واحد، ولذلك لم نورد أمثلة كثيرة على ذلك، إذ اكتفينا بما أوردنا تاركين ذلك للمتلقي؛ ليجد متعة في القراءة، والتطبيق.

2) أن الحكمة التي أوردناها في هذا الباب وغيره اعتمدت الإيجاز، والتركيز، والتكثيف، والوضوح، والسهولة، والبساطة، فالألفاظ مختارة موحية، تحمل دلالات عميقة، واسعة العبارة، قوية العارضة، وكأننا أمام رائحة القدم وأصالته، بعقب الحديد ونشره؛ لما يتميز به من قرب التناول، واليسر.

ولم نتحدث عن الأساليب الخيرية والإنشائية، والمعاني التي خرجت إليها، ولا عن الحذف، وتقديم الخبر على المبتدأ، ولا المجاز، ولم نتبع كل ما يتعلق بعلوم البلاغة المعروفة، إنما اكتفينا ببعض أنواعها؛ لتطبيق بعض الأنموذجات عليها؛ لأن المجال لا يتسع إلى كل ذلك، فما أوردنا يغني، ويوضح المطلوب، ويحقق الغاية.

الخاتمة:

تناول هذا البحث مجموعة من القضايا التي تتعلق بالاتجاه الإنساني في الحكم في الشر الجاهلي، إذ وقف على تعريف الحكمة، وبين خصائصها، وسماتها، وذكر روادها في العصر الجاهلي، ثم عرض لموضوعات الاتجاه الإنساني للحكم النثرية في العصر نفسه، كما تحدث عن الخصائص الفنية للحكم النثرية فيه، وقد توصل إلى نتائج كثيرة، نذكر منها:

- 1) إن "الحكمة" تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جُلِّ أساليب القول، أخرجوها في أقواها من الألفاظ؛ ليخف استعمالها، ويسهل تداولها، فهي من أجلِّ الكلام وأنبه، وأشرفه وأفضله، لقلّة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسير مؤنتها، على المتكلم، مع كبير عنايتها، وجسيم عائدتها، ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب، والحفظ مُوَكَّل بما راع من اللفظ، ونذر من المعنى" (27).
- 2) تميزت الحكمة بمجموعة من الخصائص، جعلها تتميز من غيرها، كما بيّن البحث.
- 3) لم تكن الحكمة مقصورة على موضوع دون آخر، بل كانت في موضوعات متنوعة منها الاجتماعي والوعظي والإرشادي والتهنئة والتعزية...
- 4) الحكمة تجاوزت الذاتية الفردية إلى الإنسانية جمعاء؛ لأنها تدعو إلى الفضيلة، وتنهى عن الرذيلة، وتهدف إلى بناء مجتمع صالح فاضل، كما أنها تصوّل لكل زمان ومكان؛ ذلك أن الحكم تصدر عن عقل واع، يؤمن بـ: قيم، وعادات، وتقاليد، ومفاهيم تقوده — من خلال جادة الصواب — إلى تحقيق الهدف المنشود.
- 5) تمثل الحكمة فناً ملتزماً، لا ملزماً، وهذا يدلّ على المثل العليا التي مثّلتها، وحملتّها، ونادت بها أيضاً.
- 6) كانت الحكمة وسيلة إقناع وحجة، وتأثير في العقول والعواطف، لا سيما أنها تعبر عن فكر الأمة الذي يبين راحة العقل، وصواب الرأي.

الهوامش

- (1) أحمد بن محمد بن علي (د.ت)، المصباح المنير، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، (حكم)، وابن منظور علي أبو الفضل (1968)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (حكم).
- (2) ابن منظور، لسان العرب (حكم).
- (3) المناوي (1972)، فيض القدير (شرح الجامع الصغير للسيوطي) دار المعرفة، بيروت، 524/2 (رقم 2457 و2458). ولسان العرب (حكم).
- (4) فيض القدير (شرح الجامع الصغير) 524/2.
- (5) الجبوري، يحيى (1983)، الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه)، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت. ص 403.
- (6) المزهر السيوطي، جلال الدين (1986)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: علي محمد البحوي وآخرين، المكتبة العصرية، بيروت، 486/1.
- (7) انظر مزيداً من التفصيل : (1993)، النثر في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت. ص 161 . 172، ومناع، هاشم صالح (2017)، الأدب العربي الجاهلي، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، ص 387 . 390.
- (8) السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها 486/1.
- (9) انظر: العسكري، أبو هلال (1988)، جمهرة الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخر، دار الجيل، ط2، بيروت 3/1.
- (10) السابق نفسه 4/1.
- (11) الميداني (د.ت)، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت، 6/1.
- (12) جمهرة الأمثال 4/1 - 5.
- (13) السابق 5/1.
- (14) عبد ربه، أحمد (1983)، العقد الفريد، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 3/3.
- (15) انظر مزيداً من التفصيل: مناع، هاشم صالح، النثر في العصر الجاهلي، ص 49- 55. وانظر أيضاً: الجاحظ، أبو عمرو (1985)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة (58/1 و 222 و 290 و 304 و 317 و 349 و 358 و 360 و 365)، وابن عبد ربه، أحمد، العقد الفريد 111/6-117.
- (16) الترمذي، محمد بن عيسى (د.ت)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاکر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (51/5)، حديث رقم (2687).

- (17) الباقلائي(1981)، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط5، القاهرة، ص 153، والقلقشندي(1963)، صبح الأعشى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة 213/1.
- (18) ابن عبد ربه، أحمد، العقد الفريد (260/3).
- (19) الأصفهاني، أبو الفرج (1983)، الأغاني، تح: لجنة من الأدباء، الدار التونسية للنشر، تونس)، دار الثقافة، بيروت (54-53/11)، (الأهزار: الهذيان، ولم يعتب: ولم يرض).
- (20) الميداني، مجمع الأمثال، (183-182/2)، رقم (3271). (العدم: العدم بالضم وبضميتين وبالتحريك الفقدان وغلب على فقدان المال، والقسم: القدر، والرءاء مصدر رام كالمراماة، والكثائن جمع كنانة: وهي جعبة السهام، وهو مثل معناه: تؤخذ للأمر أهبطه قبل وقوعه، ومثله قولهم "قبل الرمي يراش السهم" أي يوضع له الريش، والمغبة: العاقبة، والعدل: الاستقامة، أي: بقاء المودة في استقامة التعاهد والحرص على سلامة شروطه).
- (21) الميداني، مجمع الأمثال 263-262/2 (رقم: 3759)، وابن عبد ربه، أحمد، العقد الفريد 90-89/7، والعسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال 572-571/1 (رقم: 1074).
- (22) القالي، أبو علي (1987)، الأمالي، دار الجيل ودار الآفاق، ط2، بيروت، (169/1).
- (23) الميداني، مجمع الأمثال 187/1 و306-302، و319 و476، و482 و507، و319/2، وابن عبد ربه، أحمد، العقد الفريد 89/1، والعسكري، أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال 187/1 و481-482 و476 و493 و507 و257/2 و271، و(الجدد: الأرض المستوية).
- (24) (البقرة:269).
- (25) الميداني، مجمع الأمثال 6/1 .
- (26) ياسين، سفاء مأمون، ومناع، هاشم صالح (2019)، البلاغة العربية الوافية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 338.
- (27) جمهرة الأمثال 4/1 - 5.

المصادر والمراجع

- 1 القرآن الكريم.
- 2 ابن عبد ربه، أحمد (1983)، العقد الفريد، تح: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
- 3 ابن منظور علي أبو الفضل (1968)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- 4 الأصفهاني، أبو الفرج (1983)، الأغاني، تح: لجنة من الأدباء، (الدار التونسية للنشر، تونس)، دار الثقافة، بيروت.
- 5 الباقلائي، أبو بكر محمد بن الطيب (1981)، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط5، القاهرة.
- 6 الترمذي، محمد بن عيسى (د.ت)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكراً وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- 7 الجاحظ، أبو عمرو (1985)، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة.
- 8 الجبوري، يحيى (1983)، الشعر الجاهلي (خصائصه وفنونه)، مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت.
- 9 السيوطي، جلال الدين (1986)، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تح: علي محمد الجاوي وآخرين، المكتبة العصرية، بيروت.
- 10 ضيف، شوقي (1971)، الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، ط6، القاهرة.
- 11 العسكري، أبو هلال (1988)، جمهرة الأمثال، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخر، دار الجيل، ط2، بيروت.
- 12 الفيومي، أحمد بن محمد بن علي (د.ت)، المصباح المنير، تح: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة.
- 13 القالي، أبو علي (1987)، الأمالي، دار الجيل ودار الآفاق، ط2، بيروت.
- 14 القلقشندي (1963)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.
- 15 قميحة، مفيد محمد (١٩٨١)، الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- 16 مناع، هاشم صالح (2017)، الأدب العربي الجاهلي، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن.
- 17 _____ (1993)، النثر في العصر الجاهلي، دار الفكر العربي، بيروت.
- 18 المناوي (1972)، فيض القدير (شرح الجامع الصغير للسيوطي) دار المعرفة، بيروت.
- 19 المبدائي (د.ت)، مجمع الأمثال، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار القلم، بيروت.
- 20 ياسين، سفاء مأمون، ومناع، هاشم صالح (2019)، البلاغة العربية الوافية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

إسهامات أبو العباس القلقشندي في علم التعمية

(ت 821هـ / 1418م)

أ.د/ عفاف عبد الجبار عبد الحميد

الجامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم التاريخ

تاريخ الإيداع: 2021/05/08 م تاريخ التحكيم: 2021/05/17 م تاريخ النشر: 2021/06/15م
الملخص بالعربية:

دفعت حاجة الإنسان في إخفاء خصوصياته عن سائر الناس لابتكار شتى الوسائل والأساليب التي تمكنه من الوصول لغاياته تلك ، وبدا التفكير الجدي بابتكار الوسائل لحماية كتبه ومراسلاته فهداه هذا بالوصول لشتى أنواع الوسائل بما فيها استخدام الاشارات المهمة أو اللجوء الى اسلوب المراسلات ذات التعابير غير المفهومة سوى للمرسل والمرسل اليه التي لا تثير الريبة والشك اذا ما وقعت بيد اشخاص اخرين.

وعلم التعمية هو احد العلوم التي يعود للعرب الفضل في ابتكاره منذ عصور موهلة في القدم وحرصوا على تطوره سيما بعد قيام الدولة العربية الاسلامية يدفعهم في ذلك الحاجة المتزايدة لمثل هذا النوع من المراسلات لاسباب سياسية وعسكرية فتطور بذلك علم التعمية شأنه شأن العلوم الاخرى ، وتطورت اساليبه وطرقه خاصة ما يتعلق منها بمراسلات الدولة الخارجية ، ومن العرب انتقل هذا العلم الى الامم الاخرى الذين اكملوا تطوره بالشكل الذي نراه في الوقت الحاضر .

ويعد القلقشندي المتوفى سنة (821هـ / 1418م) أحد المؤرخين الذين اهتموا بعلم التعمية ، وعكف على الاطلاع على المؤلفات السابقة في هذا العلم وافاد منها ، وخصص مقالة كاملة لهذا العلم في كتابه صبح الاعشى في صناعة الانشاء أوضح فيها القصد والغاية والفائدة من التعمية ، وبين طرق نقل الرسائل المعماة التي تكون اما شفاهاً أو كتابة وهذه بدورها تتنوع بتنوع الخط المستخدم في كتابة الرسالة. كما شرح اساليب ترجمة الرسائل المعماة وفك رموزها على اختلاف طرقها بأسلوب يتسم بالوضوح والبساطة والسلاسة .

اضف الى ذلك فقد وضع شرحاً مفصلاً بالشروط الواجب توفرها لفك النصوص المعماة عنها وذلك بمعرفة اللغة التي كتبت بها وارجاع كل رمز من الرموز الى الحرف الذي يدل عليه، كما بين اي الحروف اكثر تداولاً واستعمالاً من غيرها . والشروط الواجب توفرها في كاتب التعمية ومن اهمها الذكاء، معرفة اللغات والخطوط الاخرى سيما القلم منها، قوة الحدس والنباهة واخيراً شدة الملاحظة.

كما ضمت مقالته العديد من النصوص المعماة المرفقة بشرح مفصل بطريقة حلها ، فضلاً عن عرضه لعدد من الرسائل المعماة التي حملت معنى اخر غير المعنى الظاهر منها يعود زمن نظمها الى عصر المماليك ، وهذا النوع من النظم لجأ اليه العرب في الاوقات التي يضطرب بها الوضع السياسي وينعدم الامن في الطرقات .

Abstract

The human need to conceal his privacy from other people prompted the various means and methods that enable him to reach his goal, and serious thinking began to devise means of protection for his books and correspondence, which led him to reach the various types of means in which the use of vague signals or resorting to the method of correspondence with expressions that are not understood except to the sender and the addressee that does not raise suspicion if it falls in the hands of other people.

The science of cryptography is one of the sciences that Arabs have credited with inventing it since ancient times, and they were keen to develop it, especially after the establishment of the Arab Islamic state. This is motivated them by increasing need for this type of correspondence for political and military reasons. Thus, the science of cryptography developed in the same way as other sciences, its methods developed, especially with regard to foreign state correspondence, and from the Arabs, this science moved to other nations who have completed its development as we see at the present time we see at the present time.

Al-Qalqashandi, who died in (821/1418), is considered one of the historians who was interested in the science of cryptography and worked on reviewing previous literature on this science and he came from it and devoted a whole article to this science in his book Subh al-Aisha in the construction industry and clarified in it the intention, purpose and benefit of encryption and showed the methods of transmitting encrypted means that are either verbal or written, this in turn varied the diversity of the script used in writing messages. He also explained the methods of translating and deciphering encrypted means, in contradiction to their methods, in a manner that is clear, simple and smooth.

In addition to that, he provided a detailed explanation of the conditions that must be met to decode the encrypted texts by knowing the language in which they were written and returning each symbol to the letter that indicates it as he showed which letters are more common and used than others. The conditions that must be met in the coding writer, the most important of which are intelligence, knowledge of languages, and other lines, especially the old ones, strength of intuition, cleverness, and finally, intensity of observation.

His article also included many encrypted texts attached with a detailed explanation of how to solve them, as well as presenting a number of encrypted messages that carried a meaning other than the apparent meaning of them. The time of their organization goes back to the Mamluk era and this type of system was resorted to by custom in times when the political situation is disturbed and the road security absent.

المبحث الاول : (القلقشندي ، حياته ، علمه ، اثاره ، عصره)

❖ اسمه -نسبه -كنيته -القابه -صفاته

يجمع المؤرخون على ان اسم القلقشندي هو احمد⁽¹⁾، ولكنهم اختلفوا في اسم آبائه ، فأنقسموا الى مجموعتين، الاولى منها ذكرته بانه: احمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال ابي اليمن الفزاري⁽²⁾. وورد ذكره عند المجموعة الثانية بأنه : احمد بن علي بن احمد⁽³⁾ بن عبد الله بن الشهاب بن الجمال ابو اليمن الفزاري القلقشندي⁽⁴⁾. والرأي الاول اقرب للصواب من الرأي الثاني لاسباب منها انه ورد عند مؤرخين معاصرين للقلقشندي أو ممن كانت وفاتهم قريبة من وفاته. لقب القلقشندي بألقاب عدة منها شهاب الدين⁽⁵⁾ والقاضي⁽⁶⁾ والفقيه⁽⁷⁾ ولقب بالامام⁽⁸⁾ لسعة علمه ولعمله مدرسا للفقهاء الشافعي، ولقب ايضا بالاديب⁽⁹⁾، والكاتب⁽¹⁰⁾ والمؤرخ⁽¹¹⁾ لعمله بالتاريخ، ويكنى بأبي العباس⁽¹²⁾.

أما صفاته فقد اتصف بالتواضع والمرؤة⁽¹³⁾ والعدل والذكاء والعلم والجريئة وكان وقورا⁽¹⁴⁾ ذو مكانة عالية وفضل افضال،⁽¹⁵⁾ دقيقا في عمله، حافظا مستحضرا لعلومه⁽¹⁶⁾.

❖ ولادته ووفاته

ولد مؤرخنا سنة (756هـ/1355م) بقرية قلقشندة ومنها أخذ لقبه، وهي احدى القرى التابعة لمدينة القليوبية في مصر⁽¹⁷⁾، ويرجع نسبه الى قبيلة فزارة العربية التي قدمت الى مصر مع العرب المسلمين الفاتحين⁽¹⁸⁾.

وكانت وفاته في القاهرة ليلة السبت الموافق للعاشر من جمادي الاخرة سنة 821هـ/1418م عن عمر يناهز الخامسة والستين عاما⁽¹⁹⁾. ولم تسعنا المصادر بمعلومات وافية عن اولاده وعددهم فهي تكتفي بذكر احد اولاده وهو شمس الدين محمد بن احمد بن عبد الله بن اسماعيل النجم ابو الفضل (ت 876هـ/1471م) الذي برع كوالده بالفقهاء وتولى العديد من الوظائف⁽²⁰⁾ في دولة المماليك .

❖ ثقافته وعلمه

تلقى القلقشندي علومه الاولى في مدينة قلقشندة، التي ظهرت فيها اولى ملامح موهبته في الكتابة والشعر والنثر ، وعندما بلغ الخامسة عشر⁽²¹⁾ من العمر قرر الرحيل الى الاسكندرية للافادة من علمائها وتوسيع معارفه وعلومه، فالتحق بدروس الشيخ ابن الملقن ابو حفص عمر بن ابي الحسن⁽²²⁾ (ت 804هـ/1401م)، وعندما اكمل سماعه واتقن علومه التي تلاقاها منه منحه اجازة بالفتيا والتدريس على

المذهب الشافعي⁽²³⁾ سنة (778هـ / 1376م) ، وعمره آنذاك 21 سنة⁽²⁴⁾ . واجازه بالرواية عنه وعن مؤلفاته بما يشاء والرواية عن كتب الحديث الستة ومسند احمد بن حنبل والشافعي⁽²⁵⁾ ، وكتب هذه الاجازة القاضي تاج الدين بن غنوم موقع الحكم بالاسكندرية⁽²⁶⁾ وهذا ما يدل ان لم يقتصر بعلمه على المذهب الشافعي وانما كان عالما بالمذاهب الاخرى متقنا لها . وتتلذذ كذلك على يد الشيخ ابن الشيخة⁽²⁷⁾ وغيره من الشيوخ⁽²⁸⁾ . واستمر يطلب العلم بالرغم من عمله في ديوان الانشاء في القاهرة فداب على حضور دروس العلم التي يلقيها المؤرخ تقي الدين المقرئ (845هـ / 1441م) وحرص على الافادة من علمه فما كان من المقرئ⁽²⁹⁾ الا ان يصفه بأنه كان : (مكثارا مهذرا) .

فضلا عن سعة اطلاعه على كتب ومؤلفات من سبقه من العلماء والمؤرخين مما زاد من ثقافته وصقلها، وجعله بارعا في اللغة والكتابة⁽³⁰⁾ ، ومن ثم ان يكون اهلا للعمل في ديوان الانشاء⁽³¹⁾ ، كما برع في الفقه والفرائض⁽³²⁾ والتاريخ⁽³³⁾ ويؤكد ذلك مؤلفاته في هذه الحقول العلمية المختلفة . وبفضل ثقافته هذه تولى مهمة التدريس والاجازة للكثير من طلبة العلم .

❖ وظائفه:

باشر القلقشندي العديد من الوظائف في دولة المماليك منها الفتيا والتدريس على مذهب الامام الشافعي باجازة من شيوخه الذين تولوا مهمة تعليمه⁽³⁴⁾ ، وبعد التحاقه بخدمة نائب الاسكندرية صلاح الدين بن عرام⁽³⁵⁾ (ت 783هـ / 1381م) انتبه العلماء المقرئين منه لبلاغته وبراعته الادبية لاسيما كاتب السر⁽³⁶⁾ ابن فضل الله العمري⁽³⁷⁾ فرشحه للعمل في ديوان الانشاء سنة 791هـ / 1388م الذي استمر فيه حتى وفاته⁽³⁸⁾ .

وفي ديوان الانشاء ظهرت براعة القلقشندي الادبية الفائقة فأعطاه رئيس الديوان اذنا بكتابة رسائل التهئة والمخاطبات الرسمية الخاصة بالدولة، وتنقل بالعمل في وظائف الديوان المختلفة كوظيفة موقع⁽³⁹⁾ الدست⁽⁴⁰⁾ . يقول المقرئ⁽⁴¹⁾ : ((ثم توصل في آخر ايام كاتب السر بدر الدين محمود بن فضل الله الى ان كتب في توقيع الدرج بغير معلوم)) كما باشر العمل بديوان⁽⁴²⁾ الاحباس⁽⁴³⁾ فمعرفته وعلمه بالفقه والفرائض ساعده على العمل بهذه الوظيفة، كما تولى النظر بالقضاء نيابة عن قاضي القضاة جلال الدين البلقيني⁽⁴⁴⁾ لعدة سنوات⁽⁴⁵⁾ بتزكية من القاضي بدر الدين العيني⁽⁴⁶⁾ . الا ان القلقشندي

بالرغم من مباشرته في هذه الوظائف فضل العمل بديوان الانشاء⁽⁴⁷⁾ يدفعه في ذلك شغفه بالكتابة والادب والبلاغة.

❖ مؤلفاته وآثاره

زخرت المكتبة العربية الاسلامية بالعديد من الكتب المؤلفة من قبل القلقشندي التي افصحت عن علمه الغزير، فشملت مؤلفاته مختلف المعارف من فقه وفرائض وتاريخ وانساب وجغرافية وادارة وسياسة ولغة ، ومن ابرز هذه المؤلفات:

- 1- صبح الاعشى⁽⁴⁸⁾ في صناعة الانشاء: وهو من اهم الكتب التي صنفها القلقشندي فهو يعد موسوعة علمية اذ ضم معلومات جغرافية وتاريخية وادبية وادارية لايمكن لاي باحث العزوف عنه ، يتألف الكتاب من عشرة مقالات فضلا عن المقدمة والخاتمة ، والمقدمة بدورها قسمت الى خمسة ابواب.
 - 2- كنة المراد في شرح بانث سعاد لكعب بن زهير⁽⁴⁹⁾.
 - 3- الغيوث الهوامع في شرح المختصرات والمختصرات الجوامع وهو كتاب شرح فيه كتاب جامع المختصرات للدملجي⁽⁵⁰⁾ (ت 757هـ/1356م).
 - 4- شرح الحاوي الصغير في الفروع للقزويني⁽⁵¹⁾ (ت 665هـ/1266م).
 - 5- الكواكب الدرية في مناقب البدرية. وفيه مدح ابن فضل الله العمري رئيس ديوان الانشاء، وقام بكتابته⁽⁵²⁾ سنة 791هـ/1388م .
 - 6- نهاية الارب في معرفة قبائل العرب⁽⁵³⁾ . والغرض من تأليفه ان يهديه للمقر الجمالي يوسف على اغلب الظن⁽⁵⁴⁾ .
 - 7- ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر⁽⁵⁵⁾ . وهو مختصر لكتاب صبح الاعشى.
 - 8- مآثر الانافة في معالم الخلافة⁽⁵⁶⁾ . أوضح فيه اهمية البلاد المصرية بعد انتقال الخلافة العباسية اليها.
 - 9- فلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان⁽⁵⁷⁾ . وهو كتاب مختص بالانساب.
 - 10- حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخر بين السيف والقلم⁽⁵⁸⁾ .
- فضلا عن مؤلفاته اخرى في الفقه والحواشي على كتاب المختصرات. والعديد من الرسائل الديوانية والاخوانية والادبية والاجازات والتقارير التي تبادلها مع علماء وادباء عصره⁽⁵⁹⁾ .

❖ عصره

عاش ابو العباس القلقشندي في العصر الذي يعرف تاريخيا بعصر المماليك الذين اتبعوا نظام الوراثة في حكمهم منذ ان قامت دولتهم في مصر وبلاد الشام سيما في الفترة الاولى من حكمهم (عصر المماليك البحرية) (648هـ - 784هـ / 1250م - 1382م). واستمر العمل بهذا النظام في الفترة الثانية من حكمهم المعروفة بـ (عصر المماليك البرجية) ولكنه اتسم في الفترة الثانية انه كان شكليا أكثر مما هو واقعيًا، فبعد انتقال الحكم من الاب الى الابن الذي كان في الاعم الاغلب صغير السن ولا يستطيع حكم البلاد بمفرده فيتولى ادارة البلاد من ينوب عنه لحين بلوغه السن الذي يمكنه من ادارة البلاد بمفرده، فيقوم النائب بترتيب امور البلاد بما يتوافق مع مصلحته الشخصية تمهيدا لخلع السلطان الصغير وتولي الحكم بدلا عنه⁽⁶⁰⁾ ، وهذا يعني ان المماليك البرجية تحايلا على نظام الوراثة ووظفوه لخدمة مصالحهم الذاتية ، فكان من نتاج هذه السياسة اضطراب اوضاع البلاد الداخلية لتسلم مقاليد الحكم حكام ضعفاء لم يمتلكوا من الكفاءة اللازمة لادارة شؤون البلاد وافتقروا للقاعدة الشعبية المؤيدة لهم، وانسحب هذا الامر الى تردي اوضاع البلاد الاخرى كالنواحي الاقتصادية والاجتماعية ، فعانت البلاد من الازمات وغلاء المعيشة وارتفاع الاسعار وتفشي الوبئة والامراض التي فتكت بسكان البلاد سيما الطبقات الفقيرة منهم⁽⁶¹⁾ . كما امتازت هذه الفترة بكثرة تمرد المماليك على سلاطينهم وتجاوزهم على كبار رجال الدولة وعلى العلماء والكتاب فضلا عن تعرضهم للعامة نكبا وتخريبا⁽⁶²⁾ ، اضيف الى ذلك تمرد العربان وتجرؤهم على السلاطين وتحديدهم لهم بعدم دفع ما يترتب عليهم من التزامات مالية تجاه الدولة⁽⁶³⁾ ، مما لقت بنتائجها السلبية على اوضاع البلاد .

اما بالنسبة لاضاع البلاد من الناحية الخارجية فقد استمرت تهديدات المغول لدولة المماليك ، وبلغت اوجها بمحور تيمورلنك على بلاد الشام وسيطرته على دمشق وتهديده باجتياح مصر واسقاط دولة المماليك لولا نجاح المماليك في معالجة هذا الامر بعقد اتفاق يقضي بانسحاب المغول من كافة الاراضي التابعة للدولة المملوكية⁽⁶⁴⁾ . كما تعرضت البلاد المصرية للخطر الصليبي لاسيما المناطق الساحلية منها كالاسكندرية ودمياط⁽⁶⁵⁾ كان من نتائجه تخريب الممتلكات العامة والخاصة في تلك المدن⁽⁶⁶⁾ ، أما في المراحل المتأخرة من حكم دولة المماليك فقد تعرضت لخطرين جديدين هما خطر البرتغاليين وتهديدهم لمصالحها الاقتصادية في المحيط الهندي والبحر الاحمر⁽⁶⁷⁾ ، والخطر العثماني الذي

ظهر للعلن بتوجه الجيوش العثمانية نحو بلاد الشام وسيطرتهم عليها وزحفهم نحو مصر واستيلائهم عليها وانهاهم لدولة المماليك بمعركة الريدانية⁽⁶⁸⁾ سنة 923هـ / 1517م.

وبالرغم من جميع هذه الظروف التي احاطت البلاد في هذه الفترة نلاحظ انتعاش الحياة الثقافية بمختلف فروعها كان رائدها السلاطين المماليك وذوي الجاه من نساء ورجال البلاد المصرية، فشجع سلاطين المماليك العلماء واغدقوا عليهم العطاء وقربوهم اليهم وكان بلاطهم حافلا بمجالس العلم والادب التي ضمت العلماء والادباء بمختلف تخصصاتهم⁽⁶⁹⁾ ونلمس هذا الاهتمام من عدد الصروح العمرانية العلمية والدينية التي ضمت دروسا علمية فضلا عن دورها الديني والاجتماعي، وحرص منشئها على تزويدها بكفا المدرسين وتقديم التسهيلات المختلفة لجذب طلبة العلم على الانخراط بها⁽⁷⁰⁾، فأصبحت القاهرة مركزا لاستقطاب العلماء من البلاد الاسلامية المختلفة لاستقرار اوضاعها السياسية والداخلية اذا ما قورنت بأوضاع البلاد الاخرى فكان هذا عاملا على تلاقح وامتزاج علوم البلاد الاخرى بأفكار وعلوم البلاد المصرية مما ساعد على استمرار هذه النهضة الحضارية لما يقارب من القرنين ونصف.

المبحث الثاني: (علم التعمية عند القلقشندي)

❖ التعمية والمعنى لغة واصطلاحاً

يقصد بالتعمية لغة بأنها الخفاء والالتباس او التلبس⁽⁷¹⁾. فورد في الحديث الشريف قال النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) (لاعمين على من ورائي) اي اخفيه حتى لا يتبعهما احد⁽⁷²⁾. ونقول عمى معنى البيت اي اخفاه⁽⁷³⁾.

اما اصطلاحاً فيقصد بالتعمية تحويل نص واضح الى آخر غير مفهوم، تمكن من يعرفها باستخدام طريقة معينة فهم ذلك النص المبهم. وهو ما يعبر عنه بتسمية استخراج المعنى او حله او فككه او كسر شفرته⁽⁷⁴⁾.

وتعرف التعمية ايضا بانها: رياضة ذهنية يتبادلها المتأدبون في مجالسهم ويراسلون بها اصدقائهم ومعارفهم⁽⁷⁵⁾. وفي وقتنا الحاضر تم استبدال كلمة تعمية وحلت محلها كلمة تشفير ذات الاصول اللاتينية⁽⁷⁶⁾.

أما مفهوم المعنى المشتق من كلمة تعمية فيقصد به التغطية⁽⁷⁷⁾. أو الكلام الموزون الدال على اسم من الاسماء أو غير ذلك بطريق الرمز والالاماء أو التصحيف أو القلب أو الحساب بحيث يقبله ذو طبع سليم وفهم مستقيم، ومثال ذلك في النظم عندما يريد الاشارة لاسم محمد فيقول⁽⁷⁸⁾:

خذ الميمين من ميم فلا تنقط على أمر فأمزجها يكن اسما لمن كان به فخر ويقصد به ايضا تحويل نص غير واضح الى نص واضح مفهوم⁽⁷⁹⁾ .

أما كلمة ترجمة التي ترادف بمعناها كلمة تعمية عند بعض المفكرين والمؤرخين فكانت موضع جدل وخلاف فيما بينهم ولم يتوصلوا الى اتفاق نهائي بشأنها⁽⁸⁰⁾ .

❖ لمحة تاريخية عن تاريخ علم التعمية

لم تكن التعمية من العلوم المبهمة عند العرب فعرفها المصريون القدماء في حدود سنة 900 ق.م. واستخدموها كاحدى وسائل اخفاء المعلومات المكتوبة عن الآخرين⁽⁸¹⁾ .

كما عرفها العرب في العصور التي سبقت ظهور الاسلام لحاجتهم اليها خشية وقوع رسائلهم وكتبهم بيد خصومهم ومنافسيهم من القبائل المجاورة، يقول المحي⁽⁸²⁾ نقلا من ابن قتيبة اللغوي : (ان هذه الانواع الثلاثة الاحاجي واللغز والمعميات من خصائص العرب وكل من نظم فيها من ابناء فارس وانباء الروم انما اخذ ذلك عنهم وتطفل على موائدهم) ولكن الفرس والروم تصرفوا بعلم التعمية ببراعة للدرجة التي جعلت الامم الاخرى تظن انهم مبتكري هذا العلم⁽⁸³⁾ . ووضع العرب عدد من المؤلفات في التعمية تناولوا فيها التعريف بالتعمية وكيفية العمل بها وفك شفراتها ورموزها⁽⁸⁴⁾ .

وبقيام الدولة العربية الاسلامية بدأ التطور الفعلي لعلم التعمية الذي بلغ قمة تطوره في العصر العباسي، تدفعهم عوامل عدة من اهمها ظروف البلاد السياسية والعسكرية وحاجتهم لحماية رسائلهم من الوقوع بيد الاعداء⁽⁸⁵⁾ وقيام حركة الترجمة من اللغات الاخرى الى العربية لاسيما في مجال العلوم الصرفة كالفلسفة والكيمياء التي استخدم علماءها الرموز والالغاز في تدوينها لضمان سريتها باعتبارها علوم خاصة ليس من المفروض نقلها الى الآخرين، مما شجع العرب المسلمين على تعلم ومعرفة لغات الامم الاخرى لاسيما القديمة منها لفك تلك الرموز⁽⁸⁶⁾ .

وساهم التطور الكبير للعلوم المختلفة كعلوم اللغة وفروعها⁽⁸⁷⁾ من اللسانيات⁽⁸⁸⁾ التي تتعلق بعدد الحروف وبيان الاكثر استعمالا او المهمل منها ، فوضع اللغويون الاوائل امثال الفراهيدي (170هـ/786م)، والسجستاني (ت 248هـ/862م)، الخطوات الاولى لتطور علم التعمية⁽⁸⁹⁾ .

ولعلوم الرياضيات بفروعه المتعددة دورا في اغناء علم التعمية بأبواب طرق حسابية وهندسية معينة في عد الحروف وكتابتها لتعميتها أو لفك المعنى منها⁽⁹⁰⁾ ، واستخدموا الطرق الحسابية لحساب تواتر

الحروف فالكلمة الثنائية تصرف على وجهين⁽⁹¹⁾ والثلاثية بستة اوجه والرابعة بأربعة وعشرين وجهها والخماسية بمئة وعشرين وجهها⁽⁹²⁾.

واعتمدوا طرقاً مختلفة في تسمية النص المكتوب لديهم منها تسمية المعاني بالتورية⁽⁹³⁾ او معالجة الحروف بطرق مختلفة كقلب الحرف او تبديله او الاعاضة عنه بزيادة الحروف او بالدمج بين الاسلوبين السابقين معاً ، وللكندي (260هـ/833م) الدور الفاعل في وضع رؤية واضحة ومتكاملة لعلم التسمية ضمنها في كتابه (رسالة في استخراج المعنى) بين فيه سمات هذا العلم وكيفية صياغة نص معنى وطرق التعامل معه ومعالجته⁽⁹⁴⁾.

وفي العصور اللاحقة من عمر الدولة العربية الاسلامية ظهر العديد من العلماء ممن اسهموا في تقدم علم التسمية يدفعهم في ذلك ظروف الدولة من ناحية والتحديات الخارجية من ناحية اخرى سيما بعد سقوط بغداد (656هـ/1258م) على يد المغول وهجماتهم المتكررة على البلاد العربية، وظهور الخطر الصليبي ونجاح الصليبيين في السيطرة على عدد من المدن العربية لاسيما الساحلية منها، فضلاً عن التطور الكبير الذي بلغته الكتابة وصناعة الانشاء⁽⁹⁵⁾ ومن ابرز هؤلاء العلماء ابن الدينير (ت 627هـ/1229م) وابن عدلان (ت 666هـ/1267م) وابن الدريهم (762هـ/1366م) والقلقشندي.

وبأقول الحضارة العربية الاسلامية في العصور المتأخرة من الدولة العربية الاسلامية أقل علم التسمية، حتى عاد لازدهار ثانية وهذه المرة كان على يد الغرب الذين اخذوه من العرب و اضافوا عليه وطوروه على غرار ما نلاحظه اليوم من تطور⁽⁹⁶⁾.

نستشف مما سبق ان علم التسمية من العلوم العربية الابتكار لاسباب ودوافع شتى، وساهم العلماء العرب في تطوره بمرور الزمن حتى وصل قمة تطوره في عصر ازدهار الحضارة العربية الاسلامية وبالرغم من اهميته كعلم الا ان المؤلفات والدراسات المختصة به من قبل المؤرخين المسلمين كانت قليلة حفاظاً على سرية العمل به ومع هذا فقد تركوا عددا لا يستهان به من المؤلفات التي لازال الكثير منها محفوظاً لم يتم تحقيقه ليعطينا صورة واضحة عن مدى التطور العلمي الذي وصله العرب المسلمين في علم التسمية.

❖ علم التسمية عند القلقشندي

تمهيد:

لاهمية علم التسمية فقد خصص المؤرخ القلقشندي مقالة خاصة بهذا العلم في كتابه (صبح الاعشى في صناعة الانشاء) فصل لنا فيها ما المقصود بالتسمية والغرض منها والشروط الواجب توفرها لعمل نص

معمى وكيفية حل النصوص المعماة معتمدا في ذلك على ما أورده ابن الدريهم في كتابه (مفتاح الكنوز في إيضاح الرموز) ، وفي نهاية المقال أورد نصوصا معماة يعود تاريخها الى العصر المملوكي . وفيما يلي اهم ما ورد ذكره عن علم التعمية عند القلقشندي:

1 -الشروط الواجب توفرها في كتابة النص المبهم

إبتدأ القلقشندي مقالته بذكره لاهم الشروط الواجب توفرها في كتابة النص المبهم التي قسمها

الى قسمين رئيسيين ، وكل قسم من هذه الاقسام يتفرع الى اقسام فرعية اخرى وهي :

أ - نوع المادة التي يكتب بها:

1- تتم الكتابة بلبن حليب مخلوط بالنشادر وبهذه الطريقة لا تظهر الكتابة الا عند تقريبها من النار⁽⁹⁷⁾ .

2- الكتابة على الورق وغيره بماء مخلوط بزاج⁽⁹⁸⁾ فلا تظهر الكتابة الا بعد مسح الورقة بماء مخلوط بالعفص⁽⁹⁹⁾ المدقوق⁽¹⁰⁰⁾ .

3- عند استخدام مرارة السلحفاة في الكتابة فانها اي الكتابة لا تظهر نهارا وانما تظهر ليلا⁽¹⁰¹⁾ .

4- يكتب بالشب المحلول بماء المطر على ورق غير منشى، فاذا القيت الورقة بالماء او تم مسحها بالماء فان الكتابة تظهر بعد ان تجف الورقة⁽¹⁰²⁾ .

5- يتم استعمال خليط مؤلف من الليمون الاسود وعروق الخنظل المقلية بزيت زيتون وبكميات متساوية ويتم سحقها ناعما ثم يضاف لها دهن صفار البيض، وعند الكتابة به على جسد اي شخص فإنه ينبت الشعر مكان الكتابة، وتستخدم هذه الطريقة في حالة ان الشخص الذي ترسل له الرسالة يقطن بمكان بعيد⁽¹⁰³⁾ .

ب - نوع الخط والاقلام:

في التعمية يتم الاتفاق بين المرسل والمرسل اليه على نوع الخط والقلم الذي تتم به الكتابة ويكون معروفا بينهما فقط ، ولا يمكن لاي شخص ثالث من معرفته غيرهما⁽¹⁰⁴⁾ .

❖ وسائل التعمية:

من البديهي ان يعمى على اي شخص لايعرف خط اي لغة من اللغات، فالعربي يعمى عليه الخطوط الاخرى غير العربية مثل الرومية والعبرانية¹⁰⁵ والعكس صحيح. ونحى اهل التعمية في الخط الذي يختارونه منحيين هما:

1- ان تتم الكتابة بخطوط قديمة غير متداولة بين الناس ولا يعرفها الا عدد قليل جدا على شرط ان يتوافق ذلك الخط مع اللغة التي يراد الكتابة بها.

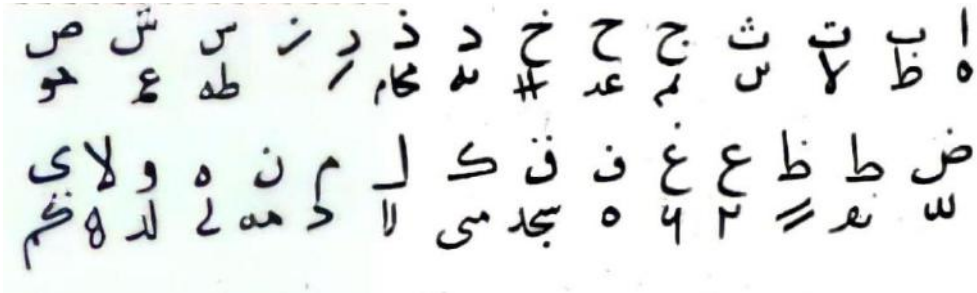
وحدد علماء اللغة خطوط وعدد حروف كل لغة من اللغات المعروفة انذاك، وتبين لهم ان اقل اللغات عددا في حروفها هي لغة المغل وتبلغ 17 حرفا، وأكثرها لغة الارمن⁽¹⁰⁶⁾ وتبلغ 36 حرفا، كما ميزوا بين اللغات بطريقة الكتابة من حيث الوصل بين الحروف او تقطيعها فكانت جميع اقلام اللغات الاخرى كالعبراني واليوناني والرومي والسرياني حروفها مقطعة عدا العربي والمغلي والسرياني فأن حروفها ممكن ان تقطع وتوصل⁽¹⁰⁷⁾.

2- المذهب الثاني ان يتبع طريقة معينة للتعمية كأن يبدل حرفا بذاته كالهاء مثلا بآخر بدلا منه كما في الخط المعروف بالقلمي فانهم ابدلوا كل حرف من حروف العربية بحرف من الخط القلمي كأن يبدلون الميم كاف وبالعكس، ومنهم من يعكس حروف الكلمة⁽¹⁰⁸⁾ مثلا محمد تصبح دحم، ومنهم من يبدل الحرف الاول من الكلمة بالحرف الثاني في جميع الكلام مثال: محمد أخو علي تصبح حمدم خا عويل

وهناك من يستخدم الرياضيات في التعمية اذ يضع امام كل حرف من حروف العربية رقما من الارقام فاذا اراد كتابة محمد يكتب اربعون، وثمانية، واربعون، واربعة ويتم حل المعنى بعملية حسابية خاصة⁽¹⁰⁹⁾، فضلا عن اتباع طريقة اخرى اكثر صعوبة فبدلا من كتابة عدد الحروف⁽¹¹⁰⁾ يتم كتابة حروف اذا جمعت تكون بمقدار عدد الحرف الصحيح فمثلا كلمة محمد تكتب (لي بو لي اج) لان الياء واللام مجموعهما اربعين وهو عدد حرف الميم⁽¹¹¹⁾، ومن الممكن ان يأتي بغير هذه الحروف بشرط تحقق عدد كل حرف من الحروف المراد التعمية بها.

وهناك من يجعل لكل حرف من الحروف اسم رجل او بلد او فاكهة او اسم طير او شجرة⁽¹¹²⁾. ومنهم من يضع الحروف على منازل القمر الثمانية والعشرين بحسب ترتيبها على حروف ابجد فالالف تكون للشرطين والباء للبطين والجيم للثريا وهكذا⁽¹¹³⁾.

ويكثر الشخص الذي يتصدى للتعمية اشكال ورسوم مقطعة على عدد الحروف في المعجم، فيقوم بكتابة حروف المعجم ويضع تحت كل حرف منها الشكل الخاص به على ان تكون هذه الاشكال مختلفة وغير متكررة، ويفصل بين الكلمات بخط او بياض او نقطة او دائرة، وبعضهم يجعلها حرفا واحدا⁽¹¹⁴⁾. مثال على ذلك:



❖ حل المعنى

بين لنا القلقشندي ابرز شروط المتصدي للتعمية منها جودة الحدس وذكاء الفطرة⁽¹¹⁵⁾ وان يكون عارفا باللغة التي يريد حلها وعدد حروفها والحروف الموجودة في كل لغة والحروف التي لا تأتي في لغة من اللغات⁽¹¹⁶⁾. والمتصدي للتعمية عليه معرفة اصليين هما:

1 - معرفة الاساس الذي يبنى عليه الحل الذي يتركز على سبعة امور هي:

أ - معرفة عدد الحروف⁽¹¹⁷⁾ التي تتألف منها الكلمة. فمن المعروف ان بعض الكلمات تتألف من حرف واحد مثل (ق) أي الوقاية و (ع) اي الوعي⁽¹¹⁸⁾، وبعضها يتألف من حرفين وأخرى من ثلاثة أو اربعة او خمسة، وبعضها يدخل عليها احرف الزيادة العشرة المجموعة في عبارة (هويت السمان)⁽¹¹⁹⁾ مضافا لها ثلاث حروف اخرى وهي الفاء وباء الجر وكاف الخطاب فتصبح بعض الكلمات اربعة عشر حرفا كما في كلمة (افلمستزهااتكما) اي اعددتها⁽¹²⁰⁾.

ولا يوجد في كلام العرب كلمة رباعية او خماسية الاصل الا وفيها حرف من الحروف الذلقية⁽¹²¹⁾ وهي اللام والراء والنون

والشفوية وهي الفاء والميم والباء⁽¹²²⁾ عدا ما شذ منها ككلمة عجمسد⁽¹²³⁾.

فالافعال في اللغة العربية تتألف من اربع حروف، أما الاسماء فتتألف من خمس حروف الا ما شذ منها مثل كلمة عندليب، ولا يوجد في القرآن الكريم كلمة من خمسة حروف بالاصل سوى الاسماء الاعجمية مثل ابراهيم.

وعليه معرفة ان الحرف في اللغة العربية لا يتكرر في الكلمة الواحدة اكثر من خمس مرات كقول القائل: (ما رأينا ككككا كككككم) وهو جمع كُك اي المركب الكبير⁽¹²⁴⁾.

ب وعليه معرفة الحروف التي لا تأتي معا ولا تجتمع في كلمة واحدة⁽¹²⁵⁾. وفيما يلي جدول بأهم الحروف التي لا تجتمع معاً:

الحرف	الحرف الذي لا يأتي معه
ث مثلثة	ذ معجمة
ز معجمة	س مهملة / ص مهملة / ض معجمة
ج	ط مهملة / ظ معجمة / غ معجمة / ق / ك

أما اذا وجدت هذه الحروف في كلمة واحدة فأن هذا يعني انها غير عربية كما في الكلمات (نغجة، جوقة، جوسق)⁽¹²⁶⁾.

وكذلك الحروف التالية لا تأتي معا

الحرف	الحرف الذي لا يأتي معه
ج	ق
د مهملة	ظ معجمة
ذ معجمة	ز/ص/ض/ط/ظ

وما وقع منها في كلمة فهي ليست عربية الاصل مثل كلمة طبرزد⁽¹²⁷⁾ الفارسية الاصل، وكلمة الزط النبطية الاصل.

وكذلك الحروف

الحرف	الحرف الذي لا يأتي معه
س مهملة	ص مهملة / ض معجمة
ض معجمة	ش / ظ معجمتين
ط مهملة	ظ معجمة
ق	غ معجمة / ك
ك	خ معجمة
م	ب موحدة / ف عدا كلمة فم واصلها فوه

أما الحروف الحلقية⁽¹²⁸⁾ فهي لا توافق بعضها بعضا ولا تجتمعان في كلمة واحدة عدا الهاء فأما تأتي كضمير أو للتانيث، وقد تعقب العين هاء أصلية كما في العهد⁽¹²⁹⁾.

ج- ان يكون عارفا للحروف التي لا تجتمع مع بعضها مباشرة الا نادرا كما في السين المهملة والشين المعجمة في كلمة شسع وكذلك الزاي والشين كما في كلمة شزر، وأخيرا حرفي الراء واللام كما في كلمة كورل. فضلا عن ان هناك حروفا تتكرر أكثر من مرة في الكلمة الواحدة مثل عسعس، حصحص، جلجل، خلخال.... الخ⁽¹³⁰⁾.

د- وان يكون ذا معرفة جيدة بالحروف التي تتقدم على غيرها وما لا يجوز ان يتقدم على غيره من الحروف. وفيما يلي جدول بالحروف التي لا تتقدم على غيرها⁽¹³¹⁾

الحرف	الحروف التي لا تتقدم عليها
ث	ش ⁽¹³²⁾
د	ز، ص مهملة، ط مهملة . كما في كلمة مهندز التي عربت الى مهندس
ذ معجمة	ج، س مهملة، ش معجمة، ع مهملة.
ش معجمة	ز المعجمة، س المهملة، ص مهملة
ط مهملة	ك
س مهملة	د مهملة الا بعض الشواذ مثل كلمة سداب
ذ معجمة	د مهملة الا بعض الشواذ مثل دُر الغنم

هـ - وعليه معرفة ان الكلمات التي تبدأ بحروف معينة لا يجوز ان تأتي بعدها حروف بعينها. فحرف الجيم لا يأتي بعده تاء مثناة ولا صاد مهملة ولا ضاد معجمة ولا غين معجمة اما كلمة (حصص) فهي معربة⁽¹³³⁾.

و - هناك عشرة احرف فقط تتكرر في اول الكلمة وهي مجموعة في جملة (كلُّ من تاب وُقي) واقل هذه الحروف وقوعا هي الياء⁽¹³⁴⁾.

ي - وعليه ان يعرف أكثر الحروف استعمالا ومجيئا في اللغة العربية، ثم الذي بعده من الكثرة الى ان يصل الى اقل الحروف قدوما في الكلمات⁽¹³⁵⁾.

فكلام العرب يعتمد بحروفه بحسب ما جاء في القرآن الكريم من حيث أكثر الحروف استعمالاً⁽¹³⁶⁾، حتى يتدرج الى اقلها وهي الألف ← اللام ← الميم ← الياء المثناة ← الواو ← النون ← الهاء ← الراء المهملة ← الفاء ← القاف ثم الدال المهملة ثم الذال المعجمة ثم اللام الف ← الحاء المهملة ← الجيم ← الصاد المهملة ← الخاء المعجمة ← الشين المعجمة ← الضاد المعجمة ← الزاي المعجمة ← الثاء المثناة ← الطاء المهملة ← الغين المعجمة ← الضاء المعجمة وتم جمع بعض احرف الكثرة في قوله (اليمونه) وبعضهم جمعها في قوله (اليوم هن)، وجمعت الحروف المتوسطة القدوم في الكلام بعبارة (رعت بكس فخرج)، وجمعت احرف القلة بعبارة (طظغ صخذز قس)⁽¹³⁷⁾.

ومن طرق التعمية الاخرى اعتماد حروف من خارج اللفظ القرآني او اعتماد النثر والظم بغير الف او نقط او عاطل الحروف او باستخدام الفاظ قليلة لا تستوعب الحروف⁽¹³⁸⁾.

2- التوصل لحل المترجم بالحدس.

ويقصد بالحل لغة فك الشيء⁽¹³⁹⁾. اما المترجم فهو نقل الكلام من لغة الى اخرى⁽¹⁴⁰⁾ مع المحافظة على روح النص المنقول⁽¹⁴¹⁾ دون زيادة او نقصان⁽¹⁴²⁾. ويتم حل المترجم باتباع مجموعة من الخطوات اهمها:

أ - معرفة عدد الحروف.

ب - حساب العدد الذي تكرر به كل شكل من الاشكال ويتم تثبيت ذلك في ورقة منفصلة⁽¹⁴³⁾.

ت عليه استخراج الفواصل فالبعض يبالغ في التعمية فيخفي الفواصل ضمن الحروف، فيقوم المترجم بأخذ حرف ويظن ان الفاصلة هي الحرف الثاني، فيجرب عليه ما يتم تقديره من المقادير على الكلمات، فاذا لم يوافق فيأخذ الحرف الثالث فاذا لم يوافق فيأخذ الرابع، وهكذا حتى يصح انفصال الكلمات⁽¹⁴⁴⁾.

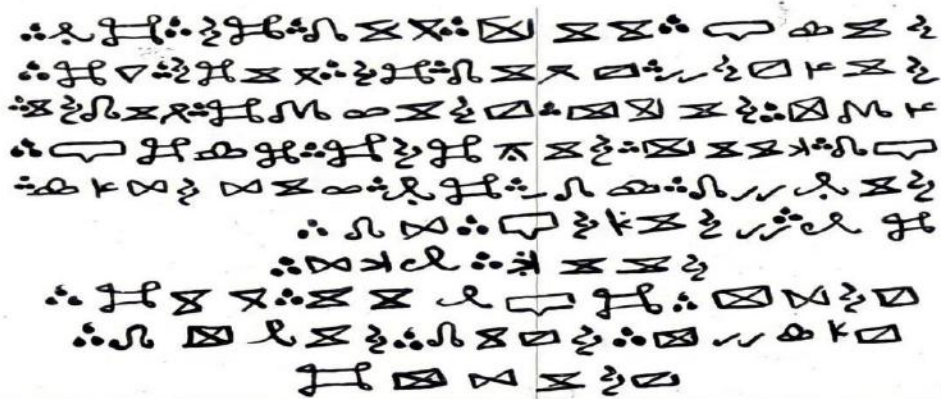
ث - ان يكون عارفا اي الحروف أكثر دورانا واستعمالا من غيرها فيتم مقابلتها مع الحروف المتعارف عليها بانها أكثر دورانا وقدوما من غيرها، فأذا تم ذلك يكون اغلب الظن انه الالف ومن بعده في العدد بالقدوم هو اللام ففي كثير من الاحيان ياتي حرفا الالف واللام معا، اما اذا جاء في الكلام حرف مفرد فاغلب الظن انه اللام والالف⁽¹⁴⁵⁾.

ج -البدء بحل الكلمات التي تتألف من حروف ثنائية وذلك بتقريب حروفها ووضع الاحتمالات لها حتى يتم التوصل للصحيح منها. ثم ينتقل الى الكلمات ذات الحروف الثلاثية ثم الرباعية والخماسية عن طريق ترقيم الحروف ونظائرها، وإذا رأيت حرفا تقدم الالف واللام في اول الكلمة فانه اما باء واحدة او فاء او كاف على الاغلب⁽¹⁴⁶⁾.

ح -القيام بكتابة كل كلمة بشكل منفصل عن الكلمات الاخرى وبالشعر لا الشعر⁽¹⁴⁷⁾، لان الوزن يساعد على ظهور بعض الحروف مثل هاء التأنيث وتاء التأنيث الساكنة وتاء المتكلم الساكن الذي لا يمكن ان يكون الا احد حروف العلة الدائرة في الكلام⁽¹⁴⁸⁾.

❖ مثال على التعمية

وهذا مثال آخر أورده ابن الدُرَيْم، وهو :



وحل هذا النص هو

الحمد لله على ما ألهمنا	من الصواب وعلى ما علما
ثم صلاة الله والسلام	على الذي ظلله الغمام
محمد النبي خير من خلق	افصح من الضاد في اللفظ نطق
واله معدين كل علم	وصحبه اولي النهى والفهم ⁽¹⁴⁹⁾

ومما تجدر الإشارة اليه ان الحركات والنقاط دور في تغير معنى الكلام المرسل ، او انها تنبه المرسل اليه بوجود خطب ما فعلية الاحتراز ، وهذا الشيء متعارف عليه بين الكتاب ، ومن الامثلة على ذلك في الاثر انه يروى: ان ملكا امر كاتبه ان يكتب كتابا لبعض اتباعه يطمئنه فيه وليقبض عليه عندما تسنح الفرصة

بذلك وكانت قد جمعت بين الكاتب والمكتوب له صداقة قديمة، فقام الكاتب بكتابة الكتاب كما أراد الملك من غير زيادة ولا نقصان، ولم يخرج فيه بشيء من رسمه الا انه عندما كتب في نهاية الكتاب (ان شاء الله تعالى) اراد ان يبينه المكتوب له بوضعه على النون شدة، فلما قرأ المكتوب له الكتاب عرف ان الكاتب اراد بذلك شيئاً، وبخده رجوع الى قوله تعالى (ان الملائكة يأتمرون بك ليقتلوك)⁽¹⁵⁰⁾، فأخذ حذره واحترز على نفسه ولما سمع الملك بذلك علم ان الكاتب نبهه الى شيء، فأحضره وسأله وأمر ان يكتب الكتاب ثانية كما كتبه اول مرة ولما رأى صورة الشدة على النون أنكرها الملك وسأله عما اراد بها، فأجابه الكاتب أردت بها قول الله تعالى (ان الملائكة..) فأعجب به الملك وعفا عنه لصدقه⁽¹⁵¹⁾.

❖ الرموز والاشارات التي ليس لها علاقة بالخط والكتابة

ويقصد بالرموز والاشارات الكناية والاستعارة او الوحي والاشارة وتستخدم لتحذير الملوك والقبائل من اخطار محدقة بهم ليأخذوا حذرهم ويستعدوا لمواجهة، ويجب ان يكون ناظمها على درجة عالية من الذكاء واحتدام قريحة فيما يشير اليه الرمز فضلاً عن قوة الحدس في ادراك المقصود من تلك المعاني مثلما يحصل في الالغاز والاحاجي للملغز والمتصدي لحل الغازه والجواب عنه⁽¹⁵²⁾. ومن الامثلة على مثل هذا النوع من التعمية : ان رجلاً من بني العنبر⁽¹⁵³⁾ وقع اسيراً عند بني حنظلة⁽¹⁵⁴⁾، فعرف انهم يريدون غزو قومه، فطلب منهم ان يرسل رسالة الى قومه بحجة ان له حاجة عند اهله فوافقوا بشرط ان يعلموا ما هي الحاجة. فأعطى الرجل للرسول صرتين واحدة فيها شوك والاخرى فيها رمل وطلب منه ان يعطيها لاهله ويبلغهم ان يعقروا ناقته الحمراء ويرحلوا جملة الاورق، وان يسألوا اخوه الاعور عن الخبر ليخبرهم به. ففعل الرسول ذلك، وعندما سألوا اخوه اجابهم: انه يقول اتاكم بنو حنظلة في عد الشوك والرمل، وان نيران العرب تعاد بنجوم السماء ويأمركم ان ترحلوا عن الدهناء⁽¹⁵⁵⁾، وان تنزلوا بمكان حدده لهم ففعلوا ذلك، وفي الصباح هجم عليهم بنو حنظلة فلم يجدوا احدا منهم⁽¹⁵⁶⁾.

ومن الامثلة الاخرى ان ملك الافرنج في طليطلة⁽¹⁵⁷⁾ ارسل هدية الى صاحب الديار المصرية السلطان محمد بن قلاوون⁽¹⁵⁸⁾ (709-741هـ / 1309 - 1340م)، وهي عبارة عن سيف وثوب بندقي⁽¹⁵⁹⁾ وطارقة⁽¹⁶⁰⁾ مستطيلة تشبه النعش كأنه يقول: اقتلك بهذا السيف واكفئك بهذا الثوب واحملك على هذا النعش فكان جواب السلطان الناصر، ان ارسل له هدية عبارة عن جبل اسود وحجر، ومعناه انه كلب يرمى بهذا الحجر، ويربط بالحبل⁽¹⁶¹⁾.

ومن الأمثلة الأخرى ما حدث في دولة السلطان الظاهر برفوق⁽¹⁶²⁾ (784هـ - 801هـ / 1382م - 1398م) عندما كان تيمورلنك (ت 807هـ / 1370م) في العراق يستعد للاستيلاء على الممالك الشامية⁽¹⁶³⁾، فوصله كتاب من الممالك الحلبية جاء فيه: انه وقع بتلك البلاد سيل عظيم ساق جملة من الاسد والنمور والحيات، وانه دفع حية عظيمة سعة رأسها بقدر قوس، فلما قرأ الكتاب بحضور السلطان فهموه على ما كتبه الكاتب بحصول سيل عظيم ساق تلك السباع والحية لقوته ثم ظهر لهم بعد ذلك ان المقصود بالسيل تيمورلنك وجنوده والحية العظيمة كناية عن تيمورلنك والسباع والحيات يقصد بها العساكر⁽¹⁶⁴⁾.

ومثال آخر ايضا ما وقع في أواخر حكم السلطان الناصر فرج بن برفوق⁽¹⁶⁵⁾ (801هـ - 815هـ / 1398م - 1412م) اذ ورد عليه كتاب صاحب تونس ابو الفوارس عبد العزيز بن احمد⁽¹⁶⁶⁾ (797هـ - 837هـ / 1394م - 1433م) جاء فيه: وعلى احسانكم المعول، وبيت الطغراني⁽¹⁶⁷⁾ في لامية العجم لايتأول. فطلب السلطان من القلقشندي تفسير هذا الكتاب لانه لا يتضمن غير الوصية على حجاج المغرب، فلما عرض القلقشندي الكلام على ابيات اللامية توصل الى القول التالي:

فقلت ارجوك للجلى لتنصرتي وانت تخذلني في الحادث الجلل

ومعنى قوله: اني كنت ارجوك للامور العظام لتنصرتي فيها فخذلتني في هذا الامر الخسيس وهو الاخذ بثأر الحجاج من بلادي ممن اعتدى عليهم من عرب بلادك فخاب ظني فيما ارجوه فيك وأؤمله منك⁽¹⁶⁸⁾.

يتضح لنا ان معرفة القلقشندي بعلم التعمية لم تكن مجرد اهتمام وشغف بعلم من علوم العرب ، وانما كان على معرفة جيدة به، ودراية بادل تفاصيله وانه احد المتصدين له ولديه ممارسة عملية به والا لما كان السلطان يطلب منه تفسير وفك رموز الكتاب الذي وصله من صاحب تونس .

وان علم التعمية من العلوم التي لايمكن لأي شخص العمل به لانه يتطلب من متصديه مجموعة من الصفات الواجب توفرها فيه واهمها ان يتسم بسعة الفهم والذكاء الحاد وسرعة البديهة فضلا عن المعرفة الدقيقة بأسرار اللغة العربية .

ونلاحظ ايضا ان العرب المسلمون لم يستغنوا عن هذا العلم رغم التطور الكبير للدولة العربية الاسلامية بل انهم عملوا على تطوير علم التعمية بما يتناسب والتطور الذي وصلت اليه دولتهم فدأبوا

على ابتكار طرق جديدة للتعمية يصعب كشفها من قبل اعدائهم سيما ان الطرق القديمة تتعرض للكشف بعد فترة من الزمن .

❖ الخلاصة

بعد اتمام ورقتي البحثية المعنونة بـ(اسهامات ابو العباس القلقشندي في علم التعمية) توصلت للنتائج التالية:-

- 1- يعد علم التعمية من العلوم التي يعود للعرب فضل ابتكارها منذ عصور ما قبل التاريخ وعد الطريقة المثلى لحماية رسائلهم سيما في وقت الحروب للحيلولة دون كشف اعدائهم لها اذا ما وقعت بأيديهم .
- 2- ابو العباس القلقشندي احد المؤرخين العرب المسلمين الذين اهتموا بعلم التعمية، فقام بالاطلاع على المؤلفات السابقة له، وافاد منها ، وافرد لها مقالة كاملة في كتابه صبح الاعشى ، وتعد من المقالات المهمة التي لا غنى للباحث بهذا العلم عنها ، وتسم بالبساطة وسهولة الفهم من قبل المتلقي لها .
- 3- يتضح لنا ان القلقشندي لم يكن شغوفا بعلم التعمية فحسب واما كان ملما وعاملا به، فمعرفته الجيدة بالرياضيات ، ونبوغه بعلوم اللغة مكناه من صقل معرفته بهذا العلم والعمل به .
- 4- حاجة العرب المسلمين المستمرة لعلم التعمية كانت احد اهم الاسباب في الاهتمام به كعلم والعمل على تطويره الدائم ليواكب التطور الحاصل في جميع مجالات المعرفة الاخرى .
- 5- استخدم اللغويون ثلاثة مصطلحات الا وهي "التعمية ، المعمى ، الترجمة" التي تعني جميعها الكلام المبهم غير المفهوم الذي يمكن من يعرفه باستخدام طريقة معينة فهم ذلك النص المبهم وتحويله الى نص واضح ومفهوم .
- 6- من الامور الواجب معرفتها لمن يريد العمل بالتعمية وفك المعمى المعرفة الجيدة بالمواد التي تتم الكتابة بها وكيفية تحضيرها ، وان يكون عارفا بنوع الخطوط القديم منها والحديث والقلم الذي يريد الكتابة به ،
- 7- على المتصدي لهذا العلم عليه اتباع شروط معينة تمكنه من اداء عمله بالشكل الصحيح والدقيق من اهمها ان يعرف اللغات القديمة وعدد حروف اللغات الاخرى وان يبتكر لنفسه الية معينة تكون منهجا له في تعمية الرسائل التي يرسلها باتفاق مسبق عليها مع الشخص الذي يرسل له الرسالة .
- 8- تنوعت اشكال التعمية فهناك التعمية على شكل كتب ورسائل التي تحتاج لطرق معينة سواء لكتابتها او فك رموزها يكون متفق عليها بين المرسل والمرسل اليه وهنالك التعمية بالرموز والاشارات

وتتسم بأنها شفوية اي لا تعتمد على الكتابة والخط وفي كثير من الاحيان تنظم على شكل شعر وتحتاج ايضا لشخص متخصص لفك رموزها .

9- من خلال الدراسة تبين ان هنالك العديد من الكتب المؤلفة التي تناولت علم التعمية ولكن الكثير منها لا زال محفوظا في المكتبات بشكل مخطوطات ينتظر من يحققه للكشف عن الدور الفعلي والنشيط للعرب في هذا المجال .

10- اورد لنا ابو العباس القلقشندي امثلة عن التعمية تميزت بتنوعها من ناحية الحقب الزمنية وكذلك بطرق التعمية فاورد امثلة عن رسائل وكتب معماة وبين لنا حلها ، كما اورد لاشارات وكلام معمي وبين لنا كذلك ما المقصود منه .

(1) المقرئزي، احمد بن علي (ت 845هـ/1441م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م، ج6، ص285؛ ابن حجر ، احمد بن علي (ت 852هـ/1448م)، انباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، مطابع الاهرام، القاهرة، 1418هـ/1998م، ج3، ص178؛ ابو المحاسن، جمال الدين يوسف، (ت 874هـ/1469م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م، ج13، ص288.

(2) المقرئزي، السلوك، ج6، ص485؛ ابو المحاسن، جمال الدين يوسف (ت 874هـ/1469م)، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد امين، تقدم سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ج1، ص351؛ النجوم الزاهرة، ج13، ص288؛ الخطيب الجوهري، علي بن داود الصيرفي (ت 900هـ/1494م)، نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، دار الكتب، القاهرة، 1971م، ج2، ص432.

(3) ابن حجر، انباء الغمر، ج3، ص178؛ الخبيلي، عبد الحي، (ت 1081هـ/1671م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق عبد القادر الارنؤوط ومحمود الارنؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ/ 1985م، ج7، ص149.

(4) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، (ت 902هـ/1469م)، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، صححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ج2، ص8.

(5) ابو المحاسن، المنهل الصافي، ج1، ص351.

(6) ابو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج13، ص288.

(7) السخاوي، الضوء، ج2، ص8.

(8) ابن حجر، انباء الغمر، ج3، ص178.

-
- (9) الحنبلي، عبد الحي، ، شذرات الذهب، ج7، ص149.
- (10) القلقشندي، احمد بن علي، (ت 821هـ/1418م)، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012 م ، مقدمة التحقيق، ج1، ص8.
- (11) الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج1، ص177.
- (12) البغدادي، اسماعيل، هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مؤسسة التاريخ العربي، د. م ، د. ت ، مج1، ص122.
- (13) السخاوي، الضوء، ج2، ص8.
- (14) احمد عبد الرحمن الذنيبات، ابو العباس القلقشندي ادبيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الاردن، 2001م، ص49 ، ص54 .
- (15) ابو المحاسن، المنهل، ج1، ص352.
- (16) ابن حجر، انباء، ج3، ص178.
- (17) وتذكر بأسم قرشندة. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، بن عبد الله (ت 626هـ/1228م)، معجم البلدان، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008 م ، ج7، ص34 .
- (18) القلقشندي، صبح الاعشى، ج1، مقدمة التحقيق، ص8.
- (19) ابو المحاسن، المنهل الصافي، ج1، ص351.
- (20) السخاوي، الضوء الالامع، ج6، ص290.
- (21) القلقشندي، صبح الاعشى، ج1، مقدمة التحقيق، ص8.
- (22) ابن قاضي شهبة، ابو بكر بن احمد، (ت 851هـ/1448م)، طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ/1986م، ج4، ص44 ؛ الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، د. ت ، ج1، ص508.
- (23) القلقشندي، صبح الاعشى، ج14، ص364 ؛ احمد عبد الرحمن، ابو العباس القلقشندي، ص38.
- (24) القلقشندي، صبح الاعشى، ج14، ص368، 369 .
- (25) وهي حديث مسلم، البخاري، الترمذي، ابو داود، ابن ماجة، والنسائي. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج14، ص369؛ احمد عبد الرحمن الذنيبات، ابو العباس القلقشندي، ص73.
- (26) القلقشندي، صبح الاعشى، ج14، ص368.
- (27) احمد عبد الرحمن الذنيبات، ابو العباس القلقشندي ، ص75.
- (28) السخاوي ، الضوء الالامع ، ج1، ص

- (29) المقرئزي، احمد بن علي (ت 845هـ/1441م)، درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان الفريدة، تحقيق محمود الجليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2002م، ج1، ص313.
- (30) القلقشندي، صبح الاعشى، ج1، مقدمة التحقيق، ص12؛ المقرئزي، السلوك، ج6، ص485.
- (31) المقرئزي، السلوك، ج6، ص485.
- (32) ابو المحاسن، المنهل الصافي، ج1، ص352.
- (33) الزركلي، الاعلام، ج1، ص177.
- (34) القلقشندي، صبح الاعشى، ج1، مقدمة التحقيق، ص8.
- (35) المقرئزي، درر العقود، ج1، ص313.
- (36) كاتب السر: وظيفة متوليها قراءة الكتب الواردة الى السلطان والرد عليها بعد اخذ خط السلطان عليها. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج4، ص30.
- (37) المتوفى سنة (749هـ/1349م) بدمشق. للمزيد ينظر: ابن الوردي، عمر بن مظفر، (ت 749هـ/1349م)، تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م، ج2، ص342؛ الصفدي، صلاح الدين خليل، (ت 764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤوط وتركى مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، 2000م، ج8، ص163؛ المقرئزي، السلوك، ج4، ص98.
- (38) القلقشندي، صبح الاعشى، ج1، مقدمة التحقيق، ص8.
- (39) موقع الدست: او كاتب الدست ورتبته تلي صاحب ديوان الانشاء فهو يجالس الخليفة في اكثر ايام الاسبوع ويذاكر معه كتاب الله واحبار الانبياء ويقرأ عليه ملىح السير ويقوي يده في تجويد الخط. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج3، ص487؛ ج14، ص322.
- (40) ابو المحاسن، جمال الدين يوسف، (ت 874هـ/1469م)، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهد محمد شلتوت، المطبعة الاميرية، القاهرة، 1881م، ج1، ص55.
- (41) درر العقود، ج1، ص313.
- (42) ديوان الاحباس: وهو ديوان يتألف من الدوادار وناظر الاحباس والعديد من الكتاب. للمزيد ينظر: المقرئزي، الخطوط، ج4، ص88.
- (43) ابو المحاسن، الدليل الشافي، ج1، ص55.
- (44) المتوفى سنة (ت 824هـ). للمزيد ينظر: حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، (ت 1067هـ/1647)، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م، ج2، ص1890.
- (45) المقرئزي، درر العقود، ج1، ص313.

- (46) المتوفى سنة 855هـ . للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء، ج10، ص135؛ الحنبلي، شذرات الذهب، ج7، ص166.
- (47) القلقشندي، صبح الاعشى، ج1، مقدمة التحقيق، ص8.
- (48) إجمد العلوم، ج2، ص27؛ الحنبلي، شذرات، ج7، ص149؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص1070؛ الكتاني، عبد الحى، نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتب الادارية، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج1، ص112.
- (49) محمود سالم محمد، موقع الموسوعة العربية، مجلد 15، ص545. Arab.ency.com
- (50) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص573.
- (51) محمود سالم محمد، القلقشندي احمد بن علي، الموسوعة العربية، مج15، ص545.
- (52) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1957م، ج1، ص197؛ راغب السرجاني، قصة الاسلام، القلقشندي، تاريخ النشر 2017/6/18 <https://islamstory.com>.
- (53) المغربي، محمد بن عبد الرحمن، (ت954هـ/1547م)، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ط2، دار الفكر، بيروت، 1398هـ/1978م، ج3، ص330.
- (54) القلقشندي، صبح الاعشى، ج1، مقدمة التحقيق، ص25.
- (55) الزركلي، الاعلام، ج1، ص177.
- (56) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2، ص1573.
- (57) الزركلي، الاعلام، ج1، ص177؛ راغب السرجاني، قصة الاسلام، بتاريخ 2017 / 6 / 18 <https://islamstory.com>.
- (58) ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ج3، ص421.
- (59) محمود سالم محمد، القلقشندي، مج15، ص545؛ راغب السرجاني، موقع قصة الاسلام.
- (60) للمزيد ينظر: المقرئزي، السلوك، ج7، ص55؛ ابو المحاسن، النجوم، ج15، ص9-19؛ ابن الصيرفي، نزهة، ج2، ص517؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت911هـ/1505م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ط1، مطبعة المكتبة العصرية، بيروت، 2004م، ج2، ص95.
- (61) المقرئزي، احمد بن علي، (ت845هـ/1441م)، اغاثة الامة بكشف الغمة، نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين محمد الشيال، ط3، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2002م، ص42؛ ابن طولون، شمس الدين محمد، (ت953هـ/1546م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة 1964م، ج1، ق1، ص31.
- (62) المقرئزي، السلوك، ج6، ص67؛ ابن حجر، انباء، ج2، ص146-147.

- (63) ابن اياس، محمد بن احمد، (ت 930هـ/1510م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م، ج4، ص50، ص256، ص372.
- (64) ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت 808هـ/1405م)، تاريخ ابن خلدون، اعتنى به ابو صهيب الكرمي، بيت الافكار الدولية، د.ت، الاردن، عمان، ص2121، ص2125 .
- (65) دمياط: مدينة بين تنيس ومصر بين البحر المتوسط ونهر النيل. للمزيد ينظر، ياقوت الحموي، معجم، ج4، ص314.
- (66) المقرئزي، السلوك، ج2، ص49، ص69؛ ابو المحاسن، النجوم، ج1، ص24.
- (67) ابن اياس، بدائع، ج4، ص85، ص142؛ الحنبلي، شذرات، ج1، ص115؛ محمود شاكر، التاريخ الاسلامي، ط5، بيروت، 2000م، ج7، ص87.
- (68) ابن زنبيل، احمد الرمال، (ت 960هـ/1552م)، الممالك، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988م، ص122.
- (69) عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغوري، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م، ص38.
- (70) ابن شاهين الملطي، عبد الباسط، (ت 920هـ/1514م)، نزهة الاساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987م، ص145؛ ابن طولون، مفاكهة الخلان، ج1، ص22؛ حسام الدين عباس الخزوري، التربية والتعليم في بلاد الشام خلال العصر المملوكي، بحث منشور في مجلة المقتطف المصري التاريخية، مؤسسة دراسات سياسية تاريخية، القاهرة، العدد1، المجلد1، 2014م، ص30، ص42.
- (71) البغدادي، عبد القادر عمر، (1094هـ/1682م)، خزائن الادب ولب لباب لسان العرب، تحقيق محمد نبيل طريفي وأميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج6، ص415؛ البستي، ابو الفضل عياض بن موسى، (ت544هـ/1149م)، مشارق الانوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة، د.م، د.ت، ج2، ص88؛ محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة محققين، دار الهداية، د.م، د.ت، ج39، ص108.
- (72) الجزري، ابو السعادات المبارك، (ت606هـ/1209م)، النهاية في غريب الحديث والاثار، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م، ج3، ص304؛ ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت711هـ/1311م)، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، د.م، د.ت، ج15، ص100.
- (73) ابو البقاء الكفومي، ايوب بن موسى، (ت1093هـ/1682م) الكلبيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م، ج1، ص310؛ محمد مرتضى، تاج العروس، ج39، ص108.
- (74) محمد المراياتي وآخرون، علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، تحقيق شاكر الفحام، دمشق، 1987م، ج1، ص4؛ ساري محمد الخالد، اتجاهات في امن المعلومات وأمانها، ط1، شركة العبيكان للتعليم، 2018م، ص31.

- (75) محمد المراتي، علم التعمية، ج2، ص14.
- (76) موسى زمولي، مساهمة العلماء العرب في علم التعمية (الشفرة) ومشكل الوقاية المعلوماتية على شبكة الانترنت، تم نشره في 27 م 3 / 1010م، موقع [www. Samedi.com](http://www.Samedi.com).
- (77) المحيي، محمد امين بن فضل الله، (ت 1111 هـ / 1699م) خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د.م، د.ت، ج2، ص392.
- (78) الجرجاني، علي بن محمد، (ت 816هـ / 1413م)، التعريفات، تحقيق ابراهيم الابياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984، ج1، ص285؛ عبد النبي بن عبد الرسول الاحمد نكري، دستور العلماء او جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ترجمة حسن هاني فحص، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م، ج3، ص205.
- (79) البغدادي، خزائن الادب، ج1، ص410؛ المحيي، خلاصة الاثر، ج2، ص393؛ القنوجي، صديق بن حسن، (ت 1307هـ / 1890م)، ايجد العلوم الوشي المرقوم في بيان احوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م، ج1، ص258.
- (80) ساري محمد الخالد، اتجاهات في امن المعلومات، ص31.
- (81) مصطفى صادق، ماهو التشفير، مدونة مصطفى صادق العلمية، بتاريخ 2014/9/30م؛ محمد سعد حنفي، الكندي وابن عدلان وابن الدريهم وامن المعلومات، بتاريخ 2015/10/12 [www. SaSapost.com](http://www.SaSapost.com).
- (82) خلاصة الاثر، ج2، ص392.
- (83) المحيي، خلاصة الاثر، ج2، ص392.
- (84) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت 911هـ / 1505م)، المزهري في علوم اللغة والادب، تحقيق فؤاد علي منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ج1، ص442؛ القنوجي، ايجد العلوم، ج2، ص512.
- (85) موسى زمولي، مساهمة العلماء العرب، موقع www. Samedi.com.
- (86) محمد المراتي، علم التعمية، ج1، ص24، ص56-57؛ محمد سعد حنفي، الكندي، [www. SaSapost.com](http://www.SaSapost.com).
- (87) موسى زمولي، مساهمة العلماء العرب، www. Samedi.com.
- (88) اللسانيات: هو العلم الذي يهتم بدراسة اللغات الانسانية وخصائصها وتراكيبها ومدى التشابه والتباين بينهما. للمزيد ينظر: موقع المعرفة www.marefa.org.
- (89) المراتي، علم التعمية، ج1، ص63.
- (90) حيث جعلوا امام كل حرف من الحروف رقما من الارقام وبذلك عرفوا اي الحروف اكثر استعمالا من غيرها. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج9، ص238.
- (91) دق، قد، شد، دش. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح، ج9، ص234؛ المراتي، علم التعمية، ج1، ص68-77.

- (92) ضرب، برض، رضب، بض، ضرب، رضى. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص233.
- (93) التورية: يقصد بها لغة اخفاء الشيء اما اصطلاحا فهي ايراد لفظ يحتمل معنيين معنى قريب ظاهر ومعنى بعيد خفي وهو المقصود . للمزيد ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت911هـ / 1505م)، معجم مقاليد العلوم، تحقيق محمد ابراهيم عبادة، ط1، مكتبة الاداب، القاهرة، 2004م، ج1، ص102؛ المناوي، محمد عبد الرؤوف، (ت1021هـ / 1612م)، التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر، بيروت، 1989م، ج1، ص214؛
؛ الاء ابو حديد، التورية في اللغة العربية، موقع سطور بتاريخ 7 / 8 / 2019م <https://sotor.com>.
- (94) المراياتي، علم التعمية، ج1، ص70.
- (95) الزرعي الدمشقي، ابو عبد الله شمس الدين محمد، الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة، تحقيق علي محمد الدخيل الله، ط3، دار العاصمة، الرياض، 1998م، ج1، ص290؛ محمد المراياتي، علم التعمية، ج1، ص48.
- (96) محمد المراياتي، علم التعمية، ج2، ص27.
- (97) يذر عليه رماذ ساخن من رماذ القراطيس فيقرأه. للمزيد ينظر: ابن عبد ربه، محمد (ت327هـ / 938م)، العقد الفريد، ط3، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1999م، ج3، ص176؛ ابن خلكان، وفيات، ج2، ص432.
- (98) الزواج: هي املاح الكبريتات وهو على انواع منه الابيض والازرق والاحضر. للمزيد ينظر: ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.م، د.ت، ج1، ص405.
- (99) العفص: عشبة حولية مزهرة من فصيلة النجميات ذات ازهار بلون اصفر او احمر غامق. للمزيد ينظر: وفاء الشيحان، مدونة موضوع فوائذ عشبة العفصر، 2019/9/29، <https://mawdooz.com>.
- (100) تتم الكتابة بالزاج الابيض ولقراءته يذر عليه غبار الزاج. للمزيد ينظر: ابن عبد ربه، العقد، ج3، ص176؛ ابن خلكان، وفيات، ج2، ص422.
- (101) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص176.
- (102) للمزيد ينظر: الاحبار السرية، ص1 <https://www.ciagov/Library>.
- (103) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص229.
- (104) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص230.
- (105) تتالف اللغة العبرية من 22 حرفا وهي مشتقة من الخط الارامي وفي اللغة العبرية يدمج حرفي السين والشين ويعدان حرفا واحدا وتكتب حروفها منفصلة غير متصلة. للمزيد ينظر: الحروف العبرية - الابجدية العبرية <https://hebrewtiger.com>.
- (106) عدد حروف اللغة الارامية (السريانية) 22 حرفا. للمزيد ينظر: محسن بن سليمان العطيات، مدونة استدرآكات العطيات، www.alyyatcorrect.blogspot؛ ويقال ان عدد حروفها 36 حرفا. للمزيد ينظر: نورا اريسيان، المقاربات بين الارمنية والعربية، مدونة الوطن، سورية www.alwatan.sy.

- (107) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص230.
- (108) المرياقي، علم التعمية، ج1، ص36؛ تركي محمد، لحة مبسطة عن علم التشفير، السعودية، بتاريخ 2014/1/30 . <https://fac.kSu.edu.sa>
- (109) المرياقي، علم التعمية، ج1، ص68؛ سعد ناصر العوام، انظمة التعمية التقليدية، بحث مقدم الى جامعة الملك سعود، كلية العلوم، قسم الرياضيات، 1439هـ / 2017م، ص1.
- (110) وهو على نوعين الاعاضة البسيطة بتبديل حرف مكان حرف او شكل ، والاعاضة المتعددة وهي تبديل شكلين او اكثر بحرف. للمزيد ينظر: المرياقي، علم التعمية، ج1، ص16.
- (111) المرياقي، علم التعمية، ج1، ص8.
- (112) طارق سعيد القحطاني، اسرار الحروف وحساب الجمل، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة ام القرى كلية الدعوة واصول الدين، السعودية، 2009م، ص23.
- (113) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص232.
- (114) اللغة السرية، موقع الجيش العربي ، بتاريخ 2012 /11/19 م، www.arab-army.com
- (115) يحيى مير علم ،اسهامات علماء التعمية في اللسانيات العربية ، مجلة ديوان العرب الالكترونية ، بتاريخ 2007/1/24م، ص5 www.diwanalarab.com
- (116) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص232-233.
- (117) يحيى مير علم، اسهامات علماء التعمية في اللسانيات، مجلة ديوان العرب الالكترونية
- (118) سعيد سلمان، لغتنا الجميلة كلمات من حرف واحد، منتدى جمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، السعودية، 2015/10/1 www.a-arabia.com
- (119) وترد بمعنى سألتُمونيها. للمزيد ينظر: عبد الرزاق الصاعدي، اسطورة حروف الزيادة العشرة في قولهم سألتُمونيها، منتدى مجمع اللغة العربية الافتراضي، بتاريخ 2016/4/28، almajma3.blogstop.com
- (120) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص233.
- (121) الحروف الذلقية هي الحروف التي تكون مخارجها من طرف اللسان وهي ست حروف للمزيد ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص11.
- (122) البيضاوي، تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج1، ص88.
- (123) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص234 .
- (124) الباحثون المسلمون، بتاريخ 2017/10/22 www.muslim-res.com
- (125) يحيى مير علم، اسهامات علماء التعمية، مجلة ديوان العرب الالكترونية، ص4.

- (126) سامح مقار ناروز، عبقرية اللغة العربية، مدونة دنيا الوطن بتاريخ 2004/11/11.
- (127) الجواليقي، ابو منصور موهوب بن احمد (ت 540هـ/1145م)، المغرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، تحقيق ف عبد الرحيم، ط1، دار القلم، دمشق، 1990م، ص46 ؛ عهد فاضل، حروف عربية تجعل كلماتنا غير عربية، مدونة العربية، بتاريخ 2018/4/2م، ص22.
- (128) لم يرد في اللغة العربية كلمة اصلية فيها حرفان حلقيان الا وتقدمها الهاء ، او تعقب بواسطة كغيهب وعبهر، اما حيهل فهي مركبة .ولا يجتمع حرفان من هذه الحروف الخمسة (الهاء - الطاء المهملة - العين - الغين - الخاء المعجمة) في اول كلمة غير ما تم ذكرها ، ولا في وسط الكلمة الا في حالة الهاء مع العين كهلع، والهاء مع الغين كأهينغ، والحاء مع العين كأهينغ، والهاء مع الخاء المعجمة في كلمة واحدة وهي هيينخة، ولا تجمع الهاء الاصلية مع الخاء المعجمة ، ولا الحاء المهملة والعين المهملة الا ان تكون مركبة مثل هرقصع والحييلة. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص235.
- (129) حروف الحلق الستة هي الالف، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء. ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص196، ص743.
- (130) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص236.
- (131) للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص236.
- (132) الجواليقي، المغرب، ص22-24.
- (133) الجواليقي، المغرب، ص22-24.
- (134) للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص237.
- (135) اللغة السرية، www.arab-army.com
- (136) سامر المقدادي، التشفير عند العرب.. أو ما اطلقوا عليه التعمية، بتاريخ 2010/8/15 ، مدونة security4Arab.com
- (137) للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص237.
- (138) للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص237.
- (139) احمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الفكر ، القاهرة، 2008م ، مج1، ص547 .
- (140) ابن منظور ، لسان العرب ، ج12، ص66 .
- (141) نعماني ، ابو جمال قطب الدين ، الترجمة ضرورة حضارية ، مجلة دراسات الجامعة الاسلامية العالمية شيتاغونغ، ديسمبر 2003 ، مج3 ، ص185-198 .
- (142) محمد عبد العظيم الزقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1943م، ج2، ص111.
- (143) للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص138.

- (144) للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص238.
- (145) يحيى مير علم، اسهامات علماء التعمية، ص7.
- (146) للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص238.
- (147) ابن الابار أ ابو عبد الله محمد، (658هـ/1260)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام المراس، دار الفكر، بيروت، 1959م، ج2، ق2، ص111.
- (148) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص238.
- (149) للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص242-245.
- (150) سورة القصص، آية 20.
- (151) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص246.
- (152) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص246، ص250.
- (153) وهو ناشب بن بشامة العنبري كان اسيرا عند قيس بن ثعلبة. وبني العنبر هم احدى قبائل بني تميم. للمزيد ينظر: ابن هشام، عبد الملك بن ايوب، (ت218هـ/834م)، سيرة ابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط1، دار الجيل، بيروت، 1411هـ، ج6، ص33؛ الفريابي، جعفر بن محمد، (301هـ/913م)، دلائل النبوة، تحقيق عامر حسن صبري، ط1، دار حراء، مكة، 1406هـ/1985م، ج5، ص468؛ ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي، (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق ابو الفدا عبد الله القاضي، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م، ج1، ص498.
- (154) بني حنظلة: وهم من قبائل بني تميم وينسبون الى حنظلة بن مالك بن زيد بن تميم. للمزيد ينظر: السمعاني، ابو سعيد عبد الكريم بن محمد، (562هـ/1166م)، الانساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1998م، ج1، ص309.
- (155) الدهناء: موضع معروف ببلاد تميم يمد ويقصر. للمزيد ينظر: الرازي، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، تحقيق، محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1415هـ/1995م، ج1، باب الدال، ص89.
- (156) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص246-247.
- (157) طليطلة: مدينة كبيرة في الاندلس تتصل بوادي الحجارة الى الغرب من ثغر الروم وتقع بين الجوف والشرق من قرطبة. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج6، ص265.
- (158) الناصر محمد بن قلاوون: تسلطن للمرة الاولى بعد مقتل اخيه الاشرف خليل في محرم سنة 693هـ، ثم ولي ثانية سنة 698هـ ثم ولي للمرة الثالثة سنة 709هـ وبقي بها حتى وفاته سنة 741هـ. للمزيد ينظر: ابو المحاسن، جمال الدين يوسف بن تغري بردي، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م، ج2، ص45-64.

- (159) ثوب بندقي: ثوب من الكتان رفيع ينسب الى ارض البندقية. للمزيد ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج25، ص100.
- (160) طارقة: وهي الدق او الضرب. للمزيد ينظر: الجزري، النهاية في غريب الحديث، ج3، ص121.
- (161) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص247-248.
- (162) الظاهر برقوق: ابو سعيد بن انص العثماني سمي بذلك لحظوظ في عينيه، وهو اول سلطان من سلاطين المماليك الجراكسة. للمزيد ينظر: العيني، بدر الدين، (ت 855هـ/ 1451م)، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق ايمان شكري، ط1، القاهرة، 2004م، ص494.
- (163) للمزيد ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص2118-2124، الخطيب الجوهري، نزهة النفوس، ج2، ص80-94.
- (164) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص238-239.
- (165) الناصر فرج بن برقوق: ابن الظاهر برقوق ولي الحكم مرتين توفي مقتولا سنة 815هـ/ 1412م. للمزيد ينظر: الحنبلي، شذرات الذهب، ج7/ ص112.
- (166) ابو الفوارس عبد العزيز بن احمد بن محمد بن ابي بكر الحفصي. سلطان تونس وعامة افريقية، توفي سنة 837هـ/ 14م. للمزيد ينظر: ابو المحاسن، الدليل الشافي، ج2، ص832.
- (167) الطغراني: الحسين بن علي بن محمد الملقب بمؤيد الدين وله العديد من المؤلفات ومنها لامية العجم القصيدة المشهورة، توفي مقتولا سنة 515هـ/ 1156م. للمزيد ينظر: البغدادى، هدية العارفين، ج1، ص311.
- (168) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص249-250.

❖ قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

اولا قائمة المصادر

- 1-ابن الابار أ ابو عبد الله محمد، (658هـ/1260)، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام المراس، دار الفكر، بيروت، 1959م .
- 2-ابن الاثير، عز الدين ابو الحسن علي، (ت630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تحقيق ابو الفدا عبد الله القاضي، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م .
- 3-ابن اياس، محمد بن احمد، (ت 930هـ/1510م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م .
- 4-البستي، ابو الفضل عياض بن موسى، (ت544هـ/1149م)، مشارق الانوار على صحاح الاثار، المكتبة العتيقة، د.م. د.ت .

-
- 5-البغدادي، عبد القادر عمر، (1094هـ/1682م)، خزائن الادب ولب لباب لسان العرب، تحقيق محمد نبيل طريفي وأميل بديع اليقوب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.
- 6-ابو البقاء الكفومي، ايوب بن موسى، (ت1093هـ/1682م) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998م.
- 7-البيضاوي، تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت، د.ت .
- 8-المرجاني، علي بن محمد، (ت816هـ/1413م)، التعريفات، تحقيق ابراهيم الاياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984م
- 9-الجزري، ابو السعادات المبارك، (ت606هـ/1209م)، النهاية في غريب الحديث والاثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م.
- 10- الجواليقي، ابو منصور موهوب بن احمد (ت 540هـ/1145م)، المغرب من الكلام الاعجمي على حروف المعجم، تحقيق ف عبد الرحيم، ط1، دار القلم، دمشق، 1990م
- 11-ابن حجر ، احمد بن علي (ت 852هـ/1448م)، انباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، مطابع الاهرام، القاهرة، 1418هـ/1998م .
- 12-الحنبلي، عبد الحي، (ت 1081هـ/1671م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق عبد القادر الارنؤوط ومحمود الارنؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1406هـ/1985م .
- 13-الخطيب الجوهري، علي بن داود الصيرفي (ت 900هـ/1494م)، نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان، تحقيق حسن حبشي، دار الكتب، القاهرة، 1971م .
- 14- ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت 808هـ/1405م)، تاريخ ابن خلدون، اعتنى به ابو صهيب الكرمي، بيت الافكار الدولية، د.ت، الاردن، عمان .
- ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد،
- 15-وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة ، بيروت، د.ت .
- 15-الرازي، محمد بن ابي بكر، مختار الصحاح، تحقيق، محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1415هـ/1995م.
- 16-الزرعي الدمشقي ، ابو عبد الله شمس الدين محمد ، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة ، تحقيق علي محمد الدخيل الله ، ط3، دار العاصمة ، الرياض ، 1998م .
- 17- ابن زنبيل، احمد الرمال، (ت960هـ/1552م)، المماليك، تحقيق عبد المنعم عامر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988 م.

-
- 18- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، (ت 902هـ/1469م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، صححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ/2003م، ج2، ص8.
- 19- السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد، (ت562هـ/1166م)، الانساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1998م .
- 20- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت 911هـ/1505م)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، مطبعة المكتبة العصرية، بيروت، 2004م .
- 21- المزهر في علوم اللغة والأدب، تحقيق فؤاد علي منصور ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م .
- 22- معجم مقاليد العلوم، تحقيق محمد إبراهيم عبادة ، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004م
- 23- ابن شاهين الملطي، عبد الباسط، (ت 920هـ/1514م)، نزهة الاساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1987م .
- 24- الشوكاني، محمد بن علي، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، د. ت .
- 25- الصفدي، صلاح الدين خليل، (ت 764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، 2000م .
- 26- ابن طولون، شمس الدين محمد، (ت 953هـ/1546م)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة 1964م .
- 27- ابن عبد ربه، محمد (ت 938هـ/327م)، العقد الفريد، ط3، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1999م، ج3، ص176 .
- 28- العيني، بدر الدين، (ت 855هـ/1451م)، عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، تحقيق إيمان شكري، ط1، القاهرة، 2004م . الفريابي، جعفر بن محمد، (301هـ/913م) ،
- 38- دلائل النبوة، تحقيق عامر حسن صبري، ط1، دار حراء، مكة ، 1406هـ/1985م .
- 29- ابن قاضي شعبة، أبو بكر بن أحمد، (ت 851هـ/1448م)، طبقات الشافعية، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1407هـ/1986م .
- 30- القلقشندي، أحمد بن علي، (ت 821هـ/1418م)، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م .
- 31- أبو المحاسن، جمال الدين يوسف، (ت 874هـ/1469م)، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق فهمي محمد شلتوت، المطبعة الاميرية، القاهرة، 1881م .
- 32- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، تقدم سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م
- 33- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م .

- 34- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م .
- 35- المحيي، محمد أمين بن فضل الله، (ت 1111هـ/1699م) خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر، دار صادر، بيروت، د.م، د.ت .
- 36- المغربي، محمد بن عبد الرحمن، (ت 954هـ/1547م)، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ط2، دار الفكر، بيروت، 1398هـ/1978م .
- 37- الفريابي، جعفر بن محمد، (ت 301هـ/913م) ، دلائل النبوة، تحقيق عامر حسن صبري، ط1، دار حراء، مكة ، 1406هـ/1985م .
- 38- المقرئ، أحمد بن علي (ت 845هـ/1441م) ، اغاثة الامة بكشف الغمة، نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين محمد الشيال، ط3، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2002م .
- 39- الخطط المقرئية، تحقيق خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1998م .
- 39- درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان الفريدة، تحقيق محمود الجليلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2002م .
- 40- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م .
- 41- المناوي، محمد عبد الرؤوف، (ت 1021هـ/1612م) ، التعاريف ، تحقيق محمد رضوان الدايدة، ط1، دار الفكر، بيروت ، 1989م .
- 42- ابن منظور، محمد بن مكرم، (ت 711هـ/1311م)، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، د.م، د.ت .
- 43- ابن هشام ، سيرة ابن هشام، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط1، دار الجيل، بيروت، 1411هـ .
- 44- ابن الوردي، عمر بن مظفر، (ت 749هـ/1349م) ، تاريخ ابن الوردي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م .
- 45- ياقوت الحموي، بن عبد الله (ت 626هـ/1228م) ، معجم البلدان، تقديم محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2008م .
- ثانياً: المراجع**
- 46- ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية ، دار الدعوة، د.م، د.ت .
- 47- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الفكر ، القاهرة، 2008م .
- البغدادي، اسماعيل،
- 48- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، صححه محمد شرف الدين ، دار احياء التراث العربي ، بيروت د.ت .
- 49- هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مؤسسة التاريخ العربي، د.م ، د.ت .
- 50- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، (ت 1067هـ/1647م) ، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ/1992م .

- 51- الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م .
- 52- ساري محمد الخالد، اتجاهات في امن المعلومات وأمانها، ط1، شركة العبيكان للتعليم، 2018م . عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغوري، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م .
- 53- عبد النبي بن عبد الرسول الاحمد نكري، دستور العلماء او جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، ترجمة حسن هاني فحص، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000م .
- 54- عبد الوهاب عزام، مجالس السلطان الغوري، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م .
- 55- عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، دمشق، 1957م
- 56- القنوجي، صديق بن حسن، (ت1307هـ/1890م)، اجد العلوم الوشي المرقوم في بيان احوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م .
- 57- الكتاني، عبد الحى، نظام الحكومة النبوية المسمى بالتراتب الادارية، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت .
- 58- محمد عبد العظيم الزقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1943م .
- 59- محمد المراياتي وآخرون، علم التعمية واستخراج المعنى عند العرب، تحقيق شاكرا الفحام، دمشق، 1987م .
- 60- محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة محققين، دار الهداية، د.م، د.ت .
- 61- محمود شاكر، التاريخ الاسلامي، ط5، بيروت، 2000م .

ثالثا الرسائل والاطاريح

- 62- احمد عبد الرحمن الذنيبات، ابو العباس القلقشندي ادبيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الاردن، 2001م .
- 63- طارق سعيد القحطاني، اسرار الحروف وحساب الجمل، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة ام القرى كلية الدعوة واصول الدين، السعودية، 2009م .

رابعا المقالات والبحوث

- 64- حسام الدين عباس الخزوري، التربية والتعليم في بلاد الشام خلال العصر المملوكي، بحث منشور في مجلة المقتطف المصري التاريخية، مؤسسة دراسات سياسية تاريخية، القاهرة، العدد1، المجلد1، 2014م .
- 65- سعد ناصر العوام، انظمة التعمية التقليدية، بحث مقدم الى جامعة الملك سعود، كلية العلوم، قسم الرياضيات، 1439هـ/ 2017م .
- 66- نعماني ، ابو جمال قطب الدين، الترجمة ضرورة حضارية ، مجلة دراسات الجامعة الاسلامية العالمية شيتاغونغ، ديسمبر 2003

خامسا المواقع الالكترونية

- 67- الاء ابو حديد ، التورية في اللغة العربية ، موقع سطور بتاريخ 7 / 8 / 2019م <https://sotor.com>
- 68- الباحثون المسلمون، بتاريخ 2017/10/22 www.muslim-res.com

- 69- تركي محمد، محة مبسطة عن علم التشفير، السعودية، بتاريخ 2014/1/30 <https://fac.kSu.edu.sa>
- 70- راغب السرجاني، قصة الاسلام، القلقشندي، تاريخ النشر 2017/6/18 <https://islamstory.com>
- 71- الاحبار السرية، ص1 <https://www.ciagov/Library>
- 72- الحروف العبرية - الابجدية العبرية <https://hebrewtiger.com>
- 73- سامح مقار ناروز، عبقرية اللغة العربية، مدونة دنيا الوطن بتاريخ 2004/11/11.
- 74- سامر المقدادي، التشفير عند العرب.. أو ما اطلقوا عليه التعمية، بتاريخ 2010/8/15 ، مدونة security4Arab.com
- 75- سعيد سلمان، لغتنا الجميلة كلمات من حرف واحد، منتدى جمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، السعودية، 2015/10/1 [www a-arabia.com](http://www.a-arabia.com)
- 76- عبد الرزاق الصاعدي، اسطورة حروف الزيادة العشرة في قولهم سألتُمونيها، منتدى مجمع اللغة العربية الافتراضي، بتاريخ 2016/4/28، almajma3.blogstop.com
- 77- عهد فاضل، حروف عربية تجعل كلماتنا غير عربية، مدونة العربية، بتاريخ 2018/4/2 .
- 78- اللغة السرية، موقع الجيش العربي ، بتاريخ 2012 /11/19 ، www.arab-army.com
- 79- محسن بن سليمان العطيات، مدونة استدراكات العطيات ، www.alyyatcorrect.blogspot
- 80- محمد سعد حنفي، الكندي وابن عدلان وابن الدريهم وامن المعلومات ، بتاريخ 2015/10/12 www.SaSapost.com
- 81- محمود سالم محمد، القلقشندي احمد بن علي ، موقع الموسوعة العربية، مجلد 15، ص545. Arab.ency.com
- 82- مصطفى صادق، ماهو التشفير، مدونة مصطفى صادق العلمية، بتاريخ 2014/9/30
- 83- موسى زمولي، مساهمة العلماء العرب في علم التعمية (الشفرة) ومشكل الوقاية المعلوماتية على شبكة الانترنت ، تم نشره في 27 م 3 / 1010م، موقع [www. Samedi. com](http://www.Samedi.com)
- 84- موقع المعرفة www.marefa.org
- نورا اريسيان، المقاربات بين الارمنية والعربية، مدونة الوطن، سورية www.alwatan.sy
- 85- وفاء الشيحان ، مدونة موضوع فوائد عشبة العصفور ، 2019/9/29. ، <https://mawdooz.com>
- 86- يحيى مير علم ، اسهامات علماء التعمية في اللسانيات العربية ، مجلة ديوان العرب الالكترونية ، بتاريخ 2007/1/24م، www.diwanalarab.com

الاثار الديني في رسم البدايات الاقتصادية والاجتماعية
لمدينة مكة قبل البعثة

الباحث الاول : الاستاذ الدكتور زمان عبيد وناس
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ
الباحث الثاني : م.م. عائد عبد ايوب حميد
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم التاريخ

تاريخ الإيداع: 2021/05/08 م تاريخ التحكيم: 2021/05/20 م تاريخ النشر: 2021/06/15م
الملخص بالعربية:

م تكن مكة إلا مكان في وسط صحراء الجزيرة العربية، لكن بعد إن وفد نبي الله ابراهيم الخليل وذويه اليها، اذ اسكنهم بها ولا سيما بعد رفع قواعد بيت الله فيها، من قبلهم، فأعطى للمكان اهمية كبيرة من بين المدن المجاورة، إذ تمكنوا من جعل الناس إن يقدموا اليها، زائرين، مولبين، موحدين، عابدين الله الواحد، واستمروا الامر ما هو عليه حتى فقدوا بني ابراهيم عليه السلام نفوذهم السياسي والاقتصادي في مكة، إذ تغير الدين من التوحيد إلى الوثنية، فجاءوا بالأصنام ووضعوها بيت الله الحرم لتحقيق اهداف اقتصادية، فتحقق ما ارادوا وبعد مدة من الزمن تغير وضعهم المالي وبلغوا من النفوذ والسيطرة مبلغا عظيما بين المدن المجاورة لهم وهذا يرجع الى تكديس الاموال بأيديهم، ومن جراء ذلك بدأت تتشكل ملامح المجتمع المكي الذي هيمنت فيه طبقت المأل التي تملك المال والنفوذ، فصار المجتمع يتألف من طبقات، تعلو بعضها على بعض وبذا رسم الدين ملامح الاقتصاد والمجتمع في مكة.

كلمات مفتاحية: الاثر الديني، مكة، الاقتصادية، المجتمع

**The Religious Influence On The Formation OfThe Economic And
Social Beginnings Of Mecca In The Preislamic Ages.**

First Author ; Prof. Dr. Zaman Obaid Wannas

University of Kerbala / College of Education for Human Science

Second Author : Aeid Abd Ayoub Hameed

University of Kerbala / College of Education for Human Science

Abstract:

Mecca was only a place in the middle of the desert of the Arabian Peninsula, but after the delegation of the Prophet of God Ibrahim Al-Khalil and his family to it, As he settled them in it, especially after the foundations of the House of God were

260

lifted there by them, so he gave the place great importance among the neighboring cities, As they were able to make people, if they come to it, visitors, molten, monotheists, worshipping the one God ,And the matter continued until the Bani Ibrahim, peace be upon him, lost their political and economic influence in Makkah, as the religion changed from monotheism to paganism, so they brought idols and placed them in the sacred house of God to achieve economic goals. They achieved what they wanted, and after a period of time their financial situation changed and they reached a great amount of influence and control among their neighboring cities, and this is due to the accumulation of money in their hands, and as a result of that, the features of the Meccan society began to form in which it dominated the plenum that possesses money and influence, so society became composed of classes Some of them are above each other and thus religion has drawn the features of the economy and society in Makkah.

الآثر الديني في رسم البدايات الاقتصادية والاجتماعية

لمدينة مكة قبل البعثة

عرفت مكة إنها ضاربة في القدم وفيها بيت الله الحرام اول بيت وضع للناس ومقام ابراهيم عليه السلام قول تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾، واصبحت محطة انظار الناس لما تتمتع به من مكانة دينية، فضلا عن المكانة الاقتصادية المزدهرة، وعظمت منزلتها بين العرب، مع أن عنوان المبحث التكوين الطبقي في مكة، الا اننا سنعمد قبل المضي قدماً بتوضيح وشرح الطبقة المكية إلى الحديث عن الالهمية الاستراتيجية للمدينة من الناحية الدينية والاقتصادية والجغرافية التي تعد السبب الرئيسي الذي اقام المجتمع المكي على وفق قاعدته الطبقية.

تقع مكة في واد غير ذو زرع، الا ان موقعها الجغرافي اعطاها اهمية لتصبح المحور الرئيسي بين الجنوب والشمال، ويمكننا ان نطلق عليها الجسر الرابط بينهما، فان القوافل التجارية القادمة من كل الاتجاهين الابد من المرور بها، وقال علي⁽²⁾: "كان لا بد من أن تستريح في هذا المكان؛ لينفض رجالها عن أنفسهم غبار السفر، وليتزوجوا ما فيه من رزق ثم ما لبث أهلها أن اقتبسوا من رجال القوافل سر السفر وفائدته، فسافروا أنفسهم على هيئة قوافل"، ومن هنا بدأت حركة المجتمع المكي لاتضع منعزلاً حضارياً وتاريخياً بين الامم السالفة.

اما من الجانب البحري الذي لا يقل اهمية من الطرق البري فان وقوعها بقرب ميناء الشعيبة، ويعد الميناء الوحيد فيها آنذاك، اذ كان "مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل

جدّة"⁽³⁾، وهنا دلالة قطعية على وجود اتصال بين المكين والعالم الخارجي المتمثل بالروم والفرس والحبيشة وغيرهم، وذلك عن الطريق البحري المتصل بالبحر الاحمر وبحر العرب وصولاً الى الهند⁽⁴⁾، مع ان المصادر لم تزودنا بمعلومات كافية عن المكين بانهم يملكون السفن وانهم مارسوا نشاطهم التجاري البحري بأنفسهم، بينما نجدهم يركبون السفن الحبيشية والرومانية لنقل بضائعهم⁽⁵⁾.

- الجانب الديني ورسم صورة بدايات المجتمع المكي

من العوامل الهامة التي ابرزت شكل المجتمع المكي وظهوره بوصفه كياناً مجتمعياً في المصادر وهو العامل الديني الذي وقع على فق المصادر مع مقدم نبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام إلى مكة، الذي جاء بأمر من الله جل وعلا مع ذويه اسماعيل ابنه وامه هاجر واسكنهم فيها⁽⁶⁾ وكانت قرية آنذاك⁽⁷⁾، عندما خرج الماء لهاجر وعكف الطير وامتلأ الوادي، وذكر الازرق⁽⁸⁾ "اذ مر ركب من جرهم⁽⁹⁾ قافلين من الشام"، واخذوا يتحققون من الامر واذا بامرأة مع طفلها فطلبوا منها النزول معهم، ان النص الذي اورده الازرق يدل دلالة قطعية على امرين هما: إن مكة هي نقطة الوصول والحلقة الرابطة بين الجنوب والشمال، بما إن جرهم اصلهم من اهل الجنوب اذن كان عملهم التجارة، لكن هنا السؤال الذي يطرح نفسه، هل ان خروج الماء هو من شجعهم بالسكن، ام أنهم اصلاً كانوا ساكنين حول هذا البقعة وليس بعدين عن الوادي الذي اسكن ابراهيم فيه ذريته، نحن نعتقد أنهم كانوا ساكنين حول مكة، ولم يكون سكنهم بالوادي الذي تم وصفه ليس فيه أنس⁽¹⁰⁾، فأذنت لهم فضربوا خيامهم بقرهم، واخذت الناس تكثر يوم بعد يوم بهذا تحققت امنية ابراهيم الخليل عليه السلام ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾⁽¹¹⁾، وعندما بلغ اسماعيل مبالغ الرجال قام ابراهيم برفع القواعد من البيت، وذكر القرآن ذلك: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾⁽¹²⁾، وذكر البلاذري⁽¹³⁾، إن من ساعد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام في رفع القواعد هم جرهم وقد تزوج اسماعيل بامرأة منهم وتكلم باللغة العربية، ومن هذا القول فإن ابراهيم عليه السلام تمكن من نشر الخفية الدين السماوي بين القبائل، ثم دعاهم الى حج بيت الله الحرام ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾⁽¹⁴⁾، بعد ان طهره ابراهيم عليه السلام من عبادة الاوثان واصبح الناس يعبدون الله الواحد الاحد، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾⁽¹⁵⁾، ومقولة تطهير الحرم هي دلالة على وجود الناس قبله بحد ذاتها فأصبحت مكة مركزاً دينياً واقتصادياً

لاستقطاب الناس، وقوة حركة المجتمع فيها لتدر ارزاقها عن طريق تجمع الناس في مواسم الحج الذي يعد اهم روافد الاقتصاد المكي في ما بعد.

وبعد ان انتهى عهد ابراهيم عليه السلام بمدة من الزمن غلبت جرهم على امر البيت، ثم قالت بعض المصادر⁽¹⁶⁾، إن بني اسماعيل هم من فوضوا الولاية الى اخوالهم وقال الازرقى⁽¹⁷⁾ "ثم توفي نابت بن اسماعيل، فولي البيت بعده مضاض بن عمرو الجرهمي وهو جد نابت بن اسماعيل أبو أمه، وضم بني نابت بن اسماعيل وبني اسماعيل إليه فصاروا مع جدهم أبي أمهم مضاض بن عمرو ومع أخوالهم من جرهم"، وقال احد الباحثين مثل ذلك: "غير أن جرهم... سرعان ما تولت أمر البيت، وأبناء اسماعيل مع أخوالهم لا يرون أن ينازعوهم الأمر، لخواؤلتهم وقرابتهم"⁽¹⁸⁾، الا اننا نرى العكس تماماً إذ انهم انتزعوا الامر بالقوة، فصار ذلك اول صراع اقتصادي حصل في مكة بعد ابراهيم الخليل عليه السلام، ومن بعض النصوص وصلنا لهذه النتيجة ومنها مقولة ابن هشام⁽¹⁹⁾ واصفاً خروج بني اسماعيل عليه السلام من مكة قائلاً: "حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد"، بعد ان خسروا مكانتهم في زعامة واقتصاد البلاد، بدأت جرهم تضيق عليهم حتى لا يقوموا بأي محاولة في المستقبل لاسترجاع ما فقدوه، وعندما رأوا انفسهم بهذا الوضع فضلوا الخروج، وربما سكن البعض منهم على اطراف مكة، وقال البلاذري⁽²⁰⁾ "فلما مات نابت، غلبت جرهم على البيت، فكانوا ولاته وقوامه ما شاء الله، وتفرق ولد اسماعيل من العرب بتهامة"⁽²¹⁾، وفي البوادي والنواحي الا من اقام حول مكة" وبعد ذلك ظهرت طبقة اجتماعية تسيد على ذلك الاقتصاد، وعندما تمكنوا من طرد منافسيهم، اخذوا بفرض ضرائب على كل من دخل مكة على حد سواء من الجنوب او الشمال إذ "كانت جرهم تعشر من جاء من المعلاة، وكانت قطوراً"⁽²²⁾ تعشر من جاء من المسفلة"⁽²³⁾، لكن الاسلوب هذا جاء بالوبال عليهم، إذ سرعان ما تأثرت حركة الاتجار في مكة ولاحت ظروف الكساد لتعم احوالهم وقلت قوافل التجارة المارة بأرضهم، لا سيما وأنهم يعتمدون على الجلب في معاشهم⁽²⁴⁾، ومن جراء سياستهم اصبحوا غير قادرين على التصدي لأي طارئ خارجي بعد ان كانوا أكثر العرب اموالاً وعزاً، وهذا ما كان فعلاً، إذ سرعان ما تمكنت خزاعة⁽²⁵⁾ وهي حي من الازد من طردهم⁽²⁶⁾، بعد حرب دارت بينهم واستولت على مكة وكان رئيس مكة الجديد عمرو بن لحي⁽²⁷⁾، اول ما قام به توثيق الصلات التجارية واتخاذ كل ما يلزم من اجل دفع الناس إلى دخول مكة⁽²⁸⁾ حتى أنه جلب الاصنام ووضعها حول الكعبة⁽²⁹⁾، ليعلم مكة مكان مقدس تحب زيارته، وكانت كل الهة العرب موجودة، والهدف التجارة بالدرجة الاولى، وذكر ابن الجوزي⁽³⁰⁾ "قدم عمرو بن لحي بمبل

من الشام فنصبه على الأخشب، وأمر الناس بعبادته"، الذي أصبح في ما بعد من اعظم الالهة عن قريش⁽³¹⁾، وتقبلت الناس هذا الامر وعبدتهم على انها تقرهم الى الله زلفى، وبين القران الكريم ذلك ﴿مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾⁽³²⁾، وعلل الشريف تقبل القبائل لعبادة الاصنام قائلا⁽³³⁾: "ولما كانت قبائل العرب البعيدة لا تعرف شيئا عن الحنيفية دين ابراهيم، فقد عمل عمرو ابن لحي على جلب الاصنام"، اذ قلنا ان القبائل البعيدة لا تعرف الحنيفية فما بال القرية التي لديها العلم الكافي بكل تعاليم هذه الديانة، فكانت القبائل على حد سواء تحج وتعظم امر البيت قبل هذا التاريخ، فان لهذا الفعل جذور ليس له علاقة بالقبائل البعيدة والقرية، فصورت لنا المصادر التاريخية ان دين ابراهيم الخليل عليه السلام تغير بين الليلة وضحها بمجرد دخول الاصنام الى مكة، وهذا الامر لم يقبله العقل والمنطق، اذا لم يكن الامر مألوف لدى المجتمع المكي من قبل لما عكفوا بهذا الشكل السريع على عبادة الاصنام، والدليل على ذلك وجود أساف ونائلة⁽³⁴⁾ في الكعبة وهما صنمان لجرهم⁽³⁵⁾، وثانيا: قوة راس المال لها تأثير مباشر في تغير الوضع الاجتماعي وتكوين رصيد من العلاقات الاجتماعية، الذي يمكن منها تحقيق ما يبتغيه الفرد والمجموعة وتعينهم في الوصول الى اهدافهم وما يدعم ذلك النص الاتي: "وأعانه على ما أراد[عمرو بن لحي] كثرة المال"⁽³⁶⁾، فان المعيار الاساسي في المجتمعات القديمة هو كثرة المال الذي نتج عنه السلطة والهيمنة، ويجعله قادر على تغير واقع واعادة تشكيله بما يصب بمصالح طبقة اجتماعية معينة وفق مصالحها السياسية والاقتصادية، مما جعل من خزاعة تأمر فتنطاع⁽³⁷⁾ ولا من معترض على ما تقوم به بسبب مكانتها الاقتصادية وتكلس الاموال بأيديهم .

وكما اسلفنا سابقاً فإن حركة خزاعة هذه في نصب الاصنام في مكة لم تخلوا من هدف اقتصادي بحت، والعامل الرئيسي الذي دفعهم نحو ذلك؛ هو عزوف الناس بالقدوم الى مكة على حد سوء تجارا وحجيجاً بما قاموا به جرهم من اعمال تعشير وسلب ونهب للقوافل التجارية، و ما يؤكد مقولتنا هذه نص السهيلي⁽³⁸⁾ الذي قال فيه: "إن جرهما بغوا بمكة واستملوا خلافا من الحرمة فظلموا من دخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة"، ربما انهم امتنعوا من دفع الضريبة التي كانت تفرضها على القبائل القادمة الى مكة حاملين بضاعة يريدون العبور او ممارسة حركة تجارية داخلية.

استطاعة خزاعة من اعادة الحركة التجارية لمكة، مرة عن طريق وفود الحجيج للتقرب الى اصنامهم المنصوبة في الكعبة، وثانيا: الغاء الضرائب التي كانت مفروضة في عهد جرهم، فضلا عن توفير

المأكّل والمشرب والمسكن مجاناً⁽³⁹⁾، مما دفع مجموع القبائل إلى الوفادة، فأصبحت مكة منطقة جذب للناس، وبهذا بدء عصر الازدهار الاقتصادي فيها.

يمكننا القول : ان الخزاعيين قد نجحوا بولاية مكة وحجابه بيتها، والدعاية الذكية لتعظيم الكعبة وما حولها والحجيج اليهم مما زاد ذلك من كسبهم المالي عن طريقين الاول: التجارة الداخلية عن طريق ما يحملوه القادمون لمكة من سلع وبضائع وعملية البيع والشراء في اسواقها، وثانياً: ما يقدمونه من قرايين وهدايا للكعبة وأهلهم ، او قد يكون البعض منها مجوهرات ثمينة تذهب اجزاء منها إلى جيوب الطبقة الاجتماعية الاولى وهم اصحاب رؤوس الاموال وسدنة الكعبة، ما يؤيد ما ذهبنا اليه قول الامام علي عليه السلام انه قال: " لو كان لي وأديان يسيلان ذهباً وفضة ما أهديت إلى الكعبة شيئاً لأنه يصير إلى الحجة دون المساكين"⁽⁴⁰⁾، والامام علي يقين بما تقوم به هذه الطبقة على حد سواء قبل الاسلام او بعده، ومن هنا انبثق التفاوت الطبقي في المجتمع بين طبقتين واحدة: في قمة الثراء والاخرى: تحت مطرقة الفقر .

مهما يكن من امر كانت العرب تعظم البيت⁽⁴¹⁾ والاشهر الحرم⁽⁴²⁾، ونشطة التجارة الداخلية⁽⁴³⁾ وظهرة الاسواق في مكة⁽⁴⁴⁾ ومنها سوق عكاظ⁽⁴⁵⁾ الذي يعد اعظم واقدم اسواق مكة وارتبط ارتباطاً مباشراً في الاشهر الحرم⁽⁴⁶⁾، ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾⁽⁴⁷⁾، مما ادى إلى زيادت الحركة التجارية وانتقال سلع الشمال والجنوب وعرضها في مكة وانعدام كل شكل من اشكال الضريبة فالسوق حرة بمعنى الكلمة، وفي هذا الصدد قال ابن مندة⁽⁴⁸⁾ قائلاً: " وكانت عكاظ من أعظم أسواق العرب، ولم يكن فيها عشور ولا خفارة"⁽⁴⁹⁾.

وكان الى جنب عكاظ اسواق للأهل مكة⁽⁵⁰⁾ وهما مجنة⁽⁵¹⁾ وذى المجاز⁽⁵²⁾، وتم تنظيم عمل هذه الاسواق وفق الترتيب الزمني لكل منهما ايام محدد يبدأ وينتهي بها ، وتحدث البكري⁽⁵³⁾ بخصوص هذا التقسيم قائلاً: " فكان سوق عكاظ يقوم صباح هلال ذى القعدة عشرين يوماً، وسوق مجنة يقوم عشرة أيام بعده، وسوق ذى المجاز يقوم هلال ذى الحجة"، ان دل ذلك يدل على براعة اهل مكة التجارية قديماً، تجنباً لتنافس بين اسواقهم الداخلية، ومن جانب اخر تقوية عملية البيع والشراء اذ ان موسم الحج يعتبر من اكبر مواسم الربح للأهل مكة آنذاك التي كانت تصب ارباح طائلة في جيوب مترفيها ، وهذا شكل من اشكال التخصيص في العرض وفرض الاحتكار في الوقت نفسه وتوزيع المحاصصة بين ارباب السوق من التجار.

لم تقتصر هذه الاسواق على عملية البيع والشراء والتبادل التجاري فقط، انما مثله الجانب الاجتماعي والثقافي والاعلامي وغيرها من امور الحياة العامة ووصفها الافغاني⁽⁵⁴⁾ قائلاً: "المعرض العربي العام أيام الجاهلية، معرض بكل ما لهذه الكلمة من مفهوم لدينا نحن أبناء هذا العصر".

لم يكتف اهل مكة بهذا إذ ان طبقة اثرياء مكة وهي المتمركزة على تسير الامور الاقتصادية، وتأخذ كل التدابير التي تصب بمصالحهم وتضمن لهم العمل والريح المستمر، فكانوا في قمة الذكاء في اختلاق النسيء او نسيئة الزيادة او التأخير والتأجيل⁽⁵⁵⁾، فانهم لم يلتزموا بأشهر محدد والتي عرفة عندهم اشهر الحرم وانما قابلة الى الزيادة لم يتوقفوا عند محرم فيحرمون صفر" فكانوا يمكنون بذلك زمانا يحرمون صفر وهم يريدون به المحرم ويقولون: هذا أحد الصفرين"⁽⁵⁶⁾، فانهم محتاجون الى امتداد التحريم لضمان عمل اسواقهم، وبما تحتاجه الضرورة اللازمة بتأخير صفر الى الربيع حتى تدافع شهر بعد شهر لتصبح السنة كلها محرمة وذكر القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخْرُجُونَهُ عَامًا﴾⁽⁵⁷⁾، وهذا فالنسيئة كانت من وسائل ضمان تدفق قوافل الزائرين إلى المشاعر المقدسة في مكة كل بحسب الهه الذي يعبدونه والشعيرة التي يؤمن بها، وكل هذا من اجل اطالة امد السوق وعرض المزيد من السلع.

لم تزودنا المصادر بكثيرٍ عن المجتمع وطبقاته في عصر خزاعة وما ذكرناه اعلاه هو لوجود بعض الاشارة التي يمكن ان نميط اللثام عن بعض الغوامض في ذلك المجتمع الضارب في اعماق التاريخ الغابر، الا ان الوضع في بعض الشيء عن المجتمع المكّي يكون في عصر قريش وتكون دلالات الطبقة وفوارقها تلوح في افق ذلك المجتمع، ويمكن تقسيمه الى طبقات لا سيما في العصر القريب من عصر النبي محمد صلى الله عليه واله، طبقة المألا الاشرف او الصفوة، والطبقة الوسطى والكادحة.

ثبت الهوامش

1. ال عمران، 96.
2. الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، 6/7.
3. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 3/351.
4. ابن فضل الله، مسالك الأبصار، 42/3.
5. ابن سيد الناس، عيون الاثر، 136/1؛ المقرئ، إمتاع الأسماع، 37/1.

6. الازرقى، اخبار مكة، 30.
7. وناس، الفئة الاليعاركية، 31.
8. الازرقى، اخبار مكة، 33.
9. جرحم: احد القبائل العربية التي كان موطنها الاصلي اليمن. ابن عبد البر، الإنباه على قبائل الرواة، 77.
10. البغوي، معالم التنزيل، 355/4.
11. ابراهيم، 37.
12. البقره، 127.
13. انساب الاشراف، 8/1.
14. الحج، 27.
15. الحج، 26.
16. الازرقى، اخبار مكة، 56؛ ابن قتيبة الدينوري، المعارف، 34؛ المقدسي، البدء والتاريخ، 124/4.
17. الازرقى، اخبار مكة، 56.
18. بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، 356-357.
19. السيرة النبوية، 77/1.
20. انساب الاشراف، 8/1.
21. ثمامة: تقع جنوب مكة ويمكننا ان نطلق عليها المنطقة الواصل او الفاصلة بين الحجاز واليمن، وان صحاريها تتصل ببادية مكة، ابن الفقيه، البلدان، 84؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 63/2؛ الحميري، الروض المعطار، 141.
22. قطورا: هم بقايا العماليق. القلقشندي، نهاية الارب، 401. الا ان ابن هشام لديه رأي يختلف، إذ انه اعددهم ابناء عم جرحم اظعنوا سووية من اليمن. السيرة النبوية، 112/1. في نهاية المطاف حصل حراع بينهم، حسم لصالح جرحم وانفردت لوحدها بولاية مكة. الازرقى، اخبار مكة، 56-57.
23. الفاكهي، اخبار مكة في قديم الدهر، 129/4.
24. اليعقوبي، البلدان، 153؛ وناس، الفئة الاليعاركية، 34.
25. خزاعة: حي من الأزد، إنما سموا خزاعة لأنهم انزعوا عن قومهم حين أقبلوا من مأرب فنزلوا ظهر مكة، وهم بنو عمرو بن ربيعة، وهو لحي وسمه ربيعة بن حارثة. البلاذري، انساب الاشراف، 8/1؛ ابن عبد البر، الإنباه على قبائل الرواة، 82..
26. الدينوري، الاخبار الطوال، 33؛ برو، تاريخ العرب القديم، 170.
27. عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو ابن عامر ويكنى أبو ثمامة ورئيس خزاعة عندما انتصروا على جرحم، وحدثت تغيرات اجتماعية واقتصادية في مكة ابان توليه امرها. الزركلي، الاعلام، 83/5.
28. ابن حبيب، المنمق اخبار قريش، 328؛ البزار، مسند البزار، 384/15.

- 29 ابن هشام، التيجان في ملوك حمير، 217؛ البكري، المسالك والممالك، 168/1؛ أبو البقاء الحلبي، المناقب المزيديّة، 310/1.
- 30 المنتظم، 232/2.
- 31 ابن الكلبي، الأصنام، 27.
- 32 الزمر، 3.
- 33 مكة والمدينة، 116.
- 34 تألفت حولهم قصة اسطورية على انهم قدموا الى الحج وهم من جرهم، وجدوا غفلة ففجر أساف بنائلة في الكعبة؛ فمسحوا حجرين، فوضعا على الصفا والمروة. ابن الكلبي، الاصنام، 9؛ الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، 425.
- 35 ابن الجوزي، المنتظم، 232/2.
- 36 ابن سعيد، نشوة الطرب، 211.
- 37 ابن سعيد، نشوة الطرب، 212.
- 38 الروض الأنف، 11/2.
- 39 السهيلي، الروض الأنف، 211/1.
- 40 الصدوق، علل الشرائع، 408/2-409.
- 41 مكى بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، 1884/3.
- 42 نطق به القرآن في قوله تعالى: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ). التوبة، 36. والاشهر الحرام هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، والتي حرم بها الاقتتال واستثمرتها الطبقة المنتفذة في المجتمع المكي بطريقة ذكية لمصالحهم الاقتصادية وجنوا اموال طائلة من جراء ذلك فستمدوا منها قوتهم بين العرب بذلك اصبحت اسواقهم تشهد حركة اقتصادية كبيرة بسبب الوافدين اليها من مختلف الاماكن وهم امنين على انفسهم واموالهم، من اي اعتداء وكان ذلك نتيجة لما فعلته هذه الطبقة الغنية والتي تقدر دم كل شخص او مجموعة تنتمي الى اي قبيلة كانت تعتدي على الوافدين او الحجيج الى البيت لله. الازرقى، اخبار مكة، 25-30.
- 43 لم تردنا المصادرة بالكثير عن التفاصيل عن تجارة خزاعة ولا تذكر لهم نشاط خارجي في مجال تجارتهم ربما كانت فقط تجاره داخلية.
- 44 لم يكن هناك تاريخ محدد يثير الى الفترة التي ظهرت فيها الاسواق.
- 45 عكاظ: اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية واشهرها، ويقع بين الطائف ومكة، وجاء بهذا الاسم ؛ لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضا. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 142/4.
- 46 ابن الاثير، الكامل في التاريخ، 571/1؛ عزام، موقع عكاظ، 9.

47. الحج، 33.
48. المستخرج، 88.
49. خفارة: اسم لجعل الخفير، وخفرتة إذا أجرته، وخفارة تعني الضريبة التي تؤخذ مقابل حراسة سكان البلد أو حراسة المسافرين. البعلبي، المطلع على ألفاظ المقنع، 198.
50. سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، 818/3.
51. مجنة: سوق يقع أسفل مكة بالقرب من جبل الاصفر. الزمخشري، الجبال والأمكنة، 92.
52. ذي الحجاز: يقع بالقرب من جبل كبكب في أرض قبيلة هذيل، مجاورا لعرفة. الزمخشري، الجبال والأمكنة، 136، 279؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، 55/5.
53. معجم ما استعجم، 959/3.
54. اسواق العرب، 277.
55. الأزهرى، الزاهر في غريب ألفاظ، 134؛ الطيبي، فتوح الغيب، 169/7.
56. المهروي، غريب الحديث، 158/2.
57. التوبة، 37.

قائمة المصادر والمراجع

اولا:المصادر

القران الكريم

- 📖 ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت 630هـ).
- الكامل في التاريخ، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1997م).
- 📖 الأزرقى، محمد بن عبد الله بن أحمد (ت، نحو 250هـ).
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق، علي عمر، (مكتبة الثقافة الدينية، د.ت).
- 📖 الأزهرى، محمد بن أحمد (ت 370هـ).
- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق، مسعد عبد الحميد السعدني، (دار الطلائع، د.ت).
- 📖 الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد (ت 346هـ).
- المسالك والممالك، (بيروت، دار صادر، 2004م).
- 📖 البعلبي، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل شمس الدين (ت 709هـ).
- المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق، محمود الأرناؤوط و ياسين محمود الخطيب، (مكتبة السوادى للتوزيع، 2003م).
- 📖 البغوي، محيي السنة الحسين بن مسعود بن محمد (ت 516هـ).
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق، عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1420هـ).

- 📖 أبو البقاء الحلبي، هبة الله محمد بن نما (ت، ق 6هـ).
- المناقب المزيديّة في أخبار الملوك الأسديّة، تحقيق، محمد عبد القادر خريسات و صالح موسى درادكة، (عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، 1984م).
- 📖 البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ).
- المسالك والممالك، (دار الغرب الإسلامي، 1992م).
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، (بيروت، عالم الكتب، 1403هـ).
- 📖 البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ).
- أنساب الأشراف، تحقيق، سهيل زكار و رياض الزركلي، (بيروت، دار الفكر، 1996م).
- 📖 ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت 597هـ).
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق، محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1992م).
- 📖 ابن حبيب، محمد بن أمية بن عمرو (ت 245هـ).
- المنطق في أخبار قریش، تحقيق، خورشيد أحمد فاروق، (بيروت، عالم الكتب، 1985م).
- 📖 الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 900هـ).
- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، إحسان عباس، ط2، (بيروت، دار السراج، 1980م).
- 📖 الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ).
- الأخبار الطوال، تحقيق، عبد المنعم عامر، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربي، 1960م).
- 📖 الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538هـ).
- الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق، أحمد عبد التواب عوض، (القاهرة، دار الفضيلة، 1999م).
- 📖 ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (ت 685هـ).
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق، الدكتور نصرت عبد الرحمن، (عمان، مكتبة الأقصى، د.ت).
- 📖 سعيد بن منصور، بن شعبة الخراساني (ت 227هـ).
- سنن سعيد بن منصور، تحقيق، حبيب الرحمن الأعظمي، (الهند، الدار السلفية، 1982م).
- 📖 السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت 581هـ).
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق، عمر عبد السلام السلامي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2000م).
- 📖 ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد (ت 734هـ).
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير، تحقيق، إبراهيم محمد رمضان، (بيروت، دار القلم، 1993م).
- 📖 الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى (ت 381هـ).

- علل الشرائع، تحقيق، محمد صادق بحر العلوم، (النجف، المكتبة الحيدرية، 1966م).
- 📖 الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت 743هـ).
- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرب، تحقيق، إياد محمد الغوج، (دبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 2013م).
- 📖 ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم (ت 463هـ).
- الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق، إبراهيم الأبياري، (بيروت، دار الكتاب العربي، 1985م).
- 📖 ابن عرفة، محمد بن محمد الورغمي (ت: 803هـ).
- تفسير ابن عرفة، تحقيق، جلال الأسيوطي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2008م).
- 📖 الفاكهي، محمد بن إسحاق بن العباس (ت 272هـ).
- أخبار مكة في قسمة الدهر وحديثه، تحقيق، عبد الملك عبد الله دهيش، ط2، (بيروت، دار خضر، 1414هـ).
- 📖 ابن فضل الله، أحمد بن يحيى القرشي (ت 749هـ).
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (أبو ظبي، المجمع الثقافي، 1423هـ).
- 📖 ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم (ت 276هـ).
- المعارف، تحقيق، ثروت عكاشة، ط2، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992م).
- 📖 ابن الكلبي، هشام بن محمد أبي النصر ابن السائب ابن بشر (ت 204هـ).
- الأصنام، تحقيق، أحمد زكي باشا، ط4، (القاهرة، دار الكتب المصرية، 2000م).
- 📖 المقدسي، المطهر بن طاهر (ت، نحو 355هـ).
- البدء والتاريخ، (بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت).
- 📖 المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر (ت 845هـ).
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق، محمد عبد الحميد النميسي، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1999م).
- 📖 مكّي بن أبي طالب، حمّوش بن محمد بن مختار القيسي (ت 437هـ).
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمال من فنون علومه، تحقيق، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، (الشارقة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، 2008م).
- 📖 ابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري (ت 213هـ).
- السيرة النبوية، تحقيق، مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، (مصر، مطبعة مصطفى البابي، 1955م).
- 📖 الهروي، أبو غيب القاسم بن سلام بن عبد الله (ت 224هـ).
- غرب الحديث، تحقيق، محمد عبد المعيد خان، (حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، 1964م).
- 📖 ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي (ت 626هـ).

- معجم البلدان، ط2، (بيروت، دار صادر، 1995م).
📖 اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح (ت 284هـ).
- البلدان، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ).

ثانيا: المراجع

- 📖 برو، توفيق.
- تاريخ العرب القديم، ط2، (دار الفكر، 2001م).
📖 بيومي، محمد مهران.
- دراسات في تاريخ العرب القديم، ط2، (دار المعرفة الجامعية، د.ت).
📖 الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت 1396هـ).
- الأعلام، ط15، (دار العلم للملايين، 2002م).
📖 الشريف، أحمد إبراهيم.
- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، (دار الفكر العربي، د.ت).
📖 عزام، عبد الوهاب.
- موقع عكاظ، (القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م).
📖 علي، جواد (ت 1408هـ).
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، (دار الساقية، 2001م).
📖 الفيومي، محمد إبراهيم (ت 1427هـ).
- تاريخ الفكر الديني الجاهلي، ط4، (دار الفكر العربي، 1994م).
📖 وناس، زمان عبيد.
- الفقة الاوليعاركية نشأتها واثرها الاقتصادي والاجتماعي لمكة عصر النبوة دراسة في القرآن الكريم، بحث منشور في مجلة دراسات تاريخية، العدد 25، (جامعة البصرة، 2018م).

الإبداع الفكري عند ابن خلدون في

(ما يعرض للمؤرخين من مغالط)

أ.د/ اسراء حسن فاضل

الجامعة المستنصرية - كلية الآداب - قسم التاريخ

israaahasan@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/05/23 م تاريخ التحكيم: 2021/06/01 م تاريخ النشر: 2021/06/15 م
الملخص:

يعد ابن خلدون (ت808هـ/1405م)، أول العلماء المفكرين المسلمين، الذي كتب في موضوع نادر في غاية الأهمية، استهل به كتابه المشهور - المقدمة - بعنوان (ما يعرض للمؤرخين من مغالط وذكر شئ من أسبابها)، ابدع فيه، واغناه بأفكاره وأرائه الجديدة، وتعليقاته الفريدة، وتحليلاته السديدة، وحججه القوية، مبيناً الهدف من تناوله، والفائدة من الكتابة فيه، موضحاً أسباب الوقوع في تلك المغالط، التي زلت فيها أقلام المؤرخين الأوائل من أمثال اليعقوبي (292هـ)، والطبري (310هـ)، والمسعودي (346هـ) وغيرهم، مشيراً إلى وسائل اكتشافها وكيفية تجنبها، ولقد نال الموضوع هذا، اهتماماً بالغاً، وعناية فائقة من لدنه جاعلاً إياه مفتاح مقدمته. مشيراً بذلك إلى حيثيات ما يحصل للمؤرخين من مغالط التي حددها بخمسة أسباب رئيسية مفضية إلى الغلط، والمقتضية للكذب في الاخبار، يتناول ابن خلدون المغالط التي وقع بها المؤرخون، كأدله على ما قرره، مبيناً أسبابها ودوافعها الظاهر منها والخفي، بالمطابقة والامكان والاستحالة. وفي هذا الصدد يناقش ابن خلدون عدة روايات. والتي سيتضمنها البحث مع تفاصيل أخرى وراء ومناقشات ذكرت في ثناياه. الكلمات المفتاحية: ابن خلدون - المقدمة - مغالط المؤرخين.

Intellectual creativity of Ibn Khaldun in (Fallacies that are presented to historians)

Abstract:

Ibn Khaldun (d. 808 AH / 1405 CE) was considered the first Muslim philosophers, who wrote on a rare topic of great importance, with which he began his famous book - Introduction - entitled (What is presented to historians of fallacies and mentioned something of their causes). And his unique explanations, good analyzes, and strong arguments, indicating the purpose of dealing with it, and the benefit of writing in it, explaining the reasons for falling into those fallacies, in which the pens of early historians such as Al-Yaqubi (292 AH), Al-Tabari (310

AH), Al-Masoudi (346 AH), and others remained. Pointing to the means of discovering them and how to avoid them, and this topic has received great attention and great care from it, making it the key to its introduction.

He was referring to this to the reasons for the fallacies that happen to historians, which he identified with five main reasons leading to the error, and the necessity for lying in the news. Ibn Khaldun deals with the fallacies that historians have fallen into as evidence for what he decided, indicating their apparent and hidden causes and motives, with conformity, possibility, and impossibility. In this regard, Ibn Khaldun discusses several accounts. Which will be included in the research, along with other details, opinions and discussions mentioned in it.

Key words: Ibn Khaldun- Introduction- historians of fallacies.

البحث:

إنَّ تاريخ الأمة في حيويته وأصالته، لا يتحدد ببداية، ولا يؤرخ بحدث، فهو مسيرة متصلة من بدايات ارتبطت بنشأة الأمة وتكوينها التاريخي الموهل في القدم، أكّد ذلك المؤرخون من أمثال، خليفة بن خياط (ت 240هـ)⁽¹⁾ وابن حبيب (ت 245هـ)⁽²⁾ والمسعودي (ت 346هـ)⁽³⁾ وابن الأثير (ت 630هـ)⁽⁴⁾ والسخاوي (ت 902هـ)⁽⁵⁾، وهو لا يزال، ذاكرة الأمة وسجل لإرادتها ومآثرها، ووعاء لتجارها، وصورة لحركتها ومسيرتها في الحياة، إذ به كما يقول ابن دحية (تعرف المناقب والمفاخر ويدرك العلم الأول والآخر)⁽⁶⁾. وينقل السخاوي عن الكمال جعفر الأدفوي قوله: (... لقد وضع فيه السادة الحفاظ والأئمة العلماء الأيقاظ كتباً تكاثر نجوم السماء، ثم منهم يقيّن من رتب على السنين، ومنهم من رتب على الأسماء ليكون أسنى وأسمى، ثم منهم من خص بعض البلاد، ومنهم من عمّ كل قطر وناد)⁽⁷⁾. رغب في الاطلاع عليه سادة الأمم والقبائل وأهل المحامد والفضائل، إذ أنّ الاطلاع في أخبار الناس مرآة الناظر تصرف عن المحاسن والمقايح، ويهذب ذوي البصائر والقرائح⁽⁸⁾.

ولقد أدرك العلماء العرب، أهمية التاريخ وتأثيره في حياة الفرد والجماعة، فنبهوا على ضرورة تعلمه وتعليمه، واستنباط حكمه وأمثاله، وتدبر سياساته وتقلب أحواله، لستموا النفس بمعرفتها، وتعتبر بعد الاطلاع عليها. يقول الكافيجي الحنفى: (إنَّ التاريخ من المهمات العظام، مقبول عند الأنعام، اشتمل على فكر وعبر، ومنطوق على مصالح ومآحسن على وجه معتبر، ولولاه لم يصل إلينا لا خبر ولا أثر، وهو

غذاء الأرواح والأشباح خزانة أخبار الناس والرجال، معدن العجائب والغرائب والروايات والأمثال، زين الأديب، وعمدة اللبيب، عون المحدث، وذخر الأديب، يحتاج إليه الملك والقائد البصير وغيرهم ممن عز أمرهم⁽⁹⁾.

والتاريخ عند ابن خلدون: (هو فن من الفنون، التي تتداوله الأمم والأجيال، وتشد إليه الركائب والرجال، وتسمو إلى معرفته السوق والأغفال وتتنافس فيه الملوك والاقبال، وتتساوى في فهمه العلماء والجهال، إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى)⁽¹⁰⁾، ولكونه خيراً - كما يقول - فإنه يحتمل الصدق والكذب، والمدخول والمنحول، والصحيح والغلط، والسليم والسقيم، والغث والسمين، والواقع والخيال، والاقتضاب والاطناب، والتهويل والمبالغة، والحقيقة والوهم، والدس والتشويه، ولهذا يلزم فيه التدقيق والتحليل، والنظر والتحقيق للوصول إلى الحقيقة مجردة من الميل والهوى.

ولهذا قال الطبري: (وليعلم الناظر في كتابنا هذا أن اعتماداً في كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أني راسمه فيه، إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط بفكر النفوس، إلا اليسير القليل منه، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين، وما هو كائن من أنباء الحادئين، غير واصل إلى من لم يشاهداهم ولم يدرك زمانهم، إلا بأخبار المخبرين، ونقل الناقلين، دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس، فما يكن في كتابي هذا خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكر قارئه، أو يستشعنه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا، وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا)⁽¹¹⁾.

لقد تبّه الطبري في قوله هذا، القارئ والباحث، إلى مسألة في غاية الأهمية، جوهرها (النظر والتدقيق، قبل القبول والتصديق) لأن منهجه كما ذكر، هو تدوين كل الأقوال التي وردت إليه في الحادثة الواحدة، تاركاً مهمة الترجيح والقبول والتصديق إلى الباحث، لعلّ له أن الخير أو الرواية التاريخية مفتوحة

على كل الاحتمالات وعلى الباحث أن يمحس ويدقق تلك الراوية ويقارنها مع الروايات الأخرى، وينقدها إيجابياً وسلبياً، ظاهراً وباطناً، آخذها بزمان وقوعها والظروف التي أحاطت بها، فإذا تبين له من خلال ذلك كله، وجه الصحة في الراوية أخذ بها واعتمدها، وإلا فليتركها لافتقارها الى الصحة والدقة والعدالة. اما ابن خلدون، فكان أدق وأوضح في بيان أوجه التضعيف والتلفيق والوضع والاختلاف في الروايات التاريخية وعلة عدم التصدي لها وكشف زيفها وإثبات صحتها، فقال: (وفي باطنه -أي التاريخ- نظر وتحقيق، وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات والوقائع وأسبابها عميق ... وأنَّ فحول المؤرخين في الإسلام، استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطوها المتطفلون بدسائس من الباطل وهمو فيها وابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممن بعدهم واتبعوها وأدوها إلينا كما سمعوها ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال، ولم يروها، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها، فالتحقيق قليل، وطرق التنقيح في الغالب قليل، والغلط والوهم تسبب للأخبار واخليل ... والناقل انما هو يملئ وينقل، والبصيرة تنقد الصحيح إذا تمقل، والعلم يجلوها صفحات القلوب ويصقل ... والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم، فللعمران طبائع في أحواله ترجع إليها الأخبار، وتحمل عليها الروايات والآثار)⁽¹²⁾.

إنَّ ابن خلدون يُعد أول من تنبه وتنبه على ضرورة نقد هذه المنهجية وتعديل مسارها بالأدلة والحجج وصولاً لقبول صحيح رواياتها، ورفض غلطها. ولأهمية هذا الموضوع عنده، فإنه استهل به كتابه المشهور (المقدمة) بعنوان (لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها)⁽¹³⁾. فقال: (اعلم أنَّ فن التاريخ فنُّ عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم، والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا، فهو محتاج الى مآخذ متعددة، ومعارف متنوعة، وحسن نظر وثبتت يفضيان صاحبهما الى الحق، وينكبان به عن المزلات والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب

منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الحق، وكثيراً ما وقع للمرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سيروها بمعيار الحكمة، والقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلوا عن الحق، وتاهوا في بيداء الوهم والغلط⁽¹⁴⁾. أما الأسباب المفضية إلى الغلط والمقتضية للكذب في الأخبار، فيذكرها في أول الكتاب الأول من كتابه المقدمة، نجلها على شكل نقاط كالآتي:

1 - الجهل بطبائع الأحوال في العمران، فإن كل حادث من الحوادث ذاتاً كان أو فعلاً لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله، فإذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب، وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض.

2 - الثقة بالناقلين، وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح.

3 - الذهول عن المقاصد، فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع، وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب.

4 - الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما بداخلها من التلبيس والتصنع، فينقلها المخبر كما رآها، وهي بالتصنع على غير الحق في نفسه.

5 - تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التحلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال، وإشاعة الذكر بذلك، فستفيض الأخبار بما على غير حقيقة⁽¹⁵⁾.

وبعد هذا كله، يتناول ابن خلدون المغالط التي وقع بها المؤرخون، كأدلة على ما ذهب إليه، مبيناً أسبابها ودوافعها الظاهرة منها والخفية، بالمطابقة والإمكان والاستحالة، فذكر الكثير منها⁽¹⁶⁾، وهي عنده على قسمين⁽¹⁷⁾:

القسم الأول: مغالط جلية ظاهرة.

القسم الثاني: مغالط خفية مستورة.

نقتبس بعضاً من القسمين على سبيل المثال لا الحصر دفعاً للإطالة.

فمن مغالط القسم الأول، وهي المغالط الجلية الظاهرة التي وقع فيها المؤرخون والمفسرون وأئمة النقل، بسبب اعتمادهم على مجرد نقل الحكايات والوقائع، غثاً أو سميناً، فلم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشباهها، ولا سيروها بمعيار الحكمة، ولا حَكَّمُوا النظر والبصيرة فيها⁽¹⁸⁾، ومن أول مغالط هذا النوع، على تصنيف ابن خلدون، ما وقع فيه المسعودي⁽¹⁹⁾ وكثير من المؤرخين في جيوش بني إسرائيل بأنَّ موسى عليه السلام أحصاهم في التيه بعد أن أجاز من يطبق حمل السلاح خاصة من ابن عشرين فما فوقها، فكانوا أكثر من 600000 (ستمائة ألف أو يزيدون)⁽²⁰⁾.

أما الكثيرون الذين وقعوا في هذا النوع من المغالط لم يذكر ابن خلدون أسمائهم، فذكر على الأقل اثنين منهم المعاصرين للمسعودي كدليل على صحة ما ذهب إليه، وهما يعقوبي (ت 292هـ) والطبري (ت 310هـ).

فاليقوي، يذكر العدد الذي خرج به موسى عليه السلام كان 600 ألف إنسان بالغ⁽²¹⁾، وفي رواية أخرى له، أنَّ العدد كان 603550 رجلاً ممن بلغ العشرين فما فوق الى الستين ممن يحمل السلاح⁽²²⁾، مستبعداً من كان دون العشرين وفوق الستين من الذكور، وكذلك الذرية من الإناث. أما الطبري، فيذكر أنَّ العدد الذي خرج به موسى عليه السلام من بني إسرائيل كان 620000 مقاتل لا يعدون ابن العشرين لصغره، ولا ابن الستين لكبره، وإنما عدوا ما بين ذلك سوى الذرية⁽²³⁾.

ويكشف ابن خلدون الغلط الذي وقع فيه المسعودي وغيره من المؤرخين في ذكر الأعداد المبالغ

فيها من بني إسرائيل الذي خرج بهم موسى عليه السلام هرباً من فرعون مصر، بقوله:

1 - إنَّ الذي بين موسى وإسرائيل إنما هو أربعة آباء على ما ذكره المحققون، فإنَّ موسى بن عمران بن

يصهر بن قاهت بن لاوي بن يعقوب وهو إسرائيل الله، هكذا نسبه في التوراة، والمدة بينهما على ما

نقله المسعودي، قال دخل اسرائيل مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا الى يوسف سبعين نفساً، وكان مقامهم بمصر الى أن خرجوا مع موسى عليه السلام الى التيه مائتين وعشرين سنة، تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة، ويبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال الى مثل هذا العدد.

2 - لو بلغ بنو اسرائيل مثل هذا العدد لاتسع نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم، فإنّ العمالات والممالك في الدول على نسبة الحامية والقبيل القائمين بها في قتلها وكثرتها. والقوم لم تتسع ممالكهم قياساً باتساع ممالك الفرس والروم ومن سبقهم من الدول والأمم، الذين كانت جيوشهم أقل بكثير من عدد جيوش بني اسرائيل⁽²⁴⁾.

3 - يمكن أن نضيف دليلاً قاطعاً لا شك فيه يقصد رأي ابن خلدون ويكشف المغالط التي وقع فيها المؤرخون في ذكرهم للعدد المبالغ فيه كثيراً لبني اسرائيل، وهو قوله تعالى: {وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ} (52) فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54){⁽²⁵⁾. والشرذمة من الناس، هم الجماعة القليلة، ولا يقال لمن بلغ عددهم (ستمائة ألف أو يزيدون) من الذكور ممن يطبق حمل السلاح من ابن عشرين سنة فما فوقها، بأنهم شرذمة، أي قلة قليلة.

ومن المفارقات الغريبة أو من المغالط على حد تعبير ابن خلدون، ما ذكره اليعقوبي حول السراشق وقبة الزمان، حيث قال: (إنّ الله أمر موسى أن يبني في التيه قبة الزمان، فعمل سراشقا طوله 100 ذراع -50م- وعرضه 50 ذراعاً -25م- وفي مقدمته الهيكل وتابوت السكينة لا يدخله إلا هارون وموسى على الستر، وسائر بني اسرائيل في السراشق)⁽²⁶⁾.

فإذا كان عدد بنو اسرائيل من المقاتلين الذكور ممن هم فوق العشرين ودون الستين، الذين ذكرهم المسعودي وغيره من المؤرخين، قد بلغ أكثر من 600000 (ستمائة ألف) مقاتل، فإذا أُضيف إليهم الذكور دون العشرين ودون الستين والإناث، فالعدد سيرتفع الى (1,5 مليون الى 2 مليون)، فلو

قسّمنا على أقل تقدير 1,5 مليون منهم على مساحة السرادق البالغة 1250م²، فسيكون الناتج 1200 إنسان في المتر المربع الواحد، وهذا مستحيل وقوعه.

ومن هذا النوع من المغالط، الذي وقع فيها بعض المؤرخين من امثال الطبري⁽²⁷⁾ والمسعودي⁽²⁸⁾، في خبر تُبّع وهو اسعد أبو كرب، وكان على عهد يستأسف من ملوك الفرس الكيانية⁽²⁹⁾، (وانه ملك الموصل وأذربيجان ولقى الترك فهزمهم وأثخن، ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك، وأثّه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس والى بلاد الصغد من بلاد أمم الترك وراء النهر، والى بلاد الروم فملك لأول البلاد الى سمرقند وقطع المغازة الى الصين فوجد أخاه الثاني الذي غزا الى سمرقند قد سبقه إليها فأثخننا في بلاد الصين ورجعا جميعاً بالغنائم وتركوا ببلاد الصين قبائل من حمير، وهم بما الى عهد ابن خلدون وبلغ الثالث الى قسطنطينية فدرسها ودوخ بلاد الروم ورجع⁽³⁰⁾. ويضيف الطبري: (انه غزا الحيرة والأنبار أيضاً، وأثّه هو الذي دخل الصين، فقتل المقاتلة، واكتسح ما وجد فيها -وليس أبنائها- وكان مقامه في الصين ورجعته منها في سبع سنين، وأثّه خلف بالتبت اثني عشر ألف فارس من حمير، فهم أهل التبت، وهم اليوم يزعمون أنهم عرب، وخلقهم وألوانهم خلق العرب وألوانها⁽³¹⁾). والمسعودي يضيف الى ذلك، بلاد خراسان، وسجستان⁽³²⁾. يقول ابن خلدون: (وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة، عريقة في الوهم والغلط، وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة، ويعلل ذلك، بأن ملك التبابعة انما كان بتحريره العرب وقرارهم وكرسيهم بصنعاء اليهم... ولم ينقل قط أنّ التبابعة حاربوا أحداً من هؤلاء الأمم... ولا ملكوا شيئاً من تلك الأعمال، وأيضاً الثقة من البحر الى بعيدة، وتحتاج الجيوش الى تأمين الامدادات من غذاء وعلوفة للعساكر الكثيرة ومسك الأرض وتأمينها، أما غزوهم بلاد المشرق وأرض الترك والصين وما إليها من بلاد العراق وبلاد الروم وتدمير القسطنطينية، فهذا محال، لأنّ الثقة هنا أبعد، وأمم فارس والروم معترضون فيها دون الترك، ولم ينقل قط أنّ التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم... فمجاورة أرض الفرس بالغزو الى بلاد الترك والتبت والصين وأرض الروم، ممتنع عادةً من أجل الأمم المعترضة والحاجة الى الأزودة والعلوفات مع بعد الثقة كما مر، فالأخبار بذلك واهية مدخولة⁽³³⁾).

ومن هذا الصنف من المغالط أيضاً، الذي يقول عنه ابن خلدون: (ومن الحكايات المدخولة للمؤرخين، ما ينقلونه في سبب إيقاع الخليفة الرشيد بالبرامكة من قصة العباسية اخته -وهي ابنة الخليفة المهدي العباسي وزوجها محمد بن سليمان الشرقي⁽³⁴⁾- مع جعفر بن يحيى مولاه، وأنه لكلفه بمكانهما، إذنَ لهما في عقد النكاح دون الخلوة حرصاً على اجتماعهما في مجلسه، وأنَّ العباسية تحيلت عليه في التماس الخلوة به لما شغفها من حبه حتى واقعها، زعموا في حالة سكر فحملت منه، ووشي بذلك للرشيد، فاستغضب⁽³⁵⁾). فأوقع بالبرامكة سنة 187هـ⁽³⁶⁾، ويذكر المسعودي، أنَّ الخليفة الرشيد أخذ على جعفر البرمكي عهد الله وموآثيقه وغلظ إيمانه أنه لا يخلو بها -أي بالعباسية- ولا يجلس معها، ولا يظله وإياها سقف بيت إلا وأمير المؤمنين الرشيد ثالثهما، فحلف له جعفر على ذلك، ورضي به، وألزمه نفسه⁽³⁷⁾، فلما خالف ذلك وفعل ما فعل وعلم الخليفة الرشيد بذلك، أمر بقتله، وحبس الآخرين، فصادر أموالهم وقبض ضياعهم. والقصة هذه لم يذكرها خليفة بن خياط (ت 240هـ)⁽³⁸⁾، ولا الفسوي (ت 277هـ)⁽³⁹⁾، ولا اليعقوبي (ت 292هـ)⁽⁴⁰⁾، وهم أقرب إلى الحدث من غيرهم.

والقصة بهذا الشكل ينفيها ابن خلدون جملةً وتفصيلاً، كما نفاها غيره، واعتبرها من الحكايات

المدخولة للمؤرخين، ويسوق الأدلة العقلية والمنطقية على أنها من الروايات المستنكرة والمكذوبة، فقال:

1 -هيهات وقوع ذلك من منصب العباسية في دينها وأبويها وجلالهما، وأنها بنت عبد الله بن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، ليس بينها وبينه إلا أربعة رجال هم أشرف الدين وعظماء الملة من بعده، فهي ابنة خليفة وأخت خليفة... البعيدة عن عوائد الترف، ومراتع الفواحش -وصفوها بالعنف وصلاح الدين وكرم الأخلاق وطهارة المنبت وحسن السيرة والدين- فأين يطلب الصون والعفاف إذا ذهب عنها، أو أين توجد الطهارة والزكاء إذا فقد من بيتها⁽⁴¹⁾.

2 -كيف تلحم نسبها بجعفر بن يحيى وتدنس شرفها العربي بمولاً من موالى العجم.

3 -كيف يسوغ للخليفة الرشيد وهو المعروف بتقواه وزهده وجهاده أن يصهر إلى موالى العجم على بعد همته وعظم ابائه، وهو ما ينكره ويستنكف منه أبسط الناس، لعدم التكافؤ⁽⁴²⁾.

4 - إنها كانت متزوجة من محمد بن سلمان وهي بعصمته ولها منه ولدين⁽⁴³⁾، فلا يصح أصلاً دينياً وأخلاقياً عقد الزواج على جعفر بن يحيى البرمكي وهي بعصمة زوجها، فضلاً عن شروط الزواج التي ذكرها من روى القصة، هي شروط فاسدة، مخالفة للشرع الإسلامي.

يقول ابن خلدون، لو نظر المتأمل في ذلك نظر المنصف، لاستنكره ولج في تكذيبه⁽⁴⁴⁾.

ومن المفيد جداً، أن نذكر الأسباب الحقيقية التي ذكرها ابن خلدون في إيقاع الخليفة هارون الرشيد بالبرامكة، فقال:

1 - استبدادهم على الدولة واحتجافهم أموال الجباية، حتى أن الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل إليه.

2 - إنهم غلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه، ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه.

3 - استيلائهم على مناصب الدولة المهمة من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم، فكان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيساً من بين صاحب سيف وصاحب قلم.

4 - إنهم زاحموا أهل الدولة بالمناكب ودفعوا عن المناصب بالراح.

5 - استولوا على القرى والضواحي والأمصار في سائر الممالك.

6 - التبرمك من أموال الدولة لشراء الذمم، فانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الأموال، وتخطت إليهم من أقصى التخوم وهدايا الملوك وتحف الأمراء ... ومدحوا بما لم يمدح به خليفاتهم.

7 - اطلاقهم يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى، الذي ثار على الرشيد سنة 176هـ بالدليم⁽⁴⁵⁾، ونزل على صلح الفضل بن يحيى البرمكي فأتى به بغداد، فقبض عليه الرشيد ودفعه الى جعفر البرمكي وجعل اعتقاله بداره، فأطلقه سنة 187هـ⁽⁴⁶⁾، دون علم الخليفة الذي علم بالأمر، فقال لجعفر بعد خروجه من مجلسه: (قتلني الله إن لم أقتلك)، فكان من أمره ما كان⁽⁴⁷⁾.

8 - وهناك أسباب أخرى مهمة ذكرها المؤرخون، يأتي في مقدمتها ما ذكره الطبري من: (أنَّ الفضل بن يحيى البرمكي حين تولى خراسان سنة 178هـ، اتخذ بها جنداً من العجم سماهم العباسية وجعل ولاءهم لهم، وأنَّ عدتهم بلغت خمسمائة ألف رجل، وأنَّه قدم منهم ببغداد عشرون ألف رجل فسموا ببغداد الكرنية، وخلف الباقي منهم بخراسان على أسمائهم ودفاترهم)⁽⁴⁸⁾ مما أثار حفيظة الخليفة وساورته الشكوك وداهمته الريبة في هذا العمل الذي قد يراد منه قلب نظام الحكم عليه، فسارع وألَّف فرقة من العرب وجعل مقامها في بغداد تحسباً لأي طارئ. وهذه وغيرها فادحة في الملك واهية للسلطان، لا يقبل بها آحاد الأمة، فكيف يقبلها الخليفة الرشيد وهو من عظماء الخلفاء، ولهذا اتخذ إجراءاتهم، حمايةً لسلطانه وحفاظاً على مصلحة الأمة.

القسم الثاني: مغالط خفية مستورة، يقول ابن خلدون عنها: (ومن الغلط الخفي في التاريخ، الدهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدل الأعصار ومرور الأيام، هو داءٌ دويٌّ شديد الخفاء، إذ لا يقع إلا بعد أحقاب طويلة، فلا يكاد يفطن له إلا الآحاد من أهل الخليفة، وذلك أنَّ أحوال العالم والأمم وعوائلهم ونخلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة، وانتقال من حالٍ إلى حالٍ، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة والدول {سُتَّ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ}⁽⁴⁹⁾ ⁽⁵⁰⁾. ويدل على ذلك بانتقال أحوال أمم الفرس الأولى والسريانيون والنبط والتبابعة والقبط إلى أحوال أخرى فجاء بعدهم الفرس الثانية والروم والعرب، ثم تبدل ذلك بمجيئ الإسلام، وهكذا تتبدل الأحوال والعوائد، فلا تستقر على حالٍ واحدة، ولهذا يقول: (ومن الغلط غير مأمونة، تخرجه مع الدهول والغفلة عن قصده، وتعوج به عن مراميه، فربما يسمع السامع كثيراً من أخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغير الأحوال وانقلابها، فيجر بها لأول وهلة على ما عرف وقيسها بما شهد، وقد يكون الفرق بينهما كثيراً، فيقع في مهواة من الغلط)⁽⁵¹⁾.

يقول ابن خلدون: (ومن هذا الباب، ما يتوهمه المتصفحون لكتب التاريخ إذا سمعوا أحوال القضاة وما كانوا عليه من الرئاسة في الحروب وقؤود العساكر، فتترامى بهم وسادس الهمم إلى مثل تلك

الرتب، يحسبون أنَّ الشأن خطة القضاء لهذا العهد على ما كان عليه من قبل، ويظنون بأنَّ أبي عامر صاحب هشام المستبد عليه وابن عباد من ملوك الطوائف بإشيلية إذا سمعوا أنَّ آباءهم كانوا قضاة أنَّهم مثل القضاة لهذا العهد، ولا يفتنون لما وقع في رتبة القضاء من مخالفة والعوائد، وابن أبي عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القائمين بالدولة الأموية بالأندلس وأهل عصبيتها، وكان مكانهم فيها معلوماً، ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرئاسة والملك بخطة القضاء كما هي لهذا العهد، بل إنما كان القضاء في الأمر القديم لأهل العصبية من قبيل الدولة ومواليها، وانظر خروجهم بالعساكر في الطوائف وتقليدهم عظام الأمور التي لا تقلد إلا لمن له الغنى فيها بالعصبية، فيغلط السامع في ذلك ويحمل الأحوال على غير ما هي، وأكثر ما يقع في هذا الغلط ضعفاء البصائر من أهل الأنندلس لهذا العهد، لفقدان العصبية في مواطنهم منذ أعصار بعيدة⁽⁵²⁾.

ومن هذا الباب أيضاً كما يقول ابن خلدون: (ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول ونسق ملوكها، فيذكرون اسمه ونسبه وأباه وأمه ونسائه ولقبه وخاتمه... كل ذلك تقليد لمؤرخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم، والمؤرخون لذلك العهد يضعون تواريخهم لأهل الدولة، وأبناءؤها متشوقون إلى سير أسلافهم ومعرفة أحوالهم يقتفوا آثارهم وينسجوا على منوالهم، حتى في اصطناع الرجال من خلف دولتهم، وتقليد الخطط والمراتب لأبناء صنائعهم وذويهم، فما الفائدة للمصنف في هذا العهد - عهد ابن خلدون - في ذكر الأبناء والنساء ونقش الخاتم واللقب.. إنما حملهم على ذلك التقليد والغفلة عن مقاصد المؤلفين الأقدمين والذهول عن تحري الأغراض من التاريخ)⁽⁵³⁾.

ومنها ما يعرض للسامعين قبول الأخبار المستحيلة وينقلونها وتؤثر عنهم، فيذكر ابن خلدون في هذا الصدد: (ما نقله المسعودي عن الاسكندر لما صدته دواب البحر عن بناء الاسكندرية، وكيف اتخذ تابوتاً من الخشب وفي باطنه صندوق الزجاج وغاص فيه إلى قاع البحر - ومعه رجالان من كتّابه ممن لهم علم بإتقان التصوير - حتى كتب صور تلك الدواب الشيطانية إلى رآها، وعمل تماثيلها من اجساد معدنية، ونصبها حذاء البنيان، نفرت تلك الدواب حين خرجت وعابتها، وتم له بناؤها)⁽⁵⁴⁾.

يعلق ابن خلدون عن هذه الرواية بقوله: (حكاية طويلة من أحاديث خرافة مستحيلة من قبل اتخاذ التابوت الزجاجي ومصادمة البحر وأمواجه بجرمه، ومن قبل أن الملك لا تحمل أنفاسها على مثل هذا الغرر، ومن اعتمده منهم فقد عرّض نفسه للهلكة وانتقاص العقدة واجتماع الناس الى غيره، وفي ذلك اتلافه، ولا ينتظرون به رجوعه عن غرور ذلك طرفة عين، ومن قبل أن الجن لا يعرف لها صور ولا تماثيل تختص بها، إنما هي قادرة على التشكل، ومنا يذكر من كثرة الرؤوس لها، فإنما المراد البشاعة والتهويل لا أنه حقيقة. وهذه كلها قاذحة في تلك الحكاية، والقادح المحيل لها من طريق الوجود أثبت من هذا كله، وهو أن المنغمس في الماء ولو كان في الصندوق يضيق عليه الهواء للتنفس الطبيعي، وتسخن روحه بسرعة لقلته، فيفقد صاحبه الهواء البارد المعدل لمزاج الرئة والروح القلبي، ويهلك مكانه، وهذا هو السبب في هلاك أهل الحمامات إذا طبقت عليهم عن الهواء البارد، والمتدلين في الآبار والمطامير العميقة المهوى إذا سخن هواؤه بالعفونة ولم تداخلها الرياح فتدخلها، فإن المتدلي فيها يهلك حينه)⁽⁵⁵⁾.

يقول ابن خلدون عن هذه المغالط وغيرها التي ذكرها⁽⁵⁶⁾: (قد زلت أقدام كثير من الاثبات والمؤرخين الحفاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء وعلقت بأفكارهم ونقلها عنهم الكافة من ضعفه النظر والغفلة عن القياس، وتلقوها هم أيضاً كذلك من غير بحث ولا روية، واندرجت في محفوظاتهم متى صار فن التاريخ واهياً مختلطاً، وناظره مرتبكاً، وعد من مناحي العامة⁽⁵⁷⁾ ولتلافي الوقوع في مثل هذه المغالط او التصديق بها ونقلها دون روية وتدقيق ومقارنة ومقابلة، وإمكان ومستحيل، فإن صاحب هذا الفن يحتاج الى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السير والأخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الأحوال، والإحاطة بالحاضر من ذلك، ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق، أو بون ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف، والقيام على أصول الدول والملل، ومبادئ ظهورها، وأسباب حدوثها، ودواعي كونها، وأحوال القائمين بها وأخبارهم، حتى يكون مستوعباً لأسباب كل حادث واقفاً على أصول كل خبر، وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول فإن وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحاً، وإلا زيفه واستغنى عنه).

الهوامش

- (1) أبو عمر الليثي، كتاب التاريخ، تحقيق أكرم العمري، مطبعة الآداب، ط1، النجف الأشرف، 1967م، ص706.
- (2) أبو جعفر محمد، كتاب المحبر، دار آفاق، بلا، ص805.
- (3) أبو الحسن علي بن الحسين، التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت، 1965م، ص172-178.
- (4) أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، طبعة بيروت، 1965م، 10/1.
- (5) شمس الدين أحمد عبد الرحمن، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مطبوع ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال، ترجمة أحمد صالح العلي، طبعة بغداد، 1963م، ص447.
- (6) أبو الخطاب عمر بن الشيخ (ت 633هـ)، كتاب البراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق عباس الغزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، 1946م، ص2.
- (7) شمس الدين أحمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ)، مصدر سابق، ص424.
- (8) الهمداني، محمد بن عبد الملك (ت 521هـ)، ذيل تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1977م و 1982م، (الكلمة ص1879).
- (9) محي الدين محمد بن سليمان (ت 879هـ)، المختصر في علم التاريخ، مطبوع ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين لروزنثال، المشار إليه سابقاً، ص470.
- (10) عبد الرحمن الحضرمي (ت 808هـ)، المقدمة، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، بلا، ص3-4.
- (11) محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1967م، 8-7/1.
- (12) المقدمة، ص3-4.
- (13) المقدمة، ص9.
- (14) المقدمة، ص9.
- (15) المقدمة، ص29.
- (16) المقدمة، ص9-30.
- (17) المقدمة، ص9-30.
- (18) المقدمة، ص9.
- (19) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، 1964م، 49/1.

-
- (20) مروج الذهب، 49/1.
- (21) أحمد بن أبي يعقوب المعروف بابن واضح الاخباري، كتاب التاريخ، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، 1964م، 27/1.
- (22) كتاب التاريخ، 29/1.
- (23) تاريخ الرسل والملوك، 414/1.
- (24) المقدمة، ص 9-10.
- (25) الشعراء، آية 52-54.
- (26) التاريخ، 27/1.
- (27) تاريخ الرسل والملوك، 560/1-567.
- (28) مروج الذهب ومعان الجوهر، 76/1.
- (29) ابن خلدون، المقدمة، ص 11.
- (30) ابن خلدون، المقدمة، ص 11.
- (31) تاريخ الرسل والملوك، 567/1.
- (32) مروج الذهب ومعادن الجوهر، 76/1.
- (33) المقدمة، ص 11-12.
- (34) البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت 276هـ)، فتوح البلدان، تحقيق عبد اله وأنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987م، ص 513.
- (35) المقدمة، ص 13.
- (36) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 294/8؛ المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، 377/3 و 384.
- (37) مروج الذهب ومعادن الجوهر، 384/3.
- (38) تاريخ، ص 458، حوادث 187هـ.
- (39) أبو يوسف يعقوب بن سفيان، المعرفة والتاريخ، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، 351/3.
- (40) التاريخ، 158/3.
- (41) المقدمة، ص 13.
- (42) المقدمة، ص 14.
- (43) البلاذري، فتوح البلدان، ص 513.
- (44) المقدمة، ص 14.

-
- (45) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 242/8.
- (46) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 289/8.
- (47) المقدمة، ص 14-15؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 289/8.
- (48) تاريخ الرسل والملوك، 257/8، أنظر 287/8-288.
- (49) غافر، آية 85.
- (50) المقدمة، ص 24.
- (51) المقدمة، ص 25.
- (52) المقدمة، ص 25-26.
- (53) المقدمة، ص 26.
- (54) مروج الذهب ومعادن الجوهر، يذكر المسعودي رواية مفصلة طويلة عنها، 371/1-373.
- (55) المقدمة، ص 30.
- (56) المقدمة، ص 9-30.
- (57) المقدمة، ص 23.

المصادر

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت 630هـ).
- 1 - الكامل في التاريخ، طبعة بيروت، 1965م.
- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت 276هـ).
- 2 - فتوح البلدان، تحقيق عبد الله وأنيس الطباع، مؤسسة امعارف، بيروت، 1987م.
- ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت 245هـ).
- 3 - كتاب المحبر، دار آفاق، بلا.
- ابن خياط، خليفة بن خياط بن عمر البشي (ت 240هـ).
- 4 - كتاب التاريخ، تحقيق أكرم العمري، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، 1967م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت 808هـ).
- 5 - المقدمة، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، بلا.
- وطبعة دار ابن الجوزي، ط 1، القاهرة، 2010م.
- ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن الشيخ (ت 633هـ).

-
- 6 - كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، مطبعة المعارف، بغداد، 1946م.
 - السخاوي، مس الدين أحمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ).
 - 7 - الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، مطبوع ضمن كتاب علم التاريخ عن المسلمين لروزنثال ترجمة أحمد صالح العلي، طبعة بغداد، 1963م.
 - الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ).
 - 8 - تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1967م.
 - الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت 277هـ).
 - 9 - المعرفة والتاريخ، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م.
 - الكافيجي، محي الدين محمد بن سليمان (ت 879هـ).
 - 10 - المختصر في علم التاريخ، مطبوع ضمن كتاب التاريخ عند المسلمين لروزنثال، ترجمة أحمد صالح العلي، طبعة بغداد، 1963م.
 - المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ).
 - 11 - التنبيه والإشراف، مكتبة خياط، بيروت، 1965م.
 - 12 - عروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر 1964م.
 - الهمداني، محمد بن عبد الملك (ت 521هـ).
 - 13 - ذبول تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1977م.
 - اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب المعروف بابن واضح الاخباري (ت 292هـ).
 - 14 - كتاب التاريخ، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق، 1964م.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الأسباب الطبيعية للأزمات الاقتصادية حتى نهاية عصر الرسالة

الجفاف وقلة الأمطار (القحط) انموذجاً

أ.م.د. مؤيد إبراهيم محمد العيداني

الباحث عاطف حميد حنتوش العلي

جامعة البصرة/ كلية الآداب/ قسم التاريخ

تاريخ الإيداع: 2021/06/02 م تاريخ التحكيم: 2021/06/09 م تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص بالعربية:

تعد الأسباب والعوامل الطبيعية إحدى أهم العوامل لحدوث الأزمات الاقتصادية التي ألمت بالدولة العربية الإسلامية ونظراً لما تمتعت به منطقة شبه الجزيرة العربية من مناخ قاسي سواء صيفاً أو شتاءً ؛ فقد ساعد ذلك بصورة مباشرة أو غير مباشرة على حدوث حالات من الجفاف والقحط وشحة في الأمطار مرت بها تلك المناطق وهو ما سوف نتناوله في هذا البحث .

**The natural causes of economic crises until the end of the message era
Drought and lack of rain (drought) as a model
Prof. Muayad Ibrahim Muhammad Al-Eidani
the researcher / Atef Hamid Hantoush Al-Ali**

Abstract:

The natural causes and factors are one of the most important factors for the occurrence of the economic crises that afflicted the Arab Islamic State, and given the harsh climate that the Arabian Peninsula region enjoyed, whether in summer or winter. This has helped directly or indirectly to the occurrence of droughts, droughts and scarcity of rain that these areas passed through, which we will deal with in this research.

المقدمة

لقد تناولنا في هذا البحث أهم الأسباب الطبيعية للأزمات الاقتصادية الذي ضربت منطقة شبه الجزيرة العربية من قبل بعثة النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » حتى نهاية عصر الرسالة ، وقد سلطنا الضوء على تلك الأزمات ومن أهمها القحط والجفاف ؛ التي ألم بهم بسبب قساوة المناخ السائد في الجزيرة العربية حيث كانوا لم يبرحوا من أزمة حتى يدخلون في أخرى، متنقلين ما بين الجفاف وقلة الأمطار الى التصحر وما الى ذلك من المشاكل التي اضرت بهم بسبب الطبيعة .

الجفاف وقلة الأمطار (القحط)

من المعروف ان مناخ الجزيرة العربية هو مناخ قاسي ولاسيما مناخ مكة ، إذ أتسم بالتطرف الكبير ، ووصف بالجفاف والحرارة الشديدة صيفاً والجفاف شتاءً مع هطول أمطار قليلة وبمعدلات فجائية وبغزارة أحياناً⁽¹⁾ ، ولعل هذا الوصف نجده حاضراً في أحد الآيات القرآنية الشريفة { رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ }⁽²⁾ التي تحدثت عن مظاهر الطقس والمناخ بصورة عامة في مكة⁽³⁾ .

وان سمة هذا المناخ جاءت بتأثير عوامل متعددة ، من أهمها الموقع الجغرافي لمكة ، فاذا نظرنا لموقع مكة نجدها تقع بين دوائر العرض (19 : 25 : 1 شمالاً) وعلى خطوط الطول (46 : 49 : 39 شرقاً) ، وهذا يعني إنها تقع في الطرف الشمالي للمنطقة المدارية الشمالية⁽⁴⁾ .

فمكة تميزت بإرتفاع درجات الحرارة في كل مواسم السنة ؛ ذلك لأنها تقع ضمن المنطقة المدارية في الكتلة اليابسة مترامية الأطراف ، لوجودها وسط الجبال التي تمنع وصول تأثير البحار عليها⁽⁵⁾ . وذلك لصفاء سمائها وفقر غطاءها النباتي⁽⁶⁾ وبالرغم من حرارتها الشديدة إلا أنها في بعض الأحيان قد تنخفض درجات الحرارة لتصل (48 درجة) كما تنخفض في فصل الشتاء الى (8 درجات) وتشتد الحرارة وسرعة الرياح في أثناء النهار فكادت تخدم الانفاس ويكون في الحرم حر عظيم ورياح توصف بأنها قاتلة⁽⁷⁾ . كما وصف أحد الجغرافيين المسلمين أجواء مكة بأنها حارة في الصيف إلا ان ليلها طيب⁽⁸⁾ ، كما تمتاز بوعورة تضاريسها وهو المعروف والمشهور عند أغلب من زارها من البلدانين المسلمين⁽⁹⁾ .

ومن تضاريس مكة المعروفة والمشهورة هي ؛ الجبال والمضارب والتلال والوديان وبعض السهول التي تنحدر من تلك المرتفعات تسمى (الشعاب)⁽¹⁰⁾ او (الثنيات) ، وتقع المدينة القديمة بين تلك الجبال والشعاب وهي ترتفع عن سطح البحر حوالي (300 م)⁽¹¹⁾ .

فتمنع تلك الجبال التي تكون صخورها عاكسة لأشعة الشمس الالهية ووصول التيارات البحرية للبحر ، و تساهم مساهمة فعالة في تسخين و رفع درجات حرارة الهواء، لذلك ورد في القرآن الكريم ما يستدل به على شدة الحرارة ⁽¹²⁾ بقوله تعالى { وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ } ⁽¹³⁾ .

تعد الأودية من التضاريس البارزة في مكة، إذ قيل (خير وادٍ في الناس وادي مكة) ⁽¹⁴⁾ وهو يخترق قلب المدينة وتقع فيه الكعبة المشرفة وبئر زمزم ، ويسمى هذا الوادي أيضاً بوادي ابراهيم «عليه السلام» ⁽¹⁵⁾ .

وحدود الوادي يبتدأ من الأطراف الشمالية الشرقية لمكة ثم ينحدر جنوباً حتى يتلاقى مع وادي الحرمان ⁽¹⁶⁾ ان هذا الواقع الجغرافي والمناخ القاسي جعل أهل مكة يعتمدون على مياه الآبار، و كان من أشهر آبار مكة ؛ زمزم و بئر حويطب ⁽¹⁷⁾ وبئر الأسود ⁽¹⁸⁾ وبئر زهير ⁽¹⁹⁾ .

ونظراً لارتفاع درجات الحرارة ووعورة تضاريسها وتذبذب مناخها تكثر فيها الذباب ، وكذلك انتشار ظاهرة العمى ⁽²⁰⁾ ؛ وكذلك استغلّت هذه الظروف الجغرافية لمكة في تعذيب المسلمين في بداية الدعوة الإسلامية فكانوا يجلدوهم ويعذبونهم بالضرب والعطش برمضاء مكة اذا ما اشتد الحر ⁽²¹⁾ .

ونتيجة لما ذكرناه سابقاً من الطبيعة الجغرافية الصعبة لمناخ وطقس مكة وتضاريسها الصعبة والشديدة ، فقد انعكس ذلك على الواقع الاجتماعي والاقتصادي لأهل مكة، و يبدو ان كثيراً من القحوط والشدائد الاقتصادية أصابت أهل مكة بسبب تلك الطبيعة القاسية والتي عرفت بها. وقد أشارت الروايات التاريخية تعرض مكة وأهلها لعدة قحوط ومنها ما روي عن القحط الذي أصاب أهل مكة في زمن هاشم بن عبد مناف، فقد روي « أنه جلب معه من الشام الى مكة حينما خرج الى التجارة طعاماً من الخبز والدقيق بعد أن سمع بتعرض قريش لمجاعة وقحط شديدين ، حينما وصل مكة أمر بنحر الجزور وهشم ذلك الخبز وصنع الثريد وأطعم منه الناس حتى أشبعهم فسمي بذلك هاشماً و كان إسمه عمرو الغلا » ⁽²²⁾ . وقد تغنى الشعراء بذلك ، فيقول الشاعر :

عَمَرُوا الْعُلَا هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ... وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَيْثُونَ عِجَافُ
سَنُوا إِلَيْهِ الرِّحْلَتَيْنِ كِلَيْهِمَا ... عِنْدَ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةَ الْأَصْيَافِ
كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَقَلَّقَتْ ... فَالْمُحُّ خَالِصُهُ لِعَبْدِ مَنْافٍ
لِلَّهِ دُرْكٌ لَوْ نَزَلَتْ بَنَدَارُهُمْ ... مَنَعُوكَ مِنْ أَرْلٍ وَمِنْ إِقْرَافِ (23)

فقد عرف عن هاشم بن عبد مناف أنه كان يساعد الفقراء والمحتاجين من أهل مكة حينما يصابون بالجوع والجذب والقحط ، وقيل أن هاشم هشم الثريد بمكة لأهل الموسم ولقومه في سنة المجاعة وأيام الغلاء (24) .

ونظراً لقلة الأمطار والجفاف في مكة فقد كانت واحدة من الأساليب التي استخدمها أهل مكة في نزول المطر ، إستخدام الجانب العقائدي والديني عن طريق الاستعانة ببعض الشخصيات والرموز التي لها تأثيراً وحضوراً اجتماعياً وكانت من أهم تلك الشخصيات والرموز هو عبد المطلب وأولاده ، والذي كان يلقب بمطعم طير السماء الذي كانت وجهه يضيء في الظلماء (25) .

حيث أستسقى أهل مكة لعبد المطلب عندما توالى عليهم سنوات مجدبة حتى ذهبت الزراع وقحل (26) الضرع ، ففزعوا وقالوا : « قد سقانا الله بك مرة بعد أخرى فأدعوا لنا الله ان يسقينا وسمعوا صوتاً ينادي من بعض جبال مكة: معشر قريش إن النبي الأمي منكم ... فقال عبد المطلب : اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم مسؤول غير مبخل وهؤلاء عبادك ... » (27) .
وقد قيل بحقه من الشعر أيضاً:

بشبية الحمد أسقى الله بلدتنا ... وقد فقدنا الحيا واجلود المطر
فجاد بالماء جوي له سبل ... سحا فعاشت به الانعام والشجر
فبارك الله بالميمون طائرته ... وخير من بشرت يوماً به مضر
مبارك الامر يستسقي الغمام به ... ما في الأنام له عدل ولا خطر (28)

وفي ذلك دلالة واضحة على إن أهل مكة كانوا يعانون من هذه الازمات الاقتصادية الكبيرة باستمرار ، فقد كانوا يلجأون الى عبد المطلب ليساعدهم على تجاوز هكذا أزمات، بالإضافة الى ان الروايات تظهر عظمة النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » بالنسبة الى أهل مكة .

وفي حادثة أخرى أن قريشاً كانت في جذب شديد فلما حملت آمنة بنت وهب برسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » أحضرت لهم الأرض ، وحملت لهم الأشجار ، « وأتاهم الوفد من كل مكان،

فأخصب أهل مكة خصباً عظيماً، فسميت السنة التي حمل فيها رسول الله صلى الله عليه وآله سنة الفتح و الاستيلاء والابتهاج» (29). وفي ذلك دلالة أيضاً على مكربة للنبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وهي إن الله سبحانه و تعالى كان يدفع القحط والبلاء عن الناس لعظمة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ومنزلته .
كما روي أيضاً «أن أهل مكة قحطوا فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء ومعه غلامه فأخذه أبو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ الغلام بإصبعه ، وما في السماء قرعة (30) فاقبل السحاب من هنا وهاهناك ، واغدق وانفجر له الوادي وأخصب النادي والبادي، وهنا قال أبو طالب «عليه السلام» (31) :

وأبيضُ يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

تطيف به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواصل

وميزان عدل لا يخيس شعيرة ... ووزان صدق وزنه غير مائل» (32)

وقد تعرضت مكة قبل الإسلام الى أزمة شديدة حتى يقال أن أهلها أكلوا الرمة (33)، ولم يكن في «آل عبد المطلب أيسر من محمد صلى الله عليه وآله وعمه العباس بن عبد المطلب ، فقال : محمد للعباس يا عم إن أخاك أبو طالب كثرت عياله وقد أصاب قريش ما تعرى ، فأذهب بنا إليه نحمل عنه بعض عياله فانطلقنا إليه فقالا : يا أبا طالب إن حال قومك ما قد ترى ونحن نعلم أنك رجل منهم وقد جئنا لنحمل عنك بعض عيالك ، فقال ابو طالب: دعا لي عقيلاً وإفعلاً ما احببتما، فآخذ رسول الله صلى الله عليه وآله علياً، واخذ العباس جعفر ، فلم يزلوا معهما حتى استغنيا» (34).

إن هذه الرواية تعطي منزلة الى العباس بن عبد المطلب وتجعله هو المتفضل على أبي طالب ورعاية أبنائه ولم توضح لنا هذه الرواية للأزمة و المجاعة، ولماذا كان أبو طالب لا يستطيع إعالة عياله؟ وهل هذه الازمة الاقتصادية ضربت أهل مكة جميعاً أم فقط أبو طالب ، و لكن تعطينا هذه الرواية أن هناك أزمة وقحط أصابت مكة.

ومن الحوادث الأخرى التي تعكس لنا الوضع الاقتصادي عند العرب قبل الإسلام فيما يتعلق بالجانب العقائدي ما روي «ان بني حنيفة أتخذت في الجاهلية صنم من حيس (35) فعبدوه دهرًا طويلاً ثم أصابتهم مجاعة فأكلوه» (36) .

فقال بعضهم:

أكلت حنيفة رُبَّها ... زمن التَّقَحُّمِ والمجاعة
لم يَحْذَرُوا من رِبحهم ... سوء العواقب والتباعة⁽³⁷⁾

اذ تكشف لنا مدى صعوبة العيش أيام الأزمات الاقتصادية من قحط وجذب ، فعمدوا الى
أقدس شيء عندهم وهو ألهمهم فأكلوه ؛ من شدة الجوع والقحط الذي ضربهم.
وفي نفس المضمون ما حل بأهل مكة من جوع مما جعلهم يضطرون ان يأكلوا ألهمهم
«فكانوا يعبدون الأوثان فكان لهم صنم يعبدونه فلحقتهم مجاعة في بعض السنين فأكلوه ، وقد كان
مصنوعاً من الحلوى والسمن والعسل»⁽³⁸⁾ .

وقد أشار ابن قتيبة الدينوري إن العرب كانوا يعيشون في حالة من ضنك العيش والجذب والجوع
في أوقات الأزمات حيث ذكر « عن إعرابي أنه قال : توالى على العرب سنون تسع في الجاهلية حطمت
كل شيء فخرجت على بكر⁽³⁹⁾ لي في العرب . فمكثت سبعة لا أطعم شيئاً إلا ما ينال منه بعيري أو
من حشرات الأرض ، حتى دفعت في اليوم السابع الى حواء عظيم⁽⁴⁰⁾ ، فإذا بيت جحش⁽⁴¹⁾ عن
الحَيِّ ، فملت إليه فخرجت إليَّ امرأة طوالة حسنة ؛ فقالت : من ؟ قلت: طارق ليل يلتمس القرى ؛
فقالت : لو كان عندنا شيء لآثرناك به ، والدَّالَّ على الخير كفاعله ، حس⁽⁴²⁾ هذه البيوت ثم انظر الى
أعظمها ، فإن يك في شيء منها خير ففيه ؛ ففعلت حتى دفعت اليه ، فرحب بي صاحبه وقال : من ؟
قلت : طارق ليل يلتمس القرى ؛ فقال : يا فلان ، فأجابه ، فقال : هل عندك طعام ؟ فقال لا ؛ فو
الله ما وقر⁽⁴³⁾ في أذني شيء كان أشد منه . قال : فهل عندك شراب ؟ قال لا ، ثم تأوّه فقال : بلي !
قد بقينا في ضرع الفلانة شيئاً لطارق إن طرقت ، قال: فأت به ، فأتى العطن فابتعتها»⁽⁴⁴⁾ .

وقد دلت هذه الرواية على مقدار الشدة والجوع الذي كانت تتعرض لها القبائل العربية في
الصحراء حتى لم يبقى لها شيء تأكله .

وقد نزلت إحدى الآيات القرآنية الكريمة والتي وضحت مثل هكذا أزمات إقتصادية ، في قوله
تعالى { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ }⁽⁴⁵⁾، إذ أشار العديد من
المفسرين الى سبب نزول هذه الآية الكريمة لوجود الازمات الاقتصادية التي حلت بالمجتمع المكي ؛ وذلك
إن النبي « صلى الله عليه وآله وسلم» دعا على اهل مكة بالجذب فقحطوا لبضع سنين⁽⁴⁶⁾ ، ومع ذلك نجد ان
المشركين حينما كانوا يتضايقون في معيشتهم ورزقهم كانوا يلجأون إليه « صلى الله عليه وآله وسلم» .

وقد روي أن أبا سفيان جاء إلى النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » فقال له : « ادعوا لنا بالخصب، فإذا أخصبنا صدقناك »⁽⁴⁷⁾، ولم يكن الدعاء هو الوسيلة الوحيدة التي كان يساعدهم صلى الله عليه وآله وأهله أهل مكة، إذ رؤي أن النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » كان يمد يد العون من أموال وغيرها لبعض المحتاجين منهم، فقد أرسل شيء من الذهب مع عمر ابن أمية⁽⁴⁸⁾ وسلمى بن أسلم الجرشي⁽⁴⁹⁾ إلى مكة، وهذا ما يعكس أخلاق النبي « صلى الله عليه وآله وسلم ». حيث أصابت أهل مكة بعد هجرة الرسول « صلى الله عليه وآله وسلم » إلى المدينة أزمة أضرت بهم وكانت هذه سنة قحط وجذب⁽⁵⁰⁾.

وقد ورد في تفسير بعض الآيات التي نزلت في هذا المضمون كقوله تعالى { وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ }⁽⁵¹⁾ وكذا قوله تعالى { وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ }⁽⁵²⁾، نزلت في المدة التي أصابت قريشاً سنون الجذب والجوع الذي دعا بها رسول الله⁽⁵³⁾.

و في حادثة أخرى؛ « ان رسول الله بعث خمسمائة دينار إلى أهل مكة حينما قحطوا، وقد أمر بدفع الأموال إلى أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية⁽⁵⁴⁾ ليفرقها على فقراء مكة، فقال أبو سفيان وصفوان: ما يريد محمد بذلك إلا يخدع شبابنا »⁽⁵⁵⁾.

ومثلما أشرنا سابقاً إن من أهم الأزمات الاقتصادية التي عصفت بالمسلمين في مكة المكرمة هي حصارهم ومقاطعتهم إقتصادياً واجتماعياً، وسميت هذه الأزمة (بالمقاطعة)، إذ اتفق مشركي قريش على فرض حصار إقتصادي، وقد حوَصر بني هاشم وبني عبد المطلب في شعب أبي طالب و أعلن ميثاق العشائر المكية، وهي مقاطعتهم إقتصادياً واجتماعياً؛ حتى يوافقوا على التخلي عن حماية الرسول « صلى الله عليه وآله وسلم »، وعلى هذا الأساس علقت صحيفة المقاطعة في جوف الكعبة⁽⁵⁶⁾.

كان حصار بني هاشم في الشعب ليلة شهر محرم السنة السابعة للبعثة⁽⁵⁷⁾، وقد تضمنت بنود المقاطعة ان لا يناكحهم ولا يبيعهم ولا يخالطهم فكانت هذه المقاطعة على مدى حوالي ثلاث سنين شديدة الوطأة على المسلمين⁽⁵⁸⁾.

ومن بنود تلك المقاطعة الاقتصادية التي فرضت على المسلمين أنه أيما رجل وجدتم منهم عند طعام يشتره فزيدوا عليه، فبقوا على ذلك ثلاث سنين و بلغ القوم الجهد الشديد حتى سمع أصوات صبيانهم يصيحون من الجوع، وكان بعض المشركين يكرهون ما في بني هاشم من بلاء⁽⁵⁹⁾.

أما بالنسبة الى مدينة رسول الله فأن مناخها كان أفضل من مناخ مكة لتوفر المياه الجارية في الوديان والتي يتم الحصول عليها من الآبار ، إلا انها لم تكون أفضل حال من مكة في تعرضها للقحط والجفاف لسوء أوضاعها المناخية في بعض الأحيان أيضاً⁽⁶⁰⁾ .

فقد روي عن الأشعرين في المدينة أنهم اذا أرملوا⁽⁶¹⁾ أو قل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموا بينهم في أناء واحد بالسوية⁽⁶²⁾ فكان هذا الموقف من الأشعرين يدل على وجود الازمات الاقتصادية وكيف يتعاملون معها ويدركون الاخطار الناجمة عنها .

أما بعد مجيء الإسلام فقد تعرضت المدينة المنورة الى أزمات اقتصادية كبيرة وجذب وقحط بالرغم من وجود العديد من الآبار والعيون فيها ، اذ كان الناس ينتفعون بها في الزراعة وسقي المواشي ، إلا أنهم أصابهم القحط والجذب بسبب قلة الامطار . فقد قحط الناس على عصر رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » فخرج الى بقيع الغرقد⁽⁶³⁾ فصلى ركعتين وجهر فيهما بالقراءة ، ثم قلب رداؤه ثم رفع يديه فقال: « اللهم ضاحت بلادنا و أغبرت أرضنا وهامت دوابنا . اللهم أرحم بهائمنا الحائمة و الأنعام السائمة والاطفال المحتلة »⁽⁶⁴⁾ .

ويبدو أن الجوع والقحط الذي مر على النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » وأهل المدينة قد بلغ مبلغه حتى نجد إن أمير المؤمنين علي « عليه السلام » يصف هذا الجوع اذ يقول : « وأنا أربط الحجر على بطني في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله »⁽⁶⁵⁾ .

كما روي أن الناس كانوا قد قحطوا فطلبوا منه « صلى الله عليه وآله وسلم » أن يستسقي لهم ، فخرج ومعه الناس يمشون بالسكينة والوقار الى المصلى ، فصلى بهم ركعتين ، يجهر بالقراءة فيها ؛ وقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وسبح أسم ربك الأعلى ، والثانية فاتحة الكتاب و هل أتاك حديث الغاشية... ثم استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكي ينقلب القحط الى خصب ، ثم جثا على ركبتيه ، ورفع يديه ، وكبر ثم قال: « اللهم اسقنا وإغننا مغيثاً ، وحياءً ربيعاً ... » فما برحوا حتى أقبل قرع من السحاب ، فالتأم بعضه الى بعض ، ثم امطرت سبع أيام بلياليها ، فأتاه المسلمون ، وقالوا: يا رسول الله ، قد غرقت الأرض، وتهدمت البيوت ، وانقطعت السبل ، فأدع الله تعالى ان يصرفها عنا ، فضحك رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » وهو على المنبر حتى بدت نواجذه تعجباً لسرعة ملالة بني آدم . ثم رفع يديه وقال: « اللهم حوالينا ولا علينا وفي الحديث الآخر اللهم منابت الشجر وبطون الأودية... » ثم قال رسول الله : لوكان أبو طالب حياً لقرت عيناه ، ثم أنشد قول أبو طالب⁽⁶⁶⁾ :

لك الحمد والحمد ممن شكر... سقينا بوجه النبي المطر

دعا الله خالقه دعوة... وأشخص منه إليه البصر

ولم يك إلا كقلب الرداء... وأسرع حتى رأينا المطر⁽⁶⁷⁾

ومر على أهل المدينة في عصر رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » أيضاً قحط شديد أصابهم فصعد النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » فخطب، فقام إليه رجل وقال : « هَلَكَتِ الْكُرَاةُ وَهَلَكَتِ الشَّاةُ فَادْعُ اللَّهَ يَسْقِينَا فَمَدَّ يَدَيْهِ وَدَعَا فَقِيلَ : إِنَّ السَّمَاءَ كَمِثْلِ الرُّجَاجَةِ فَهَاجَتْ رِيحٌ أَنْشَأَتْ سَحَابًا ثُمَّ اجْتَمَعَ ثُمَّ أُرْسِلَتِ السَّمَاءُ عَزَالِيَهَا » فَخَرَجُوا يَخْضُونَ الْمَاءَ حَتَّى أَتَوْا مَنَازِلَهُمْ فَلَمْ تَزَلْ تُمَطِّرُ إِلَى الْجُمُعَةِ الْآخِرَى ، فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تَهْدِمَتِ الْبُيُوتُ فَادْعُ اللَّهَ يَحْسِبُهُ فَبَسَسَ ثُمَّ قَالَ : « حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا » فَنَظَرْتُ إِلَى السَّحَابِ تَصَدَّعَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ كَأَنَّهُ إِكْلِيلٌ . . »⁽⁶⁸⁾ .

و أما سبب هذه الصلاة فالجذب ، وقلة الامطار وغور الأنهار وقد اتفق الفقهاء على انه اذا تأخر السقي بعد الصلاة يستحب تكرارها⁽⁶⁹⁾ . وكان أهل المدينة في كل قحط وجفاف يهرعون الى النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » .

لم يكن القحط والجوع الذي أصاب المدينة مقتصرًا على أهلها بل كان يصيب بيت النبي واهله ، وهذه السيدة الزهراء « عليها السلام » كانت في زمن القحط تعد للنبي رغيفين وبضعة لحم أخذته ووضعته في جفنة ، وغطت عليها وقالت: والله لأوترن بهذا رسول الله على نفسي ومن غيري وكانوا محتاجين الى شبعة طعام ، « فبعثت حسناً أو حسينا الى الرسول « صلى الله عليه وآله وسلم » فرجع إليها ، فقالت: قد أتانا الله بشيء ، فخبأته لك ، قال : هلمي يا بنية ، فكشف عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً ولحماً ، فلما نظرت إليه عرفت أنها من عند الله ، فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه ، فقال « صلى الله عليه وآله وسلم » : من أين لك هذا ؟ قالت⁽⁷⁰⁾ : هو من عند الله إن الله يزرق من يشاء بغير حساب⁽⁷¹⁾ .

روي إنه لما كان يوم خيبر أصاب الناس مجاعة فأخذوا الحمر الأنسية⁽⁷²⁾ فذبحوها وملؤوها منها القدور فبلغ ذلك النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » فكفأ القدور وهي تغلي فحرم رسول الله الحمر الأنسية ولحوم البغال وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير⁽⁷³⁾ .

وفي بعض الأحيان كان النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » يدعوا على بعض من أهل مكة بالجوع والسنين، وذلك لما لاقاه من الكلام وجهد في دعوتهم ودخولهم الى الاسلام ، حتى أنه دعا عليهم أن يحسمهم الله بسنيناً كسنيين نبي الله يوسف « عليه السلام » من الجوع والقحط، فجاءت فحوى دعاؤه : « اللهم

أشدّد وطأتك على مضر واجعلها كسنين يوسف « عليه السلام »⁽⁷⁴⁾ . فنزل قوله تعالى { حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ }⁽⁷⁵⁾ ، ان الله تعالى أخذ متنعيمهم ومترفيهم بالعذاب وقتلهم يوم بدر، والجوع حين دعا عليهم رسول الله ، اللهم أشدّد وطأتك على مضر .. ، فأبتلاهم بالقحط حتى أكلوا الجيف والكلاب والعظام المحترقة والقدد والأولاد فأخذوا يرفعون أصواتهم بالصراخ والدعاء والاستغاثة⁽⁷⁶⁾.

وهناك رأي لأحد المفسرين ورد فيه « ان الله اخذ بهم بالجوع سبع سنين حتى اكلوا الجيف والعظام المحترقة، واما الخوف فهو خوفهم من رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » ومن سراياه التي كان يبعثها حولهم⁽⁷⁷⁾ .

كما انه « صلى الله عليه وآله وسلم » دعا على عتبة بن ابي لهب⁽⁷⁸⁾ ان سلط عليه كلبه في الشام ، فقتله الأسد عند وادي الزرقاء⁽⁷⁹⁾ في بصرى وكم له من مثلهم ونصيرهم كسبع يوسف ، فحفظوا حتى اكلوا العكبر⁽⁸⁰⁾ واكلوا العظام وكل شيء ، ثم تواصلوا الى تراحه وشفقته ورحمته ، فدعا لهم ، ففرج الله عنهم وسقوا الغيث ببركة دعائه⁽⁸¹⁾.

ولم تقتصر الأزمات الاقتصادية في الجزيرة العربية على مكة والمدينة وإنما شهدت بعض القبائل في شبه الجزيرة أزمات اقتصادية وجذب وقحوط عديدة ومنها ذلك القحط الذي أصاب بني أسد، حتى ان نفر منهم قدموا على رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » في المدينة في سنة جدبة، فأظهروا شهادة أن لا إله إلا الله ولم يكونوا مؤمنين في السر ، وأفسدوا طرق المدينة بالعدرات⁽⁸²⁾ . وأغلوا اسعارها وهم يغدون ويرحون على رسول الله ، ويقولون: أتتكم العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالأنثقال والذراري يردون الصدقة ويمنون عليه ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وفلان⁽⁸³⁾ ، فنزل قوله تعالى { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَكِنَّا يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }⁽⁸⁴⁾ .

وبالنظر للطبيعة المناخية التي تمتاز بها الجزيرة العربية وما أتصفت به من قلة الأمطار والتي من آثارها ان تحبس لفترات طويلة من السنة، مما انعكس بدوره بصورة مباشرة على مجتمعات تلك البلاد . فروي إن إعرابي جاء الى الرسول « صلى الله عليه وآله وسلم » مستنجداً به من شدة الزمان وضيق العيش وفقير الحال لعدم نزول المطر في البادية ، قائلاً : « يا رسول الله هلك المال ، وجاع العيال ، فادعوا الله لنا ان يسقينا

فرفع النبي يديه حتى ان السحاب مثل الجبال ولم ينزل عن المنبر حتى شوهده المطر يتحادر على لحيته» (85).

وبركة النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » ودعاؤه يدفع الله سبحانه وتعالى عن الناس الضنك والعوز الشديد من القحط والجذب في أيام الجفاف ، فقل ان النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » قد أشار بأصبعه الى جهة من المدينة فتقشعت السحابة عن المدينة وأستمرت السماء بالمطر على البوادي حيث سال الوادي شهراً ، فلم يجيء أحد من ناحية إلا حدث بالجوود (86) .

الهوامش

- (1) ميرزا، معارج نواب ، أحوال الطقس والمناخ ، ص 9 ؛ عبد الرحمن الداخيل ، مواد المياه الجوفية ، ص 108؛ السوداني ، صلاح عباس ، الحياة الجماعية قبل الإسلام ، ص 21 .
- (2) سورة إبراهيم ، الآية : 37 .
- (3) بدر الدين ، يوسف أحمد ، مناخ مكة العربية السورية ، ص 11- 12 ؛ الرحيلي ، أمينة عطا الله ، خصائص مناخ منطقة مكة المكرمة ، ص 37 .
- (4) الشريف ، أحمد إبراهيم ، مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، ص 31 .
- (5) ميرزا ، معارج نواب ، أحوال الطقس والمناخ ، ص 12 .
- (6) أبو العلا ، محمود طه ، جغرافية شبه الجزيرة العربية ، 2 / 78 - 79 .
- (7) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص 95 ؛ صلاح عباس السوداني ، الحياة الاجتماعية قبل الإسلام ، ص 21 .
- (8) ينظر: القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ، ص 113 .
- (9) ينظر: اليعقوبي ، البلدان ، ص 10 ؛ الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 15 ؛ ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 35 ؛ ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، 19 - 92 .
- (10) الشعاب : هي الصغار من الوادي ، وقيل هي المواضع الخصبية بين الجبال ، أي الشعب بالكسر أو الطريق في الجبال ، والجمع الشعاب وقيل هو الحي العظيم . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، 1 / 156 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 3 / 197 ؛ النويري ، نهاية الارب ، 16 / 169 .
- (11) اليعقوبي ، البلدان ، ص 100 ؛ الاصطخري ، المسالك والممالك ، ص 15 ؛ الداخيل ، عبد الرحمن ، موارد المياه الجغرافية جنوب مكة المكرمة ، ص 20 .

- (12) أمينة بت عطا الله الرحيلي ، خصائص المناخ في منطقة مكة المكرمة ، ص 50 ؛ صلاح عباس السوداني، الحياة الاجتماعية قبل الإسلام ، ص 21 .
- (13) سورة النحل ، الآية : 81 .
- (14) الأزرق ، أخبار مكة ، 2 / 23 ؛ السيوطي ، الدر المنثور في التفسير المأثور، 3 / 222 .
- (15) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 10 / 122 .
- (16) عبد الرحمن الدخيل، موارد المياه الجغرافية ، ص 20 ؛ البلادي، غيث بن زوير، معالم مكة، ص 37 ، 38.
- (17) هو حويطب بن عبد العزى ، يقع البئر في فناء داره . ينظر: الأزرق ، أخبار مكة ، 2 / 224 .
- (18) هو الأسود بن البخري يقع البئر على باب دار الأسود عند الحناطين في دار الزبيدة . ينظر: البلادي ، فتوح البلدان، 58/1.
- (19) بئر زهير والبئر في الاجياد في دار زهير بن أبي أمية بن المغيرة . ينظر: الأزرق ، أخبار مكة ، 2 / 224 ؛ البلادي ، فتوح البلدان ، 1 / 58 .
- (20) ابن رسته ، الإغلاقات النفيسة ، ص 224 ؛ المقدسي ، أحسن التقاسيم ، ص 90 .
- (21) الطبري ، تاريخ الطبري ، 2 / 153 ؛ ابن سيد الناس ، عيون الأثر ، 1 / 340 .
- (22) ابن حبيب ، المنعم ، ص 219 ؛ البلادي ، أنساب الاشراف ، 1 / 59 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية، 2 / 311 ؛ الصفرائي، رياض ، هاشم بن عبد مناف ، ص 15 .
- (23) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 1 / 76 ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، 2 / 12 ؛ الحلي ، الأعداد القوية لرفع المخاوف اليومية ، ص 124 ؛ جمال الدين الشامي ، الدر النظيم ، ص 62 .
- (24) ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، 1 / 134 ؛ ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري، 7 / 124 .
- (25) ابن الجوزي ، المنتظم ، 3 / 22 ؛ ابن كثير ، السيرة النبوية، 2 / 164 .
- (26) قحط : يقحط قحلاً إذا التزق جلده بعظمه من الهزال والبلد □ ، أي ييس من شدة القحط . ينظر: ابن الاثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ، 4 / 18 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 11 / 552 .
- (27) ابن حبيب ، المنعم ، ص 146 ؛ الطبراني ، الدعاء ، ص 606 ؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، 2 / 215 ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، 15 / 404 .
- (28) الطبراني ، المعجم الكبير ، 24 / 260 ؛ ابن الأثير ، أسد الغابة ، 5 / 455 ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، 7 / 272 .
- (29) جمال الدين الشامي ، الدر النظيم ، ص 62 ؛ الحلي ، الأعداد القوية لرفع المخاوف اليومية ، ص 124 ؛ المجلسي ، بحار الانوار ، 1 / 296 .

- (30) قرعة : هي قطعة من السحاب رقيقة ، واحدة او المتفرقة . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، 3 / 1265 ؛ ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، 5 / 84 .
- (31) ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، 1 / 119 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 1 / 53 ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، 1 / 190 ؛ السيوطي ، كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ، 1 / 86 ؛ الأمين ، محسن ، أعيان الشيعة ، 1 / 315 .
- (32) الموسوي ، إيمان أبي طالب ، ص 315 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 1 / 53 ؛ الصالح الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، 2 / 137 ؛ الأميني ، الغدير ، 7 / 346 .
- (33) الرمة : او الرميم ، العظام البالية وقد نعى عن أكلها لانها ربما تكون ميتة وان العظام لا تقوم مقام الجمر لملامسته . ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث ، 2 / 267 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 12 / 253 .
- (34) ابن هشام ، السيرة النبوية ، 1 / 162 ؛ الطبري ، تاريخ الطبري ، 2 / 58 ؛ الصدوق ، الشرائع ، 1 / 169 ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، 1 / 38 ؛ ابن البطريق ، خصائص الوحي المبين ، ص 148 ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، 13 / 200 ؛ ابن طاووس ، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ، ص 18 .
- (35) حيس : وهو خليط التمر والسمن . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، 3 / 930 .
- (36) البلخي ، البدء والتاريخ ، 4 / 32 ؛ ابن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، 4 / 30 .
- (37) ابن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ص 621 ؛ الطباطبائي ، محمد حسين ، قضايا المجتمع والأسرة والزواج على ضوء القرآن الكريم ، ص 104 .
- (38) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، 2 / 66 ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص 161 ؛ بن صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، ص 43 ؛ كحالة ، عمر رضا ، معجم قبائل العرب ، 1 / 313 .
- (39) بكر : وهي الصقيرة حيث لا فارق ولا بكر أي الناقة ، ولا هرمة ولا صغيرة . ينظر : الفراهيدي ، العين ، 7 / 29 ؛ الجوهري ، الصحاح ، 6 / 2168 .
- (40) حواء : البيوت المجتمعة . ينظر : ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث والاثار ، 5 / 144 .
- (41) جحش : المتباعد جداً . ينظر : ابن فارس معجم مقاييس اللغة ، ص 426 .
- (42) حس : تعرف أحواله . ينظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ص 362 .
- (43) وقر : ثقل في الشيء ، ومنه الوقر ، الثقل في الاذن . ينظر : ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ص 132 .
- (44) عيون الأخبار ، 3 / 268 . وينظر : ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 7 / 394 ؛ إبراهيم شمس الدين ، موسوعة تراثية جامعة لقصص وطرائف العرب في الجاهلية والإسلام ، 1 / 272 .
- (45) سورة إبراهيم ، الآية : 28 .
- (46) ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، 4 / 16 ؛ البيضاوي ، تفسير البيضاوي ، 3 / 348 .

- (47) ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، 4 / 16 ؛ أبي حبان الاندلسي ، تفسير البحر المحيط ، 5 / 140 .
- (48) عمر بن أمية : هو عمر بن أمية بن وهب بن متعب الذي بنى المسجد على موقع مصلى رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » أذ حاصر الطائف ، فهو مسجدهم اليوم . ينظر : ابن حزم الأندلسي ، جمهرة أنساب العرب ، ص 268 .
- (49) سلمى بن اسلم الجرشي : لم أعثر له على ترجمة .
- (50) البلاذري ، أنساب الأشراف ، 11 / 121 ؛ ابن حبان ، الثقات ، 1 / 261 .
- (51) سورة يونس ، الآية : 21 .
- (52) سورة الأنفال ، الآية : 23 .
- (53) وهبة الزحيلي ، التفسير الوسيط ، 2 / 1707 .
- (54) هو صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جهم بن عمرو بن هيصم بن كعب بن لؤي القرشي الجمحي المكي ، أسلم بعد الفتح وشهد اليرموك ، أميراً على كردوس . ينظر : الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، 2 / 563 .
- (55) السرخسي ، شرح الجامع الكبير ، 1 / 97 ؛ ابن عابدين ، تكملة حاشية المختار ، 1 / 234 .
- (56) ابن خزيمة ، صحيح ابن خزيمة ، 4 / 321 ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، 19 / 18 .
- (57) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 1 / 209 .
- (58) ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ص 52 ؛ محمد جواد مغنية ، الشيعة والحاكمون ، ص 52 .
- (59) البلاذري ، أنساب الأشراف ، 1 / 230 ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب ، ص 52 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 1 / 221 ؛ الدميري ، حياة الحيوان الكبرى ، 1 / 35 .
- (60) سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ الدولة العربية منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية ، ص 281 .
- (61) أرملاوا : يقال أرملا القوم اذ نفذ زادهم . ينظر : الجوهري ، الصحاح ، 4 / 1713 .
- (62) البخاري ، صحيح البخاري ، 3 / 110 ؛ مسلم النيسابوري ، صحيح مسلم ، 7 / 171 ؛ النسائي ، السنن الكبرى ، 5 / 247 .
- (63) بقيع الغرقد : الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى ، وبه سمي بقيع الغرقد . والغرقد : كبار العوسج . ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 1 / 473 .
- (64) الزمخشري ، الفايق في غريب الحديث والأثر ، 2 / 277 ؛ السيوطي ، كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب ، 2 / 164 ؛ هادي كاشف الغطاء ، مستدرك نهج البلاغة ، ص 76 .
- (65) الزمخشري ، ربيع الأبرار ، 2 / 304 ؛ ابن حمدون ، التذكرة الحمدونية ، 8 / 79 ؛ ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق ، 42 / 375 ؛ المرعشي النجفي ، شرح أحقاق الحق ، 32 / 248 .

- (66) الطبراني ، الدعاء ، ص 598 ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نصح البلاغة ، 14 / 81 ؛ جعفر مرتضى العاملي ، الصحيح من سيرة الرسول ، 15 / 33.
- (67) البيهقي ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، 6 / 142 ؛ الجرجاني ، الكامل ، 3 / 409 ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، 6 / 99 .
- (68) الطبراني ، المعجم الأوسط ، 3 / 96 ؛ البيهقي ، السنن الكبرى ، 3 / 356 ؛ العيني ، عمدة القارئ ، 7 / 40؛ الحلي ، منتهى المطالب ، 1 / 354 .
- (69) مغنية ، محمد جواد ، الفقه على مذاهب الخمسة ، 1 / 128 .
- (70) الطوسي ، الثاقب في المناقب ، ص 296 ؛ الراوندي ، الخراج والجرائح ، 2 / 528 ؛ الزيلعي ، تخریج الاحاديث والآثار ، 1 / 184 ؛ فتح الله الكاشاني ، زبدة التفاسير ، 1 / 48 .
- (71) سورة آل عمران ، الآية : 37 .
- (72) الحمر الأنسية : هي جمع حمار ، وهي التي تألف البيوت ولها أصحاب وهي مثل الانسية ضد الوحشية . ينظر: الفراهيدي ، العين ، 4 / 90 ؛ ابن منظور ، لسان العرب ، 11 / 29 ؛ الطريحي ، مجمع البحرين ، 3 / 276.
- (73) الواقدي ، المغازي ، 2 / 661 ؛ ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 2 / 113 ؛ الطبراني ، المعجم الأوسط ، 4 / 93؛ الهيثمي ، مجمع الزوائد ، 5 / 47 ؛ المتقي الهندي ، كنز العمال ، 15 / 435 .
- (74) أحمد بن حنبل ، مسند أحمد ، 2 / 521 ؛ الحميدي القمي ، قرب الاسناد ، ص 324 ؛ الدارقطني ، سنن الدارقطني ، 2 / 28 .
- (75) سورة المؤمنین ، الآية : 64 .
- (76) ابن حيان الأندلسي ، تفسير البحر المحیط ، 6 / 380 ؛ أبي السعود ، تفسير ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم ، 6 / 142 ؛ الفيض الكاشاني ، تفسير الصافي في تفسير كلام الله الوافي ، 3 / 404 ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، 9 / 128 .
- (77) ابن الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، 4 / 365 .
- (78) عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، امه ام جميل بنت حرب ابن امية ، ابن عمّ النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » ، أقام عتبة بمكة ومات بها . ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، 4 / 59 ؛ ابن حجر العسقلاني ، الإصابة ، 4 / 365 .
- (79) وادي الزرقاء : وهو وادي حوران من أعمال دمشق ، ومدينتها بصرى ، تسير في الصحراء حوران عشرة فراسخ في منازل ومزارع حتى تصل الى مدينة بصرى ، في شرقي هذا المدينة بحيرة فيها تجمع مياه دمشق تسير منها رمال خمسة عشر فرسخاً فتدخل دمشق . ينظر : الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص 206 .
- (80) العكبر : وجمعها العكاير هي الذكور من اليرابيع . ينظر : الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، 2 / 95 .

- (81) ابن كثير ، البداية والنهاية ، 6 / 295 ؛ جعفر مرتضى العاملي ، الصحيح من سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله)، 31 / 338 .
- (82) العذرات : هي الأفنية ، الواحدة عذرة ، ويروى في حديث اليهود أنتن خلق الله عذرة أي فناء ومن ذلك سمي الحدث عذرة الا انه كان يلقي بالأفنية فكأنه عنه باسم الفناء كما كني عنه اسم الغائط . ينظر : ابن قتيبة الدينوري، غريب الحديث، 1 / 88 .
- (83) الزمخشري ، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، 30 / 570 ؛ الطبرسي ، تفسير جامع الجامع ، 3 / 409 ؛ النووي ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، 18 / 13 ؛ فتح الله الكاشاني، زبدة التفاسير ، 6 / 436 ؛ هادي النجفي ، ألف حديث في المؤمن ، ص 8.
- (84) سورة الحجرات ، الآية : 14 .
- (85) أحمد بن حنبل ، مسند أحمد ، 3 / 256 ؛ البخاري ، صحيح البخاري، 1 / 224 ؛ مسلم ، صحيح مسلم ، 3 / 25 ؛ النسائي ، سنن النسائي ، 3 / 166 ؛ النووي ، المجموع ، 4 / 525 .
- (86) ابن الجارود النيسابوري ، المنتقى من السنن المسندة ، ص 75 ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، 1 / 363 ؛ الحلبي ، السيرة الحلبية ، 3 / 270 .

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر :

✽ القرآن الكريم

✽ ابن الأثير : عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت 630 هـ)

1. أسد الغابة في معرفة الصحابة، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، (د.ت) .
2. النهاية في غريب الحديث والاثار ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ، محمود محمد الطناحي، الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ، قم - إيران، ط4، 1364 هـ .
- ✽ أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال ابن اسد الشيباني (241هـ / 855م)
3. مسند أحمد ، الناشر: دار صادر، بيروت، (د.ت) .
- ✽ الأزرقى : أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى الغساني المكي (250هـ / 837م)
4. أخبار مكة وما جاء فيها من الأثر، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، مطبعة: أمير ، الناشر: انتشارات الشريف الرضي ، ط1، 1431 هـ .
- ✽ الاضطخري : أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكرخي الفاسي (ت 346هـ)

-
5. المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر عبد العلي الحسني ، الناشر: دار القلم ، القاهرة ، 1961م.
 - ✽ البخاري : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (ت 256 هـ)
 6. صحيح البخاري ، الناشر: دار الفكر ، بيروت ، 1981م .
 - ✽ ابن البطريق : يحيى بن الحسن بن الحسين بن علي بن محمد الاسدي (ت 600هـ)
 7. خصائص الوحي المبين ، تحقيق: مالك الحمودي، مطبعة: نكبين ، الناشر : دار القرآن الكريم ، قم ، ط1، 1417هـ.
 - ✽ البلاذري: أبو بكر أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَّاذُري (279هـ)
 8. أنساب الاشراف ، تحقيق: محمد باقر محمودي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط1، 1974م .
 9. فتوح البلدان ، تحقيق: صلاح الدين المنجد، المطبعة: لجنة البيان العربي، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1956م .
 - ✽ البلخي :أبو زيد احمد بن سهل البخلي (ت 507هـ)
 10. البدء والتاريخ ، المطبعة : برطند ، 1899م.
 - ✽ البيضاوي : ناصر الدين أبو سعيد حميد بن عمر بن محمد (ت 685هـ)
 11. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المطبعة: دار الفكر، الناشر: دار الفكر، بيروت، (د.ت) .
 - ✽ البيهقي : احمد بن الحسين بن علي في موسى الخراساني(ت 458هـ)
 12. السنن الكبرى ، الناشر: دار الفكر، (د.ت) .
 13. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، تحقيق: عبد المعطي قلعجي ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م .
 - ✽ ابن الجارود النيسابوري : أبو محمد عبد الله بن علي بن محمد بن الجارود النيسابوري (ت 307هـ)
 14. المنتقى من السنن المسندة ، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، الناشر: دار الجنان للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، 1988م .
 - ✽ ابن جبير: محمد بن أحمد بن جبير الاندلسي (ت 614هـ)
 15. رحلة ابن جبير ، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر ، 1964م .
 - ✽ الجرجاني : عبيد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك (ت 365هـ)
 16. الكامل، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، ط3، 1988م.
 - ✽ جمال الدين الشامي : جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشامي المشعري العاملي (ت 694هـ)

17. الدر التنظيم ، الناشر : مؤسسة النشر الإسلامية العامة الجامعة ، قم ، (د.ت) .
✽ ابن الجوزي : الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي (ت 597 هـ)
18. زاد المسير في علم التفسير ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن عبد الله ، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1987 م.
19. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا و مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط1 ، 1992 م.
✽ الجوهرى : أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفراهيدي (ت 393هـ / 1003م)
20. الصحاح، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، مطبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، ط4 ، 1407هـ.
✽ ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي الدرامي البستي (ت 354هـ)
21. الثقات ، مطبعة: مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد ، ط1 ، 1393 هـ .
✽ ابن حبيب : محمد بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي أبو جعفر البغدادي (ت 245هـ / 859م)
22. المنق ، تحقيق : خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب ، (د.ت) .
✽ ابن حجر العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (852 هـ)
23. الإصابة ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1415 هـ .
24. فتح الباري ، المطبعة : دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، ط2 ، (د.ت).
✽ ابن أبي الحديد :أبو حامد عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد (ت 656هـ)
25. شرح نخب البلاغة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: دار احياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط1 ، 1959 م .
✽ ابن حزم الأندلسي : ابي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم (ت 456هـ)
26. جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف، القاهرة ، ط6، (د.ت) .
✽ الحلبي : الحسين بن يوسف بن علي بن محمد بن مطهر (ت 726هـ / 1325م)
27. منتهى المطالب ،تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلامية، المطبعة: مؤسسة الطبع والنشر الرضوية المقدسة، ط1، 1412 هـ .
✽ الحلبي : علي بن برهان الدين بن إبراهيم بن احمد الحلبي (ت 1024هـ)
28. السيرة الحلبية ،المطبعة: دار المعرفة، الناشر: دار المعرفة ، بيروت ، 1400هـ.

- ✽ ابن حمدون : بماء الدين محمد بن الحسن بن محمد البغدادي (ت 562هـ)
29. التذكرة الحمدونية ، تحقيق: احسان عباس وبكر عباس، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، ط1، 1996م .
- ✽ الحميدي القمي : أبو العباس عبد الله بن الحسين بن مالك بن جامع (ت 304هـ / 912م)
30. قرب الاسناد ، تحقيق: مؤسسة آل البيت (ع) لاهياء التراث ، المطبعة، مهر، الناشر: مؤسسة آل البيت لاهياء التراث ، قم ، ط1، 1413هـ .
- ✽ الحميري: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور (ت 900هـ / 1495م)
31. الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق: احسان عباس، مطبعة : هيدلبرغ، بيروت ، الناشر: مكتبة لبنان ، ط3، 1984م .
- ✽ ابن حوقل : أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل البغدادي التميمي (ت 367هـ)
32. صورة الأرض، الناشر: دار صادر ، بيروت ، 1938م .
- ✽ ابن حيان الأندلسي: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الاندلسي (ت 745هـ)
33. تفسير البحر المحيط ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية ، ط1، 2001م.
- ✽ ابن خزيمة : محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت 311هـ)
34. صحيح ابن خزيمة ، تحقيق: محمد مصطفى الاعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي ، ط2، 1992م
- ✽ الدارقطني : أبو الحسن علي بن عمر بن احمد بن مهدي بن مسعود (ت 385هـ)
35. سنن الدارقطني، تحقيق: مجدي بن منصور الثوري، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1991م .
- ✽ الدميري : اكمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن علي (ت 808هـ / 1405م)
36. حياة الحيوان الكبرى ، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط2، 1424هـ .
- ✽ الذهبي :شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قَائِمَاز (ت 748هـ)
37. سير اعلام النبلاء ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسد، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان، ط9، 1993م .
38. تاريخ الإسلام ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المطبعة: دار الكتاب العربي ، لبنان ، ط1، 1987م .
- ✽ الراوندي : أبو الحسن احمد بن الحسن بن إسحاق الراوندي (ت 573هـ)
39. الخراج والجرائح ، حقيق: مؤسسة الامام المهدي (عج) ،المطبعة العلمية، قم ، الناشر: مؤسسة الامام المهدي بقم ، ط1، 1409هـ .

- ✽ ابن رسته : أبو علي أحمد بن عمر (ت 300هـ)
40. الإغلاق النفيسة ، الناشر : دار صادر، 1891م .
- ✽ الزمخشري : أبو القاسم جار الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر (ت 538هـ)
41. الفايق في غريب الحديث والأثر ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1996م .
42. ربيع الأبرار ونصوص الاخيار ، تحقيق: عبد الأمير المهنا، الناشر: دار الكتب العلمية ، بيروت ط1، 1992م.
43. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، الناشر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، 1966م .
- ✽ الزيلعي : جمال الدين محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الحنفي (ت 762هـ / 1361م)
44. تخريج الاحاديث والآثار، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، مطبعة الرياض ، الناشر: دار بن خزيمة ، ط1، 1414هـ .
- ✽ السرخسي : محمد بن احمد بن ابي سهل السرخسي الخزرجي (ت 490هـ)
45. شرح الجامع الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة مصر، 1960م .
- ✽ ابن سعد : محمد بن سعد بن منيع بن البصري الزهيري (ت 230هـ)
46. الطبقات الكبرى ، مطبعة: دار صادر ، الناشر: دار صادر ، بيروت ، ط1، 1968م .
- ✽ إبي السعود : محمد بن السعود افندي بن محيي الدين محمد بن مصلح الدين عماد الدين (982هـ)
47. تفسير ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم مطبعة : دار احياء التراث العربي، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ت) .
- ✽ ابن سيد الناس : محمد بن محمد بن أحمد اليعمرى فتح الدين أبو الفتوح الاشبيلي (ت 734هـ)
48. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، الناشر : مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان ، 1986م .
- ✽ السيوطي : عبد الرحمن بت كمال الدين بن ابي بكر بن محمد سابق الدين الخضيرى (ت 911هـ)
49. الدر المنثور في التفسير المأثور، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان ، (د.ت) .
- ✽ ابن شهر آشوب: أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب ابن أبي نصر بن أبي حبيشي المازندراني (ت 588هـ)
50. مناقب آل أبي طالب ، تحقيق وتصحيح: لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، مطبعة : الحيدرية ، النجف الاشرف، 1956م .
- ✽ الصالحى الشامى ،شمس الدين العبد الله محمد بن يوسف (ت 942هـ)

51. سبل الهدى والرشاد، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، الناشر: دار الكتب، بيروت، ط1، 1993م.
- ✽ ابن صاعد الأندلسي: هو ابي القاسم صاعد بن احمد (ت 462هـ)
52. طبقات الأمم، تحقيق: لويس شيخو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، (د.ت).
53. كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، المطبعة: طبع في حيدرآباد الدكن، الناشر: دار الكتاب العربي، الهند، 1320 هـ.
- ✽ الصدوق: ابي جعفر محمد بن علي ابن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت 381 هـ)
54. الشرائع، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1966 م.
- ✽ الطريحي (ت 1085هـ)
55. مجمع البحرين، ط2، 1312 ش، المطبعة: چاپخانه طراوت، الناشر: مرتضوي، (د.ت).
- ✽ ابن طاووس: رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت 664هـ)
56. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، تحقيق: داود الهامي، الناشر: دفتر نویر اسلام، ط2، 1955م.
- ✽ الطبراني: أبو القاسم سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير اللخمي (ت 360هـ / 918م)
57. الدعاء، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1413هـ.
58. المعجم الأوسط، تحقيق: قسم التحقيق بدار الحرمين، مطبعة: دار الحرمين، الرياض، 1995م.
59. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد الحميد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (د.ت).
- ✽ الطبرسي: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت 671هـ)
60. تفسير جامع الجامع، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964 م.
- ✽ الطبري: أبي جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ)
61. تاريخ الطبري، تحقيق: نخبة من العلماء الأجلاء، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط4، 1983 م.
- ✽ الطوسي: عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن حمزة (ت 560هـ / 1165م)
62. الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا علوان، المطبعة: الصدر، الناشر: مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر، قم، ط2، 1412 هـ.
- ✽ ابن عابدين: علاء الدين محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين المتقي (ت 1252 هـ / 1889م)

63. تكملة حاشية المختار ، تحقيق وأشراف: مكتب البحوث والدراسات، الناشر: دار الفكر والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، 1415هـ / 1995م .
- ✽ ابن عبد البر : أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت 463هـ)
64. الاستيعاب ، تحقيق: علي محمد البجاوي ، الناشر : دار الجيل ، بيروت - لبنان ، ط1، 1992م.
- ✽ ابن عبد ربه : احمد بن محمد ابن عبد ربه ابن حبيب (ت 328هـ)
65. العقد الفريد ، تحقيق: بركات يوسف هبود ، مطبعة دار الارقم ، بيروت، 1999م .
- ✽ ابن عساكر : أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله (ت 571هـ)
66. تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: علي شيري، المطبعة : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان، 1415هـ .
- ✽ العيني : بدر الدين ابي محمد بن محمود بن احمد الخنفي (ت 855هـ)
67. عمدة القارئ ، مطبعة دار احياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت) .
- ✽ ابن قتيبة الدينوري : ابي محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم (ت 276هـ)
68. المعارف ، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط2، 2003م.
69. عيون الأخبار ، مطبعة: دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي، بيروت ، ط3، 2003 م .
70. غريب الحديث ، تحقيق: عبد الله الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، قم ، ط1، 1408م .
- ✽ القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ)
71. آثار البلاد وأخبار العباد ، الناشر: دار صادر ، بيروت ، (د.ط) ، (د. ت) .
- ✽ ابن فارس : أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت 395هـ)
72. معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، المطبعة : مكتبة الإعلام الإسلامي، 1404هـ.
- ✽ فتح الله الكاشاني: فتح الله بن شكر الله الشريف (ت 989هـ / 1580م)
73. زبدة التفاسير ، تحقيق: مؤسسة المعارف، مطبعة عترة ، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية ، قم - إيران ، ط1، 1423هـ .
- ✽ الفراهيدي : الخليل بن احمد بن عمرو بن تميم (ت 173هـ / 789م)
74. العين ، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، مطبعة الصدر، الناشر: مؤسسة دار الهجرة ، ط2، 1410هـ .
- ✽ الفيروز آبادي: مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب بن محمد (ت 817هـ)

-
75. القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (د.ت) .
❁ الفيض الكاشاني (ت 1091هـ)
76. تفسير الصافي في تفسير كلام الله الوافي ، تحقيق: مركز الأبحاث والدراسات الشيعية، مطبعة : مكتب الاعلام الإسلامي ، ط1 ، 1418 هـ .
❁ ابن كثير ، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي الدمشقي (ت 774هـ)
77. البداية والنهاية ، تحقيق: علي شيري، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت ، ط1 ، 1988م .
❁ المتقي الهندي : علاء الدين علي بن حسام الدين قاضي القادري (ت 975هـ)
78. كنز العمال ، تحقيق: بكري حياني، الناشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، 1989م.
❁ المجلسي (ت 1111هـ)
79. بحار الانوار، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان ، (د.ت).
❁ مسلم النيسابوري : أبو الحسن مسلم بن الحجاج (261هـ)
80. صحيح مسلم، الناشر: الفكر للطباعة ، بيروت ، (د.ت) .
❁ المطهر الحلي: رضي الدين أبو الحسين علي بن يوسف بن علي المطهر (705هـ)
81. الاعداد القوية لرفع المخاوف اليومية ، تحقيق: مهدي الرجائي، اشراف: محمود المرعشي، مطبعة سيد الشهداء، الناشر: مكتبة اية الله المرعشي العامة ، ط1 ، 1408 هـ .
❁ المقدسي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر شمس الدين (ت 381هـ)
82. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، الناشر: دار صادر، بيروت ، 1991م .
❁ ابن منظور : أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن جمال الدين (711هـ / 1311م)
83. لسان العرب ، الناشر: نشر أدب الحوزة ، قم - إيران ، 1405 هـ .
❁ الموسوي : شمس الدين أبي علي فخار بن معد الموسوي (ت 630هـ)
84. إيمان أبي طالب ، تحقيق : السيد محمد بحر العلوم، المطبعة : الآداب - النجف الأشرف، الناشر: مكتبة النهضة - بغداد، ط2 ، 1965 م.
❁ ابن ميثم البحراني : كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم (ت 679هـ)
85. شرح فحج البلاغة، تحقيق : عدد من الافاضل، المطبعة : چاپخانه دفتر تبليغات إسلامي، الناشر : مركز النشر مكتب الاعلام الإسلامي، قم ، ط1 ، 1362 ش.
❁ النسائي: خالد عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار (303هـ)
86. السنن الكبرى دار الفكر للطباعة والنشر، ط1 ، 1930 م .

-
- ❁ النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي (ت 676هـ / 1277م)
87. المجموع ، الناشر: دار الفكر، (د.ط) ، (د.ت) .
- ❁ النويري : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب بن محمد النوري (ت 733هـ / 1333م)
88. نهاية الأرب في فنون الأدب ، مطبعة كوست توماس وشركاه ، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، (د.ت) .
- ❁ ابن هشام: عبد الملك بن هشام أبو محمد ابن أيوب الحميري (ت 218هـ)
89. السيرة النبوية ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة : مدني ، الناشر: مكتبة محمد علي صبح وأولاده، القاهرة - مصر ، 1963 م .
- ❁ الهمداني : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود (ت 334هـ)
90. صفة جزيرة العرب ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٨٨٤ م .
- ❁ الهيثمي : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807هـ)
91. مجمع الزوائد، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، 1988 م .
- ❁ الواقدي : أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الهيثمي الاسلامي (ت 207هـ)
92. المغازي ، تحقيق: مارسدن جونز، الناشر: نشر داش إسلامي ، 1405هـ .
- ❁ ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626هـ / 1229م)
93. معجم البلدان، الناشر: دار احياء التراث العربي، بيروت ، 1971 م .
- ❁ البيهقي : أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت 292هـ)
94. البلدان، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، ١٤٢٢ هـ .
- المراجع :
- ❁ الأميني : عبد الحسين بن احمد الاميني التبريزي (ت 1392هـ)
95. الغدير ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان، ط 4 ، 1977 م .
- ❁ الأمين : محسن: محسن بن عبد الكريم بن علي الأمين الحسيني العاملي أبو محمد باقر (ت 1371هـ)
96. أعيان الشيعة، تحقيق وتخرّيج : حسن الأمين، الناشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، (د.ت) .
- ❁ البلادي: عاتق بن غيث بن زوير (ت 1431هـ)
97. معالم مكة التاريخية والاثنية ، الناشر: دار مكة ، ط 1، 1980 م .
- ❁ الزحيلي: وهبة بن مصطفى الزحيلي الدمشقي (ت 1436هـ)
98. التفسير الوسيط ، مطبعة دار الفكر ، الناشر: دار الفكر المعاصر، دمشق ، ط 2 ، 2006 م .

-
- ✽ سالم: السيد عبد العزيز
99. تاريخ الدولة العربية منذ عصر الجاهلية حتى سقوط الدولة الأموية ، مطبعة دار النهضة للطباعة والنشر، 1971م .
- ✽ السوداني : صلاح عباس
100. الحياة الاجتماعية قبل الإسلام ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد) ، 2002م .
- ✽ الشريف: أحمد إبراهيم
101. مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، دار الفكر العربي، الإسكندرية، 2002م.
- ✽ شمس الدين ، إبراهيم:
102. موسوعة تراثية جامعة لقصص ونوادير و طرائف العرب في الجاهلية والإسلام ، دار الكتب العلمية، لبنان - بيروت ، ط1، 2002م .
- ✽ الصفرائي: رياض
103. هاشم بن عبد مناف ،الناشر: العتبة الحسينية المقدسة، ط1، 2017م .
- ✽ الطباطبائي : محمد حسين بن محمد بن محمد حسين بن علي (ت 1402هـ / 1981م)
104. قضايا المجتمع والأسرة والزواج على ضوء القرآن الكريم ، الناشر: دار الصفوة ، (د.ط) ، (د.ت).
- ✽ العاملي: جعفر مرتضى العاملي
105. الصحيح من سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله) ، مطبعة دار الحديث، الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر ، قم، ط1، 1426هـ.
- ✽ أبو العلا:
106. محمود طه جغرافية شبه الجزيرة العربية ، الناشر : مؤسسة سجل العرب ، القاهرة - مصر ، ط2، 1972م.
- ✽ كاشف الغطاء : هادي (ت 1361هـ)
107. مستدرك نخب البلاغة ، الناشر : منشورات مكتبة الاندلس، بيروت ، (د.ت) .
- ✽ كحالة: عمر رضا
108. معجم قبائل العرب ،الناشر: دار الملايين ، بيروت - لبنان ، ط2، 1968م .
- ✽ المرعشي النحفي ، شهاب الدين المرعشي (1411هـ / 1990م)

-
109. شرح أحقاق الحق ، تحقيق وتعليق: شهاب الدين المرعشي ، الناشر : منشورات مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي، قم ، (د.ت) .
✽ مغنية : محمد جواد بن محمد بن محمد بن مهدي بن محمد (ت 1400 هـ)
110. الفقه على مذاهب الخمسة ، مطبعة شريف، الناشر: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، قم ، ط5، 1427هـ.
111. الشيعة والحاكمون ، تحقيق: سامي الغريزي، الناشر: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، (د.ت) .
✽ ميرزا :معارج نواب :
112. أحوال الطقس والمناخ في الشتاء بمكة المكرمة ، الناشر: ام القرى ، (د.ط) ، 1419 هـ .
✽ هادي النجفي :
113. ألف حديث في المؤمن ، مطبعة : مؤسسة النشر الإسلامي، ط1، 1416هـ .
الرسائل والأطاريح :
✽ بدر الدين، يوسف أحمد
114. مناخ مكة العربية الصورية ، رسالة ماجستير ، جامعة ام القرى ، معهد البحوث العلوم والتراث الإسلامي، سلسلة بحوث العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الاجتماعية ، المملكة العربية السعودية، 1992م.
✽ الرحيلي : أمينة بت عطا الله
115. خصائص المناخ في منطقة مكة المكرمة ، رسالة ماجستير جامعة ام القرى ، كلية العلوم الاجتماعية، مكة المكرمة ، 2005 م .
- البحوث والمقالات :
- ✽ الدخيل :عبد الرحمن
116. موارد المياه الجغرافية جنوب مكة المكرمة ، مركز قطبة للأبحاث والتطور، مكة المكرمة ، 1418هـ.

مجلة أمّات في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

المعارضة السياسية لأبناء البيت الأموي في الأندلس (138-366هـ/755-976م)

أ.د. حسين جبار مجيتل

الباحث زيدون خلف كلش

جامعة البصرة-كلية التربية للعلوم الإنسانية-قسم التاريخ ، المديرية العامة لتربية ميسان-العراق

zaedoun1@uomisan.edu

تاريخ الإيداع: 2021/06/02 م تاريخ التحكيم: 2021/06/11 م تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص بالعربية:

تُعد عملية تداول السلطة من الأمور السياسية ؛ لأنها تأتي بعد وفاة الحاكم والمسؤول الأول المتمثل في الأمير أو الخليفة ، وقد تمخضت المعارضة بين أبناء البيت الأموي في الأندلس منذ دخول عبدالرحمن الأول سنة 138هـ/755م، بعقد المؤامرات والتمردات والبعض الآخر أراد الانقلاب على السلطة ، وكانت هذه الانحرافات استكمالاً لصورة الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأموي الذين كانوا في بلاط الأندلس فكانت لهم بشكل أو بآخر أطماع في السلطة وان اختلقت أوجه تلك الأطماع من ناحية الممارسات في التنفيذ، فقد أراد كل واحد منهم الاستحواذ على السلطة، واستمر ذلك الحال حتى سنة 366هـ/976م.

الكلمات المفتاحية: معارضة ، سلطة ، بلاط .

**The political opposition of the children of the Umayyads in the court of
Al- Andalus (138-366 AH / 755-976 AD)**

**Prof. Dr. Husain Jabbar Muchaitel Al-Aleiyawi,
A.L. Zaedoun kalaf Kalash .**

**University of Basrah-College of Education for Human Sciences-
Department of History , The General Directorate of Education in the
province of Maysan-Iraq.**

Abstract:

The process of deliberation of power is a political matter; because it comes after the death of the ruler and the first official represented by the prince or the caliph, the opposition among the Umayyads at Andalusia since the entry of Abd al-Rahman I in 138 AH / 755 AD which has resulted in conspiracies, rebellions, and some others wanted to overthrow the power. These deviations were a complement to the pattern of the struggle for power among the Umayyads whose were in the palace of Andalusia and it had ambitions in one way or another for power, even if

these ambitions were invented in terms of practices in implementation, each of them wanted to seize power, and this situation continued until the year 366AH/976AD.

Keywords: opposition, power, palace

المقدمة

إذ ساند بعض أصحاب السلطة الحكام في تعيين ولي للعهد من قبل الوالي قبل وفاته، والأمويون في بلاد الأندلس حذو في المسير على خطى أجدادهم في المشرق الإسلامي على تقاليد الدولة في إحياء التقاليد السياسية في تولية العرش⁽¹⁾، لذا فضل أجدادهم الذين سبقوهم على عدم تولية في استخلاف أبناء الإماء، بينما كانوا يستخلفون أبناء الأمراء حتى وإن لم يكن امهاتهم غير عربيات⁽²⁾.

ومن أجل الحفاظ على السلطة، قرب عبد الرحمن الداخل للهاريين الأمويين من بلاد المشرق إلى بلاطه وعزز نفوذهم في الأندلس، إذ كان يقول: ((أعظم ما أنعم الله تعالى به علي بعد تمكني من هذا الأمر القدرة على إيواء من يصل إلي من أقاربي، والتوسع في الإحسان إليهم، وكبري في أعينهم وأسماعهم ونفوسهم بما منحتني الله تعالى من هذا السلطان الذي لا منة لأحد علي فيه لأحدٍ غيره))⁽³⁾، وبعد شعورهم بالأمان، توسع نفوذهم في البلاط إثارة حالة من التنافس والصراع في البلاط نتيجة اعتقاد بعضهم بعدم عدالة الأمير في توزيع المناصب وتقريب بعضهم وإبعاد بعضهم، وكثرة حركات العصيان، كانت عوامل رئيسة للخيبات بينهم من أجل السلطة⁽⁴⁾.

إن دخول عبد السلام بن يزيد بن هشام بن عبد الملك إلى الأندلس سنة 142هـ/759م مع مواليه، فأكرمهم الأمير الداخل وأغدق عليهم في المناصب والثروة وجعلهم مقربين منه بصفة حراس واعتمد على بعضهم في إدارة شؤون البلاد، إلا أنهم فيما بعد أصبحوا من المتآمرين على الأمير الداخل وأرادوا الاستيلاء على مقاليد الحكم منه سنة 163هـ/779م⁽⁵⁾، واشترك في هذا التآمر أحد أقارب الأمير الذي يدعى عبيد الله بن ابان بن معاوية⁽⁶⁾، (ابن أخ الأمير عبد الرحمن الداخل)⁽⁷⁾، في حين أن الذين قادوا التآمر معهم هم يحيى بن يزيد بن هشام الذي عُرف عنه باليزيدي، وعبيد الله بن ابان بن معاوية⁽⁸⁾ ومساعدته ابن ديوان الحيشاني وكذلك ابن يزيد بن يحيى التحيبي وابن أبي الغريب وكان أبو عثمان من خلفهم يساعدهم بطرف خفي⁽⁹⁾، وتجمعوا من أجل الاستيلاء على الحكم، لكن الأقدار شاءت أن حسن بهم أحد موالى عبيد الله بن ابان، وخرج بعد أن تسلق السور ليلاً من أحد قصور البلاط وأقبل إلى القصر البلاط الآخر مبلغاً بداراً بالخبر، وابلغ بداراً ببريد إلى الأمير عبد الرحمن ما يحاك من تآمر

داخل البلاط وكان الأمير في حينها يتنزه بوادي شوش⁽¹⁰⁾، فأرسل الأمير مع بدر وبصحبة صاحب الخيل فقال امضي بما يمكنك من أصحابك الموجودين وأخذ معك عبد الحميد بن غانم صاحب الرحالة، فمضى بدر إلى عبيد الله بن ابان واتجه عبد الحميد بن غانم صاحب الرحالة إلى عبد السلام بن يزيد ويحيى بن يزيد، وتمت عملية القبض عليهم⁽¹¹⁾، فأقبل الأمير عبد الرحمن إلى الرصافة وأمر بجس هؤلاء ومن ثم تتبع الآخرين وما إن تم له جمعهم، قتل ابن عمه عبد السلام بن يزيد المعروف باليزيدي وكذلك عبيد الله بن ابان⁽¹²⁾، وبعدها أمر بسحب الجثث في الرصافة⁽¹³⁾.

كذلك كان المغيرة بن الوليد بن معاوية المنتمي إلى البيت الأموي من الشخصيات التي تأمرت على عبدالرحمن الداخل في سنة 168هـ/784م إذ تحرك المغيرة بن الوليد مع هذيل بن الصميل بن حاتم لقيامهم على الأمير عبدالرحمن الداخل⁽¹⁴⁾، وإن المغيرة من أقرباء الأمير الداخل⁽¹⁵⁾، وكان من ضمن الداخلين إلى بلاط الأندلس من الذين استدعاهم الأمير عبد الرحمن⁽¹⁶⁾، وكان وطنه يومئذ بالرصافة⁽¹⁷⁾، فانكشف له يومئذ أمره من قبل بعض من تعاقد معه، وإن الذي أبلغ الأمير هو العلاء بن عبد الحميد القشيري وأخبره بما يريد المغيرة فعله⁽¹⁸⁾، فأحضرهم الأمير بين يديه⁽¹⁹⁾، فأقروا واستبقي الناصح لهم، وتحول الأمير عبد الرحمن يومئذ من الرصافة إلى قصر قرطبة⁽²⁰⁾، وكان ممن شارك في هذا التآمر أيضاً سمرة بن جبلة، لأنهم اجتمعوا على خلعه مع العلاء بن حميد القشيري⁽²¹⁾ وشاركهم هذيل بن الصميل بن حاتم في التآمر من أجل الثأر لأبيه فأمر الأمير بقتل جميع المعارضين⁽²²⁾، ونفي أخيه الوليد وأهله إلى عدوة المغرب⁽²³⁾.

كان عبد الرحمن الداخل قد تجرد من القرابة وقام بقتل المغيرة بن الوليد وهو ابن أخيه بسبب كشف مخطط التآمر، بينما كانت خطتهم تقتضي بالتخلص من عبد الرحمن الداخل من خلال القتل وتنصيب ابن عمه المغيرة مكانه⁽²⁴⁾.

وتحدث بعض من الموالي الذين عملوا في داخل البلاط عن عبد الرحمن اثر مقتل ابن أخيه المغيرة وما دبر من تأمر ضد الأمير ولكن عبد الرحمن الداخل كان كثير الهم والغم فقال: ((ما عجبني الا من هؤلاء القوم سعينا فيما يرضعهم في مهاد الأمن والنعمة وخاطروا فيه بحياتنا حتى إذا بلغنا منه مطلوبنا ويسر الله تعالى اسبابه، اقبلوا علينا بالسيوف. ولما آويناهم وشاركناهم فيما افردنا الله

تعالى به حتى امنوا وردت عليهم اخلاف النعم وهزوا اعطافهم وشمخوا بأنافهم وسموا إلى العظمى
فنازعونا ...))⁽²⁵⁾.

وعلى أثر هذا التآمر أصبح الأمير كثير الشك والقلق من أهله عندما قدم على نفي أخيه الوليد بن معاوية من الأندلس إلى بلاد المغرب أثر تلك الحادثة التي قام بها ابنه المغيرة⁽²⁶⁾، بعد أن ارسل الأمير الداخل إليه أحد الموالى بمبلغ من المال (حوالي خمسة الاف دينار) فادفعها إليه ما إن وصل وشاهد حالة الوليد بن معاوية وهو أشبه بالأموات فأنسته ولاطفته ومن ثم دفعت إليه المال وأبلغته كلام الأمير⁽²⁷⁾، فأخذ يتأوه وذكر إن ابنه عندما خرج كان قد أخطأ وهو بذلك عاق وقد جرى به الحكم والقضاء، ثم ذكر الموالى ذلك إلى الأمير الداخل فبين بمعنى قول أخيه إنها كلمة حق يراد بها باطل، وقسم بالله إنه لو تمكن منه لشرب من دمه وما عفى عنه لحظة إذ اظهره الله إليه⁽²⁸⁾.

وفي عهد الأمير هشام بن عبد الرحمن تحدث المقرئ عن الأحوال التي تحيط بالأمير هشام حيث قال : ((وقاسى مع المخالفين له من أهل بيته وغيرهم حروبا، ثم كانت الدائرة له))⁽²⁹⁾ فقد كانت إجراءاته هو القبض على أكبر اولاده عبد الملك وزجه في السجن؛ لما ثبت عليه من تأمره ضده في البلاط⁽³⁰⁾، وقد تكون رغبته الشديدة في منافسة أخيه الحكم بن هشام لتولي الإمارة دفعت الأمير إلى سجنه طوال حياته⁽³¹⁾، إذ بقى في سجنه طويلاً ما يقارب تسع عشرة سنة حتى توفي بعد وفاة أبيه⁽³²⁾، سنة 196هـ/811م⁽³³⁾، بينما أشار آخرون إن موته سنة 198هـ/813م⁽³⁴⁾ ومن المرجح إن المنافسة على السلطة هي سبب زجه في السجن مدة طويلة في عهد أبيه وأخيه الأمير الحكم⁽³⁵⁾.

وعندما تولى الأمير الحكم بن هشام، أراد أن تكون سلطته مستقرة إلى حد ما لاسيما بعد رحيله، لأن توجس خبر بأن ابنه هشام كان راغباً في موت أبيه لكي يكون خلف له في سلطان الحكم، وعندما علم الأمير الحكم بهذه الرغبة قسم لا يعطيه ولاية العهد⁽³⁶⁾، فكان البديل حاضر عنده في ولاية العهد الذي عهد بها إلى ابنه الأكبر عبد الرحمن، كما ابتكر منصب ولي العهد وعين فيه ابنه المغيرة بعده، إذ جمع الأمير الحكم الوزراء والقضاة والولاة والقواد وعهد اليهم أمامهم بولاية العهد إلى ابنه عبد الرحمن، فارتضوا جميعاً وأقسموا باليمين للطاعة وكان يوم سرور وساده الفرح وعُرف ولي العهد سنة 199هـ/814م، وأخذ الأمير في التذكير وتحديد العهد على الخاصة بولاية العهد وكان ذلك في عيد الاضحى لعشرة من ذي الحجة 206هـ/822م الذي جمع الخاصة من في القصر وعقد البيعة لابنه عبد

الرحمن وبعدها حمل إلى إحدى حجرات القصر بصحبة الخصيان وبعض نسائه , وبعد حوالي خمسة عشر يوماً توفي في السنة نفسها⁽³⁷⁾.

كان لمشاورى الأمير عبد الرحمن الثاني بن الحكم بن هشام دور كبير في إثارة شكوكه وترسيخ فكرة المؤامرة لدى الأمير وحول تدبير القاضي إبراهيم بن العباس المرواني⁽³⁸⁾ ويحيى بن يحيى⁽³⁹⁾ مع بعض المقربين في البلاط لانقلاب ضد الأمير إلا أن الأخير بعد أن بحث في القضية أوصلوه إلى أن يحيى بن يحيى لم يكن شريكاً في التآمر⁽⁴⁰⁾، فعزل القاضي إبراهيم سنة 213 هـ/828م⁽⁴¹⁾.

وعندما ولي الأمير عبد الله ابنه محمداً⁽⁴²⁾ ولاية العهد الذي يعد مرشحاً من حيث الإمكانيات التي يتمتع بها لإدارة البلاد , فقد حسده اخوه المطرف وتقابل كل منهما بالهجران والصد⁽⁴³⁾ , ومن معارضته قام في إحدى الأيام بقتل فارس من فرسان أخيه محمد⁽⁴⁴⁾ , وعلى إثرها زج المطرف إلى السجن ومن ثم آمنه أبوه بأن يخفف من شدته بعد أن أستوثقه توجه إلى قاعدة ببربستر (Barbastro)⁽⁴⁵⁾ التي تضم المعارضين لسياسة السلطة وأهلها , بعد أن أجمع حوله المعارضين والخارجين على سياسة البلاط متوجهاً إلى ابن حفصون⁽⁴⁶⁾ , ومن ثم آمنه أبوه وأعطاه الأمان وقال مستشهداً بالقران الكريم ﴿يُنَسِّسُ الْإِسْمَ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽⁴⁷⁾ , انصرف إلى محبيه وأهله , وما زال الصد ما بين محمد والمطرف , والمطرف حث أباه إنه يريد القيام على أبيه مع ابن حفصون وهما يتواصلان⁽⁴⁸⁾ , حبس الأمير عبدالله محمداً في دار النقيقه⁽⁴⁹⁾ في القصر⁽⁵⁰⁾ وكان من تدبير الموظفين والمقربين الذين حاكوا الدسائس ضد ولي العهد⁽⁵¹⁾ , وضلَّ الأمير عبدالله يختبر ويمتنح وهو يستمع إلى محمد فأقتنع ان محمداً بريء , فما كان من الأب إلا أن يحل وثاق ابنه محمد وأطلقه , دخل إليه المطرف فأجهز على أخيه محمد في ساعتها وتركه متخبط في دمه⁽⁵²⁾ , مستغلاً غياب أبيه الذي كان في إحدى الغزوات خارج البلاط⁽⁵³⁾ , وكان فجر الخميس يوم العاشر من شوال سنة 277 هـ/890م⁽⁵⁴⁾ , وأشير أن سبب قتل المطرف لأخيه كان بإيعاز من أبيه⁽⁵⁵⁾.

وحدث في عهد الأمير عبدالله أيضاً أن حذر ابنه المطرف بأن لا يغدر بوزيره وكتبه عبد الله بن أمية وإن فعلت وتخلصت منه سيكون مصيرك القتل , وأخذ يفكر المطرف بخلع أبيه لكن الحذر يأخذ منه بسبب وجود عبدالله بن أمية الذائب في طاعة الأمير عبدالله , وكان بين الابن والوزير بعض العداوة ففتك الابن بالوزير عبدالله بن أمية⁽⁵⁶⁾ ; لأن المطرف يقول هو كان السبب في عزوف أبي عن توليتي ولاية العهد فقتله⁽⁵⁷⁾ ; أخذ أحمد بن هاشم بن عبدالعزيز الذي تولى القيادة بالشروع في أن يرر سبب قتل

القائد عبد الملك بن أمية هو التهاون والاستخفاف بحقوقهم⁽⁵⁸⁾، فخرج المطرف يريد أن يخلع أبيه قلق الأمير وأمر أهل إشبيلية وأهل شذونه (*Sedona*)⁽⁵⁹⁾ بأن لا يطاوعوه وتم مقاطعته ومحاصرته من قبل بعضهم فطلب من أبيه أن يستأمنه، رجع إلى قرطبة ومن باب السياسة والدهاء عند أمراء بني أمية بعث إليه بعض خاصته لكي يستأمنه فجعل في داره التي هي في البلاط فجاءوا مسلمين عليه بقدمه من السفر، وكان المطرف يشعر إن المنية قريبة حيث قال إلى أحد الخوارج وهو مروان بن عبيد الله بن بسيل⁽⁶⁰⁾ الذين كان معه إن عشت لأطعمنك مما تشتتهي من لحوم الجزيرة فعاجلوا في منيته⁽⁶¹⁾، فكان قتله يوم الأحد المصادف العاشر من رمضان سنة 282/895 م وهو ابن سبع وعشرين سنة⁽⁶²⁾، وكان سبب القتل هو اعتراض الابن على سياسة أبيه وكأن الأب يستوفي لثأر ابنه محمد ووزيره⁽⁶³⁾، وكانت الأقوال الحاشية الدور في جعل الأب بالقدوم إلى قتل ابنه العاصي على أمره، وبقي يدافع المطرف عن نفسه طيلة ثلاثة أيام في قصره داخل البلاط ضد الذين أمروا بإلقاء القبض عليه، وفي النهاية قبض على المطرف وبحضور الأمير عبد الله أمر بقتله في العاشر من رمضان 283/896 م ودفن تحت شجرة في إحدى حدائق البلاط التي يقيم بها حفلاته للشرب والانس⁽⁶⁴⁾.

كما أخذت المعارضة السياسية بالظهور في عهد الأمير عبد الله بن محمد أخذت المعارضة السياسية بالظهور لاسيما عندما تكلم عنه بعض الفقهاء معترضين على سياسية القتل التي انتهجها الأمير عبد الله ضد أخيه المنذر وقتل مجموعة أخرى من إخوته وأبناء إخوته⁽⁶⁵⁾، إذ تم قتل أخيه المنذر غيلة واحتيال بعد أن سمّ المبضع⁽⁶⁶⁾ الذي يحجم به الأمير المنذر وتم سمّ الأمير المنذر الذي كان في حينها نازل لمحاربة المتمرّد عمر بن حفصون⁽⁶⁷⁾، ويبدو إن الاغراءات المادية كانت حاضرة بعد أن أعطى الأموال إلى الطبيب لتنفيذ المهمة⁽⁶⁸⁾، في حين ذهب البعض إلى ميسور فتاة هو الذي باشر في سمّ المبضع الذي يفصد⁽⁶⁹⁾ به بسبب تقصيره في بعض الأعمال وإن الأمير سيوقع به عند رجوعهم إلى قرطبة، وبعد مدة من جريان السمّ في دمه كانت وفاته بالقرب من مدينة بريشت⁽⁷⁰⁾، لقد قام الأمير عبد الله بقتل أخيه ومن ثم ولديه اللذين كانا معه وهم كل من محمد والمطرف ومن ثم قتل أخوين آخرين معه أيضاً في 21 شعبان 284/897 م، ومن ثم اطيح بهاشم بن محمد الأول وهو من البيت الأموي إثر الوشاية والتلفيق التي لفقها ضده⁽⁷¹⁾، وربما كان هناك بعض الذين مقتوه في البلاط وبادروا في معارضة ضد هشام بن محمد وهم الذين سعوا إلى الأمير عبد الله بن محمد بأنه اتفق مع بعضهم ضد أخيه⁽⁷²⁾، فُقتل هشام بالسيف

والقاسم رماه بسهم فقتله بالإضافة إلى من قتل غيرهم⁽⁷³⁾، وذكر ابن عذاري إن القاسم شقيق الأمير عبدالله قد قُتِلَ بالسهم⁽⁷⁴⁾، ربما إن اللفظ الأخير سقط منه حرفاً سهو والمقصود هو السهم .

أخذ الحكام بالتخلص من معظم الذين اتهموا بالتآمر على السلطة ، إذ إن الاتهامات قد كثرت اتجاه القاسم أخ الأمير عبدالله إنه يريد منه مورد الهلاك ، فإن إجراءات السلطة التي تقتضي من باب التدبير وحكم الرياسة أن تتحقق من الكلام الذي يصلها ، ومن الإجراءات السياسية قد أمر عليه بالإقامة الجبرية في القصر بداره البنقية ، إذ إنه بعد مدة تم نقله إلى سجن الدويرة ، ومن ثم ادخله السجن ربما يوحي إنه متورط في تآمر، وكانت عيناه لا تسكن إلى النوم في السجن، يرى الباحث أمرين ، أحدهما: هل سبب الامتناع من النوم هو الخوف المطبق لمعرفته بأخيه وبطشه ، والثانية احتمال انه كان متورط وبعد أن كشف أمره فمنع من النوم ، فضلاً عن ذلك أصابع التآمر لم تمر على أمه، في حين إن الدواء الذي أُعطي إلى القاسم من قبلها تثير الشكوك ولو بطرف خفي إنها أرادت التخلص من القاسم حتى لا تترك دليلاً على إنها مشتركة في التآمر وإن القاسم مقتول بالسجن لا محال⁽⁷⁵⁾.

وأخذ الأمير عبدالله أيضاً بسجن مجموعة من الذين ربما كان سبب السجن هو التآمر لأن بعد رجوع الأمير من حملاته ضد الخارجين أمثال ابن حفصون إلى البلاط أمر بنز كل من أخيه هاشم بن الأمير محمد ومروان بن عبد الملك بن عبدالله بن أمية⁽⁷⁶⁾ هو من الأسر التي خدمت السلطة وكان لهم مناصب كثيرة في عهد آبائهم المتقدمين وطال الحبس كلاً من سعيد بن الوليد الشامي وأيضاً أحمد بن هاشم بن الأمير عبد الرحمن وكذلك موسى بن أحمد بن زياد فكان الحبس في المطبق بالقصر وبعد أيام عدة من السجن أمر بقتل كل من أخيه هشام ومروان وسعيد⁽⁷⁷⁾.

وفي عهد عبد الرحمن بن محمد (300-350هـ/912-961م)⁽⁷⁸⁾ اعترض موسى بن زياد⁽⁷⁹⁾

في كلامه على عبد الرحمن الثالث قبل تولية الأخير السلطة ، حيث كان يجاهر في القول أمام جده في بلاطه وكذلك كان يحاول تحريض الأمير عبد الله عليه ، لأنه كان يشغل منصب الوزارة في عهده ، وبعد أن تولّى عبد الرحمن الثالث منصب حكم الأندلس ، أمر بحبس موسى بن زياد وبقي في الحبس حتى أمر بقتله في ليلة السبت 12 من شهر صفر سنة 307هـ/919م، وقُتِلَ معه كل من حبيب بن عمر بن سودة، وولده، ومحمد بن وليد المعروف بالعقلي؛ وكانت لهم ذنوب وجرائم احصيت عليهم⁽⁸⁰⁾.

ومن أوجه التآمر التي أثارها كل من العاصي بن عبد الله بن محمد وهو عم الناصر والشخص الآخر هو محمد بن عبد الجبار بن محمد وجده عبد الرحمن الأوسط من أجل نزاع البيعة لهم والمطالبة

بالحكم لكن اختلافهم وعندما وصل خبره للأمير الناصر الذي استجوبهم وشهد أحدهما ضد الآخر بذلك فأوعز الأمير بقتلهما في ليلة الاربعاء الثالث من رجب لسنة 309هـ/921م⁽⁸¹⁾.

عُد أحمد بن إسحاق القرشي⁽⁸²⁾ أحد من سنحت لهم الفرصة من أبناء البيت الأموي أن يكون وزيراً للخليفة الناصر⁽⁸³⁾، وقائد فرسان حكومته، وفي إحدى الغزوات التي كان الناصر يحاصر سرقسطة (*Sargossa*)⁽⁸⁴⁾ فشدد الحصار على المدينة وجعل عليها أحمد بن إسحاق فتهلون في الحصار وان الطمع قد أخذ في نفسه⁽⁸⁵⁾، دفع ذلك الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى عزله عن الوزارة في شهر شوال سنة 325 هـ/936م، وعلى أثر ذلك تأمر أحمد بن إسحاق مع أخيه أمية بن إسحاق⁽⁸⁶⁾، من داخل البلاط حوالي ثلاثة أشهر إلى أن علم به الخليفة عبد الرحمن فقتل أحمد بن إسحاق في شهر محرم من السنة نفسها⁽⁸⁷⁾، فسار أمية بن إسحاق إلى مدينة شنترين (*Santare*)⁽⁸⁸⁾ في الجانب الغربي واعتصم داخل المدينة وإعلان التآمر والعصيان واستنجد بالنصارى ومن ثم تحالف مع ملك ليون⁽⁸⁹⁾، فلم يكتف أمية بن إسحاق بذلك بل زوّد الجيوش النصرانية بمعلومات عن الجيوش الإسلامية التي يقودها الناصر لحرب (راميرو الثاني)⁽⁹⁰⁾ فكانت هذه المعلومات سبب من أسباب خسارة الخليفة الناصر في المعركة سنة 327هـ/938م⁽⁹¹⁾، وتعب الخليفة عبد الرحمن الناصر فتم له القبض على أحمد بن إسحاق وقتله⁽⁹²⁾.

أدت معارضة الأعيان من أجل الاستئثار بولاية العهد لصالحهم عندما سعى الفقهاء لمبايعة أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الناصر⁽⁹³⁾، إذ كان عبد الله يسمى الزاهد عندهم، لذا أرادوا أن يولوه عوضاً عن أخيه الحكم وأبيه الناصر بقتلهما ويستلم ولاية العهد بعدهما⁽⁹⁴⁾، بسبب إثارة عبد الرحمن الناصر للحكم المستنصر⁽⁹⁵⁾ على جميع ولده ودفع له كثير من الصلاحيات التي يسمح له التصرف في دولة أبيه، اتضح تأمر ياسر الفتى ومجموعه مع ابنه⁽⁹⁶⁾ ضد ولاية العهد التي أعطاهها الناصر إلى ابنه الحكم المستنصر فاعترض عبد الله على حرمان الحكم المستنصر⁽⁹⁷⁾، وعندما علم الناصر بذلك فقام بسجن عبد الله ومعرفة أصحابه المؤيدين، لذا أبلغ الحكم أبيه الناصر إن أخيه عبد الله أراد أن يقوم بقتل أبيه الناصر⁽⁹⁸⁾، فوجد عند ابنه مجموعة من الفقهاء الذين يوغرون صدره الفقيه أحمد بن محمد بن عبد البر⁽⁹⁹⁾ وآخر من أصحابه يعرف بصاحب الوردة واسمه أحمد بن عبد الله بن العطار⁽¹⁰⁰⁾، فأخذهما إلى بلاط مدينة الزهراء فجاء الناصر وأمر بسجنهما وعرف الوزراء بخبرهم وكشف لهم ما يروم ابنه من أفعال اتجأه بعد أن وجدوا رسائل الفقيهيّن الذين قبض عليهما معه وأما ابن عبد البر ((فأني اعلم هو من زين

لابني العاق من أجل أن يتولى قاضي الجماعة بقرطبة⁽¹⁰¹⁾، بعد أن وقف على أخبار المعارضة قتل ابنه عبد الله ويأسر الفتي وحلفائهم في المعارضة⁽¹⁰²⁾، إذ بادر الناصر بقتله بيده في يوم عيد الأضحى في سنة 339هـ/950م⁽¹⁰³⁾، وأشارت بعض المصادر إلى إن مقتل عبد الله كان ثاني يوم عيد الأضحى بعد أن خاف أبيه من الخروج عليه على الرغم من أن عبد الله من كبار العلماء⁽¹⁰⁴⁾، بينما أشار ابن عذاري المراكشي إن قتله كان سنة 338هـ/949م⁽¹⁰⁵⁾.

إذ إن بهذا العمل مهد إلى التخلص من المعارضين لتولية ابنه الحكم المستنصر وبقتل ابنه عبد الله أصبحت ولاية العهد لابنه الحكم المستنصر⁽¹⁰⁶⁾.

الخاتمة

تمخض عن ما سبق أن استكثار الوافدين إلى بلاط الأندلس بعد سنة 138هـ/755م عُدد مصدر ضعف للسلطة وليس قوة لها؛ بسبب التمردات والمؤامرات التي كان يُحْكُمها ضد السلطة، التي شغلت الأمراء والخلفاء أزمنة طويلة مما حال دون الاهتمام بالرعية بعد أن شعرت بالخطر الذي يحيط بها من أبناء البيت الأموي نفسه.

تنافس أبناء البيت الأموي حول السلطة في البلاط الأندلس وعلى من يتولى زمام السلطة بعد الأب أو الأخ، فنلاحظ كثرت الوشاية بين أبناء البيت الأموي كي يتسنى له تولي السلطة وحكم البلاط بعد الأب أو بعد الأخ، فتصل إلى السجن وحتى تصل إلى القتل.

قائمة الهوامش

- (1) ابن عذاري، البيان المغرب، 61/2-62.
- (2) السامرائي وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ص 106؛ مصطفى، بنو أمية في الأندلس ودورهم في الحياة العامة، ص 36.
- (3) المقرئ، نفح الطيب، 3/46.
- (4) نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ص 68.
- (5) المقرئ، نفح الطيب، 3/46؛ الدوري، عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية، ص 98.

- (6) عبيد الله بن أبان بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي . مؤلف مجهول , اخبار مجموعة , ص 109 ؛ ابن عساكر , تاريخ دمشق , 37 / 401.
- (7) المقرئ , نفح الطيب , 46/3 ؛ نصر الله , تاريخ العرب السياسي في الأندلس , ص 68 ؛ ابو مصطفى , دراسات مغربية وأندلسية في تاريخ الحضارة , ص 350 ؛ الحايك , عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) , ص 162.
- (8) مؤلف مجهول , اخبار مجموعة , ص 109 ؛ برونسال , تاريخ اسبانيا الإسلامية , 1 / 116 .
- (9) مؤلف مجهول , اخبار مجموعة , ص 109 ؛ ينظر : المقرئ , نفح الطيب , 46/3 ؛ الدوري , عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية , ص 127 .
- (10) وهي بالقرب من البيرة تسمى قرية شوش وهي مطلة على نهر كبير يمر على مدينة إستجة ويصب النهر في قرطبة , وهي القرية التي نزل بها الشاعر ابو المخشي عاصم بن زيد , وهي ارض خصبة لانتشار المراعي بالقرب منها. ابن سعيد , المغرب في حلى المغرب , 123/2 ؛ المقرئ , نفح الطيب , 268/1 ؛ عباس , تاريخ الادب الأندلسي , 67/1.
- (11) مؤلف مجهول , اخبار مجموعة , ص 109 – 110 ؛ مؤلف مجهول , فتح الأندلس , ص 106 ؛ الدوري , عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية , ص 127 – 128 .
- (12) ابن حزم , جمهرة أنساب العرب , 93 / 1 – 94 ؛ ينظر : عنان , دولة الإسلام في الأندلس 189/1 ؛ الحايك , عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) , ص 162 .
- (13) مؤلف مجهول , اخبار مجموعة , ص 109 – 110.
- (14) النويري , نهاية الارب في فنون الادب , 23 / 349 ؛ برونسال , تاريخ اسبانيا الإسلامية , 1 / 116 ؛ عنان , دولة الإسلام في الأندلس 189/1 ؛ الزركلي , الاعلام , 7 / 278 ؛ الشطشاط , تاريخ الاسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة , ص 97 ؛ الصوفي , تاريخ العرب في الأندلس , ص 84 – 85 .
- (15) مؤلف مجهول , اخبار مجموعة , ص 116 ؛ مؤلف مجهول , فتح الأندلس , ص 107 ؛ العبادي , في التاريخ العباسي والأندلسي , ص 315 .
- (16) المقرئ , نفح الطيب , 46/3 .
- (17) بخيت , تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط , ص 159 .
- (18) مؤلف مجهول , اخبار مجموعة , ص 116 ؛ ابن الاثير , الكامل في التاريخ , 246/5 ؛ مؤلف مجهول , فتح الأندلس , ص 107.
- (19) سالم , تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس , ص 205 .
- (20) ابن عذاري , البيان المغرب , 57/2 .
- (21) ابن الأثير , الكامل في التاريخ , 246/5.

- (22) المقرئ ، نفح الطيب ، 46/3 ؛ بحيث ، تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط ، ص 159 ؛ بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الإسلامية، 116/1 ؛ نصرالله ، تاريخ العرب السياسي في الأندلس ، ص 68 ؛ الحايك ، عبد الرحمن الداخيل (صقر قريش) ، ص 162 ؛ عنان ، دولة الاسلام في الأندلس ، 189/1 .
- (23) المقرئ ، نفح الطيب ، 46/3 ؛ ابو مصطفى ، دراسات مغربية وأندلسية في تاريخ الحضارة ، ص 351 ؛ نصرالله ، تاريخ العرب السياسي في الأندلس ، ص 68 ؛ الفقي ، تاريخ المغرب والأندلس ، ص 67 .
- (24) الدرويش ، جاسم ياسين، العلياوي، حسين جبار، الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأموي في الأندلس ، مجلة آداب ذي قار ، العدد 21، سنة 2017م، ص 272 .
- (25) المقرئ ، نفح الطيب ، 47/3 ؛ ينظر الى: عنان ، دولة الإسلام في الأندلس 189/1 ؛ الحايك ، عبد الرحمن الداخيل (صقر قريش) ، ص 163 .
- (26) ابن عساكر، تاريخ دمشق ، 298/63 .
- (27) الحايك ، عبد الرحمن الداخيل (صقر قريش) ، ص 163 .
- (28) المقرئ ، نفح الطيب ، 47/3 .
- (29) نفح الطيب ، 337 1 .
- (30) مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص 172 ؛ عنان، دولة الإسلام في الأندلس ، 228/1 .
- (31) الدرويش و العلياوي ، الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأموي في الأندلس ، ص 275 .
- (32) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة 180-232هـ/796-846م)، ص 225.
- (33) ابن حيان ، المقتبس، (للحقبة 180 – 232 هـ/796 – 846م) ، ص 225 .
- (34) ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، 5 / 289 ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص 172 .
- (35) الدرويش و العلياوي ، الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأموي في الأندلس ، ص 275 .
- (36) ابن حزم الأندلسي ، جمهرة انساب العرب ، 98/1 .
- (37) بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الإسلامية، 156/1 ؛ خليفة وآخرون، تاريخ العرب في افريقية والأندلس ، ص 83 .
- (38) إبراهيم بن العباس بن عيسى بن عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، يكنى أبا العباس، من اهل قرطبة استقضاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم بمشورة يحيى بن يحيى وبقي طوع مشورة يحيى. الخشني ، قضاة قرطبة ، ص 116؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، 90/1؛ ابن حيان، المقتبس، (للحقبة 232-267هـ/846-880م)، ص 58 ؛ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، 113/1؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 65/16.
- (39) يحيى بن يحيى بن كثير بن وهلال بن تسمال " وسلاس بن شملل " بن منقاياء، وكثير هو الكتي بأبي عيسى وهو الداخيل إلى الأندلس أصله من برابر مضمودة، يكنى أبا محمد، وكان كبير الأكابر بقرطبة ، رحل إلى المشرق ولتقى بمالك بن انس فقال له مالك: لم لا تخرج تنظره فإنه ليس ببلدك فيل؟ فقال: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك وأتعلم

- هديك وعلمك، فقال له: أنت عاقل الأندلس وكانت وفاته سنة 233هـ/847م أو 234هـ/848م . ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، 176/2 - 177 ؛ ابن حيان، المقتبس ، (للحقبة 232-267هـ / 846-880م) ، ص84 ؛ الحميدي ، جذوة المقتبس ، 382/1 ؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 143/6 ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء، 517/8 - 519 ؛ ابن عماد ، عبد الحي بن أحمد بن محمد الحنبلي ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تح : محمود الأرناؤوط ، ط 1 ، دار ابن كثير ، دمشق - بيروت ، 1986م ، 160/3 .
- (40) القاضي عياض ، ترتيب المدارك ، 131/4 .
- (41) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة ، 144/1 .
- (42) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الملقب ابو القاسم ، والد الناصر عبد الرحمن بن محمد كان البكر من الاولاد وكان خليفة ابيه اذا غاب عن حضرته والمرشح لتولية العهد من قبل ابيه وكان من ذوي العلم والعناية بالأثار والرواية والاخبار والتفنن في الآداب وولى إشبيلية من قبل ابيه . ابن الابار ، الحلة السيرة ، 367/2 .
- (43) ابن عذاري، البيان المغرب، 150/2 .
- (44) بخيت ، تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط ، ص 226 .
- (45) بربشر بضم الباء الثانية، وسكون الشين المعجمة، وفتح التاء المثناة من فوق: وهي مدينة عظيمة تقع شرقي الأندلس من أعمال بريطانيا، وهي حصن على نهرٍ مخرجه من عينٍ قريبةٍ منها، وربشر من أمهات مدن الثغر الفاتحة في الحصانة والامتناع . ياقوت الحموي ، معجم البلدان، 370/1 ؛ الحميري ، صفة جزيرة العرب، 39/1 .
- (46) ابن الابار ، الحلة السيرة ، 367/2 ؛ بخيت ، تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط ، ص 227 .
- (47) الحجرات / 11 .
- (48) بخيت ، تاريخ الأندلس من الفتح حتى السقوط ، ص 226؛ نصرالله ، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ص 113 .
- (49) وهو احد السجون عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله ، والذي سجن به الأمير عبدالله ومن ثم نقل إلى سجن الدويرة . سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة الإسلامية في الأندلس ، 219/1 .
- (50) ابن خلدون ، العبر ، 4 / 175 .
- (51) بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الإسلامية، 1 / 262 ؛ عوض ، فصول في تاريخ الأندلس بداية النهاية ، ص 23 .
- (52) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، ص 118؛ ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب ، 181/1 ؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 150/2 ؛ ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، 30/2 .
- (53) الصوفي ، تاريخ العرب في الأندلس ، ص 326 .
- (54) ابن الابار ، الحلة السيرة ، 367/2 - 368 ؛ مؤلف مجهول ، تاريخ الأندلس ، ص 200 ؛ ابا الخيل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ، ص 397 .
- (55) Gonzalo Martínez Díez, *El condado de Castilla, 711-1038: la historia frente a la la leyenda* (Madrid: Marcial Pons Historia, 2005), p.315; Elsa Raquel 327

Fernandes Cardoso, *Diplomacy and oriental influence in the court of Cordoba (9th-10th centuries)*, Diss. Master degree, University of Lisbon, Faculty of Arts, Department of History, 2015), p.114 .

- (56) ابن خلدون ، العبر ، 4 / 176 ؛ نعنعي ، تاريخ الدولة الاموية في الأندلس التاريخ السياسي، ص 305 .
- (57) ابا الخليل ، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري ، ص 247 .
- (58) ابن حيان ، المقتبس، (للحقبة 275-300هـ/888-912م)، ص 133 .
- (59) شذونة بفتح أوله، وبعد الواو الساكنة نون: مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس، وهي منحرفة عن موزور إلى الغرب مائلة إلى القبلة، وهي من إقليم البحيرة شمالا وبقرها من المدن مدينة إشبيلية ومدينة قرمونة. الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، 2/537 ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، 3/329 ؛ الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، 1/100 .
- (60) مروان بن عبيد الله بن بسيل يكنى أبو غالب ، الذي كانت وفاته سنة 318هـ/930م . ابن عذاري ، البيان المغرب ، 2/204 .
- (61) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص116-118؛ فكري، قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة، ص63.
- (62) ابن الأبار ، الحلة السراء ، 2/368 .
- (63) ابن خلدون ، العبر، 4/176 .
- (64) عوض ، فصول في تاريخ الأندلس بداية النهاية ، ص 23 ؛
- Kennedy, *Muslim Spain and Portugal*, p.74 .
- (65) ابن عذاري ، البيان المغرب ، 2 / 156 ؛ Collins, *Caliphs and Kings*, p43 .
- (66) مَبَاضِعُ : اسم آلة من بضع: مشرط، آلة يشق بها الجلد وما شاكله "يستعمل الجراحون مباضع خاصة في إجراء عملياتهم"، أداة يُشَقُّ بها الجلد في الجراحة "مِشْرَطٌ جَرَّاحٌ". عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1/215-2/1188.
- (67) ابن حيان، المقتبس، (للقبة 275-300هـ/888-912م)، ص62؛ ابن الخطيب، اعمال الاعلام، 2/27؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص196 ؛ بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص292.
- (68) ابا الخليل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ص79؛ النصولي، الدولة الاموية في قرطبة، ص84.
- (69) الفَصْدُ: فَصَدَهُ يَفْصِدُهُ فَصْدًا وَفَصَادًا، شَقَّ الْعِرْقَ أَوْ قَطَعَ الْعُرُقَ، إِذَا قَطَعَ عُرْقَهُ فَفَصَدَ. الأزهرى، تهذيب اللغة، 12/104؛ ابن منظور، لسان العرب، 3/336. وهو اخراج الدم الفاسد مثل الحمامة . ابن منظور، لسان العرب 9/326.
- (70) ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، ص114؛ ابا الخليل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، ص80.

- (71) ابن الأبار، الحلة السيرة، 367/2؛ ابن الخطيب، أعمال الاعلام، 27/2؛ بروفنسال، تاريخ اسبانيا الإسلامية، 263/1؛ عوض، فصول في تاريخ الأندلس بداية النهاية، ص 24.
- (72) الدرويش و العليوي، الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأموي في الأندلس، ص 281.
- (73) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة 275-300هـ/888-912م)، ص62؛ فكري، قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة، ص63؛ عوض، فصول في تاريخ الأندلس بداية النهاية، ص 24؛ Kennedy, *Muslim Spain and Portugal*, p.74.
- (74) البيان المغرب، 156/2؛ ينظر: ابن الأبار، الحلة السيرة، 127/1؛ عوض، فصول في تاريخ الأندلس بداية النهاية، ص 24؛ Kennedy, *Muslim Spain and Portugal*, p.74.
- (75) ابن الأبار، الحلة السيرة، 127/1؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 150/2 - 151.
- (76) مروان عبد الملك بن عبد الله، كان أبو مروان في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن مخصوص في الكتابة العليا مع الوزراء واقرت من بعده عهد الأمير عبد الله والأمير المنذر فجمعة له القيادة والوزارة، فكان مروان بن عبد الملك يخلف أباه على الكتابة وولى الشرطة العليا ثم قتل بعد أن حبس وعزله عن الشرطة سنة 284هـ/897م. ابن الأبار، الحلة السيرة، 2/373 - 374.
- (77) ابن حيان، المقتبس، للحقبة (275 - 300هـ/888 - 912 م)، ص146؛ ابن خلدون، العبر، 176/4.
- (78) أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان، كان من اعظم بني أمية حيث صار جميع أقطار الأندلس في طاعته، وبلغ فترة حكمه أربع وأربعين سنة وبضعة أشهر ونيف يوم. المسعودي، التنبيه والاشراف، 1/288؛ الحميدي، جذوة المقتبس، 13/1؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، 197/1.
- (79) موسى بن محمد زياد بن يزيد بن كثير بن يزيد بن حبيب الجذامي كانت كنيته أبو القاسم، وهو من عرب الشام من جند اهلها، وكان اصلها في الأندلس من شذونة، تولى القضاء في قرطبة من قبل الأمير عبد الله بن محمد بعد القاضي النضر بن سلمة في ولاية الاولى، ومن ثم تولى مناصب عدة منها الكتابة والوزارة. الخشني، قضاة قرطبة، ص 190؛ ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 146/2؛ ينظر: ابن حيان، المقتبس، (للحقبة 275-300هـ/888-912م) ص22؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 154/1؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 152/2.
- (80) ابن عذاري، البيان المغرب، 175/2.
- (81) ابن عذاري، البيان المغرب، 182-181/2؛ وذكر ابن خلدون ان قتلهم كان في سنة 308هـ/920م. ينظر: العبر، 187/4.

- (82) إسحاق بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن الوليد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مروان، دخل جدهم أول الدولة ولن يزالوا في إكرام وعزّ، واستقرّت الرئاسة في إسحاق، وقبض عليه وعلى ولده وصهره، فشفع في الشيخ إسحاق وولده أحمد سفير لابن حفصون، فرحل إسحاق إلى قرطبة واستوزره الناصر واستوزر بنيه أحمد وابنه ومحمد وعبد الله ففتحوا الفتوحات، وكفوا المهمات، وعلت مقاديرهم في الدولة. ينظر: ابن خلدون، العبر، 4 / 178 - 179.
- (83) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 81/7.
- (84) بلدة مشهورة في شرق الأندلس وتسمى أيضاً المدينة البيضاء تتصل أعمالها بأعمال تطيلة، وهي مبنية على نهر كبير، وهو نهر منبعث من جبال القلاع، ولها سور حجارة حصين يحيط بها. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 212/3؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 96/1.
- (85) عنان، دولة الاسلام في الأندلس، 408/1 - 409.
- (86) أمية بن إسحاق بن عبد الله بن إسحاق بن محمد بن إسحاق بن الوليد بن إبراهيم بن عبد الملك بن عمر القرشي المرواني، كان عامل على مدينة شنترين قاصية الغرب التي اخرج اليها بعض القواد لمحاربة أمية بن إسحاق. ابن حزم، جمهرة انساب العرب، 108/1؛ ابن حيان، المقتبس، (للحقبة 300-330هـ/912-941م)، ص39.
- (87) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة 300-330هـ/912-941م)، ص 390؛ ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي، البداية والنهاية، تح: علي شيري، ط1، دار إحياء التراث العربي، (د. م)، 1988م، 11/215؛ Kennedy, *Muslim Spain and Portugal*, p.87.
- (88) شنترين: مدينة معدودة في كور باجة في غربي الأندلس ثم غربي قرطبة وعلى نهر تاجه قريب من انصبابه في البحر المحيط، وهي حصينة، بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً، وبينها وبين باجة أربعة أيام، وهي مدينة على جبل عال كثير العلو جداً، ولها من جهة القبلة حافة عظيمة ولا سور لها، وبأسفلها رضى على طول النهر. ياقوت الحموي، معجم البلدان، 367/3؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، 113/1.
- (89) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة 300-330هـ/912-941م)، ص431؛ ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، 86/2؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 215/11؛ ابن خلدون، العبر، 4/179.
- (90) راميرو الثاني | *Ramiro*: الذي يسمى رذمير بن اردون عند المؤرخين العرب (319-339هـ/931-950م)، وهو قائد المعركة النصارى ضد المسلمين التي انتصر بها على الخليفة عبد الرحمن الناصر. ابن خلدون، العبر، 182/4؛ المقرئ، نفح الطيب، 355/1؛ عنان، دولة الاسلام في الأندلس، 590/1 - 592.
- (91) ابن كثير، البداية والنهاية، 215/11؛ المقرئ، نفح الطيب، 354/1؛ التواتي، مأساة انقيار الوجود العربي بالأندلس، ص 553.
- (92) المسعودي، مروج الذهب، ط2، دار المحجرة، ايران، 1984م، 9/2؛ دوزي، المسلمون في الأندلس، 33/2.

- (93) عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية القرشي المرواني يكنى أبا محمد. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، 231/2.
- (94) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 188/1؛ بالنشأ، أنجل جنثال، تاريخ الفكر الأندلسي، تح حسين مؤنس، المركز القومي، مصر 2011م، ص 24.
- (95) ابن الأبار، الحلة السيرة، 206/1.
- (96) ابن خلدون، العبر، 184/4.
- (97) ابن خلدون، العبر، 184/4؛ خليفة وآخرون، تاريخ العرب في إفريقيا والأندلس، ص 144.
- (98) ابن حزم، جبهة أنساب العرب، 102/1؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 217/2؛
- Batuque, *Abderramán III*, p99.
- (99) أحمد بن محمد بن عبد البر بن يحيى، من أهل قرطبة ومن موالى بني أمية؛ ويكنى أبو عبد الملك، فكان بصيراً بالحديث، وفقهها نبياً ومتصرفاً في فنون العلم. وكان علم الحديث، توفي في السجن من شهر رمضان في سنة 338هـ/949م. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 50/1-51؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 289/13؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 38/8.
- (100) أحمد بن عبد الله بن سعيد، أبو عمرو الأندلسي ابن القطان. ويعرف بصاحب الورد. توفي شوال سنة 345 هـ/956م. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، 61/1؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير، 816/7.
- (101) القاضي عياض، ترتيب المدارك، 122/6؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، 207/1 - 208.
- (102) ابن الخطيب، اعمال الاعلام، 40/2؛ ابن خلدون، العبر، 184/4.
- (103) ابن حيان، المقتبس، (للحقبة 300 - 330هـ/912 - 941م)، ص 18؛ ابن الأبار، الحلة السيرة، 201/1؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، 186 / 1 - 188.
- (104) ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، 232/2؛ ابن عذاري، البيان المغرب، 228/2؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات، 45 / 25.
- (105) البيان المغرب، 217 / 2.
- (106) المزروع، الحكم المستنصر، ص 20.
- قائمة المصادر والمراجع:
- المصادر.
- القران الكريم.

❖ ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت 658هـ/1259م).

1. التكملة لكتاب الصلة، تح: عبد السلام المراس، دار الفكر، لبنان، 1995م.

2. الحلة السيرة ، تح : حسين مؤنس ، ط2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985م .
❖ ابن الاثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري(ت630هـ/1232م).
3. الكامل في التاريخ ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1997م .
❖ ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (456هـ/1063م).
❖ جمهرة أنساب العرب ، تح: لجنة من العلماء ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983م.
❖ الحميدي ، ابو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح الأزدي(ت488هـ/1095م).
4. جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس ، الدار المصرية ، القاهرة ، 1966 م .
❖ الحميري ، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت: حوالي 710هـ/1310م).
5. صفة جزيرة الاندلس ، تح : لاني بروفنسال وآخرون ، ط2 ، دار الجبل ، بيروت ، 1988م.
❖ ابن حيان ، ابو مروان حيان بن خلف (ت 469هـ/1076م) .
6. المقتبس من أبناء أهل الأندلس ، (للحقبة 180 – 232 هـ / 796 – 846 م)، تح : محمود علي مكي ، ط1 ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، 2003 م .
7. المقتبس ، (للحقبة 232 – 267 هـ / 846 – 880 م) ، تح : محمود علي مكي ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1973 م .
8. المقتبس ، (للحقبة 275-300هـ / 888 – 912 م)، تح :إسماعيل العربي ، ط1 ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، المغرب ، 1990 م .
9. المقتبس ، (للحقبة 300 – 330هـ / 912 – 941 م)، تح : ب . شالميتا بالتعاون مع كور نيطي و م . صبح ، منشورات المعهد الغربي للثقافة ، مدريد ، 1979 م .
❖ ابن الخطيب ، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي الأندلسي (ت776هـ/1374م).
10. اعمال الاعلام فيمن يبيع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق من الكلام ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1424هـ .
❖ ابن خلدون، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الاشيلي(ت808م/1405م).
11. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح :خليل شحادة ، ط2 ، دار الفكر ، بيروت ، 1988 م .
❖ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر(ت681هـ/1282م).

-
12. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1994م.
- ❖ الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ/1347م).
13. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام التدميري، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1993 م.
14. سير اعلام النبلاء، دار الحديث، القاهرة، 2006 م.
- ❖ ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت673هـ/1274م أو 685هـ/1286م).
15. المغرب في حلى المغرب، تح: شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1955هـ.
- ❖ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيلك بن عبد الله (ت764هـ/1362م).
- ❖ الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 2000 م.
- ❖ ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت712هـ/1312م).
16. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان و ليفي برفنسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983 م.
- ❖ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ/1175م).
17. تاريخ دمشق، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة، 1995م.
- ❖ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت1089هـ/1678م).
18. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، 1986م.
- ❖ أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت732هـ/1331م).
19. المختصر في أخبار البشر، ط1، المطبعة الحسنية، مصر، (د. ت.).
- ❖ ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدی (ت403هـ/1012م).
20. تاريخ علماء الأندلس، تح: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1988م.
- ❖ ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم الأندلسي (ت367هـ/977م).
21. تاريخ افتتاح الأندلس، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989م.
- ❖ القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي (ت544هـ/1149م).

22. ترتيب المدارك وتقريب المسالك ، تح : ابن تاووت الطنجي وآخرون ، ط1 ، مطبعة فضالة ، المغرب ، 1965م

❖ ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت774هـ/1372م).

23. البداية والنهاية ، تح: علي شيري، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، (د . م) ، 1988م .

❖ مجهول ، مؤلف (ت القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) .

24. اخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحرب الواقعة بها بينهم ، مجريط ، 1867م.

❖ مجهول ، مؤلف (آخر خبره في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).

25. فتح الأندلس، تح: لويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، 1994م.

❖ مجهول ، مؤلف (ت 895هـ/1489م).

26. تاريخ الاندلس، تح : عبد القادر بوباية ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2009م.

❖ المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/957م).

27. التنبيه والإشراف ، تح : عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي ، القاهرة ، (د . ت) .

28. مروج الذهب ، ، ط2 ، منشورات دار الهجرة، إيران، 1984م .

❖ المقرئ ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/1631م) .

29. نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق احسان عباس ، ط 1 ، دار صادر، بيروت ، 1997م.

❖ ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (ت711هـ/1311م) .

30. لسان العرب ، ط 3 ، دار صادر ، بيروت ، 1414هـ .

❖ النويري ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري(ت732هـ/1331م).

31. نهاية الأرب في فنون الأدب ، ط1 ، دار الكتب، القاهرة ، 1423هـ .

❖ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي(ت626هـ/1228م).

32. معجم البلدان ، ط2 ، دار صادر ، بيروت ، 1995م .

المراجع:

❖ بالنشأ ، آنجل جنثال .

تاريخ الفكر الاندلسي ، تح حسين مؤنس، المركز القومي ، مصر 2011م.

❖ بخيت ، رجب محمود .

-
33. تاريخ الاندلس من الفتح حتى السقوط ، ط1 ، مكتبة الايمان ، القاهرة - مصر ، 2009 م .
❖ برفنسال ، ليفي .
34. تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح الى سقوط الخلافة القرطبية (711-1031) ، ط3 ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، 2000 م .
❖ بروكلمان ، كارل .
35. تاريخ الشعوب الاسلامية ، ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1968م .
❖ التواتي ، عبد الكريم .
36. مأساة اغتيال الوجود العربي بالاندلس ، ط1 ، مكتبة الرشاد ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1967م .
❖ الحايك ، سيمون .
37. عبد الرحمن الداخل (صقر قريش) ، (د . م) ، 1982 م .
❖ خليفة ، حسن واخرون .
38. تاريخ العرب في افريقية والاندلس ، ط1 ، مطبعة الاعتماد ، (د . م) ، 1938م .
❖ ابا الخيل ، محمد بن ابراهيم .
39. الاندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (275-300 هـ / 888 - 912 م) ، ط1 ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض ، 1995 م .
❖ الدوري ، إبراهيم ياس خضير .
40. عبد الرحمن الداخل في الاندلس وسياسته الخارجية والداخلية ، ط1 ، دار الرشيد ، العراق ، 1982م .
❖ دوزي ، رينيه .
41. المسلمون في الأندلس ، ترجمة حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1994م .
❖ الزركلي ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس .
42. الاعلام ، ط15 ، دار العلم للملايين ، (د . م) ، 2002 م .
❖ سالم ، السيد عبد العزيز .
43. قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1997م .
44. تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، الناشر مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 1997م .
❖ السامرائي ، خليل ابراهيم واخرون .

-
45. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2000م .
❖ الشطشاط ، علي حسين .
46. تاريخ الاسلام في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة ، دار قباء، القاهرة، 2001م.
❖ الصوفي ، خالد .
47. تاريخ العرب في اسبانيا نهاية الخلافة الأموية في الأندلس ، ط1، دار الشرق ، حلب ، 1963م .
48. تاريخ العرب في الأندلس عصر الإمارة من عبد الرحمن الداخل الى عبدالرحمن الناصر (138-350هـ/755-960م)، ط2، منشورات جامعة قاريونس، 1980م .
❖ العبادي ، احمد مختار عبد الفتاح .
49. دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، (د . ت) .
❖ عباس ، احسان .
50. تاريخ الادب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، ط5، دار الثقافة ، بيروت، 1978م.
❖ عمر ، أحمد مختار عبد الحميد .
51. معجم اللغة العربية المعاصر، ط1، عالم الكتب ، (د. م)، 2008 م .
❖ عنان ، محمد عبد الله المصري .
52. دولة الاسلام في الأندلس، (ط2/جزء 3-4، 1990م)، مكتبة الخانجي، القاهرة ، (ط4/جزء 1-2-5، 1997م) .
❖ عوض ، عبد الفتاح .
53. فصول في تاريخ الأندلس بداية النهاية، ط1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، مصر، 2001م.
❖ الفقهي ، عصام الدين عبد الرؤوف .
54. تاريخ المغرب والأندلس ، مكتبة فحضة الشرق ، القاهرة ، 1984 م .
❖ فكري ، أحمد .
55. قرطبة في العصر الاسلامي تاريخ وحضارة، الناشر مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 1983م.
❖ ابو مصطفى ، كمال السيد .
56. دراسات مغربية وأندلسية في تاريخ الحضارة ، مركز الاسكندرية للكتاب ، مصر ، 2013 م .
❖ نصرالله ، سعدون .

-
57. تاريخ العرب السياسي في الأندلس ، ط 1 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1998 م .
- ❖ النصولي ، أنيس زكريا .
58. الدولة الأموية في قرطبة ، المطبعة العصرية ، بغداد ، 1926 م .
- ❖ نعنعي ، عبد المجيد .
59. تاريخ الدولة الأموية في الأندلس التاريخ السياسي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1986م.
- الرسائل والاطاريح:
- ❖ المزروع ، وفاء عبدالله بن سليمان .
60. الحكم المستنصر (350-366هـ) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1982-1983 م .
- ❖ مصطفى ، خزعل ياسين .
61. بنو أمية في الأندلس ودورهم في الحياة العامة (138-422هـ/755-1030م) ، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، 2004م .
- الدوريات:
- ❖ الدرويش ، جاسم ياسين و العلياوي ، حسين جبار .
62. الصراع على السلطة بين أبناء البيت الأموي في الأندلس ، مجلة آداب ذي قار ، العدد 21، 2017م.
- المراجع الاجنبية:
- ❖ Elsa Raquel Fernandes Cardoso.
63. *Diplomacy and oriental influence in the court of Cordoba (9th-10th centuries)*, Diss. Master degree, University of Lisbon, Faculty of Arts, Department of History, 2015).
- ❖ Gonzalo Martínez Díez.
64. *El condado de Castilla, 711-1038: la historia frente a la la leyenda* (Madrid: Marcial Pons Historia, 2005).
- ❖ Hugh Kennedy.
65. *Muslim Spain and Portugal: A Political History of al-Andalus* (London: Routledge, Taylor & Francis Group, 2014).
- ❖ Julio Valdeón Baroque.
66. *Abderramán III y el califato de Córdoba* (Madrid: Random House Mondadori, 2001).
67. Roger Collins. *Caliphs and Kings: Spain, 796-1031* (Oxford: Wiley- Blackwell Publishing, 2012).

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

التَّهَانَوِيّ وعناصر الجَدّة في العمل المعجميّ -كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم أنموذجا-

طالبة دكتوراه الطور الثالث لمياء العايب

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة محمد لمين دباغين -سطيف2(الجزائر)

lamialeaieb@gmail.com

أ.د محمد بوادي

مخبر معجم المصطلحات اللغوية والبلاغية في التراث العربي، جامعة سطيف2.

mohamedbouadi@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2021/04/01 م تاريخ التحكيم: 2021/04/13 م تاريخ النشر: 2021/06/15م
الملخص بالعربية:

جاءت هذه الدّراسة من أجل التعرّف على التَّهَانَوِيّ، وتتبع معجمه كشّاف اصطلاحات الفنون، بهدف التعرّف على أهمّ مظاهر التجديد التي ميّزت معجمه عن باقي المعاجم العربيّة، وهو ما ساهم في تطوير العمل المعجميّ. تضمّنت هذه الدّراسة عدّة عناصر، حيث ناقش العنصر الأول ترجمة التَّهَانَوِيّ، وتناول العنصر الثاني معجم الكشّاف، وكشف العنصر الثالث عن مظاهر التجديد والتميّز في هذا المعجم.
الكلمات المفتاحية: التَّهَانَوِيّ، الكشّاف، العمل المعجميّ، اصطلاحات الفنون والعلوم، عناصر التجديد.

Tahanawi: Elements of renewal in lexicological work – Kashaf Istilahat al-funun wa-al-'ulum as an example

Phd student third cycle: laieb lemya

Department of Arabic language and literature-Mohamed lamine Dabbaghine university-Setif 2 (Algeria)

lamialeaieb@gmail.com

Supervisor: Prof.Dr.Bouadi Mohamed

mohamedbouadi@yahoo.fr

The laboratory of Glossary of linguistic and Rhetorical Term in the Arab Heritage

Abstract:

Our study aims to highlight the work of Tahanawi “Kashaf Istilahat al-fununwa-al-'ulum”, through interlining the aspects of renewal that have characterized his work from other Arabic dictionaries, and have rightly participated

in developing work on dictionaries. The article covered a number of points: The biography of Tahanawi, a focusing on the dictionary Kashaf, and aspects of renewal and demarcation of this particular encyclopaedia.

Keywords: Tahanawi, Kashaf, lexicology, terminologies of arts and sciences, aspects of renewal.

مقدمة:

يتبوأ معجم "كشاف اصطلاحات الفنون" للتهانوي مكانة متميزة بين معجمات المصطلحات، ذلك أنّ المادة الاصطلاحية الضخمة التي اشتمل عليها جعلت منه مفتاحا لعلوم الحضارة العربية الإسلامية المختلفة وفنونها، فاعتنى المستشرقون والباحثون بنشره وتحقيقه. فهو معلمة من معالم قواميس المصطلحات العلمية استوعب فيه التهانوي ما استطاع من مصطلحات العلوم اللغوية والشرعية والحقيقية كالطب والهندسة فأصبح موردا ثريا يروي ظمأ الباحثين إلى فهم سريع للمصطلح ومجالاته المعرفية وتطوره أحيانا، ويريح من البحث في مظان مختلفة ربما لا يتيسر الحصول عليها.

ولا شك أنّ العمل المعجمي عند العرب، قد شهد نوعا من التطور والارتقاء شأنه شأن العديد من الأعمال الابتكارية، والإبداعية، وذلك بسبب الحرص الشديد على ترقية العمل المعجمي، ولعل معجم "كشاف اصطلاحات الفنون" هو أحد النماذج التي تُمثل هذا التطور، حيث يُعدّ عمل التهانوي حلقة من حلقات الارتقاء في التأليف المعجمي المتخصص، ولبنة من لبنات الحضارة العربية، والإسلامية. ونجد أنّ هذا المعجم قد اتسم بالجدّة، والتطور إذا ما قورن بما تمّ تأليفه من معاجم عامّة، أو متخصصة فهو يتفرد بتقنيات خاصّة لم تألفها المعاجم السابقة.

فالتهانوي لم يكن همّه جمع المفردات الاصطلاحية وتصنيفها وترتيبها، وتحديد مفاهيمها، فحسب كما يفعل عامّة المعجمين بل كانت نظره أوسع، وأعمق من ذلك، حيث كان يولي اهتمامه بالجانب العلمي، والفكري في طرح القضايا اللغوية، والاصطلاحية، فالمتناول لهذا المعجم يشعر عند قراءته للمقدمة كأنّه يقرأ كتابا يحمل في طياته جملة من التوضيحات، والتوجيهات في الفكر عند استخدامه للمادة العلمية، وتحديد مفهومها، وتقصى أبعادها، والوقوف على أقسامها وفروعها. وقد كانت هذه الملحوظات بواعث علمية لدراسة التهانوي ومعجمه كشاف اصطلاحات الفنون، والتّطرق إلى أهمّ عناصر الجدّة التي ميّزت معجمه عن باقي المعاجم سواء العامّة منها أو الخاصّة.

1-ترجمة التهانوي:

لا يُعرف عن حياة التهانوي الكثير، إذ لم يحظ باهتمام كتب التراجم على الرغم من كثرة عطائه في مختلف علوم المعرفة: الشرعية واللغوية والعلمية؛ وقد اكتفت هذه المراجع بالإشارة إليه على عجلة مما أدى إلى جهل جوانب كثيرة من حياته. وقلة المصادر والمراجع التي أشارت إلى التهانوي، هي مشكلة تواجه الباحث نظراً لقلة المعلومات التي تُوردها هذه المصادر والمراجع عنه.

1-1-اسمه ونسبه:

يُعدُّ "عبد الحي فخر الدين الحسني" أقدم من ترجم التهانوي في كتابه "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، وقد نقل عنه من جاء بعده، مستفيدين أيضاً من مقدمة التهانوي لكشاف اصطلاحات الفنون حيث يقول: "العبد الضعيف محمد علي بن شيخ علي بن قاضي محمد حامد بن مولانا أتقى العلماء محمد صابر الفاروقي السني الحنفي التهانوي".¹ ومع قلة المعلومات التي توردها المصادر والمراجع عنه نجد أنها تختلف في تفاصيل اسمه، ثمّة اتفاق على أنّ اسم التهانوي الأول هو "محمد" غير أن تنمّة الاسم تتم الاختلاف فيها على خمسة آراء، هي:²

- **الرأي الأول:** يذهب إلى أنّ التهانوي هو: محمد أعلى بن الشيخ علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر.

- **الرأي الثاني:** يذهب إلى أنّ التهانوي هو: محمد علي بن الشيخ علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر.

- **الرأي الثالث:** يذهب إلى أنّ التهانوي هو: محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر.

- **الرأي الرابع:** انفرد به "القنوجي" في كتابه "العلم الخفّاق"، فقال "الشيخ الأجلّ محمد بن أعلى".

- **الرأي الخامس:** انفرد به "جرجي زيدان" في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية"، فقال: "هو محمد بن علاء بن علي بن محمد صابر".

وهناك من اتفق مع الاسم الذي أورده التهانوي في مقدمة كتابه، مثل "كتاب دائرة المعارف" لبطرس البستاني³، أما من اختلف معه نجد "خير الدين الزركلي" الذي يقول في تسمية التهانوي: "محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي"⁴.

ويشاركه في هذا الرأي صاحب "معجم المؤلفين" إذ يقول: "محمد بن علي بن محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي، الحنفي، التهانوي"⁵ ومرّد الخلاف الناشئ بين الباحثين في تحديد معرفة اسمه الأول، هل هو اسم واحد مركب أم أنّ كلمة "ابن" حذفت بين الاسمين، بينما تفصل تراجم أخرى بين الاسمين فترى أنّ محمد هو اسمه، وعلي اسم أبيه. ومرّد هذا الخلاف أن الأسماء المركبة كانت ظاهرة شائعة في الهند. كما نجد أيضاً "المنجي بوسنية" يعرفه بأنه: "محمد أعلى بن شيخ علي الفاروقي التهانوي"⁶. يرجع نسبه إلى الخليفة "الفاروق عمر بن الخطاب"، يلقب بالتهانوي "نسبة إلى بلدة صغيرة تسمى "تهاني بهون" من أعمال مظفر نكر من ضواحي دلهي بالهند"⁷ والسني الوارد في اسمه نسبة إلى مذهب أهل السنة والجماعة. والحنفي نسبة إلى المذهب الفقهي الذي أسسه الإمام "أبو حنيفة النعمان" الذي كان منتشرا بين مسلمي الهند.

1-2- مولده ووفاته:

لم تشر المصادر إلى سنوات ولادة ووفاة التهانوي، ولكنّها أجمعت على أنه من علماء "القرن الثاني عشر الهجري"⁸، واستعانوا في ذلك بما أورده التهانوي في كشّاف اصطلاحات الفنون من أنه أتمّ تسويد كتابه عام 1158هـ، حيث يقول في مقدمة كتابه: "ولما حصل الفراغ من تسويدها سنة ألف ومائة وثمانية وخمسين جعلته موسوماً وملقباً بكشّاف اصطلاحات الفنون..⁹ ومن المرجح أن قدراً كبيراً من حياته ما يزال غائباً.

1-3- آثاره: تنسب إلى التهانوي ثلاثة مؤلفات وهي:

* كشّاف اصطلاحات الفنون، وعليه قامت شهرة التهانوي، وهو أشهر كتبه، وهو أشهر الكتب الموسوعية الاصطلاحية على الإطلاق، وهو إنجاز عظيم في علم المصطلحات، انتهى من معظم نصوصه عام 1158هـ.¹⁰

* سبق الغايات في نسق الآيات¹¹: وهو كتاب في علوم القرآن الكريم وتفسيره مطبوع في الهند سنة 1316هـ.

* أحكام الأراضي: كتاب صغير، تقع صفحاته في حدود 19 ورقة تشتمل على الأبواب التالية:¹²

أ- في بيان معنى دار الإسلام ودار الحرب.

ب- في بيان أحكام أراضي دار الإسلام.

ج- في بيان أنواع الأراضي وأحكامها.

2- كشف اصطلاحات الفنون:

مصطلحات الفنون وفيرة، قد جمعها ونظمها كثير من العلماء، وأكمل المصنفات في هذا الشأن تأليفاً، وأحسنها إيضاحاً وترتيباً ما ألفه "التهانوي" تحت عنوان "كشف اصطلاحات الفنون"، ويُعد من أكبر المعجمات العربية للمصطلحات العلمية والفنية، فهو بذلك من المعاجم "المرجعية التي تفي بحاجات البشر الرئيسية للمعرفة بشتى أنواعها"¹³، وقد أصبح "الكشاف" تاريخاً شاملاً لعلوم العرب والمسلمين، على امتداد حقبة الحضارية المزدهرة¹⁴.

يقول التهانوي في مقدمة كتابه: "فلما فرغت من تحصيل العلوم العربية والشرعية من حضرة جناب أستاذي والدي شمرت عن ساق الجد إلى اقتناء ذخائر العلوم الحكمية الفلسفية من الحكمة الطبيعية والإلهية والرياضية كعلم الحساب والهندسة والهيئة والإسطرلاب ونحوها..... فاقبست منها المصطلحات أوان المطالعة وسطرحتها على حدة، في كل باب باب يليق بها"¹⁵. ولا يُعلم متى بدأ التهانوي في وضع معجمه، لكن الثابت أنه انتهى من تسويده سنة 1158هـ، كما جاء في مقدمته: "ولما حصل الفراغ من تسويدها سنة ألف ومائة وثمانية وخمسين جعلته موسوماً وملقباً بكشاف اصطلاحات الفنون، ورتبته على فنين"¹⁶.

"كشف اصطلاحات الفنون" من أشهر مؤلفات التهانوي، وبه اكتسب شهرة ومعرفة، فلا يذكر التهانوي إلا مقترناً بكشاف اصطلاحات الفنون.

2-1-دافع تأليفه:

بعد إدراك التَّهَانَوِيَّ لأهمية الاصطلاح لطالب العلم، مع عدم توقُّر مصنِّفات تجمع الاصطلاحات في مختلف الفنون والعلوم، فعزم على تأليف كتاب في الاصطلاح يكفي المتعلِّم من الاستعانة بالعلماء، ويريحهم من عناء التفتيش في مئات الكتب من أجل الوصول إلى مفهوم مصطلح في علم من العلوم، ويقول في ذلك: "لم أجد كتابًا حائِثًا لاصطلاحات جميع العلوم المتداولة بين النَّاس وغيرها. وقد كان يخلج في صدري أوانَّ التَّحصيل أن أؤلِّف كتابًا وافيًا لاصطلاحات جميع العلوم، كافيًا للمتعلِّم من الرَّجوع إلى الأساتذة العالمين بما كي لا يقي حينئذ للمتعلِّم بعد تحصيل العلوم العربية حاجة إليهم إلَّا من حيث السند عنهم تبرُّكًا وتطوعًا".¹⁷ إذن فالدافع الرئيسي لتأليف كشَّاف اصطلاحات الفنون، هو خدمة طالب العلم بتيسير أسس العلم والمعرفة، وحثه على تحصيل العلوم بالاعتماد على نفسه من خلال القراءة والاطلاع، وعدم الاعتماد على الأساتذة في تقدِّم كل شيء. أما الدافع الثاني¹⁸ هو أنَّ التَّهَانَوِيَّ قد شعر بصعوبة إدراك مفاهيم هذه المصطلحات على بني جنسه من غير العرب، باعتبار أنَّه هندي، في ظلَّ إهمال المعاجم اللُّغوية لها وعدم وجود معجم مختصَّ يجري اصطلاحات العلوم المتنوعة فقرَّر بذلك وضع معجمه.

2-2-عنوانه:

يحمل عنوان الكتاب أهمية كبرى فهو يوجز للقارئ محتواه، ويعرِّفه على موضوعه قبل أن يتصفَّح أبوابه وفصوله. وقد أدرك التَّهَانَوِيَّ هذه الأهمية وتحدث عنها في كتابه كشَّاف اصطلاحات الفنون، إذ عدَّ اختيار العنوان ضمن الرؤوس الثمانية التي ينبغي أن يلتزم بها كلُّ من شرع في شرح كتاب ما، وأنَّ يتعرَّض في صدره لأشياء قبل الشروع في المقصود. وقد جعل التَّهَانَوِيَّ عنوان الكتاب الرأس الثالث من الرؤوس الثمانية التي ذكرها، إذ يقول: "ليكون عند الناظر إجمال ما يفصله الغرض، كذا في شرح إشراق الحكمة. وفي تكملة الحاشية الجلالية السَّمة هي عنوان العلم؛ وكأنَّ المراد منه تعريف العلم برسمه أو بيان خاصَّة من خواصه ليحصل للطالب علم إجمالي بمسائله ويكون له بصيرة في طلبه؛ وفي شرح التهذيب السَّمة العلامة، وكأنَّ المقصود الإشارة إلى وجه تسمية العلم؛ وفي ذكر وجه التسمية إشارة إجمالية إلى ما يفصل العلم من المقاصد".¹⁹ من خلال هذا القول نلاحظ أنَّ التَّهَانَوِيَّ يُؤكِّد على ضرورة أن يكون العنوان واضحًا يعطي القارئ نبذة عن محتوى الكتاب. ولقد ذكر التَّهَانَوِيَّ في مقدمته عنوان كتابه، فقال: "جعلته موسومًا

وملقبًا بكشاف اصطلاحات الفنون".²⁰ وبقيت هذه التسمية متداولة في مختلف الترجمات التي تناولت "التّهانويّ" إلا في الترجمة التي حققها "رفيق العجم وزملاؤه"، فأصبح الكتاب موسوماً بـ: "موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم" والملاحظ أيضاً أنّ العنوان الذي اختاره "التّهانويّ" لمعجمه كان مقتصرًا على الفنون دون العلوم، بالرغم من أن "التّهانويّ" ركّز في مدوّنته على العلوم لا الفنون، من خلال الإشارة في مقدمته إلى العلوم المدوّنة وما يتعلق بها، فقال: "العلوم المدوّنة وهي العلوم التي دُوّنت في الكتب كعلم الصرف والنحو والمنطق والحكمة ونحوها"²¹. من هنا نستنتج أنّ التّهانويّ لا يفرّق بين العلم والفن، ويرى أنّهما مترادفان؛ وذلك لأنه عَنَوَ كتابه بكشاف اصطلاحات الفنون دون ذكر العلوم، وفي متن الكتاب عَرَفَ مصطلح العلم دون الفنّ في أكثر من موضع.

2-3-مقدمته:

افتتح "التّهانويّ" معجم "كشاف اصطلاحات الفنون" بمقدمة يتفاوت طولها، تناول فيها مسائل عدّة، شرح فيها خطته في التأليف، وذكر فيها مباحث في فلسفة التصنيف، وشرع بعدها في بيان العلوم المدوّنة. قسّم مقدمته إلى قسمين رئيسين:²²

* القسم الأول: تناول فيه:

- الأفكار التأليفية التي يهتم بها المؤلف وإبرازها للقارئ.
- أهمية المعجم، حيث هو "أكثر ما يحتاجه في تحصيل العلوم المدوّنة والفنون المروّجة".²³
- دافعه لتأليف كشاف اصطلاحات الفنون.
- المنهج المتبع في جمع المدوّنة.
- قسّم الكتاب إلى فئتين: فنّ في الألفاظ العربية، وفنّ في الألفاظ الأعجمية.

القسم الثاني:

- أ/ عالج في هذا القسم مجموعة من القضايا، تتعلّق بالعلوم المدوّنة، منها:
- التعريف بمصطلح العلوم المدوّنة.
- مناقشة أقوال العلماء المختلفة في التعريف بعلم معيّن.
- ذكر التقسيمات المختلفة التي تقوم على أساسها العلوم المدوّنة.

- تناول أجزاء العلوم، وركز حديثه على المواضيع والمسائل والمبادئ.
- ذكر ما يُعرف "بالرؤوس الثمانية" التي تُعدُّ دليل المؤلف أثناء تصنيفه للكتاب.
- ب/ تزويد مستعمل المعجم بمقدمات موجزة عن العلوم التي يتناولها المعجم.
- قسّم هذه العلوم إلى ثلاثة أقسام وهي: العلوم العربية - العلوم الشرعية- العلوم الحقيقية.

2-4-طبعاته:

أ- طبعة الهند:

طُبِعَ كَشَاف اصطلاحات الفنون أول مرة سنة 1278هـ الموافق لـ 1862م بعناية جمعية البنغال الآسيوية، من سلسلة المكتبة الهندية، كلكتا، وقام بتصحيحه وتحقيقه "المولوي محمد وجيه" و"المولوي عبد الحق"، والمولوي غلام قادر".²⁴

واهتم به المستشرق الإيرلندي "وليم ناسوليس"، والمستشرق النمساوي "لويس سيرنغر".²⁵

وصدرت هذه الطبعة في مجلدين كبيرين.

ب- طبعة الآستانة:

كانت بالآستانة عام 1317هـ، تقع في مجلد واحد كبير ولكنها ليست كاملة.²⁶

ج- طبعة لطفي عبد البديع وزملائه:

بتحقيق "لطفي عبد البديع"، وعبد المنعم محمد حسنين، وراجعه الأستاذ أمين الخولي، نشرتها مطبعة السعادة بمصر سنة 1382هـ الموافق لـ 1963م، بإشراف وزارة الثقافة والإرشاد القومي المصرية، تقع في أربعة أجزاء، وهي غير مكتملة، وقفت عند حرف الصاد.²⁷

د- مصورة مكتبة صادر:

هذه الطبعة صورتها دار صادر بيروت عن الطبعة الهندية الأولى²⁸، وتقع في ثلاثة مجلدات عدد صفحاتها (1564) صفحة كبيرة.²⁹

هـ- طبعة رفيق العجم وزملائه:³⁰

قدّم وأشرف على هذه الطبعة "رفيق العجم"، وحقّقها "علي دحروج"، ونقل نصوصها الفارسية إلى العربية "عبد الله الخالدي"، واستعانوا "بجورج زيناتي" لينقل المصطلحات الواردة في الكتاب إلى

الإنجليزية والفرنسية وأحياناً اللاتينية، طُبعت تحت اسم (موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم)، تقع في جزئين كبيرين بلغ عدد صفحاتها (2132) صفحة، طبعتها مكتبة لبنان ناشرون ضمن سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية.³¹

3-الرؤوس الثمانية:

أهم ما ذكره "التهانوي" في مقدمة "كشّاف اصطلاحات الفنون" ما سماه بـ "الرؤوس الثمانية"، وهي معايير ومواصفات تضبط مادة الكتاب وتقيدها، فقال علماء التصنيف: "الواجب على من شرع في شرح كتاب ما أن يتعرّض في صدره لأشياء قبل الشروع في المقصود، يسميها قدماء الحكماء الرؤوس الثمانية".³² وهذه الرؤوس الثمانية هي:³³

- 1-الغرض من تدوين العلم أو تحصيله، أي الفائدة المترتبة عنه.
- 2-المنفعة أو الفائدة المتحصّل عليها من العلم.
- 3-السّمة أو التسمية، أي عنوان الكتاب، ففيها إجمال لمحتوى الكتاب
- 4-المؤلف، وهو مصنّف الكتاب، يركن قلب المتعلّم إليه في قبول كلامه.
- 5-القسم الذي ينتمي إليه العلم؛ أي من اليقينيات أو الظنّيات، أو النظريات، أو العمليات، أو الشرعيات... أو غيرها.
- 6-رتبة العلم بين العلوم، لمعرفة تقدّم أو تأخّر تحصيله على علم آخر.
- 7-القسمة، وهي بيان أجزاء العلوم وأبوابها؛ ليطلب المتعلّم في كلّ باب منها ما يتعلّق به، فلا يُضَيّع وقته في طلب ما لا يهتمّه.
- 8-الأنحاء التعليمية، وهي أنحاء مستحسنة في طرق التعليم، أو هي الأسلوب الذي يتّبعه المتعلّم أثناء تعامله مع الكتاب.

4-عناصر الجدّة في كشّاف اصطلاحات الفنون:

معجم "كشّاف اصطلاحات الفنون" هو أحد النماذج التي تمثّل تطوّر العمل المعجميّ، حيثُ يُعدُّ عمل "التهانوي" حلقة من حلقات الارتقاء في التّأليف المعجميّ المتخصّص، فقد اتّسم هذا المعجم بالجدّة، والتطوّر إذا ما قورن بما تم تأليفه من معاجم عامّة أو متخصّصة. والدليل في ذلك هو ما جاء به

هذا المعجم من عناصر جديدة في العمل المعجمي الاصطلاحي. فقد أضاف التّهانوي مجموعة من التقنيات التي من شأنها تعزيز العمل المعجمي، والاتّجاه به نحو آفاق أرقى، وذلك من أجل خدمة القارئ العربي، وتطوير المسار الحضاري للأمة، ومن أهم مظاهر التجديد والتميّز في هذا الكتاب ما يلي:

أولاً: بيان العلوم المدوّنة.

- أول أمر يلفت انتباه القارئ لهذا الكتاب هو مقدمته الطويلة التي غطّت مجموعة كبيرة من الصّفحات يفوق عددها خمسًا وستين صفحة (69 صفحة)، وهو أمر جديد لم يشهده الدّارسون من قبل سواء في الكتب التراثية أو الحديثة، لأنّ المتعارف عليه في منهجية المقدمة من شروطها: الإيجاز، والإيجاء، والتشويق.

سبّب طول مقدمة "كشاف اصطلاحات الفنون"، هو أنّ "التّهانوي" قام بتبيان العلوم المدوّنة، قبل رصد مصطلحاتها، لأنّ فهم العلوم بالنسبة "للتّهانوي" يأتي في المرتبة الأولى، ثم يليه اقتناء المصطلحات الملائمة، وذلك من أجل أن يتسنى له ضبط دلالتها، وتحديد مفاهيمها، وتحسين استعمالها وتوظيفها؛ إذ يقول في مقدمته: "ولما كان للعلوم المدوّنة نوعٌ تقدّم على غيرها من حيث إذا قلنا هذا اللفظ في اصطلاح النحو موضوعٌ لكذا مثلاً وجب لنا أن تعلم النّحو أولاً.... وما يُقال فلان يعلم النحو مثلاً لا يُراد به أنّ جميع مسائله حاضرةٌ في ذهنه، بل يُراد به أنّ له حالة بسيطة إجمالية هي مبدأ لتفاصيل، بما يتمكّن من استحضارها، فالمراد بالعلم المتعلّق هنا هو الملكة".³⁴

ثانياً: تعدّد دلالات الوحدة المعجمية.

كما هو متعارف عليه، أنّ المعاجم هي عبارة عن كتب تضمّ بين طيّاتها كمّاً هائلاً من المفردات المعجمية لغوية كانت، أو اصطلاحية مصحوبة بشروحات، وشواهد، وتعليقات.

المعاجم اللّغوية العامّة لا يتعدّى فيها شرح الوحدة المعجمية معناه اللّغوي الحقيقي أو المجازي، كذلك بالنسبة للمعاجم الخاصّة، لا يتعدّى شرح الوحدة المعجمية معناه الاصطلاحي في العلم الواحد. على عكس معجم "كشاف اصطلاحات الفنون" فقد تميّز بخاصيّة جديدة، هي تعدّد دلالات الوحدة المعجمية من دلالة منطقيّة إلى أصوليّة إلى فلسفيّة إلى علميّة طبيّة، رياضية، فلكيّة، طبيعيّة، إلى دلالة لغوية نحويّة، صرفيّة، بلاغيّة، إلى شرعيّة، فقهيّة، تفسيريّة، حديثيّة وغيرها. حيث جاء في قوله: "...ثمّرت

عن ساق الجِدِّ إلى اقتناء ذخائر العلوم الحكيمة الفلسفية من الحكمة الطبعية والإلهية والرياضية كعلم الحساب والهندسة والهيئة والاسطرلاب ونحوها، فلم يتيسر تحصيلها من الأساتذة، فصرفت شطراً من الزمان إلى مطالعة مختصراتها الموجودة عندي فكشفها الله تعالى عليّ، فاقبست منها المصطلحات أو أن المطالعة وسطرتها على حدة، في كلّ بابٍ بابٍ يليق بها على ترتيب حروف التهجي".³⁵ وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على الجهد الكبير الذي بذله التهانوي في إعداد معجمه وحرصه الكبير على تحديد مفاهيم المصطلحات، وتقصى أبعادها الدلالية والمعنوية في كلّ حقْل من الحقول العلمية والمعرفية، والفنية المختلفة، حتّى لا يحدث خلطٌ بين مصطلحات العلوم، ومفاهيمها لدى الدارسين. فلم يكنفني "التهانوي" بشرح المصطلح في تخصّص علمي واحد، بل قام برصد جميع شروح هذا المصطلح التي وظّفها أهل الاختصاص في تخصّصاتهم المختلفة. ومن بين الأمثلة الدالة على ما سبق ذكره، نستدلّ بعينة من الشروحات الواردة في معجم كشّاف اصطلاحات الفنون والتمثلة في:

النموذج: من حرف العين (ع).

مصطلح العقد ContractsPact-Contratspacte: "بالفتح وسكون القاف في الأصل الجمع بين أطراف الجسم. وشرعاً الإيجاب والقبول مع الارتباط المعتبر شرعاً... وعند البلغاء أن يُنظّم نثر قرآن كان أو حديثاً أو مثلاً أو غير ذلك لا على طريق الاقتباس. فالنثر الذي قصد نظمه إن كان غير القرآن أو الحديث فنظمه عقد على أيّ طريق كان إذ لا دخل فيه للاقتباس، وإن كان قرآناً أو حديثاً فإنما يكون عقداً إذا غيّر تغييراً كثيراً لا يتحمّل مثله في الاقتباس، أو لم يُغيّر تغييراً كثيراً ولكن أشير إلى أنّه من القرآن أو الحديث وحينئذ يكون لا على طريق الاقتباس. فمثال العقد من القرآن:

أنلني بالذي استقرضت خطاً *** وأشهد معشراً قد شاهدوه

فإنّ الله خلاق البرايا **** عنّت لجلال هيئته الوجوه.

يقول: إذا تدانيتم بدين **** إلى أجلٍ مسمى فاكذبوه

ومثال العقد من الحديث قول الإمام الشافعي: عمدة الخير عندنا كلمات قالهنّ خير البرية اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعينك واعملنّ بنية.

عقد قوله صلى الله عليه وسلم: "الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات"، وقوله عليه السلام: "ازهد في الدنيا يُحبك الله"، وقوله عليه السلام: "من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه". وقوله عليه السلام: إنما الأعمال بالنيات.

ومثال العقد من غير القرآن والحديث قول أبي العتاهية:

ما بال من أوله نطفة***وجيفة آخره يفخر.

عقد قول علي رضي الله عنه: وما لابن آدم والفخر وإنما أوله نطفة وآخره جيفة.

- عقد الوضع: هو اتّصاف ذات الموضوع بوصفه العنوان، كما أنّ عقد الحمل عندهم اتّصاف ذات الموضوع بوصف المحمول. والأول تركيب تقييدي والثاني تركيب خبري. ومُخَصَّل مفهوم القضية يرجع إلى هذين العقدين.

- العقدة: بالضم وسكون القاف عند أهل الهيئة اسم للرأس والدّنب، وعقدة الرأس تسمى أيضاً بالعقدة الشمالية وعقدة الدّنب تسمى بالعقدة الجنوبية. وعند الشعراء بيت يأتي بعد كلّ قسم من الترجيع.³⁶

ثالثاً: ذكر أسماء المراجع في المتن:

اعتمد المعجميون العرب في تأليف معاجهم على جمع المفردات المعجمية لغوية كانت، أو اصطلاحية، ثم ترتيبها وفق منهجية معينة، ثم تعريفها بواسطة شروحات، وتفسيرات والاستدلال لها بشواهد، وتعليقات، دون الإشارة إلى المصادر، أو المراجع التي تمّ اعتمادها في شرح المفردات. ولكن هذا عكس ما لجأ إليه "التهانوي"، والملاحظ في عمله أنّه تطرّق أثناء شرح مداخل معجمه، إلى تسمية الكتب التي استند إليها في تحديد معاني الألفاظ، وهو أمر جديد لم نألف رؤيته في معاجنا سواء العامة منها أو الخاصة. ومن أمثلة ذلك نجد:

النموذج: حرف الخاء (خ)

"الخَبَل: بالفتح والسكون الموحدة في اللغة قطع اليد والرجل كما في المنتخب. وعند أهل العروض هو الجمع بين الخبن والطي كما في بعض رسائل العروض العربي. وهكذا في جامع الصنائع....

الخبيث: بمعنى بليد. وفي شرح المصاييح في أول كتاب البيع الخبيث في الأصل ما يكره لرداءته، ويستعمل للحرام من حيث كرهه الشارع.

الخَذْلان: بفتح الخاء وسكون الذال المعجمتين كما في المنتخب، وبكسر الخاء كما في الصراح، وعند الأشاعرة هو خَلَق قدرة المعصية في العبد. وعند المعتزلة هو منع النطق كذا في تهذيب الكلام.

الخَرَم: بالفتح وسكون الراء عند أهل العروض حذف الحرف الأول من الجزء كذا في عنوان الشرف،.. وفي رسالة قطب الدين السرخسي الخرم إسقاط أول الوند المجموع.

الخَزَل: بفتح الخاء، وسكون الزاء المعجمة عند أهل العروض هو اجتماع الإضمار والطي... وجامع الصنائع وعنوان الشرف.

الْخَطْرة: بالفتح وسكون الطاء المهملة في اللغة ما يردُّ على القلب ثم يزول فوراً كما في مجمع السلوك. وفي الصراح: الخطور: مرور الفكرة بالقلب. وفي شرح القصيدة الفارضية.... وفي لطائف اللغات.... والخاطر لدى الصرفية.

الخَفِيف: ضدّ الثقيل. وعند أهل القوافي هو الشعر المنهوك.... وعند أهل العروض هو اسم بحر... وفي جامع الصنائع....³⁷

رابعاً: إحداه عناصر توضيحية على مستوى التعريف:

أسهم "التّهانوي" بقدر كبير في تعزيز العمل المعجمي، من خلال "كشاف اصطلاحات الفنون"، وذلك بإدخاله تقنيات جديدة لم تعرفها المعاجم العربية السابقة، والتي من هدفها تقريب الفهم، وزيادة السهولة، والوضوح. لذلك لم يكتفي "التّهانوي" بشرح المداخل المعجمية، وتحديد معانيها، وضبط دلالتها، مثلما يقوم به عامة المعجميين، بل أضاف تقنيات إجرائية جديدة على مستويات التعريف في العمل المعجمي، وذلك من أجل تحقيق هدفه المنشود، والمتمثل في تقديم عمل متكامل للدارس وذلك في صورة واضحة المعالم، ودقيقة التفاصيل لا تتطلب منه أيّ عناء. ونستدلّ على هذا بما جاء في مقدمة كتابه على لسان مؤلفه إذ يقول: "... وقد كان يختلج في صدري أوانّ التحصيل أن أولّف كتاباً وافيّاً لاصطلاحات جميع العلوم، كافياً للمتعلّم من الرجوع إلى الأساتذة العالمين بما كي لا يبقى حينئذ للمتعلّم بعد تحصيل العلوم العربيّة حاجةٌ إليهم إلّا من حيث السند عنهم تبرّكاً وتطوّعاً... وسطرّها على حدة، في

كلّ بابٍ بابٌ يليق بها على ترتيب حروف التهجي كي يسهل استخراجها لكلّ أحد".³⁸ ومن بين هذه التقنيات الإجرائية الجديدة نجد:

أ-التقسيم: يتطرّق "التهانوي" في شرحه لمداخل معجمه، إلى ذكر كلّ ما يتعلّق باللفظة المدخل من: تقسيمات، تفصيلات، تجزئات، تفرعات، حتى لا يترك للدارس شيئاً يحتاج للإبانة والتوضيح. ونستدلّ لكلامنا هذا بما جاء في ثنايا المعجم من أمثلة، نجد منها مايلي:

النموذج

الاسم: عرّفه "التهانوي" بأنّه: "بالكسر والضّم لغةً بمعنى اللفظ الدال على الشيء... وحاصله أنّه يُطلق لغة على مُقابل المَهمل، كما صرّح به في باب منع الصرف... الاسم هو اللفظ المفرد الموضوع للمعنى وهو يعمّ جميع أنواع الكلمة...".³⁹ بعدها قام: التهانوي بتقديم شرح مطوّل عن الاسم، ثم وضع بعد ذلك ما يعرف بـ التقسيم، فقال:

- التقسيم: "الاسم الذي يطلق على الشيء إمّا أن يؤخذ من الذات بأن يكون المسمّى به ذات الشيء وحقيقته من حيث هي، أو من جزئها، أو من وصفها الخارجي، أو من الفعل الصادر عنه، ثم أنظر أيّها يمكن في حق الله تعالى.... وفي شرح القصيدة الفارضية في علم التصوّف: الأسماء تنقسم باعتبار الذات، والصفات، والأفعال إلى الذاتية، كالله والصفاتيّة كالعليم، والأفعاليّة كالخالق، وتنحصر باعتبار الأنس والهوية عند مطالعتها في الجمالية كاللطيف، والجلالية كالقهار. والصفات تنقسم باعتبار استقلال الذات بها إلى ذاتية وهي سبعة: العلم والحياة والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام، وباعتبار تعلّقها بالخلق إلى أفعاليّة، وهي ما عدا السبعة ولكلّ مخلوق سوى الإنسان حظ من بعض الأسماء دون الكلّ كحظ الملائكة من اسم السبّوح والقدّوس. ولذا قالوا نحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك، وحظ الشيطان من اسم الجبار والمنتكبر، ولذلك عصي واستكبر. واختصّ الإنسان بالحظ من جميعها ولذلك أطاع تارة وعصي أخرى، وقوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلّها"⁴⁰ أي ركّب في فطرته من كل اسم من أسمائه لطيفة وهيأة بتلك اللطائف..... أسماء الله تعالى على قسمين، يعني الأسماء التي تفيد في نفسها وصفاً فهي عند النحاة أسماء لغوية: القسم الأول هي الذاتية كالأحد والواحد والفرد والصمد والعظيم

والحي والعزیز والكبير والمتعال وأشباه ذلك. القسم الثاني هي الصفاتية كالعليم والقادر ولو كانت من الأسماء النفسية، والمعطى والخالق ولو كانت من الأفعالية".⁴¹

ب- الفائدة:

المتصفح لكشاف اصطلاحات الفنون، كثيراً ما يصادف لفظ "فائدة" في العديد من صفحات المعجم، موجودة عقب كل شرح، وذلك بهدف تقريب الفهم للدارس، وذلك عن طريق رصد جميع الأقوال، والآراء التي تناولت شرح هذا المصطلح، وبعد ذلك يُحاول التنسيق بينها، وهذا يهدف الخروج بحوصلة جامعة لها، وشاملة، في شكلها التام، حتى يستفيد منها القارئ دون أي عناء ومشقة. ومن الأدلة على ذلك، نجد:

النموذج 1: اسم التفضيل: من حرف الألف (أ).

"هو عند النحاة اسم اشتق من فعل لموصوف بزيادة على غيره. فقولهم اسم اشتق شامل للمشتقات كلها؛ وقولهم لموصوف يخرج أسماء الزمان والمكان والآلة، لأن المراد بالموصوف ذات مبهمه ولا إبهام في تلك الأسماء، والمراد بالموصوف أعم أي موصوف قام به الفعل أو وقع عليه فيشتمل قسمي اسم التفضيل، أعني ما جاء للفاعل وما جاء للمفعول. وقولهم بزيادة على غيره أي غير الموصوف بعد اشتراكهما في أصل الفعل يُخرج اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة..."⁴².

فائدة: "قد يقصد بأفعال التفضيل تجاوز صاحبه وتباعده عن الغير في الفعل لا بمعنى تفضيله بالنسبة إليه بعد المشاركة في أصل الفعل، بل بمعنى أن صاحبه متباعد في أصل الفعل متزايد إلى كماله قصداً إلى تمايزه عنه في أصله مع المبالغة في اتصافه،.... فيحصل كمال التفضيل، وهو المعنى الأوضح في الأفعال في صفاته تعالى إذ لم يشاركه أحد في أصلها، حتى يقصد التفضيل نحو قولنا: الله أكبر وأمثاله. قيل وبهذا المعنى ورد قوله تعالى حكاية عن يوسف: "قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ"⁴³ ومثله أكثر من أن يُحصى..."⁴⁴.

النموذج 2: الإضافة: من حرف الألف (أ).

"هي عند النحاة نسبة شيء إلى شيء بواسطة حرف الجرّ لفظاً أو تقديرًا مرادًا. والشيء يعُمّ الفعل والاسم، والشيء المنسوب يسمّى مضافاً والمنسوب إليه مضافاً إليه. وقيد بواسطة حرف الجرّ احتراز

عن مثل الفاعل والمفعول نحو: ضرب زيد عمروًا فإنَّ ضرب نُسب إليهما لكن لا بواسطة حرف الجرّ. واللفظ بمعنى المفعول، مثاله: مررت بزيد، فإنَّ مررت مضاف وزيد مضاف إليه، والتقدير بمعنى المقدر مثاله غلام زيد....⁴⁵.

"فائدة: قد يوضع لها ولموضوعها معًا اسمٌ فيدلُّ ذلك الاسم على الإضافة بالتضمّن سواء كان مشتقًا كالعالم أو غير مشتق كالجنّاح، وزيادة توضيح الباحث في شرح المواقف".⁴⁶ والملاحظ خلال تصفّح المعجم أنّ هناك بعض المصطلحات قد تناولها "التّهانوي" بالشرح المطول مع إدراج أكثر من فائدة في الموضوع الواحد مثل: الاستعارة، الاشتقاق، العَرَض، العَطْف، وغيرها من المصطلحات التي تناولها "التّهانوي" في عمله المعجمي.

ج-التعليق:

عند وجود اختلاف في تحديد مفهوم مصطلح ما بين الاختصاصيين والمفكرين، يلجأ "التّهانوي" إلى حلّ المسألة، والفصل بينهم من خلال أفكاره، ومعلوماته المدعّمة بأسانيد صحيحة من العلماء مستعملًا كلمة "اعلم"، ومن أدلّتنا على ذلك ما توفّر في المعجم من أمثلة كثيرة، منها:

النموذج: من حرف الميم (م)

المُتَشَابِهَة: "اسم فاعل من التشابه في اللغة كَوْنُ أَحَدِ الْمُثْلَيْنِ مُتَشَابِهًا لِلْآخَرِ بَحِثْ يَعْجُزُ آدِهْنِ عَنِ التَّمْيِيزِ. قَالَ تَعَالَى: "إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا"⁴⁷،... قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ"⁴⁸....⁴⁹. يقدم "التّهانوي" شرحًا مطولاً لمصطلح التشابه، ثم يقول:

"اعلم أنّ مذهب السلف في حكم التشابه التوقّف عن طلب المراد مع اعتقاد حقيقة ما أراد الله تعالى به بناءً على قراءة الوقف على قوله إلاّ الله الدّالة على أن تأويله لا يعلمه غير الله تعالى..... اعلم أنّهم اختلفوا في أنّ التشابه مما يمكن الاطلاع على تأويله أو لا يعلم تأويله إلاّ الله على قولين، منشأهما الاختلاف في قوله "وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ"⁵⁰.....⁵¹

من حرف الدال (د)

الدليل: "لغة المرشد وهو الناصب والذاكر وما به الإرشاد..... وفي بحر الجواهر الدليل هو علامة يهتدي بها الطبيب إلى المرض.... وعند المنجّمين هو المزاعم... وعند الأصوليين له معنيان، أحدهما أعمّ من الثاني مطلقاً....." ⁵².

"اعلم أنّه ذكر في بعض شروح هداية النّحو في الخطبة الدليل في اللّغة الهادي والمرشد وفي الاصطلاح هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر. وعند الفلاسفة عبارة عن مجموع الأقوال التي يؤدي تصديقها إلى تصديق قول وراء تلك المجموع.... ويرادفه الحجة". ⁵³

د- ازدواجية اللّغة الشارحة:

أشارت الكتب التي تناولت حياة "التّهانوي" أنّه كان يُتقن اللغتين: العربيّة والفارسيّة، وأثر ذلك يبدو جليّاً في كتاباته، فالتصّفّح لكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، يُلاحظ استعمال "التّهانوي" اللغتين: العربيّة والفارسيّة، في شرحه للمفردات المعجميّة الواردة في كتابه. حيث نجدّه يقول في مقدمة كتابه: ".... وهكذا اقتبست من سائر العلوم فحصلت في بضع سنين كتاباً جامعاً لها...." ⁵⁴. هذا القول يبين أن "التّهانوي" استعان بلغة أخرى غير اللّغة العربيّة في تقديم الشروحات، هي اللّغة الفارسيّة ولكنّها كانت بنسب قليلة، تتواجد في بعض صفحات المعجم. وهي خاصيّة تفرّد بها "التّهانوي"، بحيث لا يوجد معجم عامّ أو خاصّ قد ألّف بهذه الطريقة. ومن الأمثلة على ذلك نجد:

النموذج:

الخال: "برادر مادر ونشان سپاه كه بر رو يابر عضو باشد مقدار دانه كنجد و در اصطلاح سالكان اشارت بنقطه وحد تست من حيث الخفا كه مبدأ ومنتهاي كثر است منه بدأ واليه يرجع الامر كله چه حال بواسطه سپاهي مشابه هويت غيبه است كه از ادراك وشعور محتجب لا يرى الله الا الله ولا يعرف الله الا الله". ⁵⁵

الجرح: "ودر وافيّه آرد تفرق اتصال كه از پوست فرو نگذرد آنرا سحج گویند و خدش نیز گویند و آنچه بگوشت فرو گذرد آن را جراحت گویند". ⁵⁶

خردادماه: "اسم شهر في التقويم الفارسي. (الشهر الثالث من أشهر الربيع) ← نام ماهيست د ر تاريخ فرس" 57

فيكون "التهانوي" بهذا العمل قد أضاف عناصر جديدة من شأنها أن تُعزّز التأليف المعجمي بتقنيات في المناهج، وعلى مستوى التعريفات.

الخاتمة:

- من خلال هذه الدراسة البسيطة والموجزة، تمّ التوصل إلى مجموعة من النتائج هي:
- لم يُحظَّ "التهانوي" باهتمام كتب التراجم والسير بالرغم من كثرة عطائه في مختلف علوم اللغة، لهذا لم يصلنا الكثير عن حياته خاصة سنة ولادته ووفاته.
 - يُعدُّ معجم "التهانوي" معجمًا موسوعيًا لما حواه من العلوم والفنون المختلفة.
 - يصنّف "الكشاف" ضمن المعاجم المتخصصة أيضًا، لاحتوائه على مصطلحات علمية، وفنية معينة كما هو موضّح في صياغة العنوان.
 - ذكر "التهانوي" في كتابه ما يُعرف بالرؤوس الثمانية، وهي معايير ومواصفات تضبط مادة الكتاب وتقيدها.
 - تبيان العلوم المدوّنة، وما يتعلّق بها قبل رصد مصطلحاتها، لأنّ فهم العلوم عند "التهانوي"، يأتي في المرتبة الأولى، ثم يليه اقتناء المصطلحات الملائمة.
 - تعدّد دلالات الوحدة المعجمية، وهو أمر غير معهود لدى المعجميين، فهو يقوم بشرح المصطلح في تخصص علمي واحد، مع رصد جميع شروح هذا المصطلح التي وظّفها أهل الاختصاص في تخصّصاتهم المختلفة.
 - ذكر "التهانوي" لأسماء الكتب والمراجع التي استند عليها في تحديد معاني الألفاظ، أثناء شرح مداخل معجمه.
 - إضافة عناصر توضيحية جديدة على مستوى التعريف والمعروفة ب: التقسيم، فائدة، التعليق.
 - اعتماد لغتين في شرح المادة المعجمية وهي اللغة العربية، والفارسية.

وبذلك فقد أحدث "التّهانويّ" نوعاً من التغيير والتطور على مستوى العمل المعجميّ من خلال معجمه "كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم"، وما يحتويه من عناصر جديدة ميّزته عن باقي الأعمال المعجميّة

- ¹ - محمد علي التّهانويّ: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 1996م، ص:1.
- ² - حسن خميس الملقح: التّهانويّ ومعجمه كشاف اصطلاحات الفنون دراسة في شخصية التّهانويّ اللغوية في بناء معجم كشاف اصطلاحات الفنون، مؤتة للبحوث والدراسات، الأردن، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، 2001م، ص:121.
- ³ - بطرس البستاني: كتاب دائرة المعارف وهو قاموس عام لكل فنّ ومطلب، دار المعرفة، المجلد6، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، بيروت، ص: 246.
- ⁴ - خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ج6، بيروت، لبنان، ص:295.
- ⁵ - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفين الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، ج11، بيروت، لبنان، ص:47.
- ⁶ - المنجي بوسنيّة: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، دار الجيل، بيروت، ط1، المجلد 4، بيروت، 2005م، ص:676.
- ⁷ - المرجع نفسه: الصفحة نفسها.
- ⁸ - المرجع نفسه.
- ⁹ محمد علي التّهانويّ: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص:2.
- ¹⁰ - المنجي بوسنيّة: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ص:676.
- ¹¹ - محمد خميس القطيطي: أسس الصياغة المعجمية في كشاف اصطلاحات الفنون، دار جرير، ط1، عمان، 2010م، ص: 33. ينظر أيضاً، المنجي بوسنيّة: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ص: 678، الزركلي: الأعلام، ص:295.
- ¹² - المنجي بوسنيّة: المرجع السابق، ص 678.
- ¹³ - محمد خميس القطيطي: أسس الصياغة المعجمية في كشاف اصطلاحات الفنون، ص:35.
- ¹⁴ - المنجي بوسنيّة: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ص:676.
- ¹⁵ - محمد علي التّهانويّ: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص:1. (من المقدمة).
- ¹⁶ - المرجع نفسه، ص:2.

-
- 17- محمد علي التّهانويّ: موسوعة اصطلاحات الفنون والعلوم، ص: 1.
 - 18- ينظر: محمد خميس القطيطي: أسس الصياغة المعجمية في كشّاف اصطلاحات الفنون، ص: 36-37.
 - 19- محمد علي التّهانويّ: موسوعة الكشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص: 15.
 - 20- المرجع نفسه، ص: 2.
 - 21- المرجع نفسه، ص: 3.
 - 22- ينظر: محمد خميس القطيطي: أسس الصياغة المعجمية في كشّاف اصطلاحات الفنون، ص
 - 23- المرجع نفسه: ص 1.
 - 24- المنجي بوسنينة: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ص: 677.
 - 25- محمد خميس القطيطي: أسس الصياغة المعجمية في كشّاف اصطلاحات الفنون، ص: 38.
 - 26- المنجي بوسنينة: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، ص: 677.
 - 27- المرجع نفسه.
 - 28- المرجع نفسه.
 - 29- محمد خميس القطيطي: أسس الصياغة المعجمية في كشّاف اصطلاحات الفنون، ص: 39.
 - 30- محمد علي التّهانويّ: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم.
 - 31- محمد خميس القطيطي: أسس الصياغة المعجمية في كشّاف اصطلاحات الفنون، ص: 39.
 - 32- محمد علي التّهانويّ: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص: 14.
 - 33- ينظر: المرجع نفسه، ص
 - 34- المرجع نفسه، ص: 2-3.
 - 35- المرجع نفسه، ص: 1.
 - 36- المرجع نفسه، ص: 1192-1193 (حرف العين).
 - 37- المرجع نفسه، ص: 739-755.
 - 38- المرجع نفسه، ص: 1.
 - 39- المرجع نفسه، ص: 181.
 - 40- سورة البقرة: الآية 31.
 - 41- محمد علي التّهانويّ: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص: 183-184.
 - 42- المرجع نفسه، ص: 190.
 - 43- سورة يوسف: الآية 33.

-
- 44- محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ص 190-191.
- 45- المرجع نفسه، ص: 215.
- 46- المرجع نفسه: ص 218.
- 47- سورة البقرة: الآية 70.
- 48- سورة آل عمران: الآية 7.
- 49- محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص: 1437.
- 50- سورة آل عمران: الآية 7.
- 51- محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ص: 1438.
- 52- المرجع نفسه، ص: 793.
- 53- المرجع نفسه: ص 797.
- 54- المرجع نفسه، ص: 1-2.
- 55- المرجع نفسه: ص 735.
- 56- المرجع نفسه: ص 470.
- 57- المرجع نفسه.

المراجع:

- القرآن الكريم.

1. بطرس البستاني: كتاب دائرة المعارف وهو قاموس عام لكل فنّ ومطلب، دار المعرفة، المجلد6، مؤسسة مطبوعاتي اسماعيليان، بيروت.
2. حسن خميس الملقح: التّهانويّ ومعجمه كشّاف اصطلاحات الفنون دراسة في شخصية التّهانويّ اللغوية في بناء معجم كشّاف اصطلاحات الفنون، مؤتة للبحوث والدراسات، الأردن، المجلد السادس عشر، العدد الثاني، 2001م.
3. خير الدين الزركلي: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ج6، بيروت، لبنان.
4. عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفين الكتب العربية، دار إحياء التراث العربي، ج11، بيروت، لبنان.
5. محمد خميس القطيطي: أسس الصياغة المعجمية في كشّاف اصطلاحات الفنون، دار جرير، ط1، عمان، 2010م.
6. محمد علي التّهانويّ: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، بيروت، 1996م.
7. المنجي بوسنينة: موسوعة أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين، دار الجيل، بيروت، ط1، المجلد 4، بيروت، 2005م.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

التحليل اللساني للعربية - دراسة في الأنظمة العامة

م.د. جاسم خيرى حيدر

مديرية تربية ميسان - العراق

Jassimhaidar4@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/05/05 م تاريخ التحكيم: 2021/05/23 م تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص بالعربية:

هذه الدراسة تتناول بالتحليل اللساني الأنظمة العامة في العربية التي تحقق الاستقرار والثبات للعربية وتمنع وحداتها المختلفة من الفوضى والتحول والتغير، وهي تحاول الكشف أيضاً عن المعالجات الممكنة للخروقات التي قد تواجه هذه الأنظمة، ثم الكشف عن المرونة التي تمتلكها العربية لتغطية الحاجات المتجددة التي تأتي من التطور في الاستعمال، وتحاول الإجابة على التساؤل المهم وهو: لماذا بقيت العربية مستقرة ثابتة في نسخة نقية قديمة ، وفي ذات الوقت قادرة على تلبية متطلبات الاستعمال.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات ، العربية، الثبات، الأنظمة

Linguistic analysis of Arabic - a study in general systems

Dr. jassim khairy haidar

General Directorate of Maysan Education, Iraq

Jassimhaidar4@gmail.com

Abstract :

This study deals with the linguistic analysis of the general systems in Arabic that achieve stability and consistency in Arabic and prevent its various units from chaos, transformation and change, and it also tries to uncover possible treatments for the breaches that may face these systems, then reveals the flexibility that the Arab possesses to cover the renewed needs that come from development. In usage, it tries to answer the important question: Why has Arabic remained stable in an old pure version, while at the same time being able to meet the usage

Keywords : linguistics, Arabic, consistency, systems

1. المقدمة

في كلام الباحثين من غربيين وغيرهم إشارات واضحة إلى أن العربية لغة تتميز بسمّة المحافظة الشديدة والثبات في بنيتها الصوتية والصرفية والنحوية، وهذا لا يحصل من غير نظام يحكم مكوناتها المختلفة، وهي إذ توصف أيضاً بالابتكار والتجديد الذي يشير من طرف خفي إلى الفاعلية ومواكبة التغيرات والسماح بالنمو المطرد؛ فإن سمة الثبات تثير تساؤلات كثيرة بشأن العوامل التي ساعدت العربية على الاحتفاظ بكيانها وقوامها دون غيرها من اللغات أو سائر أخواتها الساميات على الأقل، هل هي عوامل خارجية عن أصل اللغة، أو هي عوامل داخلية تنبع من اللغة ذاتها في تكوينها وبنيتها.

إن دراسة نظم العربية تتطلب دراسة بنية العربية في صورتها العامة، وتحليلها لسانيًا حتى يمكن ملاحظة القواعد العامة التي تحكم هذا النظام أو حتى منبع هذا النظام، وقد كشف عن أن القيود الكثيرة التي تضعها العربية على أبنيتها ووحداتها لتمنعها من الخروج عن الاطراد والتماثل هو في حقيقته يتبع تسلسلاً محكماً لنظام عام يبتدئ بالبنى الكبرى ويتجه للبنى الصغرى بغض النظر عن المستوى سواء كان صوتياً أم صرفياً أم نحوياً.

من كل هذا كان اختيارنا أن يكون عنوان البحث هو: (التحليل اللساني للعربية - دراسة في الأنظمة العامة) وقد تناولنا فيه أولاً مفهوم العربية في الدراسات الحديثة، ثم الثبات في العربية، والتحليل اللساني وفق مستوياته الصوتية والصرفية والنحوية، وذكر النتائج الختامية.

2. مفهوم العربية (The concept of the Arabic language)

تنتمي العربية للفرع السامي الأفرو آسيوي. وبحسب التصنيف التقليدي للسامية، فإن اللغة العربية هي جزء من قسمها الجنوبي وتجتمع مع الإثيوبية والعربية الجنوبية، وهذا الموضع للعربية من الساميات ما زال إلى اليوم يخضع لنقاشات مستمرة⁽¹⁾. في السبعينيات، اقترح (هيتزرون) وضع اللغة العربية مع الآرامية والكنعانية في مجموعة (سامية مركزية) مستنداً إلى بعض الصفات المشتركة. وبذا تكون اللغة العربية أكثر ارتباطاً بالكنعانية والآرامية من الجنوب الشرقي للسامية.⁽²⁾

بالنسبة إلى العرب كجنس بشري معروف بهذا الاسم، هناك شهادات على وجودهم في وقت مبكر من القرن التاسع قبل الميلاد في المصادر الآشورية، ولكن تاريخ لغتهم وتطورها قبل ظهور الإسلام، بعد

1.5 ألف سنة ، غير معروف إلى حد كبير. المعلومات المؤكدة أن اللغة العربية نشأت في الأجزاء الوسطى والشمالية من شبه الجزيرة العربية ، وانتشرت لاحقاً شمالاً إلى حواف الهلال الخصيب، وما يتحصل لدينا هو النقوش والكتابات الدالة على هذه اللغة؛ فأول دليل على لغة شبيهة بالعربية هو ما يسمى بالنقوش العربية الشمالية القديمة (القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي تقريباً): تتكون من الآلاف الكتابات القصيرة على الجدران ، ولكنها بالكاد لغوياً تفي بالمعلومات المطلوبة عن هذه اللغة أو وصفها على الأقل.⁽³⁾

يظهر في التراث العربي مفهوم (اللغة العربية الفصحى) أو ما تسمى بالكلاسيكية في الدراسات الغربية (Classical Arabic) وهو يثير جملة من المشاكل ، بما في ذلك المجال والمعنى، المصطلحات المتعلقة بهذا المجال هي: (فصحى، الفصحى، العربية) تعتمد على استعمالات السياق ، في هذا الصدد يشير مصطلح (اللغة العربية الفصحى)(CA) إلى المعيار اللغوي المحدد أو الميزات الموصوفة والمقبولة من قبل النحاة العرب في القرن الثامن / التاسع الميلادي، وشوهدت في الأعمال الأدبية ابتداء من القرن الثامن إلى العاشر الميلادي. الأنواع المختلفة من العربية التي يعود تاريخها إلى ما قبل إنشاء المعيار الكلاسيكي يشار إليها باسم (العربية القديمة)(Old Arabic). الفكرة التقليدية الشائعة أن اللغة العربية الفصحى (Classical Arabic) متطابقة إلى حد ما مع جميع أصناف العربية السالفة ، القديمة (ancient) والحديثة ، وبالتالي متطابقة تقريباً مع ما يمكن تسميته بـ اللغة العربية الأم أو اللغة العربية المشتركة (Proto-Arabic).⁽⁴⁾

تتميز اللغة العربية الفصحى ببعض السمات الصوتية والصرفية والنحوية. ومن المسلم به أن أهمها ظاهرة الإعراب ، أي تغيير النهايات. ومن المثير للاهتمام أن بعض النصوص التي نشأت عليها قواعد اللغة العربية الفصحى ، وتحديداً القرآن والشعر القديم ، تظهر انحرافات عرضية عن هذه الأعراف ، بسبب تأثير اللهجات في الخلفية؛ لهذا السبب ، يصنف القرآن والشعر القديم أحياناً على أنهما يمثلان "ما قبل الكلاسيكية" أو نمط "معياري سابق". على نفس المنوال ، تصنف النصوص اللاحقة التي تقدم بعض الابتكارات النحوية والمعجمية على أنها العربية "ما بعد الكلاسيكية".⁽⁵⁾

يجري الحديث إذن عن لغة عربية قديمة سبقت العربية الكلاسيكية أو الفصحى، ويمكن أيضاً ملاحظة صنف آخر هو (العربية الوسطى) (Middle Arabic) التي تتميز بحلولها من الحالات الإعرابية، و بحسب تفسير (كورينت) (Corriente)، تطورت هذه اللغة الوسطى من اللغة العربية القديمة، و هو افتراض شكل من أشكال اللغة العربية التي تشكلت في العصور ما قبل الإسلامية على طول الحدود العربية الشمالية الغربية في النبطية. ارتبط هذا التنوع في اللغة العربية بالمراكز التجارية، وسرعان ما اكتسب مكانة مرموقة، وفي أعقاب الانتشار العربي الإسلامي المبكر كان بمثابة نموذج لتطوير اللغة العربية الوسطى الخالية من الحالات الإعرابية في السياقات الحضرية. فالأصناف الخالية من الحالات ناشئة عن الاتصالات الحدودية. تتفق هذه الدراسات مع ضرورة الاعتراف بشكل من أشكال العربية الموجودة بشكل متزامن مع الأصناف التي تملك حالة إعرابية. (6)

من الأشكال الأخرى للعربية، اللغة العربية الفصحى الحديثة (MSA)، و هي سليل اللغة العربية الفصحى، هذه اللغة لم تتغير في أساسيات تركيبها ولكنها تغيرت كثيراً، وما زالت تتغير، في مفرداتها وعباراتها. تُستخدم هذه المجموعة العربية الموحدة والمشفرة من اللغة العربية لجميع الكتابات في العالم العربي تقريباً في الوقت الحاضر، وهي في شكلها المنطوق، تعد وسيلة طبيعية للخطاب الرسمي، وتستعمل في جميع نشرات الأخبار والخطب السياسية والإعلانات الرسمية، والأهم من ذلك كله استعمالها في التعليم في كل بلد عربي. (7)

اللغة العربية الفصحى الحديثة (MSA) هي المظهر الحديث للعربية الكلاسيكية، ولكن من النادر أن نجد الأنماط البلاغية المنمقة للعربية الكلاسيكية، ولا التركيبات النحوية المعقدة. ما يميز هذه اللغة اختلافات كبيرة في المفردات بشكل أساسي وبعض الأساليب التركيبية. هي ببساطة مثل اللغة العربية الفصحى، نشأت كرد فعل على حالة الاتصال اللغوي مع أوروبا الغربية الحديثة، يؤرخ ذلك بعضهم بالغزو الفرنسي لمصر عام 1798، ثم نشوء الصحف كرد فعل على هذا الاتصال وما له من تأثير عميق على اللغة العربية، فالوثائق التي تم تكوينها قبل العصر الحديث باللغة العربية الفصحى كانت تستهدف عادةً جمهوراً محدوداً ونخبوياً، إلا أن انتشار التعليم - خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين - نتج عنه (MSA)، وهي نسخة من اللغة العربية الفصحى مبسطة للاستهلاك الجماعي ليس فيها خطوط

فاصلة واضحة تميزها عنها، فهناك مزيج كبير من المواد المعجمية العربية القديمة على وجه الخصوص التي تستعمل في سياقات لم تكن متوقعة فيها في الماضي، مثل المواعظ والمحاضرات الجامعية.⁽⁸⁾ يمكن استعمال اللغة العربية الفصحى بشكل منتج، بدرجات متفاوتة من الدقة النحوية، من الناطقين باللغة العربية المتعلمين، وهي لا تعمل فقط كوسيلة لأشكال الأدب الحالية، ولكن أيضًا كلغة مهمة للتواصل بين العرب المتعلمين من الأجزاء البعيدة جغرافيًا من العالم العربي. أهميتها تتمثل في جانب اجتماعي أولاً؛ فهي علامة على المكانة الاجتماعية والتعليم، وثانيًا يساعد تعلم الناشئة اللغة العربية الفصحى على تجاوز الاختلافات في اللهجات، ويساعد عمومًا العرب على دمج تراثهم الأدبي وتقاليدهم التاريخية، وأخيرًا يعزز تعليم الفصحى على صيانتها عالميًا بعدها لغة مكتوبة موحدة ومتناسكة، وأخيرًا تلعب اللغة العربية الفصحى دورًا مهمًا في التواصل بين الثقافات، بقدر ما تتم معظم الترجمة من وإلى العربية باستخدام هذا التنوع.⁽⁹⁾

3. الثبات في العربية (Consistency in Arabic)

مما سبق يتبين أن العربية هي لغة محافظة احتفظت بموروث سامي قديم لم يتسنى للغات كثيرة من أحوالها المحافظة عليه، وهي تتصف باستقرار في بنيتها وتكوينها، هذا الذي حاول النحاة العرب وصفه باستعمال مصطلح "الاطراد" وهو يعني التتابع والاستمرار في أصل اللغة ثم نقل فاستعمل للدلالة على ما استمر وتتابع من الكلام في أبواب العربية، وجعلوا خلافة الكلام "الشاذ" الذي يعني مخالفة الاطراد على وجه الندرة، فكل العربية مطردة مستقرة ثابتة تسير وفق أحكام معلومة إلا نزرًا يسيرًا هو هذا الشاذ.⁽¹⁰⁾ كل ما يخالف هذا التتابع الذي يحقق الثبات لم يتركوه هملاً؛ فقد جرى عزله وتقييده، وتظهر عباراتهم على وجه العموم احتقاره وإبعاده وكأنه يقدر في ما يذهبون إليه من تكامل العربية وبعدها عن الاضطراب والاتساق؛ فمن العبارات الغريبة في هذا قولهم "هذا قليل خبيث" للتعبير عن رفضه أو عدم الثقة به أو الطريق الذي وصل به إليهم.⁽¹¹⁾

لو لم تكن العربية تتسم في ذاتها بالاتساق والنظام لما تمكن النحاة أن يضعوا هذه القواعد المطردة التي لا شك أنها ليست قواعد مصنوعة مفتعلة وإنما هي وصف للنظام فقط، هذا الاتساق هو وجه من أوجه الثبات، ويمكن أن يكون للثبات وجه آخر وهو مقاومة التغيير، فقد ظلت اللغة العربية ظاهريًا منذ

عصورها الأولى وحتى يومنا هذا تقريبا دون تغيير. بصرف النظر عن بعض التفاصيل ، فإن مورفولوجيا اللغة الشعرية القديمة واللغة العربية المكتوبة الحديثة متطابقة. برغم أن اللغة استمرت بشكل طبيعي في التغيير والتكيف مع الظروف الجديدة في العديد من جوانب استخدام الكلمات، وفي اختيار الأنماط النحوية ، وفي الأسلوب ، ظلت المفردات والنحو متشابهة بشكل أساسي. (12)

ينظر العلماء إلى اللغة العربية على أنها لغة سامية قديمة نقية نسبياً وثابتة ، تطابق ما يُسمى بـ(السامية الأم) (Proto-Semitic) اللغة الافتراضية ؛ هذا الرأي يستند إلى أن صحارى الجزيرة العربية كانت بمثابة الحارس أو المحافظ على لغة لم تُمس نسبياً . اللغة العربية هي لغة محافظة أو ثابتة من نواح كثيرة ، لكنها لغة مبتكرة أيضاً؛ فهي تحافظ وحدها على نظام العلامات السامية القديم الكامل الموجود في الأكادية القديمة. بعض هذا النظام المتطور عُثر عليه فقط في لغات سامية جنوبية مثل العربية الجنوبية والإثيوبية ، وبعضها الآخر وجد فقط في المجمع السامي الشمالي الغربي ، والذي يشمل الآرامية والعبرية . (13)

من الناحية المثالية ، يجب أن تكون النصوص المقدمة باللغة العربية الفصحى "صحيحة" سليمة ولم تظهر أي انحرافات عن القواعد الصارمة التي وضعها النحويون. ومع ذلك ، تثار دائما مشكلة المخالفات للقواعد الثابتة ؛ حتى لو كانت ثانوية وعشوائية ، فإن كل تكوين تقريباً في اللغة العربية الفصحى يتضمن بعض الخصائص اللغوية ، مدفوعة بالحفاظ على شكل قديم "ما قبل الكلاسيكي" ، أو متعمد أو جرى التغاضي عنه يتضمن أشكال اللهجات. من الواضح ، إذن ، أن "اللغة العربية الفصحى" لا تشير إلى شكل أصلي من اللغة ، بل هي مجموعة متنوعة موحدة من الأشكال اللغوية محفوظة جيداً. تعكس حقيقة أن اللغة العربية الفصحى هي لغة قياسية مرموقة في بنيتها التركيبية المتجانسة للغاية والمنظمة. (14)

على الرغم من أن فكرة التفوق اللغوي تعد في حد ذاتها "أسطورة لغوية"، وهي في العالم العربي ومنذ القدم تُغذى بفكرة التفوق الديني، والحديث عن أن اللغة العربية هي الوعاء الحافظ للدين، ولكن هذا لا يبعد التمييز المصاحب للعربية؛ فمن منظور أكثر رصانة ، فإن مقارنة كومري "Comrie" للغة العربية مع لغات أخرى في العالم تبرز عددًا من الميزات النادرة نسبياً بالفعل. على الرغم من أن وجود نظام الإعراب ليس واحدًا منها. فمقارنته تستند إلى أطلس العالم للهياكل اللغوية (WALS) ، وهو جرد

للميزات اللغوية في قاعدة بيانات تضم أكثر من 2500 لغة ، بمتوسط 400 لغة لكل ميزة. أثبتت وجود ميزات فريدة صوتية ، ومورفولوجية ونحوية لا توجد في لغة أخرى. (15)

4. التحليل اللساني للعربية (Linguistic analysis of Arabic)

4.1. المستوى الصوتي (Phonetics/phonology)

من الحقائق الأولية التي ينبغي تأكيدها أن العربية ليست لغة منطوقة في الوقت الراهن؛ وهو ما يعني أن علم الأصوات يعتمد إلى حد ما على علم الأصوات العامة الحديثة والقراءة التقليدية للقرآن الكريم، إن أصوات العلة والأصوات الساكنة في العربية لها إدراك موحد إلى حد ما لدى ناطقي العربية اليوم مع عدد من الاختلافات الإقليمية البسيطة. وفي هذا المجال يعد علم التلفظ (orthoepy) ذو أهمية كبيرة ، والمتمثل بتلاوة القرآن الكريم، وهو فن متطور للغاية يحافظ على بعض السمات القديمة الموروثة، ومع ذلك لم ينبثق أحد الفونيمات الأصلية التي يبلغ عددها 28، وهو الضاد الذي يرمز له بـ (d) في هذا التلفظ. (16)

الثبات والمحافظة التي توصف بها الأصوات والمتمثلة بالسواكن وأصوات العلة تشكل انطلاقة مهمة؛ فأي تغيير لاحق لن يمس أصل اللغة في متنها الأساس أو حين يجري تركيبها وتمثيلها للمعاني، ولكن لم يكن لتلاوة القرآن فقط هذا الأثر في المحافظة على القيم الصوتية، وإنما هناك عامل يتعلق بالشيوع في الاستعمال الذي يجعل بعض الأصوات غريبة أو غير مستحسنة بحسب وصف شيخ النحاة، وهذا الأمر قد يدفع باتجاه اندثار هذه الأخيرة لصالح تلك المستحسنة. (17)

إن نظام الحروف المتحركة العربية واضح ومباشر: ثلاثة أحرف متحركة مختلفة الصفات (أ- و- ي) ، ولكل منها متغير قصير وطويل. لا يعد الفرق في طول حرف العلة في اللغة العربية اختلافاً في جودة حرف العلة ، ولكن هو اختلاف في مدة التصويت. هذا مشابه للاختلاف في مدة النوتات الموسيقية ، حيث يُحتفظ بنصف نغمة على سبيل المثال أو مضاعفتها. هناك طريقتان لدى الباحثين لتحليل عدد الأصوات المتحركة في اللغة العربية: يمكن رؤيتها على أنها ستة: ثلاثة قصيرة وثلاثة طويلة ، أو يمكن رؤيتها على أنها أربعة: ثلاثة أحرف متحركة قصيرة بالإضافة إلى صوت واحد "طويل" يمكن إضافته إلى كل واحد منها. في كلتا الحالتين الأمر مقبول ولا غبار عليه. يختلف التمثيل الصوتي لحروف العلة الطويلة من نظام إلى آخر.

عدد من العلماء ، يميلون لتمثيل حروف العلة الطويلة على أنها مضاعفة حروف العلة القصيرة على سبيل المثال (aa ، ii ، uu) أو يميلون لاستعمال الشكل (ā , ī , ū) أو تدوين الطول المنقط بهذا الشكل (u: ، i: ، a:).⁽¹⁸⁾

إن العدد القليل من حروف العلة قد يكون عاملاً إيجابياً؛ إذ يمكن استعمال هذه الموارد القليلة بنظام وثبات أكبر فيما لو كان عددها كبيراً، خاصة مع فكرة الجذر الثابت التي تعتمد في بناء الألفاظ والتي سنشير إليها لاحقاً ، ومع هذه المزية استطاعت العربية الإفادة من آلية خاصة لزيادة هذه الحروف؛ إذ يمكن التعويض للحالات المختلفة بتطويل أو تقصير حرف العلة ذاته فتتلافى إشكالات التكهن الخاصة بالتلفظ، الذي يظهر في بعض اللغات كاللغة الإنكليزية.

هناك جملة من العمليات الصوتية التي يطال بعضها حروف العلة وبعضها الآخر الساكنة تتضمن الإطالة للصوت أو الإدغام بنوعيه؛ غير الصوتي الذي له وظيفة محددة فهو في حقيقته يسمح بالسهولة ويعمل على تيسير النطق، وأما تلك التي توصف بكونها عمليات صوتية تغير المعنى فزيادة على الوظيفة السابقة تعد من باب الاقتصاد في الموارد التي تميز العربية؛ إذ تؤدي مهمة اشتقاقية في إثراء العربية ولكن وفق أنماط محددة مقيدة لا تسمح بالفوضى وتساعد على الثبات العام في الأصوات أو الصيغ.

ولتوضيح ذلك أكثر نقول إن هناك عمليتين صوتيتين، الأولى: إطالة حرف العلة كما في kataba (كَتَبَ)، و (كَاتَبَ) "kaataba" ، و الثانية : المضاعفة (gemination) ، أو التشديد (doubling) ، كما في (دَرَسَ) darasa ← دَرَسَ darrasa . تساهم كل هذه العمليات في اشتقاق الكلمات من جذر معجمي وتشكل مكوناً رئيسياً للنظام الاشتقاقي للغة العربية. ويجب أن نعرف ، أن هناك أشكالاً مختلفة من المضاعفة غير الصوتية. على سبيل المثال ، في أشكال معينة من حرف الجر المضافة إلى لاحقة ضمير المتكلم: بدلاً من (عَنِي) ʿan-ii ؛ الشكل هو (عَنِي) ʿannii بمضاعفة النون ؛ وبالمثل ، (مَنِي) min-ii ؛ الشكل هو (مَنِي) minn-ii . في كلتا الحالتين تُضعف النون، لكن هذا لا يغير معنى التعبير. تتسبب المواقف السياقية المختلفة أيضاً في حدوث الإدغام ، مما يؤدي غالباً إلى مضاعفة نطق الحرف الساكن ، كما هو الحال في إدغام لام التعريف مع الصوت الأول لكلمة تبدأ بـ "حرف شمسي" ، على سبيل المثال ، (التَّور).⁽¹⁹⁾

عند التحليل الصوتي يجب الالتفات إلى النظام الذي يتبعه المقطع في العربية؛ فهو يقوم على الكلام (النطق) ، وليس الكلمة المنفصلة؛ فالكلام هو الوحدة الصوتية الأساسية لفعل الكلام، يمكن أن يتألف الكلام من كلمة واحدة، أو حتى جزء من الكلمة، ولكن في اللغة الطبيعية عادة ما يشكل الكلام جملة، وفي سياق الكلام ، تسمح العربية لأنواع المقاطع التالية: (CV- CVV- CVC -CVVC)، ويُصنف المقطع الأول على أنه قصير ، والأخرى طويلة. هذا النظام له عواقب عديدة. تتمثل في أن الكلام لا يمكن أن يبدأ بحرف متحرك أو حرفين ساكنين، و يمكن فقط أن يوجد حرف ساكن واحد مع حرف علة. علاوة على ذلك ، لا يمكن أن ينتهي الكلام أبداً بحرفين ساكنين، و في داخل المنطوق لا يمكن أن توجد مجموعات ساكنة تتكون من أكثر من صوتين صامتين. يضاف إلى ذلك أن العربية لم تتسامح مع مقطع CV في نهاية النطق. ومع ذلك ، في المورفولوجيا ، هناك العديد من الحالات التي تبدأ فيها الكلمة باثنين من الحروف الساكنة. علاوة على ذلك ، تتكون عدة لواحق نحوية من حرف علة قصير أو تنتهي. وبالتالي هناك تناقض بين المورفولوجيا النموذجية والقواعد الصوتية للتلفظ (الكلام). ومن هنا ، قد يأخذ التحليل الصوتي طريقاً واحداً من اثنين؛ فإما أن يأخذ بنية الكلمات المفردة كنقطة انطلاق، ثم يصوغ قواعد كيفية دمج الكلمات في الألفاظ ، أو يبدأ بالكلام ثم يستمد الكلمات المعزولة منه. (20)

فالنظام المقطعي في العربية الذي يتميز بهذه التقييدات الصارمة لا يسمح بتغيرات كبيرة خارجة عنه، ومع القبول باستثناءات محدودة فإنه يبقى الكلام بأنماط محددة وقوالب مقطعية تشكل هيئة الكلام العربي الذي يكثر فيه المقاطع الطويلة، ولا يميل لوجود التكتلات الساكنة؛ فدوماً نجد أن حروف العلة على قلتها هي المفتاح والحل لبعض المخالفات المحتملة كما سيأتي إيضاحه؛ وبهذا يكون النظام المقطعي عاملاً مهماً من عوامل ثبات العربية واحتفاظها بكيانها العام عند التلفظ أو الكلام المنطوق.

المخالفات الممكنة للنظام المقطعي التي قد تؤدي للتناقض وتسبب في فقدان الثبات والنظام في العربية تُعالج دوماً، ويكون ذلك جزئياً بقواعد صوتية وكذلك بالقواعد المورفولوجية. مثال ذلك ، إذا وجدت كلمة تبدأ بحرفين ساكنين في بداية الكلام ، فسيكون المقطع المساعد للبنية هو سابقة الهمزة /?/ V+ . على سبيل المثال أداة التعريف هي بادئة (ل) / 1 / مما يؤدي في جميع الحالات إلى إنشاء مجموعة

أولية من اثنين من الحروف الساكنة. /ل-بيت / يجب أن يُدرك هذا على أنه /ل-بيت/ في وضع ابتدائي (بداية الكلام)، و عندما تتبع كلمة تنتهي بحرف ساكن كلمة تبدأ بحرفين تُحل الكتلة المتكونة من الثلاثة عن طريق إقحام حرف علة أو صائت بعد أول ساكن. وبالتالي حدود المقاطع يمكن أن تعمل بين حرفين ساكنين أوليين في كلمة فردية؛ مثلاً جملة تتكون من الكلمات التالية (خرجوا من المسجد الكبير) نجد فيها إقحام الصائت بعد النون في الكتلة (ن-ل-م). وأخيراً ، إذا كانت الكلمة التي تنتهي بحرف علة قصير تقع في نهاية الكلام ، فعادةً لا يُدرك حرف العلة القصير ولكن يُحذف. وهكذا تنتهي الكلمة أو الكلام في هذه الحالة بساكن واحد.⁽²¹⁾

من كل هذا يتبين أن اللغة العربية لديها قواعد وأنظمة فونولوجية خاصة لجعل اللغة أسهل في الإنتاج (أخف على اللسان)؛ فهي ليس لديها مجموعات أو تكتلات من الحروف الصامتة، وحتى مع وجود صوتين صامتين متجاورين فمن خلال المماثلة أو (الإدغام) تصبح الحروف الصامتة المجاورة أكثر تشابهاً مع بعضها بعضاً.⁽²²⁾

4.2. المستوى الصرفي (Morphology)

في جميع مستويات اللغة العربية ، يُبنى الجزء الأكبر من المفردات وفق مبدأ الجذر والنمط (root and pattern)؛ فللتعبير عن مصطلحات دلالية معينة (أي الكلمات) ، يُدمج جذر ساكن محض يحمل المعلومات الدلالية الأساسية مع مجموعة محدودة من الأنماط باستخدام تسلسل ثابت من الحروف الساكنة والأحرف المتحركة والبادئات واللاحقات الاختيارية. تتكون معظم الجذور من ثلاثة حروف ساكنة، و تلك التي تحتوي على أربعة أحرف ساكنة ليست نادرة على الإطلاق ، ولكنها غالباً ما تكون مجرد امتدادات للجذور ثلاثية الحلقات. بضع كلمات من المفردات الأولية لها جذران فقط ، على سبيل المثال ، (أب) ، (يد) و (ماء). مثل هذه الكلمات ، غدت التكهنات بأن النظام الأصلي تم بناؤه على نظام الجذر (الثنائي) (biconsonantal). يمكن ملاحظة أن كثيراً من الأنماط غامضة دلالة ومورفولوجياً؛ أي أن النمط نفسه يمكن أن يخدم المفاهيم الدلالية المختلفة ويمكن استخدامه لكل من الأفعال والأسماء ولكل من المفرد والجمع. ومع ذلك ، هناك أيضاً أنماط تستخدم حصرياً للأفعال أو لفئات دلالية أو مورفولوجية معينة.⁽²³⁾

هذا النظام الدقيق في بناء المفردات في العربية المتضمن التسلسلات والأنماط المحددة هو في حد ذاته عاملاً من عوامل الثبات؛ إذ أن التقييد الشديد والالتزام بالتسلسلات والأنماط يجعل من غير الممكن نشوء مفردات خارجة عن البنية العربية، هذا إذا أردنا بالطبع الالتزام بالفصحى كلغة أصلية، ولا يخرج عن هذا مسألة الغموض الدلالي للأنماط فهو بمثابة تفرغ لهذه الأنماط لاستيعاب الدلالات المختلفة بغض النظر عن تصنيف المفردة المورفولوجي اسماً أو فعلاً، بكلام آخر هذه القوالب الثابتة مصممة للاحتفاظ بصورة المفردة العربية حتى مع اختلاف المادة الأولية التي تصب فيها.

تنقسم المفردات إلى ثلاث مجموعات: الأسماء، والأفعال، والحروف، وتتكون الأسماء من الأسماء الأساسية، والصفات، والأعداد، والسبب في إدراج الأسماء والصفات والأعداد في فئة واحدة هو أن لديها نظام التصريف نفسه بحسب علماء العربية، تمييز الأسماء والأفعال استناداً إلى نظام جذري، وتقع الحروف خارج هذا النظام. هذا النظام الجذري أفاد في تنظيم القواميس؛ فمن أجل العثور على كلمة محددة، يجب على المرء أن يكون قادراً على إجراء التحليل الصرفي للعثور على الجذر الساكن ثم تحديد النمط الذي بموجبه تشكل الكلمة. التحليل وفقاً للجذور مصطنع جزئياً نظراً لوجود العديد من الكلمات وأشكال الكلمات التي لا تظهر ثلاثة أو أربعة حروف جذرية. وفقاً للنظام التقليدي، تُعتبر الحروف الساكنة الجذرية (و- ي) "ضعيفة"، أي أنها قد تختفي وتُستبدل استبدالاً بأحرف العلة في أنماط معينة. وبالتالي تنقسم الجذور إلى "قوية" و "ضعيفة" اعتماداً على ما إذا كانت تحتوي على جذر ساكن "ضعيف". التمييز بين الجذور القوية والضعيفة أمر أساسي في وصف مورفولوجيا الأفعال والأسماء. (24)

التقسيم المورفولوجي إلى الأصناف الثلاثة هو تقسيم منطقي يستند إلى فكرة الإسناد للكلمة إما أن تكون مسنداً إليها أو مسنداً أو رابطاً بينهما، ويجب إدراج كل الكلمات في هذا التبويب بعلامات مميزة ونظام قاطع؛ فالاسم هو ما يسند ويسند إليه، والفعل هو ما يُسند، والحرف هو ما يخرج عن ذلك (25)، هذا النظام مع النظام الجذري الذي يسمح بالجمع بين فئات مختلفة ونعني بها الأسماء والصفات والأعداد، يبعد عن هذه الفئات الخروج عن القواعد المورفولوجية العامة؛ فكل تعميم يجعل الثبات محتملاً أكثر على خلاف التفرعات الكثيرة في الأطر أو الأنماط التي لا يمكن السيطرة عليها، ومن جهة أخرى مسألة وجود جذور ضعيفة في اشتقاق الكلمات يسمح بالتحويل إلى أشكال أخرى طبعاً على وفق قواعد

أو أنماط محددة تتحول فيها هذه الجذور إلى أحرف علة، وهو أيضاً يسمح بالمرونة من جهة في عمليات الاشتقاق والثبات ما دام يقع ضمن الأنماط المحددة.

النظام الذي تفترضه معظم مناهج التشكيل العربي هو مورفولوجيا الجذر والنمط ، حيث تحدث الاشتقاق عن طريق تطبيق نمط على جذر ، على سبيل المثال ، عندما يُدمج الجذر (كتب) k-t-b مع النمط (مفعّل) maCCaC لإنتاج كلمة (مكتب) مكان الكتابة، و يبدو أن هناك نظاماً آخر يُضاف لهذا النظام يمكن أن يحقق المرونة التي تتطلبها بعض المواقف؛ فقد تخضع كل من الأسماء والأفعال لمزيد من الاشتقاق؛ خاصة مع دعوة بعض الباحثين إلى التشكيك في أن كل الكلمات مشتقة من جذر ساكن، وهو يشير إلى كلمات مثل "مكتبة" و "مطار" ، والتي قد لا تكون مشتقة مباشرة من الجذور الساكنة (كتب) k-t-b و (طير) t-y-r ، ويمكن أن تكون مشتقة من الأسماء "كتاب" و "طائرة". وبالمثل ، فإن المقياس الفعلي (أفعل) مرتبط دائماً بصفات الشكل (أفعل) التي تشير إلى اللون أو العيب المادي ، على سبيل المثال ، (اصفر). هذا يدل على أنها ليست مشتقة مباشرة من جذر ساكن مجرد ، ولكن من صفة. الملاحظة نفسها تنطبق على أفعال التسمية للمقياس الثاني ، مثل (عزّب) (من عربي). يوضح هذا الاشتقاق المباشر للأفعال من الأسماء ، وليس من الجذر ، أن الوحدة الدلالية للجذر الساكن ، على الأقل في بعض الحالات ، هي صفة ناشئة وليست سمة أصلية للجذر المجرد.⁽²⁶⁾

هذه الفكرة في الاشتقاق تعني الاحتفاظ بالجذر الساكن ذاته، وإضافة دلالة جديدة له مأخوذة من أسماء أو صفات تمتلك دلالات معينة بغض النظر عن كون الكلمة المشتقة اسماً أو فعلاً، وهو في حقيقته لا يبعد عن الثبات والنظام الذي نحن بصددده، ويسمح بتوليد معان جديدة.

على الرغم من أن معظم العمليات الاشتقاقية الخاصة بالاسم تتم من خلال نظام مورفولوجيا الجذر والنمط كما أشرنا فإنه يوجد عدد قليل منها يتبع نظاماً من اللواحق، من بينها لاحقة الجمع والمثنى ، والنون والنهاية الأنثوية ، و لاحقة النسبة. الاشتقاق الرئيسية غير اللاحقة للاسم هي الجمع المكسور والتصغير. ويعد هذا الجهاز النحوي في بعض الأحيان أحد السمات المميزة للغات السامية الجنوبية. تحدد القواعد النحوية القياسية ما يصل إلى واحد وثلاثين نمطاً مختلفاً من هذا الجمع. يمكن تقليل هذا الاختلاف بشكل كبير عن طريق التعميم؛ فالعديد من الأسماء لها نمط الجمع من شكل CvCvV ...

، والذي يوجد مع مفردات متنوعة مثل : نفس، نفوس، رجل، رجال، جزيرة، جزائر، ويمثل هذا النمط ما يصل إلى 90 في المائة من جميع الأسماء. وأما التصغير بنمطه الثابت (فويل) فإنه يمثل النمط السابق نفسه للجمع ، فقط هذه المرة مع حرف العلة المزدوج (و-ي)(vowel + y) بدلا من حرف علة طويل. (27)

اللواحق القليلة المذكورة في النظام الثاني لا تسبب اضطرابًا كبيرًا، وهي تسمح بالبناء على الجذور بأنماط محددة لتشكيل الجمع أو المثنى والنسبة وغيرها، هذا النظام وهو اختزال اللواحق يسمح بالمحافظة والثبات، وأما تعدد أنماط الجمع المكسر والتصغير؛ فكما ذكرنا يتبع نمطًا عامًا مما يعني أنه حتى مع التعدد هناك قالب آخر يغطي هذا التعدد ويمنع الفوضى.

فيما يتعلق بالفعل في العربية فإنه يتبع نظامًا من أربعة أشكال أساسية: الزمان الرئيسان ، والمعروفان تقليديًا بالتام(perfect) وغير التام(imperfect) ، وما يُسمى بصيغة المصدر التي تتوافق إلى حد كبير مع اسم المصدر(infinitive) والمصدر(verb) (verbal noun) بلغات أخرى ، وهناك اثنان من الصفات(participles)، اسم الفاعل(active) والمفعول(passive) . لدى المصدر والصفات العاملة وظائف نحوية محددة وتستهمل بشكل واسع كأسماء معجمية. يُصَرَّف الزمان لثلاثة أشخاص ، للجنسين (للشخص الثاني والثالث) ، والعدد (المفرد ، المثنى ، والجمع). يترافق التام مع اللواحق فقط ، وغير التام مع البادئات التي تميز الشخص واللواحق التي تحدد العدد والجنس. يضاف إلى ذلك تمايز في الصيغة: يوجد في غير التام أربعة صيغ: المرفوع(indicative) ، المجزوم(jussive) ، المنصوب(subjunctive) ، الطلبي(imperative) ، وهناك أيضًا صيغة المؤكد بالنون(energetic). تتميز الصيغ باختلاف اللواحق في غير التام. (28)

الفعل كما ذكرنا له نمطه الخاص سواء كان تامًا أم غير تام، ويجري تمييز التام من غير التام من جهة اللواحق، ففي حين نجد التام تلحقه الضمائر التي تعين بحركتها الشخص، لا يمكن ذلك مع غير التام فاستعاض عن ذلك بالبادئة التي تعين الشخص، وكلاهما يصرفان بطرائق ثابتة منتظمة تحقق الثبات، وتبدو الحالات الكثيرة التي يظهر فيها غير التام والتي تبين الاستعمال الدلالي له تتلاءم مع الحاجة التي يجري بها تعويض فقر الدلالة الزمنية النسبية في العربية؛ فيمكن استعمال هذا الفعل مع الأدوات للدلالة

على الماضي أو المستقبل أو الحال وغيرها زياد على تأكيد الحدث والإشارة للطلب، وفيما يتعلق بالمصدر واسم الفاعل وما شاكلها هناك رؤية في التقاليد العربية تجعلها في موقع وسط بين الأسماء والأفعال؛ فهي من جهة تتبع الأنماط الاسمية وتؤدي مهمات دلالية وفقاً لذلك، ومن جهة أخرى تؤدي وظائف نحوية لا تختلف كثيراً عن الفعل، ويبدو ذلك إثراء للغة يتبع النظام العام.

3،4. المستوى النحوي (Syntax)

إن التمييز الأساسي المنطقي بين الأنواع الثلاثة للكلمات (اسم، وفعل، وحرف) هو النظام الأساسي أو العمل الذي تُبنى عليه الأنظمة الأخرى الموضوعية للثبات، فيمكن تمييز جميع أنواع الكلمات وفقاً لنظامين آخرين متعارضين؛ (الإعراب) (declension)، و (البناء) (no-declension). يتحقق (الإعراب) من خلال تغيير حرف العلة الأخير للكلمة، نتيجة لتأثير عامل نحوي معين. على النقيض من ذلك، يُميز (البناء) في نهاية المطاف بالحرف النهائي، وبشكل أعم، بحرف العلة النهائي للكلمة أو حرف التشكيل، وهذا المفهوم يشير لهيكل ثابت لا يتغير.⁽²⁹⁾

إنّ التصنيف العام للكلمات هو أمر متعارف عليه في مختلف اللغات، ولكن الميزة الأساسية في العربية هي التصنيف وفق أساس التغير والثبات، هذه الميزة تعتمد على فكرة العامل النحوي الذي يؤثر في كلمات دون سواها؛ فتلك المتأثرة تخدم وظائف دلالية معينة يؤديها صوت العلة النهائي (الإعراب)، وغير المتأثرة تلزم أشكالاً ثابتة؛ يمكن أن ندعي أن هذه الأخيرة تخدم النظام والثبات بطريقة أو بأخرى؛ فكثير من هذه الكلمات تعد هياكل مفرغة تخدم وظائف تداولية؛ على سبيل المثال أسماء الإشارة والضمائر والموصولة التي تؤدي مهمة محددة وهي تعيين المشار إليه أو مرجعية معينة، ويبدو أن دورها مقتصر على ذلك، والأمر عينه فيما يتعلق بالأفعال التي وضعت لمعان ثابتة لا تحتاج إلى الإعراب لتبينه⁽³⁰⁾، وما أعرب منها فللحاجة لتغطية معان متجددة وإثراء الأزمنة كما ذكرناه من قبل، وأما الحروف فإن ما تضيفه من معنى عند اتصالها بغيرها يتطلب ثباتاً لتقليل الاحتمالات الممكنة؛ فكلما قلت المتغيرات صار من الممكن حساب المعنى بسهولة.

ذكرنا أنّ الإعراب والبناء يشكل مقياساً أو نظاماً يمكن وضع جميع أنواع الكلمات عليه، و هكذا نحتاج لتمييز أنواع الكلمات الثلاثة في قدرتها النسبية، في الخضوع للإعراب. الأسماء عادةً ما تكون قابلة

للإعراب ، وبالتالي قد تنتهي بـ (الرفع) ("nominative)، أو النصب (accusative) ، أو الجر (genitive)، في حين تكون الحروف عادةً ما تكون غير قابلة للإعراب ، وبالتالي تنتهي بالوقف (السكون) ، أو بأحد حروف العلة الثابتة ، أي (ضم، فتح، كسر). الأفعال تحتل موقعًا وسيطًا بين الأسماء والحروف: بعضها قابل للإعراب ، وبعضها لا يقبله؛ هذه الأخيرة قد تنتهي بحرف متحرك ، أو لا تنتهي (ساكنة)(vowelless) . تنتهي الأفعال القابلة للإعراب إما بـ الرفع (indicative) ، أو النصب (subjunctive) أو الجزم (jussive) ، وتلك غير القابلة للإعراب تنتهي إما بالفتح أو الوقف (السكون).⁽³¹⁾

الإعراب أو ما يُسمى بـ"الحالة" هو نظام متطور شُغل النحاة العرب به، ويدخل الأسماء بصورة أساسية، وإنَّ حرف العلة الذي تنتهي به الكلمات يتعلق بنوع العامل؛ فكل عامل منها يُحدث أثرًا مختلفًا يجلب معه حرف علة مختلفًا، وإذا ذهبوا إلى تصنيف هذه العوامل في مجموعات؛ فإن ذلك يدل على الثبات والنظام الذي يمكن أن تظهره العربية من غير تكلف؛ وهذه العملية يمكن حسابها بصورة دقيقة ووضعها في جداول واضحة، وبصورة أكثر تحديدًا ليس التحريك الذي يطال أواخر الكلم هو موضع الاهتمام الأساس، وإنما نوع الحركة؛ وبتعبير علماء العربية هذه الحركات دوال على معاني؛ فالرفع يدل على الإسناد أو العمدة؛ أي كون الكلمة متحدًا عنها، والفتح دليل على الفضلة أي كون الكلمة متممًا ثانويًا، والجر يدل على الإضافة.⁽³²⁾

الجملة في العربية الفصحى لها نظامها الخاص؛ فهي تنقسم إلى ثلاثة أنواع ترتب بالشكل الآتي: الأول: الجملة الفعلية مع ترتيب الكلمات: فعل، وفاعل، ومفعول؛ الثاني: الجملة الاسمية بعبارة اسمية كمسند ؛ الثالث: جملة اسمية موسعة تتكون من موضوع وجملة فعلية أو اسمية تابعة كمسند. في جميع الحالات يُميز الموضوع بواسطة الرفع، وفي الجملة الفعلية يُصمم ترتيب الكلمات بحيث تتبع فيه علامة الفاعل الضميرية مباشرة القاعدة التصريفية؛ نظرًا لأن الشكل الأساس (فَعَلَ) يخلو من أي علامة موضوع؛ فيقال (بَكَتْ بناته) جاء الشكل المؤنث (فَعَلَتْ) وفقًا للموضوع الأثنوي التالي؛ وأما الاتفاق في العدد فإنه لم يؤسس في العربية الفصحى. وهكذا تتبع الجمل الفعلية النماذج التالية: (خرج/يخرج رجل، رجال، رجال)، (خرجت/تخرج امرأة، امرأتان، نساء). تتطلب الإشارة إلى جمع الأسماء التي تدل على كائنات غير

بشرية صيغة المفرد المؤنث: (إلى الله ترجع كل الأمور). من ناحية أخرى ، إذا كان الفعل يشير إلى اسم مذكور من قبل ، فإنه يوافق ليس فقط في الجنس ، ولكن أيضًا في العدد (القوم ابتعدوا)،(المرأة ابتعدت). في هذه الحالة ، يجب أن نعد علامات الجنس والعدد دلالات مفسرة للفاعل، مثل: انصرفوا ، وهي عبارة عن جملة كاملة. (33)

ونخلص من هذا إلى أن النظام المتعدد للجملة يتبعه نظام شديد التقييد ليمنع الفوضى المحتملة ويحقق الثبات، ف فيما يتعلق بالجملة الفعلية نجد أنه يحتفظ بالصيغة الصرفية مجردة ثم تلحقها علامات تميز الجنس، ولا يكون الالتفات إلى العدد بالطريقة ذاتها؛ لكونه يُميز في بنية الفاعل عن طريق اللواحق أو عن طريق تغيير حرف العلة، ويبدو أن هذا النظام مختزل من نظام قديم كان يسمح باجتماع علامتين للعدد من مثل: جاؤوا الرجال. (34) ، ولعدم الحاجة إليه جرى التخلي عنه، وأما الاحتفاظ به عند تقدم الموضوع في مثل: الرجال جاؤوا؛ فلأنه يؤدي هنا وظيفة الربط ويمنع اللبس بحسب ما يظهر.

فيما يتعلق بالجملة الاسمية فإن المسند فيها مكون من فقرة اسمية ، و لا توجد صلة (رابط) في الزمن الحاضر على الأقل ولكنه موجود عندما تشير للزمن الماضي فيستعمل (كان) رابطاً من مثل: (كان زيدٌ طبيئاً). (35) المسند الاسمي عادة ما يكون غير محدد ويأخذ علامة الرفع. إنه يتفق في الجنس والعدد مع الموضوع. الضمير الشخصي للشخص الثالث يتدخل بين الموضوع والمسند من أجل منع التفسير كعبارة وصفية: (زيدٌ هو الكريم). فيما يتعلق بالجملة الاسمية الموسعة التي تتكون من موضوع في الموضع الأول، وعبارة فعلية أو اسمية في الموضع الثاني يجب اعتبارها جمل تعليق على الموضوع ، وهي في التقاليد النحوية العربية جملتان صغرى وكبرى. تحتوي العبارة المسندة على ضمير مرجعي يربط المسند بالموضوع، قد يدمج في الفعل أو في أي جزء آخر من العبارة الإسنادية من مثل: "البغي مرتعة وخيم". (36)

في الجملة الاسمية يظهر الاهتمام بوجود رابط بين طرفي الجملة، ليمنع الالتباس وهو ما يدعى بـ "ضمير الفصل" الذي يمنع أن يفسر المسند على أنه صفة، ولكن يؤتى بالربط في أغلب الأحوال لتحقيق التماسك في الكلام وخاصة مع الجمل الموسعة، وهو الغرض الأساس، وقد يؤتى بالربط أيضًا لتحقيق التحول في زمن الجملة من الحاضر للماضي كما في استعمال (كان)، وهكذا تحاول العربية الاستفادة من الموارد قدر الإمكان وتحقيق الإيجاز الذي تتميز به مع التنظيم، وبهذا أيضًا يمكن القول إنه مع المرونة

الكبيرة التي يمكن أن تتيحها الجملة العربية من إمكانية تغيير المواضع لمكوناتها أو الزيادات التي يمكن أن تضاف إليها من أدوات مختلفة تسهم في تقوية الكلام كأدوات التوكيد أو تغيير وجهته كأدوات النفي أو طبيعته كأدوات الشرط فإن القيود الصارمة تمنع تغيير هذا النظام ونسخ نواته الأساس وهي الجملة ؛ والدليل على ذلك أننا يمكن أن نفكك الكلام بسهولة حتى نصل إلى مكونات وكتل يظهر بينها ذلك النظام والإحكام المطلق وهي الجملة العربية.

5. الاستنتاجات (CONCLUSION)

يمكن إنجاز أهم النتائج التي ظهرت في هذه الدراسة بما يأتي:

- 1- اللغة العربية لغة تتميز بميزات موروثية احتفظت بها لعوامل كثيرة بعضها خارجية وبعضها يتعلق ببنية العربية ذاتها التي صُممت لتدوم ويسهل نقلها ككتلة موحدة يصعب تفكيكها وإدخال عناصر غريبة فيها، وحتى مع حدوث ذلك فإن الأنظمة المتعددة تحاول دائماً تكييف هذا الطارئ وجعله ينتظم وفق النظام العربي، وفي هذا رد على محاولة التشكيك بنقاء العربية .
- 2- إن العربية هي لغة الإيجاز في كل شيء؛ ويظهر ذلك في النظام العام الذي يميل للاختزال مثلاً في حروف العلة التي يبدو عددها قليلاً أو محدوداً في الظاهر، ولكنها استطاعت استغلال هذا المورد دون قصور عن طريق الزيادة في طول هذه الحروف، ويمكن أن نجد أن النظام المتفرع عن ذلك يجعل من هذه الحروف بامتدادات صوتية كثيرة طويلاً وقصيراً بحسب الحالة المعبر عنها.
- 3- تتبنى العربية نظاماً صارماً في بناء وحداتها الأساس، وتملك حلولاً للمشكلات المختلفة، على سبيل المثال النظام المقطعي الذي لا يسمح بالتكتلات الصامتة في بداية الكلام، ومن غير الوارد وجود مخالفة له يُسمح بها؛ ولذلك هناك نظام فرعي لمعالجة ما يطرأ من إشكالات باجتلاب حركة مناسبة، وكذلك نظام الاشتقاق الجذري الذي يحمل الدلالة الأصلية يمكن أن ترد معه نماذج تظهر الغموض الدلالي ليُسمح باستعمالها مع الأسماء والأفعال.
- 4- حتى مع وجود أنماط كثيرة يمكن أن نجد أن العربية تميل لنظام التعميم، ويظهر ذلك بوضوح في أنماط الاسم المجموع جمع تكسير الذي جرى توحيدده في نمط عام وهو يتساق مع فكرة الاختزال المميزة للعربية.

5 -النظام في العربية يسمح بالمرونة المقيدة الذي يمنع أن تخرج اللغة عن الجانب التداولي؛ ففي بنية الجملة مثلاً يُسمح بتشكيلات مختلفة ولا يوجد تقييد لمواضع الكلم بصورة صارمة ما دامت الدلالة التي تستجلب بالإعراب تمنع الفوضى، ويبدو أن هذا النظام يسمح بوظائف إضافية لبعض الوحدات وهو ما يعزز المرونة من جهة ويحقق الاقتصاد من جهة أخرى على سبيل المثال ما يظهر في استعمال اسم الفاعل والمفعول كوحداث معجمية.

الهوامش

-
- Brown, k., & Ogilvie, S. (2009). Concise Encyclopedia of Languages' of ⁽¹⁾
the World
Hetzron, R. (1997). THE SEMITIC LANGUAGES ⁽²⁾
Brown, k., & Ogilvie, S. (2009). Concise Encyclopedia of Languages' of ⁽³⁾
the World
Huehnergard, J., & Pat-El, N. (2019). THE SEMITIC LANGUAGES ⁽⁴⁾
Marmorstein, M. (2016). Tense and Text in Classical Arabic ⁽⁵⁾
Owens, J. (. (2013). The Oxford Handbook of Arabic Linguistics ⁽⁶⁾
Abdou, A. (2012). Arabic Idioms ⁽⁷⁾
Strazny, P. (2005). Encyclopedia of linguistics ⁽⁸⁾
Abdou, A. (2012). Arabic Idioms ⁽⁹⁾
⁽¹⁰⁾ ابن جني، أبو الفتح. (د.ت). الخصائص (ط 4)
⁽¹¹⁾ سيبويه، عمرو بن عثمان. (1988). الكتاب (ط 3)
FISCHER, W. (2002). A GRAMMAR OF CLASSICAL ARABIC ⁽¹²⁾
Strazny, P. (2005). Encyclopedia of linguistics ⁽¹³⁾
Marmorstein, M. (2016). Tense and Text in Classical Arabic ⁽¹⁴⁾
Versteegh, k. (2014). The Arabic Language ⁽¹⁵⁾
Weninger, S., Khan, G., Streck, M., & Watson, J. (2011). The Semitic ⁽¹⁶⁾
Languages
⁽¹⁷⁾ سيبويه، عمرو بن عثمان. (1988). الكتاب (ط 3)
Ryding, K. (2014). Arabic A Linguistic Introduction ⁽¹⁸⁾
Ryding, K. (2014). Arabic A Linguistic Introduction ⁽¹⁹⁾
Weninger, S., Khan, G., Streck, M., & Watson, J. (2011). The Semitic ⁽²⁰⁾
Languages

- Weninger, S., Khan, G., Streck, M., & Watson, J. (2011). The Semitic Languages⁽²¹⁾
- Versteegh, k. (2014). The Arabic Language⁽²²⁾
- Brown, k., & Ogilvie, S. (2009). Concise Encyclopedia of Languages' of the World⁽²³⁾
- Weninger, S., Khan, G., Streck, M., & Watson, J. (2011). The Semitic Languages⁽²⁴⁾
- العكبري، أبو البقاء . (1995). اللباب في علل البناء والإعراب (ط 1)⁽²⁵⁾
- Versteegh, k. (2014). The Arabic Language⁽²⁶⁾
- Versteegh, k. (2014). The Arabic Language⁽²⁷⁾
- Weninger, S., Khan, G., Streck, M., & Watson, J. (2011).⁽²⁸⁾
- Marmorstein, M. (2016). Tense and Text in Classical Arabic⁽²⁹⁾
- ابن الوراق، أبو الحسن. (1999). علل النحو⁽³⁰⁾
- Marmorstein, M. (2016). Tense and Text in Classical Arabic⁽³¹⁾
- الاستراباذي، الرضي. (1975). شرح الرضي على الكافية⁽³²⁾
- Hetzron, R. (1997). THE SEMITIC LANGUAGES⁽³³⁾
- سيبويه، عمرو بن عثمان. (1988). الكتاب (ط 3)⁽³⁴⁾
- Versteegh, k. (2014). The Arabic Language⁽³⁵⁾
- etzron, R. (1997). THE SEMITIC LANGUAGES.⁽³⁶⁾
- KINBERG, L., & VERSTEEGH, K. (2001). STUDIES IN THE LINGUISTIC STRUCTURE OF CLASSICAL ARABIC

• المصادر والمراجع

أ- باللغة العربية

- ابن الوراق، أبو الحسن. (1999). علل النحو. مكتبة الرشد - الرياض / السعودية.
- ابن جني، أبو الفتح. (د.ت). الخصائص (ط 4). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الاستراباذي، الرضي. (1975). شرح الرضي على الكافية. جامعة قار يونس - ليبيا.
- العكبري، أبو البقاء . (1995). اللباب في علل البناء والإعراب (ط 1). دار الفكر - دمشق.
- سيبويه، عمرو بن عثمان. (1988). الكتاب (ط 3). مكتبة الخانجي - القاهرة.

ب- باللغة الانكليزية

- Abdou, A. (2012). *Arabic Idioms*. Routledge LONDON AND NEW YORK.
- Brown, k., & Ogilvie, S. (2009). *Concise Encyclopedia of Languages' of the World*. Elsevier Ltd., Oxford.
- EID, M., & RATCLIFFE, R. (1997). *PERSPECTIVES ON ARABIC LINGUISTICS X*. JOHN BENJAMINS PUBLISHING COMPANY AMSTERDAM/PHILADELPHIA.
- FISCHER, W. (2002). *A GRAMMAR OF CLASSICAL ARABIC*. YALE UNIVERSITY PRESS, NEW HAVEN & LONDON.
- Hetzron, R. (1997). *THE SEMITIC LANGUAGES* . Routledge LONDON AND NEW YORK.
- Huehnergard, J., & Pat-El, N. (2019). *THE SEMITIC LANGUAGES* . published.
- KINBERG, L., & VERSTEEGH, K. (2001). *STUDIES IN THE LINGUISTIC STRUCTURE OF CLASSICAL ARABIC*. Leiden: Brill.
- Marmorstein, M. (2016). *Tense and Text in Classical Arabic: A Discourse-Oriented Study of the Classical Arabic Tense System: 85 (Studies in Semitic Languages and Linguistics)*. Brill, Leiden-Boston.
- Owens, J. (. (2013). *The Oxford Handbook of Arabic Linguistics*. Oxford: Oxford University Press.
- Ryding, K. (2014). *Arabic A Linguistic Introduction*. Cambridge University Press, New York.
- Strazny, P. (2005). *Encyclopedia of linguistics*. New York: Fitzroy Dearborn. Chicago .
- Versteegh, k. (2014). *The Arabic Language*. Edinburgh University Press.
- Weninger, S., Khan, G., Streck, M., & Watson, J. (2011). *The Semitic Languages*. Walter. de Gruyter: Berlin.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

اللُّغِيَّة التَّقْنِيَّة وتدرّيس اللغة العربيَّة للناطقين بغيرها

سؤال الماهية وأفق الاستثمار

د. المصطفى بوعزاوي

مختبر اللغة والمجتمع

كلية الفنون واللغات والآداب

جامعة ابن طفيل - القنيطرة - المملكة المغربية

bouazaoui72@hotmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/05/27 م تاريخ التحكيم: 2021/06/02 م تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص بالعربية :

نعرض في هذا البحث لما يمكن أن يُقدّمه استثمار اللُّغِيَّة التَّقْنِيَّة وتطبيقاتها، بوصفها آلية يمكن أن تنضاف إلى استراتيجيات «التعلم النشط». ذلك أن استراتيجيات التعلم النشط، تفتح على إمكانات متعددة يمكن أن نختار منها ما يكون أكثر مردودية في العملية التعليمية وما يضمن جودة التعلّلات. ومن هنا نتساءل عن ماهية اللُّغِيَّة التَّقْنِيَّة؟ وأين تتمثل أهم خصائصها؟ وكيف يمكن إدراجها ضمن استراتيجيات التعلم النشط؟ وكيف بإمكانها الإسهام في الرفع من مستوى اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتجاوز بعض المشاكل الخاصة بالمعجم العربي الموجه لهم؟

الكلمات المفتاحية:

اللُّغِيَّة التَّقْنِيَّة، اللغة العربية للناطقين بغيرها، جودة التعلّلات، استراتيجيات التعلم النشط، المعجم العربي.

Technical language and the teaching of Arabic to non-native speakers .

The question is : what is the investment prospect ?

Mustapha Bouazzaoui PH .D.

Language and Society Lab.

University of Languages, Arts and Letters

Ibn Tofail University. Kenitra. Kingdom of Morocco

bouazaoui72@hotmail.com

Abstract :

In this paper, we are presenting what can the investment of technical language and its applications offer, as a mechanism that can be added to "active

learning" strategies. This is because active learning strategies open up multiple possibilities from which we can choose what is the most beneficial in the educational process and what guarantees the quality of learning. Hence, we wonder about what is technical linguistics? Where are its most important characteristics? How can they be included in active learning strategies? How can it contribute to raising the level of the Arabic language for non-native speakers, and overcoming some of the problems of the Arabic dictionary guided to them?

Keywords: Technical language, Arabic for non-native speakers, Quality of learning, Active learning strategies, Arabic dictionary.

المقدمة:

أثبتت الدراسات الميدانية¹ أن تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، يعاني مشاكل عديدة، لعل أبرزها غياب الإعداد التخصصي والمهني لمدرسيها. بالإضافة إلى غياب تصور منهجي وديداكتيكي لاستثمار استراتيجيات «التعلم النشط» في الفصول الدراسية، والكليات والمعاهد المختلفة التي تمد المتعلم بقدرات ومهارات تُساعده في تجاوز مختلف الصعوبات التي تُواجهه في بناء تعلماته وتُعرف بالثقافة العربية. وكذا التمكن من أصول اللغة وتحقيق الكفاءة التواصلية بشكل سلس في إطار من الحيوية والتحفيز والحماس. وهذا ما قد يسمح لتدريس العربية للناطقين بغيرها أن يُحقق تعلمًا يتعد عن النظرة التقليدية إلى اللغة على أنها فروع كالقراءة والتعبير والخط والإملاء... ويرسخ التعلم القائم على أربعة مرتكزات (استماع؛ تحدث؛ قراءة؛ كتابة) متكامل ويؤثر أحدها في الآخر، ويتأثر به.

من هنا نعرض في هذا البحث لما يمكن أن يُقدمه استثمار اللُّغية التقنية وتطبيقاتها، بوصفها آلية يمكن أن تنضاف إلى استراتيجيات «التعلم النشط».

1. في تحديد مفهوم اللُّغية التقنية

في تحديد ليلى المسعودي Leila Messaoudi لمصطلح اللُّغية التقنية Technolecte، تشير في كتابها² *Etude sociolinguistique* إلى أن كلود هاجيج Claude Hagège كان أول من استعمل مفهوم اللُّغية التقنية مع تقديم تعريف له باعتباره «مجموعة من التسميات الخاصة بأحد ميادين الأنشطة الإنسانية: العلوم وتطبيقاتها (مثلا البيولوجيا والطب، الفيزياء...)، الفنون والحياة السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية...»³. كما عمل على ضبط مجموعة من الخصائص لمفهوم

اللّغية التقنية ومنها التوحيد والمعنى الواحد والبعد عن الإيجاء. وهذا ما جعل الباحثة تتساءل عن مدى قرب هذا التحديد من مفهوم المصطلح⁴. وفي هذا السياق عملت ليلي المسعودي على تعميق مفهوم اللّغية التقنية مع ضبط للحدود الفاصلة بينه وبين المصطلح، ومن ثمة، حدّدتها بكونها:

معرفة القول كتابيا أو شفاهيا، متلفظ بها بكل طريقة لسانية ملائمة، إنها معرفة أو معرفة الفعل في مجال متخصص [...] اللّغيات التقنية يمكن أن تشمل المصطلحات العالمية (المضبوطة والموحدة) كما يمكن أن تشمل المصطلحات العادية أو الشعبية أي المتمثلة بتلقائية وعفوية ولم تخضع لضبط أو توحيد⁵.

انطلاقا من هذا التعريف نخلص إلى أن اللّغية التقنية، وخلافا للمصطلح، يمكن أن تكون لفظا مفردا أو مركبا وكذلك يمكن أن تكون جملة، بمعنى أنها لا تقتصر على الوحدات البسيطة، بل تتضمن كذلك وحدات مركبة⁶ واستعمالات خطابية⁷. ومن هنا تؤكد المسعودي أن اللغة التقنية ليست لغة معزولة أو مخالفة للغة العامة، كما تذهب إلى ذلك اللغة الخاصة⁸ Langue de spécialité، وإنما هي استعمالات معجمية وخطابية خاصة بميدان من ميادين الأنشطة الإنسانية. كما أنها ليست مرادفة للمصطلح، بل هي أشمل منه لتضمّن وحدات متواضع عليها وأخرى غير متواضع بشأنها.

بالإضافة إلى أن اللّغية التقنية «[...] لا ترتكز بتسمية الأشياء ووسمها في نطاق معرفي فحسب، وإنما ترتبط بمجال الأنشطة الإنسانية والتقنيات والمهارات التي يتم استخدامها بشكل عالم أو عادي⁹». ومن ثمة تميز المسعودي¹⁰ بين لغة تقنية عالمة technolectes savantes تستدعي المعارف النظرية والتخصصات العلمية والمعرفية وبين لغة تقنية عادية technolectes ordinaires ترتبط بالمعارف المحلية وبالإرث التقليدي وتتميز بعفويتها وتلقائيتها. وبذلك تأتي اللّغية التقنية لتتجاوز اللغة الخاصة¹¹ Langue de spécialité واللغة المتخصصة Langues spécialisées¹¹. ذلك أن اللغة المتخصصة تقتصر على الكتابة، في حين أن اللّغية التقنية تستقطب، كذلك، ثقافة المجتمعات الشفهية وما تختزنه من معارف يتم اكتسابها «بالممارسة والدربة وتراكم الخبرة»¹². ومن هنا تستخلص حنان بندحمان «ولعل اللّغية التقنية بدجها بين الكتابي والشفهي بل بين اللّغية العالمية والعادية قد ساهمت في إلغاء الحدود، ليس فقط بين التخصصات الدقيقة، وإنما بينها وبين المعارف التقليدية والعامة»¹³. وفي

هذا السياق ينخرط موقف لويس جون روسو Louis Jean Rousseau «يقصد باللّغية التقنية النظام الفرعي اللغوي المستعمل في حقل معين من التجارب، يتميز بمصطلحات خاصة، وبواسطة وسائل أخرى محددة كالأسلوب والعبارات. هذا المفهوم، غالبا، ما يسمى باللغة المتخصصة، غير أن هذا الاستعمال تعرض للنقد¹⁴».

تأسيسا على ما سبق، نقترح اللّغية التقنية آلية لدعم تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها لإغناء الرصيد اللغوي والمعجمي لمتعلمي العربية الناطقين بلغات أخرى. فاعتماد اللّغية التقنية كآلية ديداكتيكية يساهم في تداول مجموعة من الوحدات اللغائية التي ترتبط بميادين مختلفة من الأنشطة الإنسانية، سواء المتعلقة باللّغية العامة أو العادية، وفق سياقاتها الخاصة بكل مستوى من مستويات التعلم التي تتساقق وانتظارات المتعلمين وميولاتهم السوسيوثقافية. ذلك أن اللّغية التقنية تشكل:

جسورا للعبور إلى تخصصات مختلفة تصلح كقاعدة بيانات وكمدخل أساسية للتمكن من هذه التخصصات المعرفية والتقنية. وبذلك تمثل فضاء معرفيا يسمح بتداخل التخصصات والعلوم. وقد تبلور اللّغية التقنية ما يسمى بتكامل المعرفة؛ إذ تعمل على توحيد جسد المعرفة وحقوقها، كما تهدف إلى تحقيق وحدة المعرفة النظرية والتطبيقية، [...] وبهذا تسمح المقاربة اللغائية بالتواصل والتشابك والتعاقد بين حقول وتخصصات متعددة، وتشجع كذلك، على تعدد الرؤى وانفتاح الفكر والخيال، وبالتالي تتيح الاستفادة من مهارات تخصصات وتقنيات أخرى في معالجة القضايا¹⁵.

فكيف يمكننا بناء تخطيط منهجي وفق اللّغية التقنية يراعي خصوصية الفئة المستهدفة من جهة، ويجعلنا قادرين على تحقيق الأهداف المسطرة من تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها من جهة أخرى؟

2. تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها وآلية اللّغية التقنية

يتبع هذا المبحث تسليط الضوء على اللّغية التقنية بوصفها رافدا مهما ومرجعا ضروريا في التخطيط اللغوي بشكل عام، وتدريس اللغات الأجنبية على وجه الخصوص، فضلا عن كون اللّغية التقنية في ارتباطها بالأنشطة الإنسانية، توفر اقتراحات واضحة وجلية لتطوير خطط اللغة وسرعة اكتسابها وتعلمها

من قبل متعلّمين من ألسن أخرى تبعاً لمستوياتهم المختلفة، وقد رتّم على تحقيق الكفاءة اللغوية في أسرع وقت وبأقل جهد.

2-1 مستويات تدريس اللغة حسب الإطار المرجعي الأوروبي المشترك

تستأثر مسألة وضع المتعلّمين ضمن مستويات دراسية معينة باهتمام العديد من اللسانيين التطبيقيين ومدرسي اللغات الحية، وهي مسألة أثارت، أيضاً، نقاشات عديدة، وشكّلت بؤرة لطروحات متعددة بين مجموعة من المفكرين والعلماء والباحثين¹⁶، وما زالت في الكثير من البلدان والبرامج موضع بحث وتنظير وتأصيل¹⁷. هذا ما جعلها تختلف من بلد إلى آخر، فهناك من أرجع مستويات تعليم اللغة إلى ثلاثة، وآخرون جعلوها أربعة، في حين أرجعها البعض الآخر إلى خمسة.

لعل هذا الاختلاف في الرؤى، هو ما أثر على نوعية الأهداف المراد تحقيقها في كل مستوى على حدة، وبالتالي انعكس على أجراً وإخراج تصور واضح للكفايات والأهداف والمهارات التي ينبغي التحكم فيها، وفي البرامج اللغوية والمناهج التعليمية، فأول ما تحتاج إليه العربية حسب خالد حسين أبو عمشة هو:

تحديد المدرج اللغوي للناطقين بالعربية أولاً، وتطبيق ذلك على دارسي العربية من الناطقين

بغير العربية. والمتابع لما يدور في أروقة معاهد العربية للناطقين بغيرها يجد الاختلاف

الشاسع والبون الكبير في وضع المستويات وأهدافها وبالتالي مفرداتها وتراكيبها اللغوية¹⁸.

ويرى العديد من الباحثين¹⁹ أن اعتماد تقسيم الإطار المرجعي الأوروبي المشترك لتدريس اللغات في تعليم العربية للناطقين بغيرها وتعلّمها، سيفيد في تجاوز هذه الأزمة، وتحقيق نتائج إيجابية عديدة منها: «توحيد الجهود، وتحقيق أفضل النتائج التي يرغب فيها القائمون على البرامج أو الدارسون أنفسهم، لأن هذا المرجع، سيوفر لهؤلاء جميعاً المرجعية من ألف ما يحتاجه الدارس والمدرّس إلى يائه²⁰».

وضع الإطار المرجعي الأوروبي متعلّم اللغة أيّاً كان في ستة مستويات، ينتمي كل مستويين منها إلى مستوى رئيس هو: المبتدئ (الأول والثاني)، والمستوى المتوسط (الثالث والرابع)، والمستوى المتقدم (الخامس والسادس). وقد حدّد واضعو هذا الإطار لكل مستوى توصيفات دقيقة يمكن إجمالها على الشكل التالي:

A1	المستوى التمهيدي أو الكفاءة التمهيدية
A2	المستوى المتوسط أو مستوى البقاء
B1	مستوى العتبة
B2	المستوى المتقدم أو العملي
C1	المستوى المستقل أو مستوى الكفاءة العملية
C2	مستوى الإتقان أو التمكن

الجدول رقم 1 : مستويات الإطار المرجعي الأوروبي للغات

يؤكد الإطار المرجعي الأوروبي العام للغات أهمية التعلّم المستدم وذاتية المتعلّم والتفاعل بين الثقافات في الوقت الذي يتم فيه تحديد مستويات الكفاءة اللغوية التي من المتوقع أن يتوصّل إليها المتعلّم : ففي (A1 وA2)، يستهدف الإطار المرجعي جعل المتعلّمين قادرين على استخدام اللغة الأجنبية على المستوى الأساس، أما في (B1 وB2)، فيمكنهم من الاستخدام المستقل للغة في تعلّم اللغة الأجنبية، أي بدون أية وسائط (اللغة الأم)، في حين عند انتهائهم من مستوى (C1 وC2) من المتوقع أن يكونوا قادرين على استخدام « اللغة المهدف استخدامها متمرساً²¹ ».

كما تتألف مجالات التحكّم من أربع مهارات أساس، تتوزع بين الفهم ويتضمن (الاستماع والقراءة)، ثم التعبير (المحادثة والكتابة). وقد جعل منهج اللغة العربية للناطقين بغيرها هذه المهارات أساسية دون تمييز أو تفضيل في ما بينها، أو إعطاء أولوية لواحدة على حساب الأخرى.

2-2 الوحدات التعليمية ومنهج اللغة العربية للناطقين بغيرها

اتفق المهتمون بتعليم اللغات الثانية على أن مراحل التعليم والتعلّم، تندرج وفق ستة مستويات²² (تنظر الجذاذة رقم 5)، وذلك تبعاً للمهارات الأربع المستهدفة في تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها. يمكننا تحديد الكفايات التي نروم تعزيزها لدى المتعلّم والأنشطة والمواقف التي يمكن أن تشكل وحدات تعليمية مساعدة على تحقيق الكفاءة اللغوية لدى الطلبة والمتعلّمين.

1-2-2 المهارات

ينطلق علماء التربية من فرضية تسلم بأن التدريس الناجح، يجب أن يركز على نظريات مكتملة وشاملة. فالمهارات الأربع من منظور المدخل الاتصالي لتدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها تتكامل في ما بينها ولا تؤدي وظيفة تجزئية (استماع وتحدث وقراءة وكتابة). كما لا ينظر إلى التكامل على أنه ضم مجاني لمهارتين أو أكثر، وإنما الموقف الاتصالي لمتعلمي اللغة العربية يفرض على المعلم والمتعلم استدعاءهما وفقاً لبعدهما الوظيفي. وفي هذا الإطار يوضح فتحي سويحي مسألة المزج بين المهارات اللغوية :

لنتصور مثلاً موقفاً يدير الفرد فيه حواراً مع موظف الاستقبال في فندق ما. ففي مثل هذا الموقف تشترك المهارات اللغوية الأساسية الأربع في وقت واحد، فالفرد يعبر عن رغبته في الحصول على غرفة (كلام)، وهو في أثناء تعبيره هذا يتلقى من الموظف رداً بالإيجاب فيستمع الفرد إلى موظف الاستقبال (استماع)، وذلك في نفس اللحظة التي يتكلم فيها الفرد، ثم يعطي الفرد بطاقة يكلف بملفها (قراءة ثم كتابة). وهكذا نجد المزج بين المهارات اللغوية يتعدى حدود ضم المهارات إلى بعض، فهذا مفهوم قاصر للتكامل. إن التكامل الحقيقي بين المهارات يعني الالتحام والتضام بين هذه المهارات، وتشابكها بطريقة تؤدي إلى إنجاز المهمة الاتصالية المطلوبة بأسلوب يجعلها تبدو من خلال الممارسة والسياق على أنها تستخدم بشكل طبيعي، ولتحقيق أهداف ذات معنى في حياة الفرد²³.

يؤكد هذا الاستشهاد، أن تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها، وباعتباره ميداناً ينمي مجموعة من المهارات، وإن كانت تبدو مستقلة وغير مترابطة، أي منفصل بعضها عن بعض، تشكّل نسيجاً متكاملًا خلال العملية التعليمية التعلمية سواء تعلّق الأمر بالمجال الاجتماعي أو الثقافي أو المهني أو الأكاديمي، يتم خلالها توارد الوحدات والمكونات اللغوية.

لذا، على المعلم أن يحسن اختبارها؛ انطلاقاً من واقع الشبوع والانتشار وتداولها في ميدان معين، فاختيار المناهج وإعدادها، دون استحضار تنمية هذه المهارات ومرجعية المتعلم، يؤدي إلى غياب هدف الترابط عن موضوعات الدراسة ومتون المواقف الاتصالية والتواصلية. ذلك أن العلاقة التكاملية بين مواضيع اللغة ومهاراتها الأربع هي المفتاح لتحقيق الكفاءة اللغوية لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين

بغيرها، مما يستوجب اعتمادها قصد تحقيق أكبر استفادة عبر التدرّج، من مستوى إلى آخر، كما هو مبين في البطاقة التقنية أسفله:

المستوى	المهارات الأربع		
	الاستماع/التحدث	القراءة	الكتابة
المستوى التمهيدي A1	يستدرج المتعلم لفهم التعليمات والمشاركة في حديث بسيط وفق الموضوع المقترح من لدن المعلم	يتمكن المتعلم من فهم الملاحظات والتوجيهات والمعلومات البسيطة المقدمة	يملأ الفراغات في الاستمارات المقدمة والأنشطة التطبيقية الخاصة بالأزمة مثلا والمواعيد (صباحا/مساء) أو الأمكنة والاتجاهات (يمينا/يسارا، شرق/غرب)
المستوى الأول A2	يعبر عن آرائه وأمنيته بشكل تلقائي وبسيط في إطار سياق لغتي مألوف ينطلق من المعيش اليومي	يتمكن من فهم معلومات تتعلق بقضايا مألوفة (بيانات سلعة ما/منتوج/خدمة/تقارير مكتوبة أو مشاهدة أو مسموعة)	يكتب استمارات بسيطة أو خطابات قصيرة (رسائل قصيرة SMS إيميلات، بيانات شخصية/جزء من نصح السيرة مثلا)
المستوى الثاني B1	يتمكن من التعبير عن رأيه بشكل مجدد ومباشر في موضوعات ذات حوالات ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية، ويستطيع فهم التوجيهات العامة الخاصة بها.	يتمكن من فهم التوجيهات البسيطة والمقالات البسيطة والمعلومات الأساس الخاصة بنصوص الانطلاق المقدمة والمتعلقة بموضوع مألوف	يكتب خطابات ويدون ملاحظات بخصوص مضامين المتون المقدمة أو المواضيع المألوفة..
المستوى الثالث B2	يتابع تقديم موضوع مألوف، ويقوم بتقديم تعليق بسيط أو حديث متصل عن نطاق عريض نسبيا من الموضوعات.	يستطيع استخلاص موضوعات لها صلة مباشرة بنصوص الانطلاق، وفهم التوجيهات والتعليمات المتضمنة فيها.	يدون بشكل متواتر ملاحظاته أثناء الحديث أو العرض، ويستطيع كتابة خطاب متضمن لمعلومات إضافية عن الموضوع المقدم.

الجدادة رقم 1: المهارات الأربع وفق النظرة التكاملية

2-2-2 المعجم

خلص كثير من الباحثين التربويين إلى أن تمكّن متعلمي اللغة العربية من المهارات الأربع السابقة، رهين بشكل مباشر، بمدى امتلاكهم لتلك الثروة اللفظية التي يحصلون عليها، حيث يشكّل اكتساب المفردات أو الكلمات الدور المركزي في القدرة على استخدام اللغة، لاسيما في المراحل الأولى من التعلم، إذ يحتاج المتعلم إلى اكتساب «جملة كافية من الكلمات شائعة الاستعمال ليتمكن من النجاح في تعلم اللغة واستخدامها»²⁴.

اختلفت الآراء حول الطريقة المثلى التي يمكن للمعلم أن يعرض بها الكلمة ومعناها للمتعلم الأجنبي. فمنهم من ذهب إلى أن الكفاءة اللغوية هنا، تتمثل في قدرة هذا الأخير على ترجمتها إلى لغته الأم والبحث عن مقابل لها إلى أن يجد المعنى الذي يوازيه. في حين ذهب باحثون آخرون إلى أن تعلم معنى الكلمة العربية يوازي قدرة المتعلم على تحديد معناها في مجموعة من قواميس اللغة العربية ومعاجمها.

توصل الباحث شادي سكر، في معرض دراسته التي وسمها بـ«تنمية المفردات في المناهج التعليمية للغة العربية لغير الناطقين بها»، إلى أن كلا الرأيين السابقين لا يستوفيان المطلوب، لأن «مقياس الكفاءة في تعليم المفردات هو أن يكون الطالب قادرا على هذا كله بالإضافة إلى شيء آخر لا يقل عن هذا كله أهمية ألا وهو قدرته أن يستخدم الكلمة المناسبة في المكان المناسب»²⁵.

وما دام المتعارف على اللغة العربية، تميّزها بثروة غنية من المفردات، تتوسع معانيها تبعا لتطور العصور والأزمان، وتعدّد استعمالاتها وأغراضها، فإن الكم الهائل من المفردات، وتفرعات معانيها قد يشكل صعوبة للدارس الأجنبي خصوصا حينما يواجه أضربا مختلفة. فضلا عن أن البحث عن معاني هذه الكلمات في القواميس والمعاجم العربية يعدّ مشكلة أخرى في حدّ ذاتها، لأن المتعلم الأجنبي يجد نفسه أمام معاني مختلفة ومتباينة ومتباعدة أحيانا. لذا يجب الأخذ بمجموعة من المعايير أثناء تقديم المفردات لطلاب العربية الناطقين بغيرها تبعا للمستويات التعليمية المتعارف عليها في الإطار الأوروبي المشترك لتعليم اللغات، دون إغفال دور المعلم في اكتسابها وتنميتها بفضل التدريبات اللغوية التي يمارسها داخل فضاء الفصل الدراسي.

تقدّم البطاقة التقنية أسفله، تصوّراً مبدئياً حول الطريقة التي يمكن مراعاتها من قبل المعلّم في عرض الكلمات، والأنشطة التي قد يقوم بها المتعلّم حسب مستواه التعليمي. لهذه الغاية، اخترنا مستويين تعليميين هما: (المبتدئ والمتوسّط).

المستوى التعليمي	أفعال التعليم والتعلّم		ملاحظات
	المعلّم	المتعلّم	
المبتدئ	- الاقتصاد في المفردات التي يستعملها - التقليل من كلامه قدر المستطاع. - تجنّب إغراق المتعلّم بسيل المفردات. - استخدام الحوار الهادف إلى تعريف المتعلم بالمفردات والكلمات تبعاً للتدرّج من السهل إلى الصعب، ومن المعروف إلى المجهول، مع مراعاة مبدأ الأولوية.	- الاستماع الجيد لما يلقيه المعلّم . - تمثّل المعاني المحدّدة للمفردات. - المشاركة الإيجابية في بناء التعلّمات . - تمثّل الصفات والأفعال المناسبة للمفردات. - ترداد ما يسمعه مع تقويم النطق والتوظيف الجيّد للمفردات. - تجنّب الكتابة قبل اكتساب المفردات جيداً.	- ضرورة ربط المعلّم بين ما هو مسموع وما هو مرئي . - مطابقة المعلّم المتعلّمين بالقراءة السليمة ثم تكوين جمل ماثلة . - مطابقة المتعلّمين بتوجيه أسئلة إلى الطلبة وملء الفراغات...
المتوسّط	- يختار المعلّم نصاً معيّناً ويعرضه على اللوح الإلكتروني. - يطلب من المتعلّمين نطق بعض المفردات نطقاً سليماً. - يجري مناقشة حول موضوع النصّ المعروض. - يعطي للطلبة قمرينات تحليلية لمراجعة بعض المفردات (تكوين جمل، إكمال جمل بالمفردات المعروضة...)	- يقرأ النصّ جيداً. - يفهم معاني الكلمات المفاتيح ويستوعبها. - يتعلّم المتعلم جميع الصيغ والتراكيب الخاصّة باللغة. - يستطيع تكوين جملة مفيدة. - يتعرّف على بعض قواعد الاشتقاق.	- يتعوّد المتعلّم على الدقة في التعبير. - من المستحسن أن يتم اختيار نصّ يشكّل اهتماماً مشتركاً بين جميع فئات الفصل.

الجدّاذة رقم 2 : طريقة عرض المعجم تبعاً لمستويات المتعلّمين

3. تحليل الحاجيات لاكتساب قدرات لغوية

نلاحظ أن اللغة العربية، لم تعد تستمد مكانتها من اعتبارها لغة رسمية في مجموعة من الدول، أو من كونها لغة معتمدة في منظمات عالمية كالأمم المتحدة، أو بوصفها لغة لها قدسيته عند الشعوب المسلمة لاتصالها بالدين الإسلامي فحسب، بل تتعدى كل ذلك لتتحول إلى ضرورة اقتصادية واجتماعية ومهنية وأكاديمية ملحة في عالم الألفية الثالثة. لذا، يروم هذا البحث استقراء بعض المساقات في تعليم اللغة العربية لأغراض اجتماعية وسياحية متوفرة في بعض الجامعات والمعاهد الدولية، واستبيان بعض مواصفاتها. كما يطرح هذا البحث جانبا من التخطيط والتدبير لبرنامجين ومواد تعليمية وفق «المواقف اللغوية». يستقي أهميتها ويبرز عناصر المنهج المرتبط بها، والتي تعمل في إطار تكاملي. تبدأ بالأهداف، ثم تليها مباشرة محتويات المادة التعليمية واستراتيجية التدريس والإجراءات التي يتبعها المدرس لتوصيل المعلومة للطلاب، وتحقيق الأهداف المسطرة. ثم إجراءات التقويم من أجل تعديل الاستراتيجية وتطويرها، أو الحكم على مدى نجاح عناصرها.

برزت تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها بقسميها المختلفين : العام، المتعلق ببرنامج الإعداد اللغوي في مدارس البعثات والجامعات والكليات الخاصة أو العربية للحياة في مراكز اللغات والمعاهد الخاصة. والخاص المتعلق بالأساس بتعليم اللغة العربية لأغراض خاصة تختلف من بلد لبلد، ومن متعلم لآخر. غير أننا نجد أن القسم الأول، حاز على الأهمية القصوى، سواء من حيث الدراسات والمؤتمرات والمنجزات العلمية والأكاديمية، والتجارب التعليمية، حيث خصصت له الكثير من الكتب والمجلات الورقية والإلكترونية، وبنيت من أجله المواقع والمنتديات السبرنطيقية. إن القسم الثاني كان حظه ولا يزال قليلا جدا إذا نحن قارناه بالأول، فالتجربة في مؤسسات عديدة محدودة²⁶، تم تقسيمها في بعض البلدان العربية والإسلامية إلى شقين:

❖ الأول: تعليم اللغة العربية لأغراض أكاديمية Arabic for Academic purposes

يتوجه هذا المجال إلى الطلبة الذين يدرسون اللغة العربية لاكتساب المعارف الخاصة بها، التي تساعد في مجالات تخصصهم العلمي. كما تلبي حاجاتهم الأكاديمية في العلوم الشرعية والطب والإدارة والحاسوب والآداب وغيرها.

- الثاني : تعليم اللغة العربية لأغراض مهنية Arabic for Vocationnal pruposes ، ويتوجّه إلى ذوي الاختصاص أي المهنيين الذين يدرسون اللغة في علاقتها بميادينهم المهنية (الفندقة؛ وكالات الأسفار؛ إدارة الأعمال؛ الأبنك؛ الصرافة والطب...) فتعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، يبنى على مجموعة أسس، أبرزها :
- تحليل حاجات الدارسين/المتعلمين: أي الوقوف على الأغراض التي تجعلهم يدفعون إلى تعلم اللغة العربية، ومعرفة الوظائف المحددة من خلالها. و تشمل هذه الحاجات ثلاثة مفاهيم أساس هي:
- الضرورات Necessities أو المفاهيم الأساس، و يقصد منها متطلبات الفئة المستهدفة من تعليم اللغة العربية أي « ما ينبغي أن يعرفه الدارس لكي يواجه بكفاءة وفعالية مطالب الأداء اللغوي في مواقف معينة²⁷».
- أوجه العجز أو التخلف Laks : ويقصد بها تلك المسافة التي تفصل بين ما يلزم المتعلم تعلّمه أو معرفته أو إجادته من اللغة العربية، وبين ما هو متحقق لديه بالفعل. هذا ما يلزم المدرس توفيره من خلال إعدادة للمعارف والمعلومات والمهارات والكفايات في اللغة المستهدفة حتى تغطي جوانب النقص لدى المتعلم.
- الرغبات: Wants ويقصد بها تلك الرغبات الخاصة للدارس، سواء من حيث «المهارات اللغوية التي يود إتقانها، أو من حيث المفاهيم الثقافية التي يود الإلمام بها²⁸».
- 3-1 استراتيجيات تنفيذ برنامج تعليمي لتدريس اللغة العربية لأغراض خاصة**
- تضعنا الثقافة العربية عموما، والمغربية على وجه الخصوص، أمام «فسيفساء لغوية» تلتقي فيها العربية بالعامية، وقد تتنحى قليلا عن المعنى المراد فيهما معا، يمكن الاستفادة منها لإغناء الرصيد اللغوي لدى متعلمي اللغة العربية من الناطقين بغيرها، خصوصا و أنها تكتنز شحنات دلالية وإيقاعية ومجازية جد مهمة. والجدادة رقم 3 تقدم تصورا عن البرنامج التعليمي لأغراض خاصة (اجتماعية وسياحية...) والوحدات اللغوية التي يمكن أن تستثمر في هذا الإطار، على أساس توجيهها لمتعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها في المستويين الرابع والخامس.

❖ وضعيات تواصلية خاصة:

يشكّل التواصل الاجتماعي بين الناس، مطمح حلّ متعلّمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، لأنه كلّما امتلكوا كفايات التواصل التي تؤهلهم لامتلاك الكفاءة اللغوية، ازدادت معرفتهم بثقافة العالم الآخر. لفتح أبواب التعرّف على ثقافتنا وحضارتنا العربية والإسلامية؛ وجب على المعلّم والقائمين على المناهج تيسير تعليم اللغة العربية، عبر تبني برامج تراعي التدرّج حسب مستويات الإطار المرجعي الأوروبي لتعليم اللغات. تبعا لتبني مقاربات تواصلية قائمة على التنوع والتجديد، ومراعية لانتظارات المتعلّمين من اللغة الهدف.

لذا يتطلّب الوصول إلى هذا المآرب، من المعلّم، التسلّح بآليات منهجية علمية صحيحة؛ مؤسسة على رؤية استراتيجية واضحة؛ تقتضي الانطلاق من مواقف حياتية معيشة؛ مرتبطة ببيئة المتعلّم، وتحقيق لمهارة مستهدفة؛ كما هو مبين في البطاقة التالية:

الموقف	النشاط	البيئة/المحيط	المهارة المستهدفة
الحياة اليومية La vie quotidienne	1- التسوق 2- المطعم 3- البيت/ الاستضافة 4- الاستثمار وتدير الشؤون المالية (الوكالة البنكية).	1- الأسواق الممتازة (اخدم نفسك بنفسك) 2- الأسواق العادية ¹ : (العمال/ العاملات تقليدي/ عصري) 3- الفنادق: دور الضيافة/عائلات مضيفة 4- البنوك/مكاتب الصرف/التحويل المالي	1- فهم المسموع: الحديث/القراءة 2- فهم المسموع والتحدث والقراءة. 3- فهم المسموع/التحدث/القراءة/ الكتابة (ملء بيانات) 4- فهم المسموع / التحدث/ القراءة /الكتابة / الخطابات
الصحة La santé	التطبيب الحفاظة على الصحة العامة (الغذاء السليم/الحمية/الرياضة. ..)	في المستشفى عند الطبيب عند الصيدلي في النادي الرياضي في المسبح في الغابة	فهم المسموع/ التحدث / القراءة فهم المسموع/ التحدث / القراءة
السفر Le voyage	الوصول الى المغرب التجول/ الحصول على خريطة لوصف الاتجاهات ومعرفة الأماكن	المطار/الميناء / محطة القطار/ المحطة الطرقية / مكتب السياحة	فهم المسموع/ التحدث / القراءة / الكتابة / ملء استمارات أو بيانات الخاصة بالمسافرين أو العائرين (Fiche de police)

الجداذة رقم 3 : برنامج تعليمي لتدريس اللغة العربية لأغراض خاصة

❖ أغراض ثقافية وأكاديمية

تنبّه مجموعة من التربويين المتخصصين في تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها إلى أن أهمية الجمع بين محور اللغة والثقافة في برامج تعليم اللغة العربية، يشكّلان معا محورين أساسيين من أهداف تعليمها، حيث حدّدوا ثلاثة أهداف أساس، يجب أن يسعى إلى تحقيقها تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وهي²⁹:

- أن يمارس الطالب اللغة العربية بالطريقة التي يمارسها بها أهلها، أو بصورة تقرب من ذلك، وبالتالي يكون تعليم اللغة العربية قد استهدف :
- تنمية قدرة الطالب على فهم اللغة العربية عندما يستمع إليها؛
- إقدار الطالب على النطق الصحيح للغة والتحدّث مع الناطقين بالعربية حديثا معبّرا في المعنى، سليما في الأداء؛
- تطوير قدرة الطالب على الكتابة باللغة العربية بدقة وطلاقة؛
- أن يعرف الطالب خصائص اللغة العربية وما يميزها عن غيرها من اللغات من حيث الأصوات، والمفردات والتراكيب والمفاهيم؛
- أن يتعرّف الطالب على الثقافة العربية وأن يلمّ بخصائص الإنسان العربي والبيئة التي يعيش فيها والمجتمع الذي يتعامل معه.

فضلا عن ذلك، نجد أهدافا أخرى تشمل مجموعة من الجوانب الثقافية المستهدفة من استخدام اللغة العربية لدى الناطقين بلغات أخرى تبرز من خلال المهارتين الإنتاجيتين: الكلام والكتابة. وذلك لصلتهما المباشرة بالاتصال اللغوي مع أهل اللغة. هذا ما يتطلّب التمكن الجيد من العادات اللغوية والتقاليد الكلامية (كالنبر والتنغيم، وأداء التحية والسلام واستخدام عبارات المجاملة وحسن الضيافة...). والاختيار الدقيق للكلمات ذات الدلالة المناسبة للمواقف والمقامات والاسترسال في الكلام بشكل متصل ومترابط في مدة زمنية مقبولة.

لذا، يجب التركيز في إعداد المواد المدروسة ثقافيا، على اختيار البرنامج الذي يميّن الطالب من «فهم ثقافة اللغة المهدف والانفعال بها، والنظرة إليها نظرة إيجابية»³⁰ الشيء الذي يجعله قادرا على :

- التعامل الإيجابي مع منابع ثقافة اللغة الهدف كالجرائد والمجلات والكتب والبرامج التلفزية والسينمائية والإذاعية.
- الاتصال المباشر بالناطقين الأصليين باللغة الهدف في مختلف البلدان العربية.
- التمكّن من إدراك المواقف الثقافية المختلفة، المعبر عنها باللغة العربية المعيار، وبالتالي اكتساب الدافعية القوية لإجادتها والاتصال بها عبر الاشتغال على المجالات والمواقف المختلفة التي تدور حولها الأفعال الكلامية والوحدات اللغوية التي تستمد منها مواد تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في ضوء الثقافة العربية والمغربية، وذلك ضمانا لسلوك حسن وصحيح أثناء أداء المتعلّم للغة الهدف .

❖ نموذج السياحة

يعمّق تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها التلاقي الحضاري بين الأمة العربية والبلدان الغربية، علاوة على التفاهم الثقافي بين مختلف الشعوب. لذا، فإن الهدف الأسمى الذي يجب أن ينطلق منه المتعلّم في بناء المقرّر التعليمي الخاص بأغراض سياحية أو مهنية؛ هو العمل على إكساب المتعلم القدرة التي تمكنه من التواصل اللغوي الفعال؛ سواء أكان هذا التواصل شفويا أم كتابيا. يمكن أن يتحقّق هذا الهدف من خلال مهارات اللغة الأربع (الاستماع والتحدّث والقراءة والكتابة)، باعتبارها جسورا لتحقيق التواصل اللغوي الذي يطمح إليه المتعلّم والمتعلم على حد سواء. وكذا التعرّف على مجموعة من المعطيات السياحية التي يحفل بها المغرب؛ وبعض المهن التقليدية أو العصرية التي يمارسها الصنّاع والحرفيون في مجموعة من المدن العتيقة. فلا يقتصر المقرر الدراسي على المعرفة السطحية للغة؛ وإنما تصبح اللغة أداة للمعرفة والعلم والثقافة. من هنا، يتأتّى لنا تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها لأغراض مهنية أو سياحية وفق الخطوات والإجراءات المنهجية التي نقترحها وفق الجدّاءة التالية :

■ إقدار المتعلم على إنشاء تعليق على مقطع فيديو عن السياحة في مراكش مستعملا جملا خبرية سليمة. ■ مشاركة الأستاذ في إدارة الحوار بين المتعلمين حول المؤهلات السياحية في مراكش. ■ بناء خطة لزيارة الأماكن السياحية التي تحفل بها مدينة مراكش. ■ تحليل النص المكتوب بالإجابة على الأسئلة المسطرة على اللوح.	الأهداف العامة
موضوع الدرس : رحلة إلى مراكش	استراتيجيات التدريس وخططه
■ يعرض خريطة للمغرب ثم يطرح حولها بعض الأسئلة من خلال تعيين أسماء بعض المدن الأثرية العتيقة (فاس، الرباط، طنجة، مراكش، سلا...) ■ يعرض شريط فيديو يضم أهم الملامح والمعطيات التاريخية والحضارية التي تحفل بها مدينة مراكش (جامع الكتبية، ساحة جامع الفناء، صهريج المنارة، حدائق أكادال، حدائق ماجوريل، قبور السعديين، أسواق المدينة، الصناعة التقليدية	المقاطع التمهيدية
■ يعرّف المعلم الفريق الذي سيقوم بلعب الأدوار: (مرشد/سائح) و(بائع/زبون) و(أجنبي/مراكشي) مراعيًا المواقف الكلامية (تقديم الترحيب، طلب مساعدة، اعتذار، إعطاء نصيحة...) ■ يطلب المعلم من الطلاب ملء البيانات الواردة في سجل مكتب السياحة وقرأتها: (الاسم/النسب/الجنسية/العمر/مدة الإقامة/مكان الإقامة/ الأماكن المرغوب زيارتها...)	
أنشطة التقويم والمعالجة : يقوم المعلم بتقويم إنجازات الطلاب، عبر استدراجهم لتصحيح أخطائهم اعتمادا على أنفسهم،	المقاطع النهائية

الجدادة رقم 4 : العربية لأغراض مهنية أو سياحية

وانطلاقاً من التصميم السابقة، يمكن أن نخلص إلى أن اللغة التقنية ووحداها سواء العالمية أو العادية يمكن استثمارهما للتمكن من معجم ميدان أو ميادين النشاط الإنساني (سياحة؛ طب؛ تجارة، حضارة، ثقافة...) في كل مستوى من مستويات التعلم مع مراعاة التدرج في بناء التعلّيمات، وأجراً الأنشطة المقدمة للمتعلمين تحقيقاً للأهداف المسطرة، وضماناً لتفعيل جيد لمختلف الكفايات النوعية والمستعرضة. كما أن هذا التصور الذي نطرحه بالنسبة لتعليم العربية للناطقين بغيرها لأغراض خاصة يمكن استثماره بالنسبة لتعلم العربية للناطقين بغيرها (التعلم العام)، على اعتبار أن هذه الوحدات اللغائية تسعفنا على واجهتين. ذلك أنها ترتبط باللغة العامة وبالتالي بالمعجم العام من جهة، مما يستلزم من المعلم والمتعلم التفاعل حولها بشرحها وفهم سياق استعمالها. كما ترتبط بميدان مهني معين (الفلاحة؛ السياحة؛ إصلاح السيارات...)، يستدعي من قطبي العملية التعليمية البحث في وظيفتها واستعمالها في إطارها المهني. وكما سبق وذكرنا، في تعريف اللغة التقنية، أن لها استعمالات خطابية تسمح باستيعاب هذه الوحدات واستعمالها وفق سياقاتها الممكنة. ومن ثمة نؤكد أن آلية اللغة التقنية تسعف متعلم اللغة العربية في اكتساب معجمين : المعجم العام والمعجم الخاص. كما تساعد على تبين دلالة الوحدة واستعمالاتها اللغوية والتركيبية داخل سياق معين. وهذا ما يجعل المتعلم متمكناً من معجمه، كما جاء عند شادي سكر عندما أكد على أهمية قدرة المتعلم على استخدام الوحدة المناسبة في سياقها الخاص.

3-2 طرق التقويم وإجراءاته

يقوم التقويم في مجال تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها على فلسفة واضحة المعالم؛ تستدعي استحضار مجموعة من الإجراءات الديدكتيكية التي تمكن المعلم من جمع بيانات؛ خاصة بالمتعلم أو الطالب في درس خاص بظاهرة أو مهارة أو معلومة، ودراستها بطريقة علمية للوقوف على مدى تحقق الأهداف³¹ المسطرة سلفاً من عدمه، وذلك بغية اتخاذ قرارات معينة.

والتقويم في ضوء ما سبق، له أوجه متعددة ومختلفة؛ فيقرر الأستاذ، بمعية مجموعات الفصل الدراسي، الإعداد لإنجاز شكل من أشكاله - حسب التخطيط المرحلي - الذي من شأنه قياس مستوى تحصيل الفئة المستهدفة من البرنامج، عبر استخدام مؤشرات المستويات الأكاديمية؛ كما هو مبين في الجداول رقم 6 :

التقويم	بدايته	إجراءاته	ملاحظات هامة
تقويم تشخيصي	- أول الدورة - بداية كل لقاء - بداية كل نشاط أو وضعية مشكلة	- أسئلة موجهة - ملء بيانات كتابية - استظهار قضايا لغوية أو معرفية سابقة... - لعب أدوار	- التدرج من السهل إلى الصعب. - التركيز على فئة المتعثرين.
اختبار نصف الفترة	- وسط فترة بناء التعلّيمات	- ملء بيانات - أسئلة مغلقة - ألعاب لغوية وتربوية	- تبادل الأدوار بين مجموعات الفصل في طرح الأسئلة وتقويم الأجوبة.
اختبار قصير Quiz	- قبل نهاية الوحدة - الاستعداد إلى الانطلاق إلى مجزوءة ثانية	- أسئلة موجهة انطلاقاً من سند مكتوب أو سمعي بصري. - تحويل صورة أو شريط إلى نص مكتوب. - الانطلاق من وضعيات تواصلية، ثم مطالبة المتعلمين بكتابة تقرير قصير حولها.	- التركيز أثناء توجيه الأسئلة - استدراج المتعلمين المتعثرين - استغلال نتائج التقويم في برمجة حصص الدعم والمعالجة.
اختبار نهائي	- نهاية الوحدة - نهاية المجزوءة - نهاية الدورة التكوينية	- وقفة تقييمية شمولية تستهدف المهارات الأربع : الاستماع/ التحدث/ القراءة/ الكتابة.	مراعاة خصوصيات الفئة المستهدفة والمستوى التعليمي وتنوع الوضعيات الاختبارية (الإكثار من الأسئلة المغلقة وترك الأسئلة المفتوحة في نهاية

الجدادة رقم 6 : طرق التقويم وإجراءاته

الخاتمة:

نخلص انطلاقاً مما سبق عرضه، إلى أن كلاً من المتعلم النشط واللغة التقنية آليتان منهجيتان تهماان بإيصال متعلم اللغة العربية الناطق بغيرها إلى هدف معين وغرض خاص قد يكون أكاديمياً أو ثقافياً أو مهنياً أو اجتماعياً. ويعدان مدخلين أساسيين لتدريس موضوع تعليمي معين. وأشرنا إلى فعالية هذه الاستراتيجيات التدريسية الحديثة في تجويد قدرات الطلبة، ومهاراتهم التواصلية في معظم المواقف اللغوية، فضلاً عن تنمية اتجاهات إيجابية نحو عملية تعلم «اللغة الهدف» بشكل عام. ومن هنا، تبرز أهمية تنويع استراتيجيات تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها من قبل المعلم؛ نظراً لكونها تراعي الاعتبارات التالية:

- تنطلق من المتعلم وليس المعلم؛
- تنظر إلى تعلم اللغة العربية باعتبارها خبرة تكتسب بالمران والممارسة؛
- تجيب عن أسئلة موجهة ومنظمة مثل: كيف سأعلم؟ ماذا سأعلم؟ أين سأعلم؟ ومتى سأعلم؟
- تيسر على المتعلم عملية تحقيق أهداف التعلم، وتمكّنه من اكتساب مهارات التعلم الذاتي، وفق طرائق معلومة ومضبوطة؛
- تنسّق الفعاليات التعليمية قصد إحراز الكفايات المحددة، في ظروف معينة، وعبر طرق وأساليب ومناهج مخطّط لها؛
- تراعي الفروق الفردية والجماعية التي تميّز الفئات المستهدفة من التعلم، وتعمل على تخطيط الأنشطة المناسبة لكل فئة على حدة؛
- تساعد الطلاب والمعلمين على تنمية فكرهم، وتتيح لهم الفرصة للمبادرة والإبداع والابتكار؛
- تمكنهم من اكتساب الثقة بالنفس، عبر إثارة دافعيتهم للمشاركة في بناء التعلم، والتشويق للمادة المدرسة والموقف التعليمي؛
- تنوّع من أشكال تقويم الموقف التعليمي، والمواد المدرّسة الشيء الذي يجعل المعلم قادراً على معرفة حدود اكتساب المتعلم للخبرات، وتمكّنه من المهارات الأربع، وتحديد مواطن الضعف والقصور لتجنبها في أنشطة الدعم والمعالجة، لتحسين خطة التدريس وتطويرها...

نستنتج تأسيسا على ما سبق، أن اللغية التقنية بوصفها آلية من آليات التعلم النشط، تمكن المتعلمين والطلاب من اكتساب قدرات تواصلية، ومهارات وأساليب تساعد على حل مجموعة من المشاكل والإكراهات التي تعترض مسيرتهم نحو تعلم اللغة، لأنها نابعة من البيئة التعليمية القريبة إلى المحيط، والموقف التعليمي الذي يجذبه المتعلمون والطلبة؛ ومرتبطة بانتظاراتهم وميولاتهم واهتماماتهم. تقوم مبادئها على نقل بؤرة اهتماماتهم بالحياة اليومية والواقعية والاحتياجات المرافقة لها. ويحدث ذلك من خلال تفاعل متعلم اللغة مع كل ما يحيط به (بيت، مدرسة، حي، نادي، مسرح، سينما، مقهى...). فثقافة الطالب ومجتمعه يقومون بدور مهم في التعلم، لأن استراتيجيات التعلم النشط واللغية التقنية، يساهمان في العمل التعاوني بين الطلبة؛ وتبادل الخبرات والتجارب بينهم، خلافا لطرائق التدريس التقليدية التي لم تعد تناسبهم؛ لاختلاف قدراتهم وخبراتهم السابقة، فضلا عن كونها لم تعد ذات قيمة في عصرنا الحاضر؛ ولا تراعي الفروق الفردية بين الطلاب والمتعلمين.

الهوامش:

¹ انظر في هذا الصدد دراساتنا الموسومة ب: تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها في المغرب مدينة مراكش نموذجاً، جامعة ابن طفيل، 2020 والناعوري وأبو عمشة، تعليم العربية في الجامعة الأردنية مشكلات وحلول، الجامعة الأردنية، 2011

² Leila Messaoudi, *Etudes sociolinguistique*, Kénitra, Pub. Faculté des lettres et des sciences Humaines, Univ. Ibn Tofaïl, Imp. Editions Okad, 2003, p. 153.

³ Claude Hagège, (1982) « Voies et destins de l'action humaine sur les langues », *La réforme des langues, histoire et avenir*, Hambourg : Buske, Cité in Leila Messaoudi, *Op-cit.*, p. 153.

⁴ *Op-cit.*, p. 154.

⁵ Leila Messaoudi, « Technolectes savants, technolectes ordinaires : quelles différences », dans Leila Messaoudi (dir.), *Sur les technolectes*, Kénitra, pub. Faculté des lettres, Univ. Ibn Tofaïl, Rabat, imp. Okad, p. 39.

وردت ترجمته عند: عبد العزيز اعمار، «اللغية التقنية من خلال المأثور الشفهي، العمارة التقليدية نموذجاً»، ضمن:

Leila Messaoudi, Farid Benramdane (dir.), *Les technolectes au Maghreb : éléments de contextualisation*, Kénitra, pub. Laboratoire Langage et société, Faculté des lettres, Univ. Ibn Tofaïl, Rabat, imp. Rabat Net, 2013, p. 5-6.

⁶ ينظر في هذا السياق:

Leila Messaoudi, *Etudes sociolinguistiques*, Op-cit., p. 155.

⁷ Op-cit., p. 174.

⁸ Op-cit., p. 175.

⁹ حنان بندحمان، «اللغة التقنية في مجال التواصل البيداغوجي»، ضمن:

Leila Messaoudi, Farid Benramdane (Dir.), *Les technolectes au Maghreb éléments de contextualisation*, Kénitra, pub. Laboratoire Langage et société CNRST – URAC 56, Faculté des lettres, Univ. Ibn Tofail, Rabat, imp. RabatNet, 2013, p.22.

¹⁰ Leila Messaoudi, « Technolectes savants, technolectes ordinaires... », op-cit, p. 41.

¹¹ Pierre Lerat, *Les langues spécialisées*, Paris, éd. PUF, 1995.

¹² حنان بندحمان، «اللغة التقنية ملتقى العلوم والمعارف»، ضمن علي الرقيقي، حفيفة العمراني، حنان بندحمان (إشراف)، *تكامّل المعرفة والعلوم الإنسانية - تكريم لبللى المسعودي*، سوبودي، كندا، سلسلة مونوغرافية للعلوم الإنسانية، جامعة لورنتيان، القنيطرة، مختبر اللغة والمجتمع، كلية الآداب، جامعة ابن طفيل، 2017، ص. 209. (مزدوج اللغة: عربي - فرنسي)

¹³ بندحمان، المرجع نفسه، ص. 210.

¹⁴ Louis-Jean Rousseau et All, « Principes méthodologiques du travail terminologique », projet présenté par Louis-Jean Rousseau, OLF, Québec, <http://www.iula.upf.es/cpt/cptgmfr.htm>, 1995, cité dans Leila Messaoudi, *Etudes sociolinguistiques*, Op-cit., p. 155.

¹⁵ بندحمان، مرجع سابق، ص. 209.

¹⁶ انظر أعمال مركز الملك عبد الله لخدمة اللغة العربية ضمن كتاب: *تجارب في تعليم العربية في ضوء الإطار المرجعي الأوروبي المشترك*، 2015.

¹⁷ خالد حسين أبو عمشة، *دراسات في تعليم العربية للناطقين بغيرها*، الأردن، كنوز المعرفة، 2018، ط.1، ص. 184.

¹⁸ المرجع نفسه، ص. 184-185.

¹⁹ انظر محمد حقي جوستين، «الإطار المرجعي الموحد ومنهج اللغة العربية للناطقين بغيرها»، الكويت، عالم الفكر، ع.2، المجلد 44، أكتوبر - ديسمبر 2015، ص. 227-237.

²⁰ خالد أبو عمشة، مرجع سابق، ص. 185.

²¹ جوستين، مرجع سابق، ص. 226.

- ²² فاطمة حسيني، محمد بنموسى، محمد السيدى، محمد الفران، الإطار المرجعي الموحد لقياس الكفاية اللغوية، تنسيق لطوف العبد الله، تونس، منشورات الإيسيسكو، 2013.
- ²³ فتحي السويقي، «تعليم اللغة اتصاليا في ضوء التكامل اللغوي بين المهارات»، منصة: تعلّم العربية، تاريخ الإصدار: 2017-03-12، تاريخ الاطلاع: 2019-03-13.
- ²⁴ عبد الله بن مسلم الهاشمي و محمود محمد علي، «استراتيجيات تعلّم مفردات اللغة العربية للناطقين بغيرها»، ضمن أعمال المؤتمر: الاتجاهات الحديثة في الدراسات اللغوية والأدبية، ماليزيا، 2011، ج.1، ص.356.
- ²⁵ شادي مجلي عيسى سكر، «تنمية المفردات في المناهج التعليمية للغة العربية لغير الناطقين بها»، دليل العربية، شبكة ، تاريخ الاطلاع، 2016-03-14، ص.5. www.aluka.net الألوكة، الرابط،
- ²⁶ آدم الصديق بركات، «تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، أهدافه وأسسها بالتطبيق على كتاب العلوم التربوية»، ضمن في تعليم اللغة العربية وآدابها لأغراض خاصة، أعمال المؤتمر العالمي الرابع، ماليزيا، الجامعة الإسلامية العالمية، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، ماي 2013، ص.4.
- ²⁷ المرجع نفسه ، ص.12.
- ²⁸ رشدي أحمد طعيمة ومحمود كامل الناقة، تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات، منشورات الإيسيسكو، 2006، ص. 228.
- ²⁹ انظر رشدي أحمد طعيمة ، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها : مناهجه وأساليبه، الرابط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو، 1989، ص.49-50
- ³⁰ نصر الدين إدريس جوهر، «تعليم اللغة العربية ثقافيا للناطقين بغيرها»، إندونيسيا، الجامعة الإسلامية الحكومية سونن أمبيل بسورابايا، موقع دليل العربية، 2016، ص.13.
- ³³ إن عملية التقويم والاختبارات مرتبطة ارتباطا وثيقا، بل عضويا بأهداف تعليم اللغة العربية وتعلّمها، ذلك أن عملية التقويم والاختبار هي وسيلة المدرس إلى التحقق من تحقيق تلك الأهداف.

بيبيوغرافيا:

أولا: مراجع باللغة العربية

- اعمار، عبد العزيز، «اللغة التقنية المشتركة بين الحرف والصنائع التقليدية من خلال الأمثال»، ضمن: leila Messaoudi, Pierre Lerat (dir.), les technolèctes/ Langues spécialisées en contexte plurilingue, Kénitra, pub. Laboratoire Langage et société CNRST – URAC 56, Faculté des lettres, Univ. Ibn Tofail, Rabat, imp. Rabat Net, 2014. p.5-14

-
- اعمار، عبد العزيز، «اللغة التقنية من خلال المأثور الشفهي، العمارة التقليدية نموذجاً»، ضمن: Leila Messaoudi, Farid Benramdane (dir.), Les technolèctes au Maghreb : éléments de contextualisation, Kénitra, pub. Laboratoire Langage et société, Faculté des lettres, Univ. Ibn Tofaïl, Rabat, imp. Rabat Net, 2013, p. 5- 18 .
- أكسفورد، ربيكا، استراتيجيات تعلّم اللغة، ت. السيد محمد دعدور، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1996.
- أمبو سعيدي، عبد الله بن خميس والحوسنية هدى، بنت علي، استراتيجيات التعلّم النشط 180 استراتيجية مع الأمثلة التطبيقية، عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2016، ط. 2.
- بندحمان، حنان، «اللغة التقنية ملتقى العلوم والمعارف»، ضمن علي الرقيقي، حفيظة العمراني، حنان بندحمان (إشراف)، تكامل المعرفة والعلوم الإنسانية- تكريم ليلي المسعودي، سودبوري، كندا، س. مونوغرافية للعلوم الإنسانية، جامعة لورنتيان، القنيطرة، مختبر اللغة والمجتمع، كلية الآداب، جامعة ابن طفيل، 2017، ص. 207- 220. (مزدوج اللغة: عربي- فرنسي)
- بندحمان، حنان، «اللغة التقنية في القصيدة الزجلية بين اليومي والتشكيل المجازي»، ضمن: leila Messaoudi, Pierre Lerat (dir.), les technolèctes/ Langues spécialisées en contexte plurilingue, Kénitra, pub. Laboratoire Langage et société CNRST – URAC 56, Faculté des lettres, Univ. Ibn Tofaïl, Rabat, imp. Rabat Net, 2014. p. 15- 24 .
- بندحمان، حنان، «اللغة التقنية في مجال التواصل البيداغوجي»، ضمن: Leila Messaoudi, Farid Benramdane (dir.), Les technolèctes au Maghreb : éléments de contextualisation, Kénitra, pub. Laboratoire Langage et société, Faculté des lettres, Univ. Ibn Tofaïl, Rabat, imp. Rabat Net, 2013, p. 19- 34 .
- بنلحسن، محمد، حماموشي، حميد، منهاج تكوين مدرسين متخصصين في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، فاس، المغرب، مطبعة ووراقة بلال، 2015.
- بونجمة، محمد، تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها مهارة الاستماع نموذجاً، فاس، المغرب، مطبعة برانفو – برانت، 2013.
- جابر، عبد الحميد جابر، استراتيجيات التدريس والتعلم، القاهرة، دار الفكر العربي، 1999، ط. 1.
- جاكوب، سارة، المالكي، جار الله، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الولايات المتحدة الأمريكية، منشورات جامعة فيرجينيا، 2010 .
- جوستين، محمد حقي، «منهج اللغة العربية للناطقين بغيرها»، الكويت، عالم الفكر، ع. 2، المجلد 44، أكتوبر- ديسمبر 2015، ص. 156-172.

-
- جوهر، نصر الدين إدريس، «تعليم اللغة العربية ثقافيا للناطقين بغيرها»، إندونيسيا، منشورات الجامعة الإسلامية الحكومية سونن أمبيل بسورابايا، موقع دليل العربية، 2017، تاريخ الاطلاع: 2019-06-12.
- حسيني، فاطمة، الإطار المرجعي الموحد لقياس الكفاية اللغوية في اللغة العربية للناطقين بغيرها، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2013.
- حسيني، فاطمة، «الكفايات المهنية لمعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها، معايير الجودة والإتقان»، ضمن: معلم اللغة العربية للناطقين بغيرها، أعمال المؤتمر التاسع لمعهد ابن سينا للعلوم الإنسانية، ليل، فرنسا، 2015، السعودية، منشورات مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز لخدمة اللغة العربية، 2015. ص. 23-39
- leila Messaoudi، الحصري، عبد النور، «التنوع اللغوي : اللغية التقنية في الملاحه ميناء المهدية نموذجاً»، ضمن: Pierre Lerat (dir.), les technolectes/ Langues spécialisées en contexte plurilingue, Kénitra, pub. Laboratoire Langage et société CNRST – URAC 56, Faculté des lettres, Univ. Ibn Tofaïl, Rabat, imp. Rabat Net, 2014. p. 25- 38 .
- حمدان، صلاح الدين حسن، استراتيجيات التدريس الحديثة مدخل تطبيقي، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط. 1، 2018، ط. 1.
- الخولي، عبد الكريم محمد، الحياة مع لغتين الثنائية اللغوية، الرياض، منشورات جامعة الملك سعود، 1988، ط. 1.
- راغب، أحمد أحمد، «نظام تفاعلي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها»، ماليزيا، منشورات مركز اللغات، جامعة المدينة العالمية، 2012، ص. 1-25
- الرقب، حمدان محمد، «إعداد مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها وإخراجها»، مصر، شبكة الألوكة ، تاريخ الاطلاع 2018-08-29 www.alukah.net.
- سويدان، سعادة وآخرون، اتجاهات حديثة في التدريس في ضوء التطور العلمي والتكنولوجي، الأردن، الابتكار للنشر والتوزيع، 2018 ، ط. 1.
- سيف الإسلام، محمد بوفلاقة، «تعليم اللغة العربية بين الرؤى الفنية والنظريات العلمية»، الجزائر، منشورات كلية الآداب جامعة عنابة، مقالات، آفاق الثقافة والتراث، 2006، ص. 76-86
- الطاهر، حسين مختار، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في ضوء المناهج الحديثة، القاهرة، مصر، الدار العالمية للنشر والتوزيع، 2011 ، ط. 1.
- طعيمة، رشدي أحمد، الناقة، محمود كامل، تعليم اللغة اتصاليا بين المناهج والاستراتيجيات، الرباط، منشورات الإيسيسكو، 2006.
- طعيمة، رشدي أحمد، الأسس المعجمية و الثقافية لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، مكة، السعودية، س. دراسات في تعليم اللغة العربية، معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1982.

-
- طعيمة، رشدي أحمد، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها : مناهجه وأساليبه، الرباط، المغرب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو، 1989.
 - طعيمة، رشدي أحمد، المرجع في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، المناهج وطرق التدريس، السعودية، س.
 - دراسات في تعليم العربية ، منشورات جامعة أم القرى، وحدة البحوث والمناهج، ج.1، د.ت.
 - عاشور، راتب قاسم، الحوامدة، محمد فؤاد، أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2014، ط. 4.
 - العربي، صلاح عبد الحميد، تعلم اللغات الحية وتعليمها بين النظرية والتطبيق، لبنان، مكتبة لبنان، 1981.
 - أبو العزم، عبد الغني، «اللغة العربية والمعالجة الآلية»، الرباط، المغرب، س.فكر ونقد، س.4، ع.31، سبتمبر 2000.
 - عمار، سام، التجديد في تعليم اللغة العربية للكبار الطريقة التواصلية أنموذجا، الأردن، منشورات جامعة اليرموك، 2005.
 - عمر، مختار أحمد، التدريبات اللغوية و القواعد النحوية، الكويت، مطبوعات جامعة لجنة التأليف والتعريب و النشر، 1999، ط. 2.
 - عمران، علي، اللغة العربية لغير الناطقين بها، عمان، الأردن، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، 2016، ط. 1.
 - عمراوي، فؤاد، «التداخلات اللغوية في تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها دراسة وصفية وتحليلية»، المجلة العربية لغير الناطقين بها، دار العلوم المصرية، ع.2، أبريل 2019.
 - أبو عمشة، خالد حسين وآخرون، تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها الرؤى والتجارب، عمان، الأردن، ضمن أعمال المؤتمر الدولي الأول، إسطنبول 2015، مكان النشر، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2015، ط. 1.
 - أبو عمشة ، خالد حسين ، دراسات في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، عمان، الأردن، دار كنوز المعرفة، 2018، ط. 1.
 - أبو عمشة ، خالد حسين، تعليم العربية للناطقين بغيرها في ضوء اللسانيات التطبيقية، عمان، الأردن، دار كنوز المعرفة، 2015، ط. 1.
 - أبو عمشة ، خالد حسين، «التقويم اللغوي: مفهومه وأسس تطبيقه»، الأردن، منصة الألوكة الأدبية واللغوية، مرجع سابق، تاريخ الإضافة : 2015-03-17، تاريخ الاطلاع : 2019-03-12.
 - عون، جابر، «تدريس العربية كلغة ثانية في جامعات أمريكا- الإيجابيات والسلبيات»، س.القدس العربي، 20 يناير 2015، تاريخ الاطلاع: 2020-10-31
 - غريب، غريب، المنهل التربوي، معجم موسوعي في المصطلحات والمفاهيم البيداغوجية والديداكتيكية والسيكولوجية، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2006، ط.1، ج.1.

-
- الفارابي، عبد اللطيف وآخرون، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، الرباط، س. علوم التربية، ع. 9-10، 1994، ط. 1.
- فارس، محمد إبراهيم أحمد، «اللغة العربية لأغراض اجتماعية في المؤسسات الماليزية»، ضمن تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة، أعمال المؤتمر العالمي الرابع، ماليزيا، منشورات قسم اللغة العربية وآدابها، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية، ماي 2013، ص. 116-135
- الفاعوري، عوني وأبو عمشة، خالد، «تعليم اللغة العربية: مشكلات وحلول»، الأردن، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 32، ع. 3، 2005، ص. 487-497
- الفهري الفاسي، عبد القادر، تعليم اللغة العربية والتعليم المتعدد، الرباط، المغرب، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ماي 2002، ج. 1.
- الفوزان، عبد الرحمان، عدة تكوين معلمي اللغة العربية للناطقين بغيرها، الرياض، السعودية، مؤسسة العربية للجميع، منصة رواق، 2016.
- القاسمي، محمد علي، اتجاهات حديثة في تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، الرياض، السعودية، منشورات جامعة الملك سعود، 1999.
- مركز الدراسات العربية، العربية في الخامسة، باريس، فرنسا، ط. 3، 2009.
- مركز الدراسات العربية، العربية في الثالثة، باريس، فرنسا، ط. 3، 2009.
- مرسي، عبد الحليم، المعلم/المناهج وطرق التدريس، الرياض، السعودية، دار الإبداع الثقافي، 1994، ط. 2.
- مستغفر، نورة، «التعليم بمساعدة الحاسوب»، ضمن عبد القادر الفاسي الفهري (تنسيق)، كتاب تعليم اللغة العربية والتعليم المتعدد، الرباط، المغرب، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، ماي 2002، ص. 95-111.
- <https://www.new-educ.com> - الملاحى، تامر، تكنولوجيا التعليم: المفهوم الجديد وعناصره، 2015/10/9، تاريخ الاطلاع: 2019-09-16
- الموسى، عبد الحميد أنور، التكنولوجيا في خدمة التعلم والتعليم، دار النهضة العربية، بيروت / لبنان، 2014.
- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، القراءة الراشدة لتعليم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، بريطانيا، الأكاديمية الإسلامية، 2014.
- الهاشمي، عبد الله بن مسلم و علي، محمود محمد، «استراتيجيات تعلّم مفردات اللغة العربية للناطقين بغيرها»، ضمن أعمال مؤتمر الاتجاهات الحديثة في الدراسات اللغوية والأدبية، ماليزيا، منشورات الجامعة الإسلامية، 2011، ج. 1.
- الودغيري، عبد العالي، لغة الأمة ولغة الأم، عن واقع اللغة العربية في بيئتها الجغرافية والثقافية، بيروت، دار الكتب العلمية، 2013، ط. 1.

- وزارة التعليم، لبنان، «البرنامج التنموي في قطاع التعليم في لبنان 2006-2009»، قطاع التعليم في لبنان»، تاريخ الاطلاع: 2019-10-16 <https://hrammal.wordpress.com> 2012/11/11

ثانيا : مراجع بلغة أجنبية

- Alattar, Farah Basma, Tahhan, Caroline, Arabe, Palier 1 ; 2ème Année, Niveau A1 et A2 du CECR, Chouette entraînement, Paris, Hatier, 2010.
- Belkeziz, ben Abdeljalil , Introduction à la méthode étymologique pour l'étude du vocabulaire Arabe ,1993
- Djebli, Mokhtar, Méthode d'arabe maghrébin moderne, vol. 1, Paris, harmattan , Paris, 1988.
- Encyclopedia of Arabic Literature, Vol. 1.
- Lerat, Pierre, Les langues spécialisées, Paris, éd. PUF, 1995.
- Messaoudi, Leila, Technolectes savants, technolectes ordinaires : quelles différences ? dans Leila Messaoudi (dir.), Sur les technolectes, Kénitra, pub. Laboratoire Langage et société CNRST – URAC56, Faculté des lettres, Univ. Ibn Tofaïl, imp. RabatNet, 2012, p. 39- 46.
- Messaoudi, leila, Etudes sociolinguistiques, Kénitra, pub. Faculté des lettres, Univ. Ibn Tofaïl, Rabat, imp. Okad, 2003.

ثالثا: مواقع إلكترونية

- . موقع جامعة أكسفورد، الولايات 1332، 2000, <https://www.ox.ac.uk/> Oxfor university
- المتحدة الأمريكية
- شبكة الألوكة - [https:// www.alukah.net fatwa/_counsels/ 0/ 9851](https://www.alukah.net/fatwa/_counsels/0/9851)
- . الموقع الرسمي لمؤسسة العربية للجميع www.arabicforal.com
- . الموسوعة البريطانية <http://www.cyclopaedia.fr>
- . موقع جريدة تعليم جديد <http://www.taalmjadid.com>
- . منصة رواق للتدريب والتكوين <http://www.roak.com>

ظاهرة التكرار في قصيدة "إلى الموت" لأبي القاسم الشابي

د. رفيقة النجار

أستاذة أولى مميزة للتعليم الثانوي، دكتورة في اللغة والآداب العربية، وعضو بمخبر

البحث "تحليل الخطاب" بجامعة منوبة، تونس.

rafika.najjar@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/06/02 م تاريخ التحكيم: 2021/06/09 م تاريخ النشر: 2021/06/15 م
الملخص بالعربية:

وجه الموت الكتابة الأدبية العربية منذ العصر الجاهلي وخاصة الشعر، فمن الأغراض الشعرية ما كان نتاجا لموضوع الموت، إذ الرثاء هو تفجع على الميت وتخليد لمناقبه، والفخر في جانب كبير منه هو الفخر بالانتصار على الموت، والمدح هو أيضا في العديد من القصائد مدح الممدوح لقدرته على هزم الموت...
نُتَمَّ في هذا المقال بظاهرة التكرار في قصيدة أبي القاسم الشابي "إلى الموت". تضمنت القصيدة تكرارا دالا على الضعف والعجز في حياة مليئة بالشّرور والآلام فتدفع الشابي إلى التشاؤم ورفض الواقع، وسرعان ما تتفاجأ بتكرار آخر دال على القوة والفرح والتفاؤل يتجلى بوضوح في حديث الشابي عن الموت ذلك العالم الغامض المنشود الذي يرى فيه الشابي سبيل الخلاص من الحياة التي يرفضها. وقد بنى الشابي قصيدته على هذه الثنائية الطريفة المبكرة التي تلتخص في ثنائية الحياة والموت.

الكلمات المفتاحية: التكرار - التأكيد - الموت - الزومنتيقية - أبو القاسم الشابي

The frequency in Abu al-Qasim al-Shabbi's poem "To Death".
Dr. Rafika Najjar, secondary school teacher, member of
laboratory: *discourse analysis*, university of Manouba, Tunisia

Abstract :

As we know, death has directed Arabic literary writing since the pre-Islamic period, especially poetry. As a result of the theme of death, many poetic purposes has emerged. Lamentation is mourning for the dead and an immortalization of its virtues. Pride in a large part is pride in victory over death. And the praide is also in many poems the praide of the one who is praised for his ability to defeat death.

this article examines the frequency effects in Abu al-Qasim al-Shabbi's poem "To Death".

The poem included a frequency that indicates weakness and impotence in a life full of evils and pains, which pushes al-Shabbi into pessimism and rejection of

reality. However, we are surprised by another frequency of strength, joy and optimism that is clearly evident in Al-Shabbi's comments about death, that mysterious desired world in which Al-Shabbi sees the way to salvation from the life he rejects.

Al-Shabbi articulated his poem on this innovative duo that is summarized in the duality of life and death.

Keywords:

Frequency – Affirmation – Death – Romantic - Abou Al Qasim Al Shabbi

مقدمة

لا شك أنّ الموت مشغل من أهمّ مشاغل الإنسان على مرّ التاريخ، وهذا ما جعله موضوعاً مهماً في مختلف الثقافات الإنسانية، وقد انعكس ذلك على الإنتاج الفكريّ بمختلف تجلياته من فنّ وأدب وفلسفة وغيرها. في الأدب تمّ تناول موضوع الموت من جهة كونه خصماً مترتباً بالإنسان، فالموت في الثقافة الإنسانية عموماً وفي الأدب العربيّ بصفة خاصّة هو ذلك العدو الذي يباغت الإنسان فيحرمه من الحياة، ويحرم أحبائه منه، وهذا ما جعل العرب يكتون عنه ب: " هادم اللذات ومفرّق الجماعات " والتصقت هذه الكناية بالموت في المخيال الثقافيّ العربيّ على مرّ العصور. وقد وجّه الموت الكتابة الأدبيّة العربيّة منذ العصر الجاهليّ وخاصة الشعر، فمن الأغراض الشعريّة ما كان نتاجاً لموضوع الموت، إذ الرثاء هو تفجّع على الميت وتخليد لمناقبه، والفخر في جانب كبير منه هو الفخر بالانتصار على الموت، والمدح هو أيضاً في العديد من القصائد مدح الممدوح لقدرته على هزم الموت... ويمكن أن نستحضر هنا على سبيل الدّكر لا الحصر بعض الأدباء الذين تحدّثوا عن الموت من هذه الزّاوية: الخنساء¹ وطرفة بن العبد وعنترة بن شدّاد² وزهير بن أبي سلمى³.

ولم تختلف نظرة الشعراء بعد الإسلام إلى الموت اختلافاً كبيراً، ونستدلّ هنا بنظرة الشعراء المجدّدين في القرن الثّاني الهجريّ، فقد رأى أبو نواس أنّ الإنسان يمكنه أن يواجه الموت بالانغماس في الملذّات في حين دعا أبو العتاهية إلى الزّهد والتّزوّد لما بعد الموت، وفي مذهب كلّ منهما خوف من الموت وجّه الكتابة وجهة معيّنة ميّزت شعر صاحبه، ولئن كان المذهبان على طريقيّ نقيض إلا أنّ المنطلق واحد وهو الموقف من الحياة والموت⁴.

وقد تغيّرت النظرة إلى الموت في الأدب العربيّ الحديث في العديد من الكتابات وخاصة منها الشعريّة، وتحديدًا الشعر الرّومنتيقيّ الذي تمّ فيه تناول موضوع الموت برؤية طريفة فيها خروج عن النظرة

التقليدية للموت، فقد رأى الشعراء الرومنطيقيون في العديد من قصائدهم أنّ الموت منطلق حياة أفضل تتسم بالحق والخير والجمال وتنزّه عن عالم الإنسان المليء بالشّرور⁵، ويُعدّ أبو القاسم الشّابي من الشعراء الرومنطيقين الذين اختلفت نظرتهم إلى الموت في الكثير من قصائدهم عن نظرة الشعراء القدامى، ومن بين قصائد الشّابي التي تناول فيها الموت من زاوية أخرى انحرفت به عن معانيه الدلالية التقليدية المتوارثة، قصيدة " إلى الموت "⁶ وهي قصيدة عمودية منظومة على بحر المتقارب ومتنوعة الزوّي، كتبها أبو القاسم الشّابي سنة 1928 قبل أن يُفجّع بوفاة والده التي غيرت نظرتّه إلى الموت.

إنّ الموت هو المحور الذي دارت حوله معاني القصيدة، وبدأت نظرة الشّابي إلى الموت نظرة طريفة فيها انزياح أخرج الموت من معانيه الدلالية التقليدية المتوارثة، فقد ارتبط في هذه القصيدة بكلّ ما هو إيجابي، إذ هو في نظر الشّابي منطلق حياة أفضل ترتقي بالإنسان من عالم سلبيّ مدّس مليء بالشّرور إلى عالم إيجابي مقدّس هو عالم الحق والخير والجمال. وقد اعتمد الشّابي التكرار وسيلة لإبلاغ معاني القصيدة.

لم يكن التكرار في هذه القصيدة مجرّد ضرورة إيقاعية قامت على ترديد اللفظ لإحداث إيقاع داخليّ، أو جوازا شعريّا من أجل التّقفية والالتزام ببحر القصيدة، بل تجاوز التكرار الإيقاع والجواز الشعريّ ليكون وسيلة تأكيد توخّاه الشّابي للإبلاغ والإقناع، فالتكرار هو وسيلة لغويّة وأسلوبية تُستخدم للتأكيد والتذكير وبيان المبالغة، وقد اهتمّ به اللغويّون القدامى من زاوية التوكيد اللفظي، فقد جاء في كتاب سيبويه:

>> وتقول أنت أنت، تكررهما... وعلى هذا الحدّ تقول: قد جُرِّيتَ فكُنْتَ كُنْتَ إذا كرّرتها توكيدا<<⁷.

وتبلور الاهتمام بالتكرار مع الجاحظ ومصطلح "التّرداد":

>>وجملة القول في التّرداد أنه ليس فيه حدّ ينتهي اليه ولا يؤتى على وصفه، وأنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوأم والخواص...<<⁸.

ثمّ بيّن ابن جني أنّ التكرار يفيد التوكيد وهو نوعان لفظي ومعنوي:

>> العرب إذا أرادت المعنى مكّنته واحتاطت له، فمن ذلك التوكيد، وهو على ضربين، أحدهما: تكرير الأول بلفظه، وأما الضرب الثاني، فهو تكرار الأول بمعناه.<<⁹.

ويتمثل الفرق بين التكرار اللفظي والتكرار المعنوي في كون التكرار اللفظي هو تكرار اللفظ مع الاتفاق في المعنى (تكرار اللفظ بلفظه ومعناه) أو تكرار اللفظ والاختلاف في المعنى (الجناس)، أما التكرار المعنوي فيتمثل في تكرار المعنى مع اختلاف الألفاظ (الترادف، الحقل المعجمي).

وقد اهتمت الدراسات اللسانية الحديثة كذلك بالتكرار من ذلك مثلاً تعريف عبد السلام المسدي للتكرار: >> تواتر حرف أو كلمة أو خاصية أسلوبية هو نسبة تكرارها سواء إلى وحدة الزمن في بث شفوي أو إلى مدى كمي كتواترها في نص أو كتاب أو نسبتها إلى مجانسها في سياق ما<<¹⁰.

ولم يقف دور التكرار في قصيدة الشابي عند التأكيد والإيقاع بل كان داعياً المخاطب إلى مشاركة الشاعر في تمجيد الموت ومصوراً للحالة النفسية، فالغاية من استخدام اللغة كما بين خالد ميلاد هي التواصل مع المخاطب والتعبير عن المقاصد والأغراض¹¹:

>>.. وليس التعامل بين المتخاطبين سوى تعامل تحكمه الأغراض والمقاصد التي لا تعدو أن تكون المعاني، وليست البلاغة سوى حسن استخدام اللغة لإصابة المقاصد والأغراض<<. وقد ذكر عبد السلام المسدي نقلاً عن شارل بالي أن اللغة حاملة لوجهين: وجه فكري ووجه نفسي:

>> فاللغة في الواقع تكشف في كل مظاهرها وجهاً فكرياً ووجهاً عاطفياً، ويتفاوت الوجهان كثافة حسب ما للمتكلم من استعداد فطري وحسب وسطه الاجتماعي والحالة التي يكون فيها¹². << وهذا الوجهان: الفكري والعاطفي، جعلاً الأسلوبيين يهتمون بحضورهما في الخطاب الأدبي، ودورهما في جعله خطاباً يرتقي من مستوى الخطاب العادي المتداول إلى مستوى الإبداع الفني بما يتوفر فيه من مكونات لغوية وفكرية تكشف عن شخصية الكاتب بكل ما فيها من انفعالات وعن علاقته بواقعه. والتكرار باعتباره أسلوباً لغوياً يتخذ شأنه شأن الأساليب اللغوية وظيفته الإبلاغ والتواصل ووظيفة التعبير عن الانفعالات النفسية، وقد حضر في قصيدة "إلى الموت" بنوعيه: اللفظي والمعنوي، وقد ارتبطا خاصة بمفهومَي الحياة والموت.

1. التكرار اللفظي:

تكررت كلمة "الموت" بلفظها ومعناها في قصيدة "إلى الموت" 16 مرة (مرة في العنوان و 15 مرة في القصيدة) توزعت على الأبيات التالية:

البيت	ترتيبه في القصيدة	الصفحة
إِلَى الْمَوْتِ إِنَّ شَيْئًا هَوْنُ الْحَيَاةِ فَخَلَفَ ظِلَامُ الرَّذَى مَا تُرِيدُ	4	111
إِلَى الْمَوْتِ يَا ابْنَ الْحَيَاةِ التَّعْيَسِ فَعِي الْمَوْتِ صَوْتُ الْحَيَاةِ الرَّحِيمِ	5	111
إِلَى الْمَوْتِ إِنَّ عَذَابَكَ الدَّهْوَرُ فَعِي الْمَوْتِ قَلْبُ الدَّهْوَرِ الرَّحِيمِ	6	111
إِلَى الْمَوْتِ فَاَلْمَوْتُ رَوْحٌ جَمِيلٌ يُرْفَرُ مِنْ فَوْقِ تِلْكَ الْعُيُومِ	7	112
إِلَى الْمَوْتِ فَاَلْمَوْتُ جَامٌ رَوِيٌّ لِمَنْ أَضْمَأَتْهُ سُمُومُ الْقَلَاةِ	9	112
إِلَى الْمَوْتِ فَاَلْمَوْتُ مَهْدٌ وَثِيرٌ تَنَامُ بِأَحْضَانِهِ الْكَائِنَاتُ	12	112
إِلَى الْمَوْتِ إِنَّ حَاصِرَتَكَ الْخُطُوبُ وَسَدَّتْ عَلَيْكَ سَبِيلَ السَّلَامِ	13	112
فَعِي عَالَمِ الْمَوْتِ تَنْصُبُ الْحَيَاةَ رِدَاءَ الْأَسَى وَقِنَاعَ الظَّلَامِ	14	112
إِلَى الْمَوْتِ لَا تَخْشَ أَعْمَاقَهُ فَعِيهَا ضِيَاءُ السَّمَاءِ الْوَدِيعِ	17	112
هُوَ الْمَوْتُ طَيْفُ الْخُلُودِ الْجَمِيلِ وَنِصْفُ الْحَيَاةِ الَّذِي لَا يَنْوَحُ	21	113

نلاحظ أنّ كلمة الموت تكررت 16 مرةً تتوزّع كما يلي: "إلى الموت" 9 x (العنوان، الأبيات: 4، 5، 6، 7، 9، 12، 13، 17)، "في الموت" 2 x (البيتان 5 و6)، فالموت 3 x (الأبيات 7، 9، 12)، "في عالم الموت" (البيت 14)، "هو الموت" (البيت 21). وقد أحدث هذا التكرار إيقاعاً داخلياً في القصيدة كشف عن رغبة في ترسيخ الفكرة في ذهن المخاطب وعدم الاكتفاء بالتعبير والإبلاغ، فتكرار كلمة الموت 16 مرةً في قصيدة تتكوّن من 24 بيتاً يؤكّد أنّ التكرار وظيفي فقد استخدمه الشّابي لتمجيد الموت والدّعوة إلى استعجاله أملاً في ولوج عالم أفضل، وفي المقابل تكررت كلمة "الحياة" 9 مرّات توزّعت على الأبيات: 1، 2، 4، 5 (2 x)، 11، 14، 21، 24. وهذا التّفاوت بين تكرار كلمة

"الموت" وتكرار كلمة "الحياة" يبرزه حرص الشابي على المبالغة في الإغلاء من قيمة الموت و الخطّ من قيمة الحياة وذلك لحثّ المخاطب على استعجال الموت وتنفيذه من الحياة.
وقد تجلّى تكرار كلمة "الموت" في تكرار تركيبٍ ومعنويّ، وكان أهمّه تكرار تركيب الجزر "إلى الموت" الذي أحدث موازنة تركيبية عمودية داخل القصيدة امتدّت على الأبيات: 4، 5، 6، 7، 9، 12، 13، 17:

إِلَى الْمَوْتِ إِنْ شِئْتَ هَوْنَ الْحَيَاةِ فَخَلَفَ ظِلَامُ الرَّدَى مَا تُرِيدُ
إِلَى الْمَوْتِ يَا ابْنَ الْحَيَاةِ التَّعِيسَ فَفِي الْمَوْتِ صَوْتُ الْحَيَاةِ الرَّحِيمِ
إِلَى الْمَوْتِ إِنْ عَذَبَتْكَ الدَّهْوَرُ فَفِي الْمَوْتِ قَلْبُ الدَّهْوَرِ الرَّحِيمِ
إِلَى الْمَوْتِ فَاَلْمَوْتُ رَوْحٌ جَمِيلٌ يُرْفَرُ مِنْ فَوْقِ تِلْكَ الْغُيُومِ
إِلَى الْمَوْتِ فَاَلْمَوْتُ جَاثٌ رَوِيٌّ لِمَنْ أَضْمَانُهُ سُومُ الْقَلَاةِ
إِلَى الْمَوْتِ فَاَلْمَوْتُ مَهْدٌ وَثِيرٌ تَنَامُ بِأَحْضَانِهِ الْكَائِنَاتُ
إِلَى الْمَوْتِ إِنْ حَاصَرَتْكَ الْخُطُوبُ وَسَدَّتْ عَلَيْكَ سَبِيلَ السَّلَامِ
إِلَى الْمَوْتِ لَا تَخْشَ أَعْمَاقَهُ فَفِيهَا ضِيَاءُ السَّمَاءِ الْوَدِيعِ

وتركيب الجزر "إلى الموت" جملة أمر مختزلة اعتمدها الشابي في موازنة تركيبية للإقناع بقيمة الموت وارتباطه بما هو إيجابي والحثّ على استعجال الموت. ويمكن تأويل هذه الجملة المختزلة بحمل أمر تامة: هبّا إلى الموت / سرّ إلى الموت / توجه إلى الموت...

وهذا الأمر الذي أفاد النصّ والحثّ استخدمه الشابي في كلّ مرّة بتعليل النصّ والحثّ فتواتر التركيب: "إلى الموت ... و ... في الأبيات ، 5، 6، 7، 9، 12، 17، فالموت هو الإطار الذي يحتضن الإنسان ويوفّر له الراحة المادية والمعنوية:

إِلَى الْمَوْتِ يَا ابْنَ الْحَيَاةِ التَّعِيسَ فَفِي الْمَوْتِ صَوْتُ الْحَيَاةِ الرَّحِيمِ
إِلَى الْمَوْتِ إِنْ عَذَبَتْكَ الدَّهْوَرُ فَفِي الْمَوْتِ قَلْبُ الدَّهْوَرِ الرَّحِيمِ
إِلَى الْمَوْتِ لَا تَخْشَ أَعْمَاقَهُ فَفِيهَا ضِيَاءُ السَّمَاءِ الْوَدِيعِ

في هذه الأبيات (5، 6، 17) برّر الشابي الدعوة إلى الموت بكونه الإطار الذي يوفّر للإنسان التعيس حياة أفضل وقلبا رحيمًا وفضاء يتسم بالضياء والجمال.

وقد تكرر التركيب: "إلى الموت... فالموت..." ثلاث مرّات (الآيات 7، 9، 12 من القصيدة) وذلك لحاجة الشابي الملحّة إلى تعليل طلب الإقبال على الموت تعليلا يصل به إلى إقناع المخاطب، ويمكن تأويل التعليل بكونه جوابا لجملة الأمر المختزلة "إلى الموت"، فالبیت السابع:

إلى الموتِ فالموتُ روحٌ جميلٌ يُرْفَرُ من فوقِ تلكِ الغيومِ
يمكن تأويله بالقول: هيّا إلى الموت تتمتع بروح جميل يرفرف فوق تلك الغيوم.
والبيت التاسع:

إلى الموتِ فالموتُ جامٌ رويّ لِمَنْ أضمّأته سُومُ الفلاةِ
يمكن تأويله بالقول: هيّا إلى الموت يا من أضمأتك سموم الحياة تنعم بحام رويّ.
وكذلك البيت الثاني عشر من القصيدة:

إلى الموتِ فالموتُ مهدٌ وثيرٌ تنامُ بأحضانِهِ الكائناتُ
يمكن تأويله بالقول:

هيّا إلى الموت تنعم بمهد وثير تنام بأحضانها الكائنات.

وهذه الآيات الثلاث كشفت عن نظرة الشابي إلى الموت ومحاولته إقناع المخاطب بها، وهي آيات تلخص معاني القصيدة، فالموت في نظر الشابي يحقق الراحة النفسية والمادية، وهو روح جميل يتواصل معه الإنسان بعد موته فيروي ضمأه إلى الخير والجمال يخلصه من العالم المليء بالشّرور.

ما يمكن أن نستخلصه من التكرار الذي تعلّق بكلمة "الموت" بمختلف التراكيب التي تواترت فيها هذه الكلمة¹³ هو ربط الموت بما هو إيجابي فالموت مخفّف من وطأة الحياة (الآيات 4، 6، 14)، والموت حياة أخرى أرقى من الحياة التي يعيشها الإنسان قبل موته، والموت هو حياة أخرى لا حزن فيها، بل إنّ الموت في نظر الشابي هو الحياة الحقيقية الخالدة (البيتان 5، 21)، والموت هو غذاء للروح والجسد (الآيات 7، 9، 12)، والموت عالم من الغموض والجمال (البيت 17).

وقد كشف التكرار اللفظي عن مبالغة الشابي في الانخراط في التيار الرومنطقي الذي يرى أنّ الموت منطلق حياة غامضة لكنّها حتما أفضل من الحياة التي يعيشها الإنسان قبل الموت، وهذا الإعلاء من قيمة الموت صاحبه بالتوازي خطّا من قيمة الحياة، فالصعود والرقى الذي أسنده الشابي إلى الموت قابله نزول وتدّن أسنده إلى الحياة بصفة مبالغ فيها، ويظهر ذلك في تكرار كلمة "الحياة"، ولئن كان تكرارا

أقلّ من تكرار كلمة "الموت" ، كما ذكرنا، (تكرار كلمة "الموت" 16 مرّة في مقابل تكرار كلمة "الحياة" 9 مرّات¹⁴). والغاية من هذا التفاوت بين عدد مرّات تكرار الكلمتين هي التّنفير من الحياة. لقد كان الموت فاعلا مؤثّرا في حركة القصيدة ومعانيها تأثّيرا إيجابيا، في حين بدا تأثير الحياة تأثّيرا سلبيا، فالإنسان "صبيّ الحياة الشقيّ العنيد" (البيت الأوّل)، و"ابن الحياة التّعيس" (البيت الخامس)، ولا صوت للحياة إلّا بفنائها وهزم الموت لها، وهذا ما عبّر عنه الشّابي في عجز البيت الخامس من القصيدة:

إلى الموت يا ابن الحياة التّعيس ففي الموت صوت الحياة الرّخيم
ولا غذاء للحياة إلّا الحزن وهو ما جاء في البيت الحادي عشر:
فما الدّمع إلّا شرابُ الدّهور وما الحزنُ إلّا غذاءُ الحياة
ولا تُلقِي الحياة الأسي والظّلام إلّا بالموت (البيت الرّابع عشر):
ففي عالم الموت تنصّبُ الحياةُ رداء الأسي وقناع الظّلام
ويرى الشّابي أنّ الحياة التي يحياها الإنسان هي نصف حياة حزين نائح، أمّا نصفها السّعيد فهو الموت (البيت 21):

هو الموت طيف الخلود الجميل ونصفُ الحياة الذي لا ينوح
وقد تميّز هذا البيت بثرائه الدّلالي، فالحياة في نظر الشّابي لا تكتمل إلّا بالموت، ويعتبر الموت نصف الحياة، وهو بذلك يقترح مفهوما جديدا للحياة، فهو يرى أنّها تجمع بين ثنائية الحياة والموت، ويرى أنّ الحياة تبتّ الحزن في حين يبتّ الموت السّعادة والأمل في حياة أفضل، ويزداد تمجيد الموت في نسق تصاعديّ إذ بيّن الشّابي في الأبيات الثّلاث الأخيرة من القصيدة أنّ الموت هو الحياة الحقيقيّة:

هنالك خَلَفَ الفُضَاءِ البعيدِ يَعيشُ المُنُونُ القَوِيُّ الصَّبُوحُ
يَضُمُّ القُلُوبَ إلى صَدْرِهِ ليأسَوْ ما مَضَّها مِنْ جُروحِ
ويبعثُ فيها ربيعَ الحَيَاةِ ويُبهِجُها بالصَّبّاحِ الفُروخِ
وبذلك قدّم الشّابي مفهوما طريفا للموت يتمثّل في اعتباره الحياة الحقيقيّة التي تداوي جروح الكائنات وتحملها من عالم الشّرور والآلام والأحزان إلى عالم الحقّ والخير والجمال والفرح.

وهكذا نتبين أنّ الشّابي بنى قصيدته على ثنائية الحياة والموت معتمداً التكرار أداة إبلاغ وتأثير كشفت عن التفكير الزموني الذي وجّه نظرة الشّابي إلى الحياة والموت وموقفه من كلّ منهما. ولا يقتصر ذلك على التكرار اللفظي فقط بل أيضاً التكرار المعنوي.

2. التكرار المعنوي:

تضمّنت هذه القصيدة إلى جانب التكرار اللفظي تكراراً معنوياً تعلّق شأنه شأن التكرار اللفظي بـ "الحياة" و"الموت"، وقد قام التكرار المعنوي على التّرادف، فإلى جانب التكرار اللفظي الذي تعلّق بكلمة "الموت" التي تواترت، كما ذكرنا، 16 مرّة، تكرر معنى الموت أيضاً بالتّرادف، فقد عبّر عنه الشّابي بالكلمات التالية: الرّدى (البيت 4)، الممات (البيت 10)، المنون (البيت 22)، وإذا أخذنا بعين الاعتبار هذا التّرادف فإنّ معنى الموت تكرر في هذه القصيدة 19 مرّة، وهذا يجعلنا نتساءل لم تجنّب الشّابي كلمة "الموت" في ثلاثة مواطن من قصيدته واستعاض عنها بكلمات "الرّدى" و"الممات" و"المنون"؟ هل السبب ضرورة عروضيّة تتمثّل في الالتزام بتفعيلات بحر المتقارب؟ أم خشية الشّابي من ضجر القارئ فقلّص عدد مرّات تكرار كلمة "الموت" إلى 16 عوضاً عن 19؟ أم أنّ السبب بيان وجود فروق دلالية بين هذه الكلمات رغم التّرادف والانتماء إلى نفس الحقل المعجمي؟

بالرجوع إلى الشّرح المعجمي ومعاني القصيدة للبحث عمّا تفيدته الكلمات "الرّدى" "الممات" "المنون" من دلالات تنضاف إلى الدلالة على السكون¹⁵ فجعلت الشّابي يستخدمها عوض كلمة الموت، وجدنا أنّ هذه الكلمات استخدمت في الأبيات 4 و 10 و 22 للدلالة على الموت بمعناه المعجمي¹⁶:

إلى الموتِ إنّ شئتَ هَوْنُ الحَيَاةِ فَخَلَفَ ظِلَامُ الرّدى مَا تُرِيدُ
ولستَ براؤ إذا ما ضمئتَ من المنيّع العَذْبِ قَبْلُ المماتِ
هنالك خَلَفَ الفَضَاءُ البعيدِ يَعِيشُ المُنُونُ القَوِيُّ الصَّبُوحِ

فنحن بقراءة هذه الأبيات ومحاولة التأويل على المستوى المعجمي لا نجد معنى آخر للموت غير معناه المعجمي الأصلي الذي يفيد السكون وانعدام الحركة باستثناء البيت 22 الذي خصّه الشّابي بصورة مبتكرة تتمثّل في المجاز العقليّ في قوله "يعيش المنون القويّ الصّبح" فإسناد الفعل "يعيش" للمنون مجاز عقليّ الغاية منه الإعلاء من قيمة الموت في تضاد طريف بين الكلمتين "يعيش" و"المنون" يؤكّد به الشّابي أنّ الموت هو القوة العظمى التي لا تهزم، أمّا كلمتي "الرّدى" في البيت 4 و"الممات" في البيت 10 فإنّ

الغاية من الاستعانة بهما تقتصر على التنويع في الإيقاع والالتزام بوزن بحر المتقارب (فعولن فعولن فعولن x 2).

وكذلك لاحظنا حضور التكرار المعنوي فيما يتعلق بمعنى الحياة الذي حضر في القصيدة بكلمة " الحياة " 9 مرّات وحضر أيضا بكلمتي " الوجود " في البيت 2 و " الدهور " في البيتين 6 (2 x) و 11 وهنا نتساءل لماذا فضّل الشابي التكرار المعنوي على التكرار اللفظي؟ ولماذا اختار كلمة الدهور ولم يختار كلمة الدهر؟ هل الغاية إحداث إيقاع أم أنّ الغاية هي المبالغة التي تتحقّق بصيغة الجمع؟ تعرّف المعاجم العربيّة "الحياة" بأنّها نقيض الموت¹⁷، وقد كرّر الشابي كلمة "الحياة" 9 مرّات، وعبر عنها في مواطن أخرى من قصيدته ب "الوجود" و "الدهور"، ففي البيت الثاني من القصيدة:

أُنشدُ صوتَ الحَيَاةِ الرّخيمِ وَأنتَ سجينٌ بهذا الوجودِ

الغاية من الاستعاضة عن كلمة "الحياة" بكلمة الوجود غاية عروضيّة لأنّ وزن البحر والقافية لا يستقيم إذا ما استخدم كلمة "الحياة" فكرر معنى "الحياة" بكلمة مرادفة هي " الوجود"¹⁸ أمّا في البيتين 6 و 11 فقد استبدل كلمة "الحياة" بكلمة " الدهور ":

إلى الموتِ إنّ عذبتك الدهورُ ففي الموتِ قلبُ الدهورِ الرّخيمِ
فما الدّمعُ إلّا شرابُ الدهورِ وما الحزنُ إلّا غذاءُ الحَيَاةِ

لاحظنا في هذين البيتين أنّ الشابي إلى جانب استغنائه عن كلمة "الحياة" لم يستخدم كلمة "الدهر" بصيغة المفرد بل استخدم صيغة الجمع " الدهور"، كان يمكن أن يكتفي الشابي بكلمة " الدهر" فيستجيب المعنى¹⁹ ويستقيم وزن البحر الشعري إلّا أنّ حرصه على المبالغة هو الذي يجعله يعتمد صيغة الجمع.

لقد كشف التكرار المعنوي عن نفس قلقه ترفض الحياة وترى في الموت عالما مغريا بالإقبال عليه. لذلك يمكن القول إنّ حرص الشابي على إبلاغ هذه الفكرة الخارجة عن النظرة التقليديّة للموت هو الذي جعله يعتمد التكرار أداة للإبلاغ والتأكيد.

إنّ نظرة الشابي إلى الحياة والموت اتّسمت في هذه القصيدة بازدياد الحياة والتّفور منها في مقابل تمجيد الموت ، وإذا ما ربطنا هذه القصيدة بتاريخ كتابتها وهو سنة 1928 قبل أن يُفجع بوفاة أبيه التي غيّرت نظرتّه إلى الموت، فقد كشفت قصائده التي كتبها إثر تغييب الموت لوالده عن نفسيّة قلقة مضطربة تتخذ من الكتابة مجالا رحبا للتّفيس من حالة الحزن والإفصاح عن مختلف الانفعالات النفسيّة، وقد

جمعت تلك الفترة الزمنية بين فقدان الأب واشتداد وطأة داء القلب فغيّر هذان العاملان من نظرتيه إلى الموت فتحولت من تمجيد الموت إلى اعتباره عدواً حرمه والده، وبذلك يمكن القول أنّ الشابي انخرط ضمن الرؤية الرومنطيقية التي كثيراً ما تقدّم الموت في صورة طريفة مغايرة لصورة الموت التقليدية التي وردت في الأدب العربي القديم إلاّ أنّه عندما تعلّق الأمر بتجربته الذاتية مع الموت عاد إلى نقطة البداية وهي نظرة الأدباء العرب القدامى إلى الموت. وخير مثال على ذلك قصيدة " يا موت " المنظومة على مجزوء الكامل، والتي رثا بها الشابي والده²⁰ وقد اتّسمت بقوة التعبير والكشف عن البعد الدّائمي الطّاغي على القصيدة، وقد تناول فيها موضوع الموت من زاويتين: الأولى زاوية الشابي باعتباره ضحية الموت، والثانية من زاوية "الموت" باعتباره خصماً معادياً للشابي، ونذكر منها هذه الأبيات:

يا مَوْتُ قَدْ مَرَّقْتَ صَدْرِي وَقَصَّمتُ بِالْأَرْزَاءِ ظَهْرِي
وَرَمَيْتَنِي مِنْ حَالِقِي وَسَحَرْتَ مِنِّي أَيَّ سُحْرِ
فَلْبِشْتُ مَرَضُوضَ الْفُؤَادِ أَجْرُ أَجْنَحَتِي بَدْعُ
وَقَسَّوْتُ إِذْ أَبْعَيْتَنِي فِي الْكَوْنِ أَذْرُعُ كُلِّ وَغْرِ
وَفَجَعَتَنِي فِي مَنْ أَحَبُّ وَمَنْ إِلَيْهِ أَبْتُ سِرِّي²¹

وفي هذه القصيدة اعتمد الشابي تكرار الفعل " فقدت " ستّ مرّات لتسليط الضوء على شدة

وطأة الفقد ولرسم ملامح نفسية بائسة صاحبها ضحية من ضحايا الموت:

فَفَقَدْتُ رُوحًا طَاهِرًا، شَهْمًا يَجِيئُ بِكُلِّ خَيْرٍ
وَفَقَدْتُ قَلْبًا هُمًّا أَنْ يَسْتَوِي فِي الْأَفْقِ بَدْرِي
وَفَقَدْتُ كَفًّا فِي الْحَيَاةِ تَصُدُّ عَنِّي كُلَّ شَرٍّ
وَفَقَدْتُ وَجْهًا لَا يُعَبِّسُهُ سِوَى حُزْنِي وَضُرِّي
وَفَقَدْتُ نَفْسًا لَا تَنِي عَنْ صَوْنِ أَفْرَاجِي وَبِشْرِي
وَفَقَدْتُ رُكْنِي فِي الْحَيَاةِ وَرَأْيِي وَعِمَادَ قَصْرِي²²

وهذا يؤكّد تغير نظرة الشابي إلى الموت وتحولها من نظرة تفاؤل تخرج الموت من معانيه الدلالية

التقليدية إلى نظرة تشاؤم تعيد الموت إلى تلك النظرة التقليدية المتوارثة.

وخلاصة القول إنّ التكرار في قصيدة " إلى الموت " ساهم بنوعيه اللفظي والمعنوي في رسم ملامح

شخصية الشابي التي اتّسمت بالاضطراب والسخط والتأرجح بين التشاؤم والتفاؤل، فعند قراءة القصيدة

نعثر على تكرار دالّ على الضّعف والعجز في حياة مليئة بالشّور والآلام فتدفع الشابي إلى التّشاؤم ورفض الواقع، وسرعان ما نتفاجأ بتكرار آخر دالّ على القوّة والفرح والتّفاؤل يتجلّى بوضوح في حديث الشابي عن الموت ذلك العالم الغامض المنشود الذي يرى فيه الشابي سبيل الخلاص من الحياة التي يرفضها. وقد بنى الشابي قصيدته على هذه الثنائية الطريفة المبتكرة التي تتلخّص في ثنائية الحياة والموت. ولم يكن التكرار أسلوباً فنياً يحلّي به الشابي القصيدة بقدر ما كان إفصاحاً عن الانفعالات التّفسيّة المختلفة من حزن وفرح وغضب... وخطاً من قيمة الحياة وإعلاء من قيمة الموت. ويمكن القول إنّ التكرار في هذه القصيدة كان أداة للتعبير والتّواصل مع الآخر وللكشف عن نظرة الشابي إلى الحياة والموت ولتصوير الحالة التّفسيّة الخاصّة بالشاعر الرّومانيّ أبي القاسم الشابي.

قصيدة "إلى الموت"

صَبِيّ الحَيَاةِ الشَّقِيّ العنيد	أَلَا قَدْ ضَلَلْتَ الضَّلَالِ البعيد
أَتَشْدُ صوتَ الحَيَاةِ الرّخيم	وَأَنْتَ سجينٌ بهذا الوجود
وَتَطْلُبُ وَرْدَ الصَّبَاحِ المخ	صَبَّ مِنْ كَفِّ حَقْلٍ حصيد
إِلَى المَوْتِ إِنْ شِئْتَ هَوْنِ الحَيَاةِ	فَخَلَفَ ظِلَامُ الرَّذَى مَا تُرِيدُ
إِلَى المَوْتِ يَا ابْنَ الحَيَاةِ التَّعِيسِ	فَفِي المَوْتِ صَوْتُ الحَيَاةِ الرّخيم
إِلَى المَوْتِ إِنْ عَذَّبَتْكَ الدَّهْوَرُ	فَفِي المَوْتِ قَلْبُ الدَّهْوَرِ الرّخيم
إِلَى المَوْتِ فالموتِ روحٌ جميلٌ	يُفْرِفِرُ مِنْ فَوْقِ تِلْكَ العُيُومِ
فَرُوحاً بِقَجَرِ الخُلُودِ البهيج	وَمَا حَوْلَهُ مِنْ بَنَاتِ النُّجُومِ
إِلَى المَوْتِ فالموتِ جامٌ رويّ	لِمَنْ أَضْمَأَتْهُ سُمُومُ القَلَاةِ
ولست براؤ إذا ما ضمئت	من المُنْبَعِ العَذْبِ قَبْلَ المَمَاتِ
فما الدَّمْعُ إِلَّا شَرَابُ الدَّهْوَرِ	وَمَا الحَزْنُ إِلَّا غِذَاءُ الحَيَاةِ
إِلَى المَوْتِ فالموتِ مَهْدٌ وَثِيرٌ	تَنَامُ بِأَحْضَانِهِ الكَائِنَاتِ
إِلَى المَوْتِ إِنْ حَاصَرَتْكَ الخُطُوبُ	وَسَدَّتْ عَلَيْكَ سَبِيلَ السَّلَامِ
ففي عالمِ المَوْتِ تَنْصُو الحَيَاةِ	رِذَاءَ الأَسَى وَقِنَاعِ الظَّلَامِ
وتبدو كما خُلِقْتَ غَضَّةً	يَفِيضُ عَلَى وَجْهِهَا الإِبْتِسَامِ
تُعِيدُ عليها ظِلَالُ الخُلُودِ	وتَهْفُو عليها قُلُوبُ الأَنَامِ
إِلَى المَوْتِ لَا تَحْشُ أَعْمَاقَهُ	ففيها ضِيَاءُ السَّمَاءِ الوديعِ
وفيهَا تَمِيسُ عَذَارَى السَّمَاءِ	عَوَارِي يُنْشِدُنَ لَحْنًا بَدِيعِ
وفي رَاحِجٍ غُصُونُ النَّخِيلِ	يُحَرِّكُنَهَا فِي قَضَاءِ يَضُوعِ
تضيءُ بِهِ بَسَمَاتُ القُلُوبِ	وتخبو بِهِ حَسْرَاتُ الدُّمُوعِ
هو المَوْتِ طَيِّفُ الخُلُودِ الجَمِيلِ	وَنِصْفُ الحَيَاةِ الذي لَا يَنُوحِ
هنالك خَلَفَ الفَضَاءِ البعيدِ	يَعِيشُ المُنُونُ القَوِيُّ الصَّبُوحِ
يَضُمُّ القُلُوبَ إِلَى صَدْرِهِ	لِيَأْسُو مَا مَضَى مِنْ جُرُوحِ
ويبعثُ فيها رَيِّحَ الحَيَاةِ	ويُبْهِجُهَا بِالصَّبَاحِ الفُرُوحِ

أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة، ج 1، أغاني الحياة، ص ص. 111 - 113، الدار التونسية للنشر، تونس، أكتوبر 1984.

المصادر والمراجع

- ابن جنيّ أبو الفتح عثمان، الخصائص. تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط 4، 2005.
- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998.
- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1/ د ت.
- الشّابي أبو القاسم، الأعمال الكاملة، ج 1، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، أكتوبر 1984.
- المسديّ عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، الدّار العربيّة للكتاب، تونس، ط 3، 1973.
- ميلاد خالد، الإنشاء في العربيّة بين التّركيب والدّلالة، نشر مُشترك بين جامعة متّوبة والمؤسّسة العربيّة للتّوزيع، تونس، ط 1، 2001.

¹ انظر مراثيات الخنساء وخاصة قصائدها التي رثت فيها أباها صخرًا معبّرة عن تفجّعها ومعدّدة مناقبه.

² اعتبر كل من طرفة بن العبد وعنتر بن شداد الموت عدوًّا لا يمكن هزمه إلا بالشّجاعة والفروسيّة والخصال التي تخلّد ذكر الإنسان بعد موته.

³ ربط زهير بن أبي سلمى الموت بالحكمة فكشفت قصائده عن نفس حكميّة في تناول الموت، وذلك في إطار ثنائية الحياة والموت، والدّعوة إلى التّزوّد بالخصال التي تخلّد ذكر الإنسان بعد موته.

⁴⁴ انظر خمريّات أبي نواس وزهديّات أبي العتاهية.

⁵⁵ انظر مثلاً كتابات جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وعلي محمود طه.

⁶ الأعمال الكاملة، ج 1، أغاني الحياة، "إلى الموت"، ص ص. 111 - 113.

⁷ سيبويه، الكتاب، ج 2، ص. 360.

⁸ الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ص. 105.

⁹ ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، ج 3 ص ص. 102 - 104.

¹⁰ عبد السلام المسديّ، الأسلوبية والأسلوب، ص ص. 204، 205.

¹¹ الإنشاء في العربيّة بين التّركيب والدّلالة، ص: 484.

¹² عبد السلام المسديّ، الأسلوبية والأسلوب، ص. 40.

- ¹³ إلى الموت x 9 (العنوان والأبيات 4، 5، 6، 7، 9، 12، 13، 17)، في الموت x 2 (البيتان 5، 6)، فالموت x 3 (الأبيات 7، 9، 12)، في عالم الموت x 1 (البيت 14)، هو الموت x 1 (البيت 21).
- ¹⁴ تكررت كلمة "الحياة" 9 مرّات وذلك في الأبيات: 1، 2، 4، 5 (x 2)، 11، 14، 21، 24.
- ¹⁵ جاء في لسان العرب: "الموت: السكون، وكلّ ما سكن فقد مات". ج: 13، 14، ص: 148.
- ¹⁶ نستحضر هنا ما ورد في لسان العرب من شرح معجمي لهذه الكلمات:
- "الزدي: ردي: الزدي: الهلاك، ردي بالكسر من ردي، يرذى رذى: هلك، فهو رذ. والزدي: الهالك، وأرداه الله وأرديته أي أهلكته." ج 5، 6، ص: 140
- المنون: الموت لأنّه يؤمّل كلّ شيء يضعفه ويُنقصه ويقطعه... والمنون المنية لأنّها تقطع المدد وتنقص العدد." ج: 13، 14، ص: 134، 135.
- ¹⁷ جاء في لسان العرب: "الحياة: نقيض الموت... الحيّ كل متكلم ناطق. ج 3، 4، ص: 292، 293."
- ¹⁸ جاء في لسان العرب: "الوجود: وجد مطلوبه والشئ يجده وجودا.... وجد الشئ من عدم فهو موجود... ج 15، 16 ص: 156، 157."
- ¹⁹ - جاء في لسان العرب: "الدّهر: الأمد الممدود وقيل الدّهر ألف سنة... الدّهر الزّمان الطّويل ومدة الحياة الدّنيا... قال ابن سيده: وجمع الدّهر أدهر ودهور... الدّهر عند العرب يقع على بعض الدّهر الأطول ويقع على مدّة الدّنيا كلّها... وقال الأزهري: أراد بالزّمان الدّهر. الجوهري: الدّهر الزّمان. ج 5، 6، ص: 313، 314."
- ²⁰ فقد والده في سبتمبر 1929، ونظم هذه القصيدة في 1 أكتوبر 1929، وقد صدرها بمقدّمة ذكر فيها أنّها قصيدة في رثاء والده: "هي صرخة من صرخات نفسي المملوءة بالأحزان والذّكريات، وشظيّة من شظايا هذا القلب المحطّم على صخور الحياة، قتلها في أيّام الأسى التي تلت نكبتى بوفاة الوالد، رحمه الله." (الشابي، الأعمال الكاملة، ج 1، أغاني الحياة، ص: 137).
- ²¹ الأعمال الكاملة، ج 1، أغاني الحياة، "يا موت"، ص: 137.
- ²² المرجع السابق، ص: 139.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الأبعاد البنيوية و الدلالية و المعرفية في السرد العربي القديم

(قصة هارون الرشيد والرجل الأموي أنموذجا)

باحثة في سلك الدكتوراه نهيلة لمليح

جامعة ابن طفيل، المغرب

nouhaila.lamlih2@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/05/29 م تاريخ التحكيم: 2021/06/07 تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص بالعربية:

إن السرد في مفهومه المتعارف عليه هو حديث يسرد من قبل سارد، وهذا الحديث يكون متسلسلا ومتسقا بشكل منطقي.

عرف العرب أنواعا مختلفة من السرد مثل الحكاية والمقامة والنادرة والأسطورة، هذه السرد مرت بمراحل بلورت مواضيعها وعناصرها و بنيتها. كما أن السرد أثبت على مر العصور أنه ليس أداة للمتعة فقط، بل هو أداة للمعرفة، هذه المعرفة التي تنتجها البنية الحكائية والبنية الدلالية.

فالمعرفة في السرد لا تشبه المعرفة التي نجدها في المجالات العلمية، لأنها تعتمد على بنية حكاية تتطافر لإنتاجها، فقد تأتي المعرفة في شكلا حدث حكاية، أو قد تأتي في شكل شخصية، أو قد تقدم على لسانها، ونستطيع أيضا الخروج بمعرفة انطلاقا من دلالات علائق الشخصيات، وغيرها من العناصر الحكائية.

الكلمات المفتاحية: السرد، المعرفة، القديم، العربي، الأبعاد، البنية، الدلالة.

the structural, semantic, and cognitive dimensions of the Old Arabic narrative

(the story of Harun al-Rachid and the Umayyad Man as a model)

PhD student / nouhaila lamlih

ibn tofail university, morocco

nouhaila.lamlih2@gmail.com

Abstract:

The narrative in it's common sense is a talk narrated by a narrator, and this talk is logically sequential and consistent.

arabs have known different types of narrative such as a tale, an anecdote, legendary stories, these narratives went through stages that crystallized their themes, elements and structure.

knowledge in narrative is not similar to the knowledge that we find in the scientific fields, because it depends on an anecdotal structure that is combined to produce it, knowledge may come in the form of an anecdotal event, or it may come in the form of a character, or it may be presented by its own self, and we can also come up with knowledge based on the connotations of the relation of the characters, and other elements of storytelling.

Keywords: the narrative, the knowledge, old, the dimensions, the semantic, the structure.

مقدمة

للغرب موروث سردي غني يمتاز بخصوصياته الفنية واللغوية والثقافية ولحضرارية، التي تحتاج للدراسة والتحليل، لاستنطاق عناصره وبنيته وذلك من أجل استخلاص أبعاده وأنساقه ودلالاته. فتحليل هذه النصوص فنيا وتركيبيا واستجلاء مكوناتها السردية، وتفكيك بنيتها الحكائية، ورصد أبعادها المعرفية بالتأكيد سيثير الدراسات السردية و لبحث العلمي. لذلك ارتأينا في هذه الدراسة تناول نص سردي عربي قديم، بالتحليل وذلك بالاعتماد على بعض المناهج الحديثة بشكل يراعي خصوصية هذا الموروث السردى العربى ويلائم مكوناته الحكائية.

إن لب هذه الدراسة هو تفكيك البنية الحكائية لهذا النص السردى، والكشف عن الأبعاد المعرفية التي ينطوي عليها. فاخترت هذه الدراسة لرد الاعتبار للسرد العربى القديم، وإظهار قوته سواء من حيث التركيب أو اللغة أو المعرفة، ثم الكشف عن خصوصيات هذه النصوص السردية وما يميزها سواء مقابل النصوص العربية الحديثة، أو النصوص الغربية. إضافة إلى الرد على من يعتبرون أن السرد أنشئ للتسلية والترفيه فقط، وأنه لا يضم أي نوع من المعرفة، ومن أجل هذا سنحاول في هذه الدراسة إظهار البنية المعرفية لهذا النص كجواب على أن السرد يتضمن المعرفة، وأنه لم ينشأ للتسلية فقط كما يعتبره البعض.

وهكذا سنقوم بتعريف موجز للسرد بصفة عامة وبالسرد العربى القديم بصفة خاصة، ثم سنغوص في بنية القصة المختارة لتفكيك بنائها السردى والفنى، للتوصل إلى دلالتها ومن ثم إلى بنيتها المعرفية، مع رصد تفاعل البعد الحكائى مع البعد المعرفى داخل هذا النص .

1 -مصطلح السرد و السرد العربي القديم :

إن السرد في مفهومه اللغوي و ماء جاء في معظم المعاجم والقواميس العربية هو "تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعاً"¹. " وسرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له." ² أي أن السرد يفيد تتابع الحديث بشكل متسق في سياق معين.

في حين أن السرد في الاصطلاح هو: "الحديث أو الإخبار (كمنتج أو عملية وهدف وفعل وبنية وعملية بنائية) لواحد أو أكثر من واقعة حقيقية أو خيالية (روائية) من قبل واحد أو اثنين أو أكثر(غالبا ما يكون ظاهرا) من الساردین وذلك لواحد أو اثنين أو أكثر (ظاهرين غالبا) من المسرود لهم"³. بمعنى أن السرد مصطلح يطلق على إنتاج حكايات إخباري يخص أحداث متخيلة أو حقيقية واقعية ، ويتم هذا الحكي من قبل السارد أو مجموعة من السارد، لصالح المسرود له الذي بدوره قد يكون واحدا أو مجموعة. إن السرد العربي قام على المرويات والأخبار و الحكايات، مما أسفر على تنوع سردي ما بين الأسطورة، الحكاية، النادرة، المثل، الخبر، ولكل نوع من هذه الأنواع خصائصه التركيبية و الفنية و النسقية. كما أن هذا السرد العربي تدخل في تركيبه تأثره بالأحاديث النبوية، خصوصا الإسناد إذ نجد أن لهذه النصوص إسناد، إذ تسند من راو إلى راو حتى يصل إلى الراوي الأول. هذا الإسناد يضيف لها نوعا من الحقيقة والصدق، فالملتقي عندما يجد أمامه عنصر الإسناد في النصوص يصدق ما سرد ويتأكد من حقيقته،" وكما أن الصلة قوية وضروية بين السند و المتن، فقد تجلت بالصورة نفسها في المرويات السردية بين الراوي والمروي."⁴ أي أن المرويات التي تكون بدون سند يعتريها الشك و الخيال، أما التي تتضمن الإسناد فتكون قد أخذت صفة الحقيقة والواقعية، مثلها مثل الأحاديث النبوية التي تصنف بين صحيح وضعيف بفضل قوة الإسناد فكذلك الأمر بالنسبة للسرد العربي في علاقته بالإسناد.

كما أن مواضيع السرد العربي القلم سايرت القضايا السياسية والاجتماعية لعصرها والروحية، فكانت مثلها مثل الشعر تتحدث بلسان تلك العصور بكل ما حملته من مظاهر اجتماعية وسياسية وعقائدية.

ومن هنا ظهر ما سمي بالقصص الإسلامي، وحظي القاص برعاية كبيرة كانت له مكانة مهمة في المجتمع يجتمعون حوله عامة الناس طامعين في قصصه الوعظية الروحية. إذ اتصف "قصص القرن الأول وشطر من القرن الثاني بالورع والتقوى وكانوا قضاة أو محدثين وكثير منهم من الصحابة و التابعين أو أتباع التابعين، وحيثما ذكروا تلحق بهم صفات الإجلال و الثقة دائما. إن⁵ قصص القصص الإسلامي كانت لهم مكانة كبيرة لأنهم اتصفوا بالتقوى وكانوا من نخبة المجتمع الشيء الذي أسهم في إقبال الناس على القصص.

إذن فالعرب حكوا الخبر والأسطورة والنادرة والحكاية التي ينتمي لها النص الذي نحن بصدد دراسته. فالحكاية هي "مجموعة الوقائع والمواقف حسب ترتيبها أو مساقها الزمني أو الكرونولوجي".⁶ أي أنها تضم مجموعة من الأحداث التي تحكى حسب تسلسلها الزمني. "وتكون أجزاء الحكاية في تفاصيلها وحملها بمثابة حلقات متتابعة تقوم فنيا مقام الإقناع المنطقي عن طريق الإيحاء الفني والخيال المحكم".⁷ إذ يشترط في الحكاية أن تكون أحداثها متتابعة ، حدث يؤثر في حدث في علاقة سببية منطقية، وذلك بشكل يساوي التسلسل الفني الإقناع المنطقي.

كما أن الحكايات العربية تنقسم إلى حكايات هزلية تنقل لنا أخبار الشطار والمحتالين وكون هدفها الإمتاع، وحكايات وعظية تنقل قضايا اجتماعية وسياسية ودينية، ويكون هدفها النصح وأخذ العبرة.

2 -البعد البنيوي حكاية هارون الرشيد والرجل الأموي:

كما أن بنية الحكاية تتكون من مجموعة من العناصر السردية:

- **الراوي:** وهو "الشخص الذي يروي الحكاية، أو يخبر عنها، سواء أكانت حقيقية أو متخيلة ولا يشترط أن يكون اسما معينا، فقد يوارى خلف صوت أو ضمير يصوغ بواسطة المروي بما فيه من أحداث أو وقائع".⁸ بمعنى أن الراوي قد يكون شخصا معينا وهو صاحب الحكاية كما يمكن أن صوت يمثل شخصية من شخصيات الحكاية. وفي حكاية هارون الرشيد و الرجل الأموي نجد ثلاثة رواة، وهنا يتجلى الإسناد في السرد العربي القديم ، فأول راو هو منارة و الثاني هو أمية الهشامي وهو الذي أسندت إليه الحكاية، إذ جاء في بداية النص: "عن أبي أمية الهشامي بإسناده، عن مناره صاحب الخلفاء قال"⁹. فهذا النص يوضح لنا بجلاء الراويين الأولين له، ثم الراوي الثالث هو القاضي التنوخي، صاحب كتاب الفرج بعد الشدة وهو الذي اقتطف منه هذا النص.
- **المروى له:** المروى له هو الذي يستقبل ما ينتج عن الراوي، وقد يكون المروى له شخصا من داخل كما قد يكون من خارجها. وفي الحكاية المدروسة نجد المروى له شخصا من خارج الحكاية، وهو أمية الهاشمي، الذي يشكل راو بالنسبة للقاضي التنوخي، كما يشكل مروى له بالنسبة لمنارة.
- **المروى:** وهو "ما يصدر عن الراوي"،¹⁰ أي المادة الحكائية التي تتشكل في صيغة أحداث يحكمها شخصيات في إطار زمكاني.

-الأحداث: يعني الحدث انتقال من حالة إلى أخرى في قصة ما، و لا قوام للحكاية إلا بتتابع الأحداث واقعة كانت أو متخيلة، وما ينشأ بينهما من ضروب التسلسل أو التكرار.¹¹ فالأحداث هي أساس الحكاية، وقد تكون أحداثا واقعة، كما قد تكون متخيلة، و هي الأفعال التي تنتج عن الشخصيات، أو ما يقع لها. وما يجب التنبيه إليه في هذا الصدد أن الأحداث تتناسل وفق منطق سببي، فكل حدث يولد حدثا آخر، إذ يظهر هذا المنطق جليا حينما يراعي الكاتب التسلسل الزمني للأحداث، أما إذا خل بهذا

التسلسل وبدأ القصة من نهايتها أو من وسطها فسيكون إدراك هذا المنطق أمراً غير متيسر إلا بعملية الاسترجاع المتكررة للأحداث الماضية التي كانت سبباً في الأحداث الحاضرة،¹² أي أن الأحداث الحالية سببها أحداثاً سابقة تنتجها و تتسبب في حدوثها بشكل يدخل المتلقي في حالة اقتناع.

وتنقسم الأحداث وفق أهميتها:

- حدث رئيس: هو الحدث الذي يتحكم في تغيير مجرى القصة، وقد يكون عبارة عن عقدة القصة وحلها لأنهما حدثان مهمان لأنهما مسؤولان عن تغيير ملامح القصة وتطويرها.
 - حدث فرعي: وهو الحدث المرتبط بالحدث الرئيس، ناتج عنه أو مؤد إليه،¹³ بمعنى أن الحدث الفرعي يكون إما نتاج حدث رئيسي أو سبب حدث رئيسي، وتتميز هذه الأحداث الفرعية بكثرتها فهي تسهم في رسم مجرى القصة لكن بطريقة أقل من الحدث الرئيس.
 - حدث العابر: "الذي يرتبط بالشخصيات العابرة التي ليس لها أي درو مؤثر في سير الأحداث."¹⁴ بمعنى أن الأحداث العابرة لا تؤثر بأي طريقة على سير الأحداث الأخرى.
- و يرجوعنا إلى أحداث نص هارون الرشيد و الرجل الأموي، يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

● الأحداث الرئيسة:

- قلق هارون الرشيد من خبر الرجل الأموي.
- إرسال هارون الرشيد منارة إلى دمشق لإحضار الرجل الأموي وتقصي خبره.
- إحضار منارة الرجل الأموي إلى هارون الرشيد.
- إخلاء هارون الرشيد سبيل الرجل الأموي و رجوعه إلى أهله، بسبب تأكيد هارون الرشيد من زيف الخبر الذي وصله بخصوص الأموي.

● الأحداث الفرعية:

- إخبار هارون الرشيد لمنارة بملاحظة كل مايدور حوله في دار الرجل الأموي، وبحفظ كلامه وأفعاله.
- وصول منارة لبيت الرجل الأموي و استقبال أولاد الرجل الأموي له.

- انتظار منارة للرجل الأموي حتى ينتهي من وضوئه وصلاته.
- مناداة الرجل الأموي لمنارة باسمه ليدعوه للأكل.
- استغراب منارة من مناداة الرجل له باسمه .
- خوف منارة من الرجل الأموي و رفضه مشاركته الأكل.
- إخبار منارة الرجل الأموي سبب مجيئه.
- تقبل الرجل الأموي ما أخبره به منار.
- توديع الرجل الأموي لأهله ومرافقته لمنارة إلى هارون الرشيد.
- استغراب منارة من تفاؤل الرجل الأموي، ومن حديثه عن بساتينه وهو مقيد نحو العذاب.
- غضب الرجل الأموي من استغراب منارة لأنه دليل على سداخته وقلة فهمه.
- وصول منارة إلى و الرجل الأموي إلى هارون الرشيد.
- إخبار منارة هارون الرشيد بكل ما رآه و بكل ما قاله الرجل الأموي وفعله.
- إدراك هارون الرشيد زيف الخبر الذي وصله، بفضل ما أخبره منارة.
- رجوع الرجل الأموي إلى أهله بسبب عفو هارون الرشيد عنه.
- الأحداث العابرة:
- طلب أولاد الرجل الأموي باستعجاله بأمر من منارة.
- توصيل الرجال خبر وصول منارة.
- دوافع الأحداث :
- لكل حدث في الحكاية له دوافع التي تنتجها و تخلقه، فهذه الدوافع تتنوع بين دوافع اجتماعية، و دوافع ظرفية، ودوافع سياسية، و دوافع إيمانية، دوافع ذاتية. فأحداث حكاية هارون الرشيد مع الرجل الأموي لها مجموعة من الدوافع ، فالدوافع التي جعلت هارون الرشيد يرسل في إحضار الرجل الأموي، أولاً نجد الدافع الظرفي الذي تجلّى في توصله بخبر وجود رجل أموي عظيم الجاه يطمع في الخلافة، ثم دافع ظرفي تجلّى في خوف هارون الرشيد على مصالحه من الرجل الأموي. أما الدوافع التي جعلت منارة يستغرب ويخاف من الرجل الأموي، أولاً نجد الدافع الظرفي الذي تجلّى فيما رآه

وعاينه، من عدم أكثرات الرجل وعدم قلقه من حضور منارة، بل استقبله مطمئنا ودعاه لتناول طعامه، وأدى صلاته كأن منارة غير موجود. أما الدوافع التي جعلت الرجل الأموي مطمئن البال و غير خائف هناك الدافع الإيماني الذي تجلّى في إيمانه بقضاء الله وقدره، ثم الدافع السياسي الذي تجلّى في ثقته في سياسة هارون الرشيد الذي لن يظلم رجلا طيبا مثله.

– الشخصيات:

الشخصية هي "عنصر من العناصر البنائية للرواية ، فبدون الشخصية لا توجد قصة أو رواية... فهي المحرك لعجلة السرد، بل هي مادته الأساسية".¹⁵ بمعنى أن الشخصية هي تلك العجلة التي تجعل الأحداث تتناسل وتتدافع ، و هي لب السرد لأنها تجعل مادة حيوية قابلة للاستمرار وفق منطق سببي تسلسلي. يتم الحديث عن الشخصية على حسب دالها و مدلولها، فدال الشخصية هو: "صفاها الخارجية ومظهرها وشكلها".¹⁶ أما مدلولها فهو أكثر دقة وعمقا فهو يشير إلى "صفاها الداخلية وأفعالها وأحوالها و أهدافها التي تشيء بعقليتها ونفسياتها، وانتمائها العقدي والفكري".¹⁷ ويرجعنا للحكاية المدروسة نجد أنها تضمن ثلاث شخصيات وهو: هارون الرشيد، منارة، الرجل الأموي، لم يتم ذكر أية صفة من صفاها الخارجية، وهذا ما يميز السرد العربي القديم، إذ أنه سرد يهتم بمدلول الشخصيات من خلال أدوارها وأفعالها، غير متهم بصفاها وشكلها الخارجيين.

وبالاعتماد على مدلول الشخصيات وخصوصا أفعالها نستطيع تقسيمها إلى شخصيات رئيسة تحرك أهم أحداث الحكاية، وشخصيات ثانوية تتعامل بشكل مباشرة مع الشخصيات الرئيسة، تؤثر في الأحداث بصفة أقل، ثم شخصيات عارضية لا يكون لها أي تأثير في الأحداث.

فالحكاية اشتملت على شخصية رئيسة وهي هارون الرشيد، شخصيتين ثانويتين وهما منارة والرجل الأموي، إضافة إلى شخصيات عارضية لم يكن لها أي دور في الحكاية وهم أهل الرجل الأموي، وخدم هارون الرشيد. و في نطاق مدلول الشخصيات أيضا يمكن تقسيمها حسب أحوالها إلى شخصية ضعيفة، قوية، ظالمة.. الخ. إذ أبانت أفعال هارون الرشيد، على أنه شخصية خائفة ومتوترة وقلقة، وتجلى ذلك

عندما أخبر مناره أن خبر الأموي منع النوم، إذ حين جاءه منارة قال له هارون الرشيد : إني دعوتك لأمر منعي النوم، فانظر كيف تعمل وتكون.¹⁸ و ظهر قلقه في موضع آخر حينما طلب من منارة إخباره بكل ما رأى وما جرى، فأثناء حوارهما قال هارون الرشيد لمنارة: فإذا دخلت داره افتقدتها و جميع ما فيها وولده و أهله وحاشيته وغلماينه ومايقولون، وقدر النعمة والحال والمحل واحفظ ما يقوله الرجل حرفا حرفا من جميع ألفاظه منذ وقوع طرفك عليه، إلى أن تأتيني به.¹⁹ هذان القولان يظهران إلى أي حد أفلق الخبر الذي وصل هارون الرشيد، بخصوص الرجل الأموي الغني الذي يطمع في الخلافة.

كما أنها شخصية حذرة، ظهرت هذه الصفة في إرساله منارة إلى الرجل الأموي ليتقصى خبره، ويتأكد من الخبر الذي وصل له هل حقا يطمع الأموي في خلافة هارون الرشيد أم أن الخبر مجرد كذب. أيضا ظهرت كشخصية حكيمة كريمة ذات شهامة، و ذلك حينما أدرك أن ما قيل في الرجل الأموي هو مجرد خبر كاذب، فأحضر الرجل الأموي و عامله بأدب واعتذر منه على سوء الفهم و طلب منه الافصاح عن طلباته كهدية اعتذار.

أما شخصية منارة، فهي شخصية خائفة تجلى خوفها حينما أخذ رجال الأموي من كان يرافقه من غلمان إلى دار أخرى، فأصبح برفقة خمسة رجالا فقط بين الأمويين فعبّر عن خوفه بقوله هذا: " وجزعت جزعا شديدا و رابني منه استخفافه بي وتهاونه بأمرى.²⁰ كما أنه شخصية حذرة تبين ذلك من خلال تفقدها لدار الأموي ومن حوله من أبنائه وأهله، ومن خلال تمنعها من أكل طعام الأموي. إضافة إلى أنها شخصية ساذجة، قليلة الفهم، أبان عن ذلك في حوارها مع الرجل الأموي واستغرابه من تشبث الرجل بذكر الله وبالأمل، إذ أن أثناء حديثهما سأل منارة الرجل عن كلامه عن البساتين وهو في طريقة للموت، فأجابه الرجل الأموي بأنه قليل الفهم و عقله من عقول العموم.

أما شخصية الرجل الأموي فهي الشخصية الوحيدة التي نجد وصفا لحالتها الداخلية بمصطلحات واضحة، ليس مثل الشخصيات السابقة التي استشفنا صفاتها من أفعالها، إذ ورد في الحكاية أنه جواد كثير البذل والضيافة. كما أن أفعاله توحى بأنه رجل دين ومؤمن تجلى ذلك من خلال حرصه على الصلاة قبل

بجالسة منارة، إيمانه بقضاء الله و قدره فهو كان في طريقه للعذاب لكن ثقته في الله جعلته مطمئنا. كما أنه رجلا سريع الغضب ظهر ذلك في حوار مع منارة حينما استغرب منارة من إيمانه بقضاء الله وقدره، فلم يكلمه حتى وصلا إلى هارون الرشيد. إضافة إلى أنها شخصية قنوعة وعفيفة، طلب منه هارون الرشيد الإفصاح عن حاجاته المادية، فأخبره أن حاجته الوحيدة هي رجوعه إلى أهله.

لكن هذه التقسيمات لا تكفي للغوص في مدلول الشخصية، فمدلولها لا تتضح أبعاده إلا في علاقاتها ببعض البعض، فنوع العلاقة التي تجمع بين الشخصيات يزيد من وضوح مدلولها، لأن الشخصيات تحتك ببعضها البعض الشيء الذي يؤدي إلى إنتاج مجموعة من العلاقات.

فالحكاية المدروسة تتضمن ست علاقات، وهي:

■ علاقة هارون الرشيد بالرجل الأموي:

- تجمع بينهما علاقة خليفة عباسي بأحد رعاياه.
- علاقة حذر وخوف: تجلت هذه العلاقة في خوف هارون الرشيد وقلقه من أمر الأموي.
- علاقة تجسس: ظهرت هذه العلاقة في إرسال هارون الرشيد لمناره لتقصي خبر الرجل الأموي.
- علاقة اعتذار: حينما أدرك هارون الرشيد أن الرجل الأموي هو طيب ولا نية له في الخيانة اعتذر منه عن تصرفه معه.

■ علاقة الرجل الأموي بهارون الرشيد:

- علاقة احترام: تجلت هذه العلاقة في إعجاب الرجل الأموي بحكمة هارون الرشيد و احترامه لفكره.
- علاقة اطمئنان: ظهرت هذه العلاقة في اطمئنان الرجل الأموي لأمر الخليفة هارون الرشيد، فهو كان مقيدا نحو العذاب، لكنه مطمئنا لهارون الرشيد بسبب معرفته لحكمته وشهامته.

■ علاقة هارون الرشيد بمنارة:

- علاقة خليفة بصاحبه .
- علاقة ثقة: تجلت هذه العلاقة في ثقة هارون الرشيد في منارة حينما أخبره عن الأموي، وصدق في كل كلام قاله عنه.

■ علاقة منارة بهارون الرشيد.

- علاقة طاعة: بما أن هارون الرشيد هو الخليفة فمن الطبيعي أن يكون منارة مطيعا له.
- علاقة خدمة ومساعدة: تجلت هذه العلاقة في مساعدة منارة لهارون الرشيد لمعرفة خبر الرجل الأموي.

■ علاقة الرجل الأموي بمنارة :

- علاقة مطلوب بطالبه.
- علاقة صاحب الدار بضيفه
- علاقة غضب: تجلت هذه العلاقة في غضب الرجل الأموي من منارة بسبب قلة حكمته و سوء فهمه.

■ علاقة منارة بالرجل الأموي:

- علاقة باحث بغايته.
- علاقة حذر وخوف: تجلت هذه العلاقة في خوف منارة من الرجل الأموي حينما ذهب إليه في داره و بين أهله.
- علاقة استغراب: ظهرت هذه العلاقة في استغراب منارة من اطمئنان الرجل الأموي وهو في طريقه للعذاب.

كما أن الشخصيات تقسم حسب نمائها داخل الحكاية، إلى شخصية متنامية تتكون صفاتها من بداية القصة إلى نهايتها أو شخصية ثابتة غير متنامية. فشخصية هارون الرشيد شخصية متنامية بدءا من قلقها إلى حكمتها، أما شخصية منارة شخصية ثابتة في سداحتها و قلة فهمها، في حين أن الرجل الأموي شخصية ثابتة في طيبته وتعففها، وتدينها.

- الفضاء:

هو من مكونات السرد، داخله تدور الأحداث وتحيا الأفعال ، فهذان العنصران لا بد لهما من وعاء يحتويهما وهو المكان. و الفضاء هو " مجموعة من الأمكنة تشترك في خاصية ما، تدور فيها أحداث معينة، فالجامعة مثلا فضاء يضم مجموعة من الفصول والمكاتب، أي أمكنة تشترك كلها في وظيفة أساسية هي

التعليم.²¹ كما أن الفضاءات تتحدد بوظيفتها و بخصوصيتها، وبالعلاقتها بالأحداث والشخصيات، وتأثيرها على نفسية الشخصية وأفعالها. و برجعنا للنص السردى المدروس نجد أن أحداثه دارت في فضاءات مختلفة، وهي الكوفة، ودمشق، ودار الرجل الأموي.

فالفضاء في حكاية هارون الرشيد و الرجل الأموي ينقسم إلى:

الكوفة: فضاء صريح يضم بلاط الخليفة هارون الرشيد، له هيئته ومكانته ووقاره، يشكل بالنسبة لهارون الرشيد مأواه وافتخاره، و يشكل بالنسبة للرجل الأموي المكان الذي سيتم تبرئته فيه من الخبر المزيف.

دمشق: فضاء صريح يضم دار الكوفي، يشكل هذا الفضاء ملجأ الرجل الأموي ومحل أمانه، ويشكل بالنسبة لمنارة غايته وهدفه.

دار الأموي: فضاء مغلق، مليئ بأولاد الرجل الأموي وأهله و رجاله، يشكل بالنسبة لمنارة فضاء الوحدة والخوف و الحذر، وهذا ما شعر به منارة حينما أخذوا رجاله إلى منزل آخر، وأصبح منارة لوحدة برفقة خمسة رجال بين الأمويين.

- الزمن:

ينقسم الزمن في القصة إلى زمن القصة وزمن السرد، فزمن القصة هو العصر العباسي وبالضبط زمن حكم هارون الرشيد، أما زمن سرد فهو زمن أبي أمية الهشامي باعتباره الراوي الأول للقصة. ذكرت بعض المفردات التي لها علاقة بالزمن، مثل مفردة الساعة فعندما دعا هارون منارة قال له اخرج الساعة، وهي ساعة خروج منارة من الكوفة، فالقصة لم تحدد زمن خروج منارة لكن تمت الإشارة إليه بالساعة دليلاً على عجالة الأمر. كما تم ذكر عدد أيام رحلة منارة وهي كما عبر عنها هارون ستة أيام لذهابه وستة أخرى لإيابه ويوم لعوده وهي في الجمل سبعة عشر يوماً، كما أنها تمثل مدة انتظار هارون الرشيد للفرج.

كما أن هناك زمناً نفسياً تم التعبير عنه بحالات الشخصية، فمنارة وهو مع الرجل الأموي في قعر داره عبر عن خوفه وقلقه من الرجل، فحتماً سيكون زمناً نفسياً مرطويلاً، باعتبار أن اللحظات السيئة تمر بطيئة تجعل الإنسان يشعر بكل دقيقة ألم فيها. وهناك زمناً نفسياً آخر وهي المدة التي تتوسط لحظة وصول الخبر لهارون الرشيد و لحظة وصول منارة إليه، فهي مدة مرت قاسية مقلقة منعت النوم عن عين هارون الرشيد.

- التحولات:

إن أساس السرد هو تحولات الأحداث و الشخصيات، والعلائق بينها، فهي التي تضيف على السرد ديناميكية واستمرارية.

• تحولات الأحداث:

مرت أحداث قصة بتحويلات منطقية، متجاوزة حالة التوازن التي حددها تودوروف في بداية القصص إلى حالة الاضطراب التي بدأت بتوصل هارون الرشيد بخبر الرجل الأموي الذي يريد الاستيلاء على الخلافة، وإرساله لمنارة لإحضار الرجل، فهذا النص خرج من تحديدات تودوروف للمقطع السردى، الذي ذهب إلى أن كل حكاية تبتدئ بتوازن ثم يليها اضطراب. لكن هذا النص السردى ابتداء مباشرة باضطراب، ثم حالة اختلال التوازن الذي تجلّى في إتيان منارة بالرجل الأموي لهارون الرشيد. بعد هذا الاختلال نجد اضطراباً معاكساً تجلّى في معرفة هارون الرشيد بزيف الخبر الذي وصله. ثم في النهاية حدثت حالة التوازن الفريد التي تجلّت عفو هارون الرشيد عن الرجل الأموي وإعادة أهله.

• تحولات الشخصيات :

عرفت شخصيات القصة مجموعة من التحويلات على مستوى صفاتها الداخلية: إذ تحولت من شخصية خائفة وحذرة وغاضبة حينما وصلها خبر الرجل الأموي، إلى شخصية مطمئنة و حكيمة حينما أخبره منارة بما رأى وسمع في رحلته مع الرجل الأموي. في حين تحولت شخصية منارة من شخصية مندفة وغاضبة أثناء وصوله لبيت الرجل الأموي، إلى شخصية خائفة وحذرة حينما تعرف على الرجل الأموي وشاهد اطمئنانه. كما تحولت شخصية الرجل الأموي من شخصية قريية من الموت حينما اقتاده منارة إلى هارون الرشيد، إلى شخصية حرة وسالمة حينما عفا عنه هارون الرشيد.

• تحولات العلائق:

إن تحولات الأحداث و الشخصيات تنتج تحولات على مستوى علائق الشخصيات، تحولت علاقة هارون الرشيد بالرجل الأموي من علاقة خوف وحذر في البداية حينما وصل الخبر الزائف لهارون الرشيد إلى علاقة اطمئنان. وتحولت علاقة الرجل الأموي بهارون الرشيد من علاقة رجل أغضب خليفته، إلى علاقة عفو وتسامح حينما أدرك هارون الرشيد زيف الخبر وحسن نية الرجل الأموي. كما تحولت علاقة

منارة بالرجل الأموي من علاقة خوف حينما أصبح منارة لوحده مع بضعة رجال أمام الأموي ورجاله، إلى علاقة استغراب بسبب اطمئنان الرجل الأموي وهو في طريقة إلى الخليفة. وتحولت علاقة الرجل الأموي بمنارة من علاقة اطمئنان في بداية تعارفهما، إلى علاقة غضب حينما اتهمه منارة بقله عقله بسبب إيمانه بالقضاء والقدر.

- الثنائيات في القصة :

تعتمد هذه القصة على مجموعة من الثنائيات المتضادة، ترتبط هذه الثنائيات بأحول الشخصيات وبعلاقتها ببعض البعض، وتحولاتها، وبالأحداث وتحولاتها.

أولها ثنائية الخروج و الدخول المرتبطة بحدثين وهما دخول منارة دمشق وخروجه منها، ومن جهة أخرى مرتبطة هذه الثنائية بدخول الأموي الكوفة وخروجه منها. وثنائية الانفصال والاتصال المتعلقة بشخصية الرجل الأموي، فبعدما اتصل الأموي بالموت حينما وصل إلى هارون الرشيد، انفصل عنه حينما عفا عنه هارون الرشيد. كما أن نفسية هارون الرشيد تمدنا بثنائية الخوف والأمان، إذ عندما وصله خبر الأموي شعر بالخوف ولكنه أحس بالأمان حينما أدرك بزيف خبر الأموي. إضافة إلى أن علاقة الرجل الأموي بهارون الرشيد أنتجت ثنائية القلق والاطمئنان، إذ في مقابل قلق هارون الرشيد من أمر الرجل الأموي، كان هذا الأخير مطمئناً لهارون الرشيد ولحكمته وسياسته. وكما أن حدثي وصول خبر الأموي لهارون الرشيد، وتأكيد هارون الرشيد من الخبر، كون ثنائية الكذب والصواب، تجلّى الكذب في خبر الأموي، أما الصواب تجلّى في الكلام الذي حكاه منارة لهارون الرشيد ومن خلاله تأكد من زيف الخبر.

أما شخصيتي هارون الرشيد و منارة فمثلاً ثنائية الفطنة السداجة، تجلّت الفطنة في هارون الرشيد الذي يتميز بذكائه وحكمته، أما السداجة تجلّت في منارة الذي اتصف ببساطة فهمه، وقلة حكمته. كما أن شخصيتي كل من الرجل الأموي ومنارة ولدتا ثنائية الثرثرة والصمت، تجلّت الثرثرة في الرجل الأموي الذي كان يحدث منارة عن بسائنيه وأراضيه، أما الصمت فتجلّى في منارة الذي قابل ثرثرة منارة بالصمت.

3 - البعد الدلالي في حكاية هارون الرشيد و الرجل الأموي:

من خلال ما تقدم يتبين أن النص يتضمن عددا من الدلالات، من بينها:

- دلالة تاريخية سياسية: تدل على أن الخليفة ليس مثله مثل عامة الشعب فهو سيتولى الحكم ويسير أمر العامة لذلك يجب أن تتوفر فيه صفات معينة، من بينها الحكمة والفطنة، وهذا ما اتصف به هارون الرشيد، بفضل حكمته وذكائه أدرك أن الخبر مزيف وأن الرجل طيب. وهذا الشيء الذي لم يستطع منارة إدراكه لأنه ليس خليفة ولا يملك من الدهاء ما يجعله يكتشف هذا الأمر، إذن فالدلالة التاريخية السياسية تجلت في أن من شروط الخليفة الذي سيسير الحكم والبلاد أن يتمتع بقدرات عقلية خاصة مثل الذكاء و الحكمة.
- دلالة حضارية: تجلت في كثرة البساتين، وكثرة طعام الرجل الأموي، وكثرة رجاله وأولاده الشيء الذي يدل على الغنى والرخاء الذي كان يتمتع بها الأمويون، ومن جهة أخرى يدل هذا الشيء على حياة أغنياء العصر العباسي ومظاهر غناهم وترفهم.
- دلالة خلقية: تجلت في امتناع الرجل الأموي عن الكلام مع منارة وترفعه عنه حينما أدرك سذاجته و سفاهته، وهو سلوك أخلاقي إيجابي يروج لفكرة السكوت أمام السفهية حكمة. كما تجلت هذه الدلالة في سلوك هارون الرشيد حينما أرسل منارة لجلب الرجل، وذلك قصد التأكد من الخبر الذي وصله، وهنا يكرس هذا السلوك أهمية التحقق من أي خبر قد يصلنا.

4 -البعد المعرفي في حكاية هارون الرشيد و الرجل الأموي :

المعرفة في لغة ارتبطت: "العرفان: العلم ، قال ابن سيده :ينفصلان بتحديد لا يليق بهذا المكان، عرفه يعرفه عرف وعرفانا وعرفانا ومعرفة واعترفه (...). ورجل عروف وعروفة: عارف يعرف الأمور ولا ينكر أحد. والعريف والعارف بمعنى مثل علي ، وعالم."²² فالمعرفة عند ابن منظور اقترنت بعلم، أي علم الشيء، أما المعرفة في الاصطلاح هي عملية عقلية يقوم بها الإنسان، من أجل الحصول على معلومات ما عن طريق الإدراك، أو استدعاء المعلومات عن طريق التذكر والتخيل، و الوصول الى المعلومة عن طريق عملية استدلالية. فالمعرفة هي الفعل الذي يتم من خلاله إدراك الشيء، وهي الفعل الذي يتم به الوصول إلى جوهر الشيء، وهي أيضا ما يتم إدراكه، وما يتم الوصول إلى جوهره هنا نطرح السؤال هل السرد يجعلنا نمارس هذه المعرفة لندرك ما فيه؟ هل يتضمن السرد معرفة؟

إن كل نص سردي يكون يتركز على " معرفة ما، تكون هي العنصر المحدد لخلفية النص ومقاصده وعلاقته بصوغ الرؤية للعالم. " ²³ فكل كاتب يعمل على استحضار موضوع معرفي ما يكون هو محور نصه، فيجعل السرد وسيلة لتقديم تلك المعرفة. فكل نص سردي يعتبر أداة تنتج للمعرفة، إلى جانب متعة التخيل والإبداع، تجمع بين استجلاء مظاهر المجتمع وحياته وأنماط مختلفة من الوعي وبين صياغة فنية ملائمة. فالمعرفة لا تلج النصوص السردية على شكل قوالب وأسماء وإحالات على كتب أو نظريات، ولكنها تتسرب من خلال التعليق على الحدث و تصوير الشيء، و طريقة في رؤيته ووصفه و تداوله. ²⁴ كما أن الكاتب "لا يوحي بأنه يريد أن يضمن نصه معرفة عالمية، ولكنه يث المعرفة في الحدث والشيء و الشخصية". ²⁵ إذن فالمعرفة لا تلج النصوص السردية عبر نظريات وعبر أسماء كتب، كما في المعرفة العلمية، ولكنها تلج عالم التخيل عبر الأحداث وعبر الشخصيات وعناصر السرد.

و برجعنا للنص المدرس نجد أنه تضمن ثلاث أنواع من المعارف وهي:

● **المعرفة التاريخية :** من خلال هذا النص تعرفنا على الخليفة هارون الرشيد و بعض من صفاته كالحذر و الفطنة والحكمة، وهذا ما أثبتته كتب السير إذ ورد في كتاب سير أعلام النبلاء أن الرشيد كان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك، ذا حج وجهاد وغزو و شجاعة ورأي. ²⁶ كما تعرفنا من خلال النص السردى على سنة بيع أمير المؤمنين الأمين و المأمون و المؤمن أولاده سنة 186هـ. وأن الخليفة هارون الرشيد تولى الحكم في القرن الثاني للهجرة، إضافة إلى معرفتنا على طبيعة العلاقة بين الأمويين والعباسيين، والتي اتسمت بالتوتر باعتبار أن العباسيين تولوا الحكم بعد الأمويين. كما تعرفنا على بعض المجالات الجغرافية التي كانت خاضعة للحكم العباسي وهي الكوفة ودمشق.

● **المعرفة الاجتماعية:** قدم لنا النص بعض المظاهر الاجتماعية لحياة الترف والغنى في العصر العباسي، من بينها حصول الأغنياء على الغلمان والصبيان، وعدم مجالسة الصبيان للأسياد، كما أن الغلمان يعتبرون أقل مكانة من الخدم. إضافة إلى امتلاك الأغنياء للبهائم والأراضي الكثيرة والشاسعة والممتدة. كما أن النص قدم لنا معرفة عن بعض المدن، وهي دمشق التي تتميز

ببساتينها، ومدينة الكوفة التي كانت مكان إقامة الخليفة هارون الرشيد، ومن بفضل النص أيضا تعرفنا على وجود مدينة بضواحي دمشق تسمى بالغوطة.

المعرفة الدينية: للنص طابع ديني إسلامي يجعل المتلقي يدرك أهمية الإيمان بقضاء الله وقدره، وتسليم أمرنا له، لأن هذا الأمر سيعود لنا بالمنفعة. كما أن الرجل الأموي نقل للمتلقي معرفة دينية، من خلال أفعاله التي تنم عن تدينه وتفضيله الصلاة قبل مجالسة منارة، من خلال أقواله التي كانت أغلبها عبارة عن عبارات دينية.

● **المعرفة اللغوية :** يفتح النص على تنوع معجمي غني مما جعله غنيا معرفيا، إضافة إلى لغته التقريرية والوصفية، يضم معجما دينيا، ومعجما عربيا رصينا.

المعجم الديني: يشتمل النص على عدد من العبارات الدينية مثل:

" الله عز و جل الذي بيده ملكوت السموات و الأرض ،شاهد كل نجوى، و كاشف كل بلوى، حاضر طل مريرة بيده ناصية الأمر."

"الله عز وجل الذي خلق و رزق، وأحيا وأمات وفطر وحبل وأحسن وأجمل، وألين الصبر والرضا والتفويض والتسليم إلى من يملك الدنيا والآخرة."

المعجم اللغوي الرصين: يتميز النص بأسلوب رصين يعتمد على كلمات، ومفردات تغني الرصيد المعجمي للمتلقي، مثل كلمة استربت التي تعني رهبت وخفت، و كلمة السفط التي تعني الوعاء، وكلمة فراسخ التي هي عبارة عن وحدة لقياس المسافة ، وكلمة النجب التي تعني الكرماء. وبما أن السرد يعكس الواقع وما يحمله من أنساق ثقافية اجتماعية وتاريخية، فهو يحمل المعرفة، التي تأتي على شكل أحداث أو على لسان الشخصيات، أو على لسان السارد.

الخاتمة:

إذن فالسرد العربي سرد غني يتميز بخصائصه الفنية الثقافية، وهو الشيء الذي أبان عنه نص هارون الرشيد والرجل الأموي. فالنص يمتاز بخصائصه الفنية المتمثلة في عدم اهتمامه بالأوصاف الخارجية للشخصيات، والتركيز على أفعال الشخصيات التي تساهم في فهم نفسياتها وعوالمها الداخلية. إضافة إلى خروجه عن التحديدات التي حددها تدوروف للمقطع السردية، إذ تجاوز حالة التوازن إلى حالة الاضطراب. كما أنه يمتاز بخصائصه الدلالية التي توحى إلى دلالات تاريخية وحضارية عربية خالصة. وأبان عن قدرة السرد على نقل

المعروف، وعلى أنه ليس مجرد وسيلة للتسلية، فالنص قدم معرفة تاريخية سياسية عن حكم هارون الرشيد، ومعرفة اجتماعية عن مظاهر الغنى في العصر العباسي، ومعرفة دينية، كما قدم معرفة لغوية تتميز بمعجمها الديني و بمعجمها اللغوي الذي يضيف إفادة للرصيد المعجمي لمتلقيه.

الهوامش:

- ¹أبن منظور ، لسان العرب، المجلد:3، ص: 211.
- ²المرجع نفسه، المجلد:3، ص: 211.
- ³جيرالد برانس، المصطلح السردى، ص: 145.
- ⁴عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، الجزء 1، ص: 7.
- ⁵المرجع نفسه، الجزء 1، ص: 125.
- ⁶جيرالد برانس، المصطلح السردى، ص: 83.
- ⁷محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص: 65.
- ⁸عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، الجزء 1، ص: 10.
- ⁹القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدة ، الجزء الأول، ص: 98.
- ¹⁰عبد الله إبراهيم ، موسوعة السرد العربي، الجزء 1، ص: 10.
- ¹¹محمد القاضي، معجم السرديات، ص: 145.
- ¹²محمد بن عبد العظيم بنعزوز، معجم مصطلحات الأدب الاسلامي، ص: 234.
- ¹³المرجع نفسه ، ص: 106.
- ¹⁴نفسه، ص: 106.
- ¹⁵نفسه، ص: 143.
- ¹⁶نفسه ، ص: 144.
- ¹⁷نفسه، ص: 144.
- ¹⁸القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدة، الجزء الأول، ص: 98.
- ¹⁹المرجع نفسه، الجزء الأول، ص: 98.
- ²⁰المرجع نفسه ، الجزء الأول ، ص: 99.
- ²¹محمد بن عبد العظيم بنعزوز معجم مصطلحات الأدب الإسلامي، ص: 153.
- ²²-لسان العرب ،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، المجلد التاسع، ص: 236.

²³ محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، ص: 70.

²⁴ امبرتو ايكو مقدمة اليات الكتابة السردية، ترجمة سعيد بنكراد، ص: 14.

²⁵ المرجع نفسه، ص: 15.

²⁶ الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 9، ص: 287.

لائحة المصادر و المراجع .

المصادر:

1 - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري، لسان العرب ، المجلد التاسع، دار صادر، بيروت الطبعة الثانية .

2 - اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، المجلد الرابع، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة، 1984.

3 - الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، الجزء الثاني، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ، 1992.

4 - القاضي أبي علي المحسن بن أبي قاسم التنوخي، الفرج بعد الشدة ، الجزء الأول ، مأخوذة عن نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1994.

5 - محمد بن عبد العظيم بنعزوز معجم مصطلحات الأدب الإسلامي، دار كنوز إشبيليا للنشر و التوزيع، الطبعة الثانية.

المراجع:

6 - امبرتو ايكو، آليات الكتابة السردية، ترجمة وتقديم، سعيد بنكراد ، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2009 .

7 - جيرالد برانس ، المصطلح السردى، ترجمة عابد خزندار، المجلس العالمي للثقافة، الطبعة الأولى، 2003.

8 - عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، الجزء الأول، المؤسسة العربية، طبعة جديدة، 2008.

9 - محمد برادة، الرواية العربية ورهان التجديد، دار الهدى، الطبعة الأولى، مايو 2011.

10 محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ،دار النهضة للطباعة و النشر، مصر، 1997.

11 محمد القاضي، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر ، الطبعة الأولى.

المعالجة الآلية للفعل العربي صوتيًا صرفيًا ونحويًا

الدكتورة سميرة عبد المالك

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان - الجزائر

abdelmaleksamira13@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/06/07 م تاريخ التحكيم: 2021/06/13 م تاريخ النشر: 2021/06/15 م
الملخص بالعربية:

تتعلق المعالجة الآلية للغة العربية بدراسة جوانب اللغة والمشاكل اللسانية الحاسوبية التي تواجه هذه المعالجة سواء كانت اللغة منطوقة أو مكتوبة، وبناء نظام معالجة اللغة العربية مهمة معقدة وصعبة، وذلك لصعوبة إدماج المعرفة الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية في هذا النظام، ولتسهيل ذلك يتم تقسيم النظام اللغوي للغة العربية إلى مكونات مستقلة، وتطبيق النمذجة على الفعل العربي لاستخراج الفعل العربي يتم بالاعتماد على عدد الحروف، وحروف العلة، ووجود الهمزة، كما يمكن إيجاد محلات إعراب الفعل العربي وجميع التغيرات التي تحدث لها عند ارتباطها بالجذور السابقة. و عليه فإن هذه الدراسة تهدف إلى الوقوف على أهمية المعالجة الآلية للغة العربية، و تسليط الضوء على قواعد خاصة بالفعل العربي و نمذجتها، وهذا من شأنه أن يُسهّل إدماج المعارف اللغوية في نظام محكم، و الوصول إلى خدمة اللغة العربية بفروعها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية خدمة تتماشى والتطور العلمي الحديث. الكلمات المفتاحية: المعالجة الآلية - البرمجة اللغوية - النماذج الصوتية والصرفية والنحوية .

The Automated Processing of the Arabic Verb Phonetically and Grammatically

Dr. Samira Abdelmalek

University of AbouBakr-Tlemcen- Algeria

abdelmaleksamira13@gmail.com

Abstract :

The automated processing in the Arabic language is more concerned about studying the aspects language issues which oppose such processing whether it was written or spoken. Constructing a processing system for the Arabic language is difficult and complicated because of the problem of integrating the phonetic , the grammatical , and the semantic knowledge in this system. In order to facilitate this process , the Arabic language system should be divided into separate components . The application of modeling to the Arabic verb to extract is relied on the number of

letters , the vowels, and the existence of the glottal stop (El-Hamza). It is also possible to find the grammatical functions of the Arabic verb and all its variants that may be occurred to it when it is associated to the previous roots.

Therefore, this study aims at identifying the importance of the automated processing of the Arabic language as well as spotlighting the rules of the Arabic verb and its modeling. The latter will potentially facilitate the process of integrating the linguistic knowledge in a successful system. Thus , it will serve the Arabic the Arabic language with all its levels (Phonetics , grammar , and semantics). This service goes hand in hand with the newly scientific development.

Keywords: The automated processing – The Neuro-Linguistic Programming (NLP) – The acoustic verbal and grammar models.

مقدمة:

إنّ هندسة اللّغة عنصر من عناصر هندسة المعرفة والذكاء الصناعي، ويهتمّ بتطبيق تقنيات الهندسة على الظواهر اللّغويّة، وينتج عنها برامج حاسوبية هدفها أتمتة علوم اللّغة واللّسانيات، وعلماء الكمبيوتر افترضوا الكثير من أسس اللّغات الطّبيعيّة لتطوير لغات البرمجة ومازالوا يسعون إلى التّقريب بين هذه اللّغات الاصطناعيّة و اللّغات الطّبيعيّة.

و تشتمل المعالجة الآلية على نظم البرمجة المستخدمة في المعالجة الآليّة بواسطة الكمبيوتر للفروع اللّغويّة المختلفة مثل: النّظام الصّوتي والصّرفي، و نظام الإعراب، و نظام التّحليل الدّلالي، وكذا التّطبيقات الّتي تقوم على النّظم اللّغويّة السّابقة الذّكر و الّتي تشتمل مثلاً: التّرجمة الآليّة، التّدقيق المحاسني والنّحوي، التّكشيف عبر كامل النّص والبحث العميق داخل المضمون.

و قد كانت أنظمة التّكشيف عبر كامل النّص تعتمد أوّل الأمر الطّريقة الإحصائيّة الّتي يقوم النّظام داخلها بحساب نسبة ترداد الكلمة داخل النّص ثمّ مطابقة الكلمات المفتاحيّة مع هذا التّردّد و تعمل هذه الأنظمة وفق ثلاث مراحل:

تبدأ بتقسيم النّص إلى مجموعة كلمات، ثمّ حذف الكلمات الّتي لا تحتوي على معنى باستخدام قائمة كلمات تُسمّى قائمة كلمات التّوقّف وصولاً إلى حساب نسبة ترداد الكلمة في النّص.

غير أنّ هذه الطريقة لم تعالج إشكالية التّكشيف بدقّة كافية، لذا اتّجه الباحثون إلى معالجة مكونات النصّ في حدّ ذاتها مستعينين بعلم اللّسانيات والحاسوب لإنشاء محرّك بحث للتّكشيف الآلي عبر كامل النصّ وفق مستويات اللّغة :

المستوى الصّوتي و المستوى المورفولوجي، والمستوى النّحوي والمستوى الدّلالي.

عمل هذا التحليل على كفاءة التّكشيف وجعل النتائج أكثر دقّة، كما جعل قاعدة بيانات المحرّك قليلة الحجم، ولإنشاء قاعدة البيانات هذه علينا بناء نموذج لساني دقيق يُراعي خصائص اللّغة من جهة ويعتمد على تقنيات التّمدجة الحاسوبية من جهة أخرى، وفي هذا الإطار جاء بحثنا كمحاولة لإيجاد نموذج صوتي وصرفي ونحوي للفعل العربي.

و لمعالجة إشكالية البحث ارتكزنا في بحثنا على نقاط وهي:

1 - مصطلحات البحث

2 - مستويات وطرق المعالجة الآلية للغة العربيّة

3 - الفعل في اللّغة العربيّة

4 - التّمودج اللّساني للفعل العربي

1 - مصطلحات البحث :

✓ التّمودج اللّساني الصّوتي والصّرفي والإعرابي:

أ. التّمودج:

تعمل التّمدجة على إنشاء تمثيل بسيط مهيكّل لمشكلة ما وينتج عنها ما يسمّى التّمودج، وهي تعتمد على عدّة طرق استدلال لتحقيق هدف ما، ولانجاز تمّذجة لمشكلة أو نظام ما¹، ويتم ذلك على مرحلتين:

- التّحليل: دراسة المشكلة من جميع الجوانب.

- الإنجاز: (La conception) :بالاعتماد على طرق معينة يتم انجاز نموذج يعبر عن

المشكلة أو التّظام².

ب. اللسانيات:

علم اللسان: "هو الدراسة العلمية الموضوعية للسان البشري أي دراسة تلك الظاهرة العامة والمشاركة بين بني البشر بغض النظر عن كل الاعتبارات الأخرى التي لا تعدّ من صلب اهتمام اللسانيين"³. وقد حدّد ديسوسير مجال علم اللسانيات بقوله إنّه: "دراسة اللسان منه وإليه" أي من أجله ولذاته، بهدف اكتشاف المميزات العامة المشتركة بظاهرة اللسان البشري من خلال دراسة اللغات الطّبيعية في حدّ ذاتها"⁴.

وفي سياق تطوّر علم اللسان تاريخياً، تشارك مع عدّة علوم لمعالجة بعض الظواهر وأهم هذه العلوم الحاسوب؛ فنشأ عنه علم اللغة الحاسوبي الذي يهتم بدراسة ظواهر اللسان البشري باستخدام تقنيات الحاسوب وذلك من أجل إنشاء برمجيات الترجمة، التصحيح الآلي، التّكشيف الآلي.

ت. علم الصّوت:

يُعدّ علم الأصوات أحد فروع علم اللسانيات، ويُعنى بدراسة الصّوت الإنساني بصفة عامّة، باعتباره مادّة حيّة ذات تأثير سمعيّ، وهذه الدراسة لا تشمل بطبيعتها التّنظر في الوظيفة الصّوتية ولا القوانين التي تحكم بنيتها، إنّما تصبّ على الكيفيّة التّباينية لطبيعة الإنتاج الصّوتي وانتقالاته، ومن ثمّ استقباله"⁵.

ث. علم الصّرف:

يعرّف علم الصّرف في اللغة الفرنسيّة بأنّه "جزء من علم القواعد الذي يدرس شكل الكلمات والتّحويلات التي تطرأ عليها"⁶.

ويعرّف جون ديبوا علم الصّرف من وجهة نظر اللسانيات الحديثة بأنه يأخذ مفهومين هما:

"1- وصف القواعد البنيويّة الدّاخلية للكلمات أي قواعد تركيب و جمع المورفيمات لتشكيل الكلمات، و دراسة الإضافات التي تلحق الكلمات في أوّلها وآخرها، وكذلك دراسة مختلف التّحويلات التي تطرأ علي الجذر حسب صيغ الجمع والمفرد، التّوع، الوقت وحسب الحالة (الإعراب الاسمي والفعل).

2- هي وصف القواعد التي تشكّل البنية الدّاخلية للكلمات وطرق التّركيب التّحوي للجمل، وهي هنا تتداخل مع تركيب الكلمات وإعرابها ومع بناء المعجم و الصوتيات وفي هذه الحالة يُسمى: علم الصّرف التّحوي"⁷.

فعلم الصّرف هو العلم الذي تُعرف به صيغ الكلمات وأحوالها التي ليست بإعراب ولا بناء حيث يبحث عن الكلمات من حيث ما يعرض لها من تصريف وإبدال وبه تعرف ما يجب أن تكون عليه بنية الكلمة قبل تركيبها في جملة.

ج. المحل الإعرابي:

يعرّف الإعراب لغة بأنه: "مجموعة من القواعد الصوتية المورفولوجية والتحوّية المكتوبة والمسموعة للغة ما"⁸، ويرتبط الإعراب بعلم النحو الذي يصنّف القواعد التي تحدّد العناصر اللسانية المكونة للجمل والذي يُعرّف بأنه: "علم بأصول تُعرف بها أحوال الكلمات العربية من ناحية الإعراب و البناء أي من حيث ما يعرض لها في حالة تركيبها، فعليه تعرف ما يجب عليه أن يكون آخر الكلمة من رفع أو نصب أو جزم أو جرّ أو لزوم حالة واحدة بعد انتظامها في الجملة"⁹.

و يحدّد إعراب كلمة ما بعلامات تعرف بأنّها: " حركات صرفيّة تتمثّل في إضافة حركات وحروف إلى جذر الكلمة (Racine) لتشكل المجموعات الإعرابية (الجنس، العدد، التنوع)"¹⁰، وكذلك وظائف نحوية كالفاعل والفاعل و المفعول به .

✓ المعالجة الآلية للغة:

أ. المعالجة:

المعالجة من وجهة نظر علم اللغة الحاسوبي هي التطبيق الآلي على مجموعة من نصوص اللغة وذلك بتغييرها وتحويلها، وإبداع شيء جديد اعتمادا عليها، ويتم كلّ ذلك باستعمال تقنيات وأدوات من علوم اللسانيات والإعلام الآلي، والنّمدجة (modélisation)، ويجب التّفرة عند المعالجة بين وصف المعارف وهي وظيفة اللسانيات والتّعبير عن هذه المعارف في نماذج باستخدام تقنيات واستراتيجيات فعّالة مستمدّة من علوم الحاسوب وهي وظيفة علم اللغة الحاسوبي¹¹.

ب. الآلية:

العمليات الآلية هي التي تجري عن طريق الآلة والتي تقابلها العمليات التي تجري بواسطة الإنسان¹². والآلة التي تستعمل في المعالجة الآلية للغة هي الحاسوب الذي اخترع لإجراء العمليات الحسائية، لذا يجب تطويره لمعالجة المعلومات ذات الطبيعة اللسانية، حيث أنّ المعالجة الآلية هي تتابع

حركات حسابية تقوم بها الآلة وفق تسلسل زمني؛ أي أنّ برنامج المعالجة الآلية يمكن أن يكون كلياً أو جزئياً، حيث أنّ:

1 -الكلي : يقوم الحاسوب بكل شيء.

2 -الجزئي : يتدخل الإنسان في بعض المراحل.

ت.اللغة:

يختص الإنسان باللغة التي هي وسيلة للتعبير عن النفس والاتصال وذلك بواسطة مجموعة من الرموز وهي جزأين:المورفيمات وذلك إذا كان الاتصال مكتوباً و الفونيمات إذا كان الاتصال شفهيّاً. ولا تهدف المعالجة الآلية للغة لمعالجة اللغة في حد ذاتها، بل تهدف لمعالجة مجموع النصوص المطبوعة والمسموعة للغة ما، وإنجاز نظام معالجة اللغة يتطلب البحث عن المعلومات وإجراء دراسات في ميداني فهم النصوص وتعميمها¹³.

2 -مستويات وطرق المعالجة الآلية للغة العربية:

● مستويات المعالجة الآلية:

اتجه أخصائيو الحاسوب واللسانيون إلى معالجة مستويات اللغة (المستوى الصوتي المورفولوجي، النحوي، الدلالي) كلّ على حدة وذلك اعتماداً على نماذج لغوية محدّدة ودقيقة، حتى ينتج لدينا برمجيات تهدف إلى معالجة اللغة سطحياً.

أ.المستوى الصوتي المورفولوجي:

إنّ الدّراسة الصوتيّة هي دراسة للوحدات التي ليس لها معنى، أي دراسة للحروف خارج سياقها وقبل معالجة الكلمة آلياً لا بدّ من معالجة الحرف ذلك لأنّ لكلّ حرف رمز صوتيّ لا يُشَدّ عنه إلّا بوجود قانون محدّد، هذه القوانين التي يُمكن استعمالها في حوسبة اللغة العربية، أمّا الدّراسة المورفولوجية هي الدّراسة الشّكلية للوحدات التي لها معنى و التي تشكل الكلمات فمعلوم أنّ هذه الأخيرة تتكون من وحدات دالة صغيرة تعرف بالمورفيمات¹⁴.

وتحليل الكلمة إلى وحداتها الدالة الصغيرة يعطي لنا نوعين من المورفيمات:

- المورفيم المعجمي: وهو جذر الكلمة منزوع منه علامات التصريف والحالة ونجده داخل المعجم.

- المورفيم الإعرابي: هي جميع التحويلات التي تطرأ على الجذر حتى تميز أشكال التصريف، الشّخص، الزّمن والتّوع للفعل، أما الاسم فهي التّوع، الحالة و العدد.

ب. المستوى التّحوي:

الدراسة التّحوية للغة تعني دراسة طرق تركيب الكلمات في جملة، حيث أنّ الكلمات تأخذ أشكالاً وتُضاف إليها علامات عند بناء جملة، يهتم علم التّحو بهذه الظّاهرة ويعمل على استخراج هذه العناصر اللّسانية المكوّنة للجملة. وعلى المستوى التّحوي يظهر مصطلح الإعراب الذي يأخذ ثلاث مفاهيم وهي:

- أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة؛ ويعني حالات الرّفْع و التّصب و الجرّ والجزم النّاجمة عن العامل.

- عدم لزوم آخر الكلمة حالة واحدة وتأثرها بالعوامل؛ أي اختلاف آخر الكلمة باختلاف العوامل وهو يقابل البناء وتقسّم الكلمات بحسبه إلى مبنية ومعربة.

- الوظيفة التّحوية للكلمة في الجملة أو للجملة في النصّ كأن تكون فاعلاً أو مفعولاً به أو حالاً¹⁵.

ت. المستوى الدّلالي:

يهتم الجانب الدّلالي في التّحليل اللّغوي بالمعاني التي تحملها الكلمات وذلك بعد تحليلها صوتياً ومورفولوجياً ونحوياً. واتجهت الدّراسات الدّلالية للغة في اتجاهين رئيسيين:

- اتجاه يهتم بدراسة مفردات اللغة في معانيها وأصلها وتغيّر المعاني وتطوّرها وذلك هو علم المعجم.

- اتجاه يهتم بدراسة الدّلالات اللّغوية في حد ذاتها محاولاً اكتشاف العوامل التي تساهم في بلورتها والقوانين التي تنتظم بفعالها ويغلب على هذا الاتجاه ثلاث مدارس كبرى:

✓ نظرية المقام.

✓ النظرية السياقية .

✓ نظرية السمات المعنوية¹⁶.

وحتى تتمكن البرمجيات من معالجة اللغة دلاليًا يجب تمثيل المعرفة باستخدام الطرق التالية:

- تمثيل المعرفة في هيئة قواعد.

- تمثيل المعرفة بالشبكات الدلالية.

- أسلوب الدلالة الرسمية.

• طرق المعالج الآلية:

✓ الطرق المعتمدة على المعلومات المرتبطة بالنص:

- طريقة القوانين والمقاربة اللغوية.

- الطرق المعتمدة على المعرفة.

✓ الطرق المعتمدة على المعطيات المعالجة:

- نموذج ماركوف.

- الطرق التصنيفية.

- الطرق الإحصائية¹⁷.

معالجة اللغة حاسوبياً ليس بالشيء السهل أو اليسير، وذلك لما تنفرد به لغات البشر من خصائص قواعدية كالمرونة النحوية في التقديم والتأخير والحذف والإبدال النحوي وسواها، فضلاً عن الصّرف العربي وقواعده، لذلك فإن تطبيقات معالجة اللغة حاسوبياً يجب أن تتحدّد ضمن مجال محدّد من مجالات العلم والمعرفة دون الخوض في المجالات الأدبي، وتخضع اللغة في معالجتها إلى شقين أساسيين هما:

- التحليل أي تحليل النصوص والجمل بمفردها وكلماتها إلى عناصرها الأولية: الجذر و الوزن

الصّرفي، حيث يتولّى الجذر وضع البنية الأساسية للكلمة، ويتولّى الوزن وضع هيكلها العام،

- التوليد: أي توليد أو تكوين الكلمات و من ثمّ الجمل والنصوص اللغوية من المكونات

الأساسية للغة، وللوزن والجذر دور هنا أيضاً حيث يقوم الوزن بتوزيع الحركات على مختلف

حروف الجذر كما يقوم بتوزيع المورفيمات التي تُضاف إلى مكونات الجذر بغرض توليد الكلمات¹⁸، وعليه فإنّ تطبيقات معالجة اللغة حاسوبياً بشمولية يجب أن تتناول الشقين السابقين.

3 -الفعل في اللغة العربية:

تعتبر اللغة العربية من اللغات الاشتقاقية التي تكوّن مجموعة من الكلمات مرتبطة بمدخل معجمي، وتعبّر عن معاني متقاربة، وقد وجد علماء العربية أنّ معظم الأفعال العربية يكون جذرها ثلاثياً أو رباعياً ويرتبط هذا الجذر بمعلومات صرفية نحوية في أوله وآخره .

وتحليل الفعل مورفولوجياً نجده يتكون من : ما قبل السوابق، السوابق، جسم الفعل، اللواحق وينقسم الفعل العربي اعتماداً على عدد الحروف إلى نوعين: المجرد والمزيد، وقام علماء الصرف بوضع الميزان الصرفي ليعمل على تحديد نوع الفعل، وينقسم الفعل من حيث نوع الحروف التي يتكوّن منها الجذر إلى قسمين: فعل صحيح و فعل معتل. وينقسم الفعل التام إلى نوعين: فعل لازم وفعل متعّد، ويشترط في الجملة الفعلية وجود الفعل ويحتل المرتبة الأولى في الجملة، أمّا إذا وقع في الرتبة الثانية فإنّ الجملة لا تعتبر فعلية بل اسمية¹⁹.

4 -النموذج اللساني للفعل العربي:

سنحاول في هذا العنصر بناء نموذج لساني للفعل العربي وذلك مع الاستعانة بنموذج اللغة الفرنسية الذي يتكوّن من: قائمة محلات الإعراب

قواعد تغيرات الجذور

و قبل معالجة العنصرين السابقين و تطبيقهما على الفعل العربي لابدّ من الحديث عن المرحلة الأولى التي يجب أن يمرّ بها المختصّون في البرمجة اللغوية وهي برمجة الصّوت اللّغوي، بتحويل المنطوق إلى مكتوب، حيث أنّه وقبل تناول الجانب الفونولوجي من المعالجة الآلية للصّوت لابدّ من معالجته الجانب الفيزيائي له، باستخدام جهاز المطياف، الذي يقدّم ثلاثة أبعاد للموجة الصّوتية المرسومة وهي: بعد عمودي يمثّل التردّد ويُقاس بالهيرتز، ويُعدّ أفقي يمثّل زمن الموجة الذي يُقاس بالمليثانية، والبعد الثالث هو الشدّة ويُقاس بالديسيبل، دون إهمال لما يحدث للصّوت من تأثير وتأثّر وتغيّرات من خلال السّياق الوظيفي²⁰.

أ. محلات إعراب الفعل العربي:

للفعل العربي ستة مجموعات من علامات محلات الإعراب تشترك مع أفعال اللغات الأوربية في بعضها، لكن ينفرد الفعل العربي عن اللغات الأخرى في الجهة l'aspect، فلا يوجد جهة l'infinitif (ما قبل التصرف) للفعل، بل الفعل العربي في حالته العادية يكون متصرفاً في الماضي مع الضمير الثالث المفرد المذكر (هو)، ويتميز الفعل العربي بميزة خاصة ينفرد بها عن باقي الأفعال في اللغات الأخرى، فهو يمتلك زمان الزمن الضمري والزمن النحوي، وفي الجدول التالي نموذج محلات إعراب الفعل العربي:

الماضي	المضارع المرفوع	المضارع المنصوب	المضارع المجزوم	الأمر
أنا	أنا	أنا	أنا	أنا
نحن	نحن	نحن	نحن	نحن
أنت	أنت	أنت	أنت	أنت
أنت	أنت	أنت	أنت	أنت
أنتما	أنتما	أنتما	أنتما	أنتما
أنتم	أنتم	أنتم	أنتم	أنتم
أنتن	أنتن	أنتن	أنتن	أنتن
هو	هو	هو	هو	هو
هي	هي	هي	هي	هي
هما	هما	هما	هما	هما
هما	هما	هما	هما	هما
هم	هم	هم	هم	هم
هنّ	هنّ	هنّ	هنّ	هنّ

سينصب تركيزنا على الزمن الصّري لبناء التّمودج اللّساني للأفعال، ومن خلال الجدول أعلاه نلاحظ وجود 12 نوع محل إعرابي للفعل العربي، وهي نفسها في جميع أنواع الفعل، عكس نموذج اللّغة الفرنسيّة التي يكون كل نموذج فعلي يرتبط بمحالات أعراب خاصة به.

ب. قواعد تغيّرات الجذور:

يمكن نمذجة الجذور الصّحيحة حسب نوع الحروف إلى الأنواع التّالية:

الرقم	الجذر	الاسم	النموذج
1	ف ع ل	سالم	كتب
2	ف ع ت	سالم	ثبت
3	ف ع ن	سالم	حزن
4	ف ع ع	مضعّف	شدّ
5	ف ن ن	مضعّف	منّ
6	ف ت ت	مضعّف	بتّ
7	أ ع ع	مضعّف	أبّ
8	أ ن ن	مضعّف	أنّ
9	أ ت ت	مضعّف	أتّ
10	أ ع ل	مهموز	أزل
11	أ ف ن	مهموز	أذن
12	أ ف ت	مهموز	أبت
13	ف أ ل	مهموز	سأل
14	ف أ ن	مهموز	مأن
15	ف أ ت	مهموز	نأت
16	ف ع ت	مهموز	ظماً
17	ف ع أن	مهموز	طمأن

وكما هو ملاحظ من الجدول أعلاه غياب الأفعال الرباعية؛ لأنّ لها نوع واحد ولا يحدث لها تغيير عند تصريفها، كما أن محلات إعرابها تكون مثل الفعل السالم [ف ع ل] .
أمّا أنواع الجذور المعتلة المستعملة فيلخصها الجدول التالي:

18	و ع ل	معتلّ الفاء	وعد
19	ي ع ل	معتلّ الفاء	يتم
20	و ع ن	معتلّ الفاء	وهن
21	و ع ت	معتلّ الفاء	وقت
22	ي ع ن	معتلّ الفاء	يمن
23	و ع أ	معتلّ الفاء	وقي
24	و أ ل	معتلّ الفاء	وَأد
25	ي أ ل	معتلّ الفاء	يأل
26	ف و ل	معتلّ العين	قال
27	ف ي ل	معتلّ العين	خاف
28	ف و أ	معتلّ العين	عوا
29	ف ي أ	معتلّ العين	عيا
30	أ و ل ، أ ي ل	معتلّ العين	آل - يؤول
31	ف و ن ، ف ي ن	معتلّ العين	كان
32	ف و ت ، ف ي ت	معتلّ العين	فات
33	ف ع و	معتلّ اللّام	دعا
34	ف ع ي	معتلّ اللّام	رمى
35	أ ع و	معتلّ اللّام	أبا
36	أ و ي	معتلّ اللّام	أوي

37	ف أ و ، ف أ ي	معتلّ اللّام	فأي
38	و ع ي	معتلّ اللّام	وقي
39	ف و ي	لفيف مقرون	طوى
40	أ و ي	لفيف مقرون	أوي

هذا النموذج يُصنف الأفعال المجردة فقط أمّا الأفعال المزيدة فاعتماداً على طريقة الأوزان الصّرفيّة يمكننا الحصول على الجذر الأصليّ والحروف المزيدة للفعل، ثمّ يتمّ تصنيف الجذر في التّماذج السابقة أمّا أحرف الزّيادة فلا تؤخذ بعين الاعتبار عند هذا التّصنيف، بل تُستخدم في معرفة الزّمن التّحوي للفعل والمعنى الدّلالي.

خاتمة:

من خلال ما تقدّم يمكن استخلاص النّقاط التّالية:

1. تختلف اللّغة العربيّة عن اللّغات اللّاتينيّة عند معالجتها آلياً، وذلك لامتلاكها خصائص تنفرد بها.
2. اللّغة العربيّة لغة اشتقاقية إعرابية وتعتبر خاصيّة الاشتقاق الرّكيزة الأساسيّة لبناء الكلمات العربيّة ولكنّ الكلمات الجديدة لا تحافظ على نفس الجذر بل تحدث له عمليات صوتيّة صرفيّة مثل القلب والإعلال والإبدال ممّا يؤدي إلى صعوبة الحصول على الجذر.
3. يمكن إنشاء نموذج جذريّ إعرابيّ لأفعال اللّغة العربيّة يراعي خصائصها.
4. يمكن تطبيق نفس المنهجية الّتي استخدمت لنمذجة الأفعال الأجنبيّة على الأفعال العربيّة.
5. إنّ المعالجة الآليّة للفعل العربيّ ستساهم في تبسيط تصريف الأفعال العربيّة دون الحاجة إلى العودة لقوانين صوتيّة أو صرفيّة خاصّة بالنّسبة لغير النّاطقين باللّغة العربيّة كما ستزيد هذه البرمجة في نسبة المقبلين على تعلّم اللّغة العربيّة.
6. إنّ حوسبة اللّغة العربيّة جعلت المختصين في هذا المجال يدركون أنّ اللّغة العربيّة بناء متماسك لا يمكن الفصل بين مستوياته الصّوتيّة والصّرفيّة والنّحويّة والدّلاليّة.

الهوامش:

- ¹ -Cacaly, Serge .-Model.In : **Dictionnaire encyclopédique de l'information et de la documentation**, 1998 .- p. 403
- ² -Définition de model .- www.infoclickfr/ccm/uml/umlmodel.htm .<en line> visité le: 10.10.2007. a 20 :00 h
- ³ - خولة طالب الإبراهيمي : مبادئ في اللسانيات دار القصة للنشر والإشهار، الجزائر ، 2000 ص 05 .
- ⁴ - نفس المرجع، ص 9.
- ⁵ - ينظر: سليمان أبو بكر سالم: اللسانيات و المستوى الصوتي والدلالي في علم اللغة المعاصر، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 2009، ص: 27 .
- ⁶ -Le petit Larousse.- paris : Larousse, 2006.- p. 707.
- ⁷ -Jean Dubois.-La morphologie.- In : **Dictionnaire de linguistique et des sciences de langages**. paris : Larousse, 2001.- p 311.
- ⁸ -Le petit Larousse.- Idem.- p. 521.
- ⁹ - مصطفى الغلاييني:جامع الدروس العربية المكتبة العصرية .بيروت، 1997 ، ص331 .
- ¹⁰ -Le petit Larousse.- Idem.- p. 470.
- ¹¹ -Delafosse, Rionel .-Automatique.-In : Glossaire de linguistique computationnelle .- [En line] <http://pagesperso-orange.fr/idelafosse/glossaire/A.htm> .- Visité le : 18.11.2007.
- ¹² -Delafosse, Rionel .- Idem.
- ¹³ -Delafosse, Rionel.-La generation de texte.-In : Glossaire de linguistique computationnelle .- [En line] <http://pagesperso-orange.fr/idelafosse/glossaire/A.htm> .-Visité le : 18.11.2007. a 20 :00h.
- ¹⁴ - نايف خرما: أعضاء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، سلسلة عالم المعرفة، عدد 09، ص: 2.
- ¹⁵ - ممدوح محمد خسارة: مبادئ عامة في تسيير النحو، مجلة اللسانيات، 2003 ، ع 08 ، مركز البحوث العلمية والتقنية .لترقية اللغة العربية . ص 16 .
- ¹⁶ -Greg, Lessard.- Introduction à la linguistique française.-[en line] <http://post.queensu.ca/~lessardg/Cours/215/chap8.html> .-visite le 20-03-2008 a15:00h.
- ¹⁷ -Link- Pezet, jo.- **Ressources électroniques pour les étudiants**.- paris : Enssib, 2005.- p 94.

- ¹⁸ - ينظر: محمد الحناش: اللغة العربية والحاسوب: قراءة سريعة في الهندسة اللسانية العربية أو مقارنة في محاكاة الدماغ العربي لغويًا، جامعة الإمارات العربية المتحدة، أكتوبر، 2002، ص: 204.
- ¹⁹ - ينظر: أحمد الحملاوي: شذا العرف في فنّ الصرف، الشركة اللبنانية الجزائرية، الجزائر، 2007، ص: 33، 34، 35.
- ²⁰ - ينظر: نهاد الموسى: العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2000، ص: 272.

قائمة المصادر و المراجع:

✓ العربية:

1. أحمد الحملاوي: شذا العرف في فنّ الصرف، الشركة اللبنانية الجزائرية، الجزائر، 2007.
2. خولة طالب الإبراهيمي مبادئ في اللسانيات دار القصة للنشر والإشهار، الجزائر.
3. سليمان أبو بكر سالم: اللسانيات و المستوى الصوتي والدلالي في علم اللغة المعاصر، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، 2009.
4. محمد الحناش: اللغة العربية والحاسوب: قراءة سريعة في الهندسة اللسانية العربية أو مقارنة في محاكاة الدماغ العربي لغويًا، جامعة الإمارات العربية المتحدة، أكتوبر، 2002.
5. مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية المكتبة العصرية . بيروت، 1997 .
6. ممدوح محمد حسارة: مبادئ عامة في تسيير النحو، مجلة اللسانيات، 2003، ع 08 ، مركز البحوث العلمية والتقنية . لترقية اللغة العربية.
7. نايف خرما: أعضاء على الدراسات اللغوية المعاصرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978، (سلسلة عالم المعرفة، عدد) 09 .
8. نهاد الموسى: العربية نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 2000.

✓ الفرنسية:

9. Cacaly, Serge .-Model.In : **Dictionnaire encyclopédique de l'information et de la documentation**, 1998 .
10. -Delafosse, Rionel.-La generation de texte.-In : Glossaire de linguistique computationnelle.-[En line] **<http://pagesperso-orange.fr/idelafosse/glossaire/A.htm>** .-Visité le : 18.11.2007. a 20 :00h.
11. – Définitiondemodel **www.infochickfr/ccm/uml/umlmodel.htm** .<en line> visité le: 10.10.2007. a 20 :00 h
12. Greg, Lessard.- Introduction à la linguistique française.-[enline] **<http://post.queensu.ca/~lessardg/Cours/215/chap8.html>**-.visite le 20-03-2008 a15:00h.
13. Jean Dubois.-La morphologie.- In : **Dictionnaire de linguistique et des sciences de langages**. paris : Larousse, 2001.
14. Link- Pezet, jo.- **Ressources électroniques pour les étudiants**.- paris : Enssib, 2005.
15. -Le petit Larousse.- paris : Larousse, 2006.

توظيف الحكاية بالمدرسة الابتدائية : المفهوم والأسس اللسانية والنظرية

اليشوي سعيد، طالب باحث في سلك الدكتوراة

كلية علوم التربية، الرباط، المغرب

said.elyaci@hotmail.fr

تاريخ الإيداع: 2021/06/06 م تاريخ التحكيم: 2021/06/11 م تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص بالعربية:

إن الهدف الأساسي من هذه المقالة هو التعرف على الأسس النظرية و اللسانية التي تؤسس وتدعم توظيف الحكاية في حقل التربية و التعليم، وقد تناولنا في البداية مفهومها لغة واصطلاحاً، ثم قدمنا تعريفاً للحكاية الشعبية والخرافية، وأشرنا أيضاً إلى مبررات إدماجها في البرامج الدراسية، و كتمكلاً لما سبق استعرضنا المنهجية المتبعة في التدبير الديدائكتيكي للحكاية في المستويات الثلاثة الأولى بالمدرسة الابتدائية المغربية، وبعد ذلك عرجنا على المرجعيات التربوية و اللسانية التي توطر عملية استثمار الحكاية و المتجلية في الحقول العلمية ذات الصلة، ونذكر منها :علم نفس النمو، وعلم النفس المعرفي، وعلم النفس اللغوي و اللسانيات العصبية، وسيكولوجيا اللعب، وفي الأخير حاولنا تقديم دراسة نقدية حول إدراج الحكاية في مكون الاستماع و التحدث في إطار المنهاج الدراسي المغربي .

الكلمات المفتاحية: الحكاية، التدبير الديدائكتيكي، الأسس اللسانية والنظرية، الاستماع والتحدث

Employing the tale in primary school: concept, linguistic and theoretical foundations

Elyachioui Said, phd research student

Faculty of Education sciences, Rabat, Morocco

Said.elyaci@hotmail.fr

Abstract

The main objective of this article is to identify the theoretical and linguistic foundations that establish and support the employment of the tale in the field of education and teaching, and we have first dealt with its concept in language and idiom. We have provided a definition for the folk and superstitious tale, and we have also referred to the justifications for its inclusion in study programs. And, as a continuation of the above, we reviewed the methodology used in didactic management of the tale in the first three levels of the Moroccan elementary school, and after that we referred to the educational and linguistic references that frame the

process of its investing and manifesting itself in the relevant scientific fields, and we mention: the psychology of growth, and cognitive psychology, linguistic psychology, neurolinguistics, and game psychology, and in the end we tried to present a critical study on the inclusion of tale in the listening and speaking component of the Moroccan curriculum.

Keywords: Tale, Didactic management, Linguistic and theoretical foundations, Listening and speaking.

مقدمة

قامت وزارة التربية الوطنية بمراجعة منهاج اللغة العربية للتعليم الابتدائي كي يواكب المستجدات المعرفية والتربوية، وأيضا من أجل تعزيز ودعم نجاعته ووظيفيته التي طالما طالب بها المجتمع بإلحاح، فشرعت مديرية المناهج في تحيين الكتب المدرسية لجميع مستويات التعليم الابتدائي لتوافق ما جاء به المنهاج المنقح للغة العربية ابتداء من الموسم الدراسي 2018-2019.

تماشيا مع هذه المستجدات أعطى المنهاج الدراسي للغة العربية مكانة خاصة لمكون الاستماع والتحدث، فأصبح مكونا مستقلا على مستوى الحصص والمواضيع المدرجة بغية تطوير مهارتي فهم المسموع و الإنتاج الشفوي.

وقد استعان منهاج اللغة العربية بكل من الحكاية التعليمية والوضعية التواصلية في السنوات الثلاث الأولى لتنمية هاتين مهارتين، وذلك من منطلق أن تعلم اللغة العربية يكون مدخله الطبيعي الممارسة الشفهية سمعا وتحدثا ومنها يتم الانطلاق لتعلم القراءة والكتابة.

إن الحكاية التعليمية مورد بيداكتيكي مهم لكل المدرسين والفاعلين التربويين بمختلف تخصصاتهم تبرز أهميته في تحفيز البنيات المعرفية للمتعلمين، وتيسير فهمهم واستيعابهم لما يقدم لهم في فصولهم الدراسية، ومما لا شك فيه أن لاستثمار الحكاية التعليمية فوائد جمة سيدعم تعليم اللغة العربية، نظرا لما تحمله من أبعاد لغوية وأدبية وفنية وتربوية، فماذا نقصد بالحكاية التربوية؟ وماهي الأسس النظرية و اللسانية التي يبنى عليها توظيفها في المجالين التربوي و التعليمي؟ وماهي الشروط والمعايير المطلوبة في تدريسها؟ وكيف يتم تدبيرها ديداكتيكيا؟ وما هي الملاحظات التي يمكن تسجيلها على تجربة إدراجها في البرامج التعليمية المغربية؟

1. مفهوم الحكاية

1.1. لغة

يحتاج البحث في المفهوم اللغوي للحكاية ضرورة الوقوف والنظر في أبرز ما ذكرته وجاءت به المعاجم العربية المتنوعة، حتى نستطيع ضبطه ضبطاً دقيقاً. جاء في لسان العرب لابن منظور:

"حكى: الحكاية : كقوله حكيت فلانا وحاكيتته فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجازه، وحكيت عنه الحديث حكاية، حكوت عنه حديثاً في معنى حكيت وفي الحديث أي فعلت مثل فعله يقال: حكاه وحاكاه، وأكثر ما يستعمل في القبيح المحاكاة، والمحاكاة المشابهة، وأحكيت العقدة، أي شددتها".¹

وفي المعجم الوسيط:

"حكى الشيء حكاية أتى بمثله وشابهه، يقال هي تحكي الشمس حسناً وعنه الحديث نقله فهو حاك والحكاية ما يحكى ويقص وقع أو تخيل".²

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة : "حكى، يحكى احك حكاية، فهو حاك، والمفعول محكى، حكى الأمر رواه وقصه "حكى القصة - حكى ما حدث" حكى مع فلان: تكلم معه-يحكى أن: عبارة تقال عند البدء برواية قصة أو حديث، قلده أتى بمثله "حكى حركات رفيقه-حكاه في سلوكه" حكى الشيء شابهه "وجهها يحكى القمر، إشراقاً". حكى عنه الحديث وغيره: نقله وقصه، حكى عليه، نم".³

يستخلص من التعريفات اللغوية للفظ الحكاية أنها تشترك في إعطائها معنى المماثلة والوصف للأحداث الحقيقية والخيالية.

1.2. اصطلاحاً

يعرفها العلامة الشريف الجرجاني كما يلي: "الحكاية عبارة عن نقل كلمة من موضع إلى موضع آخر بلا تغيير حركة ولا تبديل صيغة، وقيل الحكاية : "إتيان اللفظ على ما كان عليه من قبل".⁴

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة اعتبرها الدكتور عمر أحمد مختار بأنها: "ما يحكى ويقص سواء أكان واقعيا أو خياليا".⁵

ويرى الدكتور أحمد نجيب أن الحكاية هي العنصر الأول الذي يدخل في تكوين القصة، وهي مجموعة من الأحداث والوقائع المرتبة والمتسلسلة زمنيا، وتميز بتراكيبها الأدبية البسيطة، وهي العامل الأساس الذي يجمع بين مختلف الكتابات المعقدة كالرواية⁶، ففي الحكاية ما يهم هو توالي الأحداث، بينما في الحكبة يتم التركيز على الدوافع و الأسباب.

توظف الحكاية عنصر التشويق لتبقى محافظة على انتباه وتركيز المستمع أو القارئ، وتسعى إلى الاستجابة إلى حب الاستطلاع الذي يميز المتعلم في هذه المرحلة، وتروم تحقيق العديد من الأهداف الأخلاقية والعلمية واللغوية والتربوية، وأصل الحكاية شفوي، وكلنا يتذكر حكايات الجدات والأمهات التي كنا نستمتع بسماعها من أفواههم قبل النوم، وللأسف الشديد انقرضت هذه الظاهرة أو كادت بفعل تغير نمط الحياة وظهور وسائل تكنولوجيا أخرى أكثر شدا للانتباه وهي التلفاز والحواسب.

2. أنواع الحكايات

1.2. الحكاية الشعبية

إن الحكاية الشعبية مروية خرجت من رحم الخيال الشعبي، وهي قرية من الواقع فهي تعكس الاهتمامات المتنوعة للناس ومعتقداتهم الأسطورية، وتكون شخصيات أبطالها آدمية أو حيوانية تستغل لتمرير بعض الرسائل والأفكار.⁷

وهناك من يعرف الحكاية الشعبية بأنها السرد القصصي الذي يتداوله الناس جيلا بعد جيل، وهذا السرد منسوب إلى مؤلف أو مجهول صاحبه و مصدره⁸، ويعتمد على الحكايات الشعبية كمصدر مهم من المصادر الرئيسة لأدب الطفل تغني خيالاته وتقوي معارفه، والحكاية الشعبية أنواع من الحكايات المكتوبة أو المنطوقة تتضمن مواقف اجتماعية أو أخلاقية أو سياسية يحاول الإنسان إيجاد حلول لها موظفا شخصيات افتراضية تتصف بالحكمة و الذكاء و العقل لتجاوز هذا الوضع الصعب⁹، ويقول أحمد سمير عبد الوهاب بأنها: "القصة التي ينسجها الخيال حول حدث تاريخي أو بطل شارك في صنع التاريخ لشعب من الشعوب، ومن سمات نفس القصة الشعبية: الأصالة، والعراقة، والصدق والجماعة".¹⁰

وتساهم الحكاية الشعبية في تقوية معارف الطفل بالحياة وبناء ثقافته وإدراكه، وتغرس فيه القيم الدينية والاجتماعية، تتميز بأسلوبها الشيق الجذاب ويغلب عليها طابع البساطة مقارنة مع أنواع الإبداعات الأدبية الأخرى¹¹، وفيها تتفاعل أنواع الحكيم والسرد الشفهي، ومضمونها قد يحذف منه أو يضاف إليه أو يغير فيه، مما أدى إلى عدم معرفة مبدعه الأصلي.

2.2. الحكاية الخرافية

يمكن أن نقول بأن الحكاية الخرافية هو ذلك النوع القصصي الذي يبنى دلاليًا و شكليًا على الخوارق وتتم أحداثها في عالم الخيال، ويدخل أبطالها في صراع دائم مع الشخصيات الشريرة التي تهزم في النهاية بمساعدة الأداة السحرية¹²، ولها رسالة وأهداف أخلاقية وتستعمل في التعليم والتسلية، وتحدث عن شخصيات من الحيوان أو الجماد.¹³

ويقول فريدريش دبلاين بأنها: "بقايا معتقدات يصل تاريخها إلى أقدم العصور، وتتاح لها الفرصة للظهور من خلال تلك التأليفات التي تصور مدركات غير حسية وهذه المعتقدات الأسطورية شبيهة بقطع متناثرة بين زهور تنبت في أرض خصبة لا يكتشفها إلا ذو بصر حاد"¹⁴، وتستجيب الحكاية الخرافية لفطرة الإنسان التي يجذبها الغوص في عالم الخوارق والسحر، وذلك راجع إلى كون الإنسان يسعى إلى تخيل عالم أفضل من الحياة التي يعيشها وحافظت الحكاية على استمراريتها عبر الأزمنة المتعاقبة، وذلك لأنها تلمس شيئًا من بنية الإنسان النفسية والتي تعززها أفكاره ومعتقداته البسيطة والساذجة.

ومما سبق ذكره يمكن أن نقول بأن هيكل الحكاية الخرافية يتشكل أساسًا من عنصري الخوارق والعالم السحري، وأبطالها يدخلون في صراع مع الشخصيات الشريرة، ويكون مضمونها حول أحداث ووقائع وهمية أنتجها خيال المؤلف.

3.2. الحكاية في مجال التربية والتعليم

تزود التربية الإنسان بالمبادئ والقيم التي توجه سلوكه وتصرفاته إيجاباً داخل بيئته الاجتماعية، وتشكل الحكاية ذلك العنصر الفعال الذي يساهم في نمو البنيات المعرفية المتعلم المدرسة الابتدائية من مهارات عقلية ووجدانية وقدرة على التجريد و التخيل.

ويرى العديد من المختصين أن الحكاية من أنسب فنون أدب الأطفال للمتعلمين الصغار، وذلك لأنها تؤثر بشكل إيجابي في سلوكهم وعواطفهم، وهي بما تتضمنه من قيم ووضعيات تربوية سليمة تعمل على تكوين شخصية المتلقي الناشئ ومعرفة ذاته وثقافته.

إن الحكاية التربوية عتاد ديداكتيكي فعال ومفيد، وكي تحقق هذه الإفادة والفعالية لابد لها من احترام عدة معايير ومواصفات تهم أدب الطفل من حيث الخط والصور والألوان والطباعة والأسلوب ومراعاة القدرات الفكرية والمعرفية للطفل، واعتماد منهجيات ديداكتيكية تلائم مستوى المتعلمين من حيث العمر والمستوى التعليمي.

ويجب أن يمر توظيف الحكاية التعليمية عبر مرحلتين قبل أن تعرض على المتعلمين¹⁵:

أولاً: يجب اختيار وانتقاء بعض الحكايات التي يمكن توظيفها في الحقل التربوي في احترام للمعايير العلمية المتبعة.

ثانياً: إجراء تكوينات للسادة الأساتذة حتى يتمكنوا من أساليب ومنهجيات وشروط استخدام الحكاية داخل الفصول الدراسية.

ويمكن أن نستثمر الحكاية في مكونات القراءة والتعبير الشفوي والكتابي ومجالات الرسم والمسرح وتنمية القدرات التواصلية، فمثلاً في مادة الرسم يمكن أن نطالب المتعلمين برسم شخصيات الحكاية، وفي مادة الكتابة أن يعملوا على تلخيصها وإعادة إنتاج حكاية جديدة بأسلوبهم وتعبيرهم الخاصين.

ومن الضروري أن نستعين بالمعدات الديداكتيكية والوسائل السمعية البصرية المناسبة، التي تترك مسألة اختيارها للأستاذ حسب ظروف الاشتغال والإمكانات المتوفرة، وفي هذا الإطار فإنني أقترح الاستفادة من الحكاية التعليمية أثناء تقديم الظواهر اللغوية في مكونات التراكيب والصرف والتحويل والإملاء، لأنها

تمكن التلاميذ من إدراك وظيفة هذه الظواهر اللغوية في المواقف التواصلية المدرجة داخل الحكاية، لذلك يسهل عليهم تذكرها عوض حفظها ونسيانها فيما بعد، وذلك لأنها أدرجت خارج العملية التواصلية.

3. التدبير الديداكتيكي

جاء إدخال فن الحكاية في العملية التعليمية التعلمية في إطار التجديد الذي تعرفه المنظومة التربوية ببلادنا، مدعومة بنتائج الدراسات والتجارب العلمية، والتي تؤكد الدور الفاعل لهذه الدعامة الديداكتيكية في الدفع باللغة العربية وتطويرها وتشجيع تداولها وانتشارها.

ويروم هذا الإدماج تحقيق عدة أهداف نذكر منها:

- إثراء الرصيد اللغوي وتنمية الطلاقة والفهم.
- توسيع خيال المتعلم وفتح آفاق أخرى للتفكير.
- خدمة الجوانب المعرفية والوجدانية والقيمية في شخصية المتعلم.

وتستثمر حكاية واحدة خلال أسبوعين بمعدل خمس حصص في الأسبوع بالنسبة للمستويين الأول والثاني، وثلاث حصص في الأسبوع بالنسبة للمستوى الثالث، حيث يتم تعرف المضمون العام للحكاية وفهمها واستخراج عناصرها وتحديد بنيتها السردية واستثمار معجمها وقيمها، ويقوم المتعلمون بتشخيصها وإعادة إنتاج حكاية جديدة انطلاقاً منها.¹⁶

وتعتمد عدة معايير في اختيار الحكايات التعليمية، أولها أن ترتبط بمجال الوحدة الدراسية، وأن تشمل على مضمون مشوق وملائم لاهتمامات المتدربين، وأن تروج قيم إنسانية اجتماعية وثقافية ودينية، وأن تمتلك الخصائص الفنية المشكلة للحبكة السردية، وأن يتراوح طول الحكاية بين 180 و 260 كلمة.¹⁷

ويبين الجدول التالي التدبير الديداكتيكي للحكاية في المستويين الأول والثاني¹⁸

جدول رقم (1) : التدبير الديدانكتيكي للحكاية في المستويين الأول والثاني
الأسبوع الأول

الحصة 1	الحصة 2	الحصة 3	الحصة 4	الحصة 5
1. بناء التوقعات دراسة العنوان والصورة بناء التوقعات. 2. تسميع احترام مواصفات الحكيم الحكيم الجيد (يمكن الاعتماد وسائل سمعية بصرية) 3. التحقق من التوقعات مناقشة التوقعات في ضوء الفهم الأولي للحكاية بعد التسميع.	1. تذكير وربط أسئلة حول العنوان والفهم الأولي للحكاية 2. تسميع احترام مواصفات الحكيم الجيد (يمكن الاعتماد وسائل سمعية بصرية) 3. استثمار عناصر الحكاية أسئلة لاستخراج: الشخصيات الأحداث الأزمنة الأمكنة	1. تذكير وربط أسئلة حول عناصر الحكاية. 2. تسميع احترام مواصفات الحكيم الجيد (يمكن الاعتماد وسائل سمعية بصرية) 3. استثمار بنية الحكاية أسئلة لتحديد المقاطع السردية (البداية، التحول، المشكلة، الحل، النهاية)	1. تذكير وربط أسئلة حول بنية الحكاية. 2. سرد تناوب المتعلمين والمتعلمات على سرد مقاطع الحكاية الجيد. 3. استثمار المعجم استخراج المفردات. شرحها بتوظيف استراتيجيات المفردات.	1. تذكير وربط أسئلة حول المعجم. 2. سرد تناوب المتعلمين والمتعلمات على سرد مقاطع الحكاية باحترام مواصفات الحكيم الجيد 3. استثمار الأساليب والظواهر اللغوية. توظيف الأساليب والظواهر التركيبية والصرفية.

الأسبوع الثاني

الحصة 1	الحصة 2	الحصة 3	الحصة 4	الحصة 5	الحكاية 1 (35 د)
1. تذكير وربط أسئلة حول الفهم العام للحكاية. 2. سرد تناوب المتعلمين والمتعلمات على سرد مقاطع من الحكاية باحترام مواصفات الحكيم الجيد. 3. استثمار القيم استخراج القيمة. توظيفها في وضعيات مرتبطة بالواقع.	1. تذكير وربط أسئلة حول قيمة / قيم الحكاية. 2. سرد التناوب على سرد مقاطع منها باحترام مواصفات الحكيم الجيد. 3. تشخيص تكوين مجموعات تدريب المجموعات على التشخيص عرض عمل المجموعات وتقييم أدائها.	1. تذكير وربط مناقشة الجوانب الممكن تطويرها في التشخيص 2. سرد التناوب على سرد مقاطع منها باحترام مواصفات الحكيم الجيد. 3. تشخيص. (2) تنمة عرض عمل المجموعات. تقويم عمل المجموعات.	1. تذكير وربط أسئلة حول الفهم العام للحكاية. 2. سرد سرد الحكاية أو مقاطع منها تمهيدا للإنتاج. 3. إنتاج (1) التوافق حول العناصر / العنصر الذي يتم تغييره. إنتاج جديدة للحكاية.	1. تذكير وربط أسئلة حول العناصر التي تم تغييرها في بداية الحكاية. 2. سرد التناوب على سرد بداية الحكاية باحترام مواصفات الحكيم الجيد. 3. إنتاج (2) تنمة إنتاج الحكاية الجديدة.	

ويبين الجدول التالي التدبير الديدداكتيكي لمكون الحكاية في المستوى الثالث¹⁹

جدول رقم(2): التدبير الديدداكتيكي لمكون الحكاية في المستوى الثالث

الأسابيع	الأيام	الحصص وعناصر المكون	طبيعة الحصص والمراحل
الأول	1	حكاية (1) 45 د	• التوقع والتسميع التهيئة - الملاحظة والتوقع - التسميع - التحقق من التوقعات - التقويم والدعم.
	2	حكاية (1) 45 د	• تعرف عناصر الحكاية التهيئة - التسميع - تحديد عناصر الحكاية - التقويم والدعم.
	3	حكاية (1) 45 د	• تعرف البنية السردية للحكاية التهيئة - التسميع - تحديد بنية الحكاية - التقويم والدعم.
الثاني	1	حكاية (1) 45 د	• استثمار الرصيد المعجمي والظواهر اللغوية التهيئة - التسميع - استثمار الرصيد المعجمي - استثمار الصرف والتحويل والتراكيب والأساليب - التقويم والدعم.
	2	حكاية (1) 45 د	• السرد والتشخيص واستثمار القيم التهيئة - السرد - التشخيص - استثمار القيم - التقويم والدعم.
	3	حكاية (1) 45 د	• إنتاج حكاية جديدة التهيئة - الإنتاج - التقويم والدعم.

4. الأسس النظرية واللسانية

إن التعلم عملية معقدة ومركبة، ومن يقتحمها عليه أن يتسلح بالعديد من العلوم والاختصاصات ويدخل إدماج الحكاية في المنهاج الدراسي في هذا السياق، إذ لا بد أن يستند على مرجعيات ونظريات علمية حتى تبلغ الأهداف المنتظرة منها.

1.4. علم نفس النمو

أولى علماء نفس النمو اهتماما بالغا لمرحلة الطفولة كي يتمكنوا من تفسير وفهم كيفية تصرف الأطفال في كل مرحلة من مراحل نموهم الجسمي، والسلوكي، والحركي، والمعرفي، ويتعلم الطفل خلال مرحلة الطفولة الوسطى الوفاق مع الغير والدور الاجتماعي لكلا الجنسين، كما أنه ينمي مهاراته في التعلم الأساس (القراءة والكتابة والحساب)، ويطور المفاهيم الأساسية للحياة اليومية، كما يرقى بضميره وقيمه وخلقه، ويحقق الاستقلال الذاتي، ويقوي اتجاهاته الاجتماعية.²⁰

ويستمر نمو الطفل اللغوي في الاكتمال بدخوله في مرحلة الطفولة الوسطى، ويلاحظ نمو لغوي مهم في كل من الفهم والكلمات اللغوية واستعمال الجمل والتراكيب اللغوية.²¹ وبينت إحدى الدراسات أن النمو اللغوي خلال المدرسة الابتدائية له مساران:

- مسار فهم الألفاظ ودلالة الكلمات.

- والثاني في قواعد توظيف تركيب الجمل والعبارات التي تتحكم في استعمال الكلمات.²²

إن مهارة المتحدث ترتكز على مخزونه اللفظي وعلى تنظيمه اللغوي، فكلما كان مخزونه غنيا وكثيرا كلما حقق التواصل الكلامي مع المستقبل، وتزداد قدرة متعلمي المستويات الابتدائية على تذكر المعلومات ويستفيدون من استراتيجيات التحويل إلى رموز، كما أن في هذه المرحلة تتطور وتحسن عملية التسجيل والتخزين والاسترجاع للمادة التي تستدعى.

2.4. علم النفس المعرفي

ينظر المعرفيون إلى الإنسان باعتباره متلهف وتواق لاكتساب المعلومة، ويرون أيضا أن الذاكرة عنصر حي ونشط يوظف أنساق وبنى نشيطة، عكس ما ذهب إليه السلوكيون في كون الكائن البشري في حاجة لمثير ليستجيب.

تحمل الذاكرة معلومات فعالة ودقيقة يتم توظيفها في التفاعل مع المحيط، عن طريق الكلمات والجمل والأسماء والتواريخ و القوانين التي يستعملها الإنسان في اتخاذ مختلف القرارات، واتخاذ القرار يستلزم توظيف الإدراك والذاكرة والمعلومات واللغة والتفكير.²³

إن الدماغ يوجه انتباهه للمعلومات التي تتربط مع الانفعالات والمشاعر، ويتذكر منها ما هو مرتبط بالمشاعر الجيدة، ويجب على المدرسين أن يعوا أهمية مفعول الانفعالات في الاحتفاظ بالمعلومات وتعزيز التعلم، وتقوي الأنشطة ولعب الأدوار والتمثيل عملية التعلم وتؤسس روابط انفعالية.²⁴

إن الانتباه عنصر أساس لأية عملية تعلم، فبواسطته يكتسب المتعلم العديد من المهارات والعادات ويعرف من وجهة نظر معرفية بأنه: "اختيار، واستعداد للإدراك، وهو طاقة عقلية وذهنية تستدعي التركيز وأنه استراتيجية ومصفاة من وجه نظر معالجة المعلومات".²⁵ ويزيد الانتباه كلما زادت جاذبية المثير وتطول فترته كلما تدرب المتعلمين على أداء أدوار المتحدث و المصغي والملاحظ، وانتقيت المثيرات السمعية المناسبة .

تشد الحكاية انتباه الدارسين وتجذبهم إليها، وتؤثر في السلوك الخارجي للمتعلمين من خلال التفاعل وإحداث انفعالات وتغير الملامح، وتغني الحكاية الرصيد اللغوي للتلميذ، وتحفزه على القراءة الذاتية والمطالعة الحرة، كما تمكنه من التعبير وتصحيح النطق من خلال وضعيات و مواقف حية وشيقة.

3.4. علم النفس اللغوي

تلعب التربية اللغوية دورا مهما في حياة الطفل، وذلك لكون لغة الكلام ضرورية لمختلف الأنشطة التي يمارسها المتعلم أو الطفل بصفة عامة، وتمنح الحكاية للطفل معجما لغويا ثريا يساهم في نضجه من ناحية النحو والصرف، وتمكنه من التعبير عن نفسه ويدرك عيوب نطقه وتدعم رغبته في التعلم، كما أنها علاج مناسب للمتعلمين الذين يعانون الخجل.²⁶ وتقوي تفكيره وخبراته خصوصا تلك الحكايات المرتبطة بواقع الطفل والمحفة لخياه، وتعلمه توظيف الكلمات والمفردات وتقدم أمثلة لغوية في سياقات شيقة، وتمنح الفرصة للحوار والمحادثة والتعبير والتمثيل، كما أنها تعد المتعلم لتعلم القراءة.

ويجب على من يسرد الحكاية أن ينهج أسلوبا واضحا وبسيطا، وينوع من طريقة إلقاءه ونبرة صوته ويضبط الوقفات حتى يتحكم في التوتر الانفعالي لدى الطفل²⁷، ويتمكن من التقاط أنفاسه وتحديد

انتباهه وعليه أن يوظف الحوار والتكرار ليسهل الاستيعاب، كما يجب اختيار الوقت المناسب للحكاية تجنباً للفترات التي يشعر فيها المتعلم بالتعب، وأيضاً أسلوب الحكيم يجب أن يكون مناسباً وملائماً لمواقف الحكاية حتى يستطيع تمرير القيم والأخلاق الفضيلة التي تحتويها.

تفتح الحكاية آفاقاً للحوار والمحادثة والتمثيل، وتدعم أشكال الإبداع الأخرى، هذه الأشكال الإبداعية لها ثمراتها التربوية على كافة الأصعدة اللغوية والثقافية والاجتماعية، ولا ريب فيه أن اللغة التي يتحدثها الطفل تنمو تدريجياً من خلال الحكاية، وما يتخللها من أنشطة إبداعية كالمنولوج و الحوار والمحادثة. فهي تعلم أفعالاً إنجائزية وتعبيرية، وإخبارية وأساليب النداء، والتعجب والنهي، والاستفهام والتفكير وتنظيم المعلومات والرفق إلى مرحلة التجريد.

4.4. اللسانيات العصبية

إن إحدى وظائف الدماغ هي معالجة اللغة في إطار أعمال البنية العصبية، فكل كلمة ينطق بها وأي سلوك يقوم به الفرد مصدره الدماغ²⁸، فإذا كانت القدرة على التعلم فطرية فإن الدماغ يكتسب المعارف والخبرات ومنها اللغة، وقدمت العلوم العصبية الدليل للعديد من مبادئ التعلم التي وصلت إليها البحوث المعملية، والتي أظهرت كيف أن التعلم يؤدي إلى تغيير الهيكل العضوي وكذلك التنظيم الوظيفي للمخ²⁹. كما أن التفكير قدرة كامنة في الدماغ تسمح لنا بترتيب وتنظيم اللغة التي اكتسبناها وترميزها لتخرج في شكل كلمات وجمل تحمل معنى.

تؤكد هذه اللسانيات أن عملية التعلم تنجز في الأسرة والبيئة والمدرسة، كما تربط بين النمو الفزيولوجي والتعلم، فالحكاية من خلال لغتها وأساليبها وسياقاتها تزيد من حجم الخلايا العصبية نتيجة زيادة التشابكات المتصلة بها، مما يؤدي إلى تطور حجم الدماغ وتراكم معارفه، وهذا ما يكسب المتعلم علماً وخبرة في نمط شبيه بنمو الجسد، ونضيف أن مواضيع الحكاية الاجتماعية والثقافية والأخلاقية المعيشة تغير التنظيم الوظيفي للمخ.

5.4. سيكولوجيا اللعب

إننا لا نقصد هنا اللعب في حد ذاته، وإنما التعلم بواسطة اللعب، فاللعب الهادف يساهم في النمو العقلي والوجداني والجسدي للمتعلم، ويطور قدراته التواصلية ويجعلهم يلتزمون باحترام الحقوق والواجبات

ومن الضروري توظيف أنشطة ترتبط باللعب بغية الرفع من استيعاب و انخراط المتعلمين في عملية التعليم و التعلم.

يتصف اللعب بعدة مميزات من بينها أنه حر، قد يكون بتوجيه أو بدونه، ويضمن المتعة و التسلية لمن يمارسه، كما أنه قد يكون نشاطا فرديا أو جماعيا، كما أن اللعب يستغل في تصريف الطاقة الحركية والنفسية، ويعمل على تحديد النشاط وتجنب الملل و التعب.

إن اللعب عنصر مهم في حياة الأطفال يساعدهم على التعلم، ويمكنهم من الاستجابة لشروط النمو ولا يمكن تجاوزه و تجنبه، وينقسم اللعب إلى عدة أنواع:

- لعب ينمي على التحدي والمنافسة.
- لعب يتأسس على الصدفة (بصورة عشوائية).
- لعب التقليد والتمثيل.
- لعب يكون أساسه الرغبة في الاستشارة³⁰

ولكي يجذب اللعب انتباه المتعلم يجب أن يتميز بالتغير والتجديد والتعقيد وبالغربة³¹، ويزيد اللعب الجماعي والتنافسي من المستوى المعرفي لدى الناشئة عبر دمج وتناول المعارف والمعلومات في سياق اللعب، مما يزيد فعالية النشاط لدى المتدربين داخل الأقسام الدراسية.

ويسرع استخدام التقليد عملية التعليم من خلال عرض بعض النماذج التي يستطيع الأطفال تقليدها ويساعد الإلقاء والقراءة الجيدين على استمتاع الطلبة بالحصّة، ويعطي اللعب الجماعي الثقة بالنفس و يقوي الشخصية، ويشعرها بالقبول الاجتماعي.

إن ما ذكرناه سابقا من شأنه إن وظيف في تدريس الحكاية للأطفال أن يضمن استيعابهم و تفاعلهم الصفي، مما يؤدي إلى تحقيق أهداف العملية التعليمية، فلعِب الأدوار وتقمص الشخصيات مثلا يسمح بتبني سلوكات حسنة و إدماج قيم إيجابية، بالإضافة إلى ما يكسبه من معارف وتجارب، وأيضا له تأثير إيجابي على نفسية المتعلم.

5. دراسة نقدية

يندرج اعتماد الحكاية التربوية في مكون الاستماع والتحدث في إطار مقارنة تربوية جديدة منبثقة من الوظيفة التواصلية للغة ومن المقاربة العملية، ومن أسبقية الشفوي على الكتابي ومبدأ التدرج في اكتساب اللغة، ويهدف كذلك إلى جعل المتعلم نشيطا في بناء تعلمانه، ويحتاج هذا الانفتاح إلى شروط وظروف مناسبة.

وهناك عدة ملاحظات يمكن تسجيلها حول توظيف الحكاية بالمستويات الثلاثة الأولى للمدرسة الابتدائية المغربية، أولها قلة تكوين الأساتذة في ديداكتيك الحكاية كجنس أدبي له خصوصياته وأساليه وطرق إلقائه، فمرحلة تسميع الحكاية مثلا تتطلب من المدرس أن يمتلك تقنيات وأساليب واستعدادا كافيا كي يستطيع إثارة انتباه المتعلمين وتحقيق التشويق والمتعة والاستفادة في ذات الآن.

ثم إن توظيفها يقف عند أعتاب المستوى الثالث، ويقتصر على مهاراتي الاستماع والتحدث دون مهاراتي القراءة والكتابة، وباقي المكونات كالتراكيب والصرف والتحويل والإملاء، عكس ما ذهبت إليه تجارب متقدمة في الاستفادة منها حتى في تدريس العلوم الحقة والتجريبية، بالإضافة إلى أن استثمار القيم التي تتضمنها الحكاية في حصّة واحدة غير كاف باعتبارها أحد مداخل المنهاج الدراسي المغربي، كما يجب نقل هذه التجربة إلى المستويات العليا المتبقية.

ولابد من توفير موارد مادية ومعدات ديдаكتيكية وموارد رقمية، وتخصيص الزمن الدراسي المناسب والكافي وتقليل عدد التلاميذ في الفصل، وأن يؤخذ في عين الاعتبار الإيقاعات التعليمية لكل متعلم واحترام الفروقات الفردية بشكل عام، والاهتمام بالمتعثرين ومساعدتهم على تجاوز الصعوبات التي يواجهونها، كما أن الصور المرافقة لنص الحكاية يجب أن تكون واضحة وقرينة من واقع الطفل الثقافي والاجتماعي، ومنح هامش من الحرية للمدرسين في اختيار النصوص، فمتعلم المدينة ليس متعلم العالم القروي، ويجب ألا يحس المتعلم بذلك التفاوت والقطيعة بين محيطه وما يعيشه داخل المؤسسة التعليمية وذلك بأن نسمح له باستعمال بعض الكلمات بالدارجة أو بالأمازيغية لتفادي إحساس المتعلم بالتفاوت اللغوي بين مدرسته وبيئته الاجتماعية.

خاتمة

وختاماً فإن الحكاية عنصر مهم في اكتساب وتنمية المهارات الوظيفية للغة العربية، وفي الرفع من دينامية الأنشطة التعليمية وبناء شخصية المتعلم، ويجب استثمارها أحسن استثمار بتوفير الظروف والإمكانيات والعتاد الديقداكتيكي المناسب، حتى تتحقق الأهداف المنشودة من إدماجها في المنهاج الدراسي المغربي.

الإحالات

- 1 - ابن منظور، محمد. 1414 . لسان العرب. ط 3. دار صادر. بيروت. ص 191.
- 2 - أنيس، إبراهيم، منتصر، عبد الحليم، الصوالحي، عطية، خلف الله، محمد. 2004. المعجم الوسيط. ط 4. مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية. مصر. ص 190 .
- 3 - عمر، احمد مختار. 2008. معجم اللغة العربية المعاصرة. ط 1. عالم الكتب . القاهرة. ص 541.
- 4 - الجرجاني، الشريف. 1985. معجم التعريفات. تحقيق محمد شريف المناشوي. ط 1. دار الفضيلة . القاهرة. ص 80.
- 5 - عمر، احمد مختار. 2008. معجم اللغة العربية المعاصرة. ط 1. عالم الكتب . القاهرة. ص 541.
- 6 - نجيب، أحمد. 1991. أدب الأطفال، علم وفن. ط 1 . دار الفكر العربي . القاهرة. ص 75.
- 7 - عيفاوي، سليمة. 2010. " الدلالة الاجتماعية في الحكاية الشعبية بمنطقة القصور". مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير . كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها . جامعة المسيلة. الجزائر. ص 8.
- 8 - عبد الوهاب، أحمد سمير. 2006. أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، ط 1. دار المسيرة. عمان. الأردن. ص 162.
- 9 - عيفاوي، سليمة. 2010. " الدلالة الاجتماعية في الحكاية الشعبية بمنطقة القصور". مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير. كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة المسيلة. الجزائر. ص 7.
- 10 - عبد الوهاب، أحمد سمير. 2006. أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، ط 1. دار المسيرة. عمان. الأردن. ص 163.
- 11 - المرجع السابق. ص 162.
- 12 - عيفاوي، سليمة. 2010. " الدلالة الاجتماعية في الحكاية الشعبية بمنطقة القصور". مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير. كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة المسيلة. الجزائر. ص 7.

- 13 - شحاتة، حسن. 1994. أدب الطفل العربي. ط2. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة. ص 207.
- 14 - فون ديرلان، فرد ريش. 1973. الحكاية الخرافية، شأنها و مناهج دراستها، فنيتهـا. ترجمة نبيلة إبراهيم. مراجعة عز الدين اسماعيل. ط1. دار القلم. لبنان. 1973. ص41.
- 15 - الناجي، موحى. 2012. " توظيف الحكاية الشعبية الأمازيغية في المجال التربوي".
<https://www.hespress.com/104860.html> . بتاريخ 2012-10-24 - اطلع عليه بتاريخ 2021-4-21.
- 16 - وزارة التربية الوطنية. مديرية المناهج. 2021. مستجدات المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي. ص 6 تم استرجاعه من الرابط <https://www.taalimi.info/2020/08/mostajadat-manhaj-dirasi.html>
- 17 - المرجع السابق. ص 91.
- 18 - وزارة التربية الوطنية. 2019. كتابي في اللغة العربية السنة الأولى من التعليم الابتدائي. دليل الأستاذ والأستاذة. ص 8. <https://www.e-taalam.com/2020/05/professor-guide-kitabi-1AEP.html>
- 19 - وزارة التربية الوطنية. 2020. المفيد في اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الإبتدائي. دليل الأستاذ والأستاذة ص 33. <https://www.men.gov.ma/Ar/Documents/dc/G-moufid-arabe3eAP2019.pdf>
- 20 - الأشول، عادل عز الدين. 2008. علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة. مكتبة الأنجلو المصرية. مصر. ص 45.
- 21 - نفس المرجع السابق. ص 358.
- 22 - نفس المرجع. ص 36.
- 23 - عبد الباقي محمد، شدى. محمد عيسى، مصطفى. 2011. اتجاهات حديثة في علم النفس المعرفي. ط1. دار المسيرة. الأردن. ص 69-70.
- 24 - المرجع نفسه. ص 92.
- 25 - المرجع نفسه. ص 101.
- 26 - سبيبي، سرجيو. 2001. التربية اللغوية للطفل. ترجمة فوزي عيسى، عبد الفتاح حسن. دار الفكر العربي. القاهرة. ص 126.
- 27 - المرجع السابق. ص 132.

- 28 عطية سليمان، أحمد. 2019. اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ (رمزية، عصبية، عرفانية) . الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي . القاهرة. مصر. ص5.
- 29 المرجع السابق. ص 101.
- 30 عبد الهادي، نبيل. 2004. سيكولوجيا اللعب وأثرها في تعلم الأطفال. ط 1. دار وائل . عمان . الأردن ص 27.
- 31 -المرجع السابق. ص 106.

المراجع

- 1 - ابن منظور، محمد. 1414 . لسان العرب. ط 3. دار صادر. بيروت.
- 2 -أحمد سمير عبد الوهاب، أحمد سمير. 2006. أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، ط 1. دار المسيرة. عمان. الأردن .
- 3 -الأشول، عادل عز الدين. 2008. علم نفس النمو من الجنين إلى الشيخوخة. مكتبة الأنجلو المصرية. مصر.
- 4 -أنيس، إبراهيم، منتصر، عبد الحليم، الصوالحي، عطية، خلف الله، محمد. 2004. المعجم الوسيط . ط 4. مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية. مصر.
- 5 -الجرجاني، الشريف. 1985. معجم التعريفات. تحقيق محمد شريف المنشاوي. ط 1. دار الفضيلة. القاهرة.
- 6 -سبيني، سيرجيو. 2001. التربية اللغوية للطفل . ترجمة فوزي عيسى، عبد الفتاح حسن. دار الفكر العربي. القاهرة.
- 7 - شحاتة، حسن. 1994. أدب الطفل العربي. ط 2. الدار المصرية اللبنانية. القاهرة.
- 8 -عبد الباقي محمد، شدى. محمد عيسى، مصطفى. 2011. اتجاهات حديثة في علم النفس المعرفي. ط 1. دار المسيرة. الأردن.
- 9 -عبد الهادي، نبيل. 2004. سيكولوجيا اللعب وأثرها في تعلم الأطفال. ط 1. دار وائل. عمان الأردن.
- 10 عطية سليمان، أحمد. 2019. اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ (رمزية، عصبية، عرفانية) . الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي . القاهرة. مصر.
- 11 سمير، أحمد مختار. 2008. معجم اللغة العربية المعاصرة. ط 1. عالم الكتب. القاهرة.

- 12 سحفاوي، سليمة. 2010. " الدلالة الاجتماعية في الحكاية الشعبية بمنطقة القصور". مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير. كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية وآدابها. جامعة المسيلة. الجزائر.
- 13 سون ديلان، فردريش. 1973. الحكاية الخرافية، شأنها ومناهج دراستها، فنيته. ترجمة نبيلة إبراهيم. مراجعة عز الدين إسماعيل. ط1. دار القلم. لبنان.
- 14 -الناجي، موحى. 2012. " توظيف الحكاية الشعبية الأمازيغية في المجال التربوي".
<https://www.hespress.com/104860.html> . بتاريخ 2012-10-24 - اطلع عليه بتاريخ 2021-4-21 .
- 15 نجيب، أحمد. 1991. أدب الأطفال، علم وفن. ط 1. دار الفكر العربي. القاهرة.
- 16 -وزارة التربية الوطنية. 2019. كتابي في اللغة العربية السنة الأولى من التعليم الابتدائي. دليل الأستاذ والأستاذة
<https://www.e-taalam.com/2020/05/professor-guide-kitabi-1AEP.html>
- 17 -وزارة التربية الوطنية. مديرية المناهج. 2021. مستجدات المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي. تم استرجاعه من
<https://www.taalmi.info/2020/08/mostajadat-manhaj-dirasi.html> الرابط
- 18 -وزارة التربية الوطنية. 2020. المفيد في اللغة العربية السنة الثالثة من التعليم الابتدائي. دليل الأستاذ والأستاذة.
تم استرجاعه من <https://www.men.gov.ma/Ar/Documents/dc/G-moufid-arabe3eAP2019.pdf> الرابط

الصحة النفسية والمدرسة "رؤية نقدية"

د. زبيدة الحطاح

جامعة يحي فارس المدية، الجزائر

zoue66@gmail.com

د. فتحية عبد القادر شكر اوي

جامعة يحي فارس المدية، الجزائر

Psy_chekraoui@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2021/05/21 م تاريخ التحكيم: 2021/05/27 م تاريخ النشر: 2021/06/15 م
الملخص بالعربية:

قد تتوافق الأسرة والمدرسة في توفير الشروط والمناخ الأنسب للنمو بإيجابية وفاعلية، إلا أن هذا التوافق قد يتخذ منحى سلبيًا، حيث تركز المدرسة الوصمة النفسية التي نشأت في الأسرة إلى المدرسة أو العكس. عبر انتقال الصراع بآلياته المختلفة وما ينتج عنه من تصدع وسوء التكيف السلوكي. قد تصحح المدرسة بعض عوامل الاضطراب. إلا أن واقع المدرسة يشير أنها تهتم فقط بالتعليم والتعلم دون سواه مع إعادة الإنتاج في الامتحانات، بدون التوقف عند حاجيات التلميذ النفسية والاجتماعية وبدون الاهتمام الكافي بأزماته الانفعالية وكأنه آلة لا تحتاج الصيانة ولا يتم التدخل إلا عندما تأخذ الأزمة طابع عدم التكيف مع النظام المدرسي على صعيد التحصيل والانضباط. فالنمو هو مشروع متكامل لا يمكن الاهتمام ببعض عناصره، ومن هذا المنطلق تستطيع برامج الصحة النفسية المدرسية معالجة نسبة هامة من حالات الاضطرابات الانفعالية والسلوكية بسهولة ودون تكلفة وفي مدة قصيرة و تتعدى ذلك إلى برامج وقائية و نمائية.

الكلمات المفتاحية: الصحة النفسية، المدرسة، الطفل.

"Mental health and school in Algeria "a critical vision

Professor of Lecturer A,Zoubida Elhattah

University Yahia Farés Médéa,Algeria

zoue66@gmail.com

Professor of Lecturer A,Abdelkader chekraoui Fathia

University Yahia Farés Médéa,Algeria

Psy_chekraoui@yahoo.fr

Abstract:

Family and school may be in position to provide the most suitable conditions for growth in a positive and effective manner. However, this consensus may take a negative turn, where the school devotes the stigma that originated in the family to school or vice versa. Through the conflict transfer mechanisms and the resulting cracking and behavior maladjustment. The school may correct some of the disorder factors, in some form of compensatory therapy. However, the reality of the school indicates that it is interested only in teaching and learning without any other examination reproduction, without stopping the student's psychological needs socially and ignore emotional crises as a machine that does not need maintenance and intervention. The student gets attention only when the non-adaptation crisis in the school system appears in terms of achievement and discipline. Growth is a complete project that cannot be taken partially into account. In this sense, school mental health programs can address a significant proportion of emotional and behavioral disorders easily, without cost, fast, and beyond to preventive and developmental programs.

Keywords: school, mental health, child.

مقدمة:

الالتحاق بالمدرسة هو عملية انتقال كبرى وليست حدثا عابرا للطفل ، انتقال من مؤسسته الأسرية الأولى إلى مؤسسة ثانية لها مرجعيتها ، لها قوانينها الخاصة خلافا لقانون الوالدين ، فيأتي دور المعلم و قانون المدرسة إلى العمل على المشاركة والتعديل و الإثراء في دينامية الحياة ، إلى الاستعداد على الأداء . فقد يتوافق هذا الاستعداد و ما تلقاه في أسرته، أو يتعارض بدرجات متفاوتة، مما يلقي على الطفل أعباء نفسية ثقيلة على جهازه النفسي و حتى على أعضائه الجسدية.

هذا الالتحاق والانتقال يشير إلى الانفصال و في نفس الوقت إلى الاتصال ، و كلا المفهومين يحدثان في نفس الأنية على شكل الاستمرارية للمرجعية الأولى وهي الأسرة . الانتقال إلى عالم الحكم

على قدراته و بالتالي على شخصيته ككل ، انتقال يتسم بتوسع العلاقة الضيقة مع أفراد الأسرة إلى علاقة مع الأقران والمعلمين و الإدارة المدرسية ، إلى بداية تأسيس الاستقلالية الذاتية كمشروع أولي لمستقبل قريب قد يكون الطفل مهياً لهذا الدور الجديد أو قد تمنعه العلاقة الأولية من تكمله نموه في رحابة العالم الخارجي. قد تلاقى صعوبات تؤثر على هذه الانطلاقة ، وقد تزيد هذه الصعوبة في مدى تقبل الوالدين لدور هذه المؤسسة الجديدة ، وتقبلهم كبر الطفل و إفطامه النفسي و استعداده للانفتاح الذهني ككيان حيوي من حقه دخول مجال التجربة ، هذا الرضا اللاوعي أحيانا قد يعثر عملية النمو النفسي للطفل ، فالذهاب إلى المدرسة يشير إلى وضعية تتعدى الروتين اليومي ، في مظهره وطقوسه إلى دلالة عمقها أخطر مما يفسر هذه الوضعية و انعكاساتها على الصحة النفسية التي يجب أن يتعاون الجميع من أجل سلامتها.

1- الإشكالية

يذهب الطفل للمدرسة و هو حامل لملف تاريخي بمكتسباته الأسرية. بإيجابياته أو سلبياته قد يتوافق مع متطلبات عالمه الجديد فيحدث التوافق و بالتالي النجاح ، أو قد يتعارض فيؤدي إلى فشل هذه العملية التي تتطلب حينها إسعافاً أولياً ضروريا حتى يتمشى نشاطه المعرفي الذهني مع هذا الجو الجديد ، قد يكرر الطفل نمط سيناريو علاقاته الأسرية المتصدعة لا شعوريا و يعكسها على وسطه المدرسي ، هذا الإسقاط العلائقي ، يجر الطفل إلى الانزلاق في دوامة يصعب الخروج منها إن لم يتدارك الأمر بتصحيح هذا المسار لكي يرسوا على بر التوافق والأمان.

إن إعادة السيناريو العلاقة الأسرية نجده في علاقة الطفل مع معلمه ، بتدلل أو المعاكسة أو المجارة أو الخضوع. ويسلك مع رفقه نفس الشيء إما سلوكا عدائيا ، أو تحالفا أو تبعا أو تسلطا وتنمرا كما حدث مع إخوته . هذا التفاعل قد يطبعه الرضى بالتجاذب و التفاهم أو السخط بالتنافر والخلاف، يعيد المعلم نفس السيناريو في القسم انعكاسا لتصوراته الذهنية الأسرية.

يظهر كذلك في قبوله لبعض التلاميذ و رفضه للآخرين ، حيث يعطف أو يقسو ، يتجاهل أو يغار.. وموقف المعلم من التلميذ وتفاعله الغير الواعي يحمل في طياته مضامين نفسية خطيرة تتحول إلى تقويم نفسي للتلميذ يتجاوز تقويمه التحصيلي¹ و هو تقويم غير مأخوذ في الحسبان في العملية التعليمية و أثرها على التكيف ، حينما نصرح أن تلميذا ما تعثر مع معلمه أو توافقه معه ، أما في حالة

المعلم الواعي ، فهو يتفهم هذه الوضعية بسلبياتها و يعترف بحاجات التلميذ مما يدفعه إلى مساعدته في الخروج من مأزقه و المعلم الغير الواعي قد يتعدى في بعض الأحيان هذه العلاقة مع تلميذه أو يتواطأ معه مما يذكره بماضيه ، فيساعده على التمرد ، أو يدخل معه في علاقة تملك بانعكاساتها السلبية على شخصية التلميذ كالخضوع و التبعية.

من خلال هذا يتضح مقدار أهمية الصحة النفسية السوية للمعلم في العلاقات الصفية ومدى رضاه وراحته ، فأن اعتر بذاته وتقبلها يتقبل تلاميذه ويرعى حاجاتهم ويعترف بإنجازاتهم التي هي إنجازاته في الأصل. وهناك خلل آخر يتوضح حينما يتجاهل الأهل و المدرسون نمو الطفل بشكل عام معتبريه آلة معرفية تحصد الدرجات فقط متناسين مساره النفسي . فلا يكون التدخل إلا عند حصوله على درجات رقمية متدنية أو حينما يقع في مشكلات سلوكية تصدم النظام المدرسي . هذا الالتفات القاصر يصد النظر على الجوانب النفسية الانفعالية التي تتأزم عند الصراعات والصدمات .و حتى تتحرر القدرات المعرفية للطفل يجب التدخل السريع ، و لا يكفي مثلا اللجوء إلى الدروس الخصوصية كما هو شائع لتدارك الأمر ، بل هذا الحل لا يحل المشكلة بتجاهل الأسباب النفسية الانفعالية الخفية وبالتالي قد يكون هذا الحل الاستعجالي عبئا على التلميذ و يزيد في معاناته عوض النجاح.

إن إعداد الطفل للدخول المدرسي أمر مهم يجعله يتوقع ويصدر أحكاما سليمة تهيئ ولوجه لهذا العالم الجديد دون ترقب حذر أو وجس وتشكيك ، فالاستعداد السليم القائم على مبادئ حقيقية واقعية تجعل التلميذ راضيا و أملا في النجاح.

1.1- الأساليب التربوية الأسرية في تنشئة الطفل

هناك أيضا بعض الأساليب التربوية الأسرية في تنشئة الطفل التي لها أثر سلبي على شخصيته مما تسبب له مشاكل عديدة في المدرسة باعتبارها نتاج لم يؤخذ له بعين الاعتبار مدى خطورته على وضعه المستقبلي ابتداء من خروجه الأول من البيت إلى المدرسة ومنه:

الطفل المنبوذ:

أمام هذه الحالة يتفق فيها الأهل والمدرسة في نبذ الطفل من خلال إصدار أحكام سلبية موجهين له كل اللوم و التقصير مع التشدد في المحاسبة على ارتكابه للأخطاء بشكل مقصود أو عفوي ، مما يحط من

قيمة الطفل وبالتالي يكون رد فعله التمرد و العصيان ، والمقاومة والانتقام أو الاستسلام ، هذا التحالف يجعله في موقف ضغط و بالتالي نطرح سؤالاً هنا : ما مصير هذا الطفل في مدرسته ؟
الطفل المملوك:

هي حالة طفل لأم ذات نزعة تملكية متعلقة بابنها الذي لم يفطم فطاماً نفسياً بعد ، فعند دخوله المدرسة تبقى في حالة تأهب دائم وتتبع كل أخباره حرصاً على عدم انفلاته من قبضتها مما يجعل هذا النوع من الأمهات يتدخلن في شؤون المعلم والمدرسة حتى تتحول العلاقة إلى صراع وتحدي يؤثر على توازن شخصية الطفل.

الطفل المدلل:

لا يكتسب معنى المسموح و الممنوع فيما يخص القانون مما يجعله لا يتكيف مع جو المدرسة ، فهو متعود على تلبية جميع رغباته دون حدود ، ويرى الواقع ملكه ، أنه متضخمة ولدته مستجابة ، ولا يخضع لسلطة المدرسة فواقع المدرسة يحبطه ويسانده أهله في الصدام معها.
إن التنشئة للمستقبل لا تعني تدليل الطفل الذي سيصبح تلميذاً ليستمتع في مواقفه الأنثوية لا غير ، بل أبعد من ذلك ، هو الإعداد للمستقبل الذي يهدف وضع الصحة النفسية النمائية أولى إهتمامات التربية بترويض ثقافة الإنتاج بكل متغيراتها وتحدياتها تغرس روح المسؤولية المشبعة بالهوية (ثقافياً ، عقائدياً ، اجتماعياً ، سياسياً) و تشجع الطاقات المبدعة و تضيف كل قدراتها بقبول التلميذ ككيان له قيمته الذاتية يجب إحترامها وتقديرها ، فالطفل يشعر بالإعتزاز عندما يتحمل مسؤوليات توفر له التقدير الذاتي و التقدير من قبل الآخرين .²

كما أن نظام التقويم يتسم بالتساهل في السنوات الأولى للمدرسة التي ينتقل فيها التلميذ من سنة لأخرى بشكل آلي ، بدون تشخيص فعلي دقيق لوضعه التعليمي و بدون اكتساب المهارات المعرفية الأساسية ، لكن سرعان ما ينفجر الوضع ويتأزم في سن 10 إلى 11 سنة وبداية مرحلة المراهقة وتظهر المشكلة واضحة للعيان في علاقة المعلم و المدرسة فيما يخص التحصيل وتبدأ محاولات العلاج في القسم أو خارجه لكن بدون جدوى . ولا يتجاوب التلميذ فيوصم بالكسل و إنعدام الدافعية ، وقد يفتح الصراع بين الهيئة التربوية و الأهل ولا يستطيع المعلم تحمل عبء الفشل الذي يسقطه على التلميذ و يتهرب من المسؤولية ،

وفي آخرتها يصبح الطفل منبوذا من الهيئة التدريسية و قد تتعداها حتى من أهله مما يشعره بالغبن والظلم والقهر فينعكس على صحته النفسية والجسدية بالسلب.

و قد نصادف أيضا حالة التلميذ الذي يعيش حاضره لأنه أنشئ على تلك الطريقة ، فيغيب عن عقله فكره التخطيط للمستقبل ، فيزداد إنغماسه في اللعب و التهرج ساعة الدرس الذي يراه غير مهم لغياب الوعي بهذه العملية التعليمية ، فالأهم عنده هو إشباع حاجاته الأنية فقط في كل نواحي حياته.

يسعى كثير من المعلمين إلى إستخدام العقاب النفسي والبدني وجرح مشاعر المتعلمين ، حيث أشارت بعض الدراسات أن أهم المشكلات التي يواجهها تلاميذ المرحلة الثانوية هي سوء معاملة المعلمين وغالبا ما يرجع سوء العلاقة بين المعلم والتلميذ إلى مسألة حفظ النظام داخل القسم حيث أشارت بعض الدراسات العربية الأردنية ، أن ضعف إنضباط التلاميذ و انتشار مشكلاتهم السلوكية مشكلتان رئيسيتان في المدرسة حيث أصبح المعلم يعاني مما يؤدي إلى قلة عطائه وأدائه وبالتالي انخفاض مستويات النجاح و هذا كله راجع إلى إهتزاز مكانة المعلم وضعف المتابعة الأسرية و استحالة فصل التلميذ المشاغب و إنتشار أفلام العنف.

ومن نتائج التسلط المدرسي ينتج عنه التمرد و الإنسحابية والغضب و العدائية و حرمان التلميذ من مهارة المناقشة والتفاعل مع الآخرين و قلة الدافعية و تشجيع التلميذ على المقاومة من خلال إحداث الشغب و الفوضى وشروذ الذهن ، أو المعارضة المباشرة و التحدي.

و إحباط التلميذ لنقص إشباع حاجاته و إضعاف روح المبادرة و العجز في إتخاذ القرار و المحاربة. يرى بعض المعلمين أن العقاب البدني هو وسيلة قد تكون الوحيدة في ضبط التلاميذ وتقويم سلوكهم بالرغم من سلباته الكبيرة منها:

- أنه يوقف السلوك الغير مقبول مؤقتا.
- لا يعزز التعلم الجديد بشكل ملائم.
- إثارة العدوانية.
- إقتناع بأن العنف طريقة مشروعة لحل المشكلات.
- عدم تجانس نوع العقاب وشدته مع السلوك.

- يؤدي إلى الانسحاب.
 - تبني العقاب كسلوك.
 - لفت انتباه إلى السلوك المعاقب وتقليده.
 - توليد الخوف و القلق والصراخ والبكاء.
 - تكرار السلوك السلبي المعاقب لجذب الاهتمام.
 - عدم توضيح سبب العقاب.
 - يؤدي إلى تدهور العلاقة بين المعلم والمتعلم.
 - تربية التلميذ على الخضوع والذل من أخطر الانعكاسات على شخصية الفرد بالحط من تقديره لذاته وشعوره بالنقص قد يدفعه إلى إيذاء ذاته حتى إلى الانتحار.
- إن التربية في الدول العربية ، تحقق حرية التلميذ والمعلم معا حسب تقدير المنظمة العربية للتنمية ، إذ تعاني أمراضا مستعصية تتمثل في مشكلات كثيرة وتحديات كبيرة و أزمت حقيقية تعيق مسارها ويعد التسلط من سياسات التعامل التي تعاني منها المنظومة التربوية التي مازالت تن جراحها ويظهر أنيها كأعراض ونتائج هذه الصحة النفسية المعتلة.
- و التسلط في مجال التعليم لا يقتصر على التوبيخ والتعنيف المعنوي و المادي بل تعداه إلى طرق التدريس التي تتميز مثلا بالتلقين و التي تعتمد على الحفظ والتزديد و الإمتثال و الإستظهار ، ضارب عرض الحائط للنقد و البحث و التحريب و الفهم و الإعتمادية على النفس (الأنا) مما يجعل التلميذ سجين المقرر بكتبه ، فيغيب التفاعل الصففي و إستراتيجية حل المشكل فيكون منصتا فقط دون المشاركة في العملية التعليمية و هذا ما يثير الملل و انخفاض الدافعية و الإنجاز والقلق و الإكتئاب.
- و يهمل حاجات و إهتمامات التلاميذ مع عدم مراعاة الفروق الفردية. ويصبح التقويم نمطا يقوم على قياس كمية المعلومات لدى التلاميذ فقط.
- لقد رسمت معظم الأهداف التربوية العربية في مرحلة الستينات والسبعينات من القرن العشرين ولم تشهد تغيرات جوهرية في بنيتها و مضامينها وطبيعتها تتناسب مع الحد الأدنى لإيقاعات التغير الإجتماعي والسياسي والتقني المتسارع ، ولذلك أصبحت في كثير من الأحيان أشبه بمعروضات في متحف تاريخي ،

وضعف أهدافها (كالأهداف المسطرة في تونس 1958 ، وفي ليبيا 1979 و في الاردن 1964 وفي سوريا عام 1967 وفي الجزائر) و لم تتغير أو تعدل.

فالتربية العربية عاجزة مثلها في الجزائر بشكل عام بأوضاعها الحالية- من حيث الأهداف التربوية - عن الوفاء بمتطلبات الحاضر ، فكيف ستتحج إذن في مواكبة التغير و الإعداد للمستقبل و التعامل مع مشكلاته وموضوعاته و مستجداته ؟ إنها أهداف الماضي لأنها لا تلي بشكل ملائم حاجيات الحاضر، ولا تستجيب لتحديات المستقبل ، فالوثائق الرسمية للتعليم في الوطن العربي قلما تتضمن كلمة "مستقبل" و لا تحتوي على هدف " إعداد المواطن للمستقبل " في قائمة أهدافها التربوية أبداً على الرغم من أن التعليم عملية مستقبلية ، بينما هناك تركيز واضح و إلحاح صريح وضمني على الماضي من خلال التشبث على ثوابت لا تسمح بالتغيير³ .

هناك عوامل أخرى لتدهور الصحة النفسية للتلميذ منها:

-طرق التدريس:

و هي الإجراءات الخاصة بتقديم المادة التعليمية ومحتوى النشاطات.⁴ و هي كذلك وسيلة لترجمة محتوى المناهج وتحويله واقعا ملموسا⁵. و هي كذلك الكيفية لإيصال المعلومات و المعارف للتلاميذ.

و في كل مرة يحاول التربويون تطوير هذه الطرق لمواكبة عصر التغير التي يجب:

أن تكون قائمة على البحث العلمي وتحويل البيئة المدرسية إلى ميدان للنشاط و التدريب من خلال التجارب وإطلاع التلاميذ على أحدث الوسائل العلمية وتدريبهم عليها وتشجيع التعلم الذاتي و المناقشة و الحوار و اكتشاف مهاراتهم العلمية المبدعة والتحلي بالمرونة والقدرة على التكيف.

و حتى تكون هذه الطرق مواكبة للعصر والتغير على المعلمين أن يواكبوا هذه التغيرات ويغيروا من الطرق التي تعلموا بها في الماضي حتى لا يشعر التلميذ بالاغتراب فحاضره ليس بحاضره ومستقبله متنبأ به بالفشل مسبقا لأننا نكون في الحاضر لأجل المستقبل.

-المناهج الدراسية:

تمثل كل الخبرات المخططة التي يمر بها التلاميذ في المدرسة أو خارجها تحت إشراف المدرسة .⁶ و هو كل الخبرات التي يمر بها الفرد في برنامج تربوي يهدف إلى تحقيق غايات تربوية عامة وخاصة، ويخطط في ضوء النظرية والبحث أو الممارسة المهنية الماضية والحاضرة.⁷

إن كثيرا من المناهج و الكتب المدرسية العربية ممتلئة بالمعلومات القديمة ، وتركز في معلوماتها على مواضيع لا تمت إلى المعاصرة بصلة ، ما جعل كثيرا من مجتمعاتنا تعيش في هذا العصر ولا تعاصره ، بل تعاصر مجتمعات القرن 17 أو 18 و هذا يشير إلى استمرار الفرض التعسفي القهري ، و هذا بحد ذاته كارثة تخطيطية فكيف يكون الأمر قد خلت المناهج والكتب المدرسية من أي إشارة أو تركيز أو اهتمام على مواضيع مستقبلية ، علما بأن التلاميذ الذي وضعت لأجلهم هذه المناهج لهم اليوم ، سيكونون مسؤولين في المستقبل من دون أن تكون لديهم فكرة صحيحة عن هذا المستقبل⁸

و قد تتوضح مظاهر الاتجاه نحو الماضي في المناهج الدراسية العربية بصفة عامة كالآتي:

- صلاية المقررات و جمودها فيما يتعلق بمطالب التعليم أو البيئة، فهناك شبه انفصال بين المدرسة وبيئة التلميذ.

- عجز المناهج الدراسية عن إيجاد حلول ناجحة لتحديات العصر ومشكلات المجتمع.

- ضعف المواكبة للاتجاهات الحديثة في التربية والتعليم والتطور العلمي و التكنولوجي، والعجز عن التمهيد للتطورات التعليمية المستقبلية.

- الفصل بين المعرفة و التطبيق ، أو بين العلم و التكنولوجيا ما أدى إلى إضعاف الطرفين ، فالعلم بات قواعد و مبادئ مجردة و التكنولوجيا أصبحت عملا بلا وظيفة.

- غلبة الرسمية و المركزية و الجمود على المناهج ، وتركيزها على استعمال الكتب المقررة نفسها في جميع المدارس و الاهتمام الكبير بالمعلومات التي تحتويها من دون توفير المرونة للمعلم في اختيار المحتوى الذي يلائم قدرات تلاميذه و اهتماماتهم و احتياجاتهم المعيشية واليومية ، وضعف الاهتمام بتعليم التطبيقات العملية للمفاهيم التي تدرس في مواد العلوم ، وإهمال استخدامها في سد احتياجات المجتمع و البيئة المحيطة . وتكدس المناهج بالمعلومات و الحقائق.

- قدم وتختلف كثير من المقررات و المواد الدراسية في استيعابها لمشكلات العصر ومتغيراته ، فمواد مثل البيئة والمرأة والطاقة والتنمية والتربية و المعلوماتية غائبة عن مناهج معظم المدارس العربية⁹ .

-التقويم التربوي:

هو مجموعة من الأحكام التي تقيس جانبا أو أكثر من التعلم ، وتشخص نقاط الضعف والقوة للوصول إلى اقتراح حلول تصحح المسار للعمل على تحسين التعلم.¹⁰
مزال التقويم في البلدان العربية بتصنيف التلاميذ فوق المعدل أو تحت المعدل ، فيكفي رقم أن يحدد النجاح و الفشل و بالتالي ما زال منحصر في الماضي و أساليبه.
أما التقويم الحديث المستقبلي فهو يشمل كل أبعاد العملية التربوية من المناهج ، الإدارة ، البناء المدرسي المعلمين والتلاميذ بتقويم كل جوانب شخصيتهم من ذكاء ، وقدرات و ميول و إتجاهات حيث التقويم يعتمد على أساس الكفاية وليس المعرفة.

-الإدارة التربوية:

هي مجموعة من الإجراءات و العمليات المصممة وفق نظام منسق ومنسجم بين عناصر العملية التربوية بغية الوصول إلى أهداف موضوعية في إطار نظام تربوي وعلاقته بالمجتمع ، بتسخير كل الطاقات البشرية و المادية.

و للإدارة التربوية مقومات تبنى عليها حفاظا على الصحة النفسية للتلميذ من أهمها المستقبلية والعلمية و استخدام الأدوات و الوسائل التقنية الحديثة وخدمة المصلحة العامة و استخدام الحوار في جو ديمقراطي شوري للوصول إلى الكفايات.

إن سيطرة المعلم داخل غرفة الصف تجعله يستخدم إستراتيجيات الضبط بما أنه هو المسؤول على الضبط المدرسي من خلال إيجاد القوانين و فرضها إصدار التوجيهات بإستخدام العقاب و العزل أو الحجز داخل المدرسة أو الإيقاف عن الدراسة.

إن إعداد الأهداف التربوية يعني العمل على صياغة المستقبل ، و رسم صورته ، وتحديد معالمه ، ولذلك فإن كثيرا من الدول و المجتمعات تنشغل حاليا في إعادة بناء أهدافها التربوية لتواكب المستجدات

والتغيرات ، وأصبحت أهداف التربية في القرن الحادي والعشرين أكثر وضوحا و تحديدا . فهناك تركيز كبير حاليا على ضرورة أن يهدف تعليم المستقبل إلى تدريب الأفراد على واجبات المواطنة ، والمشاركة السياسية والمجتمعية ، وغرس قيم العمل و الإنتاج و الإتقان و زيادة قدرتهم على الابتكار و الإبداع و التنظيم و تطوير التفكير المنهجي النقدي لديهم ، و دعم قدرتهم على التكيف مع التغير المستمر لتوقع سرعته و إتجاهاته ، و استشرافه و الاستعداد للتأثير فيه ، ووضع الافتراضات الإحتمالية عن المستقبل ، كما أن تعليم المستقبل يجب أن يهدف إلى بناء الشخصية الإنسانية أكثر من الحصول على المعلومات عن طريق التلقين أو إرجاع البضاعة في الإمتحانات ، حيث التزايد المستمر في حجم المعارف ، وتنامي القدرة على تخزين البيانات و معالجتها التي توفرها تقنية الحاسوب الحالية ، جعل ما يتذكر أقل أهمية مما يفهم .¹¹

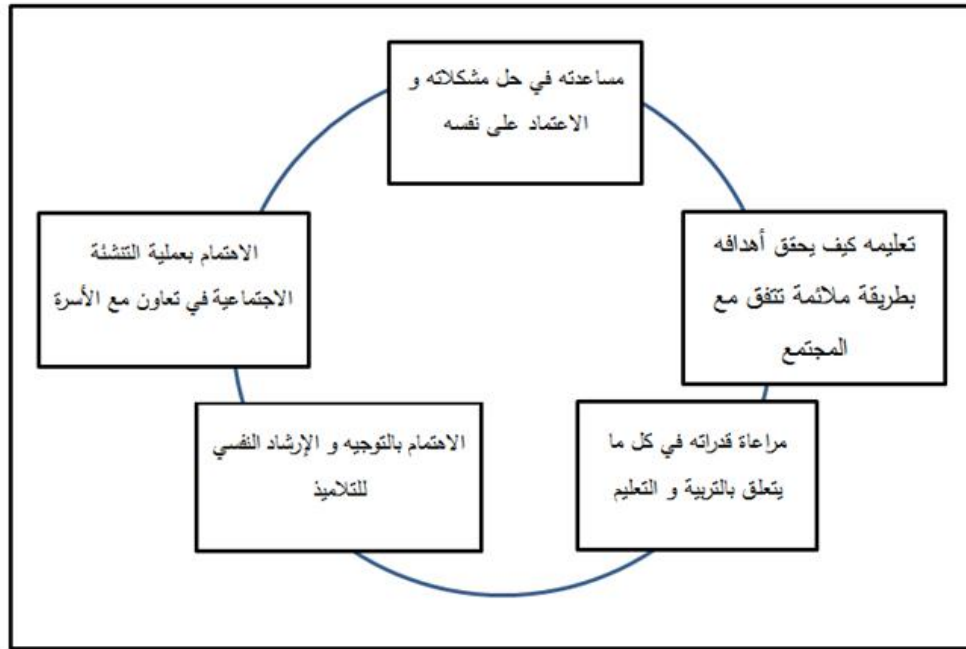
إن أهم سمات القرن 21 سوف تتمثل في الجمع بين القدرة على التفكير الشامل و الإحاطة بالتخصص الرئيس هذا ما يراه كل من فياتر 1997 و Wishnietsk1990 ، وعليه يجب أن يهتم التعليم والتربية على تنمية الإنسان تنمية شاملة ومتكاملة و متوازنة ، أي تكوين الإنسان الكلي عن طريق تقوية قدرات المتعلم البدنية والعقلية و الروحية و الإجتماعية و المهارية و الجمالية ، بدلا من التركيز على الجانب العقلي فقط ، وكذلك تكريس الشمولية المعرفية عن طريق الإلمام بالمضامين و المفاهيم المختلفة ، و تنمية التفكير عبر نشر مهارات المعرفة العقلية في طرائق الدراسة و الفهم والتساؤل و التنظيم والتفسير ، أي توظيف العمليات العقلية من التصنيف والتبويب و التحليل و المقارنة والتجريب والتأمل و النقد و إدراك العلاقات وإكتساب روح المغامرة ، وإحتمال الخطأ من التجربة و حل المشكلات و تصميم البدائل ، و إبداع أشكال جديدة مغايرة للصور القائمة ، أو التنبؤ بنتائج متوقعة تحسبا للمجهول ، و استخراج قوانين أو تقنيات جديدة ، و أخيرا توظيف الأساليب والطرق ومصادر المعرفة المختلفة عن طريق توظيف التكنولوجيا في التعلم والتعليم وعليه أن تهدف التربية خدمة المجتمع لتصبح المدرسة قاعدة لمواهب المجتمع ، وتمكن المدرسة من الاستفادة من الموارد الخدمانية والمالية في المجتمع.

في خضم مواجهة تحديات العولمة بات على التربية الاهتمام بالمحافظة على الهوية والخصوصية الثقافية ، فعلى سبيل المثال ، يطور الأمريكيون تعليمهم المستقبلي بهدف المحافظة على الصداقة أو صداقة

الصدارة، ويسعى اليابانيون نحو العالمية من دون فقدان الهوية ، أما تعليمنا فيجب أن تتضمن أهدافه وصول مجتمعاتنا إلى موقع أكثر تقدماً بين البشر والحفاظ على هويتها¹² يرى السورطي أنه : لا يجوز تحت شعارات التجديد والتحديث ، أو التطوير و العصرية جعل التعليم وسيلة للتبعية الثقافية ، أو ذوبان ذاتية الثقافة العربية في الثقافات الأخرى ، بل يجب الحفاظ على خصوصيتها ، مع ضرورة مواكبتها متطلبات التطور المعاصر الذي أحدثه الانفجار المعرفي والثورة التقنية وثورة نظم الاتصال و المعلومات.

مسؤوليات المدرسة بالنسبة للنمو النفسي والصحة النفسية من المسؤوليات التي تقع على عاتق المدرسة بالنسبة للنمو النفسي والصحة النفسية للتلاميذ ، يظهره الشكل التالي¹³:

شكل بياني رقم 1: عنوان الشكل البياني



تهدف أنشطة وبرامج التدخل النفسي للصحة النفسية المدرسية إلى:

- تقويم الصحة النفسية للتلاميذ بالتعرف على المؤشرات الصحية السليمة في كافة المجالات.

- حفظ الصحة النفسية للتلاميذ ضمن المستوى المطلوب وتعزيزها.

- تعريف العاملين في المجال التربوي والصحي بأولويات المشكلات النفسية في السن المدرسي.
- اكتساب القائم على الصحة النفسية مهارات التخطيط و التنفيذ و التقييم.
- تدريب العامل في المجال التربوي النفسي على المهارات اللازمة للاكتشاف المبكر لهذه المشكلات.
- تزويد المختص بمهارات التوعية للصحة النفسية.
- التنسيق مع الجهات الصحية الأخرى في تقديم الخدمات العلاجية المتقدمة¹⁴
- مسؤوليات المدرسة بالنسبة للنمو النفسي والصحة النفسية للتلميذ بإعتبار:
- المدرسة فظام جديد (مرجعية الوالدين مقابل المدرسة - قانون الأسرة مقابل قانون المدرسة - معيار البنية مقابل معيار الأداء).
- تقديم الرعاية النفسية.
- اكتساب المعايير الإجتماعية.
- مراعاة قدراته (الفروق الفردية)
- التوجيه و الإرشاد النفسي.
- التعاون في عملية التنشئة الإجتماعية.
- مراعاة كل ما من شأنه ضمان نمو الطفل نمو نفسيا سليما .¹⁵

خاتمة:

إن تدهور مستوى الصحة النفسية للتلميذ في المدارس يرجع في الأساس إلى الأسرة ومستوى تنشأها و إلى الإضطرابات الانفعالية الخطيرة التي تعيق النمو الطبيعي للطفل ليس تحصيليا فقط و إلى الجو المدرسي الغير مناسب (مشكلات المنهج والمعلم والتقييم...) و إلى البعد الذهني الدماغي (التخلف العقلي ، الإصابات الدماغية ومشكلات النضج الدماغي)، بطء التعلم (وأخيرا صعوبات التعلم.

و قد تفرز الأسرة و المدرسة عوامل عدة للإضطرابات و المشاكل أهمها الضبط المفرط ، فرط النشاط وقلة الإنتباه ، القلق ، الخوف المدرسي ، قلق الانفصال و القلق الإجتماعي ، الإكتئاب إضطرابات الشهية والنوم ، الأمراض السيكوماتية وما ينتج عنها من أعراض مصاحبة كالإنطواء والحجل وفقدان

القدرة على الإستماع بالدراسة و الأنشطة ، العدائية ، التهريج ، صعوبات التركيز ، شرود الذهن والكف الذهني.

إن تحقيق الصحة النفسية هو الهدف النهائي للتوجيه والإرشاد النفسي (أي تحقيق السعادة) وتحقيق بقدرة التلميذ على حل المشكلات و إشباع مطالب نموه وذلك بالتعرف على أسبابها و أعراضها وإزالة ما يؤثر عليه ومساعدته على إتخاذ قراراته بنفسه وتحقيق ذاته و تغيير إتجاهاته وسلوكه إلى الأحسن بثقة وإطمئنان .

الهوامش:

¹¹ حجازي ، مصطفى (2004) ، الصحة النفسية : منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت و المدرسة . ط2 . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب - بيروت . لبنان . ص.123.

² حجازي ، مصطفى (2004) ، الصحة النفسية : منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت و المدرسة . ط2 . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب - بيروت . لبنان . ص.245.

³ السورطي ، يزيد عيسى (2009) ، السلطوية في التربية العربية ، مجلة عالم المعرفة . المجلس الوطني . الكويت . ص.63.

⁴ Hannallah , R.K & Guirguis , M.T(1998) : Dictionary of The Terms of Education , Beirut : Libraire du Liban .p38.

⁵ السورطي ، يزيد عيسى (2009) ، السلطوية في التربية العربية ، مجلة عالم المعرفة . المجلس الوطني . الكويت . ص.64.

⁶ Hannallah , R.K & Guirguis , M.T(1998) : Dictionary of The Terms of Education , Beirut : Libraire du Liban .p.40.

⁷ Hass , G. & F.W.Pakay .(1993) : Curriculum Planning . Boston : Allyn & Bacon .p67.

⁸ الكرمي ، زهير (1998) الإنسان والتعلم ، دار الهلال للترجمة ، اريد ، الأردن . ص.83.

⁹ السورطي ، يزيد عيسى (2009) ، السلطوية في التربية العربية ، مجلة عالم المعرفة . المجلس الوطني . الكويت . ص.163-164.

¹⁰ Hannallah , R.K & Guirguis , M.T(1998) : Dictionary of The Terms of Education , Beirut : Libraire du Liban .p46

- ¹¹ السورطي ، يزيد عيسى (2009) ، السلطوية في التربية العربية ، مجلة عالم المعرفة .المجلس الوطني . الكويت .ص70.
- ¹² شوقي ، أحمد(1992) ، هندسة المستقبل ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة .ص192.
- ¹³ أبو أسعد، أحمد عبد اللطيف (2015) ، الصحة النفسية منظور جديد ، دار المسيرة — عمان الأردن .ص324.
- ¹⁴ أبو أسعد، أحمد عبد اللطيف (2015) ، الصحة النفسية منظور جديد ، دار المسيرة — عمان الأردن .ص326.
- ¹⁵ أبو أسعد، أحمد عبد اللطيف (2016) ، الصحة النفسية منظور جديد ، دار المسيرة — عمان الأردن .ص329.

المراجع:

- 1- شوقي ، أحمد(1992) ، هندسة المستقبل ، المكتبة الأكاديمية ، القاهرة.
- 2- السورطي ، يزيد عيسى (2009) ، السلطوية في التربية العربية ، مجلة عالم المعرفة .المجلس الوطني . الكويت.
- 3- الكرمني ، زهير (1998) الإنسان والتعلم ، دار الهلال للترجمة ، اريد ، الأردن.
- 4- أبو أسعد، أحمد عبد اللطيف (2015) ، الصحة النفسية منظور جديد ، دار المسيرة — عمان الأردن.
- 5- أبو أسعد ، أحمد عبد اللطيف(2016) ، الإرشاد المدرسي، دار المسيرة ، ط الخامسة ، عمان الأردن.
- 6- حجازي ، مصطفى (2004) ، الصحة النفسية : منظور دينامي تكاملي للنمو في البيت و المدرسة . ط2 . المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب — بيروت . لبنان.
- 7- Hannallah , R.K & Guirguis , M.T(1998) : Dictionary of The Terms of Education , Beirut : Libraire du Liban .
- 8- Hass , G. & F.W.Pakay .(1993) : Curriculum Planning . Boston : Allyn & Bacon .

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

الاساءة الانفعالية وانعكاساتها على الكفاءات الانفعالية لدى المراهق

الغالية البنوحي

طالبة باحثة بسلك الدكتوراه للسنة الثانية

جامعة الحسن الثاني -المحمدية ، كلية الآداب و العلوم الانسانية

lghaliya.elbonohi1993@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/06/08 م تاريخ التحكيم: 2021/06/13م تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص بالعربية:

ظاهرة الاساءة الانفعالية من الظواهر الانسانية التي تشكل تحديا حقيقيا بمختلف المجتمعات، وهذا لما لها من تأثيرات سلبية على تكوين شخصية الفرد، وسنحاول في هذه الورقة التركيز على مفهوم الاساءة الانفعالية، هذا المفهوم قلما تركز عليه الابحاث باعتباره مفهوم متداول وله انعكاسات عديدة ووخيمة بمرحلة الطفولة وتمتد الى مرحلة المراهقة والرشد ، ومن هذا المنطلق تنبع اهمية هذه الورقة البحثية في تفكيك مفهوم الاساءة الانفعالية والتعرف على مفهوم الكفاءات الانفعالية وتسطير اهميتها لدى المراهق، والتعرف على تأثيرات الاساءة الانفعالية على ضوء الكفاءات الانفعالية، بناء على هذا جاءت هذه الورقة البحثية كي تسعى للإجابة عن التساؤلات التالية ما هي سوء المعاملة الانفعالية؟ وماهي الكفاءات الانفعالية واهميتها لدى المراهق؟ وما هي تأثيرات الاساءة الانفعالية على ضوء الكفاءات الانفعالية؟

الكلمات المفتاحية: الاساءة الانفعالية - الكفاءات الانفعالية.

Emotional abuse and its repercussions on the emotional competencies of adolescents

ELGHALYA ELBOUNOUHI

Second year PhD student at faculty of Letters and Human sciences in Mohammdia.

Faculty of Letters and Human Sciences, Hassan II University – Mohammdia

Specialization : Psychology

lghaliya.elbonohi1993@gmail.com

Abstract:

Psychological abuse is one of human phenomena that poses a real challenge to many societies, this due to the negative impacts on the construction of

individual's personality, in this paper; we will try to focus of the concept of psychological abuse. This latter is less likely to be treated by researches as it is common and has several and severe influences on the period of childhood and goes into adolescence and maturity. From this point of view, the importance of this research paper stems from disassembling the concept of psychological abuse and identifying the concept of emotional competencies and controlling its importance for the adolescent, and identifying the effects of emotional abuse in the light of emotional competency, based on this, this research paper comes to answer the following questions: what is psychological maltreatment? What are the emotional competencies and its importance for the adolescent? What are the effects of psychological abuse in the light of emotional competencies?.

Keywords: Psychological abuse – Emotional competency.

مقدمة

تشكل الاساءة الانفعالية احد انماط السلوك الموجه للآخر، كما انها تصنف ضمن صيغ سوء المعاملة التي يمكن ان ينتج عنها ضرر سلبى على النمو المعرفى، الانفعالي، النفسى، الاجتماعى للشخص. ويمكن ان تحدث الاساءة الانفعالية في كل مؤسسات التنشئة سواء تعلق الامر بمؤسسة المدرسة او الاسرة بغض النظر عن الخلفية الثقافية والاجتماعية والعرقية للأسرة، ومن الطبيعى ان جل الاسر تسعى الى تحقيق الافضل لأبنائها، ومع ذلك فقد يسيء بعض من الاباء والامهات معاملة ابناءهم وبالأخص بمرحلة المراهقة وهذا راجع لعدم فهمهم لبعض خصوصيات لهذه المرحلة، او بسبب جهلهم لأساليب التربية السليمة، ونقص مصادر الدعم النفسى-الاجتماعى للأسر، الا ان اغلبية المهتمين بهذا الاتجاه يتفقون على ان الاتجاهات او المعاملة الوالدية الغير السليمة ضمن موقف مؤقت معين لا تدخل ضمن اطار الاساءة الانفعالية، حتى وان فقد الاباء او الامهات بلحظة معينة قدرتهم على التحكم في الذات او عدم قدرتهم على ضبط انفعالاتهم، مما يجعلهم يصدرن سلوكات مؤذية لأطفالهم، او عند فشلهم في اعطاء ابناءهم الانتباه المطلوب، او عند نهجهم لأفعال وسلوكيات عن غير قصد مما يتسبب في ضرر نفسى او جسدى... بأبنائهم.

وعلى ضوء ما سبق جاءت هذه الورقة البحثية لتجيب عن الاسئلة التالية: ما هي سوء المعاملة الانفعالية؟ وماهي الكفاءات الانفعالية واهميتها لدى الطفل والمراهق؟ وما هي تأثيرات الاساءة الانفعالية على ضوء الكفاءات الانفعالية؟

المحور الاول: مفهوم سوء المعاملة الانفعالية (Psychological Abuse)

لقد كان "اول ظهور لمفهوم سوء معاملة الطفل بالقانون البريطاني للطفل سنة 1989 وعرفها هذا القانون على انها عبارة عن النتائج السلبية التي تنعكس على التطور النفسي، العاطفي للطفل والتي يكون سببها سوء المعاملة والاهمال النفسي الشديد من الوالدين.¹ كما ان الاساءة بشكل عام تشمل كل وضع يخص الانتهاك الجنسي او الاهمال او الاستغلال التجاري وغيره المؤدي الى اذى حقيقي او محتمل تؤدي صحة الطفل وبقائه وتطوره.

ويمكن تعريف سوء المعاملة ايضا بانها "جميع اشكال سوء المعاملة الجسدية او العاطفية او الاعتداء الجنسي او الاهمال او الاستغلال الاقتصادي المسبب لضررا فعليا او محتملا لصحة الطفل او لكرامته. وقد ورد في وثائق منظمة الصحة العالمية (التقرير العالمي حول العنف و الصحة و تقرير المشاورات حول منع اساءة معاملة الاطفال) هناك اربع انواع مختلفة من اساءة معاملة وهي: (الاعتداء الجنسي، الاساءة الانفعالية أو النفسية –العنف الجنسي-اهمال الطفل)².

وتعرف اساءة المعاملة بأنها " كل ما من شأنه ان يعيق نمو الطفل نموا متكاملا سواء اكان بصورة متعمدة من قبل المشرفين على تربيته وتنشئته اجتماعيا ويتضمن ذلك الاتيان بعمل يترتب عليه ايقاع ضرر مباشر للطفل كالإيذاء البدني او نهج سلوكيات من شأنها ان تحول دون اشباع حاجات الطفل المتنوعة (التربية و النفسية و الجسمية و الانفعالية و الاجتماعية) وتوفير الفرص المناسبة لنموه نموا سليما".³

وتجدر الاشارة الى انه يدخل في اساءة المعاملة امتناع شخص او تقصيره في الوفاء بواجباته في توفير الحاجات الاساسية لشخص اخر من افراد أسرته او ممن يترتب عليه شرعا او نظاما توفير تلك الحاجات لهم. وستتناول في هذه الورقة كل شكل من اشكال اساءة المعاملة على حدى مع التعرج على مفهوم سوء المعاملة الانفعالية باعتباره مفهوم يهمننا بهذه الورقة البحثية، ومن بين اشكال سوء المعاملة نذكر:

1. الاساءة الجسدية Physical Abuse: ويقصد بها ما يلحق من اذى بالجسم من طرف

المشرفين على رعاية الطفل (الجروح، الحروق، الكي بالنار، الضرب الحرمان من التغذية والنوم...الخ.⁴ يقصد به الاستخدام المتعمد للقوة ضد الطفل، الذي ينتج عنه او له احتمال

كبير في أن يحدث ضرراً على صحة الطفل، ونموه وكرامته ويشمل (الضرب والعض والخنق والتسمم والاختناق...الخ).

2. **الاساءة الجنسية Sexual Abuse**: كل مشاركة لطفل ما بنشاط جنسي لا يقوم به ولا يفعله بشكل إرادي و غير فاهم له وغير قادر على اعطاء موافقة، ويعد انتهاكا للقانون وغالبا ما يأتي الاعتداء الجنسي على الاطفال من قبل البالغين بحكم سنهم أو مرحلة نموهم.⁵ عندما تحدثنا عن الاساءة الجسمية أو الجسدية و الجنسية فمن البديهي ان لا نتحدث عن اثارها لأنها سهلة التشخيص و علامتها واثارها تظهر واضحة على جسد الطفل وتصدر الإشارة الا انها غالبا ما تكون مصحوبة بإساءة انفعالية/نفسية كالإهانة والنبد.

3. **الاساءة الانفعالية Psychological Abuse**: يصعب تحديد مصطلح واحد للإساءة الانفعالية، فقد تطرق لها الباحثون بمسميات متعددة منها الاساءة النفسية أو الاساءة اللفظية او القسوة الانفعالية، ويقصد بها كل الأفعال والحوادث سواء (المعزولة أو المتكررة) والتي تحدد نمو واستقرار الطفل لان الأفعال المرتكبة في هذه الحالة تتميز بالعدائية واللامبالاة والرفض ويكون لها احتمال كبير في التأثير على جسم الضحية أو صحته العقلية أو تطوره الجسدي أو الاجتماعي. وتشمل الاساءة الانفعالية كل من⁶:

3.1 **التجاهل Ignoring**: سواء كان تجاهل بدني أو نفسي ويدل على غياب

الاستجابة وانعدام التواصل البصري واللفظي من طرف الاباء او المربين؛

3.2 **النبد Rejecting**: ويتجسد في الرفض النشط في الاستجابات

لاحتياجات الطفل والسخرية الدائمة من الطفل؛

3.3 **العزل Isolating**: ويتمثل في كون الاباء او المربين يقيدون حرية حركة

الطفل دون مشاركته في الانشطة الاجتماعية مع الاقران؛

3.4 **الاستغلال والإفساد Exploiting or Corrupting**: وفي هذا

النمط من إساءة المعاملة يعلم الطفل ويشجع أو يجبر علي الإتيان بسلوكيات غير اجتماعية أو غير قانونية أو مضادة للمجتمع، ومنها سلوكيات تدمير

الذات، أو الأفعال الإجرامية المضادة للمجتمع، كالسرقة أو إجبار الطفل على ممارسة سلوكيات غير مقبولة اجتماعيا ؛

3.5 الاعتداء أو الهجوم اللفظي **Verbally Assaulting** : ويتضمن

هذا النمط من إساءة المعاملة تحقير الطفل والتقليل من شأنه والاستهزاء أو السخرية الدائمة منه والتهديد اللفظي بإيقاع الأذى به؛

3.6 التخويف أو الترهيب **Terrorizing**: وفيه يتم تهديد الطفل بإيقاع

الأذى به ومضايقته وإزعاجه بصورة مستمرة وبث الخوف والرعب فيه، وفرض توقعات ومطالب مبالغ فيها علي الطفل تتجاوز بكثير قدراته وإمكاناته علي تحقيقها مع التهديد الدائم بالعقاب حال الفشل في إنجاز أو تحقيق هذه التوقعات والمطالب؛⁷

3.7 الإهمال **Neglect** : نمط من الفشل أو العجز في تقديم العناية الكافية

للطفل من طرف أحد الابوين أو كلاهما أو المشرف على الرعاية وهذا ما يضر بصحته النفسية والجسدية، ويكون الإهمال في واحد أو أكثر من المجالات التالية العناية الطبية، التعليم، التطور العاطفي والتغذية، توفير المأوى والظروف المعيشية الآمنة.⁸

فمن خلال استعراضنا لأنماط الإساءة يمكننا الحزم بأنها ظاهرة متعددة الاشكال، ولا يمكن تحديد مكان وقوعها فيمكن ان يتعرض لها الطفل داخل البيت او بالشارع او بالمؤسسة التربوية او بأماكن الترفيه... وغيرها، وانعكاساتها على الاطفال لا تنتهي بمرحلة الطفولة بل تمتد الى مرحلة المراهقة والرشد، فالطفل اذا ما تعرض للإساءة الانفعالية تكون طفولته مليئة بالأحداث و الخبرات المؤلمة مما يؤثر على ادراكه بفترة المراهقة و نموه الانفعالي وكفاءاته الانفعالية.

المحور الثاني: مفهوم الكفاءات الانفعالية واهميتها لدى المراهق

ان مفهوم الكفاءات الانفعالية من بين اهم المفاهيم المنبثقة عن المكون الانفعالي الوجداني للذات، مما يؤكد لنا ارتباط الكفاءات الانفعالية بالذات الانسانية، الشي الذي ينعكس ايجابيا على انتاج انماط مميزة من الشخصيات بالمجتمع ، مما يتطلب التكيف معها قبل ان تنعكس على شخصية الفرد، والتأثير على صحته النفسية والاجتماعية والعاطفية، من خلال ظهور بعض الاضطرابات والسلوكيات المرفوضة

اجتماعيا مما يؤدي إلى سوء التوافق النفسي والاجتماعي وضعف بالبنية الشخصية الإنسانية. وهنا سوف نحاول ان نقدم بهذه الورقة تعريفات لمفهوم الكفاءات الانفعالية مع ابراز اهميتها لدى المراهق.

1. مفهوم الكفاءات الانفعالية (Emotional Competencies)

يعد مفهوم الكفاءات الانفعالية من المفاهيم الحديثة في علم النفس، وقد انبثق هذا المفهوم اساسا من المفاهيم التي طرحها (بار-اون Bar-on وماير وسالوفي Salovey&Mayar وجولمان Goleman وآخرون) فقد اكدوا جميعهم ان الكفاءة الانفعالية ماهي الا الجانب الادائي للذكاء الانفعالي.

من بين الذين أشاروا الى مفهوم الكفاءات الانفعالية وميزوها عن مفهوم الذكاء الانفعالي نجد (جولمان، 1995، Goleman) فقد حظي المتخصص النفسي دانيا جولمان Danial Goleman بشهرة واسعة من خلال كتابه الذكاء الانفعالي، فقد وضع الذكاء الانفعالي مقابل المفهوم التقليدي للذكاء، وقد ادعى غولمان (1996) بأنه لا قيمة للذكاء المرتفع من دون الحياة الانفعالية السليمة، فكلاهما الذكاء العقلي والانفعالي يتفاعلان معا بصورة معقدة جداً ومستمرة ومازال بحثهما يفتح آفاقا جديدة⁹.

وقد وضع جولمان، 2001، Goleman مجموعة من الكفاءات التي لها اهمية كبيرة لنجاح الفرد في مجالات الحياة المختلفة تفوق ما للذكاء المعرفي من اهمية لذلك فمفهوم الكفاءات الانفعالية من المفاهيم التي تحضي باهتمام متزايد¹⁰.

يعرفها (Eisen berg et Al 1998) على انها " مجموعة من المهارات الانفعالية تسمح بفهم الشخص لانفعالاته وانفعالات الآخرين والميل الى اظهار انفعالاته بالأسلوب الافضل من ناحية الموقف والثقافية والقدرة على السيطرة على انفعالاته واختبار وتعديل السلوكيات الناجمة عن الانفعالات واطهارها بأسلوب لائق اجتماعيا بهدف تحقيق اهدافه. ¹¹ فمصطلح المهارات الانفعالية الأساسية يشير إلى القدرة على التعرف، الفهم، التعبير، استعمال وتوظيف الفرد لانفعالاته وانفعالات الآخرين.¹²

كما تعرفها سارني (Saarni 1999) على انها اظهار او تطبيق فعلى للقابليات المتعلمة من المواقف المستمدة من المعرفة المرتبطة بالجانب المعرفي وفي جزئه المؤثر على ميل الفرد للتعامل مع بيئته الاجتماعية المتمثل بالذكاء الانفعالي.¹³

وعرفها (Boyatzis 2000) على أنها خاصية من الخصائص الشخصية التي يتصف بها الشخص، والتي من المحتمل أن تعمل بوصفها دافعا أو سمة أو مهارة يستخدمها الفرد عند تصور ذاته وهي تؤدي دورا اجتماعيا معينا أو أنها بناء معرفي يفضل به الفرد لتحسين ادائه وإنجازه الانفعالي.¹⁴ كما تعرف بأنها عبارة عن مجموعة من القدرات لمعالجة العواطف أو المعلومات العاطفية على العموم ولقد اتفق الباحثين على أن هناك خمس كفاءات انفعالية أساسية وهي:¹⁵

1. **التعرف:** حيث يكون الفرد على مستوى هذه الكفاءة قادر على معرفة انفعالاته وانفعالات

الشخص الآخر؛

2. **الفهم :** حيث يكون الفرد على مستوى هذه الكفاءة قادرا على معرفة انفعالاته وانفعالات

الشخص الآخر؛

3. **التعبير:** تكون لدى الفرد القدرة على التعبير عن انفعالاته وجعلها مقبولة اجتماعيا والسماح

للآخرين بالتعبير عن انفعالاتهم؛

4. **الضبط:** قدرة الأفراد على تسيير انفعالاتهم وضغوطاتهم؛

5. **الاستعمال:** استعمال انفعالاتهم لزيادة الفاعلية (على مستوى اتخاذ القرار، الأفعال).¹⁶

يمكن أن نستنتج من التعاريف السابقة بأن الكفاءات الانفعالية هي مجموعة من المهارات المتكاملة فيما بينها، تظهر لدى الفرد ويتم تعلمها عبر اجراءات تستغرق مدة من الزمن للتدريب على تنميتها، فهي وظيفة ومهارة يطمح لها الافراد ضمن اطار وسياق اجتماعي معين، لذلك فالكفاءات الانفعالية لا تتطلب بالضرورة مستوى معين من الذكاء الانفعالي، ويمكن اكتسابها عن طريق التفاعل مع محيطنا الخارجي كما يمكن تعلمها بأي وقت طول حياة الانسان.

2. أهمية الكفاءات الانفعالية لدى المراهق

قبل الخوض في ابراز أهمية الكفاءات الانفعالية لدى المراهق، يجب أن نوضح العلاقة التي تربط بين الكفاءات الانفعالية بالسلوك الاجتماعي الذي يصدر عن الفرد وما يتشبع به الفرد خلال تنشئته الاجتماعية، ولكي نعمق الفهم يجب علينا أن نقدم تعريفا واضحا وبسيطا لمفهوم الانفعالات وهذا يضعنا امام تعاريف متعددة لمفهوم الانفعالات بتعدد المدارس النفسية الباحثة في الجانب الانفعالي، ولهذا فالتفسير الذي سنتطرق له هو تعريف يتماشى مع التفسير الفسيولوجي الذي نحن في سياق

الحديث عنه بغية توضيح العلاقة بين الكفاءات الانفعالية والسلوك الاجتماعي. فالانفعال هو عبارة عن حالات معقدة من المشاعر يصاحبها تغيرات جسدية تنتاب الفرد نتيجة لاستجابته لمثير ما، ومن هذه الانفعالات ما يوصف بأنه انفعال سار مثل الفرح كما أن منها ما يوصف بأنه انفعال غير سار مثل الحزن، الغضب، الخوف، الخجل، الاشمئزاز، والغالب أن الانفعال يطلق ليعبر عن الحالة الانفعالية للفرد بسياق اجتماعي.

بكل مجتمع توجد تصورات محددة اجتماعيا حول الكيفية التي ينبغي فيها التعامل مع الانفعالات. (Werber1997) ففي المجتمع الأمريكي والأوروبي الغربي توجد رؤية مفادها أنه لا بد من تقبل المواقف غير القابلة للتحكم وتغيير المواقف القابلة للسيطرة والنظر للضغوطات كتحديات ومواجهة الانفعالات. فإذا ما أخذنا تصور الكفاءة الاجتماعي لسارني (2002) بعين الاعتبار فإنه يتضح أن الفرد غالباً ما يجد نفسه أمام خيار الاستجابة بطريقة متلائمة اجتماعياً أو أنه عليه أن يبدي الشجاعة على إدراك مشاعره الخاصة وتقبلها والتعبير عنها، خاصة عندما لا تكون هذه المشاعر متناسبة مع الاستجابات الانفعالية المستخدمة في الإطار الثقافي¹⁷. وبناء عليه يمكن القول بأن الانفعالات مرتبطة بالعلاقات الاجتماعية والمعاملة الإنسانية بشكل لا يمكن فصله، بغض النظر عما إذا كان الانفعال ناتج عن لقاء أو صراع بين شخص أو اشخاص أو من خلال عدد كبير من المواجهات الإنسانية عبر فترة من الزمن .

وترى سارني أن أرضية الكفاءات الانفعالية تتحدد منذ الطفولة المبكرة. فعمليات التأثير المتبادلة في الأسرة والنمو المطرد للقدرات المعرفية والانفعالية الطفولية تشكل هذه الأرضية. وفي نهاية السنة الأولى تقريبا يراقب الأطفال المواقف المتعددة انفعاليا والسلوك الانفعالي لوالديهم. ويتعرفون من خلال ذلك على الخيارات السلوكية في التعامل مع الانفعالات¹⁸.

ولا يقتصر الأمر على الطفولة فحسب، بل أن اشخاص الإطار المرجعي يساعدون في سن البلوغ والرشد أيضا على تنظيم الانفعالات من خلال اسلوب الحوار لحل المشكلات ويستخدمون الفكاهة في المواقف أو من خلال محاولة الفرد مساعدة الأصدقاء على تنظيم انفعالاتهم من خلال المساندة الانفعالية. وبشكل خاص في العلاقات الانفعالية المستمرة طويلا فإن كفاءات التنظيم الانفعالي لدى الأشخاص الآخرين على درجة من الأهمية¹⁹.

وهنا نستحضر دايمان (Deomann1984) عندما سأل يافعين عن المساعدة التي يقدمونها لأصدقائهم الحزاني، فأجابت الغالبية بأنهم يقفون انفعالياً إلى جانب أصدقائهم فيواسوهم ويشجعونهم ويبدون التفهم والمحبة. ويحاول بعضهم الآخر حل الصراع الكامن خلف صراع الشخص الحزين أو صرف انتباهه عن الحزن.²⁰

يتضح من هذا ان الاشخاص المقربين كالأُسرة، الأصدقاء، الأزواج، الأشخاص المهمين، يمثلون موردا مهما للتنظيم الفاعل للانفعالات لان وجود الحاجات العاطفية الاساسية بمرحلة الطفولة كالتقبل والاهتمام والاستعداد للمساعدة والقدرة على التعاطف يلعب دورا مهم في تنمية الكفاءات الانفعالية لدى الفرد، بينما غياب هذه الحاجيات العاطفية قد يؤثر بشكل سلبي على مرحلة الطفولة، ويمكن ان يؤدي الى طفولة مصابة بمحنة بالخبرات المؤلمة وبالتالي تنعكس على التنظيم الفاعل للانفعالات، ذلك من خلال تفسير الأحداث الانفعالية بمراحل عمرية مختلفة باستخدام الاستراتيجيات المعتادة في السياق الاجتماعي المعاش بالطفولة. و من هنا يمكننا ان نبرز اهمية الكفاءات الانفعالية لدى المراهق و لتوضيح ذلك اكثر سنتطرق للحديث عن كفاءة التعبير عن الانفعالات باعتبارها احد الكفاءات الانفعالية الاساسية، لأن كبت الانفعالات لها اثار سلبية على نفسية الفرد خاصة الانفعالات السلبية كالغضب فعدم التعبير عنها ينتج عنه انعكاسات تضر الذات و احيانا تلحق الضرر بالآخرين، فنجد من المراهقين من يعجز على اقامة علاقة صداقة مع الافراد المحيطين به، يفضل ان ينهج اسلوب الانسحاب وعدم التفاعل مع الآخرين وعدم اثاره الضوضاء وهذه الخصائص تكون مفروضة عليهم من ذواتهم ، مما يعكس لنا افتقارهم للكفاءات الانفعالية وبالأخص غياب او ضعف المهارة على التعبير عن الانفعالات و فهم الانفعالات مما ينتج عنه سوء التكيف مع انفعالاته وفهمها والتعبير عنها.

في اطار الحديث عن اهمية التعبير عن الانفعالات نجد العديد من الأبحاث التي اهتمت بأهمية التعبير عن الانفعالات والمتعلقة بالتجارب الصدمية والانفعالية والجسمية والعقلية، وقد وصلت هذه الأبحاث إلى أنه من الممكن ان تتحسن الصحة الجسدية من خلال قيام الفرد بالتعبير عن انفعالاته أو ما يعرف بالتفريغ الانفعالي.

نجد الباحث " بنبيكر جيمس pennbaker " من جامعة " اوستن Austin " من بين اهم المهتمين والباحثين بهذا المجال، فقد اقترح نموذج الكتابة لتعبير عن الانفعالات وقد استعمله في الكثير من أبحاثه من خلال تجربة نمطية قامت على نموذج الكتابة "paradigme rating" (بنبيكر وقلاس

Panabaker et Glass 1988) وذلك من خلال طلبهم من مجموعة طلابية الكتابة خلال أربعة أيام متتالية إما عن حادثة صدمية مروا بها أو عن أي موضوع ، بهدف تقييم الآثار الإيجابية للتعبير عن الانفعالات على وظيفة المناعة النفسية والصحة ككل، وأظهرت النتائج أن التعبير عن الانفعالات شفها أو كتابيا لحادثة صدمية يحسن من الصحة النفسية، وكتبها لمدة طويلة يمكن أن يولد الضغط لدي الفرد وبالتالي يؤثر سلبا على جهاز المناعة وبشكل عام على الجانب الصحي بشكل عام.²¹ وقد بينت العديد من الابحاث انعكاسات الاساءة الانفعالية على احساس الفرد بذاته و هويته الشخصية وبسلوكه الاجتماعي، وقد استخدم برير Briere 1995 مصطلح مرجعية الذات المعاقة Impaired self -refernce لوصف تأثير سوء المعاملة على تنظيم الوجدان والاحساس بالذات واستجابات المواجهة عبر السياقات المختلفة والخبرات التي يمر منها الفرد، مما يتسبب بشعور الفراغ العاطفي والعزلة عن الآخرين، وردود فعل مفرطة نحو الضغوط، ويكون لديهم غموض وتشوش في الافكار والمعتقدات.²²

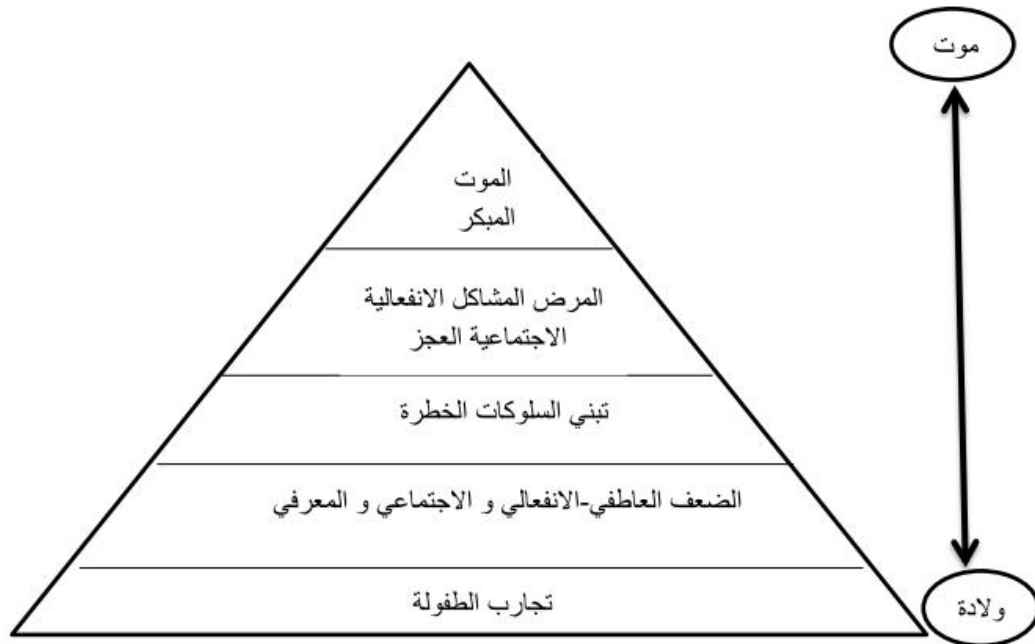
انطلاقا مما سبق فإن عدم تعبير المراهق على انفعالاته وكتبها والاحتفاظ بها سرا والتعامل معها بتجاهل بدل من التعبير عنها، كنتاج لاستثماره لخبراته المحملة من تجاربه السيئة المرتبطة بالطفولة، هذا الوضع يلعب دورا كبيرا في تشكيل الاضطرابات النفسية والصعوبات الانفعالية وكذا السلوكية، لذا وجب إيجاد برامج انمائية وارشادية فاعلة للتخفيف من هذه المعاناة. ولعل من بين أهم المواضيع التي يجب العمل على تطويرها وتنميتها لدى المراهق نجد مفهوم الكفاءات الانفعالية الأساسية والتي سبق لنا وان قدمنا تعريف لها على أنها القدرة على التعرف، الفهم، التعبير، استعمال وتوظيف الفرد لانفعالاته وانفعالات الآخرين، لهذا سنحاول في المحور التالي التركيز على الانعكاسات الممكن ان تحدثه الاساءة الانفعالية التي تلقاها الطفل في الطفولة خلال مرحلة المراهقة على الكفاءات الانفعالية لدى المراهق، وهذا لما تتميز به هذه المرحلة من تغيرات على المستوى البيولوجي، الاجتماعي، الانفعالي، النفسي... وما تفرضه من احتياجات ورغبات تضع عبئا مضاعفا على المراهق.

المحور الثالث: انعكاسات الاساءة الانفعالية على الكفاءات الانفعالية لدى المراهق

من الحاجات الاساسية لكل انسان كيفما كان نجد الحاجة للتقبل، التحفيز، الحب، التشجيع، الاتساق، الاستقرار، والاشباع العاطفي، لذلك يمكن أن يعاني المراهقين الذين تعرضون للإساءة الانفعالية بمرحلة الطفولة من امراض عصبية ونفسية كالتوتر والقلق، بالإضافة الى عدم القدرة على

التعبير وفهم وضبط انفعالاتهم أي ضعف بالكفاءات الانفعالية. وعلي الرغم من صعوبة ملاحظة علامات مرئية للإساءة الانفعالية فإن الجروح الخفية لهذا النمط من إساءة المعاملة تتضح في العديد من الطرق السلوكية وتتضمن عدم الأمن النفسي، قصور وانخفاض تقدير الذات، السلوك التخريبي، أفعال الغضب الانسحاب الاجتماعي، تأخر أو قصور نمو المهارات الأساسية، الادمان والخمور، صعوبة تكوين علاقات اجتماعية سوية مع الآخرين. وينمو الأطفال المساء معاملتهم انفعاليا مع إحساسهم بعدم الكفاءة في الكثير من المجالات. وتستمر مأساة الإساءة الانفعالية مع التقدم في العمر ويصبح هؤلاء الأطفال مراقبين راشدين آباء و ربما يواصلون هذه الدائرة مع أطفالهم.

فالطفل المتعرض للإساءة الانفعالية أو المعنف أو المتعرض لاعتداء جنسي...هو طفل ذو تجربة أو خبرة لها عواقب وخيمة على نموه النفسي والعاطفي بالمراحل العمرية اللاحقة، فكل أشكال الإساءة الانفعالية والنماذج التي تشكل تجارب طفولة سيئة (ACES) تؤثر على الفرد كما هو موضح بالشكل اسفله :



شكل 1: التأثيرات المحتملة طيلة عمر تجارب الطفولة السيئة

اذن تعد تجارب الطفولة السيئة "الاساءة الانفعالية نموذجاً" احداثاً معاشة لها وقع سلبي بالغ وأثر دائم على الفرد بالمدى البعيد، بحيث ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالسلوك الخطر وبالاضطرابات النفسية. فخلال كتابتنا لورقتنا المستعرضة بحثنا عن تأثيرات الاساءة ووجدنا بأن (ACES):

- قد تؤثر على مراحل النمو العصبي للطفل و للمراهق؛
- زيادة تقلبات داخل الأسرة والحياة المعاشة للفرد؛
- كلما ارتفعت درجة التعرض للإساءة بالطفولة زاد انتشار الاضطرابات النفسية وحالات تعاطي المخدرات والاكتئاب وتعاطي الكحول والتدخين ومحاولات الانتحار... الخ والامراض الجسدية والنفسية .²³
- كما تشمل ايضاً تأثيرات اخرى تشمل في ما يلي :
- تغيرات مقلقة في الحالة المزاجية أو السلوكية؛
- الانسحاب من المسؤوليات؛
- الانسحاب، العزلة عدم الثقة، العدوان اتجاه الآخر و المحيط بما في ذلك المدرسة أو البيئة المحلية؛
- سوء التنظيم الذاتي وضعف الكفاءات الانفعالية؛
- سوء ضبط الانفعالات؛
- العزلة داخل المجتمع أو الأسرة أو من الاصدقاء بسبب وصمة العار المرتبطة بالانحراف أو استخدام مواد مخدرة.²⁴

فهذا لا يعني عدم وجود تأثيرات اخرى، بل اننا اكتفينا على سبيل المثال بتحديد هذه التأثيرات المذكورة اعلاه وسنركز على المتغير المرتبط بالتأثير على مراحل النمو العصبي وسنخصص الحديث فقط على النمو الانفعالي بغية توضيح تأثيرات الاساءة الانفعالية على الكفاءات الانفعالية لدى المراهق. فمن المعلوم بان النمو الانفعالي يؤثر على جميع مظاهر النمو عند الطفل ويشكل جزءاً مهماً من حياة الطفل والمراهق ونموه الكامل، كما أن سلوكه يتأثر باندفاعات داخلية تعرف عادة بالفرح والحزن والغضب والخوف والغيرة، وقد يجد صعوبة في التعبير عن انفعالاته شفوياً ولا يستطيع أن يفهم تأثيرها

على أفكاره وأعماقه وعلينا أن نتذكر أن نوع الانفعالات أو ردود الفعل العاطفية التي يقوم بها، تتوقف على مدى رغبته واهتمامه ومقدار إرضائه أو مع مقدار فهمه لعلاقته مع الناس والأشياء المحيطة بها. والجدير بالذكر أن الأشياء التي يخاف منها الإنسان إنما هي متعلمة، إذا بإمكاننا أن نجعل الطفل أو المراهق يخاف من شيء بعد أن يبدي سروره به في البداية و بعدها نتدخل لإثارته فيتحول انفعال السرور إلى انفعال من الخوف، أما الغضب فيمكن إثارته بواسطة الإحباط الذي يصادف الفرد عندما لا يستطيع تحقيق رغبته. ومن الانفعالات الهامة أيضا القلق الذي يختلف عن الخوف في كونه حالة عامة من عدم الارتياح لا يعرف مصدرها، أما انفعال الخوف المصدر والسبب معروف، كما يعتبر القلق نواة لكثير من الأمراض النفسية والعقلية وإذا استمر هذا القلق فإنه سيؤدي إلى مرض عصبي.²⁵

ان خبرات الطفولة تؤثر على شخصية المراهق فان كانت من النمط الذي يسوده المعاملة السليمة التي تساهم في تعزيز قيمته واهميته فان هذا الشعور سيساهم في تعزيز ثقته بذاته و ينعكس بشكل جيدا على كفاءاته الانفعالية مما سيسمح له بالتعبير عن انفعالاته وفهما وفهم الآخرين وضبط انفعالاته وبالتالي يكون سلوكه الاجتماعي مقبولا، اما اذا كان من النوع الذي تسوده المعاملة الغير السليمة كالإساءة الانفعالية التي تقلل من قدرته وامكانياته فان من الطبيعي ان هذا سينعكس في سلوكياته وعلاقته مع الآخرين ومواجهته للمواقف الاجتماعية، فالطفولة ذات التجارب السيئة المحملة بتراكم خبرات الاساءة الانفعالية ستلقي عبئا على المراهق وتنقص من قدرته على مواجهة متطلبات مرحلة المراهقة، لان المراهق يستثمر مخزونه من الخبرات والتجارب السابقة ومعارفه حول ذاته ومحيطه الاجتماعي لكي يواجه التحولات ومن هنا تبرز مدى اهمية سلامة المراحل السابقة و بالأخص مرحلة الطفولة، فاعل الباحث والدراسات تؤكد ان تجارب الطفولة السيئة ذات اساليب المعاملة التي تنهج اسلوب الاهمال والاساءة الانفعالية، الشتم، النبذ تترك اثار وانعكاسات كبيرة على الصحة النفسية للفرد وترسخ افكار تحقيره نحو الذات، وخاصة وهو في مرحلة لبناء شخصيته ومذكراته و تنمية كفاءاته وصورته لذاته ولحيطه الخارجي.

فالمراهق الذي يحمل هذا التراكم من خبرات الاساءة الانفعالية، يواجه صرعات وظروف حياتية مختلفة وتجارب ومواقف جديدة نوعا ما على في هذه المرحلة، فسيعرض الى تغيرات فسيولوجية ونفسية واجتماعية ونمائية، مما يفرز لنا حاجات تحتاج اشباعا، وتصورات وطموحات واهدافا تستدعي تحقيقا،

ورغبات متعددة والبحث عن تحقيق الذات والتعبير عنها بصورة متميزة ومستقلة ككيان وجودي متفرد، وهذا ما يفرض عليه مطالب جديدة تنعكس بشكل سلبي على اتزانه الانفعالي و تنظيمه الانفعالي.

خاتمة

كخلاصة لما جاءت به هذه الورقة يمكن القول بان الهدف منها هو تقلم ما يمكن ان يحدث عن وضعية الإساءة الانفعالية من مخاطر و اضطرابات سيكوسوماتية ونفسية وعصبية مع ابراز مفهوم الكفاءات الانفعالية وعلاقتها بالسلوك الانساني الاجتماعي داخل سياق اجتماعي معين، مما يوضح لنا اهميتها في حياة الافراد خاصة منهم المراهقين، و لذا وجب خلق برامج تدريبية لتنمية هذه الكفاءات والمتمثلة في التعرف، الفهم، التعبير، الضبط الاستخدام لدى المراهقين و الاطفال وتدريبهم على ممارستها واكتسابها من خلال برامج نمائية كي نقيهم من عدة مشاكل سلوكية وسوء المعاملة والاضطرابات النفسية وغيرها .

الهوامش :

¹ بطرس حافظ بطرس "المشكلات النفسية و علاجها " (بدون تاريخ) ص 145.

² Survey on adverse childhood experiences in Montenegro national survey report by the institute of public health of Montenegro podgorica.january2013.

³ نسرين احمد محمد القطروس خبرات الاساءة و علاقتها بالخلل لدى عينة من المراهقين رسالة ماستر منشورة ص 5

⁴ Survey on adverse childhood experiences in Montenegro national survey report by the institute of public health of Montenegro podgorica.january2013

⁵ Survey on adverse childhood experiences in Montenegro national survey report by the institute of public health of Montenegro podgorica.january2013

⁶ Glaser, D. (2002, June). Emotional abuse and neglect (psychological maltreatment): A conceptual framework .Child Abuse & Neglect , 26, 697-714

⁷ محمد السعيد ابو حلاوة " ما الاساءة الانفعالية ؟ " مراجعة أ.د محمود فتحي عكاشة مقال منشور بمجلة الكترونية على الرابط www.pdfactory.com

⁸ Survey on adverse childhood experiences in Montenegro national survey report by the institute of public health of Montenegro podgorica.january2013

⁹ Samer rudwan "emotional competency " Nizwa University-oman ,online version 2020 ,P2

¹⁰ IBID

¹¹ أمال اسماعيل حسين "علاقة الكفاءة الانفعالية بتنظيم الذات لدى طلبة الجامعة "منشور بمجلة كلية التربية -الجامعة

المستتصرية العدد الحادي و الثلاثون سنة 2018 ص 536

- ¹² Mikolajck,M,Quoidbach,j,kotsuo,i,et Nelis .(2009) : Les compétences émotionnelles Paris :Dunod,P 4
- ¹³ IBID
- ¹⁴Boyatzis, E , Goleman , D & Rheek , K (2000) : Clustering Competence In Emotional Intelligence : Insight From The Emotional Competence Inventory , San Francisco , Vol 343 , No36
- ¹⁵ Lisa Bellingshausen, Les compétences émotionnelles au cœur de la performance individuelle et collective, Psychologue du travail /chercheuse (IFAS el Laboratoire Neuroscience et psychologie cognitive- CNR) Université Paris 5
- ¹⁶ Mikolajczak, Jordi quoidbach, Liosekotsou, Delphine Nelis, (2014) les compétences émotionnelles, dunod p 97
- ¹⁷ مقال بعنوان الكفاءة الانفعالية توسع لمفهوم الذكاء الوجداني ترجمة بتصرف سامر جميل رضوان جامعة نزوى-سلطنة عمان منشور بالإنترنت
- ¹⁸ Samer rudwan “emotional competency “ Nizwa University-oman ,online version 2020 ,P2
- ¹⁹ Thompson, R.A. (1994). Emotion regulation: A theme in search of definition. *Monographs of the Society for Research in Child Development*, 59, 25-52
- ²⁰ Deimann, P. (1984). Trauer und Selbstmordversuch: Eine Analyse von Grenzsituationen Jugendlicher. Unveröffentlichte Dissertation. Universität Wien.
- ²¹ Mikolajzak, Jordi quoidbach, Liosekotsou, Delphine Nelis, (2014) les compétences émotionnelles, DUNOD,p 104
- ²² زرماني و داد "أثر خبرات الاساءة الوالدية في مرحلة الطفولة على ظهور الضغط النفسي في مرحلة المراهقة" مذكرة ماجستير منشورة بجامعة فرحات عباس بالجزائر، سنة 2012،صفحة 80
- ²³ The adverse childhood experiences (ACES) STUDY: implications for mother's exposure to domestic violence.
- ²⁴ Expert briefing childhood adversity. Substance misuse and young people's mental health.by agns atnsly rick Bardey.Lindsay Buchanan.naomi burrows and dr marc bush.
- ²⁵ أحمد عزت راجح (1979) أصول علم النفس، طبعة أولى، دار المعارف مصر.

لائحة المراجع

المراجع باللغة العربية

1. أحمد عزت راجح (1979) أصول علم النفس، طبعة أولى، دار المعارف مصر.
2. امال اسماعيل حسين "علاقة الكفاءة الانفعالية بتنظيم الذات لدى طلبة الجامعة " مقال منشور بمجلة كلية التربية -الجامعة المستنصرية العدد الحادي و الثلاثون سنة 2018.

3. بطرس حافظ بطرس "المشكلات النفسية و علاجها " (بدون تاريخ).
4. زرماني و داد "أثر خبرات الاساءة الوالدية في مرحلة الطفولة على ظهور الضغط النفسي في مرحلة المراهقة" مذكرة ماجستير منشورة بجامعة فرحات عباس بالجزائر، سنة 2012.
5. سامر جميل مقال بعنوان الكفاءة الانفعالية توسع لمفهوم الذكاء الوجداني ترجمة بتصرف سامر جميل رضوان جامعة نزوى- سلطنة عمان منشور بالانترنت.
6. محمد السعيد ابو حلاوة " ما الاساءة الانفعالية ؟ " مراجعة أ.د محمود فتحي عكاشة منشور على مجلة الكترونية على الرابط www.pdfactory.com.
7. نسرین احمد محمد القطروس خبرات الاساءة و علاقتها بالخلل لدى عينة من المراهقين رسالة ماستر (منشورة بالانترنت على صيغة pdf).

المراجع باللغة الاجنبية

1. Boyatzis, E , Goleman , D & Rheek , K (2000) : Clustering Competence In Emotional Intelligence : Insight From The Emotional Competence Inventory , San Francisco , Vol 343 , No36
2. Deimann, P. (1984). Trauer und Selbstmordversuch: Eine Analyse von Grenzsituationen Jugendlicher. Unveroffentlichte Dissertation. Universität Wien.
3. Expert briefing childhood adversity. Substance misuse and young people's mental health.by agns atnsly rick Bardey.Lindsay Buchanan.naomi burrows and dr marc bush.
4. Glaser, D. (2002, June). Emotional abuse and neglect (psychological maltreatment): A conceptual framework .Child Abuse & Neglect , 26, 697-714
5. Lisa Bellingshausen, Les compétences émotionnelles au cœur de la performance individuelle et collective, Psychologue du travail /chercheuse (IFAS el Laboratoire Neuroscience et psychologie cognitive- CNR) Université Paris 5
6. Mikolajck, M, Quoidbach ,j, kotsuo, i, et Nelis. (2009) : Les compétences émotionnelles Paris :Dunod
7. Mikolajczak, Jordi quoidbach, Liosekotsou, Delphine Nelis,(2014)les compétences émotionnelles ,DUNOD
8. Samer rudwan "emotional competency " Nisswa University-Oman ,online version 2020

-
9. Survey on adverse childhood experiences in Montenegro national survey report by the institute of public health of Montenegro podgorica.january2013
 10. The adverse childhood experiences (ACES) STUDY: implications for mother's exposure to domestic violence.
 11. Thompson, R.A. (1994). Emotion regulation: A theme in search of definition. Monographs of the Society for Research in Child Développement, 59, 25-52

المواقع الالكترونية

1. created with pdfF actory Pro trial versio www.pdfactory.com
2. www.cdc.gov/ace/index.htm.

حماية اللاجئين بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي

عبد العزيز لعبيدي

طالب باحث دكتوراه مختبر الدراسات الفقهية والقضائية وحقوق الإنسان

كلية الشريعة جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس المغرب

aziz.labidi011@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/04/24 م تاريخ التحكيم: 2021/05/02 تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص بالعربية:

يعد اللجوء ظاهرة بشرية مرتبطة أساسا بالمجتمعات، عرفها العالم منذ الأزل مع الحضارات الغابرة، الفراعنة والإغريق والرومان وكذا الديانات السماوية كلها عرفت ظاهرة اللجوء، وأقرت لها مجموعة من الأحكام والأعراف. والإسلام كدين سماوي سمح، عرف هو الآخر ظاهرة اللجوء، وقرر لها مجموعة من الضوابط والأحكام المستمدة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية بشكل لم يسبق لأي حضارة أو دين سماوي أن اهتم بظاهرة اللجوء بهذا الشكل، بحيث جاءت الشريعة الإسلامية بمجموعة من الحقوق الواجبة لفائدة اللاجئين، وذلك بشكل مستفيض ودقيق، إلى درجة أنها حددت الأماكن التي يؤمن فيها كل طالب اللجوء، ومن أمثلتها بيت الله الحرام مصداقا لقوله تعالى: (وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا).

أما الممارسة الدولية المعاصرة، فبعد الحرب العالمية الأولى، وما خلفته من مآسي نتج عنها موجات نزوح كثيرة داخل أوروبا، توصل المنتظم الدولي إلى مجموعة من الآليات القانونية والمؤسسية كان الهدف منها هو الحد من هذه الظاهرة، كذلك معالجة الحالات التي وقعت فعلا بغرض إرجاع الحال إلى وضعه العادي، وهو ما بدأ مع عصبة الأمم وما حققته من نتائج رغم ما كان يشوب عملها من نواقص ويواجهها من صعوبات، وانتهاء مع منظمة الأمم المتحدة وما حققته ولا زالت تحققه في هذا الإطار من أجل تحسين وضعية اللاجئين، والسير بها نحو الأفضل.

ويطرح هذا الموضوع عدة إشكالات من بينها: كيف عالجت الشريعة الإسلامية موضوع حماية اللاجئين. وما هي القواعد والمبادئ التي أقرتها لتنظيم اللجوء؟ هذا من جهة ومن جهة أخرى كيف تناول القانون الدولي موضوع اللجوء سواء من حيث الآليات القانونية والآليات المؤسسية؟ ثم ما أوجه التشابه بين الشريعة الإسلامية، والقانون الدولي فيما يخص اللجوء.

وللإجابة على هذه الإشكالات، اقترحت أن أتناول هذا الموضوع في مبحثين هما:
المبحث الأول: حماية اللاجئ في الشريعة الإسلامية.
المبحث الثاني: الحماية المقررة للاجئ في القانون الدولي.
الكلمات المفتاحية: اللجوء، الحماية، الشريعة الإسلامية، القانون الدولي.

**The Protection Established for Refugees between Islamic Law and
International Law**

Abdelaaziz Laabidi

**A PhD candidate at the Laboratory of Jurisprudence, Judicial and
Human Rights Studies**

Faculty of Sharia Fez

Morocco Sidi Mohamed ben Abdellah University

aziz.labidi011@gmail.com

Abstract :

Asylum is a human phenomenon linked mainly to societies, which the world has known since ancient civilizations like the Pharaohs, the Greeks, the Romans, as well as the monotheistic religions, which all knew the phenomenon of asylum and approved a set of regulations and norms to organize it.

Islam, as a heavenly religion, also knew the phenomenon of asylum, and decided a set of rules and provisions for it, derived from the Noble Qur'an and the Sunnah of the Prophet in a way that no heavenly religion or civilization has ever been able to do. The Islamic Sharia came with a set of rights for the benefit of the refugee stipulated extensively and precisely to the extent that it has defined the places in which every asylum seeker shall be safe, such as the Sacred House of God (Mecca), as goes the word of god: "and whoever enters it is safe".

As for contemporary international practices, after the First World War and the tragedies it left behind that resulted in many waves of displacement within Europe, the international community reached a set of legal and institutional mechanisms that aim to reduce this phenomenon and to deal with the cases that actually occurred in order to restore the situation to its normal situation. This began with the League of Nations, which achieved some results despite the deficiencies and difficulties it was facing it, then came the United Nations Organization which achieved and is still achieving some goals in this context in order to improve the status of the refugee and enhance their life conditions.

Linguistically speaking, asylum (اللجوء) is derived from the word “to refuge” (لجأ), and accordingly, a refugee is every person who immigrated from his/her country of origin or moved away by means of intimidation seeking protection in another region.

As for the international law, the definition of a refugee differs according to many conventions and treaties. Among the definitions proposed by the United Nations Convention of 1952 in its first article about the refugees and their statuses, a refugee is every person who is found as a result of fear of events that occurred before January 1, 1951, and because of a justifiable fear of being persecuted because of his/her race, religion, nationality, affiliation to a specific social group, or political opinions outside the country of his/her nationality, and cannot or does not want to return or seek protection from that country.

As for the Islamic law, the Noble Qur'an used the term “asked for refuge” (استجارك) in His Almighty's saying, “If one amongst the Pagans ask thee for asylum, grant it to him, so that he may hear the word of Allah; and then escort him to where he can be secure”

Therefore, one might ask: How did the Islamic law regulate the issue of refugee protection? What are the rules and principles that the Sharia approved for organizing asylum? This is on the one hand, and on the other hand, how did the international law deal with the issue of asylum, both in terms of the legal and the institutional mechanisms? Then, what are the similarities between the Islamic law and the international law regarding asylum?

To answer these questions, I suggest addressing this topic in two parts:

First: Refugee protection in the Islamic law;

Second: The protection established for refugees in the international law.

Keywords: protection, asylum, international law, Islamic

مقدمة:

يعد اللجوء ظاهرة بشرية مرتبطة أساسا بالمجتمعات، عرفها العالم منذ الأزل مع الحضارات الغابرة، الفراعنة والإغريق والرومان، وكذا الديانات السماوية كلها عرفت ظاهرة اللجوء، وأقرت لها مجموعة من الأحكام والأعراف لتنظيمها.

والإسلام كدين سماوي سمح عرف هو الآخر ظاهرة اللجوء، وقرر لها مجموعة من الضوابط والأحكام المستمدة من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، بشكل لم يسبق لأي حضارة أو دين سماوي أن اهتم بظاهرة اللجوء بهذا التنظيم المحكم، بحيث جاءت الشريعة الإسلامية بمجموعة من الحقوق الواجبة لفائدة اللاجئين، وذلك بشكل مستفيض ودقيق، إلى درجة أنها حددت الأماكن التي يأمن فيها كل طالبي اللجوء، ومن أمثلتها بيت الله الحرام مصداقا لقوله تعالى: (ومن دخله كان آمنا)¹.

في حين لم نجد الممارسة الدولية المعاصرة تهتم بهذا الموضوع إلا في وقت متأخرا جدا في القرن 20 الماضي، فبعد الحرب العالمية الأولى وما خلفته من مآسي نتج عنها موجات نزوح كثيرة داخل أوروبا، توصل المنتظم الدولي إلى مجموعة من الآليات القانونية والمؤسسية كان الهدف منها هو الحد من هذه الظاهرة، وكذلك معالجة الحالات التي وقعت فعلا لغرض ارجاع الأمور إلى وضعها العادي، بدا مع عصبة الأمم وما حقته من نتائج، رغم ما كان يشوب عملها من نواقص ويواجهها من صعوبات، وانتهاء مع منظمة الأمم المتحدة وما حقته ولا زالت تحققه في هذا الإطار من أجل تحسين وضعية اللاجئين، والسير بها نحو الأفضل.

فكيف نظمت الشريعة الإسلامية موضوع حماية اللاجئين؟ وما هي القواعد والمبادئ التي أقرتها لتنظيم اللجوء هذا من جهة، ومن جهة أخرى كيف تناول القانون الدولي موضوع اللجوء سواء من حيث الآليات القانونية أو من حيث الآليات المؤسسية؟ ثم ما أوجه التشابه بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي فيما يخص اللجوء؟

وللإجابة على هذه الإشكالات اقترحت أن أتناول هذا الموضوع في مبحثين وهما:

المبحث الأول: حماية اللاجئين في الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني: الحماية المقررة للاجئين في القانون الدولي.

المبحث الأول: حماية اللاجئ في الشريعة الإسلامية.

مما لا شك فيه أن الإسلام كدين سماوي لم يعتني فقط بالأمور الدينية فحسب، بل شمل كذلك الأمور الدنيوية، بحيث جاءت العديد من أحكام الشريعة منظمة ومحددة للعلاقة بين الأفراد والمجتمعات وكذلك الشعوب.

فالإسلام دين جمع بين ما هو ديني ودنيوي، وهو دين معاملات جاء تبياناً لكل شيء مصداقاً لقوله تعالى: (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء)²، وعليه فمن بين المواضع التي اهتم بها الإسلام موضوع اللجوء والمعروف بالاستجارة في الإسلام، نظراً لما لهذا الموضوع من أثر بالغ على الفرد، وعلاقته بالشعوب والدول، وكذلك علاقة الدول فيما بينها، واللاجئ باعتباره فرداً من الطوائف ذوي الفئة ذات الوضع الهش خصتهم الشريعة الإسلامية بمجموعة من القواعد والمبادئ المنظمة لهذا الحق، بغية حماية اللاجئ وصون كرامته، فبناءً على ما سبق ذكره فإن معالجة هذا المبحث اقتضت تقسيمه إلى مطلبين: بحيث سنخصص المطلب الأول لقواعد ومبادئ اللجوء في الشريعة الإسلامية، أما المطلب الثاني فإننا سنتناوله فيه حقوق وواجبات اللاجئ في الشريعة الإسلامية.

المطلب الأول: قواعد ومبادئ اللجوء في الإسلام.

لقد حدد الإسلام العديد من القواعد والمبادئ التي تنبني عليها العلاقات سواء في حالات السلم وغيرها من الحالات، كما اهتم حتى بالأوضاع التي تنتج عن حدث معين كالحرب مثلاً، أو اضطهاد أو ما شابه ذلك، ومن بين ما يتولد عن هذه الأوضاع ظاهرة اللجوء والتي اهتم بها الإسلام اهتماماً خاصاً بحيث وضع لها قواعد ومبادئ تكفلها، وللحديث عن هذا القواعد فإننا سنتناول في هذا المطلب فقرتين الأولى تتعلق بالقواعد، والثانية تخص المبادئ.

الفقرة الأولى: قواعد اللجوء في الإسلام.

لقد وضعت الآية أسفله من سورة الحشر قواعد أساسية بخصوص الحق في اللجوء، وكيفية استقباله أو معاملة اللاجئين يقول تعالى: "وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ

نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ³ ويتضح من هذه الآية الكريمة القواعد التي من خلال يعالج الإسلام ظاهرة اللجوء، والتي يمكن إبرازها فيما يلي:

1- السور لاستقبال اللاجئين أو المهاجرين وهم من ينتقلون من إقليم إلى إقليم آخر وحسن معاملتهم، وتحلى ذلك من قوله تعالى: (يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ)، ومن ثم لا يجوز ردهم إلى الحدود أو رفض استقبالهم⁴.

2 - ضرورة الإحسان إليهم.

إن الإحسان للاجئين في الشريعة الإسلامية من المسائل المقررة في أحكامها، ويتضح ذلك من قوله تعالى: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ)، والإيثار «هو تقديم الغير على النفس في حظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدنيوية، وذلك ينشأ عن قوة النفس، وكيد المحبة، والصبر على المشقة»⁽¹⁾، فالإيثار بالنفس فوق الإيثار بالمال، وإن عاد إلى النفس⁵.

3- استقبال اللاجئين على اختلاف مستواهم.

يتمثل ذلك في استقبال اللاجئين سواء كانوا أغنياء أو فقراء، ويدل على ذلك قوله تعالى: (وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا)، فغنى اللاجئين أو فقره ليس له أي أثر، لأن الأمر يتعلق فقط بحمايته ومنحه الأمن والأمان، واستقراره في المكان الذي هاجر إليه⁶.

4- عدم رفض المستقبلين للمهاجرين.

إن عدم رفض المستقبلين للمهاجرين ولو كان اصحاب الاقليم الذي تتم اليه الهجرة في جماعة وفقير وفاقة وفي حاجة شديدة من الأمور التي رسختها الآية الكريمة الآتية التي قال الله فيها: (وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) أي: فقير وحاجة وقلة موارد وندرة أموال.

الفقرة الثانية مبادئ وق اللجوء في الإسلام⁷.

الفقرة الثانية: مبادئ التعامل مع اللاجئين في الإسلام.

لقد حرصت الشريعة الإسلامية على العديد من المبادئ التي ينبغي احترامها في اطار التعامل مع اللاجئين وهي كالتالي:

مبدأ في المساواة وعدم التمييز.

إن الحفاظ على كرامة الإنسان من الأمور المستمدة من آدميته دون النظر إلى أي عارض من العوارض التي بني عليها البشر حقوق الإنسان، الذي هو مكرم بتكريم الله سبحانه وتعالى بقوله: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)⁸ فالطبيعة الإنسانية واحدة لا تختلف من إنسان إلى آخر فهي واحدة من حيث علاقتها بالأرض، وحبها لمنح الحياة الدنيا وزينها.

والمساواة وعدم التمييز لم يكن في يوم من الأيام وفي ظل الحكم الإسلامي ترفا فكريا وكفى، وإنما كان مطبقا في واقع الحياة بالسلوك المرتكن إلى الاعتقاد، وما المساواة في الصلاة والحج إلا تطبيقا لذلك المنهج في واقع الحياة الإنسانية⁹، ولعل من أروع الأمثلة العمرية التي رسخت لهذا المفهوم ما روى أن عمر رضي الله عنه لما استأذن عليه بلال الحبشي وسفيان الزعيم القرشي، فدخل الآذان يقول بالباب أبو سفيان وبلال، فغضب الفاروق لتقدم اسم أبي سفيان على بلال وقال لأذنه، قل بالباب بلال وأبو سفيان، وطأطأ لها أبو سفيان لأنها مبدأ من مبادئ الإيمان¹⁰

و يفهم من نص المادة أعلاه أن المستأمن اللاجئ له حق طلب اللجوء، وأن حقه هذا مطلق لا يخضع لتدابير أو إجراءات تمييزية سواء بين اللاجئين أنفسهم، أو بين اللاجئين ومواطنين بلد المنشأ، لهذا نستطيع القول أن فكرة المساواة وعدم التمييز في الشريعة الإسلامية لم تأت على أنقاض أديان مختلفة في ظل استبعاد هذه الأديان، كما هو الحال مع حقوق المواطنة في الدول العلمانية، وإنما هي تعددية ومساواة بين فقاء يحتفظون بتنوعهم الديني واختلافاتهم العقائدية".¹¹

وعليه فإن الحق في المساواة وعدم التمييز في تلك العلاقة التي تنشأ بين جميع المنتسبين إلى المجتمع الإسلامي، في التهيؤ والصلاحيات لكل فضيلة في الإسلام إذا وجدت أسبابها وسمحت لها مواهب أصحابها في إعطاء الحقوق المخولة في الشريعة الإسلامية بدون تفاوت بين أصحابها.

مبدأ حق اللاجئين في عدم إرجاعهم لدولتهم.

يعد هذا الحق من أهم حقوق المستأمن، ومن أهم المبادئ العرفية التي تداولتها الدول على مر العصور، وقد أكد الفقهاء المسلمون وجعلوا هذا المبدأ قاعدة آمرة وملزمة، وخاصة بعدما مر المسلمين

الأوائل بتجربة لجوؤهم إلى الحبشة، وأعطاهم ملكها النجاشي أمنا على أنفسهم، وذلك بعد اقتناعه بسلامة قضيتهم، ورفض إرجاعهم قائلا لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه: "اذهبوا فأنتم شيوم بأرضي - والشيوم الآمنون - من سبكم غرم، ثم قال من سبكم غرم"¹²، ثم يتكرر هذا الموقف مع عم رسول الله صلى الله عليه وسلم - أبو طالب لما استجار به أبو سلمة بن عبد الأسد وطلبت قریش رده إليهم فقال: "إنه استجار بي وهو ابن أختي، وإن أنا لم أمنع ابن أختي، لم أمنع ابن أخي"¹³،

نفهم مما قيل إن الدولة الإسلامية في بداية عهدها كانت قد استفادت من هنا الحق، ولعل هذا الحق كان من بين أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام وذيوعه.

ومما يؤكد ذلك أيضا كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسعد بن أبي وقاص وقد جاء فيه: "فإن لاعب أحدكم أحدا من العجم بأمان أو قرفه بإشارة أو بلسان، كان لا يدري الأنجمي ما كلمته به وكان عندهم أمانا، فأجروا ذلك مجرى الأمان، وإياكم والضحك، الوفاء، فإن الخطاء بالوفاء بقية وإن الخطأ بالغدر الهلكة"¹⁴.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشريعة الإسلامية حرصت، وأكدت على إبلاغ اللاجئين بأمنه في حالة رجوعه، أو إرجاعه تطبيقا لقوله تعالى: "(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ)".¹⁵

وهكذا تكون الشريعة الإسلامية قد سبقت القانون الدولي للاجئين الذي لم تتضمن بنوده ومواده هذا الشق من الحق أصلا، بل حاول البحث على حل مناسب إذا أرادت الدولة المتعاقدة إرجاع اللاجئين وهو المأوى المؤقت، ومضمونه أن يستقر اللاجئ في بلد اللجوء الذي يريد إرجاعه ورده مدة زمنية للبحث عن مأوى آخر، بصرف النظر عما إذا كان اللاجئ في البلد الثاني الذي يسعى للجوء إليه سيأمن أم لا.

مبدأ عدم فرض العقوبات عليه.

لما كان منح اللجوء التزاما دينيا لدى المسلم، أصبح وبصورة عامة التزاما سياسيا وقانونيا بالنسبة لجميع أفراد الأمة الإسلامية، فالإسلام ليس دينا فحسب بالمعنى الشائع للدين، بل هو منظومة قيم أخلاقية وروحية ومادية تربط الإنسان بخالقه وتربط البشر بعضهم البعض.

ودخول الأجنبي إلى أقاليم الدولة الإسلامية بدون إذن في الغالب يعرضه إلى عقوبات، وقد يعرض حياته إلى حد الموت في بعض الأحيان، لأنه في نظر الشريعة الإسلامية حربي دخل إلينا بدون إذن، فحكمه حكم الأسير يخير فيه الحاكم بين أربعة أمور: القتل، المن، الاسترقاق أو الفداء.¹⁶

و لكن ثمة استثناء يجعل دخول الأجنبي إلى الأقاليم الإسلامية بدون إذن يعفيه من أية عقوبات، إنه اللاجئ الهارب والفار من الظلم والاضطهاد من بلده، أو ذلك المبعوث للدولة الإسلامية رسولا أو سفيرا من دول أخرى، وذلك التاجر الذي جاء بتجارته وبضاعته، فضم الأول يعد واجبا من واجبات الدولة الإسلامية، وما جبلت عليه نفوس العرب من إغاثة اللهفان، أما الثاني والثالث والرابع فإنه يجري لحكمهم حكم العادة، وحسن الوفاة والمعاملة بالمثل لإعفائه من طلب الإذن.¹⁷

إن فكرة الأمان في الشريعة الإسلامية، تقوم على أساس توفير ملجأ فوري للمستأمنين ولا يعقل وفي ظل الوضع السيئ للاجئ، خاصة بعد فراره من الاضطهاد أن يطلب الإذن عند الحدود أولا ثم ينتظر الموافقة عليه ثم يلجأ، فلو فعل هذا لأدركته دولته لا أعادته، وربما قتلته، وعلى هذا الأساس فإن هذا الحق يخضع لاعتبارات وحجج تجعل الأقاليم الإسلامية لا تفرض على اللاجئ إليها بدون إذن أي عقوبات.

وقد دلت الكثير من المعاهدات والاتفاقيات التي أمضاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده على ذلك، وحث المعاهدين بعدم إدخال المشركين دون علم أو إذن المسلمين ويعد ذلك خيانة إن فعلوا، فقد جاء في وثيقة نجران ما يلي: "ولا يأوى منازلهم عدو للمسلمين، يريدون به أخذ الفرصة وانتهاز الوثبة، ولا ينزلوا أوطانهم ولا ضياعهم ولا في شيء من مساكن عباداتهم ولا غيرهم من أهل الملة، ولا يوفدوا أحدا من أهل الحرب على المسلمين بتقوية لهم بسلاح ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم، ولا يصانعوهم."¹⁸

ويستخلص مما جاء في وثيقة نجران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم منح الأمان للذين أوتوا الكتاب من النصارى من بني نجران، وأقرهم على أمور، واشترط عليهم بعدما طلبوا الأمان، ووافقهم عليه ألا يدخل عليهم أحد من الكفار دون علم المسلمين، أو أخذ الإذن منهم وأن لا يعينوهم وألا يساعدهم. وما يدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب أمان العبد المقاتل ما يلي: "حاصرنا حصنا على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرمى عبد منا بسهم فيه أمان - وزاد السرخسي - كان ككتب على سهمه بالفارسية متر سيد خرجوا فقلنا: من أخرجكم؟

فقالوا: أمتنمونا فقلنا: ما هذا إلا عبد ولا نجبر أمره؟

فقالوا: ما نعرف العبد منكم من الحر.

فكتبنا إلى عمر بن الخطاب نسأله في ذلك فكتب: "إن العبد رجل من المسلمين وأن أمانه جائز" وفي رواية أخرى من المسلمين ذمته ذمتكم⁽ⁱⁱ⁾، وكذلك ما روي في كتاب الخليفة عمر إلى سعد بن أبي وقاص ما يلي: "إن لاعب أحدكم أحدا من العجم بأمان أو قرفه بإشارة أو بلسان كان لا يدري الأعمى ما كلمه به، وكان عندهم أمانا، فأجيزوا ذلك مجرى أمان¹⁹

من خلال ما سلف ذكره، يتبين أن الدولة الإسلامية أعطت لهذا الإذن أهمية بالغة رغم أن إجراءات حدوثه، والموافقة عليه حسب ما دل عليه الأثر سهلة وبسيطة، ومما يؤكد ذلك ورغم أن الأقاليم الإسلامية في الوقت الحاضر تعددت فيها الاختصاصات، وتحددت المسؤوليات، وتشابكت المصالح الدولية، إلا أنها لا تزال تفتح أبوابها للاجئين، وقد أكد المؤتمر الإسلامي أن من بين 10 ملايين لاجئ يقعون تحت ولاية المفوضية السامية لشؤون اللاجئين 7 ملايين منهم على أرض دول أعضاء فيه²⁰، وهذا ما يعزز أن فرصة طلب الإذن، والموافقة عليه في الشريعة الإسلامية سهلة لا تخضع إلا لاعتبارات حسن الوفادة ومساعدة الغير. المطلب الثاني حقوق وواجبات اللاجئين في الإسلام.

الشريعة الإسلامية أعلنت من قدر اللاجئ، وشرعت له عدد من الحقوق، مما جعله يأخذ مكانته اللائقة، فحفظت له نفسه ودينه وماله وعرضه وعقله، إضافة إلى الاعتناء بحصته وكيانه رحمة به وتخفيفا عليه ومراعاة لظروفه.

أولاً: حق اللاجئ في دخول دار الإسلام والإقامة فيها قدر الحاجة أو المصلحة.
إذا أراد اللاجئ أن يدخل دار الإسلام للاحتواء فيها مما يهدد سلامته وأمنه وصيانتته فإنه يجوز
الامام للإمام المسلمين، أو من يقوم مقامه أن يأذن له بالدخول مادام قد جاء لهذا الغرض، وهذا ما تؤكد
الآية الكريمة 'وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه'²¹، وبذلك يكون
الدخول في هذه الحالة حقاً من حقوقه التي منحتها الشريعة له بشرط عدم الضرر بالمسلمين.
ثانياً: حق اللاجئ في حفظ دينه.

من حق اللاجئ أن يدين يدينه دون إكراهه على الدخول في الإسلام حتى وإن كان كافراً مصداقاً
لقوله تعالى: 'لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي'²²
ثالثاً: حق اللاجئ في حفظ نفسه.

وهذا الحق يشترك فيه اللاجئ وغيره لكونه من الحقوق العامة، فإذا قام مسلم بقتل أحد عمداً لجأ
إلى دار الإسلام اقتصر منه كما لو قتل مسلماً عمداً فقد روي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهِداً لَمْ يَرْجُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً"²³ كما ورد
عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أخذ رد رجلاً من المسلمين بقتل رجل من غير المسلمين، وبعد أن
قامت عليه الحجة فقال علي: "من كان ذمناً فذمتنا كذمتنا" أي يجب الاقتصاص منه، فقد دلت تلك الحالة
على أن اللاجئ إذا كان في بلد الإسلام فهو تحت ذمتهم وحمايتهم حتى ولو كان غير مسلم.
رابعاً : حق اللاجئ في التعامل والملكية.

من حق اللاجئ أن يتعامل مع الناس فله أن يشتري ما يحتاج إليه أثناء لجوئه، وأن يتاجر، فقد صح
عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك فيما أخرجه البخاري في صحيحه أنه جاء رجل مشرك بغنم يسوقها
فقال له رسول الله عليه السلام يبع أم هبة؟ فقال يبع فاشتري منه، وهذا دليل على جواز معاملة مع غير
المسلمين، وقياساً عليه فإن وجد غير المسلمين لاجئين في بلاد الإسلام جاز لهم أن يبيعوا مع المسلمين.
خامساً: حق اللاجئ في الحاجات المادية الضرورية.

تتمثل هذه الحاجات خصوصاً في توفير المأكل والمشرب والملبس، ومن بينهم الآسرى
والضييف، وتضيف الآية من سورة التوبة تأكيداً لما سبق في قوله تعالى: 'إنما الصدقات للفقراء والمساكين

والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم²⁴

وهكذا فحق ابن السبيل هو فرض واجب، وهو حق بكل ما للكلمة من معنى مصداقا لقوله تعالى: "وَأَتَى ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا"²⁵

كما أن الإسلام حدد بعض الواجبات بالنسبة لطالبي اللجوء حتى يتضح الأمر لطرفين معا سواء، طالب اللجوء، أو مانح اللجوء وهذا ما سنحاول التطرق إليه في الفقرة الثانية من هذا المطلب الفقرة الثانية: واجبات اللاجئ في الإسلام.

لقد تم تحديد مجموعة من الواجبات التي ينبغي على اللاجئ احترامها وهي بمثابة قواعد على طالب اللجوء احترامها وهي:

أولا: عودة اللاجئ بزوال سبب اللجوء.

إن الشريعة الإسلامية ضمت مجموعة من التطبيقات التي دلت على أن اللجوء ينتهي بزوال أسباب الخوف، والاضطهاد، ومن ذلك على سبيل المثال رجوع كثير من المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة عندما علموا بإسلام عمرا بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنهما.

ومن نماذج انتهاء اللجوء بزوال سببه ما روي عن المنذر بن جهم قال: حويطبا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح خفت خوفا شديدا من بيتي، وفرقت عيالي في مواضع يأمنون فيها، فانتهيت إلى حائط عوف فكنت فيه، فإذا بأبي ذر الغفاري رضي الله عنه يراي فهرت منه فقال مالك؟ قلت الخوف قال: لا خوف عليك أنت آمن بآمن الله عز وجل فرجعت إليه فسلمت عليه فقل اذهب إلى منزلك، قلت هل لي سبيل إلى منزلي؟ والله ما أراي أصل إلى بيتي حيا حتى أقتل أو يدخل منزلي علي فأقتل، وإن عيالي لفي مواضع شتى قال: اجمع عيالك في موضع، وأنا أبلغ معك إلى منزلك فبلغ معي منزلي، وجعل ينادي علي أن حويطبا آمن فلا يهجم، ثم انصرف أبو ذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال: أو ليس قتل الناس كلهم؟ إلا أن أموت بقتلهم؟ قال: فاطمأنت ورددت عيالي إلى منازلهم.

ثانياً: عدم الاستهزاء بالدين والمسلمين.

إذا بدى للاجئ ما يدل على استهزائه بالدين الإسلامي وتعامله مع بالمسلمين، وأثمتهم فإن اللجوء يصبح منتهياً لأن المسلمين لم يعطوه اللجوء ليسخر منهم، وبالتالي فإنه من الواجب على طالب اللجوء احترام المسلمين ودينهم ومشاعرهم حتى يسمح له بالعيش بينهم.

ثالثاً: عدم الخيانة.

خيانة من منحوه الملجأ أي دار الإسلام التي منحتهم اللجوء، وهي تشمل صوراً عدة على سبيل المثال التواطؤ مع العدو، أو الاشتراك في عمليات التهريب، أو التجسس لصالح العدو، فإذا وقع شيء من ذلك فإنه يحق للدولة الإسلامية إلغاء اللجوء نتيجة أفعاله يمثل هذه الأمور، وقد تبث ذلك عن لقوله تعالى: "وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين"²⁶ وقال القرطبي في هذا إذا ظهرت آثار الخيانة وتبينت دلائلها ووجب نبذ العهد لئلا يقع التمادي عليه في التهلكة²⁷.

المبحث الثاني الحماية المقررة للاجئ في التشريع الدولي

عبر التاريخ ولقرون، ظلت ظاهرة اللجوء مستمرة حتى وإن اختلفت المسببات، فما من مجتمع وحضارة إلا واحتضن الغرباء، أو الفارين الخائنين من ضحايا العنف والاضطهاد بداية من الاغريق، إلى الرومان، فالحضارة المصرية القديمة، ثم بزوغ فجر الاسلام، بل يكاد يجمع الباحثون على أن اللجوء هو فكرة دينية بالأساس، بحيث صار الملجأ يلتصق بالأماكن المقدسة، وعلى الرغم من قدم هذه الظاهرة غير أن القانون الذي يحكمها لم يتبلور إلا مع بداية استهلال القرن 20م، حيث عرفت نهاية الحرب العالمية الثانية بداية تضافر الجهود الدولية لحماية اللاجئين، وذلك من خلال مجموعة من المحاولات في إيجاد صيغة يكون المهدف منها التنصيص على حق الأفراد في الحصول على ملجأ يؤويهم من الأذى الذي يعترضهم في وطنهم الأصلي، الأمر الذي نتج عنه تزايد الاهتمام الدولي بهم من خلال ظهور أهم الاتفاقيات الدولية العامة، والتي عاجلت حق اللجوء باعتباره جزءاً لا يتجزأ من حقوق الإنسان، بالإضافة إلى بروز اتفاقيات خاصة تطرقت لظاهرة اللجوء واللاجئين في العالم بإسهاب وتفصيل.

وبناء على ما سلف ذكره سنتطرق في هذا المبحث إلى مطلبين وهما:

المطلب الأول: حماية اللاجئين وفق الاتفاقيات الدولية العامة.

المطلب الثاني: حماية اللاجئين وفق الاتفاقيات الخاصة. المطلب الأول: حماية اللاجئين وفق الاتفاقيات الدولية العامة.

إن البحث عن حقوق اللاجئين لا ينبغي الاقتصار فيها على اتفاقيات اللجوء فحسب ذات الصلة به، على أساس أن كثيرا من حقوق اللاجئين سنجد مصدرها في اتفاقيات حقوق الإنسان الأساسية، والتي ينبغي أن يستفيد منها اللاجئ كإنسان قبل أن يكون لاجئا، إذ إن صفة اللجوء لا تلغي حقوقه كإنسان، وإنما ينبغي أن تضيف له حقوقا جديدة ناتجة عن الظروف التي استحدثت²⁸ فإذا كان اللاجئ إنسانا قبل كل شيء، فإنه يستفيد من مجموعة من الحقوق، والتي تعد محل إجماع واعتراف دولي، وذلك بحيث نجد أن هناك اتفاقيات خاصة بحقوق الإنسان تناولت حق اللجوء باعتباره حق ذات صلة بحقوق الإنسان، فظاهرة اللجوء هي حالة يكون فيها الشخص مجبرا على ترك بلده الأم نتيجة ظروف قاهرة خاصة منها: غياب الأمن، والخوف على نفسه من الأذى والضرر، فيبحث عن ملاذ آمن للخلاص والعيش فيه، ولقد ارتأينا في هذا المطلب أن نتناول أهم الاتفاقيات التي أقرت حق اللجوء كأحد أهم الحقوق التي يتمتع بها الإنسان.

الفقرة الأولى: حماية اللاجئين في الشرعية الدولية لحقوق الإنسان

إن المقصود بالشرعية الدولية لحقوق الإنسان هي النصوص القانونية الثلاثة الهامة، والتي تنطبق لمعظم حقوق الإنسان دون أن تركز على حق محدد، بالإضافة إلى أنها تشكل الإطار العام لحماية حقوق الإنسان في ظل إطار المنظمة الأممية، وهي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948م، والعهد بين الدوليين

الفرع الأول: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان 1948

يعتبر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948م أول استهلال دولي لحقوق الإنسان، إذ إنه يعد بمثابة صك أساسي دولي يتناول كافة الحقوق العامة للإنسانية ككل، وهي حقوق غير قابلة للانتهاك أو التصرف فيها، وقد صدر هذا الإعلان في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 ديسمبر 1948م بوصفه المعيار العام لإنجازات جميع الشعوب والدول فيما يتصل بحقوق الإنسان، فهو يشمل حقوقا

عديدة يستحقها في كل مكانⁱⁱⁱ، وعلى الرغم من أن فكرة وضع إعلان عالمي لحقوق الإنسان كانت تتردد على مؤسسيه منذ الحرب العالمية الأولى، إلا أن هذه الفكرة لم تجد مجالا للمأسسة، والتطبيق إلا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية نتيجة ليقظة الضمير الدولي²⁹

وقد تطرق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان إلى مختلف الحقوق، وذلك في ثلاثين مادة من أهمها، الحق في الحياة و الحرية، و التحرر من العبودية، و الرق و التعذيب، والحق في الحماية القانونية المتساوية، والالتجاء إلى محاكم عادلة، ثم عدم التعرض للقبض، و حق التمتع بحرية الحياة الخاصة، و حرمة السكن و المراسلات، وكذلك الحق في التملك والزواج، وحرية الرأي و التعبير، و المشاركة في تقلد الوظائف العامة، هذا فيما يخص الحقوق المدنية و السياسية، و أما بالنسبة للحقوق الاقتصادية والاجتماعية و الثقافية و التي نص عليها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، فمن أهمها الحق في العمل و الراحة و الصحة و الرفاهية، ثم الحق في التعليم و الاشتراك في الحياة الثقافية للمجتمع³⁰

وأما فيما يخص حماية اللاجئ فقد نصت المادة 13 من الفقرة 2 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه: "يحق لكل فرد أن يغادر أي بلد بما في ذلك بلده، كما يحق له العودة إليه"³¹ فهذه المادة منحت للأفراد بمن فيهم الفرد اللاجئ الحق في حرية التنقل، و المغادرة خارج بلده الأم، وأيضا باستطاعته ومن حقه الرجوع إليه.

في حين نجد أن المادة 14 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان تخص اللاجئ بالتحديد، وتعلق أساسا به، إذ نصت على أنه: "لكل فرد الحق في أن يطلب اللجوء، و يتمتع به في بلاد أخرى هربا من الاضطهاد".³²

فإذا رجعنا إلى قراءة نص المادة 14 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان نلاحظ أنها ميزت بين الحق في طلب اللجوء و الذي يكون من حق الفرد في طلبه، وبين الحق في التمتع به بحيث يكون هذا الحق من اختصاص الدولة المانحة، فهي التي تملك سلطة تمتع الأفراد بصفة اللاجئ. من خلال ما سبق بيانه يتضح لنا أنه يجب على كافة الدول، و الحكومات أن تحترم مواطنيها، وأن تعاملهم بما يحتفظ لهم كرامتهم كآدميين، وألا تعرضهم للمعاملات القاسية و الوحشية، فلا يمكن للإنسان الذي يضطهد داخل بلده، وتنتهك حقوقه يوميا بصورة صارخة، كما يحصل اليوم باليمن

وبليبيا و سوريا من قتل عمد،و تعذيب عن سبق و إصرار ممنهج من استباحة للمدن والأغراض لا يكون له الحق-عندما يعجز تماما - في أن يبحث عن ملجأ آمن يأمن فيه على حياته و أسرته و يصون في كرامته،وبما أن هاتين الأخيرتين انتهكتتا و بشكل يومي،و بدرجة متزايدة من قبل الميليشيات الليبية،و الحكومة السورية،والطوائف اليمنية،فهذا هو عينه ما نصت عليه المادة 14 من البند الأول من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان،و التي توضح وبجلاء أن اللجوء الإنساني هو حق لكل شخص طبيعي تعرض للاضطهاد داخل الدولة أن يلتمس لنفسه ملجأ آمنا³³

وعليه فإن طلب اللجوء هو حق لكل فرد،لكن حق التمتع به يبقى من صميم حق دولة الملجأ،فهي تمنحه لمن شاءت وفق سلطتها وسيادتها في هذا المجال³⁴

لكن على الرغم ما قيل،و ما أيدته بعض الدول من ملاحظات،و اعتراضات تبقى المادة 14 من نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بالغة الأهمية إذ إنها نصت على حق يعتبر من أهم الحقوق التي كرسها هذا الإعلان لحقوق الأفراد و هو حق الفرد في طلب اللجوء.

الفرع الثاني: حماية اللاجئين وفق العهدين الدوليين سنة 1966.

يقصد بالعهدين الدوليين للأمم المتحدة بشأن حقوق الإنسان،العهد الدولي للحقوق الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية الذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة في 16 ديسمبر 1966م،و أصبح نافذا في 2 يناير سنة 1976م،و قد جاء الاهتمام بالحقوق الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية ليؤكد أهمية هذا النوع من الحقوق من أجل التمتع الفعلي بكافة حقوق الإنسان،و العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية و السياسية و الذي تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة أيضا في 16 ديسمبر 1966م وأصبح نافذا فعليا في مارس 1976م³⁵

وأما ما فيما يتعلق بحماية اللاجئين،فقد عرفت مراحل إعداد اتفاقيتي الأمم المتحدة.بشأن الحقوق المدنية و السياسية،والحقوق الاقتصادية والاجتماعية الثقافية سنة 1966م عدة محاولات لبعض الدول و المنظمات الدولية،لإضافة نص يقضي بحق الأفراد في طلب اللجوء،فقد اقترح مندوب يوغسلافيا أمام اللجنة الثالثة للجمعية العامة في دورتها الخامسة سنة 1950 م،إضافة نص يقضي بحق الأفراد في الملجأ،و بناء على ذلك أوصت الجمعية العامة بموجب القرار رقم 431 ب في 4 ديسمبر

1950م المجلس الاجتماعي والاقتصادي بتكليف لجنة حقوق الإنسان التابعة لها بأن تأخذ في اعتبارها اقتراح المندوب اليوغسلافي، لكن عند إعداد مشروع هذه الاتفاقية تم رفض هذا الاقتراح، وذلك بسبب اعتراض غالبية الدول، على أساس أن هذه الأخيرة ليست مستعدة لتحمل التزام يوجب عليها توفير الحماية لعدد من اللاجئين لا نستطيع التنبؤ بعددهم سلفاً.³⁶

وعلى الرغم من ذلك، فقد نصت المادة 12 الفقرة 2 من العهد الدولي للحقوق المدنية و السياسية على أن: "حرية مغادرة الشخص لأي بلد بما في ذلك بلده"³⁷

وعليه يلاحظ أن هذا النص يعلن صراحة وبشكل واضح أن السفر و المغادرة مضمون ومكفول بنص المادة، بالإضافة إلى أن حق الفرد في تحديد الدولة التي يقصدها يشكل جزءاً من الضمان القانوني. ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا الإطار أن معظم الحقوق المنصوص عليها في العهدين الدوليين، والتي تتعهد دول الأطراف باحترامها لها علاقة وطيدة الصلة باللاجئين وملتزمي اللجوء، فقد تضمن العهد الدولي الخاص بالحقوق الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية للإنسان الحق في العمل، و الحق في الرعاية الكافية، و التربية و التعليم، و الصحة للفرد و أسرته.³⁸

وأما فيما يخص العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنية والسياسة، فقد نصت على مجموعة من الحقوق، ابتداء من النص على الحق في الحياة، و منع إخضاع أي فرد للتعذيب، أو المعاملة الإنسانية، أو العقوبة القاسية، أو الحط بالكرامة والاسترقاق، أو إخضاعه للعبودية، أو السيطرة أو العمل الإلزامي، و الحق في الحرية و الأمان شخصه³⁹.

من خلال ما سلف ذكره، يتضح لنا و بجلاء مدى الأهمية البالغة لهذه الحقوق الخاصة بالنسبة للاجئين في عصرنا الحالي، لذا يتوجب على الدول الأطراف في العهدين الدوليين الوفاء بالتزامها، و احترامها، و العمل على توفيرها لكل الأفراد الخاضعين تحت لوائها، أو الموجودين في إقليمها بمن فيهم اللاجئين مساواة إمام القانون بدون أي تمييز لأي سبب مهما كان.

المطلب الثاني: حماية اللاجئين في الاتفاقيات الإقليمية لحقوق الإنسان.

لقد كان للاتفاقيات الإقليمية دور بارز في تراكم و ترسيخ تطوير حقوق الإنسان، ومن أول هذه الاتفاقيات، و أهمها على وجه الإطلاق الاتفاقية الأوروبية لحماية حقوق الإنسان و الحريات الأساسية

سنة 1950م، تلتها بعد ذلك الاتفاقية الأمريكية حول حقوق الإنسان 1969م، و سنعمل عل توضيحهما بتفصيل، وذلك وفق فقرتين:

الفرع الأولي : الاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان 1950م.

لقد شكل وضع الوثائق الإقليمية، وآليات المراقبة التابعة لها بشكل ملحوظ، إلى تعزيز و تطوير قانون حقوق الإنسان، ومن أولى هذه الاتفاقيات و الآليات كانت الاتفاقية الأوروبية الحماية حقوق الإنسان و الحريات الجوهرية 1950 م، والتي أضيف إليها عدة بروتوكولات.⁴⁰

قد وقعت هذه الاتفاقية في روما من لدن خمس عشرة دولة من الدول الأعضاء في المجلس الأوروبي بتاريخ 5 نوفمبر 1950م⁴¹، و أضفت إليها البروتوكولات الإضافية، والتي بلغت في مجملها أحد عشر بروتوكولا، و التي تنصب بشكل صريح على حق الملجأ و توفير الحماية اللاجئ، ومن أجل ذلك فقد اقترحت بعض دول مجلس أوروبا سنة 1961م، وضع نص خاص يقضي بالاعتراف بحق الأفراد في الملجأ، و ذلك من خلال بروتوكول ملحق بالاتفاقية الأوروبية لحقوق الإنسان، لكن لجنة خبراء حقوق الإنسان رفضت هذه التوصية بفعل تماسك أغلبية الأعضاء بإنكار هذا الحق في الحق في طلب الملجأ.⁴²

و بإلقاء نظرة شاملة على هذه الاتفاقية نجدها تضمنت مجموعة من الحقوق المدنية و السياسية، و التي منها الحق في الحياة و الحرية و الأمن و منع التعذيب، والعقوبات و المعاملات غير الإنسانية. وأما بالنسبة للبروتوكولات الملحقة لهذه الاتفاقية فقد شملت هي لأخرى عددا من الحقوق، فمن ذلك مثلا في البروتوكول رقم 4 لسنة 1968م، نجد إضافة عدد من الحقوق: كحضر حبس الأشخاص لعدم وفائهم بالتزاماتهم التعاقدية، و حرية التنقل، ومنع الطرد الجماعي للأجانب، في حين نجد البروتوكول رقم 7 يتحدث عن الشروط القانونية التي يجب مراعاتها عند إبعاد الأجانب المقيمين في الدول الأعضاء بطريقة غير قانونية، و التي منها :عدم إبعاد الأجنبي إلا بعد معرفته لأسباب الطرد، ودراسة القضية أمام السلطات المختصة، وإمكانية إبعاد الأجنبي دون احترام الشروط السابقة إذا دعت إلى ذلك ضرورة الحفاظ على النظام و الأمن⁴³ و إذا رجعنا إلى البروتوكول الرابع السالف ذكره نلاحظ

أن هناك اعترافاً ضمنياً وصريحاً بالهدف منه هو إقرار الحق في طلب اللجوء، بحيث يحق للفرد مغادرة الدولة التي يتعرض فيها للاضطهاد، و طلب اللجوء إلى دولة أخرى مع التزام هذه الأخيرة بعدم طرده. ويقدم قانون حقوق الإنسان وسيلة قانونية لضمان حماية اللاجئين الأفراد من خلال التوصل بآلية دولية للشكاوى، وهذه الآلية ليست متوفرة.

بموجب بنود اتفاقية 1951م، وبرتوكول 1967م مثلاً على المستوى الإقليمي يمكن للمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان أن تأمر دولة خاضعة لاختصاصها بعدم ترحيل طالبي اللجوء إلى بلد أخرجت يكون معرضاً للتعذيب، أو أي انتهاك آخر للاتفاقية الأوروبية لحماية حقوق الإنسان و الحريات الجوهرية⁴⁴

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك بعض الجهود الأوروبية، والتي من شأنها تدعيم فكرة اللجوء و حماية اللاجئين، ففي سنة 1967م، أصدرت لجنة الوزراء التابعة لمجلس أوروبا القرار رقم 914، والذي يقضي بضرورة تعامل الحكومات الأوروبية مع طالبي اللجوء على أراضيها بروح إنسانية، و ضمان عدم إرجاعهم على الحدود، ورفض دخولهم أو طردهم، أو اتخاذ أي إجراء من شأنه أن يجبر اللاجئين على العودة إلى الإقليم الذي تعرض فيه للاضطهاد، بسبب عرقه أو جنس، أو بسبب توجهاته السياسية⁴⁵.

وفي سنة 1988م قامت اللجنة الأوروبية البرلمانية هي الأخرى بالتطرق إلى موضوع حماية اللاجئين، من خلال توصيتها رقم 1088، حيث أكدت على ضرورة المحافظة على الحق في الملجأ باعتباره من تقاليد الديمقراطية، كما طالبت مجلس أوروبا بضرورة العمل في هذا المجال، وفي سنة 1944م أعدت الجمعية البرلمانية الأوروبية طلبها السابق من خلال توصياتها رقم 1236 حول الحق في الملجأ، و أوصت لجنة الوزراء بتعديل الاتفاقية الأوروبية لحماية حقوق الإنسان من خلال تضمينها الحق في الملجأ⁴⁶.

الفرع الثاني: حماية اللاجئين وقف الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان سنة 1969م.

إن هذه الاتفاقية ثم التوقيع عليها في منطقة تسمى بسان خوسيه بكوستاريكا سنة 1969م في مؤتمر خاص عقد لذلك، و تم اعتماد مشروع هذه الاتفاقية و الذي أعدته اللجنة الأمريكية لحقوق الإنسان.

و قد تناولت هذه الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان تفصيلا للحقوق المدنية والسياسية فقط، فيما أحالت الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلى بروتوكول بيونس إيريس المعدل لميثاق منظمة الدول الأمريكية، كما أنشأت هذه الاتفاقية أجهزة تقوم على مراقبة الوفاء بالالتزامات التي تضمنتها، بحيث اعترفت باللجنة الأمريكية لحقوق الإنسان - القائمة من قبل - كجهاز من أجهزتها، و طورت اختصاصاتها ووظائفها، كما أنشأت اللجنة الأمريكية لحقوق الإنسان.⁴⁷

و بالرغم من كون الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان تتضمن أساسا الحقوق المدنية والسياسية فقط، لا أنها تعتبر أول اتفاقية دولية ملزمة متعلقة بحقوق الإنسان، إذ أنها تعترف صراحة بحق الأفراد في الملجأ، حتى ولو كان ذلك من الناحية النظرية، إذ نجد مثلا: أنها نصت في المادة 22 من الفقرة السابعة إذ تقول: " لكل فرد في حالته ملاحقته بسبب جرائم سياسية ، أو جرائم عادية متصلة ب الحق في طلب الملجأ أو الحصول عليه في إقليم أجنبي طبقا لتشريع الدولة و الاتفاقيات الدولية".⁴⁸

بناء على ما سلف ذكره يتضح لنا وبجلاء أن الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان قد اعترفت للأفراد في حق الملجأ نظريا فقط، وتركت التطبيق العملي ملغوما، إذ أحالت هذا الحق لتشريع الوطني للدولة.

و بموجب هذه الاتفاقية حسب المادة 52 ثم إنشاء المحكمة الأمريكية لحقوق الإنسان من أجل تفسير وتطبيق أحكام هذه الاتفاقية، وكذلك مباشرة اختصاصها الاستشاري والقضائي، وأما بالنسبة للاختصاص الاستشاري يحق لجميع الدول الأعضاء في المنظمة طلب آراء قانونية، يضاف إلى ذلك أن الدول الأعضاء في منظمة الدول الأمريكية يجوز لها أيضا أن تستشير المحكمة بشأن تفسيرها لاتفاقية وحدها، بل أيضا أي معاهدة أخرى تناولت حماية حقوق الإنسان في الأمريكيتين⁴⁹

و أما فيما يخص الاختصاص القضائي، فإن للمحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان اختصاص قضائي ملزم^{IV}، إذ إنه يشمل كل القضايا المتعلقة بتفسير و تطبيق أحكام الاتفاقية الأمريكية المرفوعة إليها، و لا يجوز رفع القضايا أمام المحكمة إلا للدول الأطراف في الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان، والمفوضية الأمريكية لحقوق الإنسان، وفق ما نصت عليه المادة 61 من الفقرة الأولى من الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان⁵⁰.

نستنتج خلال ما سبق ذكره من أن الاتفاقية الأمريكية لحقوق الإنسان لم تقدم، أي جديد عملي فيما يتعلق بالحقوق في الملجأ، غير أنه يحتسب لها نظريا التصريح بهذا الحق و هو في حد ذاته مكسب مهم، وخطوة هامة لحقوق الإنسان.

وبالإضافة إلى الحماية المكفولة للاجئين في القانون الدولي لحقوق الإنسان، فهناك أيضا القانون الدولي الإنساني الذي تعرض لحماية اللاجئين خصوصا في الدولة المضيفة، بحيث تنطبق إلى هذا الشق من خلال المادة 44 من الاتفاقية الرابعة: "إذ أكد على أنه لا يجوز لدولة أن تعامل اللاجئين الذين لا يتمتعون في الواقع بحماية أية حكومة، كأجانب أعداء مجرد تبعيتهم القانونية لدولة معادية"⁵¹

وفي نفس السياق تنص المادة 45 من هذه الاتفاقية على: "أن الشخص المحمي لا ينقل تحت أي ظرف من الظروف إلى بلد يخشى أن يتعرض فيه للاضطهاد، بسبب آرائه السياسية أو معتقداته الدينية"، فبالنسبة للاجئين يكتسبون الحماية التي يحتاجونها أثناء نزاع مسلح من استمرارية قانون الملجأ في الفترة الممتدة من قبيل الاحتلال، لكن الملاحظ في الواقع أنه ليس في موثيق القانون الدولي الإنساني المخصصة لحماية المدنيين أي إشارة إلى مصطلح للملجأ، فهذا الفرع القانوني يستخدم مصطلح اللجوء في حديثه عن اللاجئين، ومن ثم فإن حمايته لا تكون بصفته لاجئ، ولكن باعتباره مدنيا متضررا، أو متأثرا بالنزاع المسلح أو يفر منه، وخلاصة القول إن حماية اللاجئين في القانون الإنساني تختزل في صورتين اثنتين الأولى: كونه من جانب المتواجدين فوق إقليم أحد أطراف النزاع، والثانية كونه من سكان ذلك الإقليم المحتل.⁵²

المطلب الثاني: الحماية الدولية للاجئين في الاتفاقية الدولية الخاصة.

إن الحماية الدولية للاجئين لم تتوفق في حدود القانون الدولي لحقوق الإنسان للاجئين والتي تم تفصيلها في المبحث الأول، بل إن هذه الفئة استفادت أيضا من حماية أخرى، ومن نوع آخر من القانون الدولي العام وهو القانون الدولي للاجئين.

فمنذ استهلال نشاط منظمة الأمم المتحدة لم يكن يوجد نظام قانوني خاص للاجئين ونظرا للأوضاع البيئية التي عايشتها هذه الفئة، وأسباب أخرى الشيء الذي جعل المجتمع الدولي يتجه إلى

الدفع بوضع اتفاقات دولية خاصة تضمن حماية دولية خاصة للاجئين، و تضع نظاما خاصا بهم يميزهم عن باقي الأجانب الآخرين، فتم بذلك اعتماد اتفاقية جنيف المتعلقة بوضع اللاجئين. تعتبر هذه الاتفاقية أساس القانون الدولي للاجئين، وتم إقرار هذه الاتفاقية سنة 1951 م المتعلقة باللاجئين في مؤتمر الأمم المتحدة المعني بوضع اللاجئين، والأشخاص عديمي الجنسية الذي عقد في يوليو 1951 م، وفتحت للتوقيع في 28 يوليو وسارت سارية المفعول في 22 أبريل 1953، وقد تضمنت هذه الاتفاقية مجموعة من الحقوق والامتيازات لصالح اللاجئين فوق أراضي الدول الأعضاء، كما أن الدول تلتزم به دون تمييز بسبب اللون أو الجنس أو الدين، وقد أكدت هذه الاتفاقية في ديباجتها على مجموعة من المبادئ، كمبدأ يساوي الجميع في التمتع بالحقوق والحريات، ومبدأ التضامن الدولي في تقاسم الأعباء التي يشكلها اللاجئين، و حددت الأشخاص المستفيدين من أحكامها من خلال تعريف اللاجئين.

ومن بين أهم ما جاءت به أيضا هي تلك الضمانات الممنوحة للاجئي، بالإضافة إلى مجموعة من الحقوق التي يتمتع بها اللاجئين داخل بلد المنشأ.

خاتمة

يتضح من خلال من خلال دراستنا لموضوع حماية اللاجئين بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي ما يلي: * أن كل منهما خص موضوع اللجوء بمجموعة من المبادئ والحقوق، إلا أنه يتضح بأن الشريعة الإسلامية كانت سباقة في هذا المجال مقارنة مع القانون الدولي المعاصر، كما أنها تناولت موضوع اللجوء بشكل أوسع وأدق من القانون الدولي، وذلك بشهادة المفوض السامي لشؤون اللاجئين السيد انطونيو جون ريس الذي صرح لجريدة الأهرام المصرية في تصريح سابق أن لأعراف الإسلامية وأحكام الشريعة الإسلامية بالغ التأثير على قواعد القواعد القانونية المسطرة في إطار القانون الدولي التي تهتم بموضوع اللجوء.

* إن الكثير بتلك القيم كانت تشكل جزءا من الثقافة الإسلامية، إلا أن هذه الحقيقة لم يتم الاعتراف بها دائما، وعلى المجتمع الدولي أن يقدر أهميتها نظرا لتاريخها الذي يمتد إلى 14 قرنا، وأن يعترف بإسهاماتها في ظهور القانون الدولي الحديث.

* إن الشريعة الإسلامية سبقت القانون الدولي بقرون، ولذلك لا عجب أن نرى أن القانون الدولي احتفظ بنفس المبادئ والقواعد والحقوق الأساسية التي أقرتها الإسلامية في موضوع اللجوء.

الهوامش:

- 1 . سورة الإسراء : 70.
- 2 . الغامدي، عبد اللطيف بن سعيد، حقوق الإنسان في الإسلام، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ط 1 200، ص: 83.
- 3 . محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، ط 199، ص: 23:3 .
- 4 . الأرنؤوط، غسان معروف، اللجوء في التقاليد الإسلامية، م س ص: 24
- 5 - أبو محمد عبد الله بن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق جمال ثابت، وآخرون، دار الحديث، القاهرة ، 1428هـ/2006م، ط 1، ج 1 ص: 236.
- 6 . المعافري، أبو محمد عبد الله بن هشام، السيرة النبوية ، م س ص: 285.
- 7 . حميد الله محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2009، 8، بيروت، لبنان، ص 409.
- 8 . سورة التوبة : 6
- 9 . احمد أبو الوفاء، حق اللجوء السياسي بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، م س، ص: 62
- 10 . احمد أبو الوفاء، م س ص: 62.
- 11 . محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، م س، ص 190 .
- 12 . محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، م س، ص: 411.
- 13 . حميد الله، م س، ص 409.
- 14 . الأرنؤوط، غسان معروف اللجوء في التقاليد الإسلامية م ، ص 08.
- 15 . سورة التوبة: 6i
- 16 . سورة البقرة: 256i
- 17 . أخرجه البخاري
- 18 . سورة التوبة: 60i
- 19 . سورة الإسراء: 26i

-
20. سورة الأنفال: 58i
21. القرطبي، الجامع للأحكام القرآن ج 1
22. المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين وحقوق الإنسان و حماية اللاجئين برنامج التعليم الذاتي المجلد الثاني ديسمبر 2006 م، ص 30 و مابعدا.
23. محمد البراز، حقوق الإنسان عالميا و إقليميا ووطنيا ، طبع و توزيع ورقة سجل ماسية، مكناس 207/206 م ص i 97-98
- 24 - Dalloz encyclopedia juridique ، repertoire du droit international , tome jurisprudence des general dollar , paris 1968 page 595.
25. قادري عبد العزيز، حقوق الإنسان في القانون الدولي والعلاقات الدولية، المحتويات و الآليات، دار همة الجزائر 2002 ص: 115-116 .
26. خضر خضر، مدخل إلى الحريات العامة، وحقوق الإنسان و المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس لبنان، الطبعة الثالثة، 2، ص: 46 .
27. مدخل إلى الحماية الدولية للاجئين، حماية الأشخاص الذين هم في موضع اهتمام المفوضية و برنامج التعليم الذاتي 1 غشت 2005 ص 35 .
28. ناصر الغزالي، تقرير النازحين في سوريا و اللاجئين السوريين في (لبنان - العراق - تركيا- مصر) مركز دمشق i للدراسات النظرية و الحقوق المدنية نفذ التقرير ما بين 2012/08/10 ، 2012/09/30 ص
29. أنيسة لكحل العيون، الأمن على اختلاف أبعاده الغذائي - البيئي - الإنساني - إفريقيا الشرق المغرب 2012 م ص 136 .
30. محمد البراز حقوق الإنسان عالميا و إقليميا ووطنيا مرجع سابق ص 93-94
31. برهان أمر الله ، حق اللجوء السياسي (دراسة مقارنة) دار النهضة العربية القاهرة 2008 م ص: 214
32. الأمم المتحدة، الصكوك الدولية لحماية حقوق الإنسان، المجلد الأول الطبعة الأولى 27 مايو 2008 م ص: 227 .
33. منشورات وزارة التربية الوطنية، وزارة حقوق الإنسان ، "، دليل مرجعي في مجال حقوق الإنسان، مطبعة المعارف الجديدة الرباط ص 70 .
34. مرجع نفسه ص 71
35. مدخل إلى الحماية الدولية للاجئين و الحماية الدولية، مرجع سابق ص 36.
36. حسن جميل، حقوق الإنسان في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، فبراير 1986 م، ص 59 .

37. برهان أمر الله، حق اللجوء السياسي (دراسة سابقة) مرجع سابق ص 36 .
38. محمد البراز، حقوق الإنسان عالميا وإقليميا ووطنيا، مرجع سابق ص 29 .
39. مدخل إلى الحماية الدولية للاجئين والحماية الدولية، مرجع سابق ص: 34
40. مدخل إلى الحماية الدولية للاجئين، مرجع نفسه، ص 35
41. أيمن أديب سلامة، الحماية الدولية لطلب اللجوء مرجع سابق ص: 131
42. مصطفى عبد الغفار، ضمانات حقوق الإنسان على المستوى الإقليمي، مركز القاهرة للدراسات و الأبحاث دون ذكر i الطبعة، ص: 61
43. أحمد الراشدي الحق في طلب اللجوء كأحد تطبيقات حقوق الإنسان، أعمال ندوة الحماية الدولية للاجئين تحرير أحمد الراشدي، مركز البحوث و الدراسات السياسية و جامعة القاهرة مصر 1997 ص 64 .
44. المرجع نفسه، ص 88
45. محمد الصوفي، الآليات الحكومية لحقوق الإنسان دوليا وإقليميا، منشورات معهد جنيف لحقوق الإنسان 2014 م ، ص 191.
46. المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، حقوق الإنسان و حماية اللاجئين مرجع سابق ص: 88.
47. أحمد أبو الوفاء القانون الدولي الإنساني، وحماية المدنيين خلال النزاعات المسلحة الجزء الأول منشورات حلب الحقوقية الطبعة الأولى، 2003م ص 205: .
48. زهرة الهياض، لقواعد الأساسية لحماية ضحايا النزاعات المسلحة المعاصرة منشورات وزارة الثقافة ، سلسلة أبحاث مطبعة دار المناهل 2012 ص 351_352 .
49. مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، حالة اللاجئين في العالم خمسون عاما من العمل الإنساني، مرجع سابق ص: 22 .

المصادر والمراجع:

1. ابن العربي، أحكام القرآن، دار الجيل، بيروت، 1907 هـ / 1987
2. أبو محمد عبد الله بن هشام المعافري، السيرة النبوية، تحقيق جمال ثابت، وآخرون، دار الحديث، القاهرة ، 1428هـ/2006م، د ط ، ج 1 ص: 236.
3. أحمد أبو الوفاء، القانون الدولي الإنساني، وحماية المدنيين خلال النزاعات المسلحة الجزء الأول منشورات حلب الحقوقية الطبعة الأولى ، 2003م.

4. أحمد الراشدي الحق في طلب اللجوء كأحد تطبيقات حقوق الإنسان، أعمال ندوة الحماية الدولية للاجئين
تحرير أحمد الراشدي، مركز البحوث و الدراسات السياسية و جامعة القاهرة مصر 1997
5. الأمم المتحدة، "الصكوك الدولية لحماية حقوق الإنسان، المجلد الأول الطبعة الأولى 27 مايو 2008م
6. أنيسة لكحل العيون، الأمن على اختلاف أبعاده الغذائي - البيئي - الإنساني، إفريقيا الشرق المغرب 2012 م.
7. برهان أمر الله، حق اللجوء السياسي (دراسة مقارنة)، دار النهضة العربية القاهرة 2008
8. حسن جميل، حقوق الإنسان في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، فبراير 1986 م .
9. حميد الله محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع،
ط8، بيروت، لبنان، 2009
10. خضر خضر، مدخل إلى الحريات العامة، وحقوق الإنسان، و المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس لبنان، الطبعة
الثالثة، 2008م.
11. زهرة الهياض، القواعد الأساسية لحماية ضحايا النزاعات المسلحة المعاصرة، منشورات وزارة الثقافة، سلسلة
أبحاث مطبعة دار المناهل 2012.
12. الغامدي، عبد اللطيف بن سعيد، حقوق الإنسان في الإسلام، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف للعلوم
الأمنية، الرياض، ط 1 200،
13. قادري عبد العزيز، حقوق الإنسان في القانون الدولي والعلاقات الدولية، المختويات و الآليات، دار هرمة الجزائر
2002.
14. محمد أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي للنشر والتوزيع، ط 1، 1999،
15. محمد البزاز، حقوق الإنسان عالميا و إقليميا ووطنيا، طبع و توزيع وراقعة سجلماسة، مكناس 206 / 207م
16. محمد الصوفي، الآليات الحكومية لحقوق الإنسان دوليا وإقليميا، منشورات معهد جنيف لحقوق الإنسان 2014
م
17. مدخل إلى الحماية الدولية للاجئين، حماية الأشخاص الذين هم في موضع إهتمام المفوضية و برنامج التعليم
الذاتي 1 غشت 2005.
18. مصطفى عبد الغفار، ضمانات حقوق الإنسان على المستوى الإقليمي، مركز القاهرة للدراسات و الأبحاث دون
ذكر الطبعة 2004
19. المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين وحقوق الإنسان و حماية اللاجئين برنامج التعليم الذاتي المجلد الثاني
ديسمبر 2008.

20. منشورات وزارة التربية الوطنية ووزارة حقوق الإنسان، "دليل مرجعي في مجال حقوق الإنسان، مطبعة المعارف الجديدة الرباط .

21. ناصر الغزالي، تقرير النازحون في سوريا و اللاجئين السوريين في (لبنان - العراق - تركيا- مصر)، مركز دمشق للدراسات النظرية والحقوق المدنية نفذ التقرير ما بين 2012/08/10 ، 2012/09/30.

23 repertoire du droit internatio , tome jurispr des general dollar , Dalloz encyclopedia paris 1968

الاختراق الجمالي للبنية الاحيائية: دراسة في الفن الجيني

أ.م. د فريد خالد علوان

كلية الفنون الجميلة/ جامعة البصرة

farid.alwan@uobasrah.edu.iq

تاريخ الإيداع: 2021/05/17 م تاريخ التحكيم: 2021/05/25 م تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص بالعربية:

قدمت هذه الدراسة رؤية بحثية عن الهندسة الوراثية والنفاز الجمالي لطروحاتها العلمية، من خلال انشاء اعمال حية او تولدت عن اصل حي، تحت عنوان (الاختراق الجمالي للبنية الاحيائية: دراسة في الفن الجيني). وقد جاءت هذه الدراسة في اربع فصول، كان الاول منها للاطار العام للبحث، حيث تضمن تبياناً لمشكلة البحث وأهميته والحاجة اليه، مروراً بهدف البحث المتمثل بـ(كشف دفع الهندسة الوراثية كمعرض علمي لتعزيز الجمالي في انجاز اعمال فنية احيائية) من ثم حدوده وتحديد مصطلحاته. اما الفصل الثاني فقد تضمن الاطار النظري للبحث وقد قسمه الباحث الى ثلاث مباحث رئيسية وكالاتي: كان المبحث الاول تحت عنوان (قراءة في الوراثة وسلطة الجينات) اما الثاني فعنوانه (الهندسة الوراثية وحرف المسار الجيني) فيما كان الثالث بعنوان (الترجمة الاجتماعية والجمالية للهندسة الوراثية) واخيرا المؤشرات التي استخرجها الباحث عن الحراك النظري. تنتقل الدراسة الى الفصل الثالث الذي كان مخصصاً لإجراءات البحث وقد تضمنت مجتمع البحث والعينة المختارة منه والتي كانت بواقع (4) اعمال تم اختيارها قصدياً، وبعد تحليلها خرج البحث بعدد من النتائج والاستنتاجات. ومن اهم هذه النتائج:

- قدمت بعض النماذج مقارنة لأصل في سابق لها، ممكن اعتباره مرجعاً جمالياً، في حين ان احدها لم يملك تلك الخصيصة، وبقي ضمن الدائرة العلمية دون ارتباطات مع تجارب فنية سابقة، لكن العينة بالجملة امتلكت بيئة عرض فنية واضحة وجمهور قرئها على انها تجارب جمالية.
- قدمت كل النماذج رسائل اخلاقية محملة على عروض جمالية غير نفعية، محتواها العام هو تأكيد قيمة الحياة ومستوى الهدر المتحقق لها من قبل الانسان. وهذا ما جعل نماذج العينة رسائل مباشرة من قبل الفنانين اكسبها تسمية الاعمال الفنية.
- ومن اهم الاستنتاجات:
- قدرات الكائن الحي تمثل رافداً مهماً لتخيلات وانجاز الفنانين، كونها مثلت مرجعاً مباشراً وقادراً على الانحاء والارشاد بما يخدم التجارب الجمالية ويعطي تصوراً جديداً عن تلك الكائنات.

- الهندسة الوراثية لاعب مستحدث في مسار الحياة وله سلطة اخذت تتنامى بسرعة نتيجة الاتاحات المتنوعة وفرصة تحقق احلام الفنانين، ومن المؤمل وفق ذلك ظهور تجارب أكثر غرابة وتفرد مستقبلا. واخيرا انتهى البحث بقائمة المصادر وملحقا الاشكال وعينة البحث
- الكلمات المفتاحية: الجمال. الفن الجيني. الوراثة. الجينات. الخلايا

Abstract

This study presented a research vision on genetic engineering and the aesthetic penetration of its scientific propositions, through the creation of live works or those generated from a living origin, under the title (Aesthetic Penetration of the Biological Structure: A Study in Genetic Art). This study came in four chapters, the first of which was for the general framework of the research. As for the second chapter, it included the theoretical framework of the research, and the researcher divided it into three main topics as follows: The first topic was entitled (Reading in genetics and the power of genes) As for the second, it is titled (Genetic Engineering and the Genetic Path Letter), while the third is entitled (Social and Aesthetic Translation of Genetic Engineering), and finally the indications that the researcher extracted from the theoretical mobility. So the study moves to the third chapter, which was devoted to the research procedures, and it included the research community and the sample selected from it, which was by (4) works that were intentionally chosen, and after analyzing them, the research came out with a number of results and conclusions. Among the most important of these results:

- Some models presented an approach to a previous artistic origin, which could be considered an aesthetic reference, while one of them did not possess that characteristic, and remained within the scientific circle without links with previous artistic experiences, but the sample as a whole possessed a clear artistic presentation environment and the audience read it as aesthetic experiences.
- All models presented ethical messages loaded on non-profit aesthetic offerings, the general content of which is to confirm the value of life and the level of waste achieved by the human being. This made the sample models direct messages by the artists, which earned them the designation of the works of art.

Among the most important conclusions:

- The abilities of the organism represent an important tributary to the imaginations and achievement of artists, as it represented a direct reference and was able to suggest and guide in a way that serves aesthetic experiences and gives a new perception of those beings.

- Genetic engineering is a new player in the path of life and has a power that is growing rapidly as a result of the various availability and the opportunity to realize the dreams of artists. It is hoped accordingly that more strange and unique experiences will emerge in the future.

Finally, the search ended with a list of sources, an appendix to the figures and the research sample

ثبت اشكال الاطار النظري					
ت	اسم الفنان	اسم العمل	الخامة	السنة	المصدر
1	مجهول	الثور المنح	حجر الديورايت	507 ق م	(موقع انترنت/ 42
2	مجهول	ابوالهول	حجر	2532 ق م	(موقع انترنت/ 42
3	ماكس ارنست	ملاك المنزل	زيت على قماش	1937	(موقع انترنت/ 49
4	سلفادور دالي	معبد شيرلي	زيت على قماش	1939	(موقع انترنت/ 49
5	جيمس كامبرون/ ومخرج	مؤلفات	طباعة رقمية	2009	(موقع انترنت/ 42
6	لينارت روف/ مخرج	تايتنز	طباعة رقمية	2018	(موقع انترنت/ 42

ثبت العينة					
ت	اسم الفنان	اسم العمل	الخامة	السنة	المصدر
1	ادورد كاك	اليوم الثامن	مواد متنوعة	2001	(موقع انترنت/ 46
2	مامي هيرانو	انعاش وحيد القرن	مواد متنوعة	2014	(موقع انترنت/ 43
3	هيدر هاجبورغ	ديو الوجوه المتعددة، الشبيه	مواد عضوية خامات	2017	(موقع انترنت/ 47
4	ستيفان روثنيرغ	الشهوة في الماكنة	وسائط متعددة	2020	(موقع انترنت/ 45

ثبت الاشكال الساندة					
أ	خوان ميرو	امراة امام الشمس	زيت على القماش	1950	(موقع انترنت/ 49
ب	روبرت روشنييرغ	مونوغرام	مواد متنوعة	1955	(موقع انترنت/ 49
ج	انيبال كراتشي	العدراء ويونيكورن	فريسكو	1605	(موقع انترنت/ 49
د	جيوفنتو	ديسيدر يو دا سيتينيانو	رخام	1455	(موقع انترنت/ 49

الفصل الاول: الاطار العام للبحث

مشكلة البحث

تنامت وتوطنت جملة المعطيات على مسار الافكار والمنجزات البشرية، سيما في الحقل الجمالي، قد يكون من ابرزها سعي التغريب والمخالفة وتوليد الاطروحات الجديدة عما سبقها، وبما ينمي من زخم وحيوية هذا الحقل وسواه ممن يمتلك تداول وانتشار بين المتلقين. وبما رسم مساراً لرغبة متوطنة حددت اطار اي مسعى مؤثر في تاريخ الافكار منذ القدم. لتؤكد الحاجة العاطفية للإنسان في تحسين وتحميل بيئته المعاشة، وجعلها أكثر مماناة لدفع الاحلام البعيدة لديه. والامر ليس محكوما بصاحب الانجاز فحسب، بل كذلك المتلقي الذي اخذ يرافق تحولات الفنون من خلال تحولات الوعي والذوق، كونه اصبح ضاغظا يطلب احلال التجديد والاستحداث الدائم، من خلال ارتقاء الثقافة العامة والتخصصية، في ميدان الفن والميادين العلمية صاحبة الاغراء والاثارة سيما الملامسة منها لحياة الانسان والفاعلة في قيادة دفتها. من جانب آخر توسعت العلوم من جانب آخر بشكل مطرد وفتحت منافذ معرفية وشكلت مسارات لها هويتها واستقلاليتها. وبين قدم متنامي وجديد ولد مرحليا، لاح علم الوراثة كلاعب شق له طريقا وسط زحمة العلوم البشرية واخذ منها حيزا مع مجموعة الصدارة ان لم يكن متصدرا لها. ومع رسائل التخوف والتشكيك، والقبول والتسليم، سارت نتائج هذا العلم وهي تلامس افكار الفنانين وطروحاتهم السابقة، سيما في ما يخص قدرات الانسان وفرصة تعديلها، فضلا عن الحيوانات الاخرى مما ينتشر من

حوله. وبما عزز رغبة الفنانين في الاختلاف عن نظرائهم المحليين والسابقين. لذلك لاحت فرصة استثمار طروحات الهندسة الوراثية كمعطى لإنتاج تجارب فنية تحوز (ولو مرحليا) على فريدة ومخالفة قارة. سيما في فكرة انتاج عمل فني (حي) له هويته واستقلاله ووجه التغريب الأقصى عن منجزات الفنون. فضلا عن امكانية بعث الكائنات المتخيلة الى الحياة وجعلها تسعى في عالم محسوس بعد ان كانت مكبلة بعالم متخيل. من دون تناسي امكانية تقريب المخلوقات المتألفة نحو المثالية الفلسفية التي نادى بها غير واحد من المنظرين. وهنا كانت ولادة الفن الجيني الذي امسك كفتي الفن والعلم ووقف وسطا بينهما، وقدم الامتداد الابدع (مرحليا) لجملة التعاضدات بين الجمال الحر والجمال الوظيفي. ولكون هذا الفن من التقدّمات المعاصرة غير واضحة المعالم في مراحل الانجاز العقلي والحسي، كان للباحث تعرض لهذا المسار، لما يملكه من اغراء بحثي وضبابية عامة عن مولداته الفكرية والتقنية، فضلا عن نتائجه وحيز رسائله الاخلاقية والجمالية، وهذا ما شكل الدافع لأجراء هذا البحث عن الفن الجيني ومكتسباته الفنية والعلمية، لذلك ساق الباحث مشكلة بحثه مُحملة على التساؤل الآتي: ما هو المتحقق الجمالي في الاعمال الفنية التي اعتمدت على الهندسة الوراثية كمعطى علمي؟.

اهمية البحث والحاجة اليه

تتوضح اهمية القيام بهذا بحث من خلال التعريف بالتغريب الفني الناجز، وكذلك بآخر الطروحات الفنية العالمية المعاصرة. مثلما يعزز (على سعته المحدودة) من مساحة التنظير الجمالي للمستحدثات الفنية من خلال ما يعرضه من نتاجات فنية غير مسبوقة. وكذلك التعريف بقدرات الهندسة الوراثية كعلم له استطالة وتواشج مع الطروحات الفنية دائمة التلاقح مع العلوم. فضلا عن التعريف بأعمال لها صفة (حية) ممكنة التحقق وبما يعطي فرصة لإعادة قراءة الاحياء من حولنا فنيا وبضمنها الانسان. اما الحاجة فهي قادمة مما يتيح البحث من فرصة اضافة معرفية مغايرة للفنانين العراقيين وامكانية تنفيذ اعمال فنية متفردة على ذات المسار. وتقديم عتاد فني غير متداول لحيز الاستخدام وبمقدار ما يكشفه من اشتغالات عالمية.

هدف البحث

كشف دفع الهندسة الوراثية كمحرض علمي للتعزير الجمالي في انجاز اعمال فنية احيائية.

حدود البحث

الحد الموضوعي: المصورات الثابتة والمتحركة للتجارب المنجزة ضمن حيز الفن الجيني.

الحد المكاني: دول العالم. لكونها تجربة غير مقتصرة على دولة بذاتها ويمكن تواجدها في أي مكان يملك الاتاحات العلمية المناسبة.

الحد الزمني: (2001 - 2020) وهي فترة تنامي هذا الفن وظهوره بشكل موسع وصريح كإنجاز له تعالق مع الهندسة الوراثية.

تحديد المصطلحات

اختراق

أ. لغة

((خَرَقَ يَخْرِق ويخرق، خرقاً، فهو خارق، والمفعول مخروق ... خرق الحصار: نفذ من خلاله ... خرق خط الدفاع: أحدث ثغرة فيه، تجاوزه)) (عمر/2008/634)

ب. اصطلاحاً

((القدرة على الوصول لهدف معين بطريقة غير مشروعة عن طريق ثغرات في نظام الحماية الخاص بالهدف)) (موقع انترنت/ 42)

((القدرة على التسلل والتغلغل ... لغرض تحقيق اهداف مختلفة)) (كوفلي/2019/192)

ت. اجرائياً

((ولوج ونفاذ الشيء الى وسط مغاير ويكون دخيلاً عليه، على المستوى الظاهر او في مستويات البنى العميقة والغير مدركة)

جمال

أ. لغة

((الجمال) الحسن وقد (جَمِلَ) الرجل بالضم (جمالاً) فهو جميل، والمرأة (جميلة) و(جَمَلَاء) أيضاً بالفتح والمد)) (الرازي/1981/11)

ب. اصطلاحاً

((صفة تلحظ في الأشياء ، وتبعث في النفس سروراً ورضاً)) (صليبا/1982/407)

((وحدة العلاقات الشكلية بين الأشياء التي تدركها حواسنا)) (ريد/1986/37)

ت. اجرائياً

(صفة تحوز عليها المعقولات وتكون مقبولة وجدانيا باستحسان ولذة أثناء تأملها، لما فيها من اتفاق مع رغبات المتلقي، لذلك فهي نسبية اعتمادا على من يقرؤها)

بنية

أ. لغة

((بنى يبنى " البنى ضد الهدم ، بنى البناء البناء بنياً والبناء وبنى (مقصور) وبنياً وبنية وبنائية)) (بن منظور/ د ت/101)

ب. اصطلاحاً

((البنية عند الفلاسفة ترتيب الأجزاء المختلفة التي يتألف منها الشيء. وللبنى معنى خاص وهو إطلاقها على الكل المؤلف من الظواهر المتضامنة، بحيث تكون كل ظاهرة منها تابعة للظاهرة الأخرى ومتعلقة بها)) (صليبا/1971/218)

((نشاط ذهني يهدف الى إدراج الأشياء في نظم مفهومة ، واضحة التركيب ، بينة الوظائف محكومة في علاقتها... وهي كل مكون من ظواهر متماسكة يتوقف كل منها على ما عداها)) (فضل/1987/23-24)

ت. اجرائياً

(مجموعة من العناصر تجتمع سوياً تحت محددات الزمان والمكان لتعطي رسالة متحدة قوامها حزمة المعاني الضمنية التي يحوز عليها كل عنصر منفرداً)

احياء

أ. لغة

((حيي- حياة وحيوان: كان ذا نماء. ويقال حيي يحيا فهو حي)) (الوسيط/2004/203)

ب. اصطلاحاً

((علم الكائنات الحية، أي علم النبات وعلم الحيوان، من حيث الموضوع، وعلى علم التشكل (شكالة) وعلم الوظائف (وظافة) مع كل متفرعاتهما)) (لالاند/2001/136)

((علم الاحياء يتناول مجموع ما يشاهد في الانسان والحيوان والنباتات من مميزات تفرق بينها وبين الجمادات، كالتغذية والتناسل ونحو ذلك)) (المعاني/ موقع انترنت/ 40)

ت. اجرائياً

(جميع الكائنات التي تملك صفة الحياة وتأخذ وظائف تخصصية حسب نوعها ولها مميزات متنوعة تفارق بينها، لذلك فهي الموجودات الساعية المعلومة والمجهولة لنا)

الفصل الثاني: الاطار النظري للبحث

المبحث الاول: قراءة في الوراثة وسلطة الجينات

تعني الوراثة انتقال الصفات الموجودة من جيل مشخص الى جيل آخر يأتي بعده، عبر وسائل النقل الطبيعية، من عمليات تزاوج وانجاب بمختلف طرائقها، لينشئ جيل جديد اكتسب ظاهره وباطن الجيل الذي تقدم عنه، ولتتكرر العملية ذاتها لاحقا مع تقدم مسار عمود الزمن، وهذا الامر طبيعي ومألوف منذ قبل ان ينشأ علم يعنى بدراسة هذه الظاهرة ((هناك قاعدة ثابتة في تقييم قدرة الاحياء على التكاثر هي: انجاب المماثل فقط)) (صادق/4/1979)، غير ان التوريث للصفات لا يعني اننا جميعا متطابقون تماما، فالاختلافات الضمنية تكون مسألة حتمية تؤكد على مفهوم التنوع ضمن المجموع الذي يبدو متشابهاً، في كل الاحياء وليس الانسان فحسب. اذ من المسلم به ان لا تشابه لشخصين مهما بلغت مسببات ذلك، باعتبار ان لهما خصائص متباينة قد تحتاج الى جهد علمي دقيق لكشفها بقصد التفريق فيما بينهما ((ورغم ان هذه الاختلافات ليس من السهل معرفتها، الا انها موجودة ومهمة. هذه الاختلافات البسيطة تجعل كل شخص متفرداً، وهذه الاختلافات تأتي من المعلومات الوراثية التي تنتقل من الاباء الى الابناء)) (فولك/6/2011)، وقد تكون هذه الميزة هي لتأكيد التنوع الذي يضمن فريدة الكائن الحي، سيما العاقل، والتي تتيح له ادراك جانب الخصوصية الواجبة حتى تحقق له الاستقرار المنشود دوماً. هذا الانتقال الوراثي للصفات المنظورة حسياً او ادراكاً عقلياً، يتم وفق آلية غاية في الانتظام، وتأخذ مسارها بحدود منضبطة بشكل دقيق، مما يضمن عدم ضياع او تشتت تلك الصفات الا فيما ندر من حالات استثنائية، وبما يحقق فرضية ان النسل البعيد زمنياً يحوز على صفاته الوراثية لأجيال عدة قد حلت من قبله وليس جيل الاتصال المباشر معه ((ان عملية انتقال الصفات للأجيال الجديدة تتم كما لاحظنا بصورة امينة ودقيقة. لقد وجود ان في بعض الاحيان يتم الحصول على افراد نادرة ذات صفة معدلة عن الصفة الاصلية وحيانا بصفة جديدة)) (الفصل/137/1999)، ومع هذا الانضباط والشمولية العالية في النقل، ما خلا بعض الاستثناءات، يتأكد تنوع المسارات الوراثية وتمايزها فيما بينها، حيث يمكن عبر ادراك هذه الخاصية في تغذية المورثات، ان نفرز ونميز بين العديد مما يعرف بالسلالات والتفرعات في الخصائص، اذ ينتسب الفرد وحتى المتمايز الى مجموعة خاصة لها ذات الاطار العام من

المحددات. والامر ليس مقتصرًا على البشر، بل يشمل كل الاحياء الموجودة او التي كانت موجودة يوما ما، وفق مفهوم السلالات هذا ((السلالة هي مجموعة من الافراد يمكن ان نميزها عن غيرها باختلافات بيولوجية)) (كافيلي/2004/36)، والوراثة في موضوعه السلالات لا تختص بالفروقات الغير منظورة فحسب، بل حتى القدرات الفردية والجماعية التي تحدد طبيعة التعاطي مع المحيط وكيفية اكتساب الخبرات والمهارات وطرائق التجريب وسواها، والتي يعود قسم كبير منها الى مميزات وراثية تضطلع بها الجماعات المتمايزة، كما هو الامر في قضايا اللغة واكتسابها على سبيل المثال لا الحصر ((وتظهر خريطة وراثية لأوروبا ان الحدود بين اللغات يمكن ان تكون مناطق تبدل وراثي)) (جونز/1999/165). فالأمر من ذلك يشير الى ان السمات الوراثية الخبيثة يمكن ادراكها عبر ترجمتها في ما تزود من مهارات وقدرات تعطي للفرد او للجماعة خصوصية واضحة. هذا الحراك العملي المثير للفضول وللغائبة، استمد معظم زخمه في القرن العشرين، منذ تنامي الثورة الصناعية ومن بعدها التقنية، وهو يستمر في الاثارة وتنامي عدد المشتغلين ضمن نطاقه ((شهد القرن العشرين الاسس الرئيسية لعلم الوراثة Genetics المتمثل في فكرة وجود مادة وراثية يمكن التنبؤ بطرق تناقلها وتوزيعها من اجل الى آخر)) (تدمري/1997/11). ورغم التوقعات بانه قد بدأ تدافع الزخم في علم الوراثة عبر محاولات فردية تعاضمت تدريجيا، الا ان لاحدهم سبق حتما في رسم هذا المسار العلمي واعطاه هويته واستقلاليته، كأبي نشاط بشري شهد ذات الطرائق في الحراك ولملمة مفرداته ((اعطى وليم بيتسون الانجليزي هذا العلم الناشئ اسم الوراثة في 1950)) (صدقي/2013/17)، ورغم ان التوثيق التاريخي يعود لأفراد بعينهم وقد يضيع جهود آخرين تغافل عنهم التاريخ لسبب ما، الا ان الواضح بأن علم الوراثة هو نتاج مجهود جماعي وان لم يكن تجمعي بالمعنى المتداول، فللكثير اسهامات فاعلة فيه وجهود ادامت زخم تقدمه زمنيا.

مفاهيم في علم الوراثة

تحقق جوهر التوارث عبر جزء متناهي الصغر في الاحياء يدعى (الجين) باحتسابه الوحدة المصغرة في نظام بناء الحياة، وعلى صغره الا انه المفتاح الاول لتحديد ماذا سينتج من صفات وخصائص وهوية نهائية للكائن الحي، من خلالها وحدها فقط نكون مانحن عليه ابتداء، ومن خلالها تأخذ الاحياء تمايزاتها المدركة والمخفية، حتى وصفها المختصون (بالكأس المقدسة)، والتي نوه عنها العالم (مندل) في تجاربه الوراثة واسترعى جراء ذلك انتباه العلماء ((يرجع بدء البحث عن ((الكأس المقدسة)) للبيولوجيا الى عام 1900 عندما اعيد اكتشاف قوانين مندل للوراثة)) (كيفلس/1997/13)، وقد اكتسبت الجينات هذه

التسمية المميزة، لأهميتها التي تزداد جلاء من زيادة الأبحاث والاكتشافات، حتى تبين أنها أشبه بالخزانة السرية التي يحملها كل حي في جسده، وتحوز هذه الخزانة على كل أسرارها المعروفة لديه، وكذلك التي لازالت مجهولة. بل وحتى لو اردنا (صناعة) فرد جديد، تكون البداية من حتمية وجود جينات محددة تقود الى ولادته اخيرا، فهي مصغر للفرد مضغوط في هيئة كتيب تعليمات لكل العمليات التي تنتجها والبداية الى الضرورية في حالات الطوارئ. لذلك فالجينات هي القرص المضغوط الجاهز لتقدم الدعم متى ما طُلب منه ذلك، سواء بطريقة صناعية محددة او بطريقة طبيعية تلقائية وخفية عن الادراك ((ويحتوي الجين على تسجيل للتعليمات اللازمة لصنع جزيء محدد من بروتين معين والبروتينات هي اللبنات الاساسية في بناء الجسم)) (العريض/2003/80). وبذلك تكون الجينات هي المصنع العميق وهي الحافظ لأسرار الحياة، وهي الناقل الامين للأجيال اللاحقة، اذ ان الثابت علميا ان للجينات القدرة على اصلاح ومعالجة اي اختلال وظيفي محتمل، من خلال العودة الى الارشيف الثابت فيها. وبما يقدم اضافة لقوة دورها في حفظ وديمومة مسار الاحياء دون انحرافات او تمفصلات فجائية ((ومن الثابت ان المادة الوراثية لديها آليات لمعالجة التغيرات الحادثة بها لإعادةتها الى حالتها السوية)) (الجنزوري/2008/36)، وبما يبين يقظة الجينات الدائمة وهي تراقب علميات البناء والنمو والتصحيح، واستعدادها دوما لأجل هذه الغاية. ولا يعني ذلك الثبات والتحديد في الفعل، اذ ان لها مساحة عمل متسعة تسمح لها بتقدير الحاجة الى التزويد بالبرمجة اللازمة، سواء اكان ذلك بمقدار محدد ام متسع، وبما يعطي للخلايا البشرية الفرصة على الاستمرار في التوالد والنمو دون التعرض الى تغيرات مؤثرة ((ان عمل الجينات او ((المورثات)) يخضع ... لنظام مراقبة يضبط تعابيرها حسب متطلبات الخلية وحاجتها)) (الحب/د ت/8)، وهذه القدرة والامتداد في التصويب والتغذية هي المسبب الرئيس لثبات واستمرار الانواع الحية. ويحوي جسم الكائن الحي على عدد من الجينات تشترك سويا في توليد سمات وخصائص الاحياء، وهذه العملية المعقدة تتم بالتشارك الجماعي ما بين المورثات، كل منها له دور محدد، قد يكون اضافة لصفة او لجزء منها فحسب، وتتشارك الجينات في ادوارها لتحقيق حزمة الخصائص التي تعطي للكائن الحي هويته وكيانه، وكلما كانت الجينات المسؤولة عن خصيصة محددة متسعة عدديا، كان ذلك الحاجة في تأكيد تلك الخصيصة ((فالجينات كالنمل كل يضيف حبة الى الخزين، فكلما زاد عدد النمل زاد الخزين، والطول يزداد كلما ازدادت الجينات المساهمة في العمل، ويقل كلما قلت الجينات المساهمة)) (الريبي/1986/75-76). وكل ما تقدم يؤكد على جزئيتين: الاولى اهمية دور الجينات او (الكأس المقدسة) والثاني هو مقدار التعقيد والتشابك في هذه

العملية البنائية. ويحتاج الجين الى سلسلة من التعاقبات الاجرائية حتى يقدم هوية الاحياء النهائية، فهو يدخل في تركيب الشريط الوراثي (DNA) والذي يكون على هيئة الكروموسومات التي بدورها تؤلف محتوى نوى الخلايا، هذه الخلايا التي تعد الوحدة الصغرى في تركيب الكائنات الحية على مختلف انواعها. وان تشابه ظاهر الخلايا، الا ان الكروموسومات المؤلفة لها ستختلف عبر صفاتها وخواصها الوراثية، اذ ان الكروموسومات ((تتركب بالأساس من المادة الوراثية المسماة بالحامض النووي الديوكسي رايبوزي. ويضم هذا المركب الكيميائي بين طياته كل المعلومات اللازمة لتكوين خلايا الكائن الحي، وتحديد عملها سواء أكان بشرا، ام حيوانا، ام نباتا، ام جرثومة)) (الربيعي/14/1986)، وما دامت الكروموسومات متألفة اساسا في الجينات، فان لها ذات الاشتغال وتحقق نفس النتائج وتقوم بآلية المراقبة الاحيائية طوال المسار الزمني لعمر الكائن. لذلك فهي المنظم لإيقاع النمو والتطور والاختلاف والتمايز وتكوين السلالات، عبر تأثيرها المباشر في الخلية وهي في داخلها، اذ يؤثر بأن دورها الابرز يتركز في ((تخزين المعلومات ونقلها بأمانة من الاءاء الى الاءاء وعبر الاجيال (و) ضبط نمو وتطور الجسم بدءا من الخلية الواحدة الى الجسم البالغ بكامل اعضاءه)) (الحب/د ت/23). والموثق في هذا الجانب ان عدد الكروموسومات غير متساوي او متناظر في الكائنات الحية، فأزواجها تختلف عدديا بين صنف حي وآخر، ناهيك عن المهام المناطة بها. ومن ذلك ندرك اننا كأحياء نتاج الخلايا وما تحوز عليه من قدرات وما تحويه من مكونات فاعلة، بل جوهرية في توليدنا وصيرورتنا بما نحن عليه، ومن ذلك ايضا ندرك اننا ككائنات تسعى لتشارك ذات المبدأ الاحيائي، من حيث اننا مؤلفون جميعا من وحدات صغرى (الخلايا) تجعلنا نلتحق بذات الاصل او على اقل تقدير بذات المبدأ ((ان النظرية الخلوية جاءت لتؤكد وحدة العالم الحي، سواء كان حيوانا ام نباتا، راقيا ام واطئا، وان الخلايا لا يمكن ان تنشأ الا من خلايا سابقة لها)) (صادق/15/1979). ونحن كبشر ندرك الان وجود هذا المحرك الدائم العمل في داخل كل منا، يقوم وبدون توقف في ضبط افعالنا وحفظ تاريخنا ويؤمن ديمومته لأجيال قادمة، من دون تعديلات جوهرية او مؤثرة على حفظ وضبط النوع. ولذلك يمكن القول بأننا كبشر او كأحياء، لسنا سوى خلايا مجمعة بدقة عالية وهذه الخلايا المجتمعة تضطلع بمهمة فعل الحياة على هذا الكوكب. ومن هذا المنطلق يمكننا وضع تصوراتنا عن طبيعة مسار الحياة الماضي والذي سيلحق في مساره العملي ((يمكننا فهم انفسنا فقط اذا اعتبرنا ان تصرفاتنا هي تعبير عن خلايانا التي نتكون منها. فكل ما نفعل هو انعكاس لسلوك الخلايا الوحيدة التي تجعلنا تداخلاتها الموسيقية ما نحن عليه)) (فورد/17/2001)، وهذا التخيل سيزداد اثارة عندما ندرك ان الخلايا فعليا لا

تقدم كل ما تملك من قدرات، وضبطها للأفعال والخصائص يتم بمقدار الحاجة لا غير. فهي _اي_ الخلايا_ لا تستنزف كل امكاناتها دون وجود حاجة لذلك، بل انها وطوال فترة عملها في الكائن الحي لا تعطي الا القليل مما تحوز عليه نتيجة لعدم الحاجة الى عملها بقدرة عالية ((المعروف ان الخلية لا تستخدم خلال فترة حياتها الا حوالي 0,4% فقط من المعلومات المتوفرة في جزئيات الحامض النووي. وفي ذلك ضمان ضد حوادث العطب حيث يتم التعويض عن الجينات المتضررة بجينات مكررة صالحة)) (الريعي/118/1986). وذلك ما يقدم مادة ثرة لخيال المتخصصين في دراسة الوراثة، فضلا عن من يستفادون منها وهم خارج حقل التخصص، كالفنانين والادباء وسواهم، كونها تطلق مخيلة الانسان نحو تصور المجهول او المسكوت عنه او حتى الرغبات في امتلاك القدرات والصفات الغير متألفة ومحل التمني.

الوراثة والبيئة

قد يكون هناك دور محتمل للبيئة المحيطة بالأحياء وللكتافة العددية لذات النوع او للأنواع المجاورة، في طبيعة الصفات الوراثية، من حيث امكانية التأثير على الصفات بطريقة غير مباشرة، اذ تنحرف الصفات _محل الضغط_ تدريجيا بحكم الدفع الخارجي لتقدم تحولاً في ظاهر الاحياء، على مستوى الشكل او على مستوى السلوك، والامر من ذلك لا يحتسب تحولاً مؤقتاً، اذ من الممكن ان يكون هذا التحول في صميم البنية الاحيائية للكائنات، كما هو الحال في بعض الاحياء المرافقة للبشر في تجمعاتهم ((تلاعب الكثافة السكانية وبعد الافراد دوراً هاماً، في التأثير على الصفات الموروثة. ويؤدي ازدحام السكان من آدميين وحيوانات الى تحطيم البنية الاجتماعية وهكذا تتحول الشراسة او العدوانية الفطرية الى شراسة غير مألوفة)) (الحب/د ت/120)، هذا التمايز المحتمل قد يجعلها مختلفة عن اقرانها في البيئات ذات المحرضات المختلفة، وبما يسهم في نشأة تسلسل مختلف رغم اشتراكهم بذات الاصل. وان صدق مثل هذا الرأي _محل التشكيك علمياً_ يتضح اننا كأحياء نساير البيئات المختلفة ونتكيف معها، بمعنى ان خلايانا _ذات الجهد المقتصد_ القدرة على التمدد والتغير في توفير الوظائف والخصائص متى ما كانت الحاجة لذلك ملحة، وبما يسمح للأحياء بالتحول التدريجي زمنياً وهي في مسارها لتوليد اجيال جديدة ((سر تواصل وجودنا كمجموعة سكانية هو ان نبقى على قيد الحياة وان ننمو من خلال الظروف البيئية الكثيرة المختلفة. ووسيلة بقائنا هي بأن نتكيف. ويعني هذا وراثياً ان جيناتنا يجب ان تتغير عبر الاجيال كلما تغيرت ظروف البيئة)) (هارسنيان/160/1988). ولا يعني ذلك ان قدرة التكيف لانهائية، فهناك حدود لمثل هذه الامكانات، باعتبار ان الخلايا مجهزة بوظائف دون سواها، ومجموع الكائن الحي

يمثل معجم محدود المفردات مهما اتسعت وتشعبت، فلا يمكن بحال جعل الاحياء المائية قادرة على الطيران مثلا، اذ ان لكل صنف حي حقله ووظائفه وخصائصه المحددة دوناً عن غيره من الاحياء الاخرى ((مهما كانت عوامل البيئة قوية فأئها لا تستطيع اجبار الجينات على صنع منتجات لم تجهز الجينات لصنعها)) (هارسنيان/1988/169). وقد وضع العلماء هذه الحقائق نصب اعينهم وهم يقدمون تجاربهم على الكائنات الحية، حتى تأتي بنتائج ممكنة التحقق على ارض الواقع. غير ان المهتمين بالتخيل كالفنانين وغيرهم لا يلتزمون بمثل هذه الحدود مادام الموضوع لا يخرج عن اطار التصور التخيلي فقط.

الطفرة الوراثية

رغم ما تقدم عن استمرار توارث الخواص والصفات عبر تسلسل اجيال الكائنات الحية، وضمان تماثل تلك الاجيال من خلال مراقبة وحفظ الكروموسومات لعمل الخلايا الحية، الا ان هنالك فرصة لحدوث تغيرات مفاجئة في تلك الخواص، وفق ما يعرف بنظام (الطفرة الوراثية)، حيث انها تشمل ((اي تغيير مفاجئ وثابت في التركيب الكيميائي للجين يؤدي الى ظهور صفة وراثية جديدة تنتقل بدورها من جيل الى آخر)) (القحطاني/2012/197) وبما يلغي ثبات التسلسل والتكهن اليقيني بالنتائج البعيدة للأحياء بشكل قطعي. وهذا الانحراف عن المسار المتألف والذي يقدم نتائج غير متوقعة، تم رصده علميا واصبح من بديهيات الوراثة، حتى مع التسليم بأن حدوثه يكون عرضيا، اذ ان المختصون يؤكدون على ضرورة حدوث وثبات تلك الطفرور الوراثية ((ترتكز الطريقة الوراثية للتاريخ على فرض يقول ان معدلات الطفرور ثابتة)) (كافيلي/2004/102)، والمهم في موضوع الطفرات هو نتائجها التي تقدم تغيرا في جوهر الاحياء، اذ ان لها انعكاسا على طبيعة الكائنات حتى تبدو من ذلك بأنها متطورة عما كان سابقا لأسلافها، اذ لو اردنا ان نرجع علة لنشوء وارتقاء الاحياء، لكانت الطفرة هي العذر العلمي الذي يتكأ عليه المختصون، رغم انها غير محسوبة على وجه الدقة ((الطفرات، اي كان منشؤها، هي خامات التطور. وبني البشر، مع كافة المخلوقات الاخرى الحية، يتبدلون على مر العصور عن طريق تراكم تلك الطفرات)) (جونز/1999/87)، ورغم ان الطفرات غير منتظمة دائما او غير متوقعة، الا ان لها فعلا ايجابيا قد يمكن الكائنات الحية من التكيف مع المحيط، باعتبار ان البيئة والظروف لها مسار متحرر من الثبات، ولا يمكن للأحياء (سيما غير العاقلة) البقاء على ذات المسار في بيئة متغيرة، لذلك تساهم الطفرات في جعل الحياة ممكنة الاستمرار والمسايرة لامتداد الزمن. فالطفرة على ذلك هبة تمنح المخلوقات فرصة المقاومة والمطالبة ضد الظروف المحيطة، حتى وان تحققت على فترات متباعدة زمنيا على مسار عمر الارض ((وقد تكون

بعض الطفرات، في الصفات الجينية، ضرورة لتكيف الجسم العضوي مع متغيرات البيئة والمحيط. وفي هكذا حالات، تكون الطفرات عاملا اساسيا، في التطور والارتقاء)) (المحب/د ت/81). من ذلك ندرك ان للطفرة تحقيقا للتنوع الاحيائي وليس فقط لتطور ذات النوع، اذ من الممكن ان الكائنات الطافرة تأخذ استقلاليتها كجنس جديد يورث صفاته المكتسبة لئيشئ من ذلك سلالة مستقلة لها هويتها. وعلى هذه الجزئية اشتغل العلماء في تقديم طفرات صناعية عبر سلسلة مطولة من التجارب، بهدف تقديم البدائل الأكثر صحة او الأكثر تناسبا مع تغيرات المحيط، ناهيك عن استهداف الفنانين لهذه الجزئية وما ترفده للمخيلة من افكار تعبر عن جموح التصورات والافتراضات البعيدة لدى الانسان.

جمال الوراثة الطبيعية

يبين حقل الوراثة، ورغم تخصصه العلمي وسعي الطب للاستفادة من طروحاته ونتائجه، بأن هنالك رغبة لدى الانسان في الاكتمال الذاتي والابتعاد قدر الامكان عن الامراض والضعف البشري الذي يعد مسلمة وقاهر حتمي. فالبحث عن مسببات الكمال هدف دائمى معلن ومعلق على النتائج، سواء على مستوى داخل الانسان او حتى في اقل تقدير على مستوى الشكل الظاهر، من فرضية نحت الملامح والجسد طبيعيا ودون تدخلات تجميلية زائلة. اذ ان ولادة انسان بصفات متفق عليها تبقى أمنية قد لا تجد لها صدق واضح في التحقق ((كما يبدو، عن كمال الشكل. ويظهر علم الحياة اليوم ان هذا الشكل الكامل غير موجود)) (جونز/31/1999)، ومن الاجدى القبول والتسليم لو في الوقت الحاضر بما هو متاح، بل الافضل يكون في كشف الجمال من خلال ما نملك من خواص وراثية تميزنا عن غيرنا، باعتبار ان مزاياها تقدم لنا سمة الاختلاف (جزئيا) فضلا عن الفائدة النفعية المعيشية. ومن ذلك سيظهر جمال الفرد والمجموعة، وبما يعزز من وجود الدفع الايجابي اللازم لاستمرار اتزان الحياة، عندما ندرك ان خصائصنا المختلفة هي ذاتها مواطن الفائدة لنا ((يقال ان الشعر الصوفي عند الافارقة يعمل كسطح تبخير للعرق لتبريد الرأس. والانوف الطويلة الحادة عند الناس في الشرق الاوسط تساعد على ترطيب الهواء الصحراوي قبل وصوله الى الرئتين وضيق العيون عند الصينيين يحميها من الرياح الجليدية التي تهب في السهول الاسيوية)) (جونز/182/1999). وقد يكون جمال الحياة في تنوع الصفات بين البشر والاحياء الاخرى، اذ ان التنوع في ذاته يؤكد على فريدة الصفات ويعطيها طابع الاثارة عند الآخرين.

المبحث الثاني: الهندسة الوراثية وحرف المسار الجيني

يمثل مفهوم الهندسة الوراثية التلاعب بالموثارات وفق آليات مسيطر عليها مختبريا. من خلال تنشيط قسم منها وتثبيط قسما آخر، بقصد الخروج بنتائج محددة يريدها القائمون على التجارب، بمعنى ان المسار التطوري الطبيعي للكائن الحي يُحرف عمدا ليولد من جراءه مسار جديد مرسوم مسبقا، والموضوع من ذلك يعتمد على تغيير صفات الخلايا وجيناتها، اما عبر الاضافة من جينات اخرى، او عبر تغيير عمل الجينات داخل الخلية المستهدفة، وهذا العمل المستحدث يقوم على انتاج تأثيرات تملك استمرارية لذات الكائن الحي او للأجيال اللاحقة التي تنتج من خلاله (الالف/2012/5). والغاية الظاهرة من عمليات الهندسة الوراثية في احداث التأثيرات المطلوبة مسبقا، هي السيطرة الكاملة على مسار العمليات، بحيث لا تحدث نتائج عرضية تقضي الهدف وتخرج عن سيطرة التحكم المختبري ((تعتمد الهندسة الوراثية ... على التلاعب بالموثارات بطريقة تسمح بإنتاج كائنات حية متواضعة بصبغات متقدمة)) (الفصل/265/1999). اذ ان اهمية السيطرة قد توازي اهمية النتائج، فالمنهج المعد والقابل للإعادة في حالات مشابهة، يعطي للتجربة الوراثية قيمتها وقبولها العام، عكس النتائج العرضية التي تطرح مخاوف عن التحديث الجيني غير القابل للتكهن وبما يحمله من تشوهات ونتائج لا يراها الظهور. وفكرة الهندسة الوراثية قائمة اساسا على وجود عيوب وتشوهات تحتاج الى التدخل الطبي، او تحقيق نتائج افضل من تلك المتحققة طبيعيا، حتى يتم تبرير القيام بمثل هكذا تجارب مازالت المخاوف حولها قائمة، ولذلك يشار دائما الى النتائج العرضية الطبيعية في الوراثة ودورها السلبي (احيانا) بقصد التلاعب بهذا المسار واعادة الامور الى نصابها المألوف، او لتحقيق نتائج افضل (افتراضيا) مما هو متحقق فعلا ((ان ما تنجزه الطبيعة على نحو اعمى وجائر، قد ينجزه الانسان بحكمة وسرعة وعطف)) (جونز/253/1999) وان كان الباحث لا يتفق بالضرورة مع هذا التوجه التبريري، الا ان وجود الاخطاء الطبيعية الشائعة يولد حاجة لدى الانسان في تحسين ظروف الاحياء او زيادة قدراتها بشكل معقول. سيما في موارد الانتاج الغذائي التي تحوز على تنظير اخلاقي اقل من التجارب الجمالية حول البشر على سبيل المثال. ومع ما يحدث من نقص في الموارد عالميا، وكذلك الاتاحات العلمية والتقنية متسارعة التقدم، شق علم الوراثة طريقه منذ القرن العشرين صعودا بطريقة تصاعدية، حتى بات من ابرز الحقول المعاصرة وفي الصف الاول من حيث الاهمية. ناهيك عن تيسر سبل الانجاز في ميدانه ((ومع التقدم المعرفي والتقني تحسنت الامور بشكل متسارع فاصبح علم الوراثة الجزيئي من اسهل العلوم واكثرها تطورا، واصبح من السهل التعامل مع

DNA، وعمل نسخ عديدة من اي جين)) (القحطاني/2012/241)، سيما ان ما قدمه يعد استثنائيا مقارنة بمسار العلوم السابقة له منذ أمد غير قريب، وكذلك نتائجه المباشرة والفعالة في مجال الكائنات الحية عموما. وبما يسجل له كأبرز نتاجات العقل الانساني منذ ان بدأ يفكر وينتج ويجد الحلول للمشاكل المرافقة لحياته ((تعتبر تكنولوجيا تجزئة المورثات، واعادة تركيبها اعظم انتصار حققه الانسان في مجال العلم عموما)) (البقاصمي/203/1993). ونتائجه على ارض الواقع تقدم هذا العلم بأفضل تصور عن اهميته، رغم المعارضة القائمة للعديد من مفاصله.

آلية تحقيق الهندسة الوراثية

تكمن آلية عمل الهندسة الوراثية عموما عبر التحكم في الجهاز الوراثي الذي يملكه الكائن الحي، واحداث طفرة عمدية نتيجة مسبب خارجي لتغيير من ذلك المعجم الوراثي الداخلي، ليتأثر الكائن الحي ويتحول الى كائن آخر جزئيا بدرجة ما بحسب مساحة التلاعب، وكذلك نقل ذلك الاستحداث ليكون في صميم الجين المؤلف للأحياء اللاحقة، وبذلك يشكل هذا الكائن مفصلا في السلسلة الوراثية الممتدة زمنيا عبر هذا الاستحداث، اذ ان الطفرة الوراثية ((يمكن استحداثها نتيجة تعرض الكائن الحي لعوامل مطفرة تتفاعل مع المادة الوراثية)) (القحطاني/2012/199). ومن اهم الاساليب المستخدمة في ذلك هو عزل الجينات الوراثية حسب وظيفتها، من ثم القيام بإعادة رسم الادوار فيها من خلال اعادة برمجة العمل والاهمية في القيام بتوليد الصفات، بحيث تتراجع المورثات التي راد لها التراجع، مقابل تعاضل دور تلك التي يراد لها السيادة ((من الواضح ان تنشيط جينات معينة واحباط عمل اخرى في بعض الخلايا الجينية سيحضرها عن مواصلة الطريق العام الى طريق فرعي)) (صادق/38/1979)، وهذه الطريقة فعالة لأحداث التغيرات في البنية الاحيائية للكائنات، بحيث تبدو بحلة جديدة. ويتم ذلك عادة من خلال تسليط اشعة بمقدار محدد كميا وزمنيا على المنطقة المستهدفة، بشرط المعرفة المسبقة بنتائج ذلك الاجراء، والامر غير مقتصر على مورث واحد او على صفة واحدة، اذ من الممكن عبر ذلك الاشعاع زيادة عدد الطفرات، من ثم سعة في مستوى التحول الوراثي للكائن المستهدف ((هناك عدد كبير من الوسائل لزيادة عدد الطفرات، سواء في الخلايا الجسدية او في النطفة او البيضة، فالإشعاع (كأشعة X) يمارس تأثيرا مثيرا عند الحيوانات)) (جونز/84/1999). وهذه الاجراءات تتم على خلايا الكائن الحي وهي ثابتة في مكانها، بمعنى بقاء انزال الاحياء وضمان تحولها الوراثي دون تدخل مع احياء اخرى.

غير ان المعرفة المتسعة بخصائص الخلايا والمورثات، مكنت العلماء من النقل والاضافة فيما بينها، بشرط الملائمة الجسدية وتقبل تلك الاستضافة العمدية. وهذا العمل لا يتحدد فقط في الكائنات المتشابهة او المشتركة بذات المورث، اذ امتدت قدرة هذا العلم على احداث التناقلات بين الكائنات المتجاورة وحتى غير المتجاورة وراثيا، عبر معرفة ما تحويه الخلايا للجسم المغذي والجسم المستقبل ((ان نقل الجينات من جسم حي الى آخر مكن من تخطي الحاجز الذي قام على مر الزمن بين الانواع الحية المختلفة. وتكوين احياء معدلة جينيا)) (اوفرأي/34/2012)، وعلى النطاق البشري، تمت الاستعانة بخلايا الحيوانات في العديد من عمليات التصحيح الجراحي، وعلى مختلف الاصعدة (الممكنة) في الحاضر. لتشكل تلك الاضافة رافدا مهما يسعف الطبابة البشرية. واذا تم ذلك فالأمن التجارب في التقبل الجسدي قدمت ثمارها في نتائج قارة، حتى باتت البدائل الحيوانية متاحة ومتألفة في جملة من الاجراءات التي تتم بصورة مستمرة عالميا ((وقد استخدم الجراحون بالفعل قطع غيار حيوانية في الطب البشري)) (عبدالرحمن/68/1992)، ومن المؤمل وفق ذلك زيادة هذا التداخل وزيادة فعاليته متى ما اضيف كشف جديد في مواصفات الخلايا، في رفاذ الاحياء بمنافذ علاجية تساعد على ملئ الثغرات الحالية.

التنبؤ الوراثي

تكمن الاهمية المضافة لعلم الهندسة الوراثية في كونه ذو طبيعة استباقية، يقدم الحلول قبل حدوث المشكلات، ويسمح بدفع الامراض المستقبلية قبل ظهور فرصة تشكلها حتى في بداياتها. والامر لا يقتصر على الامراض، بل يشمل مشكلات تتعلق بقدرات الكائن الحي، وتكيفه مع البيئة الافضل له قياسا بتناغمها مع مهاراته وخصوصية حالته التي تستدعي التعامل الاستثنائي ((التنبؤ الوراثي بالمعنى الحرفي امر له القدرة على تغيير طريقة حياتنا. فهو سيدخل اولويات جديدة بالنسبة لبعض من اهم القرارات الرئيسية التي يجب علينا اتخاذها، قرارات عن المهنة التي نختارها، والمكان الذي نعيش فيه، والشخص الذي نتزوجه. فهو باختصار ينفذ الى الصميم من حياتنا)) (هارسنياني/245/1988). وبذلك تكون دقة القرارات الوراثية سببا في انتاج افضل ومناخ عمل اكثر استقرارا، بعد ازاحة الضغوط والمعوقات التي يمكن ان تحدث نتيجة اعاقات البيئة المحيطة بالأحياء. فكما هو الامر مع تعديل البيئة لتناسب الكائنات الحية، يتوجب تعديل الاحياء لتناسب مع البيئة. ونقطة الالتقاء بينهما تكون مناسبة بمقدار الحفر العلمي في خصائص الوراثة الفردية والجماعية ((وكلما زاد التنبؤ حنكة ودقة اصبح اكثر واكثر مما لا يستغنى عنه طبنا، ومهنتنا، والطرائق التي ندير بها حياتنا)) (هارسنياني/273/1988). لذلك يكون من المؤمل

مستقبلا وجود بيانات تخصصية متعددة حتى للأفراد الذين يقومون بذات المهام، حيث ستختلف بيئة كل فرد او مجموعة وفق قدراتهم الوراثية الخاصة، غير ان ناتج اعمالهم ستكون متقاربة بعد رفع عوارض التراجع الوظيفي.

نتائج الهندسة الوراثية

تنطلق هذه العملية في تصويب الاشكالات الصحية والوراثية من مبدأ ان عوامل تسبب الامراض اما تكون خارجية بفعل المؤثرات، او داخلية بحكم استعداد وراثي او عيب في الصفات. ومن هنا يضطلع علم الهندسة الوراثية بمعالجة المسببات الداخلية واعادتها الى نصابها او تغيير عملها بقصد رفع النتائج السابقة ((ان الامراض لا تأتي كلها من الخارج، بل من ((داخل الانسان)) من خلاياه نفسها. وهذه تحتاج بالفعل الى تعديل واصلاح، لأنها لو تركت على خطئها لأدت الى الكثير من الامراض الوراثية)) (البقصي/87/1993)، يعزز ذلك قدرة تشخيص المسبب الوراثي، بل ان الامر يفوق ذلك من خلال البحث عن الاعراض المحتملة والغير متحققة بعد، عبر إجراءات التنبؤ الوراثي بالأمراض الممكنة، نتيجة خواص ومواصفات وراثية يحوز عليها الفرد وقادرة على احداث اعراض صحية مستقبلا، اذ ان دراسة المورثات سمحت بمعرفة امكانية حدوث ذلك ((ان تأثير العوامل الوراثية ليس حتما مفروضا. ومن الممكن عند اكتشافها في الوقت المناسب ان نعمل على توقي او تخفيف او علاج تأثيرها)) (هارسنياني/7/1988). وكلما كانت المعرفة بالمورثات اكبر، كلما توسعت فرصة استباق المرض وعلاجه قبل حدوثه. وبما يعزز اهمية هذا الحقل العلمي. ومن هنا اتاحت امكانية تحجيم جملة من الامراض التي كانت سابقا ذات فعالية عالية وتأثير واضح على حياة البشر، بعدما كانت من المسلمات التي تخيم على المجتمعات وترسم لها مسارات دون سواها، بحكم العجز البشري عن الشفاء منها او تقليل اثارها ((ويمثل اماطة اللثام عن حقيقة الجينات الادمية مشروعا يمكن بوضوح ان يفتح اعيننا على طرائق جديدة لمعالجة الامراض المساوية)) (فورد/205/2001)، وليست الامراض فحسب، بل حتى الخصائص السلبية التي جعلت العديد من الافراد ذوي وضع خاص لا يمكن الخروج عنه، لتوسم حياتهم بتلك الخصوصية التي قادت اليها مورثاتهم المختلفة دوننا عن اقرانهم. وبما يمنحهم الامل في مشاركة المجموع ذات الحياة وذات التطلعات والرغبات ((ذكر علماء بريطانيون ان العقم قد ينتهي من العالم نظرا لقيام العلماء بتعديل الاساليب المستخدمة في علاجه ودراستهم كيفية تحويل الخلايا الجذعية الى بويضات وحيوانات منوية)) (القحطاني/126/2012). واذ تم اقرار هذه النتائج وتداولها عالميا، اضححت مسارات التفكير الطبية بل

وحتى التجارية مختلفة، ترافق ذلك مع تحول الوعي بالفوائد المتحققة، وهي تزيح سلطة المخاوف الماضية من جراء ما يمكن ان يسببه علم الوراثة، وبما يرسم حدود جديدة للعلاقة (الاجتماعية- العلمية) في هذا المجال تحديدا، وفق زيادة التعاطي والتداخل وقبول ما كان مرفوضا سابقا، سيما بوجود اغراءات علاجية تشجع على تعميق ذلك التواشج ((اصبحت اليوم شركات الصيدلة قائمة الذات بفضل بعض الادوية الرائدة المنتجة بواسطة الهندسة الوراثية، مثل هرمون النمو المعروض اختصارا باسم EPO وغيره)) (اوفراري/2012/47). وكل ذلك قد يرسم ملامح طبيعة المجتمع المستقبلي، وهو يسير تدريجيا في اطار التقدمات العلمية، على مستوى داخل الانسان وخارجه سويا. وربما من منطلق اضافة الطول او تغيير بعض الملامح دون تعديل جراحي، او حتى اضافة سمات جمالية وذكائية وسوى ذلك، سينطلق هذا العلم في تحديد هويتنا اللاحقة، باعتبار انه سيكشف طابع اختياراتنا وتفضيلاتنا الذوقية وتداولاتنا، وقد يكون انسان المستقبل مسؤولا (ولأول مرة) عما يملك من مظهر وجوهر ((ان الاطعم الجينية لصور الحياة المختلفة يمكن ان توضع على مائدة العمليات الوراثية لتصبح مطوعة للجراحة الوراثية، اي جراحة الجينات لتغيير وظائفها البيولوجية من اجل تبديل الامكانيات الوراثية للكائن الحي. اما لتخليق صفات مرغوبة، كالذكاء والنبوغ والمواهب والملكات الفائقة، او لإضافة خاصية او صفة لم يكن يملكها من قبل بالتحكم في التشكل والنمو وانتاج الانسان العملاق)) (البقصي/1993/16-17). وان كان الاعتراض على ذلك موجودا الآن (اخلاقيا)، الا ان تقبله قد يحل يوما ما، سيما بوجود نتائج قارة وتطمينات فعلية على صحة الانسان، ليحدث سباق جمالي من نوع آخر، مادته الكائن الحي محل التجريب والاختبار، وقد يكون المستقبل معاكسا تماما لمسار الحياة الممتد لأمد بعيد قد مضى.

اليوجينيا

مع جملة الاتاحات المتصاعدة في تخصص الهندسة الوراثية، وعطفا على رغبات وطموح العاملين في حقولها، لابد ان يكون لمسعى تحسين الانسان وراثيا، وصناعة (فرد) جديد معدل جينيا، احد الانجازات المؤجلة، لكنها ضمن حيز التطلعات المهمة. ومن هنا ظهرت فكرة (اليوجينيا)، والتي يراد منها ان تكون معنية (بصناعة) الانسان الافضل وراثيا، بما يحوز عليه من مورثات وخصائص تجعل منه متقدما على اقرانه غير المعدلين بذات الآلية ((اليوجينيا هي مجموعة من الافكار والانشطة التي تهدف الى تحسين نوعية جنس الانسان عن طريق معالجة وراثته البيولوجية)) (كيفلس/1997/14)، وان كان هذا المشروع مازال ضمن طروحات المستقبل، حتى وان توفر العتاد المناسب لإنجازه، بسبب الاعتراضات الاخلاقية المرافقة

مثل هكذا مسارات، الا ان التوصيات العلمية بشكل عام قدمت رؤى تجاه هكذا مشروع. حتى دون التعديل الوراثي، من خلال تنظيم طريقة التناسل البشري وانتاج اجيال لها من الصفات الطبيعية ما يجعلها متميزة بنائيا عن الاجيال السابقة لها. وبالتدريج ووفق هذا المسار، سينتج اخيرا الانسان المرغوب بوجوده، الخالي من مناطق الضعف المؤثرة، اذ ان علماء الیوجينيا ((اوصوا بالتدخل في تكاثر البشر لرفع تكرار الجينات الطيبة اجتماعيا في العشيرة، وخفض تكرار الجينات الرديئة)) (كيفلس/19/1997). وهذه الفكرة قطعا ليست وليدة علم الهندسة الوراثية، فلها طروحات ادبية وفنية بل وحتى سياسية في غير ما حقبة من الزمن، وربما لازمت افكار الفلاسفة حول الانسان المثالي في اكثر من موضع تاريخي. وقد يكون التنوع والاختلاف في الاعراق مبعثا للتفكير بالإنسان الموحد والحائز على اعلى الخواص الوراثية الممكنة. غير ان تطبيقها على ارض الواقع مازال ينتظر الاجازة العالمية غير قريبة الاتاحة على ما يبدو.

نظام كرسبر

نظام معاصر يهدف الى تحسين مورثات الانسان، يعقد عليه الكثير من الآمال لما له من نتائج فعالة في احلال صفات وراثية مرغوبة ومقاومة للأمراض بصورة أكثر نجاعة. وقد تم اعتماده من خلال قدرات البكتيريا في تحسين جيناتها، ليتم الاستفادة من هذه الخاصية وترجمتها بشريا. وبذلك شكل نظام الدفاع البكتيري نقطة انطلاق مهمة في خدمة مورثات الانسان ((قام الانسان حديثا بالاستفادة من هذا النظام البكتيري الطبيعي، واستخدامه في التعديل على جينومات الكائنات الحية عن طريق قص اجزاء من حمضها النووي بسهولة، في ما يعرف الان بتقنية كريسبر- كاس9 التي تستخدم في مجال واسع من التطبيقات كالأبحاث العلمية الحيوية والطبية)) (موقع انترنت/ 42). وان كانت فكرة تحسين الصفات الوراثية عبر التعديل في وظائف الجينات غير جديدة، الا ان فعالية هذه الطريقة هي التي تعد امرا مستحدثا. فنظام القطع والتفعيل وبهذه السرعة والقدرة وسع من دائرة الفائدة الطبية، وجعل فرصة العلاج وتحسين المورثات اوسع مدى واقصر زمنا، وتحقق النتائج يأتي بسرعة مقارنة بما تقدم من انظمة في الهندسة الوراثية ((فامكن ايضا باستخدامها تركيب جينات جديدة مسؤولة عن اظهار صفات مرغوبة لتحل محل التي تم قصها)) (موقع انترنت/ 42). والموضوع غير مقتصر على السرعة والفعالية فقط، اذ ان نظام كرسبر يعتبر نافذة لأجل التفكير العملي المختلف، نتيجة القدرات التعديلية التي باتت متاحة الآن، وبما يحفز التخيل والتطلع الى افعال ابعد مما هو متحقق اليوم. واعادة التفكير بالإنسان الخارق او الانسان الخالي من العيوب والامراض، حتى المستقبلية منها.

البعد الاخلاقي في الهندسة الوراثية

لابد للباحث من ان يعرج على القيم الاخلاقية محل التداول، في سياق تحولات المجتمع بحكم تسارع نتائج الهندسة الوراثية، فهذا العلم ليس علاجيا بالطرق التقليدية، اذ ان له القدرة على تغيير هوية الكائن الحي، حتى وان لم يكتم الموضوع متضمنا لعلاج مرض ما او لإصلاح عيب محدد. ومع التخوف الاخلاقي المؤشر يكون لتحولات المجتمع الحصة الاوفر من تلك النقاشات، بمعنى ما الذي سنكون عليه اجتماعيا اذا ما تم التدخل العلمي لتغيير نمط حياتنا على مستوى الجينات ((ففي الوقت الذي استطاعت فيه تكنولوجيا الاخصاب ان تقدم حلا مؤقتا لمشكلة العقم، نجد مخاوف وتساؤلات كثيرة تثيرها هذه التكنولوجيا، فما هو مصير الاسرة؟)) (البقصي/1993/88). وان كانت المخاوف المتعلقة بهذه الجزئيات تطرح بشكل محدود، الا ان هنالك مخاوف اكبر تلوح في مسار التشكيك هذا، سيما بوجود القدرة على (تركيب) انسان جديد جينيا، وولادة اجيال لها اصول وراثية متنوعة، وبقدر ما يمكن ان يكون ذلك التصور جميلا، بقدر ما يحمل من خشية مجتمعية، باعتبار ما سيكون عليه الفرد من اجزاء مجمعة تمسخ هويته وانتخابه الطبيعي ((يهتم كثيرا من الناس بما يمكن لعلم الوراثة ان يحققه في المستقبل. فهل نحن معرضون لخطر انحباب سلالة فرانكنشتاينية)) (جونز/1999/266). والامر سيكون اكثر رسما للخشية عند احتساب امكانية الاستعاضة بالأجزاء الحيوانية عن تلك البشرية الثالثة. فأن كان موضوع التجميع البشري محل اعتراض، فأن الاضافات الحيوانية ستأخذ ذات المسار ان لم يكن اشد منه. سيما مع امكانية صناعة (مزارع) بشرية تقدم الاغراءات لما هو قادم من انسال. واذ دخل العلم حيز التجارة والمال تراجعت الحدود الاخلاقية ((يمكننا ان نربي للسمنة او للنحافة، للعيون الزرقاء او السوداء، للشعر المتموج او المجعد، ولكل صفة ظاهرة اخرى يتباين فيها البشر)) (كيفلس/1997/291). وان كان الامر واقعا لاحالة، مع التسارع الواضح في الانجاز والتطبيق، فأن إعادة التقييم الاخلاقي تصبح امرا لا بد منه، بقصد إعادة الاتزان العاطفي الى وضع الاستقرار وتقبل النتائج المطروحة كأمر ضروري وليس شذوذا زائلا.

المبحث الثالث: الترجمة الاجتماعية والجمالية للهندسة الوراثية

النسائج الاولى لأفكار التعديل الجيني

لم تجد الهندسة الوراثية صدى وانتشار بسبب علاج الامراض فحسب، بل ان الطبيعة البشرية الحاملة بإنسان افضل في كل ما يحتوي، ساعدت على الحفر العلمي في هذا المسار. وذلك التفكير ليس بجديد، اذ ان الانسان ومنذ ان وجود على سطح الارض ادرك الصعوبات الماثلة من حوله، وتطلع الى تذليلها

سواء على ارض الواقع المعاش او عبر تخيلاته، وان كانت بعض المعوقات تذلّل تخيلاً فحسب، فأن الخيال لا تحدّه الاحاطة المتعلقة بالواقع الفيزيائي، لذا كان من المرجح ان يمتدّ التخيل الى التفكير بقدرات خارقة له تجعل تنفيذ المستحيل ممكناً (تخيلاً) ((كان الانسان تواقاً ومنذ الازل للحصول على الكائن الخارق الذي يحمل كل الموصفات الحميدة التي تحملها الكائنات المختلفة)) (البكري/14/1990). ولعل هذا التخيل هو عماد الكثير من المنجزات التي تترجم المستحيلات، في مختلف الحقول الابداعية للإنجاز البشري. بل وحتى السلوك البشري نفسه، املا في انتاج الانسان الصحيح عن العلل على اقل تقدير، وان كان تحقيق ذلك وفق طرق قاسية وفيها من قسوة القرار الشيء الكثير، كما فعل الاسبارطيون على سبيل المثال في موضوعة تحسين النسل وصناعة اجيال صحيحة من العيوب ((هناك دائماً اشكال بدائية من التنبؤ تتواجد كجزء من علم الطب، فكان الاغريق ينظرون الى الطفل الضئيل، وللطفل المصاب بالمنغولانية في اذعان لحتمية مستقبله الميؤوس منه، ثم ما يلبثون ان يرموه من فوق حرف)) (هارسنياني/23/1988)، ومن كان يظن ان هذا الفكر المتطرف متعلق بالأجيال الماضية فحسب فهو واهم، اذ ان غريزة التميز وان كانت على مستوى الجماعة فقط، تمثل مسعى وحلم ملازم للكثير من الاعراق، يتم اعتماده متى ما توفرت الظروف المواتمة لإخراج تلك الطروحات، ومثال ذلك ما تم توثيقه في الفكر النازي الذي كان يسعى الى تنقية العرق الآري، باعتباره سليل الآلهة ويستحق الصفاء بفعل تميزه، فكان ذلك منهجهم العلمي المشتق من فلسفة خاصة تجاه الاعراق البشرية ((كانت واضحة جدا صلة الفلسفة والسياسات عند النازيين بعلم الانسان، والرغبة في العودة الى الاعراق النقية)) (جونز/226/1999). وبذلك يكون هذا الحلم متعلقاً مع مسار البشرية تقدماً نحو المستقبل، وربما يجد صدقاً وترجمة في طرائق جديدة متى ما اتاحت المعدات المشجعة على ذلك. ولا يقتصر الامر على السياسة ورغبة التميز والاختلاف لمجموعة دون غيرها، فالإنسان ذو الصفات الخارقة، او المعدل جينياً بمفاهيم المعاصرة، يمثل فكرة فلسفية طُرحت منذ القدم، وان كان ذلك بأساليب مختلفة جعلت منها موضع ترحيب، مادامت مجرد تأملات تخيلية لا تخرج عن اطار التفلسف العام. اذ قدم افلاطون تلك الفكرة في جمهوريته، وهو ينوه عن الانسان المثالي: الانسان الخالي من العيوب الخلقية والخلقية، ليكون النموذج الذي يرنوا اليه الجميع بالغبطة. لكن الملفت للانتباه نظريته تجاه اصل الانسان من خلال شكل عضوي مستغرب، حيث اعتبر الانسان الموجود اليوم (مشتق) منه بعد حدوث بعض التعديلات ((جاء في جمهورية افلاطون ان اصول البشر مخلوقات مستديرة كروية الشكل برأس واحد ووجهين واربع اقدام واربع اذان وزوج من الاعضاء التناسلية، كانت

تلك المخلوقات قوية جدا تتحرك بسرعة كبيرة بالتدحرج حول نفسها)) (المنياوي/2010/154).
فالفكرة من ذلك ان الانسان الموجود الآن هو نسخة مخورة بمورثات مناسبة توائم ضرورة وجوده على الارض. وغير بعيد عن ذلك ما طرح في ملحمة كلكامش حول كيفية (خلق) البطل العظيم ذو الصفات الخارقة، والنتائج عن فعل مخصص للآلهة، من حيث ضرورة كونه استثنائيا ويحتاج الى تلك الخواص ((بعد ان خلق جلجامش، واحسن الاله العظيم خلقه ... حباه ((شمش)) السماوي بالحسن، وخصه ((أدد)) بالبطولة... جعل الآلهة العظام صورة جلجامش تامة كاملة... كان طوله احد عشر ذراعا وعرض صدره تسعة اشبار... وهيئة جسمه لا نظير لها)) (باقر/1979/38). وان كنا لا ندرك فعليا مقدار وجود هكذا عقائد الا من خلال بعض الآثار المتبقية، الا ان تلك الرغبة البشرية ترجح وجود مثل هذه الطروحات الفكرية، وان كانت محدودة ومقتصرة على اصحاب السلطة. يعزز ذلك ما ذهب اليه الملوك في الحضارات القديمة، من كونهم اصحاب اتصال وتواصل مع الآلهة بطريقة خاصة، وهذا ما يجعل منهم مميزين في بنيتهم الاحيائية، ولو على سبيل الافتراض. اذ قدم العراق القدم ومصر وبلاد الاغريق وسواهم، حزمة ملوك تبنا مثل هذا الفكر في الهندسة الوراثية، وان كانت بصورة مختلفة، فقد تداول ملوك العراق القدماء تأليهم لأنفسهم، بمعنى اختلافهم عن البشر وان تشابهوا معهم في المحتوى الخارجي ((تعود تأليه فكرة الملوك الى ازمان قديمة، اذ ورد في النصوص المسمارية تأليه الملوك الأكديين لأنفسهم)) (الشاطر/2013/7). وكذلك ذات الامر مع فرعون مصر، ذوي النسل الإلهي المقدس كما جاء في ارثهم، فباتوا جراء ذلك (ملوكا الهيين) لا يشابهون رعيتهم الواجب عليها الاذعان والتسليم بتلك الاطروحة ((واذ بقي الملك ملكا الهيا، الا انه اصبح الان اقرب الى البشر، والوسيط الحتمي بين الآلهة والبشر)) (لالوليت/2010/246). وغير مختلف كثيرا ما هو عند الاغريق، بل وحتى في الحضارة الفارسية التي زعم ملوكها بأن لهم سببا مع الآلهة، سببا صيرهم ارقى وارفع عن عامة الناس، ومثال ذلك ما ((جاء في احد اللوحات الحجرية: ((داريوس المولود من الآلهة نيث ام آلهة مصر والاله رع اله الشمس المخوفة)) (محسن/2020/680). وهذه الافكار، وان كانت بقصد تعميق التسلط والسيطرة، الا ان منظورها المغيب يخبر عن افكار متعلقة مع الهندسة الوراثية، من حيث امتلاك (الفرد) مورثات خارقة يحسداهم عليها الآخرون، مورثات اعطتهم الحق في التنصيب بفعل اعادة برمجة اجسادهم لتكون مؤهلة لهكذا مناصب في قمة هرم القيادة.

الهندسة الوراثية في الادب والفن

في مساحة التفكير الجمالي، دخلت الهندسة الوراثية ضيفا مرحبا به ألهم تخيلات الفنانين والادباء في جملة من انجازاتهم، وان لم يكن ذلك بوعي علمي مطلوب لدى اهل الاختصاص، فحرية الفنان تتيح له كسر الحواجز وتقديم مقولته دون قيود، ما خلا المفوضة اتفاقا عاما، ومثال ذلك ما قدمته الكاتبة الانكليزية (ماري شيلي) في روايتها (فرانكنشتاين) (شيلي/2012)، او ما كتبه المؤلف الالماني (فرانز كافكا) بذات المسار في رواية (المسخ) (كافكا/1997)، مع الفارق بين من يتم تجميعه من اجساد بشرية، وبين من يتحول الى حشرة كبيرة. وهذه الروايات تقدم افكار المؤلفين في امكانية وجود تلاعب او تحول جيني ونتائج صادمة متحققة من بعد ذلك، وبما يجعل للأفراد صورا وافعال متميزة بحكم ذلك التلاعب عن عمد او بالظفرات في مورثاتهم. كما ان هنالك فنانين قدموا صورا فنية لتأكيد خواص التلاعب بالجينات وانتاج (مخلوقات) صريحة في خطاب الهندسة الوراثية والتعديل على بنية الاحياء. ابتداءً منذ الثور المنحرج وابو الهول، ومرورا بجملة من الكائنات المركبة في الرسم الحديث، كما في اعمال ماكس ارنست وسلفادور دالي وسواهم (الاشكال 1، 2، 3، 4). وقد اخذت السينما نصيبها من هكذا طروحات، غير ان حداثة عهدها قياسا بما تقدم من منجزات، ومواكبتها للتطورات العلمية والتقنية، سيما ذات العلاقة بالهندسة الوراثية، وسعة مساحة الحرية في الطروحات المعاصرة، جعل لها تطبيقات جمالية اكثر وضوحا ومباشرة، والامثلة على ذلك متعددة، في تحوير الاحياء والتلاعب بجيناتهم وانتاج النباتات والحيوانات والبشر المعدلين وراثيا، ومنها ما قدمه الممثل (سام ورينجتون sam worington) في اكثر من فيلم سينمائي، كفلمي (AVATAR) و(TITAN) (الاشكال 5، 6)، حيث يؤكد في هذين الفلمين صراحة على تحوير المسارات الوراثية والتلاعب الجيني في الانسان وصيورته لكائن آخر.

الفن الجيني

عندما يتقابل التطلع الانساني، بمختلف ضروب تحقيقه مع اتاحات علمية استثنائية قياسا بالماضي سيظهر فن على شاكلة الفن الجيني، الذي يراد منه استثمار قدرات التغيير في الكائن الحي جينيا واخراجها بصيغ فنية، تقدم اضافة وتعزيز غرائبي لحركات وتوجهات مدارس الفن التشكيلي، وهنا يكون لهذا الفن مساحة حضور تحت مبرر التعزيز الابداعي لسلسلة نتائج العقل البشري غير الوظيفية او الخالية من المنفعة التي تقدمها الادوات والوسائط دائمة التداول الاجتماعي، فيقال بأن ((الفن الجيني هو فن يشمل الحمض النووي)) (موقع انترنت/ 44)، وبذلك فهو يختص بنتاج العقل الفني اكثر مما يختص

بنتاج الموهبة والمهارة اليدوية المتألفة. واذا يعتبر كذلك فهو وليد تعايش الانسان مع الاحياء، منذ بدأ يسيطر عليها ويطوعها ويعيد تنسيقها وظيفيا او جماليا، فكان الفن الجيني وقبل ان يحوز على تسميته المعاصرة، اشتغالا جماليا منذ أمد غير قريب ((تشكل نباتات الزينة المستأنسة والحيوانات الرياضية والنباتات المخدرة التي تغير الوعي فنا شعبيا وراثيا واسعا غير معترف به)) (Steve Tomasula /موقع انترنت/ 41). ومثل هذا المسار يعطي خصوصية واضحة للفن الجيني، كونه تجاوز العناد الفني التقليدي منتقلا الى وساط أكثر موائمة لهدف الاختلاف المتحقق، فلم يعد اللون والفرشاة او الصلصال وغيره، مما يجدي اعتماده هنا، فالحياة من شروط ومظاهر هذا الفن، حياة العمل الفني وليس من ينفذه فحسب، وبما يقدم خصوصية واضحة للفن الجيني بكليته وللنحات ولالأداة وكذلك للنتائج ((تختلف النباتات والحيوانات والبكتريا اختلافا جذريا عن الوسائط الفنية التقليدية لدرجة انها تتطلب منا اعادة التفاوض بشأن علاقتنا بالفن، وحيانا اعادة تعريف انفسنا في هذه العملية)) (موقع انترنت/ 46)، ومن المثير حتى قبل تمام العمل تأمل مساره، اذ ان الاشتغال يتم عبر علاقة مستمرة وربما ممتدة لزمن مطول بين الفنان والكائن الحي محل الاظهار الفني. ووفق هذا المسار يحتاج الفنان الى اضافات خاصة، فضلا عن الادوات، اذ يستلزم وجود معرفة علمية تتيح له تحديد رؤيته الإخراجية وترسم مسار افكاره وكذلك صيغ العرض . فالتزود بالمعرفة التخصصية كفيلا بتحقيق او مقارنة التصور الذهني عن الناتج النهائي، حيث ان اماكن المعروضات الجينية ((توضح هذه المعارض الدور الجديد للفنان كمترجم علمي ومستحوب، وتحويل الاكتشاف العلمي الى لغة بصرية)) (موقع انترنت/ 48). بل وحتى محترف الفنان قد نال نصيبه من التغيير، من خلال ضرورة توفير بيئة مناسبة لإنجاز اعمال تملك حياة بمعناها الحقيقي لا المجازي، وبات من ذلك مشاغل الفنانين اقرب ما يكون الى مختبرات علمية، او انها انتقلت فعليا الى مختبرات مجهزة لإنجاح تلك التجارب الفنية. وان كان الفنان وبحكم طبيعة اشتغاله الفني ليس بعالم في الهندسة الوراثية، سيكون مرجحا تعاضد افكاره مع خبرات تخصصية تعطي لتصوراته سمة التمثيل الواقعي، وسيكون الناتج من ذلك بين كفتي الفن والعلم ((عمل هؤلاء الفنانين بالقرب من تطوير التقنيات التي يستخدمونها، وغالبا ما يتعاونون مع علماء احياء)) (Steve Tomasula /موقع انترنت/ 41). وبما يزيد من تحديات وتعريب هذا الوافد الجديد على حقل الفنون. واولى التجارب الاستباقية تحت مسمى (الفن الجيني) بمويته المعروفة الآن، قد تم تقديمها منذ عام 1985، حيث عُرضت تجارب جمالية ذات صبغة اثارة طرح مادة وموضوع وخامات وتوليفات شكلت صدمة عالية في مسار تتابع حركات الفن التشكيلي، من

خلال ارسال حزمة خطابات وجدت لها مساحة تأثير بين المتلقين ((افضل ما يفعله الفن الجيني هو افضل ما يفعله الفن دائما: اشراك عقولنا وقلوبنا من خلال حواسنا، وتحطيم الصور النمطية، وتحديد الآمال والمخاوف، والحيرة والذهول، والتخفيف من عزلتنا)) (موقع انترنت / 46)، غير ان ما يجب التوقف عنده ان هكذا فن سيتراوح تأرجحا بين القبول والرفض، ومن بينهما التشكيك، بحسب الطابع المجتمعي الذي يعرض فيه ومستوى الصدمة التي يحققها. ومادامت المجتمعات متفاوته ثقافيا وفي طابع قناعاتها وسلوكياتها، ستكون هنالك مراكز ترحيب واخرى معاكسة، حتى في اوساط مثل اوروبا والولايات المتحدة، ناهيك عن غيرها من مجتمعات ذات الانغلاق العقائدي ((يستمد اي عمل من اعمال الفن الوراثي المعاني من السياق الاجتماعي، بما في ذلك تاريخ الفن)) (موقع انترنت / 46). وما بين قبول ورفض، وحاجة تغريب جمالي ملازمة لمسار الفن التشكيلي وغيره من الفنون، فضلا عن التنامي المتسارع لقدرات وطروحات الهندسة الوراثية، من المرجح بحسب تصور الباحث ان ينمو ويتسع هذا الفن، قبولاً ورفضاً، وانجازاً ومخالفاً.

مؤشرات الاطار النظري

1. يتطلب انساب اي انجاز الى حقل الهندسة الوراثية وجود كائن يملك حياة او تولد عنها في صميم التجربة المنجزة.
2. يجب وجود تلاعب عمدي واضح او مؤشر في المورثات للكائن محل التجريب والاختبار.
3. وجود تحول خلوي في الكائنات المهندسة وراثيا بحيث تكون قد ظهرت بحلة جديدة على المستوى السطحي او العميق.
4. وجود قطع واضح في السلسلة الوراثية المؤشرة سابقا لنفس جنس مادة الانجاز الفني.
5. التأكيد على فرادة الكائن او الخلية المستحدثة بحيث تكون غير منازرة لمثيلاتها غير المعدلة.
6. تأكيد وجود المنهج المرسوم مسبقا بحيث يكون قابل للإعادة والتكرار على الكائنات ذات الخلايا المناظرة. بمعنى السيطرة على مسار العمليات طوال مسارها الزمني.
7. التحقق من مستوى ونوع الطفرة الحادثة بفعل التلاعب بالمورثات الموثقة للكائن محل الاشتغال.
8. لأجل اعتبار الانجاز فنا، لابد من وجود قصد جمالي واضح في منجز الهندسة الوراثية.
9. وجود بيئة عرض فني وفق مواصفات مناسبة للمادة (الفنية)، تعطيها اطلاق لفظه عمل فني.
10. البحث عن المقاربات الممكنة للفن التقليدي لإكسابها هويتها كعمل فني جمالي واضح.

11. قراءة الزمن المستغرق (افتراضيا) من بداية العملية وحتى تمامها، كونه يضيف أثارة جمالية للمادة المعروضة.
12. البحث عن الرسالة والبعد الاخلاقي المحمول على تقنية وموضوع الكائن المعدل جينيا والمعروض فنيا.

الفصل الثالث: إجراءات البحث

مجتمع البحث

يشتمل مجتمع البحث على الاعمال المنفذة وفق تقنيات الهندسة الوراثية على الاحياء. بالحد الزمني الذي سبق تحيده. وبذلك سيكون حاويا على العديد من من هذه التجارب الجمالية. وقد إطلع الباحث على مصوراتها الثابتة والمتحركة المنتشرة في مواقع الشبكة العنكبوتية. اما عينة البحث فقد إختار الباحث عينة بحثه قصديا وبواقع (4) اعمال، وبما يتلائم مع طبيعة موضوع البحث. وقد تم اختيار العينة على ضوء المبررات التالية: لغرض احراز التنوع بينها. وأن تؤشر كل مجموعة إستخداما أداتيا مغايرا عن الأخرى. و تمثل العينة، إنموذجا دالا لفئتها. حتى تعطي نتائج قابلة للتعميم من بعد ذلك. في حين ان اداة التحليل تحققت من خلال اعتماد الباحث ما اسفر عنه الاطار النظري من مؤشرات، من خلال تحديدها كمعيار للتحليل في المنظومة التالية : 1- كشف الاصل الحي 2- البحث عن التحول الخلوي 3- كشف فريدة الكائن المعروض 4- تحديد مستوى الطفرة الوراثية 5- كشف طبيعة العرض الفني 6- عقد المقاربة والمقارنة مع الفن التقليدي 7- تقدير الزمن المستغرق للعمل الناجز 8- قراءة الرسالة الاخلاقية والجمالية للعمل الفني. اما في المنهج المستخدم فقد اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في تحليل العينة المختارة .

انموذج رقم 1/ الفنان: ادوارد كاك/ العمل: اليوم الثامن

عمل تؤلفه حزمة كائنات حية جُمعت لأرسال خطاب جمالي موحد، وعماد ذلك التوحد استثمار جينات من (قنديل البحر)، جعلت الكائنات محل العرض متجانسة لونها ولتبدو كأنها قادمة من كوكب آخر. عزز ذلك العزل المتحقق لتلك البيئة من خلال حاضن زجاجي نهايته على شكل قبة وينظر له المتلقون من الاعلى. وبناءً على هذا التوحيد المظهري بدى فعل الهندسة الوراثية عليها جامعا. وما يميز

هذا العمل ان النتائج تحوز على حياة وحركة يشعر بهما المتلقي ويدرك تعاضم دور الهندسة الوراثية وقدراتها على التغيير، مما بوجود اثر واضح بالعين فضلا عن المجهري، للتلاعب بالخلايا التي تألفت منها تلك الكائنات، فما حدث من نتائج يقود بوضوح الى تأثير التجربة والاضافة المتحققة من كائن مائي على ثلاث حيوات (حيوانية نباتية، حيوانية برية، حيوانية مائية) واحلال ذات السمة المظهرية لها جميعا، مع بقاء اصلها واضحا. فكانت من ذلك ذات مباشرة للهوية والاصل من السلالة، وكذلك واضحة التفرد عنها بفعل الانحراف الجيني المتحقق، فكان لكل من هذه الكائنات خصوصية جينية شكلت نقطة الافتراق عن النظائر المجاورة والمتقدمة زمنيا. كما ان مستوى الطفرة الوراثية قد تبينت نتائجه بصورة جلية حتى لغير ذوي الاختصاص، فما تحقق من نتائج لا يأتي الا بعد وجود تطفير لعمل الخلايا وحرفها عن مساراتها المعتادة، سيما ان لكل كائن نمو ومسار وراثي محدد، عدل عليه القائمون بالتجربة. ورغم اختلاف المسارات ونتيجة تشابه النتائج، اتضح ان درجة التأثير والطفرة الناجزة في الخلايا جاء متماهيا بين الكائنات المختلفة، الامر الذي يعزز فعل التجربة الفنية التي قام بها الفنان ليؤكد توحيد المظهر مع بقاء اختلاف المحتوى الخلوي لكل منها. عزز ذلك التغريب في الاظهار من وجود بنية عرض غرائبية ايضا. فكانت منها الكائنات الحية وكأنما معزولة بما يشبه حاضنات عزل (الاطفال الخدج)، وازدادة الاضاءة الزرقاء التي ابرزت خاصية التوهج في الكائنات، فبات العرض ذو لونين وفضاء زجاجي مشاهد من الاعلى، ليشكل اضافة جمالية لأساليب وطرائق العروض الفنية. فالتأكيد على العزل عزز خصوصية (الاحياء) المعروضة كهدف في مثلما اكد قدرات الهندسة الوراثية. ومن ذلك ايضا لم يكن لهذا العمل الفني مرجعيات تشكيلية ممكنة الاستدلال بوضوح، ما خلا تجارب رسم ونحت الكائنات المتخيلة والعوامل الغريبة (شكل أ)، التي تأخذ اشكال واللوان بعيدة عن الاصل المتعارف عليه، لكن الفن التقليدي وبسبب حريته تقدم اثاريا من خلال التلاعب في الشكل واللون، عكس التجربة المتحققة في هذا النموذج والتي عجز فيها الفنان عن تغيير شكل وملامح الاحياء، والاكتفاء بتغيير خصوصيتها اللونية. ولكون التلاعب بالموثبات وتعديل وظائفها وحرف مسار نمو الخلايا يحتاج الى زمن وجملة تجارب، حتى وان كان الاثر القار مبسط المستوى، فأن للزمن هنا حضور جلي على مسار التجارب وصولا الى تمامها وعرضها على الجمهور، اذ ان ما شهدناه في هذا العمل استلزم وجود مسار زمني تفرض سلطته حياة الخلايا وتحدد مسارها. وفي الرسالة الاخلاقية والجمالية، قدمت هذه التجربة الفنية عدة قراءات للمتلقين، يترجمونها وفق ثقافتهم ومرجعياتهم. وبسبب وجود بيئة حية مصغرة ومعزولة، من الممكن ادراك ان فعل

التغيير هذا قد يطال البشر يوما ما، نتيجة استحكام التجربة على عدة كائنات من بيئات مختلفة، فضلا عن مدلول اللون الاخضر في البيئة الخضراء عالميا، من ضرورة توفر بيئة حياة صحية لكل الكائنات، كما ان التوحيد اللوني قاد نحو مفهوم اصل الحياة والبدائية لكل المخلوقات وفرصة ان تُعدل وتُجانس في مستوى واحد من الاظهار. فالجمال تحقق من وجود عالم مصغر ومعزول يقود الى تأويلات مختلفة لدى من يشاهدونه. وفي نهاية قراءة هذا النموذج الفني، تتقدم قوة الهندسة الوراثية بوضوح، وتحقق خطاب مفاده امكانية تعديل الحياة كما نريد وفي اي من الكائنات، والامر من ذلك ناجح بمقدار الاتاحات العلمية المرحلية.

انموذج رقم 2/ الفنان: مامي هيرانو: العمل: انعاش وحيد القرن

يمثل هذا العمل توليفة من مجموعة اعضاء لمجموعة حيوانات (اعضاء داخلية وخارجية) متصلة بما يشبه المستشعرات ونواقل المواد الحيوية عبر وساطة اجهزة موضوعة على مائدة مجاورة لمائدة الكائن المركب، حيث تدخل جسمه من شق جراحي في منطقة البطن. ومن ذلك يكون الاصل الحي المسبب لهذه النتائج متنوع التفرعات، اذ لا يمكن ربطه بسلسلة وراثية لكائن بذاته، ما خلا المقاربة الشكلية للحصان وذلك بسبب المظهر والموروث الحضاري عن (الحصان ذو القرن) (شكل أ)، فبات العمل ساكنا بلا حياة سوى الافتراض المتحقق بأنه سيكسبها بعد تمام الاجراء (الجيني- الجراحي). وهنا يكون للهندسة الوراثية دور مفترض وليس قارا علميا. اذ ان الاثارة تكون تحليلية لما يمكن ان يحدث فيما لو تحقق ذلك فعلا، وليس بما هو متحقق. ولذلك فقد هذا العمل خاصية التحول الخلوي والتعديل الوراثي، بسبب استحالة تحصيل هكذا نتيجة في الوقت الحاضر. وبات الافتراض هو المحرك لمسار الخلايا التي تدلل على التحام بين عدة مشارب حية وتوحيدها في انتاج نظام حياة خاصة لكائن مستحدث. ويكتسب هذا العمل فرادته من جزئين، الاول هو فكرة التجميع من الاحياء فعليا لإنتاج كائن مركب، هذا الكائن له اصل اسطوري متخيل ومترجم فنيا في جملة تجارب، والذي مثل الجزء الآخر لتفرد الانتاج الفني. لذلك فأن المتلقي سيقراً رسالتين، الاولى المباشرة في وجود خلوي لكائن غير موجود، والثاني عن استعادة لمفهوم الفرانكنشتاينية الذي شغل حيزا من تطلعات الفنانين وعلماء الهندسة الوراثية، فالأحياء المختلفة ستملك يوما ما خاصية المشاركة لتقدم صورة حية جديدة لا سابق لها بين الكائنات المعروفة. ولذلك ايضا تأكد مفهوم الطفرة الوراثية الافتراضية، فهي وان لم تتحقق واقعا، فأنها تحققت تحيلا بشكل غير وارد علميا وفق الاتاحات والظروف ونتائج العلم المثبتة، لكنها جنحت نحو اعلى درجات التخيل، اذ ان التجميع والمعالجة الآلية

بالذكاء الاصطناعي والذي يرسل صورة بعث الحياة في مخلوق لا وجود له، سيرتبط حتما بقدرات الخلايا وما تملكه من وظائف غير معلنة او خاملة لعدم الحاجة لها. ومن يعرف شيئا عن علم الهندسة الوراثية ستتضاعف لديه اثارة هذا العمل، باعتبار ان خلايا الجسم الحي مقدرة على فعل ما هو غير متوقع. وقد تم تقديم هذا العمل الفني بطريقة مقارنة لجملة تجارب سابقة بعضها ليس فنيا، لكن لضرورة الرسالة تم ربطه مع اساليب التطبيق والجراحات على اجسام الاحياء، سيما بوجود الآت محفزة محفزة تقدم معونة مهمة في التشافي. والباحث يذكر هنا تجارب فنية لها تقارب بدرجة ما مع هذا العمل، مثل رواية (فرانكشتاين)، وعمل (مونوغرام) (شكل ب) للفنان الامريكي روبرت روشنيرغ، وكذلك رسوم ومنحوتات الحصان الاسطوري ذو القرن الواحد في جبهته (شكل ج). هذه الاعمال التي قدمت مفاهيم متعددة تلامس المنجز الفني محل التحليل. ولكون هذا العمل يستند الى اداء تخيلي من نتاجات العقل، وتجميع لأجزاء متوفرة دون حياة، فان زمن الانجاز سيكون مختصرا، سيما بعد اكتمال المفردات التخيلية ووضع آلية تنفيذها. فلا وجود لتجارب ونتائج بعدية. والعمل قابل للنسخ والتكرار كونه يستند الى فكرة جمالية وليس الى علم الوراثة بصيغة تعالق علمي محسوس. اما الرسالة الاخلاقية والجمالية فلها عدد من القراءات، اولها هو فكرة تحقق الاساطير واقعا وما يحمله ذلك من ارتباط بإراث الشعوب وثقافتها. وثاني رسالة متحققة تعود لأهمية (الحياة) كمفردة وجودية لها اشتغالاتها وتأثيرها على مسار المجتمعات والافراد. وثالثها كان لدور الهندسة الوراثية العلاجي، وتأثيرها الايجابي في تحقق الاحلام التي تراود الانسان دوما بما يمكن ان يملكه جينيا سواء له او للحيوات الاخرى المتألف معها واقعا او تمنيا حلميا. نتيجة لذلك يصل الباحث الى ان هذا النموذج كان مبسطا من حيث اختراق علم الوراثة بسبب الايحاء لها دون استثمارها فعلا. لكنه تأكيد على اهميتها التي تسير تعاظما نحو المستقبل.

انموذج رقم 3/ الفنانة: هيدر ديوي هاجبورغ/ العمل: الوجوه المتعددة

العمل الفني عبارة عن مجموعة وجوه تم (تصنيعها) بتقنية الطباعة ثلاثية الابعاد وفق خوارزمية محددة اعتمادا على قدرات الحاسبة والعقل الالكتروني، ووفق الذكاء الاصطناعي تم استنساخ مظهر الوجوه المؤلفة من خلايا حقيقية كنواة لتكوين صورة تلك الوجوه المستمدة من الاصل البشري الحي. وقد غُلقت النتائج بطريقة شاقولية على مستوى سطح الارض لتشكيل كتلة فضائية في مساحة صالة العرض. لتتنصب جميعها في منتصف القاعة، مع بقاء محور حركي محيط بها يسمح بتنقل المشاهدين من حولها. مع اضافة مجموعة صور لذات الشخصية (الاصل) لزيادة تأكيد الهوية الفردية وتحقيق درجة المقارنة بين المرجع

والوجوه المعلقة. ولم يكن ثمة انتقال حياة بين اصل مثبت ونسخة تحوز على حياة وانحراف جيني، بل تم تكرار ذات الشيء وان تحقق ظاهريا فحسب، الا ان وجود الخلايا كمادة فنية يعزز الشعور بقرب المعروض الفني من الاصل الحي، اذ اعتمدت الفنانة شعر وجلد الانموذج الاصلي لتوليد خلايا جديدة عبر وساطة الهندسة الوراثية. فما حدث يشكل امتداد واستكمال للكائن البشري محل الاختبار وانشاء تكرارات خلوية له دون امتلاك حياة فعلية. وهنا سقطت فرادة المادة الفنية كون القصد منها مطابقة الاصل، وخلوها من الحياة، وامكانية تقديم نسخ لا نهائية لها بنفس التقنية، وما تبقى من اثاره كانت قادمة نتيجة قدرات الهندسة الوراثية، هذه القدرات التي تم التأكيد عليها من قبل الفنانة حتى يشعر المشاهد بأنه امام تجربة جمالية جديدة وغير مسبوقة. فسعي الاعادة الغي مفهوم الطفرة الوراثية المسؤولة عن انتاج احياء جديدة لا تشابه اصلها او ما كانت عليه قبل التداخل الوراثي. وبذلك توضح قصد الفنانة التي ارادت تأكيد جمالية التكرار واعادة النسخ للإنسان. وهنا قدمت الفنانة وسائل عرض مما انتشر في نتاجات ومعارض ما بعد الحداثة، اذ ان التنصيب في الفضاء اصبح من متآلفات التشكيل المعاصر، وهنا حاز العمل على مقارنة واضحة مع طابع سينوغرافي متداول. فضلا عن كون الوجوه وبهذا الانشاء تملك اصلا مرجعيا منذ الاقنعة الرومانية مروراً بالتنفيذ النحتي للبورترتيت البشري (شكل د)، لذلك يمكن للباحث القول ان هذه التجربة وقفت وسطا بين طرائق ومواد عرض لها امتداد زمني سابق، وبين تقنيات وراثية لم تكن مسبوقة، وذلك ما اضعف سمة التغريب والصدمة من التحقق بأعلى مما هو متاح في هذا العمل. ومن حيث الزمن، فأن اعتماد نسخ جديدة أنشأت على اتاحات الذكاء الاصطناعي، من دون مراحل اختبارية واضحة، ومن دون تغيير الكائن الحي او تنسيهه بأجيال مختلفة عن اصلها، جعل زمن الانجاز مختصرا، فضلا عن امكانية تكراره بسرعة نسبية، لذلك يكون هذا العمل ذو طابع (آلي) أكثر مما هو قادم عن اختبارات وتجارب على محور امتداد الزمن، وقد حققت رسالة اخلاقية من خلال صورتنا القابلة للإعادة، اسوة بالكاميرات، الا ان عتاد التصوير كان مختلفا، من حيث التجسيم والمادة ذات الاصل الحي. فهنا يرجح ان تزداد المشاعر عند لقاء الشخص بالعمل الفني، ناهيك عن امكانية تحقيق صورة لذات المشاهد. فالبقاء والالفة ستكون من المستحضرات في التجربة الجمالية بشكل أكثر فاعلية وتأثير. من ذلك يتضح للباحث ان هذا العمل يمثل حالة مبكرة في انشاء الخلايا واستنساخ (البشر) وان مررت عبر طريق تأكيد ايقونية الصورة عن اصل مشخص، الا انها كذلك قدمت وجهها مهما ومثيرا لنتائج الهندسة الوراثية.

انموذج رقم 4/ الفنان: ستيفان روتنبرغ/ العمل: الشهوة في الماكينة

تشكل هذا العمل الفني من كائن المحار الحي والمعدل وراثيا والمرتبطة بأجهزة وانايب نقل الحياة، في مجموعة تؤسس مزرعة من المحار القادر على تصفية المياه وجعلها ممكنة الاستهلاك البشري، وهي تحمل قدرات اثاره جنسية لمن يشربها، لكون المحار من الكائنات الخنثى ذاتية الاخصاب، ولهذا يتم تداوله كمؤثر جنسي في عدة دول وثقافات حول العالم. من حيث الاصل الحي فقد بقي كما هو ظاهرا، ما خلا التلاعب الوراثي لأنشاء وظائف مستحدثة، وظائف ارادها القائمون على العمل لغايات محددة، ولذلك لم يختلف ظاهر الكائن الحي (المحار) عن تتابع السلسلة السابقة ظاهريا، اما من حيث عمل الخلايا فقد تحقق الاختلاف عن الاصل الحي جزئيا، باعتبار تعظيم وظائف محددة من خلال تحفيز الجينات المسؤولة عنها. وهذا ما يعزز فرادة الناتج، من خلال وضوح لعبة الجينات المسببة للمسار الجديد، فحدث ان تفردت هذه المجموعة من المحار عن ما سبقها وعاصرها وما سيتبعها من مناظرات غير معدلة وراثيا. فهذه الكائنات التي تنقي المياه امتلكت فرادة حيوية ومشابهة شكلية. فكان تميزها قادما من المكان، اذ لو تركت دون عزل لما تبين مقدار اختلافها بحكم اندماجها الشكلي مع باقي كائنات الصنف نفسه. وحتمًا فإن الطفرة الوراثية للمختصين تبين قبل النتائج، لكنها ستتضح للآخرين بعد انجاز الوظيفة المناطة بها. وقد قُدمت هذه التجربة الجمالية من خلال بيئة علمية، فالمياه المعزولة تغمر المحار، والوسائط التقنية مرافقة لها كذلك. فتولد عن هذا التجمع بيئة عرض غير مسبقة، نتيجة المستلزمات الخصوصية لإنجاح هذه التجربة، والمتلقي شاهد المحار كجزء او عنصر في بنية كلية ولا تجزئ لها، بحيث ان اصحاب التخصص العلمي شاهدوا تجربة جينية، والمشاهد من غير الاختصاص شاهد ناتج نهائي قدمته هذه التجربة. لذلك فالطفرة الوراثية ملتزمة بالنتائج وبدونها لن يكون من اهمية للدفع المقدم من الخلايا. سيما ان جمالية العمل الفني الحيوي محكوم بوظائف فضلا عن الأشكال. وقد كان هذا العمل ومن حيث طابع العرض الفني، مستندا على التغريب المتحقق من الهيئة العلمية لكل المفردات، سيما بوجود سائل يحوي الكتل وشكل عنصر اساسي في التجربة ككل. فالإثارة الجمالية التي ولدت من السايبورغ الناجز، شكلت النصف الآخر من قيمة الموضوع، والمتلقي سيكون مشاركا بعد شربه للسائل المصفى بواسطة المحار لتكتمل بذلك الصورة التعبيرية لكل المحتوى. وفي ذلك لن يكون للمقاربات الفنية السالفة من وضوح يذكر، اذ لم تقدم تجارب بذات المسار في العرض او حتى في المضمون. ويتبقى طابع التجريب الوراثي كلاعب اظهار وحيد، عندما يتقابل المتلقي مع مادة علمية منسقة جماليا ولها هدف محدد. وسيكون حضور الزمن على جزئين، الاول

قدم من خلال التعديل الوراثي على الجينات وتحويل مسار وظائف الخلايا، فأن ذلك يستلزم زمنا مؤكدا حتى يتحقق. والثاني قادم من زمن الوظيفة التي يضطلع بها المحار، حيث ان تحويل مياه البحر الى مادة قابلة للشرب تحتاج الى جملة فعاليات عضوية داخل الكائن الحي. وهنا سيتعاضد الزمان (الاستباقي واللاحق) لأجل رسم صورة زمنية موحدة لهذا العمل الجمالي. اما في موضوع الرسالة الاخلاقية والجمالية، فتتلخص في ضرورة عدم إفناء الحيوانات لأجل تحقيق رغباتنا كبشر، اذ من الممكن الحصول على نتائج ماهرة لما نريد دون اهدار تلك الكائنات، والامر يتحقق تحت هيمنة الهندسة الوراثية للأحياء. وذلك ما يعزز من جمالية الكائنات الخادمة، وكذلك جمالية التجربة المعروضة للتحليل في هذا النموذج. ونتيجة ختامية يرى الباحث ان هذه التجربة الجمالية لم تملك وضوح الطابع الفني، لكنها امتلكت ناتج نهائي ذو رسالة جمالية، بمخالفة للتجارب السابقة موضع التحليل ولتعزز من تمدد علم الوراثة في انجاز اظهارات فنية بصيغ ومضامين متنوعة، وبما يجعله اكثر اغراء واثارة لأشتغالات تغريبية في المستقبل.

الفصل الرابع: النتائج والاستنتاجات

نتائج البحث

- وجود الحياة دليلا للأصل المباشر الحي المباشر كما في النماذج (1، 4)، لكنه فقد هذه الخاصية في عمليات التركيب الخلوي وتنفي خاصية الحياة والأصل الحي المباشر كما في الأنموذج (2). والأنموذج (3) قدم أصل حي لكنه لم يكن كافيا لإنتاج كائن يملك حياة، لصعوبة ذلك تقنيا أولا وللحاجز الاخلاقي ثانيا.
- كان السائد في موضوعة التحول الخلوي في نماذج العينة هو تعزيز وظائف الخلايا في مسارها المتألف كما في النماذج (3، 4) في حين ان الأنموذج (1) قدم تحولا في بعض وظائف الخلايا من خلال من خلال قدرة توليد توهج لوني غير معروف عنها. اما الأنموذج (2) فقد كان شكلا جماليا عاطلا عن وظائف خلوية مدركة. ما خلا الافتراض الجمالي لها.
- لم تملك النماذج الفنية (1، 3، 4) فريدة إحيائية، كونها مستنسخة عن أصل مباشر دون تغييرات كبرى، وبقيت تصنف لذات السلسلة، وتم ادراك ذلك حتى لغير ذوي الاختصاص. اما الأنموذج (2) فكان ذو تفرد واضح وغير مسبوق بأصل خلوي لذات الصنف، كونه مجمع من عدة اجزاء.
- الطفرة الوراثية كانت موجودة وواضحة في النماذج (1، 4) نتيجة اكتسابها خواص مستحدثة. لكنها غير موجودة في الأنموذج (3) لاعتماده على ميزة الاستنساخ ومطابقة اصله الحي. اما الأنموذج

(2) فحاز على الطفرة الاعلى والذي شكل مغايرة حادة في مفاهيم علم الوراثة، رغم افتقاره للحياة الفعلية.

• تراوح العرض الفني بين بيئة فنية دون تعالقات مثلها الانموذج (3)، في حين تم تعزيز العروض الفنية بإضافات لها طابع علمي في النماذج (1، 2، 4) لتأكيد دور وحضور الهندسة الوراثية كلاعب أساسي في الفن الجيني.

• قدمت النماذج (1، 2، 3) مقارنة لأصل فني سابق لها، ممكن اعتباره مرجعا جماليا، في حين ان الانموذج (4) لم يملك تلك الخصيصة، وبقي ضمن الدائرة العلمية دون ارتباطات مع تجارب فنية سابقة، لكن العينة بالمحمل امتلكت بيئة عرض فنية واضحة وجمهور قرئها على انها تجارب جمالية.

• مثل الزمن حدا لاعبا بمستويات مختلفة في عينة البحث بين المطول نتيجة سلطة التجريب الوراثي كما في النماذج (1، 4) وبين المقتصد والسريع في التجارب المتبقية (النماذج 2، 3) والسبب في ذلك هو ضغط عامل الحياة، فتوفرها يستلزم اتاحة زمنية مطولة مقارنة بالتجارب الخالية من وجود الحياة فيها.

• قدمت كل النماذج (1، 2، 3، 4) رسائل اخلاقية محملة على عروض جمالية غير نفعية، محتواها العام هو تأكيد قيمة الحياة ومستوى الهدر المتحقق لها من قبل الانسان. وهذا ما جعل نماذج العينة رسائل مباشرة من قبل الفنانين اكسبها تسمية الاعمال الفنية.

• قدمت نماذج العينة استثمارا اقتصاديا للألوان، اذ ان الانموذج (1) اكد على الالوان الباردة (الازرق والاحضر)، والانموذج (2) كان باقتصاد لوني اعلى اعتمادا على الابيض (الحياضي) ومساحة مختصرة من الاحمر، اما الانموذج (3) فقد اعتمد على محددات لون البشرة والشعر الطبيعيان، والامر كذلك في انموذج (4) الذي استند على لون المحار الطبيعي. وذلك ما يعزز دور العلم في التجلي اثناء عرض المادة الفنية، اذ ان الفنانون اكدوا على الرسائل الجمالية القادمة من التعديل الوظيفي في الاحياء اكثر من التدخل اليدوي التقليدي في عمليات تلوين النتائج الفنية.

• دخل التصوير الثابت والمتحرك كمعاضد للتعريف بالتجربة وفق تقنية العدسات ذات الوضوح العالي، لنماذج العينة (1، 2، 3، 4) امتلكت تفاصيل تحتاج الى التقدم بعناية حتى يتأكد فيها دور الهندسة الوراثية وما يحدث للأحياء من تلاعب موجه ومدروس.

الاستنتاجات

- فكرة الهندسة الوراثية قائمة حالياً على التعديل الوراثي وحرف المسار الخلوي، دون القدرة على توليد حياة لا سابق لها أو انتاج كائن مختلف بوضوح عن اصله الحي.
- الهندسة الوراثية لاعب مستحدث في مسار الحياة وله سلطة اخذت تتنامى بسرعة نتيجة الاتاحات المتنوعة وفرصة تحقق احلام الفنانين، ومن المؤمل وفق ذلك ظهور تجارب اكثر غرابة وتفرد مستقبلا.
- تدريجيا تصاعد تواشج وقبول الاعمال المنتجة وفق الفن الجيني لدى المتلقين، وبما يعزز فرصة انتشارها مستقبلا تحت سلطة الرغبة والبحث عن اعمال فنية غير تقليدية، وبما يؤشر الى تصدع جدار الرفض والتشكيك الموجود منذ بزوغ علم الوراثة وهندسة الجينات.
- للهندسة الوراثية القدرة على توحيد الاحياء مظهرها من خلال التلاعب بجيناتهم واعطائهم لون موحد او متقارب مثلا، وبما يفتح مساحة اوسع للتخيل والانجاز الجمالي مستقبلا، بانتظار اضافة قدرات شاملة اكثر حفرا علميا في خصائص الاحياء.
- للهندسة الوراثية السطلة والاستطالة على انشاء سلالات واستبدالها محل سابقات لها، والمانع لغاية الآن هو الاعاقة الاخلاقية، والفن الجيني يقدم تجارب استباقية في هذا المسار، تمثل ما يشبه (جس النبض) عند الجمهور، مادام الفن غير مسائل بذات الشدة التي توجه للعلم.
- الفن الجيني يشكل قفزة نوعية في مسار تاريخ حركات الفنون، كونه اعتمد على ادوات لا سابق لها في حقل الفن، وعند رسم خط بياني لانحراف مدارس الفن سيكون الفن الجيني حالة خاصة لها فرادتها في الافكار والادوات وطرائق العرض.
- يحتاج الفن الجيني الى متلقي له معرفة (ولو مبسطة) بعلم الوراثة، حتى تتحقق الاستجابة الاعلى لما هو معروض، ومن ذلك يكون المتلقي مشاركا تفاعليا او مشاركا تأمليا لما هو مُقدم له من علوم مستثمرة جماليا.
- فنان النتاجات الجينية ذو خصوصية عن غيره من الفنانين، كونه يحتاج الى اطلاع وخبرة تخصصية في علوم الجينات، وبمقتضى ذلك سيحدد مسار تخيله وسيحدد كذلك مسار تجاربه وكيفية ومكان عرضها. وبما يُصعب من مهمة الفنان على الرغم من الفرصة المتاحة في المغامرة والتي يقدمها الفن الجيني له.

- صناعة الكائنات المركبة الاسطورية المتوارثة بات اقرب للحقيقة المحسوسة بحكم تجميع الاعضاء من الكائنات المتعددة، كمرحلة ملائمة للإتاحة الحالية في افق الفن الجيني. وبما يعزز شعور الرغبة في توليد هكذا متوارثات وجلبها الى (الحياة) كوجود فعلي وليس كوجود تخيلي.
- المشتغلون على الفني الجيني من فنانين وعلماء، ابقوا على الرابط الجمالي قائما حتى لا تنسلخ تجاربهم عن مسار الفن عموما. فالتفكير في كيفية العرض وبيئته كان من المؤشرات المهمة في تجارب العينة.
- قدرات الكائن الحي تمثل رافدا مهما لتخيلات وانجاز الفنانين، كونها مثلت مرجعا مباشرا وقادرا على الايحاء والارشاد بما يخدم التجارب الجمالية ويعطي تصورا جديدا عن تلك الكائنات.

مصادر البحث

1. احمد المياوي (جمهورية افلاطون) دمشق. دار الكتاب العربي. 2010
2. احمد مختار عمر (معجم اللغة العربية المعاصرة) المجلد الاول. القاهرة. عالم الكتب. ط1. 2008
3. آن فولك (واسرار لا تنتهي: التنوع والتصنيف) ترجمة حمزة الشبكة. القاهرة. الدار المصرية اللبنانية. ط1. 2011
4. اندريه لالاند (موسوعة لالاند الفلسفية) المجلد الاول. تعريب خليل احمد خليل. بيروت _ باريس. منشورات عويدات. ط2. 2001
5. بريان ج. فورد (الجينات: الصراع من اجل الحياة) ترجمة احمد فوزي عبد الحميد. القاهرة. المجلس الاعلى للثقافة. المشروع القومي للترجمة. 2001
6. بن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (لسان العرب) القاهرة. الدار المصرية للتأليف والترجمة. المؤسسة العامة للتأليف والأنباء والنشر . دت
7. جاسم عباس محسن (الآلهة في خطاب السلطة للملوك الاخمينيين) بحث منشور في مجلة سر من رأى. جامعة سامراء. مجلد 16. العدد 64. سنة 2020. 15.
8. جميل صليبا (المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية) ج1. دار الكتاب اللبناني. بيروت. 1982
9. جميل صليبا (المعجم الفلسفي) ج1، ج2. ط1. بيروت. دار الكتاب اللبناني. 1971
10. حمزة غالب البكري (الهندسة الوراثية) 1990
11. دانييل كيفلس وزميله (الشفرة الوراثية للانسان) ترجمة احمد مستجير. الكويت. عالم المعرفة. 1997

12. زولت هارسنياني وزميله (التنبؤ الوراثي) ترجمة مصطفى ابراهيم فهمي وزميله. الكويت. عالم المعرفة. 1988
13. ستيف جونز (لغة الجينات) ترجمة احمد رمو. مراجعة عبدالحق عبود. دمشق. دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر. 1999
14. سعد بن حسين القحطاني (علم الخلية والوراثة) الرياض. جامعة الملك سعود. 2012
15. شارل اوفراي (ما الجينات؟) ترجمة عبدالاله الادريسي، مراجعة فريدة الزاهي، ابو ظبي، هيئة ابو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، 2012
16. شيخة سالم العريض (الوراثة مالها وما عليها) درا الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع. ط1. 2003
17. صلاح فضل (نظرية البنائية في النقد الأدبي) بغداد. دار الشؤون الثقافية العامة. وزارة الثقافة والإعلام. 1987
18. طه باقر (ملحمة كلكامش) بغداد. دار الحرية للطباعة. سلسلة الكتب الحديثة (78). 1975
19. عبدالحسين فيصل (الوراثة العامة) عمان. الاردن. الاهلية للنشر والتوزيع. ط1. 1999
20. عبدالاله صادق (نظرات في علم الوراثة) بغداد، دار الحرية للطباعة، الموسوعة الصغيرة/ منشورات وزارة الثقافة والاعلام، 1979
21. عبدالله جعفر كوفلي (العمل الامني الناجح) عمان. دار الخليج. ط1. 2019
22. غازي تدمري وزميله (الحياة وعلم الوراثة) بيروت. اكاديميا انترناشيونال للنشر والطباعة. ط1. 1997
23. فاتن موفق فاضل الشاكر (الملوك المؤهلون في العراق القديم) مجلة التربية والعلوم. المجلد 20. العدد 4. 2013
24. فرانتس كافكا (الدودة الحائلة) ترجمة الدسوقي فهمي. القاهرة. افاق للترجمة. 1997
25. كليز لالوليت (الفراعنة في مملكة مصر: زمن الملوك الآلهة) ترجمة ماهر جويجاني. القاهرة. المركز القومي للترجمة. ط1. 2010
26. لويجي لوقا كافيلي (الجينات والشعوب واللغات) ترجمة احمد مستجير. القاهرة. المشروع القومي للترجمة. جمعية الرعاية المتكاملة. 2004
27. ماري شيلي (فرانكنشتاين) ترجمة فايق جرجيس حنا. القاهرة. كلمات عربية للترجمة والنشر. ط1. 2012
28. مجمع اللغة العربية (المعجم الوسيط) القاهرة. مكتبة الشروق الدولية. ط4. 2004
29. محمد الربيعي (الوراثة والانسان: اساسيات الوراثة البشرية) الكويت. عالم المعرفة. 1986

30. محمد بن أبي بكر الرازي (مختار الصحاح) دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. 1981.
31. محمد جبر الالفي (الوراثة والهندسة الوراثية والجينوم البشري الجيني من منظور اسلامي) الرياض. مجمع الفقه الاسلامي. 2012
32. محمد صالح المحب (حول هندسة الوراثة وعلم الاستنساخ) الدار العربية للعلوم. دت
33. منى فريد عبدالرحمن (تجارب على الجنين) القاهرة. المكتبة الاكاديمية. 1992
34. منير علي الجنزوري (الجينات وبيولوجيا الامراض الوراثية) القاهرة. دار المعارف. 2008
35. مها علي فهمي صدقي (اساسيات علم الوراثة: الصفات والامراض الوراثية) القاهرة. دار الفكر العربي. ط1. 2013
36. ناهدة البقصي (الهندسة الوراثية والاخلاق) الكويت. عالم المعرفة. 1993
37. هربرت ريد(معنى الفن) ترجمة سامي خشبة. ط2 . بغداد. دار الشؤون الثقافية العامة. 1986
38. جورج جيسرت (مقدمة في الفن الجيني)
- www.ekac.org/gessert_council.html
39. مارك ميدونيك (الفن الجيني) المجلد6. العدد6.
- <https://www.materialstoday.com/biomaterials/articles>
40. موقع المعاني الجامع
- www.almaany.com/ar/dict/ar-ar
41. (Genetic Art and the Aesthetics of Biology) Steve Tomasula
- <http://www.mitpressjournals.org>
42. ar.wikipedia.org/wiki
43. gyre-omotesando.com/artandgallery/bioart
44. johnmount.github.io/mzlabs/GeneticArt
45. stephanierothenberg.com/aphrodisiac-in-the-machine
46. www.ekac.org/el mundo2001.html
47. www.fridmangallery.com/a-becoming-resembla
48. www.materialstoday.com
49. www.wikiart.org/en/

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

ملحق الاشكال ونماذج العينة والاشكال الساندة



شكل رقم 3



شكل رقم 2



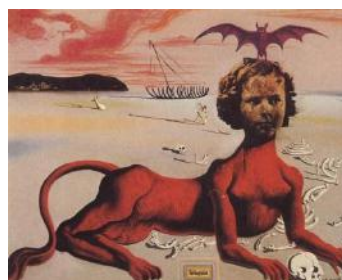
شكل رقم 1



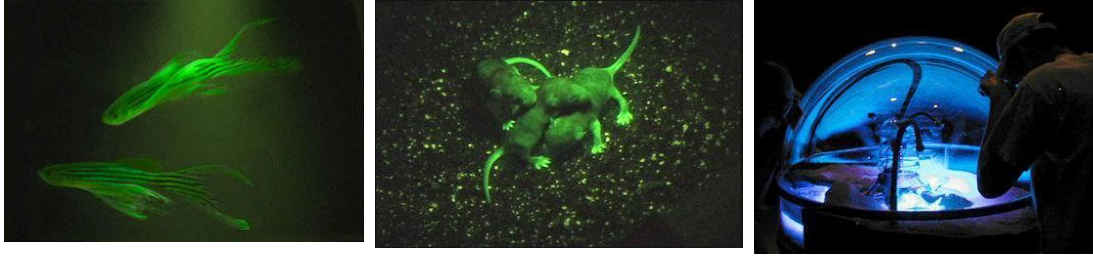
شكل رقم 6



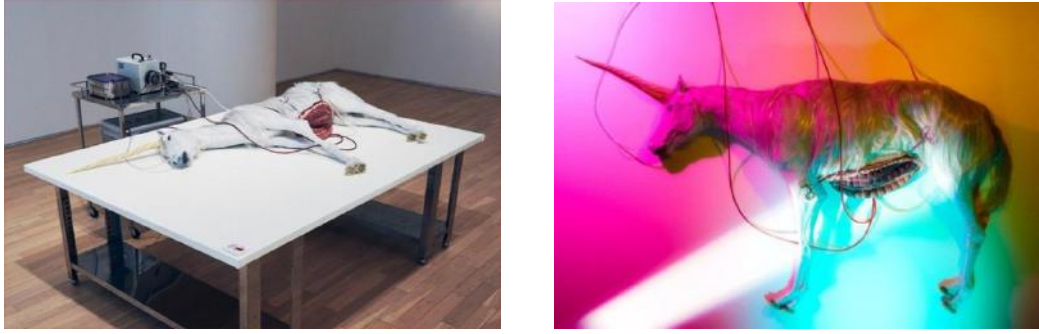
شكل رقم 5



شكل رقم 4



انموذج رقم 1 (تفصيل)



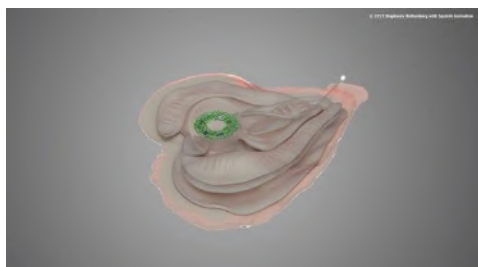
انموذج رقم 2 (تفصيل)



انموذج رقم 3 (تفصيل)

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128



انموذج رقم 4 (تفصيل)



شكل ب



شكل أ



شكل د



شكل ج

أزمة الهجرة غير النظامية في ليبيا: التوظيف السياسي لقضية المهاجرين غير الشرعيين من قبل

حكومة الوفاق الوطني

ريم البركي

مرشحة لنيل درجة الدكتوراه في الدراسات الدولية من جامعة بيروجيا للأجانب، إيطاليا.

Elbreki@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/06/04 م تاريخ التحكيم: 2021/06/10 م تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص بالعربية:

هذه الورقة العلمية، تستلّط الضّوء على التّوظيف السياسيّ، من قبل حكومة الوفاق الوطني برئاسة "فايز السّراج"، لأزمة المهاجرين غير التّظاميين ومحاولته بالتزامن مع انطلاق عمليّات الجيش الوطنيّ الليبي في العاصمة طرابلس، مطلع إبريل سنة 2019 الضّغط على الحكومة الإيطالية؛ لمحاولة إقناع قائد الجيش الليبي المشير خليفة حفتر، بالعدول عن قرار عمليات طرابلس.

كما ستتناول الورقة، ردّة الأفعال التي أحدثتها هذه التّصريحات، في الأوساط الإيطالية السياسية والأمنية، وستتطرّق إلى دور تجار البشر، المدرجين في قوائم العقوبات الدّولية من قبل مجلس الأمن، في المشاركة العسكرية ضمن صفوف قوات الوفاق الوطنيّ؛ لصدّ هجوم الجيش الوطنيّ الليبي، وإحباط عملياته العسكرية.

وفي السّياق ذاته، ستتناول هذه الورقة، قضيّة استعمال المهاجرين المقيمين في مراكز إيواء طرابلس خلال الحرب في العمليات العسكرية، وإجبارهم على حمل السّلاح، والقتال ضمن صفوف قوات الوفاق، مقابل إيوائهم في مراكز الإيواء في طرابلس، كذلك تستلّط الضّوء على استخدام مراكز الإيواء كمقار عسكرية.

الورقة ستتطرّق أيضاً بشكل غيرمفصّل، لأسباب تنامي ظاهرة الهجرة غير التّظاميّة من ليبيا إلى أوروبا، والأسباب التي تجعل إيطاليا أكثر الدّول الأوروبيّة تأثراً من تنامي الأزمة وما يترتب عليها، وما نتج من أسباب دفعها إلى إبرام اتّفاقيّات ثنائيّة مع الجانب الليبي، في معزل عن سياسات الاتحاد الأوروبي، ودراسة نقدية لهذا الاتّفاق.

الكلمات المفتاحيّة: الهجرة غير الشرعيّة، حكومة الوفاق الوطنيّ، الجيش الوطنيّ الليبي، مراكز الاحتجاز، مراكز الإيواء، ليبيا، إيطاليا.

**The Libyan Migrant Crisis: Political Exploitation by the Government
of National Accord.**

Reem Elbreki. Elbreki@gmail.com

**Ph.D. Candidate in International Studies, at University
For Foreigners of Perugia.**

Abstract:

This paper sheds light on the political exploitation of the crisis in irregular migration in Libya by the Government of National Accord, as well as its attempt, in conjunction with the 2019 launch of operations by the Libyan National Army in the capital Tripoli, to pressure the Italian government to persuade the Libyan army commander, Field Marshal Khalifa Haftar, into reversing the decision regarding the Tripoli operations.

The paper also addresses the responses to these moves from Italian political and security circles, seeking also to shed light on the role of human traffickers sanctioned by the United Nations for their military participation within the ranks of the Government of National Accord forces, in repelling the attack by the Libyan National Army and thwarting its military operations.

It also deals with the use of migrants held at Tripoli's reception / detention centres in military operations during the war, forcing them into combat within the ranks of the reconciliation forces in return for shelter at the detention centres, as well as highlighting the use as military headquarters of these centres.

Keywords: Illegal immigration, Government of National Accord, GNA, Libyan National Army, LNA, Libya, Italy, Detention centres.

مقدمة

شكّلت قضية الهجرة غير الشرعية، منذ بداية ثورات الربيع العربي، وما تلاه من انهيار للمنظومات الأمنية والسياسية، في العديد من الدول العربية ومن بينها ليبيا، تحولا مفصليا، في سياسات دول جنوب أوروبا تجاه العمل؛ للحدّ من تدفق المهاجرين من جهة، والتوظيف السياسي لهذه الأزمة في الحملات الانتخابية الداخلية من جهة أخرى.

أسباب تنامي ظاهرة الهجرة غير الشرعية من ليبيا: عوامل الطرد والجذب

تعود أسباب الهجرة غير الشرعية، لعدة أمور مختلفة فيما بينها متفقة في الهدف، حيث يضطرّ الإنسان إلى الهجرة لعدة عوامل: اقتصادية، سياسية أو ثقافية؛ لاتخاذ قرار البحث عن واقع معيشي أفضل من واقع بلد النشأة.

حيث يمكن للفقر والشعور بالضيق، أن يدفع الشخص إلى السعي وراء تلبية طموحه أو احتياجاته في مكان آخر، كذلك غالباً ما تُجبر الصراعات السياسية، والحروب المهاجرة على الانتقال، ويحدث هذا أيضاً في حالات الحروب العرقية والانغلاق الاجتماعي والتفاوتات بين الجنسين والاضطهاد الديني على سبيل المثال، وهي كلّها أسباب تقع ضمن نطاق الهجرة القسرية.¹

ففي وقت مبكر من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، رأى الباحثون أنّ المهاجرين يضطرون إلى الانتقال من بلد إلى آخر؛ لتحسين ظروفهم المعيشية والسعي إلى الحصول على مستوى معيشي أفضل، وضمان المساواة الاجتماعية²، لذلك وجدت الدراسات، أنّ الهجرات المعاصرة تحددها الظروف الحرجة في دول المنشأ، وهي الظروف التي تُعرف علمياً بما يسمى بـ (عوامل الطرد) ، وما يقابلها من عوامل جذب تقدّمها أوروبا للمهاجرين، وهي عوامل عكس عوامل الطرد تماماً وتمثّل في: العدالة الاجتماعية، والسلم المجتمعي، توفر فرص تعليم أفضل وتوفر لفرص العمل، علاوة على الحرية الاجتماعية وجودة الصحة والحياة اليومية بشكل عام، فكانت عوامل الجذب هذه نتيجة للثقافة "الحديثة" والعملة والإعلام الحديث الذي نشرها من خلال تقديم أوروبا بصورة جذابة لعيون المهاجرين.

ليبيا من بلد مقصد إلى بلد عبور

كانت ليبيا لعقود من الزمن، إحدى الدول التي يقصدها المهاجرين وبالأخص العرب لغرض العمل . بعد اكتشاف النفط . نظراً للاستقرار السياسي الذي عاشته ليبيا، فشهدت البلاد فترة ذهبية، وكانت مصدر جذب للمهاجرين.³

ومع طفرة النفط، أصبحت ليبيا تستقطب المهاجرين الذين جاءوا للعمل في جميع القطاعات، التي يوفرها هذا البلد الشاسع قليل السكان،⁴ حيث شكّل هؤلاء المهاجرين القوة البشرية التي احتاجتها الدولة

آنذاك، لاسيما في عهد القذافي (1969-2011)، حتى الثمانينيات لدعم قطاعات متعددة مثل التعليم والصحة.

ومع ارتفاع سعر النفط الذي بلغ 35 دولاراً للبرميل عام 79، سجلت الدولة الليبية عائدات يومية، تصل إلى 60 مليون دولار، بمعدل الإنتاج المبرمج، مع عدد سكان لم يتجاوز 2.5 مليون.⁵

وباعتبار موقع ليبيا الجغرافي المميز، في قلب القارة الإفريقية من جهة، وإطلالة ساحلها المنبسط بامتداد 1800 كيلومتر، على حوض البحر الأبيض المتوسط، وحدودها الجنوبية الصحراوية الكبيرة مع دول الساحل الإفريقية من جهة أخرى، وبسبب ما حدث من انخيار للمنظومة الأمنية في ليبيا، بعد الأحداث التي تلت سقوط نظام العقيد "معمر القذافي"، أصبحت ليبيا دولة عبور سهلة، يسلك المهاجرون غير الشرعيين صحراءها وصولاً إلى ساحلها، ومن ثم ركوب قوارب الموت المتهالكة لمحاولة الوصول إلى دول جنوب أوروبا.

الباحثة الفرنسية "جاسنت مازوتشيتي" في الجامعة الكاثوليكية لوفان، كتبت سنة 2016: "توفي ما يقرب من 5000 شخص في طريقهم للوصول إلى الأراضي الأوروبية منذ كانون الثاني (يناير) 2014، وحوالي 30.000 شخص على مدار عشرين عاماً".⁶

هذا الارتفاع الملحوظ في عدد الضحايا الذين قضوا غرقاً في البحر المتوسط - خلال عامين فقط - يعكس بما لا يدع مجالاً للشك، الأعداد الضخمة التي غادرت من شمال إفريقيا وليبيا بالخصوص؛ نتيجة للأسباب التي تلت ثورات الربيع العربي.

مذكرة التعاون الإيطالية الليبية لسنة 2017

هذه التطورات الجوهرية في القضية التي جاءت بعد انخيار المنظومة الأمنية في ليبيا عقب 2011، دفعت إيطاليا باعتبارها إحدى أكثر دول جنوب أوروبا تضرراً من تنامي ظاهرة الهجرة غير الشرعية؛ نظراً لقرب المسافة الجغرافية مع الشواطئ الغربية لليبيا أولاً، ولأن إيطاليا ضمن الدول الموقعة على "لائحة اتفاق دبلن" ثانياً فهي إذا ملزمة بضيافة المهاجرين الواصلين إلى أراضيها، وعدم السماح لهم بالسفر وطلب اللجوء من دول أوروبية أخرى وفقاً للائحة دبلن، وهذا دفعها لإبرام اتفاقيات ثنائية الجانب مع ليبيا المتمثلة في حكومة الوفاق الوطني؛ للحد من استمرار تدفق المهاجرين إلى أراضيها.

حيث قامت الحكومة الإيطالية برئاسة "باولو جينتيلوني" في 2 فبراير 2017 في روما، بتوقيع مذكرة تفاهم من ثمانية بنود مع حكومة الوفاق الوطني، التي وصلت للسلطة آنذاك حديثاً برئاسة "فايز السراج"، وتشكّل هذه البنود الثمانية ما يعرف بـ "مذكرة تفاهم للتعاون في مجال التنمية ومكافحة الهجرة غير الشرعية والاتجار بالبشر، والتّهرب وتعزيز أمن الحدود بين دولة ليبيا والجمهورية الإيطالية".⁷

وتعهّدت إيطاليا بناء على هذه المذكرة، بدعم ليبيا تقنياً ومالياً لإطلاق مبادرات تعاون مشترك بين الحكومتين؛ من أجل القضاء على ظاهرة تدفّقات الهجرة غير الشرعيّة من خلال دعم خفر السّواحل الليبي، ومن بين الإجراءات التعاونية التي تنصّ عليها مذكرة التفاهم، تم الإشارة إلى استكمال نظام مراقبة الحدود الجنوبيّة لليبيّا، وتكثيف وتجهيز مراكز الاستقبال، علاوة على تدريب كوادر ليبية، كما تعهّدت إيطاليا بتزويد مراكز الاستقبال بالأدوية والمعدات الطبية؛ لمكافحة الأمراض الخطيرة والمعدية للمهاجرين غير الشرعيين.

مذكرة تعاون، تسعى إيطاليا من خلالها في ضوء ما يُعرف في أوروبا بـ "أزمة الهجرة" لعام 2015، وبضغط من الرأي العام الإيطالي الأسرع في الحدّ من وصول الوافدين إلى السّواحل الإيطاليّة،⁸ كما يمكن النّظر إلى هذه المبادرة الإيطاليّة على أنّها محاولة لمنع المهاجرين من الوصول إلى شواطئها، من خلال تقديم مساعدة لحكومة الوفاق، التي تخضع بشكل رسمي إلى ابتزاز مستمرّ من قبل الميليشيات.

الانتقادات التي وجهت لمذكرة التفاهم في إيطاليا

الخبرة في الشأن الليبي، أستاذة التاريخ المعاصر والعلاقات الدولية في جامعة "ماشيراتا" الإيطالية، البروفيسورة "ميكايلا ميركوري" تقول في هذا الصدد: "أن فايز السراج، قدّم خلال القمة التي عُقدت في روما في 20 مارس / آذار 2017 والتي أعقبت توقيع المذكرة؛ طلب من إيطاليا "قائمة تسوق" طويلة لتوفيرها متكونة من: سفن البحث والإنقاذ البحري، الزوارق الدورية، ملابس الغوص، الأسطوانات، القوارب المطاطية، سيارات الإسعاف، سيارات الجيب، وهواتف الأقمار الصناعية ومركبات أخرى تبلغ قيمتها حوالي 800 مليون يورو. لا يسعنا إلا أن نتخيل السيناريوهات الرهيبة التي يمكن أن تحدث إذا انتهت كل هذه "الأشياء الجيدة" في أيدي الميليشيات".⁹ وتُضيف أنه "في وضع يكون فيه

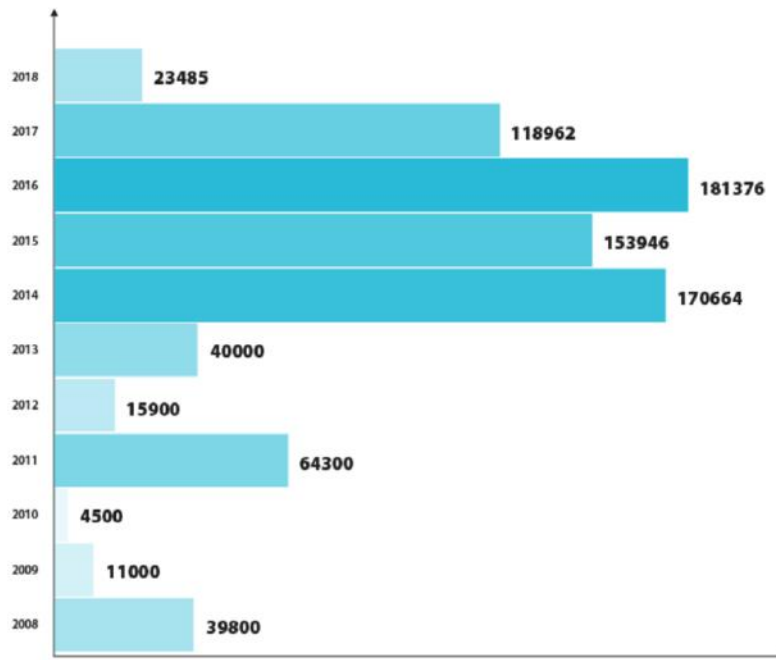
رئيس الوزراء رهينة بشكل واضح للمجموعات المسلحة المختلفة، من سيضمن وصول المساعدة المطلوبة من المجتمع الدولي إلى حكومة طرابلس وليس في أيدي مختلف الميليشيات أو المهرين؟¹ .
وبحسب رأي بعض المختصين، فإن مذكرة سنة 2017 ستضع على الورق سياسة متناقضة، تتفق بموجبها الدولة الإيطالية مع "طرف اللادولة" من خلال تقديم كل الدعم الفني واللوجستي والمالي؛ لاحتواء تدفق الهجرة غير الشرعية وإنشاء مراكز استقبال مؤقتة في ليبيا على نفقة إيطاليا، هذه الأماكن التي يرى المختصون أنه قد يتم فيها إساءة معاملة المهاجرين، حيث يبدو الأمر كما لو أن إيطاليا قد فوّضت خفر السواحل الليبي لاعتراض المهاجرين في عرض البحر وإرجاعهم إلى ليبيا.¹⁰
في الواقع هذا التخوف الإيطالي الواضح في الأوساط الأكاديمية، لم يمنع الحكومة الإيطالية من البدء الفعلي، في تنفيذ بنود مذكرة التعاون، وبذلك انخفضت بالفعل وبشكل واضح تدفقات وصول المهاجرين غير الشرعيين من السواحل الغربية الليبية إلى سواحل إيطاليا مع دخول المذكرة إلى حيز التنفيذ، حيث انخفض عدد المهاجرين غير الشرعيين الواصلين إلى شواطئ إيطاليا عبر ليبيا من 23.526 (ثلاثة وعشرين ألف و خمسمئة وستة وعشرين) مهاجرًا في يونيو 2017 إلى 11.461 (إحدى عشر ألفًا وأربعمئة وواحد وستين) مهاجرًا في يوليو 2017، وأغلقت الحدود أكثر فأكثر مع الزيادة اللاحقة في عدد المهاجرين، الذين بقوا في ليبيا ولكنهم غالبًا ما كانوا عرضة للعنف، دون احتساب عدد الوفيات في البحر، والتي بلغت مهاجرًا واحدًا من أصل 14 مهاجرًا في الأشهر الأولى من عام 2018.¹¹
وبناء على الرسم البياني التوضيحي² المرفق،¹² يمكن القول إنّ تأثير المذكرة كان له أيضًا نتيجة إيجابية، من حيث انخفاض عدد المهاجرين غير الشرعيين في جميع أنحاء أوروبا، في الواقع، وفقًا للبيانات التي أوردتها وكالة فرونتكس،³ في عام 2017 كان هناك 118.962 (مئة وثمانية عشر ألفًا، وتسعمئة

¹ ترجمة من المرجع المشار إليه في الهوامش، قامت بها صاحبة الورقة العلمية، الباحثة ريم البركي.

² الرسم البياني التوضيحي رقم: ١ | يوضح عدد المهاجرين غير الشرعيين العابرين للحدود البحرية بشكل غير قانوني عبر طريق وسط البحر الأبيض المتوسط ، بما في ذلك الطرق المؤدية إلى بوليا وكالابريا. للرجوع إلى المصدر يُمكنك الإطلاع على الرابط المدرج في الهوامش.

³ فرونتكس هي الوكالة الأوروبية لحرس الحدود والسواحل، تعرف اختصارًا باسم فرونتكس -

واثنين وستون) مهاجرًا غير شرعي عبروا طريق وسط البحر الأبيض المتوسط ، بينما انخفض العدد في عام 2018 إلى 23.485 (ثلاثة وعشرون ألفاً وأربعمئة وخمسة وثمانون) مهاجر، وهو أدنى مستوى مسجل مقارنة بالسنوات الخمس السابقة.



(FRONTEX) - وهي وكالة تابعة للاتحاد الأوروبي ومقرها في وارسو، عاصمة بولندا، الوكالة مكلفة بمراقبة الحدود في منطقة شنغن الأوروبية. بالتنسيق مع حرس الحدود وحرس السواحل في الدول الأعضاء في منطقة شنغن. تأسست فرونتكس في عام 2005 بوصفها الوكالة الأوروبية لإدارة التعاون التشغيلي على الحدود الخارجية، وهي المسؤولة في المقام الأول عن تنسيق جهود مراقبة الحدود.

الانتقادات التي وجهت لمذكرة التفاهم في ليبيا

في 17 ديسمبر 2015، تحت إشراف الأمم المتحدة، تم التوقيع على اتفاق سياسي ليبي، عرف باتفاق الصّخيرات، نصّ هذا الاتفاق على ولادة حكومة الوفاق الوطني بولاية مدتها سنة؛ لتحلّ محلّ حكومة الإنقاذ الوطني برئاسة "عمر الحاسي" والحكومة المؤقتة برئاسة "عبد الله الثني".

ونصّت المادة الأولى من بنود الاتفاق الليبي، على أهمية نيل الحكومة الثقة من البرلمان الليبي آخر سلطة تشريعية منتخبة في البلاد، والممثل الشرعي الوحيد للليبيين، حيث جاء في المادة 1.4: {مدة ولاية حكومة الوفاق الوطني عاما واحدا يبدأ من تاريخ نيلها ثقة مجلس النواب، وفي حال عدم الانتهاء من إصدار الدستور خلال ولايتها، يتم تحديد تلك الولاية تلقائياً لعام إضافي فقط...} ¹³ وهو الأمر الذي لم يحدث، ما يعني أنّ حكومة الوفاق الوطني، هي حكومة لم تحصل على الشرعية بنصّ اتفاق الصّخيرات الذي شكّلت بناءً عليه، و يعد هذا أول مأخذ ضدّ مذكرة التعاون الليبية الإيطالية، حيث أنّ الحكومة الإيطالية برئاسة "باولو جينتولوني"، وقّعت على مذكرة تفاهم مع حكومة الوفاق الوطني برئاسة "فايز السراج"، قبل أن يمنح البرلمان الليبي الثقة لهذه الحكومة، معتمدة في ذلك على الشرعية الدولية التي حضت بها حكومة الوفاق الوطني، وبالتّجاوز عن نصّ مادة صريحة في الاتفاق لا تقبل التّقوليل أو التّعديل.

وعلاوة على أنّ المذكرة تم إبرامها مع حكومة لا تخضع في الأساس للسلطة التشريعية، حيث أنّها لم تحظ بثقة البرلمان الشرعي المنتخب، كما ينصّ عقد اتفاق الصّخيرات، انتقادات المذكرة في ليبيا على وجه التّحديد؛ لأنّها وقعت مع حكومة تسيطر فقط على جزء من الأراضي الليبية وبالتالي لا تتمتع بالسيادة الإقليمية الكاملة في المقام الأوّل، ناهيك عن كونها اتّفاقية لا تراعي ظروف ليبيا الإنسانية، وما يتعرّض له المهاجرين غير الشرعيين في مراكز الاحتجاز في مدن الغرب الليبي عند صدهم في عرض البحر وإرجاعهم لمراكز إيواء أو مراكز احتجاز لا تحظى بالقدر الكافي والأساسي من الظروف الصحية والإنسانية الملائمة لفئة ضعيفة كفئة المهاجرين غير الشرعيين.

كما أنّ المذكرة الموقّعة مع حكومة الوفاق الوطني، لا يمكن تطبيقها على كامل الأراضي الليبية؛ لأنّ الحكومة في برقة، المعترف بها من قبل البرلمان الليبي تسيطر على جزء كبير من البلاد.

في ضوء ذلك، فإن اعتماد آلية واضحة تنصّ على إدارة الحدود البحرية والبرية ومراكز الاحتجاز، تبدو مهمة ليست بالسهلة في حين أن معظم الأراضي الليبية، لم تكن تحت سيطرة الطرف الليبي الموقع على المذكرة.¹⁴

كل هذه الأسباب، في الواقع، هي ما دفعت مجموعة من النشطاء الليبيين في المجال الإنساني وبعض الحقوقيين، من ضمنهم وزير العدل السابق "صلاح المرغني"، والحامية "عزة كامل المقهور" في الطعن في مذكرة التفاهم، حيث صدر الحكم الذي قبلت به محكمة استئناف طرابلس، بوقف المذكرة مؤقتاً في 22 مارس 2017، وبحسب المتقدمين، استندت أسباب الاستئناف إلى جوانب دستورية وقانونية، تتعلق بشرعية حكومة السراج، وعدم القدرة على تشكيل حكومتها، وانتهاك الإعلان الدستوري.¹⁵

علاوة على ذلك، فإنه وفي بلد في حالة حرب مثل ليبيا، لا يتم ضمان احترام حقوق الإنسان للمهاجرين ولا السيطرة على حدود الدولة، لذا فإنّ المذكرة، بالإضافة إلى عدم عيوبها من الناحية الدستورية، احترامها من وجهة نظر دستورية؛ لأنها لم تصدق عليها من قبل البرلمان الليبي، الذي لا يعترف بالحكومة التي وقّعت على الاتفاقية، وضعت ليبيا كوصي على حدود أوروبا، عندما كانت البلاد في حالة حرب وبالتالي غير قادرة على ضمان مثل هذه السيطرة خصوصاً أن الهجرة غير الشرعية في ليبيا جريمة يعاقب عليها القانون الليبي بنص قانون رقم 19 لسنة 2010.¹⁶

في 25 أغسطس 2017، أعيد تفعيل المذكرة بعد أن استأنف السراج ووزير الخارجية آنذاك "محمد سيالة" بدوره أمام محكمة طرابلس العليا، ضدّ الحكم الصادر عن محكمة استئناف طرابلس، حيث ألغت المحكمة العليا في طرابلس، الحكم الصادر عن محكمة الاستئناف على أساس أن المذكرة كانت "عملاً سيادياً" وبالتالي لا يمكن أن تخضع لاختصاص القضاء الإداري لمحكمة الاستئناف، حيث جاء في نصّ منطوق الحكم أنّ "المحكمة حكمت بقبول الطعن شكلاً، ونقض الحكم المطعون فيه وفي الدّعى الإدارية رقم 30 لسنة 2017 استئناف طرابلس بعدم اختصاص القضاء الإداري ولائياً بنظرها".⁴

⁴ حكم المحكمة العليا الصادر بتاريخ 26 يونيو 2019

التوظيف السياسي من قبل حكومة الوفاق الوطني لقضية المهاجرين غير النظاميين

يدرك في الواقع "فايز السراج"، الرجل الذي يُعرف في الأوساط الأكاديمية والسياسية الإيطالية بأنه "رئيس الوزراء الضعيف للحكومة التي لا تحكم" وفقاً لوصف أستاذة التاريخ المعاصر والعلاقات الدولية في جامعة "ماشيراتا" الإيطالية، البروفيسورة "ميكايلا ميركوري"¹⁷ أهمية وحساسية قضية المهاجرين غير الشرعيين بالنسبة للحكومة الإيطالية جيداً، لذلك وبالتزامن مع عمليات طرابلس ظهر في لقاء صحفي بتاريخ 15 إبريل 2019 في صحيفة "الكوريرا ديلا سيرا"¹⁸ واسعة الانتشار في الأوساط السياسية والشعبية الإيطالية، ومع أحد أهم الصحفيين المختصين في الشأن الليبي في إيطاليا ومبعوث الصحيفة إلى ليبيا "لورينزو كرمونوزا" يهدد الحكومة الإيطالية من مغبة هذه العمليات على أمن وسلم المتوسط وتدفع المهاجرين من الشواطئ الليبية نحو إيطاليا، السراج قال في اللقاء الصحفي: "بالنسبة لأوروبا، ستكون كارثة، سيتم إعادة فتح قضية المهاجرين الحساسة للغاية. هناك أكثر من 800 ألف شخص من المهاجرين الأفارقة والمواطنين الليبيين، والذين وصلوا مؤخراً إلى مراكز الاستقبال أو ببساطة الأشخاص المدعورين من الحرب، الذين يمكنهم محاولة الوصول إلى السواحل الإيطالية للهروب من هجوم قوات حفتر. إذا أصبحت ليبيا أكثر انعداماً للأمن، يجب أن تستعد أوروبا لتحمل العواقب مع موجات الوافدين من الأشخاص اليائسين. وتدرك شرطتك جيداً أنه قد تكون هناك عناصر إجرامية ضمن هذه الأفواج، بالإضافة إلى وحدات جهادية مستعدة للهجوم. يبدو أن داعش قد تعرضت للهزيمة في الوقت الحالي، لكن خلاياها النائمة لا تزال جاهزة، وتنمو وتتغذى في حالة من الفوضى. ناهيك عن أزمة قطاع الطاقة. مما لا شك فيه أن استمرار الحرب محكوم عليه بضرب آبار وحقول الغاز والنفط."⁵

لم يدخر السراج جهداً خلال هذه المقابلة بالتحديد، لتوظيف قضية الهجرة غير الشرعية وقضية المهاجرين لصالح حكومته، حيث انتهاز رئيس الوزراء فايز السراج الفرصة لشحذ الجهود الدولية ضد حفتر للضغط عليه، ملوحاً بإمكانية تسلل عناصر إرهابية ضمن أفواج المهاجرين غير الشرعيين.

⁵ جزء من اللقاء الصحفي تمت ترجمته من قبل مقدمة الورقة الباحثة ريم البركي، يُمكن الإطلاع على اللقاء كامل عبر الرابط المدرج في الهوامش.

كان من الطبيعي أن تستمع إيطاليا باهتمام خاص إلى الأحداث الليبية الجديدة وإلى نداء السراج، التي عبر عنها وزير الخارجية الإيطالي آنذاك "إنزو مافيرو ميلانيزي"، الذي قلل من أهمية تحذيرات السراج،⁶ معتبراً الرقم الذي ذكره الأخير مبالغاً فيه بشكل كبير.¹⁹

من ناحية أخرى، استغل نائب رئيس الوزراء الإيطالي ووزير الداخلية آنذاك "ماتيو سالفيني" الفرصة لتعزيز دعايته مستغلاً تصريحات السراج لصالح شعاره الانتخابي: "الأبواب المغلقة" موضحاً في تصريحات صحفية⁷ أنه: "من الواضح أن هناك إرهابيين محتملين، بل إرهابيين جاهزين على استعداد للمغادرة في اتجاه إيطاليا، لذا فإن أولئك الذين يطالبون بـ "فتح الموانئ" في الوقت الراهن يضررون إيطاليا وأوروبا".²⁰

من ناحية أخرى، تدخل رئيس الوزراء الإيطالي "جوزيبي كونتي" في النقاش العام بقصد الحفاظ بعض الموضوعية، حيث أعلن في 18 نيسان / أبريل في مجلس الشيوخ أنه: «لا توجد حتى الآن صورة واضحة لخطر وشيك على تدفقات الهجرة، باستثناء أن الأرقام التي تم تداولها لأغراض دعائية، هناك خطر تجدد الظاهرة الإرهابية، لذلك نبقى اهتمامنا عالياً من خلال أجهزة المخابرات».²¹

ما يعني أن رئيس الوزراء الإيطالي "جوزيبي كونتي" اعتبر كلام السراج دعاية بحتة، وتوظيف سياسي. "عبد الهادي الحويج" أيضاً وزير خارجية الحكومة الليبية المؤقتة، لوح بورقة الإرهابيين، مؤكداً أن الجيش الوطني الليبي وحده القادر أن يسيطر على الحدود البحرية، ففي لقاء صحفي مع نفس المراسل الذي أجرى حوار مع فايز السراج، "لورينزو كريمونيزي" مبعوث الكوريرا ديلا سيرا، أكد الحويج "إن ميليشيات (السراج) هي نفسها التي تحمي وتسهل تهريب المهاجرين إلى شواطئ إيطاليا، ومن بينهم متطرفون إسلاميون مستعدون لضربكم، والسراج ليس لديه سلطة للسيطرة عليهم، فقط جيشنا قادر على حراسة حدودنا وضرب المهربين".²²

⁶ لقاء في الراديو مع نائب وزير الخارجية الإيطالي إنزو مافيرو ميلانيزي، مترجم من قبل مقدمة البحث ريم البركي، يُمكن الإطلاع على اللقاء كامل عبر الرابط المدرج في الهوامش.

⁷ جزء من اللقاء الصحفي تمت ترجمته من قبل مقدمة الورقة الباحثة ريم البركي، يُمكن الإطلاع على اللقاء كامل عبر الرابط المدرج في الهوامش.

توظيف الوفاق للقضية رغم قتال مهربين البشر في صفوف قواتها

في الواقع، رواية أنّ الميليشيات التي تقاتل في صفوف حكومة الوفاق الوطني متورّطة في الاتجار وتهريب البشر، هي ليست رواية يروجها أنصار معسكر حفتر ضد أنصار معسكر الوفاق، بل أنها حقيقة بدأت في أخذ حيز كبير من النقاش في أوساط صناع القرار الأوروبيين بعد حرب إبريل 2019، في هذا الصدد، أكّد الفرنسي "فنست كوشنيل"، المبعوث الخاص للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين UNHCR لوسط البحر الأبيض المتوسط - في منصبه منذ 1 يونيو 2017-، أكّد وبعد ثلاثة أسابيع فقط من بدء حرب طرابلس في 25 أبريل 2019 في تغريدة عبر حسابه الرسمي على تويتر⁸ أنه "من اللافت للنظر أنه على الرغم من الحرب في طرابلس، إلا أنه لم تغادر قوارب مع المهاجرين واللاجئين، الميليشيات المعروفة بتورطها في الاتجار بالبشر منشغلة للغاية في القتال من أجل بقائها، من سمح لهم بالعمل من قبل في إفلات كامل من العقاب؟"²³

هذه الملاحظة من قبل "فنست كوشنيل" المبعوث الخاص للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين لوسط المتوسط، تستدعي تحليل عدد المهاجرين غير الشرعيين الواصلين إلى إيطاليا عبر ليبيا، والمقارنة بين هذه الأعداد خلال أشهر الذروة⁹ في عملية التهريب والهجرة سنة 2019 خلال حرب طرابلس ومقارنتها بنفس الأشهر لعام 2020 بعد انسحاب قوات الجيش الوطني الليبي من طرابلس، حتى يتسنى لنا فهم أوضح بالأرقام.²⁴

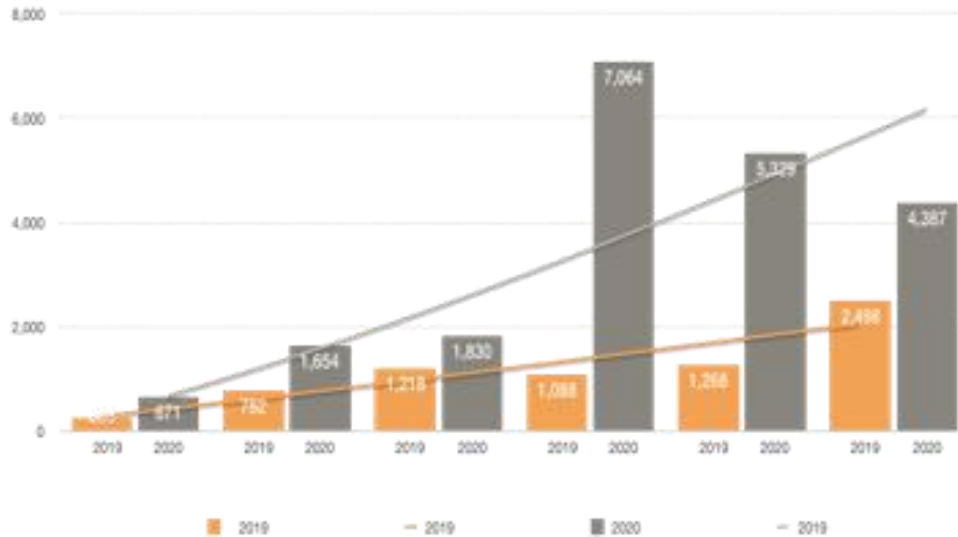
الشهر	2019	2020
ابريل	225	671
مايو	782	1,654
يونيو	1,218	1,830

⁸ تغريدة المبعوث الخاص للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين عبر تويتر، تمت ترجمتها من قبل مقدمة الورقة الباحثة ريم البركي، يُمكن الإطلاع عليها عبر الرابط المدرج في الهوامش.

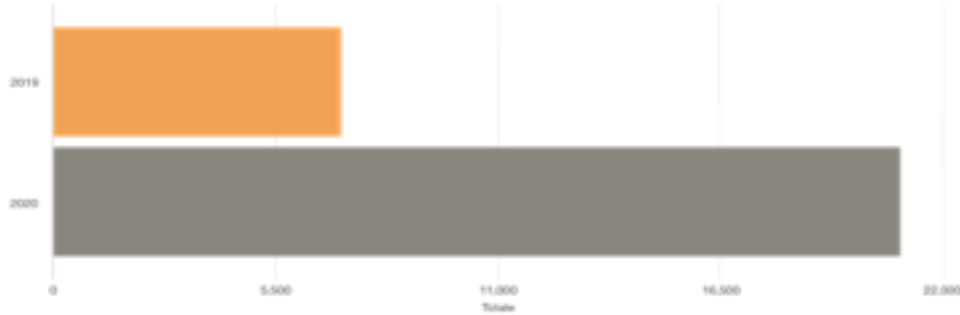
⁹ يقصد بأشهر الذروة (ابريل، مايو، يونيو، يوليو، أغسطس وسبتمبر) وهي الأشهر التي تكون ظروف الطقس فيها ملائمة للإبحار من ليبيا.

7,064	1,088	يوليو
5,329	1,268	أغسطس
4,387	2,498	سبتمبر
20,935	7,109	المجموع

يتبين من الأرقام المدرجة في الجدول،¹⁰ ومن الرسم البياني التوضيحي المدرج أدناه، أنه وخلال العام 2019 شهدت أشهر الذروة انخفاضاً كبيراً جداً في عدد المهاجرين إلى إيطاليا، بينما بدأت الأرقام في الارتفاع مجدداً خلال أشهر الذروة لعام 2020 حتى وصلت إلى معدلاتها الشبه طبيعية خلال أشهر (يونيو و يوليو و أغسطس) وبالتزامن مع انسحاب الجيش من طرابلس وعودة الحياة إلى مجرياتها الطبيعية، الأمر الذي يؤكد ما جاء في تغريدة "فنسنت كوشيتيل" المبعوث الخاص للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين لوسط المتوسط، وهو أنّ قوارب الهجرة غير الشرعية شبه اختفت، حيث أنّ تجار البشر والمهربين منشغلين في الحرب ضمن قوات الوفاق في محاولة منهم للنجاة.



¹⁰ أرقام متاحة عبر موقع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين تم جمعها وتحليلها من قبل مقدمة الورقة الباحثة ريم البركي.



عينة من تجّار البشر المحاربين في صفوف الوفاق

في الوقت الذي كان فيه "فايز السراج" رئيس حكومة الوفاق الوطني يقوم بالضغط على أوروبا وإيطاليا بالخصوص عن طريق استخدام ورقة المهاجرين غير الشرعيين للضغط على قوات الجيش الوطني الليبي لإنهاء عمليات طرابلس، ظهرت على مواقع التواصل الاجتماعي صور بعض الإرهابيين المعاقبين دوليًا يقاتلون ضمن قوات حكومة الوفاق، من بين هؤلاء تم التعرف على "صلاح بادي"، المطلوب دوليًا لأنه متورط بشكل مباشر في حرب طرابلس كأحد قادة عمليات فجر ليبيا.²⁵

"صلاح بادي" ليس المطلوب الدولي الوحيد الذي ظهر في عمليات طرابلس يحارب ضمن قوات الوفاق، ما يخصنا في قضية الهجرة هو ظهور أحد أهم تجّار البشر في حوض البحر المتوسط "عبد الرحمن ميلاد" الشهير بالبيدجا، أحد أهم المطلوبين لدى مجلس الأمن²⁶ لتورطه باستغلال وظيفته لتهرب البشر حيث كان يعمل حتى وقت قريب كقائد لخفر السواحل، البيدجا نشر عبر حسابه على فيسبوك صورة تُظهر مشاركته في محاور القتال جنوب طرابلس.²⁷

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يظهر فيها "عبد الرحمن ميلاد" الشهير بالبيدجا علنًا في صفوف حكومة الوفاق الوطني: في عام 2017 تم استقباله في إيطاليا كعضو في الوفد الليبي كجزء من عملية صوفيا، على الرغم من أنه شهير بأنه متورط في استغلال تهريب المهاجرين، إلا أنه شارك في الاجتماع في صقلية لبدء العمل على الإجراءات التشغيلية للبحث والإنقاذ.

بعد عامين من هذه الزيارة، تم فتح تحقيق لمعرفة من الجهة التي دعت البيدجا إلى إيطاليا،²⁸ وفي هذا الصدد قامت القناة الإيطالية السابعة²⁹ باستضافة البيدجا لمعرفة روايته عن هذه الزيارة، حيث أوضح البيدجا أنه تلقى دعوة للمشاركة من المنظمة الدولية للهجرة عبر خفر السواحل الليبي، لأن المنظمة

كانت تبحث عن خبراء، موضحاً أن زيارة العمل لم تشمل إيطاليا فحسب، بل شملت أيضاً تونس وإسبانيا، وخلال الاجتماع زار سفن خفر السواحل الإيطالية، وسفن عملية صوفيا ومراكز الاستقبال. وبحسب البندجا، كان الوفد الليبي مكوناً من ممثلين عن وزارة الداخلية والشؤون الخارجية والعدل في حكومة الوفاق الوطني، بالإضافة إلى عضو آخر في خفر السواحل الليبي، ومكتب المدعي العام، مؤكداً أن دخوله إلى دول الاتحاد الأوروبي كان رسمياً.

الظروف الإنسانية للمهاجرين غير الشرعيين في مراكز الاحتجاز في طرابلس

في 15 أبريل / نيسان 2019 نشرت صحيفة الغارديان تقريراً بناءً على شهود عيان من المحتجزين في مراكز الإيواء، مثل تلك الموجودة في تاجوراء جنوبي طرابلس، زعموا أنهم جُندوا من قبل الميليشيات التابعة لحكومة الوفاق الوطني خلال الفترة التي كانت فيها طرابلس محاصرة من قبل قوات الجيش الوطني الليبي، التقرير أكد أنهم كانوا خائفين من القتل أو الاستمرار في العمل القسري، وزعم المعتقلون في مراكز الإيواء والاحتجاز أنهم أجبروا على العمل مع هذه الميليشيات وأنهم كانوا في ظروف يرثى لها.³⁰

لم تكتف المنظمات الدولية والمصادر الصحفية بالإبلاغ عن هذه الشهادات، بل نشرت في الواقع حتى المنظمات غير الحكومية، مثل هيومن رايتس ووتش، أنباء مقلقة على المستوى الإنساني، "هيومن رايتس ووتش" سلطت الضوء على الخطر المتزايد لفرار آلاف المعتقلين خلال القتال الدائر في طرابلس، حيث أفاد محتجزان في وسط تاجوراء أنه اعتباراً من 4 أبريل / نيسان، قد أجبروا من قبل مسلحين من القوات الموالية لحكومة الوفاق الوطني على العمل لإصلاح آليات عسكرية، علاوة على تحميل وتفريغ وتنظيف الأسلحة، ومن ضمن الشهادات التي جمعتها منظمة هيومن رايتس ووتش هي لمهاجر نزيل في مركز طريق السكة في طرابلس، حيث زعم أن أعضاء مليشيا السراج التابعة للحكومة، قد خزّنوا أسلحة وذخيرة في مركز الاحتجاز المقيم به، بما في ذلك صواريخ كتف وقنابل يدوية ورصاص، وأنه وباقي المهاجرين قد أجبروا على نقل الأسلحة من نقطة إلى أخرى.³¹

من وجهة نظر إنسانية، فإن استخدام المدنيين كدروع بشرية أو أخذهم كرهائن من شأنه أن يشكل جريمة حرب، ومع ذلك، وبسبب الحرب، لم تكن أزمة الهجرة في ليبيا والظروف البائسة للمهاجرين

محط اهتمام كبير من السياسيين سوى في توظيف هذه الأزمة كما فعل السراج عندما هدد إيطاليا عبر صحفها المحلية.

الختام

يتضح مما سبق، وأنه رغم محاولات رئيس المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني المهندس فايز السراج، رغم محاولاته لتوظيف قضية المهاجرين و الهجرة من شواطئ ليبيا الغربية إلى أوروبا وإيطاليا بالخصوص، والظهور بمظهر الحريص على أمن المتوسط وعلى سلامة المهاجرين، ورغم الثقة الدولية الممنوحة دولياً لحكومته، والتي انتجت اتفاقيات ثنائية مثل مذكرة التفاهم والتعاون مع الدولة الإيطالية، إلا أن الدول المعنية والمنظمات الدولية على دراية تامة أن السراج لا يسيطر على حدوده البحرية أولاً رغم محاولة إيطاليا تدريب خفر السواحل وتجهيزهم بالمعدات اللازمة لمراقبة الحدود، علاوة على عدم سيطرته على تجار البشر من ناحية و الاتهامات الموجه لقواته ثانياً و التي تزعم مشاركة مهربي البشر في القتال في صفوف قواته من أجل النجاة بأنفسهم والدفاع عن مكتسباتهم.

المراجع:

أولاً الكتب:

1. Dirk Vandewalle, *Storia della Libia contemporanea*, trad. di Laria Massimo, Roma, Salerno Editrice, 2007.
2. Duccio Facchini, *Alla deriva – I migranti, le rotte del Mar Mediterraneo, le Ong: il naufragio della politica che nega i diritti per fabbricare consenso*, ed. Altra Economia, 2018, Milano
3. Elena Fiddian-Qasmiyeh, Gil Loescher, Katy Long, Nando Sigona, *The Oxford Handbook of refugee & forced migration studies*, Oxford University Press, Oxford, 2014
4. Gebrewold Belachew, *Africa and Fortress Europe – Threats and Opportunities*, ed. Ashgate, 2007
5. Jacinthe Mazzocchetti, "The Ethics of Ethnographic Fieldwork in the Context of War against Migrants", *Anthropologie & développement*, nr. 44, 2016
6. Lorenzo Trucco, *Quel che resta dei diritti umani*, in Veglio Maurizio (a cura di), *L'attualità del male – la Libia dei lager è verità processuale*, Edizioni SEB 27, 2018

7. Mario Reviglio, Externalizing Migration Management through Soft Law: The Case of the Memorandum of Understanding between Libya and Italy, *Global Jurist*, Retrieved 6 Nov. 2019, from doi:10.1515/gj-2019-0018
8. Michela Mercuri, *Incognita Libia – Cronache di un Paese sospeso*, FrancoAngeli, Milano, 2017
9. Olivier Pliez, *La frontiera migratoria tra la Libia e il Sahel - Uno spazio migratorio rimesso in discussione*, in P. Cuttitta, F. Vassallo Paleologo, *Migrazioni, frontiere, diritti*, Edizioni Scientifiche Italiane, Napoli, 2006.
10. Stephen Castles, Hein de Haas, Mark J. Miller (edited by), *The Age of Migration: International Population Movements in the Modern World*, Guilford Press, New York, 2020

ثانياً المواقع الإلكترونية:

1. موقع الحكومة الإيطالية
<https://www.governo.it/sites/governo.it/files/Libia.pdf>
2. موقع الوكالة الأوروبية لحرس الحدود والسواحل | فرونتكس
<https://frontex.europa.eu/we-know/migratory-routes/central-mediterranean-route/>
3. موقع بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا
<https://unsmil.unmissions.org/sites/default/files/Libyan%20Political%20Agreement%20-%20ENG%20.pdf>
4. موقع صحيفة المرصد الليبية
<https://almarsad.co/2017/02/12/لا-غتصاب-السلطة-و-مخالفة-الدستور-و-معاه/?fbclid=IwAR3ltLDZOtnAp6qlG0I9J-TARLbSwzQEwaCI-WL24laJQk3xDnrRhos9uLk>
5. موقع النصوص القانونية المتعلقة بالقطاع الأمني في ليبيا
<https://security-legislation.ly/ar/node/32174>
6. موقع صحيفة الكوريرا دلا سيرا الإيطالية
<https://www.corriere.it/video-articoli/2019/04/15/libia-l-appello-premier-sarraj-fate-presto-800mila-migranti-molti-terroristi-pronti-invadere-l-italia-l-europa/d37b0acc-5f6c-11e9-b974-356c261cf349.shtml>
7. موقع صحيفة لا ريبوبليكا الإيطالية

https://www.repubblica.it/cronaca/2019/04/18/news/libia_salvini_rilancia_terroristi_pronti_a_partire_verso_l_italia_conte_flussi_migratori_non_imminenti_-224400738

8. موقع صحيفة الكوريرا دلا سيرا الإيطالية

<https://www.corriere.it/video-articoli/2019/05/06/libia-intervista-ministro-haftar-l-italia-sta-parte-sbagliata-riaprite-consolato-bengasi/8d6d05d8-701c-11e9-90a6-5e2915e36bd9.shtml>

9. الحساب الشخصي عبر تويتر لـ فنسنت كوشيتيل، المبعوث الخاص للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين لمنطقة المتوسط،

<https://twitter.com/cochetel/status/1121400625022013440?s=21>

10. موقع المفوضية السامية لشؤون اللاجئين

<https://data2.unhcr.org/en/situations/mediterranean/location/5205>

11. موقع مجلس الأمن الدولي

<https://www.un.org/securitycouncil/sanctions/1970/materials/summaries/individual/salah-badi>

12. الصفحة الشخصية لتاجر البشر عبدالرحمن ميلاد

<https://www.facebook.com/photo.php?fbid=338365273477229&set=a.100903743890051&type=3&sfns=cwmo>

13. موقع صحيفة آفينير الإيطالية

<https://www.avvenire.it/attualita/pagine/lettera-oim>

14. موقع القناة السابعة الإيطالية

<https://www.la7.it/propagandalive/video/esclusivo-lintervista-di-francesca-mannocchi-a-bija-25-10-2019-289737>

15. موقع صحفية ذا قاردين البريطانية

<https://www.theguardian.com/global-development/2019/apr/15/fear-and-despair-engulf-refugees-in-libyas-market-of-human-beings>

16. موقع منظمة هيومان رايتس واتش الدولية

<https://www.hrw.org/news/2019/04/25/libya-detained-migrants-risk-tripoli-clashes>

17. موقع صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية

<https://www.washingtonpost.com/archive/opinions/1980/07/27/beyond-billy-the-importance-of-investigating-libyas-treacheries/f91cce64-a307-4d9d-964d-17886b20196e/?noredirect=on>

¹ للتعلم أكثر في مفهوم الهجرة القسرية يُنصح بالاطلاع علي:

Elena Fiddian-Qasmiyeh, Gil Loescher, Katy Long, Nando Sigona, *The Oxford Handbook of refugee & forced migration studies*, Oxford University Press, Oxford, 2014.

² Stephen Castles, Hein de Haas, Mark J. Miller (edited by), *The Age of Migration: International Population Movements in the Modern World*, Guilford Press, New York, 2020, pag. 30-33.

³ Gebrewold Belachew, *Africa and Fortress Europe – Threats and Opportunities*, ed. Ashgate, 2007, pag. 85-86.

⁴ Olivier Pliez, *La frontiera migratoria tra la Libia e il Sahel - Uno spazio migratorio rimesso in discussione*, in P. Cuttitta, F. Vassallo Paleologo, *Migrazioni, frontiere, diritti*, Edizioni Scientifiche Italiane, Napoli, 2006, pag. 65.

⁵ G. Henry M. Schuler , *Beyond Billy: The Importance Of Investigating Libya's Treacheries*, in Washington Post, 27 luglio 1980, <https://www.washingtonpost.com/archive/opinions/1980/07/27/beyond-billy-the-importance-of-investigating-libyas-treacheries/f91cce64-a307-4d9d-964d-17886b20196e/?noredirect=on>,

⁶ Jacinthe Mazzocchetti, "The Ethics of Ethnographic Fieldwork in the Context of War against Migrants", *Anthropologie & développement*, nr. 44, 2016.

⁷ <https://www.governo.it/sites/governo.it/files/Libia.pdf>

⁸ Mario Reviglio, *Externalizing Migration Management through Soft Law: The Case of the Memorandum of Understanding between Libya and Italy*, *Global Jurist*, Retrieved 6 Nov. 2019, from doi:10.1515/gj-2019-0018, pag. 1.

⁹ Michela Mercuri, *Incognita Libia – Cronache di un Paese sospeso*, FrancoAngeli, Milano, 2017, pag. 127

¹⁰ Lorenzo Trucco, *Quel che resta dei diritti umani*, in Veglio Maurizio (a cura di), *L'attualità del male – la Libia dei lager è verità processuale*, Edizioni SEB 27, 2018, pag. 104-107.

¹¹ Duccio Facchini, *Alla deriva – I migranti, le rotte del Mar Mediterraneo, le Ong: il naufragio della politica che nega i diritti per fabbricare consenso*, ed. Altra Economia, 2018, Milano, pag. 40-52.

¹² <https://frontex.europa.eu/along-eu-borders/migratory-routes/central-mediterranean-route/>

- 597

²⁵ United Nations Security Council, Salah Badi, <https://www.un.org/securitycouncil/sanctions/1970/materials/summaries/individual/salah-badi>

²⁶ United Nations Security Council, *Abd Al Rahman Al-Milad*, <https://www.un.org/securitycouncil/sanctions/1970/materials/summaries/individual/abd-al-rahman-al-milad>

²⁷ الحساب الشخصي للمعاقب دولياً عبد الرحمن ميلاد، الشهير بالبيدجيا عبر فيسبوك <https://www.facebook.com/photo.php?fbid=338365273477229&set=a.1009037438,90051&type=3&sfns=cwmo>

²⁸ Nello Scavo, *Retrosceca. L'Onu: non portammo noi Bija in Italia, arrivò su invito del Viminale*, *Avvenire*, 7 ottobre 2019, <https://www.avvenire.it/attualita/pagine/lettera-oim>

²⁹ Francesca Francesca Mannocchia, *Esclusivo: l'intervista di Francesca Mannocchi a Bija*, *La 7*, 25 ottobre 2019, <https://www.la7.it/propagandalive/video/esclusivo-lintervista-di-francesca-mannocchi-a-bija-25-10-2019-289737>,

³⁰ *Fear and despair engulf refugees in Libya's 'market of human beings'*, *The Guardian*, 15 aprile 2019, <https://www.theguardian.com/global-development/2019/apr/15/fear-and-despair-engulf-refugees-in-libyas-market-of-human-beings>

³¹ *Libya: Detained Migrants at Risk in Tripoli Clashes Release and Evacuate Them to Safety*, *Human Rights Watch*, 25 aprile 2019, <https://www.hrw.org/news/2019/04/25/libya-detained-migrants-risk-tripoli-clashes>

التشريع الإسلامي لحماية الأقليات الدينية

د. نجوى غالم

كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة سيدي بلعباس-الجزائر

nadjwaghalem@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/06/05 م تاريخ التحكيم: 2021/06/12 م تاريخ النشر: 2021/06/15 م
الملخص بالعربية:

تمتع الأقليات داخل الدولة بمركز قانوني مساو لمركز الأغلبية باعتبارهم جزء من الشعب، ما يترتب عليه تمتعهم بكافة الحقوق المعترف بها على أساس المواطنة، وبالمقابل الالتزام بكافة الواجبات، وهو الأمر الذي تؤكد مع إعلان الأمم المتحدة لسنة 1992 الذي أكد على ضرورة تعزيز حقوق الإنسان ومنح كافة شرائح المجتمع باختلاف صفاتها نفس الحقوق والحريات الأساسية، مع إيلائها اهتماما خاصا بالجوانب المميزة لها عن بقية أفراد المجتمع، سواء تعلق الأمر بحق ديني أو ثقافي.

وإن كان إعلان سنة 1992 يشكل فخر الغرب ودليل اهتمامهم بمسألة الأقليات، فإن دراسة أصل الحماية القانونية للأقليات تُظهر أن الفخر كله يرجع للإسلام باعتباره أول ديانة تتناول مسألة حماية الأقليات، من خلال وثائق وعهود ضبطت مركز الأقليات في العالم الإسلامي، وحددت ما لهم من حقوق وما عليهم من التزامات، فكانت كفالة الحق في الاختلاف في أسمى صورها.

الكلمات المفتاحية: حقوق الأقليات، دستور المدينة، أهل الذمة، المساواة، عدم التمييز.

Islamic legislation to protect religious minorities

Dr. Nedjwa Ghalem

Lecturer Professor-B- Djillali Liabes University-Sidi Bel Abbes-Algeria

nadjwaghalem@gmail.com

Abstract :

Minorities in the State enjoy a legal status equal to that of the majority as a part of the people, which entails the enjoyment of all the rights recognized on the basis of citizenship and, in turn, the observance of all duties. This was confirmed by the United Nations Declaration of 1992, which emphasized the need to promote human rights and to give all segments of society, regardless of their characteristics, the same basic rights and freedoms, with special attention to their distinctive aspects, whether they are religious or cultural.

While the 1992 Declaration was the pride of the West and the evidence of their concern for the issue of minorities, the study of the origin of legal protection of minorities showed that all pride was due to Islam as the first religion to address the issue of protection of minorities, through documents and covenants that regulated the status of minorities in the Islamic world, defined their rights and obligations, and ensured the right to be different in its highest form.

مقدمة:

يعود ظهور الأقليات كمشكلة تؤثر في سيادة الدول إلى القرن السادس عشر عندما بدأت الدول الأوروبية بفرض حمايتها على الأقليات النصرانية في أراضي الدولة العثمانية، إلا أن توفير الحماية للأقلية باعتبارها جزء من الشعب تعود لأكثر من أربعة عشرة قرناً. فقد أقر الإسلام الاختلاف، فهو سنة ربانية وظاهرة كونية لقوله عز وجل: "ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين"¹، وجاء مصمماً لاستيعاب البشرية بكافة أطرافها، وهي مهمة لا يستطيع عليها غيره، فجاء مستوعباً لأديان البشرية بقوله تعالى: "لا إكراه في الدين"²، واستوعب أجناسها بقوله تعالى: "يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"³.

وعلى هذا الأساس جاء كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كتبه بين المهاجرين والأنصار ووادع فيه اليهود، مجسداً لنظرة الإسلام لحقوق الإنسان وحياته، التي تقوم على العدل والمساواة انطلاقاً من وحدة الجنس البشري وتكريم الله للإنسان تصديقاً لقوله عز وجل: "ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً"⁴.

فتجسيدا للقاعدة الأخلاقية في التعامل مع الأقليات الواردة في قوله عز وجل: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين"⁵، جاء أول تشريع للأقليات في العالم محترماً لحقوق الأقليات. فقامت الوثيقة على التسامح الديني، ومنع التمييز على أساس الجنس أو العرق أو الدين. فكفلت بذلك مجموعة حقوق وامتيازات للأقليات لا نجدها مكفولة اليوم حتى ضمن أقوى النصوص القانونية الدولية، ذلك أن وثيقة المدينة توجت اعترافها بالحقوق لغير المسلمين (الأقليات الدينية) بالنص على كامل المساواة بين المختلفين في الدين والمتحدين تحت لواء

أمة الإسلام. فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: "...لأني أعطيتهم عهد الله أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم... حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم..."⁶. فالإسلام رسالة عالمية لا تخص أمة بحد ذاتها، ولا تنحصر في إقليم معين بذاته، فقد حث الله سبحانه وتعالى المسلمين أن يدعوا الناس إلى الإسلام، هذه الدعوى التي تكون عن طريق المناقشة بالحسنى لا بالإجبار، بدليل قوله عز وجل: "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم"⁷. ومن هذا المنطلق، فإن وجود مواطنين في الدولة الإسلامية متممين لدين غير الإسلام أمر حتمي، بل لا تكاد تخلو دولة إسلامية من ذلك، ما يعني أن وجود الأقليات في الدولة الإسلامية أمر واقع ترجع بدايته لظهور الإسلام، ورفض بعض مواطني الدولة التخلي عن ديانتهم، فشكّلوا بذلك أقلية دينية خصتها شريعتنا بتشريع تام لحماية حقوقهم وحرياتهم، قائم على مبدأ المساواة بين الأقليات الدينية.

فبالرغم من أن مصطلح "الأقليات" من المصطلحات المستحدثة التي راجت في العصر الحاضر، إلا أن الإسلام قد شرع الحماية لجماعات الأقليات في الدولة الإسلامية قبل أربعة عشر قرناً، وهنا يثور التساؤل عن أساس حماية الأقليات في الإسلام والحقوق المتمتع بها في ظل هذه الحماية؟

المبحث الأول: حماية الأقليات في الشريعة الإسلامية

شرع الإسلام الحماية لجماعات الأقليات في الدولة الإسلامية باعتماد مصطلح "أهل الذمة"، ورغم الاستياء الذي قد يظهره البعض من هذا المصطلح باعتباره ينتقص من المواطنة⁸، إلا أنه يبقى أفضل من مصطلح "الأقلية" الذي يعني في الأغلب وجود اختلاف بين الأقلية والأغلبية في بعض المقومات الطبيعية أو الثقافية، ما يترتب عليه توتر العلاقة بين مكونات المجتمع، ذلك أن نصيب الأقلية في القوة السياسية والاجتماعية يكون ضعيفاً غالباً وهو ما يولد الشعور بالظلم لأفرادها، كما يؤدي لتضامهم لمواجهة الأكثرية، فينتج عن ذلك التوترات الداخلية التي تهدد استقرار الدول. فالإسلام لا يعترف بالتقسيمات على أسس قومية أو عرقية أو ثقافية، فالتقسيم الوحيد يكون على أساس الإسلام من عدمه، وهذا لا يؤدي بأي شكل من الأشكال إلى خلق تفرقة أو تمييز بين الناس، فالكل من ذكر وأنثى خلقوا

للتعارف لا للتناحر مصداقا لقوله عز وجل: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"⁹.

ومن هنا فإن الأقلية الوحيدة المعترف بها في الإسلام هي الأقلية الدينية، ويقصد بها أصحاب الأديان السماوية السابقة على الإسلام الذين اصطلح على تسميتهم في القرآن الكريم بـ "أهل الكتاب"، أو كما يسميهم فقهاء الإسلام بـ "أهل الذمة"¹⁰.

المطلب الأول: الأقليات في الإسلام

حث الله سبحانه وتعالى المسلمين أن يدعوا الناس إلى الإسلام. فالإسلام رسالة عالمية لا تخص أمة بحد ذاتها، ولا تنحصر في إقليم معين. وتكون الدعوة إلى الإسلام عن طريق المناقشة بالحسنى لا الإجبار، بدليل قوله عز وجل: "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم"¹¹.

ومن هذا المنطلق، فإن وجود مواطنين في الدولة الإسلامية منتمين لدين غير الإسلام يبقى واردا، إلا أن ما قد يثير بعض الإشكالات هو المصطلح الذي عرفت به هاته الأقليات الدينية وهو "أهل الذمة" والذي يطرح تساؤلات حول المقصود به ومتى يتحقق؟ وهل يزال هذا المصطلح صالحا للتطبيق على وضع الأقليات في الدول العربية اليوم باعتبارها في الغالب دولاً إسلامية؟

الفرع الأول: مصطلح الأقلية في الإسلام

الأقلية في اللغة ضد الأكثرية، والقلة في اللغة ضد الكثرة. فقلّ من القلة وهي خلاف الكثرة، والقلّ خلاف الكثرة، وقد قلّ يقلّ، قلة وقلا فهو قليل¹². وفي كلمة "قل" في الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم نجد: {قل، يقللكم، أقلت، قليل، قليلا، قليلون، قليلة، أقل}¹³.

وقد أخذ الإسلام بهذا المعنى للقلة فيما يتعلق بالعدد، حيث ميز البشرية عن طريق التصنيف على أساس العلم والایمان والعمل، وفي كل منها أقلية وأكثرية، دون أن تكون القلة رمزا للضعف أو التقليل من القيمة والشأن، بل العكس تماما، حيث ارتبط لفظ "القلة" بمعاني جليلة بعكس الكثرة، منها على سبيل المثال قوله تعالى: "بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون"¹⁴، وقوله أيضا: "وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون، يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم

غافلون¹⁵. فهي آيات تبين أن أكثر الناس يغيب عنهم العلم المتعلق بالإيمان والسنن الإلهية والشرائع السماوية.

كما نجد لفظ الأكثرية في قوله تعالى: "وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إنَّ الظن لا يُغني من الحق شيئاً إنَّ الله عليم بما يفعلون"¹⁶، وفي معنى الآية أن أكثرية الناس تبني معارفها الأخروية على الغيب ولا تلتمس الهدى في الظنون.

كما ارتبط مفهوم الأكثرية في القرآن الكريم بتكذيب الرسالات السماوية، وهي رسالات تتوافق مع الفطرة البشرية، ومع ذلك فإن التصديق بها كان من طرف الأقلية، من ذلك قوله تعالى: "اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ"¹⁷، وكذلك قوله تعالى: "ولقد صرفناه بينهم ليدَّكروا فأبى أكثر الناس إلا كُفُورًا"¹⁸، وكذلك قوله عز وجل: "ولكنَّ الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون"¹⁹.

وكنتيجه لتغيب الأكثرية للإيمان كما جاء في بعض آيات القرآن الكريم الكثيرة في هذا المجال²⁰، فإن الأكثرية تبقى في غياهب الإنكار رغم إيقاعهم بنعم الله وهو ما يستنتج من قوله تعالى: "يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون"²¹. وبالمقابل، فإن لفظ الأقلية أو القلة ارتبط في القرآن الكريم بالمعاني الرفيعة، ومثال ذلك قوله تعالى: "وما آمن معه إلا قليل"²²، وقوله: "والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أولئك المقربون، في جنَّات النَّعِيم، ثلَّة من الأولين، وقليل من الآخرين"²³.

ففي ظل هذه المقابلة بين الأقلية والأكثرية، يتضح موقف الإسلام منها والذي لم يبن على أساس التمييز العرقي أو الاثني أو اللغوي، بل على أساس الإيمان. فاستخدام مصطلح "قَلَّة" بمعناه اللغوي الدال على العدد دون أن يشير في أي حال من الأحوال إلى ارتباط هذه القلة بالمهانة أو الانتقاص من القيمة بل العكس تماماً، والذي مفاده عدم اعتماد المعيار العددي كمقياس لتقرير أوضاع فئات المجتمع. وبالرغم من أن لفظ "الأقلية" لم يستعمل في القرآن الكريم، لا إفراداً (أقلية) ولا جمعا (أقليات)، وإنما استعمل لفظ مشتق من الفعل "قَلَّل"، إلا أن الاستعمال الحالي للفظ أقلية لا يخرج عن الاستعمال القرآني للفظ فيما يخص العدد، ومع ذلك لم يتضمن التمييز المبني على مقومات طبيعية أو ثقافية تجعل الأقلية في مستوى أدنى من الأكثرية؛ غير أن هذا لا يعني أن تعاليم الإسلام لم تتضمن أحكاماً خاصة بالأقليات

بمفهومها المعاصر، ويتعلق الأمر بالأقليات الدينية التي كانت نتيجة طبيعية للفتوحات الإسلامية ولسماحة الإسلام التي لم تجبر غير المسلمين على اعتناق الإسلام، ما ترك لهم حرية البقاء على دينهم، فشكّلوا بذلك أقلية في البلاد الإسلامية عرفت تحت اسم "أهل الذمة".

الفرع الثاني: أهل الذمة

لم يعرف مصطلح الأقليات عند المسلمين، لأن الإسلام لا يعترف بالتجزئة الجغرافية بين الدول والتي هي السبب الرئيس في ظهور الأقليات، ذلك أن الإسلام دين عالمي لا يخص شعباً بحد ذاته، فكان هذا السبب وراء عدم استعمال مصطلح الأقلية بمعناه التمييزي القائم على الجنس أو العرق أو اللغة في الإسلام. إلا أن الإسلام أقر التعدد كسنة إلهية في قوله تعالى: "ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة"²⁴، وفي قوله أيضاً: "ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين"²⁵.

غير أنه وكنتيجة منطقية لمبادئ الحرية والمساواة التي قام عليها الإسلام وجدت الأقليات الدينية، فيقول عز وجل: "وقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ"²⁶، ويقول أيضاً: "أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"²⁷. وهذا يعني إقرار الإسلام بتعدد الانتماء الديني في الأمة الواحدة دون أن يمس هذا التعدد وحدة الأمة، عن طريق منع التمييز على أساس هذا الاختلاف. فيقول عز وجل: "ولا تحادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن"²⁸، ويقول: "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً"²⁹. بل وأكثر من ذلك، فقد خص القرآن الكريم أهل الكتاب بحكمين دون باقي الملل، تتعلق الأولى بجَلِّ ذبائهم للمسلمين، حيث لا يحل للمسلم أن يأكل ما ذبحه المشرك لاعتباره ميتة، باستثناء أهل الكتاب الذين أجاز القرآن أكل ذبائهم في قوله تعالى: "وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم وطعامكم حلّ لهم"³⁰.

أما الحكم الثاني فيتعلق بالزواج بالكتابيات، فرغم أن القرآن حرم نكاح المسلمين بالمشركات في قوله عز وجل: "ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن"³¹، إلا أنه جاء باستثناء خاص بأهل الكتاب فقال جلّ وعلا: "والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم"³².

فيظهر مما سبق تخصيص الإسلام لمكانة وحماية خاصة لأهل الكتاب باعتبارهم أقلية دينية في بلاد إسلامية، وقد اصطلح تسمية أهل الكتاب لدى فقهاء الإسلام بأهل الذمة. فأهل الذمة مصطلح إسلامي يطلق على الأقلية الدينية في البلاد الإسلامية³³، فهم المستوطنون في بلاد الإسلام من غير المسلمين، وهو ما يطرح التساؤل حول المقصود بهذا المصطلح؟ وكيف يرم عقد الذمة؟

أولاً: التعريف بالذمي

الذمة في اللغة هي العهد، والكفالة، والضمان³⁴. والقوم المعاهدون. وأهل الذمة: أهل العهد، والذمي هو المعاهد³⁵. أما في الاصطلاح، فهم المعاهدون من أهل الكتاب اليهود والنصارى، ومن جرى مجراهم كالمجوس³⁶، والذمي هو المعاهد الذي أعطي عهداً يأمن به على ماله، وعرضه، ودينه³⁷. وجاء في دائرة المعارف الإسلامية أن الذمة هي العهد الذي يعطى للقوم الذين يدخلون في الإسلام عند فتح المسلمين لبلادهم ولا يسترقون ويؤمنون على حياتهم وحريتهم ثم على أموالهم، ومن ثم يسمون أهل الذمة أو الذميين شريطة أن يذلوا الجزية ويلتزموا أحكام الملة³⁸. أما المذهب الحنبلي فعرف عقد الذمة بأنه: "إقرار بعض الكفار على كفره بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة"³⁹.

وعرف الإمام الغزالي الذمي بأنه: "كل كتابي ونحوه عاقل بالغ حر ذكر متأهب للقتال قادر على أداء الجزية"⁴⁰.

وخلاصة هذه التعاريف أن الذمي هو كل كافر⁴¹ مقيم بدار الإسلام آمناً بشرط دفع الجزية. وأما دليل ذلك من القرآن الكريم فهو قوله عز وجل: "لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة"⁴².

ثانياً: عقد الذمة

عرفه الإمام الكاساني بأنه: "عقد يتمتع بموجبه الذمي بالأمان المؤبد"⁴³، ليفصل الدكتور صبحي المحمصاني في تعريفه لعقد الذمة بأنه: "عقد يكتسب بموجبه غير المسلم من أهل الكتاب حق الإقامة الدائمة في دار الإسلام مع حماية الشريعة الإسلامية وذلك مقابل دفع الجزية والقيام ببعض الواجبات العقدية"⁴⁴.

من خلال هذه التعاريف تظهر الخصائص اللازمة لصحة عقد الذمة، وهي: الإقامة الدائمة في دار الإسلام، بذل الجزية والالتزام بأحكام الملة فيما يتعلق بهم (كعدم إظهار الخمر والخنزير...).

وانطلاقاً منه يمكن إعطاء تعريف جامع لعقد الذمة بأنه العقد الذي بموجبه يتقرر إقامة بعض الكفار في الدولة الإسلامية شرط دفع الجزية والتزام الأحكام الإسلامية الظاهرة.

وعن دليل مشروعية هذا العقد من القرآن الكريم، قوله جلّ وعلا: "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"⁴⁵.

ومن السنة، حديث "بريده" الذي رواه مسلم في صحيحه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أُمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال "اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال، فأيتُّهُنَّ ما أجابوك إليها فاقبل منهم، وكُفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكُفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكُفَّ عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك، وذمة أصحابك فإنكم إن تخفروا ذمتكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله، وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أنصيب حكم الله فيهم أم لا؟"⁴⁶.

المبحث الثاني: حقوق الأقليات في ظل التشريع الإسلامي للأقليات

جاء الإسلام مصمماً لاستيعاب البشرية بكافة أطيافها، وهي مهمة لا يستطيع عليها غيره، فجاء مستوعباً لأديان البشرية بقوله تعالى: "لا إكراه في الدين"⁴⁷، واستوعب أجناسها بقوله تعالى: "يا أيها الناس إن خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"⁴⁸، وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس، إن ربكم واحد وإن أباكم

واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فيبلغ الشاهد الغائب"⁴⁹.

المطلب الأول: التشريع الإسلامي الخاص بالأقليات

إن العلاقة بين المجتمع المسلم والأقلية غير المسلمة حكمتها القاعدة الربانية التي جاءت في قوله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين"⁵⁰، وقد حدّد الرسول صلى الله عليه وسلم منذ بداية هجرته إلى المدينة المنورة معالم قيام الأمة المسلمة، وحدد ضوابط العلاقة بين المسلمين وغيرهم ممن يعيشون معهم في المدينة، من خلال وثيقة تعدّ دستوراً يشمل على حقوق الأفراد وواجباتهم⁵¹، تعرف باسم "وثيقة المدينة" أو "دستور المدينة"، ليلبّي عهد النبي صلى الله عليه وسلم لأهل نجران والتي نصّت بعبارات صريحة على تقديس حرمة التدين وضمان هذه الحرية؛ ليسير الصحابة رضوان الله عليهم في نفس المسار.

الفرع الأول: الوثائق والعهود

رسخ الإسلام مبادئ وقيم التعايش والمواطنة منذ ما يزيد عن أربعة عشرة قرناً من خلال وثائق وعهود نصّت على المساواة والمشاركة في الحقوق والواجبات بين أبناء الوطن الواحد، دون النظر إلى انتمائه ديني أو العرقي أو المذهبي أو أي اعتبارات أخرى، وتتمثل أهم هذه الوثائق والعهود فيما يلي:

أولاً: وثيقة المدينة

تعرف أيضاً بدستور المدينة أو صحيفة المدينة، هي وثيقة تم كتابتها فور هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة. وهي تعتبر أول دستور مدني في التاريخ هدفه تنظيم العلاقة بين جميع طوائف وجماعات المدينة، وعلى رأسها المهاجرين والأنصار والفصائل اليهودية وغيرهم. فهذه الوثيقة قد وضعت الأسس الدستورية للحكم في دولة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة، فرسخت مفهوم المواطنة الكاملة بما تقوم عليه من حرية الاعتقاد والتدين⁵²، العدل والمساواة⁵³، التناصح⁵⁴، حفظ الوطن⁵⁵، والمرجعية الواحدة⁵⁶.

ثانياً: العهد النبوي لنصارى نجران

هو العهد الذي أبرمه الرسول صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران حين قدومهم عليه عقب غزوة تبوك في العام التاسع للهجرة⁵⁷. وهو عبارة عن وثيقة ترسم بوضوح مكانة النصارى في دولة الإسلام كفلت حقوقهم وحددت واجباتهم. فجاءت نصوص العهد ضامنة لنصارى نجران وكل المتدينين بالنصرانية ما يحفظ إنسانيتهم ويصون كرامتهم.

ففي مجال الحرية كفلت حرية الاعتقاد⁵⁸، فجاء في أحد بنود العهد: "لا يجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية كرها على الإسلام" تطبيقاً لقوله تعالى: "لا إكراه في الدين"⁵⁹، وقوله: "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"⁶⁰. كما كفلت المساواة التامة بين المسلمين والنصارى، فجاء في العهد قوله صلى الله عليه وسلم: "لأنني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذي استوجبوا حق الذمام والذب عن الحرمه، واستوجبوا أن يذب عنهم كل مكروه، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم". لتكفل الوثيقة كذلك أعلى درجات التسامح بضمائها التكافل الاجتماعي والتعاون ضد الأعداء⁶¹، وتقديم العون للنصارى حتى وإن تعلق الأمر بإصلاح وترميم كنائسهم⁶².

هذه الحقوق هي جزء مما كفله العهد للنصارى ذكر على سبيل المثال لا الحصر، لتبيان نقطة أساسية مفادها سمو التشريع الإسلامي في التعامل مع مسألة الأقليات، وحكمة السنة النبوية الشريفة في التعامل مع هذه المسألة عن طريق بلورة فقه المواطنة عملياً.

وإن كان دستور المدينة وعهد نجران من أشهر العهود التي أعطيت فيها ذمة الله ورسوله لغير المسلمين من الأقليات التي تعيش في بلاد المسلمين، إلا أنها لا تعد العهود الوحيدة المبرمة في هذا الإطار، حيث أبرم عليه الصلاة والسلام عدة عهود مشابهاة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: كتابه لأهل أذربخ⁶³، وكتابه لأهل مَقْنَا⁶⁴.

ثالثا: عهد أبي بكر لأهل نجران

لما آلت الخلافة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنه أكد في عهد منه لأهل نجران أنه أجارهم بجوار الله وذمة النبي محمد صلى الله عليه وسلم على أنفسهم، وأرضهم، وملتهم، وعبادتهم، وأساقفهم، ورهبانهم، وفاء لهم بكل ما ورد في العهد النبوي لنصارى نجران⁶⁵.

رابعا: عهد عمر لأهل إيلياء

يعرف كذلك بـ "العهد العمرية" وهو كتاب كتبه الخليفة عمر بن الخطاب لأهل إيلياء (القدس) عندما فتحها المسلمون عام ستمائة وثلاثة وثمانون ميلادي الموافق للسنة الخامسة عشرة للهجرة. فبعد انتصار المسلمين في معركة اليرموك، دخل عمر رضي الله عنه القدس ليتسلم مفاتيحها من بطريك القدس "صفرونيوس"، فكتب لهم عمر بن الخطاب كتابا به شروط الصلح، أمنهم فيه على كنائسهم وممتلكاتهم⁶⁶. فعلى ذات نهج الرسول صلى الله عليه وسلم سار عمر رضي الله عنه وأعطى لأهل إيلياء عهدا وأمانا، وكان قبل ذلك قد جدد عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر لأهل نجران⁶⁷، كما يعد الفاروق أول من أسقط الجزية عن فقراء أهل الذمة والعجزة منهم⁶⁸.

وعلى نفس النهج سار باقي الخلفاء الراشدين وأمراء الجيوش الإسلامية، فمعاهدات الصلح الضامنة لحماية الأقليات غير المسلمة وعدم إجبارهم على تغيير مللهم شاهدة على سماحة الإسلام وشموليته⁶⁹.

الفرع الثاني: حقوق أهل الذمة

تمتع أهل الذمة في ظل الدولة الإسلامية بحقوق يعجز أي نظام وضعي عن كفالتها للرعايا المخالفين له في الدين، يكفي أن الإسلام له السبق في احترام حقوق الأقليات وحمايتها، فلهم حق التمتع بحريتهم الدينية والمدنية، ولهم التمتع بحرية الفكر والرأي والعلم، ولا يتم التمييز بينهم وبين المسلمين بالنسبة للحقوق الاجتماعية، فكفلت بذلك الحقوق كافة للأقليات باعتبارهم من رعايا الدولة دون تمييز على أساس الدين إلا استثناءا فيما يوجب ذلك وهو ما سيتم توضيحه من خلال هذا الفرع.

أولاً: الحقوق الدينية

بلغ التسامح الديني في الإسلام أقصى درجاته، ذلك أن التسامح الديني درجات أدناها أن يسمح أصلاً بمخالفة الفرد للمعتقد والدين السائد لدى الأغلبية، وأوسطها أن يكفل له ما يتيح له ممارسة شعائر دينه دون مضايقة، أما أقصاها فعدم التضييق عليه بإحلال ما حرم دينه أو العكس. وقد انعكست روح التسامح هذه على ما كُفّل من حقوق دينية للأقليات غير المسلمة في البلاد الإسلامية⁷⁰.

1- حق حرية الاعتقاد:

إن قضية العقيدة في الإسلام ترتبط بالافتناع بعد البيان والإدراك، وليست قضية إكراه وغصب، فالقرآن الكريم يحاور ويجادل أهل الكتب السماوية الأخرى بالتي هي أحسن، إذ لا استعمال للقوة لأجل الدخول فيه واعتناقه، بل الحجة بالحجة والدليل⁷¹. فمسألة العقيدة في الإسلام مبنية على الافتناع بدليل قوله تعالى: "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"⁷²، وكذلك قوله عز وجل: "أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"⁷³، وانطلاقاً من هاتين الآيتين يظهر أن الأقليات في الدولة الإسلامية تتمتع بحرية اتباع المعتقد الذي تشاء دون أن يكون من حق المسلمين فرض دينهم على غير المسلمين ولو عاشوا في دولة إسلامية.

2- حق تغيير الدين:

إن كان الحق في الاعتقاد ثابتاً فإنه بالعكس منه تختلف التوجهات بالنسبة للحق في تغيير الدين كونه يصطدم بمصطلح "الردة"، وعقوبة المرتد حسب جمهور الفقهاء هي القتل⁷⁴. على أن موضوع الحق في تغيير الدين أو الردة يقتضي من التفريق بين حالتين:

— حرية تغيير الدين بالنسبة لغير المسلم (الأقليات الدينية): فهي مكفولة، فالإسلام سبق الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ضمان حرية الإنسان في حقه في معتقده⁷⁵.

— حرية تغيير الدين بالنسبة للمسلم: إن تغيير الدين من الإسلام إلى غيره من الديانات، يصطلح عليه بالردة⁷⁶، وهي فعل يستوجب العقاب لقوله عز وجل: "وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيُحْمَتْ" وهو كافرٌ فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون"⁷⁷، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من بَدَّلَ دينه فاقتلوه"⁷⁸. فلا تتعرض الشريعة الإسلامية للمنافق في خاصة نفسه،

ولا تنقب عن حياته الخاصة ما دام لم يتحد بكفره أو زندقته أو سحرته النظام العام. فإذا نطق ولم يصمت، وتحد ولم يُمار، فالردة لها أحكامها في الشريعة الإسلامية، فكما تُعد الدول الديمقراطية بنودا في دساتيرها وقوانينها لتعاقب بأقصى العقوبات من تثبت عليه الخيانة العظمى، فيُعد الإسلام أكبر الخيانات أن يرتد المسلم بعد إسلامه، ذلك أن الدخول في الإسلام لم يتم بالإكراه، والإسلام يعني الولاء للأمة الإسلامية، فمتى نقض المرتد إسلامه، فقد نقض ولائه للأمة وطعن في المقدس الجماعي للأمة فوجبت عقوبته⁷⁹.

ومن هنا فإن مبدأ لا إكراه في الدين يكون قبل اعتناق الإسلام، والحرية الدينية تكون لمن كان قبل ظهور الإسلام من أهل الكتاب وغيرهم ولم يدخل الإسلام. أما من وُلد مسلما أو أسلم، ثم غير دينه، فهو مرتد تجب عليه العقوبة.

3- حق ممارسة الشعائر الدينية:

انطلاقا من أن التمييز بين الحق والباطل ميزة خص بها الله تعالى الناس في قوله عز وجل: "وهديناه النجدين"⁸⁰، فإن الإنسان يتمتع بالحرية والإرادة لاختيار ما يشاء، لقوله جل وعلا: "إنا هديناه السبيل إما شاكرا أو كفورا"⁸¹، وهي آيات تبين أن الإسلام لم يجبر من تحت ولايته على الدخول فيه، ما يعني كفالة حرية ممارسة العبادة لغير المسلمين وهو ما تجسد في قوله عز وجل: "لكم دينكم ولي دين"⁸²، وتبعاً لذلك أقرت الشريعة الإسلامية احترام أماكن العبادة للناس جميعاً دون تمييز بين الأديان استناداً لقوله تعالى: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد كثيرة يذكر فيها اسم الله كثيرا"⁸³.

فيكون إذن للأقليات الحرية في تأدية شعائهم الدينية، وتقاليدهم القومية بشكل علني في مواضعهم وقراهم الخاصة. أما إذا وجدوا في أماكن خاصة بالمسلمين، فللدولة الإسلامية أن تطلق لهم في ذلك أو تضع عليهم بعض القيود، فلا يمنعون من إظهار ما يتعلق بديانتهن كإظهار الصليب وضرب الناقوس في موضع أو قرية ليست من أمصار المسلمين⁸⁴، ولو كان فيه عدد كثير من أهل الإسلام، ويسمح لهم بذلك في جوف معابدهم⁸⁵.

ثانيا: الحقوق المدنية والسياسية

للحقوق المدنية والسياسية خصوصية معينة بالنسبة للأقليات، ترجع لكونها حقوق أساسية لا ينبغي حرمان أي مواطن منها، وكذلك لخصوصية إقرار التمتع بها خاصة بالنسبة لبعض الحقوق السياسية التي تنقيد بشروط تجعل من الصعب تمتع أفراد الأقليات بها على قدم المساواة مع أفراد الأغلبية.

1-الحقوق المدنية:

تثبت الحقوق المدنية لجميع الأفراد دون تفرقة بسبب الجنس أو الأصل أو اللون أو اللغة أو الدين أو الجنسية، فهي ملازمة للشخصية كون جوهرها يقوم على أساس حماية القيم المشتركة للحياة الإنسانية⁸⁶، وقد كفلت شريعتنا السمحاء هذه الحقوق للأقليات في الدولة الإسلامية.

أ-الحق في الحياة:

يشكل حق الحياة الركيزة الأساسية لمنظومة حقوق الإنسان، فالتحدث عن مجموعة حقوق الإنسان لا يتحقق إلا بتوفير حياته أولا قبل الخوض في ضمان أي حقوق أخرى، لذلك اعتبر الإسلام حفظ النفس أول مقاصد الشريعة الإسلامية، وهو الأمر الذي انعكس على الضمانات الشرعية لحماية النفس البشرية، فيحرم بدون حق إزهاق روح إنسان أو إتلاف عضو من أعضائه أو إصابته بأذى في جسده، فليس بعد الكفر ذنب أعظم من قتل المؤمن لقوله تعالى: "ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما"⁸⁷. ولأهمية وقدسية النفس البشرية، اعتبر الاعتداء عليها بالقتل جريمة ضد الإنسانية كلها في قوله عز وجل: "من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا"⁸⁸. وفي سبيل الحفاظ عليها وردع المعتدين عليها شرع القصاص جزاء للقتل أو الاعتداء على الحياة، وذلك في قوله تعالى: "وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص"⁸⁹. على أن تجرم الاعتداء على الحق في الحياة في الإسلام لا يقتصر على القتل، بل يمتد الحظر إلى عدم إيذاء الإنسان لنفسه فحرم الانتحار في قوله عز وجل: "ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما"⁹⁰.

ب-الحق في الحماية من الاعتداء:

إن الحق في الحماية من الاعتداء بما معناه حرمة دم ومال وعرض الفرد نوعان: حرمة مؤبدة وأخرى مؤقتة. فتتحقق الحرمة المؤبد انطلاقاً من قوله سبحانه عز وجل: "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"⁹¹، أما الحرمة المؤقتة فنستشفها من قوله عز وجل: "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون"⁹².

وتتمتع الأقليات الدينية بحرمة الاعتداء المؤبد على الحريات والحقوق، سواء تعلق الأمر بالاعتداء الداخلي أو الخارجي، ذلك أن حق الحماية أمر ثابت لكل رعايا الدولة الإسلامية مسلمين كانوا أم غير مسلمين ما دامت إقامتهم في الدولة الإسلامية مشروعة ووفق النظام⁹³، ودليل ذلك تأكيده عليه الصلاة والسلام لتساوي الناس في قوله: "يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحرر على أسود، ولا أسود على أحرر، إلا بالتقوى"⁹⁴، كما حرم الاعتداء على الذميين في عدة مواضع منها قوله صلى الله عليه وسلم: "ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة"⁹⁵، وقوله أيضاً: "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن رجاها توجب من مسيرة أربعين عاماً"⁹⁶.

ج-الحق في الزواج وتكوين أسرة:

الأصل أن الدولة الإسلامية لا تتدخل في عقود الذميين ومن ثم لا تجري عليهم أحكام الإسلام في مجال الأحوال الشخصية لأن ذلك من حقوقهم الخاصة إلا إذا ترفعوا إلى الحكام المسلمين أو كان الزواج أو الطلاق بين مسلم وذمية، وحينئذ تجري عليهم أحكام المسلمين وكان مبدأ الدولة الإسلامية في هذه القضية أنها تمنح رجال دينهم صلاحية إبرام عقد الزواج والطلاق كما جرت عليه عادتهم الدينية لأن ذلك يعتبر من أمورهم الخاصة⁹⁷، ولأنه حق شخصي أمراً أن نتركهم وما يدينون لقوله عز وجل: "فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين"⁹⁸. وتبعاً لذلك فإن عقودهم من زواج وطلاق وعدة ونفقة وغيرها صحيحة ويقرون عليها إذا أسلموا فلو تزوج ذمي من ذمية بغير شهود أو بغير مهر أو بمهر محرم أو تزوجها

في عدتها ثم أسلما فإخما يُقَرَّان على ذلك إلا أن يكون أحدهما محرَّمًا للآخر فإخما لا يُقَرَّان على ذلك⁹⁹.

د-الحق في حماية الأموال:

جاء في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لأهل نجران: "ولنجران وحاشيتها جوار الله، وذمة محمد النبي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على أموالهم وملتهم وبيعهم..."، انطلاقاً من هذا التشريع الخاص بحماية الأقليات وغيره من النصوص التي سبق توضيحها فإن أموال الأقليات محفوظة في الدولة الإسلامية مثلهم مثل باقي المواطنين، وبالتالي من سرق مال ذمي قطعت يده، ومن غصبه عزَّز وأعيد المال إلى صاحبه، ومن استدان من ذمي وجب عليه قضاء دينه، بل أن رعاية الإسلام لحرمة أموال الأقليات غير المسلمة شملت حتى ما لا يعد مالا في نظر المسلمين كالخمر والخنزير، فلو أن مسلماً أتلف خمرًا أو خنزيراً لمسلم آخر لكان الأمر مستحباً بل وهو مثاب ومأجور لأنه يغير منكراً في دينه، أما لو تعلق الأمر بإتلاف مسلم لخمير أو لخنزير مملوك لغير المسلمين من الأقليات الدينية فكان عليه غرم قيمتهما لاعتبارهما مالا لدى غير المسلمين حتى وإن لم تعتبر مالا متقوقاً عند المسلمين¹⁰⁰.

هـ-الحق في الإرث:

يقيّد الاعتراف بحق الإرث بالنسبة للأقليات بقاعدة لا توارث بين المسلم وغير المسلم¹⁰¹، ما يعني حرمان الأقليات الدينية من ميراث المسلمين، فلا توارث بين المسلمين وباقي الملل، أما توارث أصحاب نفس الملة من غير المسلمين فهو مكفول للأقليات.

2-الحقوق السياسية:

إن الحقوق السياسية هي الحقوق التي يكتسبها الفرد باعتباره عضواً في هيئة سياسية¹⁰²، فهي تلك الحقوق التي تثبت للفرد باعتباره مواطناً في دولة معينة، وتحوّل له المساهمة في حكم الدولة¹⁰³. فهي الحقوق التي تهدف إلى إشراك الفرد في حكم بلاده، بإعطائه الحق في تكوين الأحزاب والجمعيات السياسية أو الدخول في عضويتها، والحق في الترشح لرئاسة الدولة أو لعضوية البرلمان أو المجالس المحلية، والحق في الانتخاب وتولي الوظائف العامة في الدولة. وبخلاف الحقوق المدنية يشترط للتمتع بالحقوق السياسية جملة شروط كالسن والأهلية والأهم هو الجنسية. وعن تمتع الأقليات بهذه الحقوق، فباعتبار مبدأ

المساواة في التمتع بالحقوق والحريات ساريا بالنسبة للحقوق السياسية، يتمتع أفراد الأقليات بهذه الحقوق، إلا أن خصوصية بعض الحقوق السياسية يطرح إشكالات بالنسبة لتمتع الأقليات بها.

أ-حق تولي الوظائف العامة:

يقصد به حق كل مواطن في المساهمة في تسيير الحياة العامة عن طريق توليه لإحدى الوظائف العامة في الدولة، سواء كان توليه لتلك الوظائف بشكل دائم أو مؤقت. فهذا الحق يثبت له طالما انطبقت عليه شروط تلك الوظائف وفقا للقوانين الخاصة بها¹⁰⁴، وبذلك تتمتع الأقليات في الدولة الإسلامية بحق تولي الوظائف العامة بشكل مساو لبقية مواطني الدولة من المسلمين مع مراعاة الاستثناءات المنطقية كالوظائف الدينية، فتولي الوظائف الدينية لأي دين تتطلب انتماء من يمارسها له، فلا يجوز للمسلم أن يتولى عملا دينيا لغير المسلمين كإقامة القداس للنصارى، كما لا يجوز لغير المسلم أن يتولى عملا دينيا للمسلمين، كالإمامة العظمى التي تجعل للإمام حق التقدم في الصلاة الجماعية والحج والاجتهاد في أمور الدين، ذلك أنه من شروط صحة هذه الوظائف الإسلام بالإجماع¹⁰⁵. إذن وفيما عدا الوظائف القليلة التي يشترط فيمن يتولاها أن يكون مسلما يجوز اشتراك الذميين في مختلف وظائف الدولة بما فيها المتعلقة بشؤون الدولة المهمة بدليل قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم..."¹⁰⁶، فالأقليات المقيمة في الدولة الإسلامية والتي لا تكن عداوة للإسلام يجوز اتخاذهم بطانة يستعان بها¹⁰⁷.

ب-الحق في الرأي والتعبير والمعارضة:

حرية الرأي والتعبير من الحقوق الفردية شديدة الالتصاق بالإنسان وبطبيعته، كما أنها من الحقوق الكافلة للعضوية النشطة والفعالة في المجتمع، فقد يتضمن هذا الحق حرية التعبير في الشؤون العامة، والموضوعات ذات الأهمية الشعبية، كما يعني حق المواطن الإنسان في اختيار الطريقة التي تكون بها آراؤه النظرية والعملية أو المنهج الذي يراه صحيحا في تناول القضايا المتصلة بحياته، أو حياة الجماعة أو المجتمع الذي يعيش فيه دون أن يكون من حق أي فرد آخر التعدي على هذا الحق أو محاسبته عند التعبير عنه¹⁰⁸. وبذلك فإن الحق في حرية الرأي والتعبير يعد الحق الأساسي الذي يشكل إحدى الدعائم الجوهرية للمجتمع الديمقراطي¹⁰⁹. وهي حقوق مكفولة لكافة مواطني الدولة الإسلامية بما في ذلك

أقلياتها، ولا يقتصر الأمر على كفالة إبداء الرأي فقط بل يصل لحق المعارضة السياسية، ونستشف ذلك من عدة أدلة شرعية منها قوله صلى الله عليه وسلم في صحيفة المدينة: " إن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم... وإن على اليهود نفقتهم والنصيحة والبر دون الإثم..."، فحق النصيحة مقابل لإبداء الرأي الذي يصل لحد المعارضة.

ثالثاً: الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

تعتبر الحقوق الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية من فئة الحقوق الإيجابية، أي التي تتطلب عملاً إيجابياً لإشباع الحاجات الأساسية التي تستهدفها هذه الحقوق¹¹⁰.

1- الحقوق الاقتصادية:

تتعدد الحقوق الاقتصادية التي تكفل للمواطنين، غير أن أهم الحقوق التي تثار بالنسبة للأقليات هي الحق في العمل وتوابعه والحق في الضمان الاجتماعي.

أ- الحق في العمل وتوابعه:

لا يختلف الأمر بين المسلمين وأهل الذمة بالنسبة لمشروعية العمل والحث عليه، ما يعني أن للأقليات حرية العمل والكسب ومزاولة ما شاءوا من المهنة، فقد قرر الفقهاء أن أهل الذمة كالمسلمين في البيوع والتجارة والمعاملات المالية، ما يعني يحل لهم ما يحل للمسلمين في مجال العمل ويحرم عليهم ما يحرم على المسلمين، فتبعاً لذلك يحرم عليهم عقد الربا أو تجارة الخمر أو الخنزير في أمصار المسلمين¹¹¹. فيسري على الأقليات إذن ما يسري على المسلمين فيما يتعلق بحق مزاولة الأعمال من إباحة أو منع، ما يعني تمتعهم بهذا الحق وما يتبعه من حق في الأجر والراحة والحماية الصحية والاجتماعية، ذلك أن كفالتها تتم بناء على أسس متساوية دون أي تمييز على أساس الدين.

ب- الحق في التكافل الاجتماعي:

إن الغاية من التكافل الاجتماعي هي تأمين وسائل العيش والراحة للمواطنين ووقايتهم من الحاجة، فوضع الإسلام في دائرة اهتمامه حقوق الضعفاء من الناس كاليتيم والأسير والفقير والمسكين، وكفل الوسيلة لسد حاجاتهم بفرض الزكاة وفيها لا فرق بين المسلم وغير المسلم، فلا مانع من إعطاء قسط من أموال المسلمين لغير المسلمين براهم وصلة لهم¹¹². كذلك، وعلى اعتبار أهل الذمة من رعايا

الدولة الإسلامية فتكون رعايتهم واجبا، وانطلاقا منه يكون لهم الاستفادة من مختلف المرافق في الدولة وكذا مختلف المنافع ومن ضمنها التكافل الاجتماعي عملا بقوله صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..."¹¹³.

2-الحقوق الاجتماعية:

ويقصد بالحقوق الاجتماعية، تلك الحقوق التي تعزز التماسك الاجتماعي والتضامن وتضمن الحد الأدنى من العيش الإنساني، وتلبي الاحتياجات الاجتماعية للأشخاص المتمثلة في الحماية الاجتماعية والسكن والعمل والصحة¹¹⁴. فهي الحقوق التي تتطلب من الدولة أن تقدم بعض الخدمات العامة والإعانات والمساعدات التي تمس رفاهية الإنسان¹¹⁵، وانطلاقا من ذلك، فإن أهم الحقوق الاجتماعية التي ينبغي كفالتها للأقليات هي حق الأسرة في التمتع بالحماية والمساعدة الممكنة، والحق في العيش الكريم، والحق في الصحة، وهي حقوق يتمتع بها كافة رعايا الدولة الإسلامية بغض النظر عن انتمائهم الديني.

فرغم أن شريعتنا منعت الموالاة والتودد في قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق"¹¹⁶، إلا أن هذا لا يمنع التعامل معهم بمودة بدليل قوله عز وجل: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم"¹¹⁷، كما لا يمنع ضرورة الدفاع عنهم وحمايتهم من أي أذى، فيجب لهم ما يجب على المسلمين وعلى من له سلطة شرعية في الدولة وقوة عسكرية أن يوفر لهم الحماية، فيمنع إيذاءهم، ويفك أسرهم، ويدفع من يقصدهم بحرب¹¹⁸.

3-الحقوق الثقافية:

تحظى الحقوق الثقافية بأقل قدر من الفهم والتبلور بين جميع الحقوق التي كفلها القانون الدولي لحقوق الإنسان رغم أنها تشكل الحقوق الأساسية بالنسبة للأقليات باعتبار الثقافة هي التعبير الحقيقي عن هوية الجماعة، لذلك أصبح ضمان الحقوق الثقافية عنصرا أساسيا في إطار الحماية الدولية لهوية الأقليات وخصوصيتها، وباعتبار الشريعة الإسلامية سباقة في مجال كفالة حقوق الأقليات فلم تغفل هذا الجانب، فحرية التعلم والتعليم مكفولة لأهل الذمة شأنهم في ذلك شأن المسلمين، كما لهم الحق في تعليم

أبنائهم وفق دياناتهم وكذلك إنشاء مدارس خاصة بهم، ودليل ذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بعد فتح خيبر برد نسخ من التوراة التي أخذت ضمن الغنائم إلى اليهود¹¹⁹.

خاتمة:

وجود الأقليات في أنحاء العالم هو حقيقة لا شك فيها¹²⁰، ذلك أنه منذ بداية تجمع البشرية في وحدات سياسية متميزة ومنفصلة ظهرت الاختلافات اللغوية والدينية والعرقية بين بني البشر¹²¹، إلا أن المؤسف ظهور مسألة الأقليات على الساحة الدولية كمشكلة تتطلب حلولاً، لا كوضع طبعي يستمر في التنوع وينتفع به، والمؤسف أكثر أن تنجر الدول التي تتخذ الإسلام ديناً لها وراء هذا التوجه الدولي في اعتبار الأقليات مشكلة، بدل الاحتكام لشريعتنا التي توفر نظاماً متكاملًا للتعامل مع الأقليات باعتبارها جزءاً من رعايا الدولة.

إن استمرار سيناريو الاضطهاد الديني والمجازر التي يروح ضحيتها يومياً عشرات المسلمين في ميانمار، والنسخة المشوهة للدولة الإسلامية التي يحاول التنظيم الإرهابي داعش إقامتها في الشرق الأوسط على أسس تمييزية ضد مختلف الديانات وحتى بعض المذاهب الإسلامية، والتي ترتب عنها تقتيل آلاف الأبرياء ونزوح آلاف العائلات، بل وحتى ما تشهده الملاعب الرياضية من هتافات عنصرية ضد بعض اللاعبين بسبب العرق أو الدين، كلها أوضاع تستدعي التساؤل عن مدى فاعلية الضمانات القانونية لحماية الأقليات.

ونظراً لأن العالم العربي غير بعيد عن المسار الدولي لحماية حقوق الإنسان بدليل الانضمام لأهم النصوص الدولية الخاصة بالحماية، سواء الحماية العامة في إطار حقوق الإنسان أو الحماية الخاصة في إطار حقوق فئات معينة، يبقى الإشكال مطروحاً بشأن فاعلية الحماية القانونية، وهنا تكون العودة للنصوص الشرعية هي الحل، فبدل الركض وراء إثبات التحضر بتبني سياسات وأنظمة غربية، يكفي الرجوع للقرآن وللوثائق والعهد التي تركها حبيبنا المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام وصحابته الأبرار، حتى تكون الحماية الموفرة للأقليات في العالم الإسلامي حماية كاملة.

-
- 1 - سورة هود، الآيتين: 118-119.
 - 2 - سورة البقرة، آية: 256.
 - 3 - سورة الحجرات، آية: 13.
 - 4 - سورة الإسراء، الآية: 70.
 - 5 - سورة الممتحنة، آية: 09.
 - 6 - وثيقة المدينة.
 - 7 - سورة البقرة، آية: 256.
 - 8 - إن الاعتقاد بأن مصطلح أهل الذمة ينتقص من المواطنة هو اعتقاد خاطئ، ذلك بسبب عدم إدراك المعنى الحقيقي للكلمة، والدليل على اعتبار أهل الذمة من المواطنين ما جاء في وثيقة المدينة التي سنتناولها بالتفصيل لا حقا (أنظر: ص. 29-30 من هذه الأطروحة) باعتبارها أول وثيقة تنظم حماية وحقوق الأقليات في العالم أجمع، ومن بين ما ورد فيها: "... وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وأموالهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم...".
 - 9 - سورة الحجرات، آية: 13.
 - 10 - عطية فياض، فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة، ط1، دار نشر الجامعات، مصر، 1999، 14.
 - 11 - سورة البقرة، آية: 256.
 - 12 - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب لابن منظور، ج. 12، دار صادر، بيروت، 2003، ص. 563.
 - 13 - الشافعي حسين محمد فهمي، الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط2، دار الترجمة للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، بيروت، 2002، ص. 654.
 - 14 - سورة الأنبياء، آية: 24.
 - 15 - سورة الروم، الآيتين: 6-7.
 - 16 - سورة يونس، آية: 36.
 - 17 - سورة الأعراف، آية: 03.
 - 18 - سورة الفرقان، آية: 50.
 - 19 - سورة المائدة، آية: 103، سورة العنكبوت، آية: 63.
 - 20 - نجد تكرر نفس الآية في عدد من السور، مثل قوله تعالى: "ولكن أكثر الناس لا يؤمنون" نجدها في (سورة هود، آية: 17) و(سورة الرعد، آية 01)، وقوله تعالى: "وما كان أكثرهم مؤمنين" تتكرر في سورة الشعراء، الآيات: 67-103-121-139-158-174-190.

-
- 21 - سورة النحل، آية: 83.
- 22 - سورة هود، آية: 40.
- 23 - سورة الواقعة، آية: 10-14.
- 24 - سورة المائدة، آية: 48.
- 25 - سورة الروم، آية: 22.
- 26 - سورة الكهف، آية: 29.
- 27 - سورة يونس، آية: 99.
- 28 - سورة العنكبوت، آية: 46.
- 29 - سورة آل عمران، آية: 64.
- 30 - سورة المائدة، آية: 05.
- 31 - سورة البقرة، آية: 221.
- 32 - سورة المائدة، آية: 05.
- 33 - نذير بولمعلي، حماية الأقليات بين الإسلام والقانون الدولي العام، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2007-2008، ص. 41.
- 34 - أبو الفتح ناصر الدين المطرزي، المغرب في ترتيب المغرب، تر. محمد فاحوري وعبد الحميد مختار، ط1، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1999، ص. 103.
- 35 - الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ج. 2، ط3، دار الفكر، ب.ب.ن، ب.س.ن، ص. 267.
- 36 - أحمد فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، ط1، مطبعة مطابع المدوخل، الدمام، 1995، ص. 75.
- 37 - سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط2، دار الفكر، دمشق، 1988، ص. 137.
- 38 - الشنتاوي ورفاقه، دائرة المعارف الإسلامية، ج. 9، ص. 200-201.
- 39 - محمد بن عبد الله الحسين، الزوائد في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ج. 2، ط2، مطبعة دار لبنان، ص. 354.
- 40 - محمد بن محمد أبي حامد الغزالي، الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي، ج. 2، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، 1317هـ، ص. 198.
- 41 - اختلف الفقهاء فيمن تقبل منه الجزية ويقر ببذلها وبالتالي يصدق عليه اصطلاح الذمي، فقصر الشافعية وابن حزم الظاهري والامامية والحنابلة في الراجح أهل الذمة على اليهود والنصارى والمجوس. أما الحنفية والزيدية ورواية عن أحمد، فقضت بقبول الجزية من جميع الكفار باستثناء عبدة الأوثان من العرب والمترد، أما الرأي الثالث وهو الأوسع فقد اعتبر أن

الجزية تقبل من كل كافر، فيدعى للإسلام فإن أبي فيدفع الجزية وقد قال بهذا الرأي المالكية والأفراحي والثوري وفقهاء الشام. وآخر رأي هو لمالك الذي اعتبر الجزية تقبل من جميع الكفار إلا قریش كونهم أسلموا ومن كفر فقد ارتد. لمزيد من التفاصيل، انظر: نمر محمد خليل نمر، أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ص. 75-93.

42 - سورة التوبة، آية: 10.

43 - الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج. 09، دار الحديث، القاهرة، 2005، ص. 372.

44 - صبحي المحمصاني، القانون والعلاقات الدولية، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1982، ص. 101.

45 - سورة التوبة، آية: 29.

46 - مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، مع. نظر بن محمد الفارابي أبو قتيبة، مع. 02، ط. 01، دار طيبة للنشر، الرياض، السعودية، 2006، ص. 828.

47 - سورة البقرة، آية: 256.

48 - سورة الحجرات، آية: 13.

49 - أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج 17، ط 1، دار الحديث، القاهرة، 1995، ر.ح. 23381، ص. 12؛ وكذلك:

محمد الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج 6، ط 1، مكتبة المعارف، الرياض، 1996، ر.ح. 2700، ص. 449.

50 - سورة الممتحنة، آية: 09.

51 - مروان علي القدومي، حقوق الأقليات في المجتمع الإسلامي وأثره على السلم الاجتماعي، بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة الدولي الثاني بعنوان "السلم الاجتماعي من منظور إسلامي"، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2012، اطلع عليه بتاريخ 2017/06/12، منشور على الرابط:

File.11/f:/الإسلام والأقليات/حقوق الأقليات في المجتمع الإسلامي.pdf

52 - جاء في وثيقة المدينة: "وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وموالاتهم وأنفسهم إلا من ظلم أو أثم فإنه لا يوتخ إلا نفسه وأهل بيته".

53 - أسست وثيقة المدينة للعدل كمبدأ دستوري للحكم، فنجد كلمة "القسط" وهي المعبر بها عن العدل قد تكررت ثمانية مرات في نص الوثيقة، كما نستشف العدل في بنود أخرى من الوثيقة مثل "...على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم"، "...وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين" هذا وقت الحرب، كما ربطت الوثيقة بين المساواة وبين نفي الظلم وإقامة العدل، فلم تجعل من لحق بأهل المدينة من اليهود تابعين خاضعين لمن يتبعونهم ويؤالونهم، بل جعلت منهم طرفاً مساوياً في الحقوق والواجبات، فمما جاء في نصها: "...وانه من تبعنا من يهود فإن له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم". كذلك تم تأكيد أن العدالة التامة مقررة للجميع: "وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وأثم"، "وأنه من

خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم" ففي هاذين النصين أكبر دلالة على المساواة والعدل بحيث أعطي الحكم بغض النظر عن العقيدة أو القبيلة وهو ما يستدل عليه من عبارة "وإن النصر للمظلوم" التي تظهر عظمة الإسلام في إقرار حقوق الإنسان، فسواء كان المظلوم مسلماً أو يهودياً فإن له النصرة ولظالمه العقوبة.

54 - جاء في وثيقة المدينة: "...وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم" ما يعني ضرورة اسداء النصح للأطراف الأخرى من أهل المدينة، وبالمقابل قبول النصيحة منهم، مع الالتزام بالإحسان في التعامل فيما بينهم.

55 - فباعتبار أن الحرب الداخلية أشد خطراً على كيان الدولة من الحروب الخارجية، كون الأخيرة يلتحم فيها أبناء الوطن بعكس الأولى التي تؤدي لتفتيت كيان الدولة، فجاءت أحد البنود تحرم نشوب الحرب داخل الوطن "وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة".

56 - حيث جاء في الوثيقة: "...وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله" وهو دلالة واضحة على توازن العلاقة ووضوح معالمها بين الدولة الإسلامية ومواطنيها غير المسلمين.

57 - ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج.2، مكتبة الصفاء، القاهرة، 2004، ص.323.

58 - ومظاهر حرية الاعتقاد التي كفلهها الميثاق لنصارى نجران كثيرة، منها:

- حرية الحوار الديني: فمما ورد في العهد "ولا تجادلوا (أهل الكتاب) إلا بالتي هي أحسن، ويخفض لهم جناح الرحمة ويكف عنهم أذى المكروه حيثما كانوا وأينما حلوا".

- حرية ممارسة الشعائر الدينية وإقامة المعابد: فجاء في نص العهد "ولا تغيير أسقف عن أسقفية، ولا راهب عن رهبانية، ولا سائح عن سياحته ولا هدم بيت من بيوت بيعهم ولا إدخال شيء من بنائهم في شيء من أبنية المساجد ولا منازل المسلمين".

59 - سورة البقرة، آية: 256.

60 - سورة الكهف، آية: 29.

61 - فنص العهد على واجبات الطرفين على التعاون من أجل الدفاع المشترك عن بعضهم البعض، فجاء فيه: "إن أكرم أحد من النصارى أو جنى جناية، فعلى المسلمين نصره، والمنع والذب عنه، والغرم على جريته، والدخول في الصلح بينه وبين من جنى عليه، فإما من عليه، أو يفادى به، ولا يرفضوا ولا يخاذلوا ويتكروا هملاً".

62 - فنُص في العهد: "ولهم إن احتاجوا في مرة بيعهم وصوامعهم أو شيء من مصالح أمورهم ودينهم إلى ردف من المسلمين وتقوية لهم على مرمته، أن يرفدوا على ذلك ويعاونوا، ولا يكون ذلك ديناً عليهم، بل تقوية لهم على مصلحة دينهم".

63 - صهيب مصطفى آميدي، التحالفات السياسية في العصر الحديث من المنظور الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1989، ص.115.

- ⁶⁴ - المرجع نفسه، ص. 118-119.
- ⁶⁵ - أحمد علي الإمام، تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في مجتمع تتعدد فيه الملل والثقافات، اطلع عليه بتاريخ 2016/06/17، منشور على موقع المكتبة الإسلامية:
http://Library-islamweb.net/newlibrary/display_umma?Lang:&BahId=3&ChapterId=2468&catId=0&startro=0
- ⁶⁶ - المرجع نفسه.
- ⁶⁷ - صهيب مصطفى آميدي، المرجع السابق، ص. 126.
- ⁶⁸ - المرجع نفسه، ص. 125.
- ⁶⁹ - من أمثلة هذه المعاهدات: معاهدة خالد بن الوليد لأهل الحيرة وبانقيا وباروسما وألّيس وبلاد عانات، ومعاهدة النعمان مع أهل ماه بمراذان، ومعاهدة حذيفة مع أهل ماه دينار، ومعاهدة نُعيم بن مقرن مع أهل دنباوند وأهل قومس وأهل جرجان... الخ، لمزيد من التفاصيل، أنظر: محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ط6، دار النفائس، ب.ب.ن، 1987، ص. 379 وما بعدها.
- ⁷⁰ - إن روح التسامح التي كفلها الإسلام كانت الأساس فيما اعترف به للأقليات غير المسلمة من حقوق، ذلك أنها تتعلق بسلوكيات وقيم لا يغني فيها قانون ولا قضاء كحسن الجوار والتعامل والإحسان، ومن أبرز الأمثلة على ذلك دفع الشبهة عن الإنفاق على غير المسلمين من جيران أو أصحاب أو أهل في قوله تعالى: "ليس عليكم هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله" -سورة البقرة، آية: 272.
- ⁷¹ - نذير بولمعلي، المرجع السابق، ص. 188.
- ⁷² -سورة البقرة، آية: 256.
- ⁷³ -سورة يونس، آية: 99.
- ⁷⁴ - نادية أبو زاهر، الحق في تغيير الدين بين الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية والإقليمية لحقوق الإنسان، اطلع عليه بتاريخ 2016/11/04، متاح على الرابط:
www.maaber.org/issue_june10/spotlights1.htm
- ⁷⁵ - سمير الجراح، الإسلام والإعلان العالمي لحقوق الإنسان "قراءات في الإسلام والديمقراطية"، مركز دراسات الإسلام والديمقراطية، واشنطن، 2007، ص. 08.
- ⁷⁶ - الردة في اللغة وردت بمعاني كثيرة منها: الردة مصدره رده يرده من الارتداد، والردة عن الإسلام أي الرجوع عنه، ومنها عدم القبول: رد الشيء عليه إذا لم يقبله. لمزيد من التفاصيل، أنظر: جبر محمود الفضيلات، أحكام الردة المرتدين، الدار العربية، عمان، 1987، ص. 15.

ونفس الأمر بالنسبة للمعنى الاصطلاحي الذي تتعدد فيه المعاني، ومنها كفر المسلم بقول أو فعل يخرج عنه الإسلام. لمزيد من التفاصيل، انظر: نعمان عبد الرزاق، أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987، ص.43.

77 - سورة البقرة، آية: 217.

78 - مأخوذ من: عز الدين بليق، منهاج الصالحين، ط2، دار الفتح، بيروت، 1982، ص.600.

79 - عبد السلام ياسين، الشورى والديمقراطية، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2003، ص.142-143.

80 - سورة البلد، آية: 10.

81 - سورة الإنسان، آية: 03.

82 - سورة الكافرون، آية: 06.

83 - سورة الحج، آية: 40.

84 - الأمصار هي الأراضي التي تكون ملكاً للمسلمين، ويكون المسلمون قد خصصوها لإظهار شعائر الإسلام التي تقام فيها الجمع والأعياد والحدود.

85 - أبو الأعلى المودود، حقوق أهل الذمة "كتاب المختار"، دون بلد نشر، دون سنة نشر، ص.21-22.

86 - أحمد الرشيد، حقوق الإنسان: دراسة مقارنة في النظرية والتطبيق، ط1، مكتبة الشروق الدولية، 2003، ص.138.

87 - سورة النساء، آية: 93.

88 - سورة المائدة، آية: 32.

89 - سورة المائدة، آية: 45.

90 - سورة النساء، آية: 29.

91 - سورة التوبة، آية: 29.

92 - سورة التوبة، آية: 06.

93 - فهد محمد علي المسعود، حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية وحمايتهم الجزائية وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، مذكرة ماجستير في قسم العدالة الجنائية، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2003، ص.79.

94 - مسند الإمام أحمد، بتحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، 474/38، رقم الحديث 23489.

95 - سنن أبو داود، تحقيق محي الدين عبد الحميد 170/3، رقم الحديث 3052.

96 - صحيح البخاري 99/4، رقم الحديث 3166.

- ⁹⁷ - هشام قريسة، الحقوق المدنية للذميين من أهل الكتاب من خلال الفقه الإسلامي، منشور على الموقع: <http://www.alhiwartoday.net/node/1399>
- ⁹⁸ - سورة المائدة، آية: 41.
- ⁹⁹ - هشام قريسة، المرجع السابق.
- ¹⁰⁰ - المرجع نفسه، ص. 15.
- ¹⁰¹ - يستدل على ذلك مما ورد في الصحيحين عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم"، وكذا ما رواه جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يتوارث أهل ملتين".
- ¹⁰² - عبد الرزاق السنهوري وأحمد حشمت أبو ستيت، أصول القوانين أو المدخل لدراسة القانون، دار النهضة العربية، القاهرة، ب.س.ن، ص. 262.
- ¹⁰³ - محمود جمال الدين زكي، مقدمة الدراسات القانونية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995، ص. 265.
- ¹⁰⁴ - علي محمد صالح الدباس وعلي عليان محمد أبو زيد، حقوق الإنسان وحرياته، دار الثقافة، عمان، 2005، ص. 106.
- ¹⁰⁵ - سعد الدين مسعد هلال، الجديد في الفقه السياسي المعاصر، ط1، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 2011، ص. 331.
- ¹⁰⁶ - سورة آل عمران، آية: 118.
- ¹⁰⁷ - في السيرة النبوية ما يؤكد ذلك، من أمثلتها ما جاء في كتب السيرة بصدد معركة بدر، فجعل النبي فداء الأسرى المشركين الذين لا يملكون المال هو تعليم أولاد الأنصار الكتابة، ومن الأمثلة كذلك استعانة الرسول صلى الله عليه وسلم بأحد الكفار من خزاعة ليكون عيناً منه يخبره عن قريش؛ لمزيد من التفاصيل أنظر: عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مؤسسة الرسالة للنشر، العراق، 1982، ص. 79-80.
- ¹⁰⁸ - رضوان زيادة، حرية الرأي والتعبير وتطور المجتمع، في: الأديان وحرية التعبير: إشكالية الحرية في مجتمعات مختلفة، سلسلة مناظرات حقوق الإنسان (10)، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2007، ص. 16.
- ¹⁰⁹ - مرفت رشماوي، الحق في حرية الرأي والتعبير: بعض الجوانب الهامة من منطلق القانون الدولي، مجلة موارد صادرة عن منظمة العفو الدولية برنامج الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ربيع 2011، ص. 20.
- ¹¹⁰ - أحمد الرشيد، حقوق الإنسان: دراسة مقارنة في النظرية والتطبيق، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2003، ص. 143.
- ¹¹¹ - المرجع نفسه، ص. 22.

- ¹¹² - استنادا للآية 08 من سورة الممتحنة.
- ¹¹³ - صحيح مسلم بشرح النووي، ج3، الحديث رقم 1459.
- ¹¹⁴ - Mary DALY, Rapport sur l'accès aux droits sociaux en Europe Queen's University, Belfast, Strasbourg, 28-30 mai 2002, p.31.
- ¹¹⁵ - Thomas DUBUT, Les droits sociaux fondamentaux dans la jurisprudence financière du conseil constitutionnel Athènes, 11-15 juin 2007, p.2-3.
- ¹¹⁶ - سورة الممتحنة، آية: 01.
- ¹¹⁷ - سورة الممتحنة، آية: 08.
- ¹¹⁸ - يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، 1992، ص.09.
- ¹¹⁹ - فهد محمد علي المسعود، حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية وحمايتهم الجزائية وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، مذكرة ماجستير قسم العدالة الجنائية، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2003، ص.95.
- ¹²⁰ - التقرير الصادر عن اللجنة الفرعية لمنع التمييز وحماية الأقليات التابعة للأمم المتحدة لحقوق الإنسان والمؤرخ في ديسمبر 1978، وثائق الأمم المتحدة، ص.29.
- ¹²¹ - عمر إسماعيل سعد الله، مدخل القانون الدولي في حقوق الإنسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص.65.
- قائمة المصادر والمراجع:**
- 1-الكتب:**
- باللغة العربية:**
- 1- ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج.2، مكتبة الصفا، القاهرة، 2004.
- 2- أبو الأعلى المودود، حقوق أهل الذمة "كتاب المختار"، دون بلد نشر، د.س.ن.
- 3- أحمد الرشيد، حقوق الإنسان: دراسة مقارنة في النظرية والتطبيق، ط1، مكتبة الشروق الدولية، 2003.
- 4- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج17، ط1، ر.ح.23381، دار الحديث، القاهرة، 1995.
- 5- أحمد فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، ط1، مطبعة مطابع المدوخل، الدمام، 1995.
- 6- الشافعي حسين محمد فهمي، الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ط2، دار الترجمة للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، بيروت، 2002.
- 7- الشنتاوي ورفاقه، دائرة المعارف الإسلامية، ج.9.

- 8- الطاهر أحمد الزاوي، ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة، ج.2، ط3، دار الفكر، ب.ب.ن، ب.س.ن.
- 9- الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج.9، دار الحديث، القاهرة، 2005.
- 10- جبر محمود الفضليات، أحكام الردة والمرتين، الدار العربية، عمان، 1987.
- 11- رضوان زيادة، حرية الرأي والتعبير وتطور المجتمع، في: الأديان وحرية التعبير: إشكالية الحرية في مجتمعات مختلفة، سلسلة مناظرات حقوق الإنسان (10)، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، 2007.
- 12- سعد الدين مسعد هلال، الجديد في الفقه السياسي المعاصر، ط1، مكتبة وهبة للطباعة والنشر.
- 13- سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحاً، ط2، دار الفكر، دمشق، 1988.
- 14- سمير الجراح، الإسلام والإعلان العالمي لحقوق الإنسان "قراءات في الإسلام والديمقراطية"، مركز دراسات الإسلام والديمقراطية، واشنطن، 2007.
- 15- سنن أبو داود، تحقيق محي الدين عبد الحميد 170/3، رقم الحديث 3052.
- 16- صبحي الحمصاني، القانون والعلاقات الدولية، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1982.
- 17- صحيح البخاري 99/4، رقم الحديث 3166.
- 18- صحيح مسلم بشرح النووي، ج3، الحديث رقم 1459.
- 19- صهيب مصطفى آميدي، التحالفات السياسية في العصر الحديث من المنظور الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1989.
- 20- عبد الرزاق السنهوري وأحمد حشمت أبو ستيت، أصول القوانين أو المدخل لدراسة القانون، دار النهضة العربية، القاهرة، ب.س.ن.
- 21- عبد السلام ياسين، الشورى والديمقراطية، ط1، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 2003.
- 22- عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، مؤسسة الرسالة للنشر، العراق، 1982.
- 23- عز الدين بليق، منهاج الصالحين، ط2، دار الفتحة، بيروت، 1982.
- 24- عطية فياض، فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة، ط1، دار نشر الجامعات، مصر، 1999.
- 25- علي محمد صالح الدباس وعلي عليان محمد أبو زيد، حقوق الإنسان وحرياته، دار الثقافة، عمان، 2005.
- 26- عمر إسماعيل سعد الله، مدخل القانون الدولي في حقوق الإنسان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.
- 27- فهد محمد علي المسعود، حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية وحمايتها الجزائية وتطبيقاتها في المملكة العربية السعودية، مذكرة ماجستير في قسم العدالة الجنائية، كلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2003.
- 28- محمد الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج6، ط1، ر.ح. 2700، مكتبة المعارف، الرياض، 1996.

- 29- محمد بن عبد الله الحسين، الزوائد في فقه الامام أحمد بن حنبل الشيباني، ج2، ط2، مطبعة دار لبنان، ب.س.ن.
- 30- محمد بن محمد أبي حامد الغزالي، الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي، ج2، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، 1317هـ.
- 31- محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، ط6، دار النفائس، ب.ب.ن، 1987.
- 32- محمود جمال الدين زكي، مقدمة الدراسات القانونية، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995.
- 33- مرفت رشماوي، الحق في حرية الرأي والتعبير: بعض الجوانب الهامة من منطلق القانون الدولي، مجلة موارد صادرة عن منظمة العفو الدولية برنامج الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، ربيع 2011.
- 34- مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، مع. نظر بن محمد الفارابي أبو قتيبة، مج.02، ط.01، دار طيبة للنشر، الرياض، السعودية، 2006.
- 35- مسند الإمام أحمد، بتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين، 474/38، رقم الحديث 23489.
- 36- نذير بولعالي، حماية الأقليات بين الإسلام والقانون الدولي العام، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر، السنة الجامعية: 2007-2008.
- 37- نعمان عبد الرزاق، أحكام المرتد في الشريعة الإسلامية، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1987.
- 38- نمر محمد خليل نمر، أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلامي، المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، ب.س.ن.
- 39- يوسف القرضاوي، غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ط3، مكتبة وهبة، القاهرة، 1992.
- باللغة الأجنبية:

- 1 - Mary DALY, Rapport sur l'accès aux droits sociaux en Europe Queen's University, Belfast, Strasbourg, 28-30 mai 2002.
- 2 - Thomas DUBUT, Les droits sociaux fondamentaux dans la jurisprudence financière du conseil constitutionnel Athènes, 11-15 juin 2007.

2-المقالات:

- 1 - أحمد علي الإمام، تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في مجتمع متعدد فيه الملل والثقافات، اطلع عليه بتاريخ 2016/06/17، منشور على موقع المكتبة الإسلامية:

http://Library-islamweb.net/newlibrary/display_umma?Lang=&BahId=3&ChapterId=2468&catId=0&startro=0

-
- 2- مروان علي القدومي، حقوق الأقليات في المجتمع الإسلامي وأثره على السلم الاجتماعي، بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة الدولي الثاني بعنوان "السلم الاجتماعي من منظور إسلامي"، كلية الشريعة، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2012، اطلع عليه بتاريخ 2017/06/12، منشور على الرابط: File.11/f:/الإسلام والأقليات/حقوق الأقليات في المجتمع الإسلامي.pdf.
- 3 -نادية أبو زاهر، الحق في تغيير الدين بين الشريعة الإسلامية والمواثيق الدولية والإقليمية لحقوق الإنسان، اطلع عليه بتاريخ 2016/11/04، متاح على الرابط: www.maaber.org/issue_june10/spotlights1.htm.
- 4-هشام قريسة، الحقوق المدنية للذميين من أهل الكتاب من خلال الفقه الإسلامي، منشور على الموقع : <http://www.alhiwartoday.net/node/1399>

واقع تدبير الهجرة غير النظامية بالمغرب

د. محمد علالي، طالب باحث دكتوراه، تكوين: حقوق الإنسان في الشريعة والقانون، مختبر: الدراسات الفقهية والقضائية وحقوق الإنسان، كلية الشريعة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، المغرب.

mohamed.allali.05@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/05/11 م تاريخ التحكيم: 2021/06/03 تاريخ النشر: 2021/06/15
الملخص بالعربية:

ظلت الهجرة على امتداد التاريخ الإنساني تستجيب لتطلعات الأفراد في مناطق مختلفة من العالم نحو تطوير حياتهم وتغيير ظروف عيشهم لحياة أفضل.

وعلى الرغم من أن حرية التنقل تدرج ضمن أهم الحقوق المتاحة للأفراد بمقتضى الدساتير والاتفاقيات والمواثيق الدولية المرتبطة بحقوق الإنسان؛ حيث تؤكد المادة 13 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على أنه " لكل فرد أن يغادر أية بلد بما في ذلك بلده كما يحق له العودة إليه ".

غير أنه نتيجة لمجموعة من الظروف والعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية تحولت ظاهرة الهجرة في عصرنا الحالي إلى معضلة ألفت بظلالها وتداعياتها على الدول سواء بالنسبة للدول المصدرة أو المستقبلية.

ومن جانبها تحول المغرب تحت ضغط المتغيرات الإقليمية والدولية في العقود الأخيرة، من بلد مصدر للهجرة إلى بلد الاستقبال، في هذا السياق راكم جهود مهمة على مستوى التعاطي مع الظاهرة سواء تعلق الأمر بتطوير منظومته القانونية واستحضارها ضمن السياسات العمومية أو من حيث الانخراط في تنسيقيات أو تدابير إقليمية ودولية في هذا الصدد.

وإذا من المتفق عليه أن معالجة أي ظاهرة إنسانية يعتمد على سن مقارنة معينة فإن ما يهمنا في هذا المقال هو التطرق للمقاربة المغربية من خلال الوقوف والتمعن في كيفية مساهمة الدولة المغربية في مكافحة ظاهرة الهجرة غير النظامية؟ وهل تعتبر القوانين ذات الصلة امتداد للمعاهدات الدولية المتعلقة بالهجرة غير النظامية بالمغرب؟

إن طرح الإشكالية أعلاه يستدعي استحضار التدابير التشريعية لمعالجة ظاهرة الهجرة غير النظامية وتحديد مدى ملائمة تلك التدابير التشريعية للشروط الدولية الخاصة بسياسة المغرب في مكافحة الهجرة غير النظامية؟

وتجدر الإشارة إلى أن تفاعل المغرب مع هذه التحولات الإقليمية والدولية في مجال الهجرة غير النظامية أملى على المغرب اتباع سياسة رشيدة تأخذ بعين الاعتبار دمج المهاجرين وفق مرتكزات تستمد مرجعيتها من القانون الدولي لحقوق الإنسان وتؤطرها رؤية رائدة في القارة الإفريقية تستجيب لنموذج التعاون جنوب - جنوب.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، تدبير الهجرة غير النظامية بالمغرب.

The reality of managing irregular migration in Morocco
Allali mohamed PhD research student، Training: Human Rights in
Sharia and Law، Lab: Jurisprudence، Judicial and Human Rights
Studies، Faculty of Sharia، University of Sidi Mohamed Ben Abdallah،
Fez، Morocco.
mohamed.allali.05@gmail.com

Abstract :

Migration has been throughout human history responding to the aspirations of individuals in different regions of the world towards developing their lives and changing their living conditions for a better life.

Although freedom of movement is among the most important rights available to individuals according to international constitutions، conventions and covenants related to human rights; Article 13 of the Universal Declaration of Human Rights affirms that "everyone has the right to leave any country، including his own، and he has the right to return to it."

However، as a result of a set of political، social، economic and cultural circumstances and factors، the phenomenon of migration has transformed in our current era into a dilemma that casts its shadow and repercussions on countries، whether for the exporting or receiving countries.

For its part، Morocco has transformed under the pressure of regional and international changes in recent decades، from a source country of immigration to the country of reception. In this context، it has accumulated important efforts at the level of dealing with the phenomenon، whether it is related to developing its legal system and invoking it within public policies or in terms of engaging in coordination or measures Regional and international in this regard.

And if it is agreed that the treatment of any human phenomenon depends on the enactment of a specific approach، what is important to us in this article is to address the Moroccan approach by standing and reflecting on how the Moroccan state contributes to combating the phenomenon of irregular migration? Are the relevant laws an extension of international treaties on irregular migration in Morocco?

The presentation of the above problem calls for the invocation of legislative measures to address the phenomenon of irregular migration، specifically the extent to which these legislative measures are appropriate to the international conditions of Morocco's policy in combating irregular migration?

It should be noted that Morocco's interaction with these regional and international shifts in the field of irregular migration dictated that Morocco follow a rational policy that takes into account the integration of migrants according to foundations that derive their reference from international human rights law and are framed by a pioneering vision on the African continent that responds to the South-South cooperation model.

Keywords : Immigration، Moroccan politics، combating irregular migration.

مقدمة

ظلت الهجرة على امتداد التاريخ الإنساني تستجيب لتطلعات الأفراد في مناطق مختلفة من العالم، رغبة في التغلب على الظروف الصعبة والهروب من الفقر، وبدء حياة جديدة قد توفر له الحق في العيش الكريم.

والهجرة ليست بظاهرة جديدة بل ارتبطت بوجود الإنسان على الأرض ولازمته منذ قرون وأجيال، فهي تشكل جزءاً أساسياً من تاريخ البشرية فلا منطقة ولا بلد في العالم لم يتأثر بالهجرة وتداعياتها¹، والحقيقة هي ظاهرة تاريخية ساهمت بشكل كبير في إعمار الأرض، وهي تلعب دوراً مهماً في تلاقي مجموعات بشرية متنوعة الثقافات.

فالهجرة انتقلت من حق لصيق بالإنسان كونه في حاجة مستمرة إلى التنقل والترحال، ومن ظاهرة سوسولوجية إلى ظاهرة أخذت أبعاداً دولية خطيرة على المجتمعات سواء المصدرة أو المستقبلة لها، وأصبحت بذلك الهاجس الذي يهدد استقرارها وأمنها الداخلي، لما ينتج عنها من تداعيات وخيمة لا تقل خطورة عن جرائم الاتجار بالمخدرات والأسلحة وحتى الإرهاب، وهذا بعد أن أخذت أشكالاً وصوراً أخرى غير التي كانت عليه وعرفت به .

تطورت هذه الظاهرة منذ الحرب العالمية الثانية واتخذت معالم أخرى، فبعد سياسة فتح الحدود التي انتهجتها دول أوربا أمام تدفقات المهاجرين الذين كانت بحاجة ماسة إليهم كدفع بشري أثناء الحرب العالمية الأولى، وكأيدي عاملة بغية إصلاح ما خربته الحروب وتعويض الخسائر التي لحقتها خاصة من الناحية الاقتصادية، وإعمار مدنها وزيادة سكانها على اعتبار أن المهاجرين يعدون العنصر الأساسي في النسيج الاقتصادي والثقافي والاجتماعي. وبعد أن حققت هذه الدول أهدافها وحسنت اقتصادها، رأت

من الضروري تخفيف الضغط الذي خلفته هذه الحشود المستمرة من المهاجرين والحد من هذه التدفقات المستمرة أو التخلص منها نهائياً، بعدما أصبح الأمر يتعلق بإلحاق عائلات هؤلاء المهاجرين، مما استدعى تشديد القوانين ووضع معايير معقدة في مجال إلحاق عائلاتهم، مما جعل هؤلاء يلجؤون إلى طرق غير مشروعة لبلوغ هذه الأراضي، فظهرت الهجرة غير النظامية في شكل محاولات فردية أو عدد من الأشخاص يحاولون الدخول إلى أراضي دولة غير دولتهم بطرق تتنافى مع تشريعاتهم الداخلية عبر منافذ وطرق غير قانونية، أو عن طريق الدخول بطريقة قانونية إلى ذلك البلد والبقاء فيه حتى بعد انتهاء المدة المقررة قانوناً، كالذي يحدث مع الطلبة والموظفين الذين تنتهي مدة إقامتهم ودراساتهم فيفضلون البقاء بطريقة غير شرعية بنية الاستقرار النهائي.

وتكمن أهمية الموضوع في كون ظاهرة الهجرة غير النظامية بصفة عامة كانت ولا تزال تطرح تحديات أمنية وسياسية واقتصادية واجتماعية، سواء على الدول المستقبلية للمهاجرين غير الشرعيين أو تلك التي يعبر منها هؤلاء من جهة، كما تطرح من جهة ثانية تحديات إنسانية وحقوقية بالنسبة للمهاجرين، بالإضافة إلى أن هذه المداخلة تسلط الضوء على إحدى أهم الظواهر المعاصرة المتمثلة في الهجرة غير النظامية، وما يواجهه المغرب خلال السنوات الأخيرة من مشكلات أمنية جديدة عابرة للحدود، ولاسيما ما يرتبط منها بتدفقات الهجرة غير النظامية ومختلف أنواع تهريب البشر، وفي ظل التوجه العالمي نحو العولمة الاقتصادية وتحرير قيود التجارة الدولية مع ما يفرضه ذلك من فتح الحدود وتخفيف القيود على حركة السلع ورؤوس الأموال وما ينتج عن ذلك من آثار اقتصادية واجتماعية على الدول النامية والفقيرة مع هذه الانعكاسات السلبية ساهمت بشكل كبير في زيادة وتيرة الهجرة غير الشرعية نحو الدول المتقدمة بغية العيش في ظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية أفضل.

وإذا كان من المتفق عليه أن معالجة أي ظاهرة إنسانية يعتمد على سن مقارنة معينة فإن ما يهمنا في هذه المداخلة هو التطرق للمقاربة المغربية من خلال الوقوف والتمعن في كيفية مساهمة الدولة المغربية في مكافحة ظاهرة الهجرة غير النظامية في النسق الدولي وخاصة أن المغرب يتفاعل مع هذه التحولات الإقليمية والدولية في مجال مرجعيتها من القانون الدولي لحقوق الإنسان، وتؤطرها رؤية رائدة في

القارة الإفريقية تستجيب لنموذج جنوب-جنوب. وهل تعتبر القوانين ذات الصلة امتدادا للمعاهدات والاتفاقيات الدولية المتعلقة بالهجرة غير النظامية بالمغرب؟

إن طرح الإشكال أعلاه يستدعي استحضار التدابير التشريعية لمعالجة ظاهرة الهجرة غير الشرعية، وتحديد مدى ملائمة تلك التدابير التشريعية للشروط الدولية الخاصة بسياسة المغرب في مكافحة الهجرة غير القانونية؟

المبحث الأول: الإطار القانوني للهجرة غير النظامية بالمغرب

عرفت ظاهرة الهجرة غير النظامية انطلاقا من التراب الوطني تناميا مضطردا في غضون السنوات الأخيرة، حيث ارتفع بشكل ملحوظ عدد من اضطروا إلى مغادرة أوطانهم الأصلية بمختلف الطرق والأساليب² والتي تسببت فيها عدة عوامل اجتماعية واقتصادية أصبحت تجد التشجيع والسند في وجود شبكات للتهريب والتزوير المنظمة التي تتحكم فيها العصابات الإجرامية.

إن التشديد الواضح الذي أصبحت تبديه القوانين والتشريعات الأوربية المتعلقة بالهجرة، وارتفاع عدد المهاجرين غير النظاميين، بالإضافة إلى تنامي شبكات التهريب المخصصة في هذا المجال أصبح يطرح على كافة الدول إيجاد أنجع السبل لإيقاف هذا النزيف ومحاربه.

ومن خلال ما سبق، أصبحت معالجة هذه الظاهرة تتطلب علاوة على التنسيق الثنائي والجهوي والدولي، تضافر الجهود على الصعيد الوطني لمحاربة هذه الظاهرة. فعبور الأجانب الحدود المغربية بشكل غير قانوني دون احترام القوانين المنظمة لدخول وإقامة الأجانب، يشكل خطرا ويهدد أمن البلاد، هذا بالإضافة إلى كل ما يترتب عن ذلك من جرائم كالجرائم المتعلقة بالاتجار بالبشر، ومن أجل الحفاظ على أمن الدولة والمواطنين بادر المغرب إلى سن نصوص قانونية صارمة لتنظيم ظاهرة الهجرة والحد من أثارها السلبية على سيادة الدولة³. حيث أصبحت الهجرة غير النظامية تهدد أمن واستقرار المغرب، وبحكم موقعه أصبح مستهدفا من قبل شبكات الاتجار في البشر.

المطلب الأول: المبادرات الملكية

يتجلى الدور الذي يلعبه الملك في وضع السياسة الخارجية للمغرب ومنها مجال الهجرة، في الوسائل التي يستعملها وكذا الوظائف التي يعطيها لهذه السياسة، سواء في الفكرة أو في التطبيق⁴ من خلال مجموعة من

الأنماط السلوكية التي يتم القيام بها أو من خلال ترأسه اجتماعات المجلس الوزاري والتي تطرح فيه كل الوسائل التي تهم السياسة العامة للدولة خاصة فيما يتعلق بتوجيه وصنع هذه السياسة بصفة عامة وفي مجال الهجرة بصفة خاصة.

وفي إطار الاهتمام الملكي بقضية الهجرة، فإن ذلك يتمظهر من خلال مجموعة من المبادرات التي تصنع السياسة الخارجية وخاصة تدبير ملف الهجرة غير النظامية على اعتبار أنها ظاهرة تربط المغرب بالخارج، فهي مجموعة القرارات والتوجهات العامة الغاية منها إعطاء بدائل واقعية تعالج الهجرة.

ومن خلال استقراء الخطب الملكية يتبين أن للملك دور هام في معالجة ظاهرة الهجرة بشكل عام والهجرة غير النظامية بشكل خاص، كما أكد على ذلك خطاب قمة برشلونة " تعد مصدر انشغال متزايد ومشترك، لذلك نعتقد أنه آن الأوان لفتح المجال أمام نقاش جاد ومسؤول من أجل إبراز الأسباب العميقة الكامنة وراء استفحال ظاهرة الهجرة غير الشرعية، والتطرق لمختلف الجوانب والرهانات التي ترتبط بها... لهذا النقاش ان يأخذ في الاعتبار واجب التضامن على الصعيد الإقليمي، وضرورة ضمان الأمن الجماعي والتحكم في دينامية الهجرة القانونية التي لها دوافعها الموضوعية، وأن المغرب الذي أصبح بممر السنين نقطة عبور للمهاجرين نحو أوروبا، ليشيد باعتماد المقاربة التي احترامها بمعية كل من فرنسا وإسبانيا في الإطار الأورومتوسطي⁵، وهي نفس الرؤية التي تضمنها خطاب جلالته بمناسبة القمة الثالثة والعشرين لقادة دول إفريقيا وفرنسا التي انعقدت بيمكو في دجنبر من نفس السنة حيث أكد على أن " معالجة إشكالية الهجرة ينبغي ان تتم في إطار شمولي ومتعدد الأبعاد لا ينحصر في الجانب الأمني وحده، بل أن يأخذ بعين الاعتبار على وجه الخصوص، انشغالاتنا المشتركة بشأن التنمية الاقتصادية والاجتماعية"⁶. في هذا الصدد تم التأكيد على أن "... العلاقات المتميزة التي تجمع المغرب بدول إفريقيا جنوب الصحراء، ليست سياسية واقتصادية فقط، وإنما هي في العمق روابط إنسانية وروحية عريقة.... ولأن إشكالية الهجرة تهم كل الدول والشعوب، فإننا نناشد المنتظم الدولي للانخراط القوي في معالجة هذه الظاهرة، لتفادي ما تسببه من كوارث إنسانية..."⁷، كما أنه أكد على البعد التشاركي في مكافحة الهجرة غير النظامية بمناسبة قمة خمسة + خمسة المنعقدة بتونس "... سبلنا لتجاوز العديد من المشكلات

الناجمة عن الظروف الاقتصادية وانعكاساتها السلبية ... التي لا يمكن لبلد بمفرده، ولا لضفة دون الأخرى التغلب عليها "8.

من خلال تحليل مضامين الخطاب الملكية يتضح جليا أنه هناك إرادة حقيقية للتعاون المشترك في مجال الهجرة غير النظامية والتي عرف تطورا كبيرا خلال السنوات الأخيرة هذا بالإضافة إلى الموقع الاستراتيجي للمغرب على المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط الذي شكل على الدوام واجهة مفتوحة على أوروبا. كما يشكل ترأس الملك للمجلس الوزاري شكلا آخر من أنماط سلوك المؤسسة الملكية، فيما يتعلق بتوجيه وصنع السياسة الخارجية للمغرب ومنها مجال السياسة الخارجية للهجرة، فهو يتداول في التوجهات الإستراتيجية لسياسة الدولة في تدبير ملف الهجرة من خلال الاطلاع والإحاطة بجميع القرارات التي تتخذها الحكومة من خلال إعطاء التوجيهات والتعليمات في هذا الصدد. انسجاما مع هذا السلوك اختار المغرب المقاربة الشاملة ذات البعد الإنساني مستندة إلى القانون الدولي بمبادئه الأساسية، فكان من مخرجات هذه المقاربة تسوية ملفات الآلاف من المهاجرين الأفارقة والتي تشير المعطيات أنها وصلت إلى حدود 50 ألف مهاجر ما بين سنة 2014 حتى نهاية 2017 مشكلة معطى إيجابي للمملكة المغربية في مجال التنمية⁹.

المطلب الثاني: التدابير التشريعية

يرى جون لوك -1704-1632 على أن السلطة العليا هي السلطة التشريعية، والمهم صنع القوانين، وإن امتيازات السلطة التنفيذية محدد بشكل أكثر وضوح. أنها سلطة ممنوحة للأمير كي يرفع المصلحة العامة، في الأحوال المتعلقة بالظروف غير المتوقعة وغير المحددة والتي لا يمكن من جزاء ذلك تسويتها تماما بقوانين محددة وجامدة¹⁰.

وتجلى التدابير التشريعية التي سلكتها المملكة المغربية في سياسة تدبير الهجرة غير النظامية في التعديلات التي طالت القوانين المنظمة للهجرة سابقا، حيث تم تعديل ظهير 1949 المنظم للهجرة في عهد الحماية، فلم يعد يتمشى مع التطورات الآتية التي عرفت ظاهرة الهجرة غير النظامية. مما استدعى سن تشريع جديد يواكب هذه الظاهرة. فتم إصدار القانون رقم 02-03 المنظم للهجرة وإقامة الأجانب بالمغرب،

حيث نص على نصوص تشريعية صريحة تحارب ظاهرة الهجرة غير النظامية، والتي تؤكد حرص المغرب على احترام علاقته بدول الجوار في إطار مناخ يسوده التفاهم والانفتاح المتبادل. ومن خلال القانون 02-03 يستشف أن للمشرع المغربي الإرادة القوية في محاربة ظاهرة الهجرة غير النظامية والتي تتجلى فيما يلي:

1. المقتضيات التشريعية التي تعاقب على جرائم الهجرة غير النظامية:

يتضح جليا أن المشرع المغربي عازم على تجريم الهجرة غير النظامية، من خلال معاقبته بالحبس والغرامة المالية على كل شخص دخل أو غادر التراب الوطني بطريقة سرية أو غير قانونية أو قدم مساعدة أو عوناً لشخص آخر من أجل نفس الغاية سواء كان هذا الشخص يضطلع بمهمة قيادة قوة عمومية أو كان ينتمي إليها أو كان مكلفاً بمهمة المراقبة أو كان من المسؤولين أو الأعوان أو المستخدمين العاملين في النقل البري أو البحري أو الجوي أو أي وسيلة أخرى من وسائل النقل أيا كان الغرض من استعمال هذه الوسائل¹¹، كما يعاقب القانون 02-03 بالحبس والغرامة لكل شخص نظم أو سهل دخول أشخاص مغاربة أو أجانب بصفة سرية إلى التراب الوطني أو خروجهم منه بإحدى الوسائل المشار إليها أعلاه سواء كان ذلك مجانياً أو بعوض بل شدد في العقوبة من الحبس إلى السجن والغرامة إذا ارتكبت تلك الأفعال بصفة اعتيادية أو طرف من طرف عصابة أو بناء على اتفاق مسبق، وتصل العقوبة إلى السجن المؤبد إذا أدت تلك الأفعال إلى الموت، كما أنه خول للمحكمة إمكانية مصادرة وسائل النقل المستعملة في ارتكاب الهجرة السرية أيا كان نوعها، وكذا الأمر بنشر قرارات الإدانة بالجرائد التي تحددها بكيفية صريحة¹².

وتختص المحاكم المغربية بالنظر في أية جريمة منصوص عليها في هذا القانون أيا كان مكان ارتكابها في الوطن أو خارجه وبغض النظر عن جنسية مقتريها.

وباستقراء الفصل الأول من هذا القانون يستشف أنها متوقفة على عدم مخالفتها للاتفاقيات الدولية ذات الصلة والتي صادق عليها المغرب، وهذا يعكس الالتزام الدولي للمغرب في علاقته مع دول الجوار والمنظمات الدولية التي تعنى بشؤون الهجرة، بالرغم من الانتقادات التي وجهت له من طرف مجموعة من

الجمعيات التي تهتم بالدفاع عن حقوق المهاجرين حيث أكدت على ضرورة فصل الإشكاليات بين ما هو متعلق بالهجرة عن الأعمال الإرهابية¹³.

كما تعززت المنظومة التشريعية بالمغرب بصدور القانون 14-27 المتعلق بمكافحة الاتجار بالبشر تماشيا مع الاتفاقيات الدولية التي جعلها دستور 2011 تسمو على القانون الوطني، خاصة اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة عبر الوطنية لسنة 2000. بناء على هذا فقد أولت الدولة المغربية اهتماما كبيرا في مكافحة هذه الجريمة من خلال أولا الانضمام إلى هذه الاتفاقية والمصادقة عليها وثانيا سن تشريع وطني يتماشى مع التحولات الدولية والإقليمية في هذا المجال.

وتجدر الإشارة إلى أن اعتماد هذا القانون مرتبط أيضا بكون المغرب لم يعد في مأمن من هذه الجريمة وتداعياتها المختلفة، خاصة مع تكاثر أفواج المهاجرين الراغبين في العبور إلى أوروبا، وتفشي وكالات الوساطة في الخدمة في المنازل التي تستورد الخدم ليس فقط من الدول الإفريقية بل كذلك من الدول الآسيوية، كما هو الأمر أيضا بالنسبة لوضعية المغريات المتجهات إلى دول الخليج والوادي يسقطن ضحايا شبكات الاتجار بالبشر.

ويتضمن هذا القانون الذي يغير ويتمم مجموعة القانون الجنائي والقانون 01-22 المتعلق بالمسطرة الجنائية فيما يخص مكافحة الاتجار بالبشر ويسن أحكام خاصة، على مقتضيات لحماية ضحايا الاتجار بالبشر والتي تتجلى في معاقبة الجناة وتوفير آليات الحماية من خلال توفير الرعاية الصحية والدعم النفسي والاجتماعي لفائدة الضحايا وتوفير أماكن لإيوائهم وتقديم المساعدة القانونية اللازمة لهم وتيسير سبل اندماجهم في الحياة الاجتماعية. كما تم بموجبه إحداث اللجنة الوطنية لتنسيق إجراءات مكافحة الاتجار بالبشر والوقاية منه¹⁴.

المبحث الثاني: المقاربة المغربية للهجرة غير النظامية

إن ظاهرة الهجرة تشكل صرخة موجهة للمسؤولين والمهتمين هنا وهناك لإيلاء الموضوع الاهتمام اللائق به ومعالجته في بعده الاجتماعي والحقوق، والتنحي به عن المزايدات الموسمية والاستقطاب السياسي والنوبات العصبية المستيرية التي تصيب المعنيين بالأمر حينما يتعلق الأمر بالمصالح الذاتية الضيقة دون أي اعتبار لحقوق الجوار لحقوق الإنسان¹⁵.

ولايتمكن لأحد أن ينكر أن الهجرة غير النظامية خلقت نقاشا واسعا داخل المملكة المغربية، اختلفت مقاربات حلها بين المقاربة الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية والأمنية والقانونية، مما استدعى طرح السؤال هل استطاع المشرع المغربي الملائمة بين التشريع الوطني والاتفاقيات الدولية التي صادق عليها في هذا الشأن؟ وهل قام بتنزيل مضامين القوانين الدولية وإعمالها في التشريع الوطني؟

المطلب الأول: ملائمة التشريعات الوطنية مع الاتفاقيات الدولية

من المعلوم أن القانون 03-02 المتعلق بإقامة ودخول الأجانب إلى المملكة المغربية يندرج في إطار المقاربة القانونية في جانبها الجزئي إضافة إلى باقي المقاربات الاجتماعية والأمنية والاقتصادية والإنسانية. وتأتي هذي المقاربات حلها من أجل ملائمة التشريع الوطني مع الآليات الدولية في هذا المجال، ولتأكيد المخراط وتفاعل المغرب مع ما تمليه الالتزامات الدولية، علما أن المغرب من الدول الرائدة في مجال مكافحة الهجرة غير النظامية باعتراف المجموعة الدولية، أضف إلى هذا مختلف الاتفاقيات الثنائية التي أبرمها المغرب مع دول الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة الأمريكية (الاتفاقيات الإستراتيجية والأمنية).

ولا يقتصر تفاعل المغرب في إطار متعدد وثنائي الأطراف، بل هناك تعاون مستمر على مستوى الحوار ودبلوماسية المنتديات كالحوار الأوربي المغربي للتنمية والهجرة أو ما يسمى بمسلسل الرباط، ثم احتضانه لمجموعة من المنتديات الدولية كان آخرها المنتدى العالمي للهجرة الآمنة والمستقرة.

وقد ترتب عن مصادقة المغرب للعديد من الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، ومن بينها تلك التي تهم المهاجرين، ملائمة الترسنة القانونية الوطنية مع هذه الاتفاقيات، فضلا عن تقديم تقارير دورية إلى اللجان الأممية المختصة برصد وتتبع تنفيذ المعاهدات المصادق عليها، بما يتماشى مع ملاحظات وتوصيات المنظمات غير الحكومية، الوطنية منها والدولية، وتهدف الملائمة إلى تحقيق توافق بين التشريعات الوطنية ومضامين التشريعات الدولية المصادق عليها، وبهذا تؤهل التشريعات الوطنية لمواكبة التحولات العالمية في مجال الحقوق والحريات الأساسية، وتعمل على تعديل وإلغاء القوانين التي لا تتماشى مع المعايير الدولية المتعارف عليها في مجال حقوق الإنسان¹⁶.

وفي هذا السياق وسع دستور 2011 من سلطة البرلمان فيما يتعلق بتبني مقتضيات القانون الدولي الوضعي، حيث حدد المعاهدات التي تتطلب المصادقة عليها الموافقة بقانون على الشكل التالي :

معاهدات السلم أو الاتحاد، أو التي تم رسم الحدود ومعاهدات التجارة، أو تلك التي تترتب عنها تكاليف تلزم مالية الدولة، أو يستلزم تطبيقها تدابير تشريعية أو تتعلق بحقوق المواطنين والمواطنين، العامة والخاصة. ومن بين الاتفاقيات المشار إليها تلك المتعلقة بحقوق المهاجرين¹⁷.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن المقاربة التشريعية للمغرب تنسجم وروح القانون الدولي خصوصا في الجانب المتعلق بالهجرة، مما يجعل منه سباقا على دول أخرى من دول العبور التي تعرف نفس الظاهرة، حيث وازن بين ما هو جرمي بما هو إنساني من خلال التنصيص على مجموعة من المقتضيات الموازية التي من خلالها يمنح للمهاجر غير القانوني كافة الحقوق المخولة للمواطن المغربي أمام القضاء، على الرغم من أن هذا القانون لم يستجيب في نظر المدافعين على حقوق المهاجرين وخاصة جمعيات المجتمع المدني الذين أكدوا على أن هذا القانون لم يرقى إلى مستوى تطلعات المهاجرين لتضمنه مقتضيات أمنية وزجرية أكثر من المقتضيات الإنسانية والحقوقية¹⁸.

المطلب الثاني: تنزيل مضامين القوانين الدولية وإعمالها

بداية لا بد من التأكيد على أن ديباجة الدستور 2011 قد أقرت على جعل الاتفاقيات الدولية، كما صادق عليها المغرب، وفي نطاق أحكام الدستور، وقوانين المملكة، وهويتها الوطنية الراسخة، تسمو فور نشرها على التشريعات الوطنية، والعمل على ملائمة هذه التشريعات، مع ما تتطلبه تلك المصادقة. وإذا كانت المنظمات الحقوقية الدولية تعترف بحقوق وحرّيات أساسية لفائدة المهاجرين غير النظاميين عبر إقرارها لمجموعة من القواعد الاتفاقية، فإن التمتع الفعلي بهذه الحقوق والحرّيات يتوقف على وجود آليات عملية تحفز الدول أو تجربها على إعمال هذه الحقوق على أرض الواقع، خاصة لدى الدول المستقبلية بغية تحقيق معاملة أكثر إنسانية تجاه المهاجرين الذين يتعرضون باستمرار لمختلف الانتهاكات التي تمس حقوقهم من جراء القوانين والإجراءات التعسفية.

وأمام انخراط المجموعة الأوربية في سن مجموعة من القوانين واتخاذ العديد من التدابير والإجراءات لتنظيم تدفق المهاجرين نحو بلدانها والحد منها، تزايدت حدة الهجرة غير النظامية نحو المغرب الذي أصبح قبلة لعدد كبير من المهاجرين غير النظاميين المنحدرين من إفريقيا جنوب الصحراء، ليس كمعبر نحو الضفة الأوربية فقط ولكن كمحطة أخيرة لمعظمهم¹⁹. وبالتالي فهو ملزم بتطبيق أحكام المادة 5 من الإعلان

العالمي لحقوق الإنسان التي تنص على أن "لا يعرض أي إنسان للتعذيب ولا للعقوبات أو المعاملات القاسية أو الوحشية أو الحاطة بالكرامة" وكذلك المادة 7 من العهد الخاص بالحقوق المدنية والسياسية التي تضمن حماية حق كل الأشخاص من المعاملات غير الرسمية، زيادة على ذلك أن المادة 10 من اتفاقية 1990 المتعلقة بحماية العمال المهاجرين وأفراد أسرهم التي تضمن للمهاجرين كيفما كانت وضعيتهم الحماية من المعاملات القاسية والمهينة.

وهو ما تماشى معه الإصلاحات والمستجدات القانونية ذات الصلة بحقوق الإنسان، والقاسم المشترك بين هذه التعديلات والإصلاحات التي تهدف إلى مطابقة أو ملائمة النصوص التشريعية والتنظيمية الوطنية للمواثيق الدولية المتعلقة بحقوق الإنسان التي صادق عليها المغرب أو انضم إليها، وقد تركز هذا البعد الجديد لجميع الإصلاحات القانونية في دستور 2011، الذي عبر عن قفزة نوعية في مجال تعزيز واحترام وضمان حقوق الإنسان والحريات الأساسية كما هي متعارف عليها عالميا. فقد تصدر الدستور المغربي مجموعة من المقتضيات التي تفيد التزام المغرب بصفته العضو النشط في المنظمات الدولية لحقوق الإنسان كما هي متعارف عليها دوليا وهو ما نص عليه في الديباجة 20.

وفي هذا السياق نص الفصل الأول من القانون 03-02 المتعلق بدخول وإقامة الأجانب بالمملكة المغربية وبالهجرة غير المشروعة على أن يتضح جليا من خلال ما سبق أن هناك إرادة قوية للمشرع المغربي لجعل التشريع الوطني يواكب مختلف القوانين الدولية في مجال الهجرة وذلك وفق السياق العالمي والإقليمي الذي يتسم بضرورة التعاون المشترك والتفاعل إيجابيا مع كافة المستجدات التي تفرضها هذه الظاهرة بالرغم من الإمكانات المحدودة، وعدم التزام الدول خاصة الأوربية لتعهداتها في مجال مكافحة الهجرة غير الشرعية. كما يمكننا أن نسجل انخراط المغرب في كل هذه الملفات بشكل غير مسبوق الأمر الذي جعله ينال اعتراف من كافة الدول الكبرى على الجهود التي يوليها لهذا الملف والدليل على ذلك هو مختلف المبادرات التي يتم احتضانها داخل المملكة المغربية في هذا المجال.

خاتمة

يمكن القول أن المغرب قد تحول من بلد عبور إلى بلد إقامة للمهاجرين غير الشرعيين نتيجة عدة عوامل، الأمر الذي يقتضي تبني مقاربة فعالة لتدبير ملف الهجرة، خاصة أن هذه الظاهرة أصبحت تهدد أمنه

الاجتماعي في ظل انتشار عدة ظواهر اجتماعية كالسرقة والدعارة والاتجار بالبشر وغيرها من الظواهر الأخرى. لهذا فإن مسألة تدبير هذا الملف يقتضي تدخل كافة الفاعلين من أجل التسوية القانونية لهؤلاء المهاجرين وإدماجهم في النسيج الاجتماعي عبر أدوات فعالة تأخذ بعين الاعتبار الجانب التنموي بدل الجانب الأمني. 1

الهوامش:

- ¹ - مصطفى عبد العزيز مرسى، قضايا المهاجرين العرب في أوروبا، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الطبعة الأولى، 2010، ص 6.
- ² - كلمة وزير الداخلية قدمها السيد ياسين المنصوري المدير العام للشؤون الداخلية حول موضوع "اشكالية الهجرة على ضوء القانون رقم 02-03.
- ³ - نادية الهواس، "قانون دخول وإقامة الأجانب بالمغرب والهجرة غير المشروعة" نظرة حول المعطيات الداخلية، والدولية ومدى مساهمتها في دور هذا القانون، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، العدد 61، مارس أبريل 2005، الصفحة 61.
- ⁴ - Miguel Hernando de Iarrmendi « la política exterior de Marrucos : dominie reservalo de la monarquia ». en Revisa internacional de sociologia ;tercera época n 14 ;1996 :pp 10 ;13.
- ⁵ - مقتطف من نص الخطاب الملكي في قمة برشلونة، بتاريخ 28 نونبر 2005.
- ⁶ - أنظر الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس في القمة الثالثة والعشرين لقادة دول إفريقيا وفرنسا المنعقدة بـماكو بتاريخ 03 دجنبر 2005 .
- ⁷ - مقتطف من الخطاب الذي وجهه جلالة الملك الى الأمة بمناسبة الذكرى 38 للمسيرة الخضراء، الرباط، 6 نونبر 2013.
- ⁸ - مقتطف من نص الخطاب الملكي في قمة خمسة + خمسة، بتونس بتاريخ 5 دجنبر 2013.
- ⁹ - HICHAM Houdaifa' UNE IMPASSE JUSQU'A NOUVEL ORDRE 'Migration au Maroc : l' Impasse. Collection Enquêtes' CASABLANCA'2019.P89.
- ¹⁰ - انظر الدليل الرجعي في مجال حقوق الإنسان، منشورات وزارة حقوق الإنسان مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2016.
- ¹¹ - المواد 50 و51 من ق 03-02 المتعلقة بدخول وإقامة الجانب بالملكة المغربية والهجرة غير المشروعة.
- ¹² - المواد 52 و53 من نفس القانون.

- 13 - GHITA ZIN' les limites de la politique migratoire au Maroc 'Migration au Maroc : l' Impasse. Collection Enquêtes' CASABLANCA'2019.P89.
- 14 - أنظر منجز حقوق الانسان بالمغرب، لسنة 2019، ص 194.
- 15- محمد طارق حيون، الهجرة السرية وصحافة الضفتين، منشورات جمعية تطاون أسمى، الطبعة الأولى 2005، ص 7.
- 16- عبد العزيز العروسي ، التشريع المغربي والاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، ملاءمات قانونية ودستورية، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، الطبعة الأولى، 2014، ص 27-28.
- 17- حسن خطاي، ملاءمة التشريع المغربي مع الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالهجرة، المجلة المغربية للدراسات القانونية والاقتصادية، العدد الافتتاحي، يناير 2016، ص 51.
- 18 - Mohammed LAAMARTI ' LE MAROC ET LES REFUGIES : Vers l'émergence d'un droit Marocain D'asile 'Revue d'études juridiques et sociales EL KHOUSAMA'2020' p 6.
- 19 - Guide des marocains résidant à l'étranger, n 1 mai 2009 ministère chargé de la communauté marocaine résidant a l'étranger, p 63.
- 20- أنظر دستور المملكة المغربية لسنة 2011 الصادر بالجريدة الرسمية، عدد 5964 بموجب الظهير الشريف عدد 1.11.91، الصادر بتاريخ 29 يوليوز 2011.

لائحة المراجع

. المراجع باللغة العربية :

- 1- المواد 50 و 51 من ق 03-02 المتعلقة بدخول وإقامة الجانب بالمملكة المغربية والهجرة غير المشروعة.
- 2- المواد 52 و 53 من نفس القانون.
- 3- أنظر الخطاب الذي وجهه الملك محمد السادس في القمة الثالثة والعشرين لقادة دول إفريقيا وفرنسا المنعقدة بيمكو بتاريخ 03 دجنبر 2005 .
- 4- انظر الدليل الرجعي في مجال حقوق الإنسان، منشورات وزارة حقوق الإنسان مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2016.
- 5 - أنظر دستور المملكة المغربية لسنة 2011 الصادر بالجريدة الرسمية، عدد 5964 بموجب الظهير الشريف عدد 1.11.91، الصادر بتاريخ 29 يوليوز 2011.
- 6- أنظر منجز حقوق الانسان بالمغرب، لسنة 2019، ص 194
- 7- حسن خطاي، ملاءمة التشريع المغربي مع الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالهجرة، المجلة المغربية للدراسات القانونية والاقتصادية، العدد الافتتاحي، يناير 2016، ص 51.

-
- 8- عبد العزيز العروسي ، التشريع المغربي والاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان، ملاءمات قانونية ودستورية، منشورات المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، الطبعة الأولى، 2014، ص 27-28.
- 9- كلمة وزير الداخلية قدمها السيد ياسين المنصوري المدير العام للشؤون الداخلية حول موضوع "اشكالية الهجرة على ضوء القانون رقم 02-03.
- 10 - محمد طارق حيون، الهجرة السرية وصحافة الضفتين، منشورات جمعية تطاون أسمى، الطبعة الأولى 2005، ص 7.
- 11- مقتطف من الخطاب الذي وجهه جلالة الملك الى الأمة بمناسبة الذكرى 38 للمسيرة الخضراء، الرباط، 6 نونبر 2013.
- 12- مقتطف من نص الخطاب الملكي في قمة برشلونة، بتاريخ 28 نونبر 2005
- 13- مقتطف من نص الخطاب الملكي في قمة خمسة + خمسة، بتونس بتاريخ 5 دجنبر 2013.
- 14- مصطفى عبد العزيز مرسي، قضايا المهاجرين العرب في أوروبا، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الطبعة الأولى، 2010، ص 6.
- 15- نادية الهواس، "قانون دخول وإقامة الأجانب بالمغرب والهجرة غير المشروعة" نظرة حول المعطيات الداخلية، والدولية ومدى مساهمتها في دور هذا القانون، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، العدد 61، مارس أبريل 2005، الصفحة 61.
- المراجع في اللغة الفرنسية

1-Miguel Hernando de Iarrmendi

« la politica exterior de Marrucos : dominie reservalo de la monarquia ». en Revisa internacional de sociologia ;tercera época n 14 ;1996 :pp 10 ;13.

2 - HICHAM Houdaifa' UNE IMPASSE JUSQU'A NOUVEL ORDRE

'Migration au Maroc : l' Impasse. Collection Enquêtes'

CASABLANCA'2019.P89.

3- GHITA ZIN' les limites de la politique migratoire au Maroc 'Migration au Maroc : l' Impasse. Collection Enquêtes' CASABLANCA'2019.P89.

4- Mohammed LAAMARTI, LE MAROC ET LES REFUGIES : Vers l'émergence d'un droit Marocain D'asile 'Revue d'études juridiques et sociales EL KHOUZAMA'2020' p 6.

5- Guide des marocains résidant à l'étranger, n 1 mai 2009 ministère chargé de la communauté marocaine résidant a l'étranger, p 63.

مجلة أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات، المجلد 02 العدد 05 بتاريخ 2021/06/15م

ISSN: 2708-4663 DNNLD :2020-3/1128

دور البحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي

أستاذ مشارك: أمل محمد عبدالله البدو

جامعة العلوم الإبداعية/ الإمارات العربية المتحدة

amal_bado@hotmail.com

تاريخ الإيداع: 2021/05/25 م تاريخ التحكيم: 2021/05/29 م تاريخ النشر: 2021/06/15م

الملخص بالعربية:

هدفت الدراسة الى معرفة دور البحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي، إتبعنا الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمنا الاستبانة كأداة للدراسة، تكونت عينة الدراسة من (88) باحثاً في الجامعات الأردنية، وكانت نتائج الدراسة: معرفة عينة الدراسة بمحور معايير اختيار المجلة العلمية الصالحة للنشر عالية جداً ثم يليها محور العقبات التي تواجه الباحث بعملية النشر حيث أكدت العينة وجود عقبات كثيرة أمام باحث، ثم محور معايير كتابة الأبحاث العلمية حيث كانت إجابات عينة الدراسة على هذا المحور مرتفعة، ثم محور معايير النشر الصحيحة وكانت أيضاً مرتفعة، وأكدت النتائج أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) لاستجابة أفراد العينة حول دور البحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي، تعزى للمتغيرات؛ النوع الاجتماعي، المؤهل الأكاديمي. الكلمات المفتاحية: . البحوث العلمية الرصينة، التقدم الأكاديمي، نشر الأبحاث والأوراق العلمية.

The role of sober scientific research in academic progress
Associate Professor: Dr. Amal Mohammed Abdullah Al Bado
UNIVERSITY OF CREATIVE SCIENCES- U.A.E
amal_bado@hotmail.com

Abstract:

The study aims to identify the role of sober scientific research in academic progress. The study followed the descriptive and analytical approach, and the questionnaire was used as the study tool. The sample of the study consisted of (88) researchers in Jordanian universities. The results of the study were: The study sample's knowledge of the criteria for selecting a scientific journal suitable for publication is very high. Then it was followed by the aspect of obstacles facing the researcher in the publishing process, where the sample confirmed the existence of many obstacles to a researcher. Moreover, it focused on the criteria for writing scientific researches, where the answers of the study sample on this aspect were high. In addition to that the aspect of the correct publishing standards was also

high. The results confirmed that there are no statistically significant differences at the level of significance ($\alpha = 0.05$) to the response of the sample members about the role of sober scientific research in academic progress, due to the variables. Gender, academic qualification.

Keywords: Sober Scientific Research, Academic Progress, Publication of Research Papers and Scientific Papers.

المقدمة:

مشكلة النشر للباحثين وطلبة الدراسات العليا وأساتذة الجامعات قد أخذت أبعادها ليس في ظل الزمن المعاصر بل هي مشكلة قديمة قدم بدايات النشر العلمي وفقا للشروط والمعايير وقد كان موضوع التثنت قائما على حد سواء لجميع المناطق العربية، وبعد الإنفتاح العلمي خلال القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين. ومع إستخدامات علوم التكنولوجيا ونظم المعلومات والتوسع في مشاريع الاتصالات، الا أن المشكلة توسعت بمقدار توسع الطلب على النشر مع وجود كثير من المحاولات لدى الجامعات من إصدار المجلات التي تعتمد على معايير محلية او دولية الا أن هناك جوانب اخرى في المشكلة لازالت معلقة منها ما يتعلق بالباحث او بالتحكيم او المعايير او ارتفاع تكاليف النشر او تأخرها، مع ضعف وجود دليلا موحدًا وقاطعا للنشر العلمي العربي كدليل للمؤلفين الباحثين عن النشر في المجلات العلمية. من جانب آخر للمشكلة بعدا آخر في التخطيط للامثال الأخلاقي بغض النظر عن نوع المقالة، يجب أن يبدأ الاهتمام بالمسائل الأخلاقية قبل وقت طويل من تقديم أي مخطوطة للنشر، وهذا ما لا نجده بقوة في البحوث والمقالات، ومن بين القضايا التي يجب أخذها في الاعتبار بعناية أثناء البحث في مراحل التخطيط هي تلك المتعلقة بالموافقة المؤسسية، والموافقة للجهات المستفيدة، وبذلك كانت من المشاكل المعاصرة أن تتطلب المجلات من المؤلفين تقديم نماذج تؤكد امتثالهم للمعايير الأخلاقية للبحث والنشر.

مشكلة الدراسة:

يعد النشر في المجالات العلمية المحكمة من الوسائل المهمة في ترصين البحث العلمي والرقى بالتدريسيين الى درجات علمية متقدمة، لكن هذا الموضوع تكتنفه الكثير من المشاكل والصعوبات ومن المعلوم ان الجانب النظري شيء والجوانب العملية والتطبيقية والواقعية شيء اخر، فلدى المجالات العلمية المحكمة هناك قوانين وانظمة وتعليمات تؤطر عملها وتهدف الى الرقي بها وتطويرها، لكننا وعلى ارض الواقع نجد ان هناك مشاكل ومعوقات تعترض الباحث العلمي عند النشر وحتى ادارة هذه المجالات نتيجة لأمر هي خارجة عن ارادتها. لذا جاء هذا البحث ليوضح دور البحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي

أهداف الدراسة: يهدف البحث الحالي الى الإجابة عن الأسئلة التالية:

- 1) ماهي درجة معرفة عينة الدراسة بمعايير كتابة الأبحاث العلمية؟
- 2) ما هي درجة معرفة عينة الدراسة بمعايير اختيار المجلة العلمية الصالحة للنشر؟
- 3) ما هي درجة معرفة عينة الدراسة بمعايير النشر الصحيحة؟
- 4) ما هي درجة معرفة عينة الدراسة بالعقبات التي تواجه الباحث بعملية النشر؟

مصطلحات الدراسة:

يعرف البحث العلمي : بأنه عملية فكرية منظمة يقوم بها شخص يسمى الباحث حدد أجل تقصى الحقائق في شأن مسألة أو مشكلة عينة تسمى موضوع البحث بإتباع طريقة علمية منظمة تسمى (منهج البحث) بهدف الوصول إلى حلول ملائمة للعلاج أو إلى نتائج صالحة للتعميم على المشكلات المماثلة تسمى نتائج البحث. تختلف الطرق المستخدمة في البحوث باختلاف أنواعها ومجالاتها وأهدافها إلا أنها تشترك في أسلوب علمي له خصائص معينة مثل الصحة والدقة وضبط المتغيرات المؤثرة في البحث ونتائجه¹.

مفهوم نشر الأبحاث والأوراق العلمية: أنه عملية تبادل الخبرات والمعرفة الأكاديمية بين الباحثين المتخصصين من جميع أنحاء العالم، وبتنوع المجالات التي يقوم الباحثون بالكتابة فيها، ليتم تأصيل العلوم المختلفة ومتابعة وتدوين الاكتشافات العلمية الحديثة حيث تقوم الأبحاث والأوراق الأكاديمية باستخدام

الأسس العلمية الصحيحة والدقيقة بتقديم الحلول العلمية والعملية والتفسيرات الدقيقة للمشاكل العملية والظواهر التي تواجه الإنسان بشكل يومي في حياته سواء المهنية أو الشخصية. **التقدم الأكاديمي:** المسار الأكاديمي (المجستير والدكتوراه وأبحاث ما بعد الدكتوراه) هي مسارات تُعنى بالدرجة الأولى بتطوير المجال نفسه وليس تطوير صاحب المجال مهنيًا². **حدود الدراسة:**

الحدود المكانية: طلبة الدراسات العليا، والاساتذة في الجامعات الأردنية.

الجدود الزمانية: 2020

المنهج: الوصفي التحليلي.

الأدب النظري: يقوم الباحثون بالاستعانة بالمجلات العلمية ليتم من خلالها نشر ما يقومون بكتابته من أبحاث وأوراق علمية ليتم تعميمها وإيصالها لكل من يتابع التطورات العلمية في المجال الذي يعمل فيه أو في المجالات الحياتية التي تخص الحياة اليومية لكل إنسان. وتعتبر الأوراق الأكاديمية ذات أهمية كبيرة في كل المجالات والتخصصات التي يتم فيها نشر الأبحاث الأكاديمية، ويعمل على كتابة الأبحاث الأكاديمية مجموعة من الباحثين يعملون من خلالها على تلخيص بحث أو مجموعة من الأبحاث التي تتناول موضوعاً معيناً واضعين في هذه الأوراق الأكاديمية أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحثين في الأبحاث الأكاديمية التي يتم نشرها، وقد يكون الفريق الذي يقوم بكتابة الأوراق الأكاديمية هو من قام بكتابة الأبحاث الأكاديمية التي يتم تلخيصها في الأوراق الأكاديمية وقد يكون فريق آخر من الباحثين، ولا يمكن أن يتم إهمال نشر الأوراق الأكاديمية نظراً لأهميتها في كافة المجالات.

أنواع المجالات العلمية والتي تنقسم إلى:

1) المجالات العلمية الثقافية: وفي المجالات العلمية الثقافية أو كما يُطلق عليها مجالات علمية صحفية أيضاً يمكن الاطلاع الاختراعات الجديدة من جميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى آخر أخبار العلوم أيضاً، والجدير بالذكر أن المجالات العلمية الثقافية ليس عليها لجنة تحكيم؛ أي أنها لا تحتوي على استشاريين لمراجعة الأبحاث العلمية التي يتم نشرها، أو آخر الأخبار العلمية أيضاً، وبهذا

نستطيع أن نقول أن كل ما ينشر في المجلات العلمية الثقافية لا يجب أن نأخذها على محمل اليقين.

2) المجلات العلمية المحكمة: والنوع الثاني من أنواع المجلات العلمية هي المجلات العلمية المحكمة، ويُنشر في هذا النوع من المجلات أيضاً الكثير من الأبحاث العلمية ويُشر أيضاً آخر أخبار العلم في جميع أنحاء العالم، أي أنها تشبه إلى حد كبير المحتوى الموجود في المجلات العلمية الثقافية، ولكن المجلات العلمية المحكمة ما يُميزها أن بها لجاناً للتحكيم، تستطيع النظر بأكثر من وجه وأكثر من طريقة إلى ما يتقدم إليها من أبحاث علمية، وبهذا نستطيع أن نقول أن المجلات العلمية المحكمة هي أكثر ثقة من النوع الأول، وتستطيع أن تقوم بنشر الأبحاث العلمية بها³.

أنواع المجلات العالمية للنشر العلمي:

✕ مجلات الاشتراك:

- النشر فيها مجاناً. عدا بعضها تتطلب تكاليف رمزية.
- البحث لا يكون متاحاً للجميع مما يؤدي لقلّة الاستشهادات له.

✕ مجلات الوصول الحر:

- البحوث المنشورة فيها متاحة للجميع.
- التحميل والقراءة فيها مجاناً
- الحصول على أكبر عدد من المشاهدات للبحث
- تحمل الباحث تكاليف باهضة للنشر في بعضها

✕ مجلات الوصول الحر المدعومة:

- أغلبها مدعومة من مراكز الأبحاث أو الجامعات أو جهات حكومية
- الوصول والتحميل للأبحاث متاح للجميع
- النشر فيها مجاناً
- الحصول على أكبر قدر من الاستشهادات
- نسبة قبول الأبحاث فيها منخفضة جداً

✕ مجلات الوصول الحر الأخضر:

النشر فيها مجاناً السنوات الاولى فقط

غير قابل للتحميل مجاناً، لكن بعد سنوات يكون مجاناً ويكون النوعين:

1) الطريق الذهبي (لا يهدف الى ربح مادي)

2) الطريق الأخضر (قائمة على الربح المادي)

أسماء المجالات العلمية المحكمة: وهناك أكثر من مجلة علمية محكمة سواء مجلات أجنبية دولية عالمية أو مجلات عربية أيضاً، بالإضافة إلى أن هناك مجلات علمية محكمة قد تم إصدارها من خلال الكثير من المؤسسات العلمية المعتمدة وعلى رأسها الجامعات أو الأكاديميات، وهناك مجلات علمية محكمة قد تم إصدارها من خلال المؤسسات التجارية ولكنها مؤسسات تهتم بالعلم ونشر العلوم والمعارف، ومن بين أشهر أسماء المجالات العلمية المحكمة:

❖ مجلة ساينس SCIENCE: وهي من أشهر المجالات العلمية المحكمة الأمريكية التي تم إنشائها عام 1880 وتصدر أسبوعياً.

❖ مجلة نيو ساينتست NEW SCIENTIST: تصدر أيضاً أسبوعاً باللغة الإنجليزية، ولها موقع إلكتروني رسمي.

❖ مجلة بوبيولار ساينس POPULAR SCIENCE: تصدر المجلة كل شهرين فقط، وهي من المجالات التي تهتم بالأبحاث التكنولوجية.

❖ مجلة ساينتفيك أمريكان SCIENTIFIC AMERICAN: تصدر المجلة باللغة العربية واللغة الإنجليزية ولها موقع إلكتروني عبر الإنترنت، وتصدر شهرياً.

يوجد حالياً العديد من دور النشر العالمية التي يغلب عليها ظاهرياً النشر العلمي ولكن في الواقع أنها تضع في أولوياتها الأغراض التجارية مما يبعدها عن الرصانة العلمية المطلوبة، وتستدرج هذه الجهات ومجالاتها العلمية الباحثين في الكثير من البلدان للنشر فيها، ولعدم وضع الرصانة العلمية ضمن أولويات النشر فإن هذه الدور تنشر البحوث بدون تقييم أو بتقييم ضعيف المستوى مما يقلل من الفائدة العلمية لهذه البحوث وبالتالي يؤثر على رصانتها العلمية. وتقوم هذه المجالات بالنشر الإلكتروني في شبكة

المعلومات الدولية وتدعي النشر المتاح وتحمل الباحث أجور نشر باهظة وقد تكون مجانية تعتمد الى سرقة أفكار الباحثين وتطويرها في مؤسساتهم العلمية.

خصائص المجالات العلمية الرصينة⁴:

- مجلة لها تاريخ طويل في النشر بدون إنقطاع.
 - لها قاعدة واسعة من المشتركين ضمن الإختصاص الدقيق سواء من الباحثين أو المؤسسات العلمية.
 - نسبة قبول البحوث العلمية المرسلة إليها للنشر قليلة لا تتجاوز 30%-40%
 - لا يقع تخصص المجلة في حدود ضيقة من التخصص العلمي الدقيق.
 - مجلة ذات طابع عملي وتقني وتجلب انتباه قطاع واسع من الباحثين.
 - رئيس تحرير المجلة و هيئة تحريرها أو مستشاريها من المعروفين عالمياً في الأروقة العلمية والأكاديمية، وينتمون إلى مؤسسات علمية وجامعات معروفة ورصينة.
 - للمجلة صدى واسع في قواعد البيانات، وتدرج في الكشافات العالمية المتخصصة.
 - للمجلة عامل تأثير عالٍ صادر من شركة تومسون رويترز أو لها SJR من SCIMago .
 - المجلة تعتمد على برامجيات رصينة ذات قاعدة بيانات كبيرة لفحص الأستلال مثل مثل (Turnitin) و (IThenticate) قبل البدء بإجراءات عملية التقييم.
 - المجلة محكمة وتعتمد على عملية تقييم البحوث المرسلة للنشر من قبل مقيمين إثنين في الأقل من ذوي الأختصاص.
 - تنشر المجلة البحوث ضمن الوقت المحدد، وتتابع عمليات التقييم أول بأول.
 - توضح المجلة حقوق النشر وهل تعود لها أم للباحث.
 - مالك المجلة أو ناشرها جهة معروفة بجديتها ورصانتها.
- كيفية إختيار المجلة العلمية الصحيحة: على الباحث أن يقوم بمراجعة المجالات العلمية لتحديد ما يأتي:

- أهداف ومجالات المجلة العلمية .
- أشكال المقالات التي يتم قبولها.
- الاتجاهات المعاصرة ذات الأهمية وذلك من خلال:
- تصفح ملخصات منشورات حديثة.
- أن يكون لها معامل تأثير عالي: والجهات التي تمنح ذلك Scopus يمنح معامل تأثير يسمى CiteScore ممنوح ل 21500 مجلة، Thomsn Routers يمنح معامل تأثير ممنوح ل 11000 مجلة

معامل التأثير:

إن الاطلاع على كيفية معرفة معامل التأثير للمجلات العلمية له أهمية كبيرة للطلاب والباحثين العلميين. ويمكن ان يكون له دور كبير في إعطاء فكرة دقيقة للباحث العلمي عن المجلة المحكمة، وفي اختياره للمجلة العلمية التي يريد نشر دراساته العلمية فيها، أو الاطلاع على المعلومات الصحيحة من خلالها، وذلك لتحقيق الاستفادة الأقصى.

ويعرف بأنه مقياس لأهمية المجالات العلمية المحكمة ضمن مجال تخصصها البحثي، ويعكس معامل التأثير مدى اشارة الابحاث الجديدة للأبحاث التي نشرت سابقا في تلك المجلة والاستشهاد بها، وقد تم ابتكار معامل التأثير من قبل ايوجين جارفيلد مؤسس المعهد العلمي للمعلومات ISI، وتقوم بعض المؤسسات حاليا (كمؤسسة تومسون رويترز) بحساب معاملات التأثير بشكل سنوي للمجلات العلمية المحكمة المسجلة عندها ونشرها فيما يعرف بتقارير استشهاد المجالات، والتي يتم فيها تصنيف المجالات بحسب معاملات التأثي⁵..

و تستنتج الباحثة مما سبق: أن عامل التأثير هو مؤشر مبني على تكرار استخدام بحوث مجلة ما في منشورات علمية اخرى، وهو قد يعكس جودة هذه المجلة. ويتم حساب عامل التأثير للمجلة، يتم بحساب عدد المرات التي استخدمت فيها البحوث المنشورة في المجلة لعامين سابقين، والبحوث والتي استخدمت في بحوث نشرت في مجلات مؤشرة ضمن قاعدة بيانات تومسون رويترز لسنة الحالية.

معامل التأثير العربي: قد بات أمراً ضرورياً وجود جهة علمية تتولى تصنيف ووضع معايير للحكم على الانتاج العلمي المنشور باللغة العربية أسوة بمعامل التأثير العالمي الذي يقتصر على أوعية النشر المنشورة باللغة الانجليزية دون العربية من خلال إنشاء وحدة لعدد من المؤشرات الإحصائية ودراسات تحليل الاستشهادات (الاقتباسات) المرجعية Citation Analysis للدوريات العلمية الصادرة باللغة العربية أسوة بقريناتها الأجنبية ونشر التقارير السنوية التي يمكن اعتمادها لمكافأة الباحثين وتقييم المؤسسات العلمية والتعليمية والبحثية وفق انتاجية العاملين بها ونسبة الاستشهاد بأعمالهم المنشورة على المستويين العالمي والعربي، وهو ما عرف بمعامل التأثير العربي، باعتباره منصة عالمية لتصنيف وتقييم المجالات المحكمة التي تنشر باللغة العربية.

معامل التأثير العربي، وهو معامل خاص بالمجلات التي تصدر باللغة العربية فقط. ويوفر معامل التأثير العربي تقييم كمي ونوعي لترتيب وتقييم وتصنيف المجالات التي تصدر باللغة العربية للتقييم الأكاديمي وللتميز. ويستخدم هذا المعامل لتقييم جودة صدور هذه المجلات. ويتم إجراء التقييم من خلال النظر في عوامل مثل استعراض عدد الاستشهادات بالبحوث المنشورة في هذه المجلات من قبل المجالات الأخرى، والأصالة والجودة العلمية، والجودة التقنية لهيئة التحرير، ونوعية التحرير وانتظام صدور المجلات، ونظام تحكيم البحوث بها، وأيضاً الالتزام بأخلاقيات النشر العلمي. ويتبع موقع حساب معامل التأثير العربي أسلوب التحليل المتعمق ومعدلات القبول والرفض لإدراج المجلات في هذا التصنيف. ويعد القائمون على الموقع بأن يتم كل ذلك من خلال نخبة من العلماء المتخصصين في المجالات العلمية المختلفة. أما عن قواعد التصنيف المعتمدة على موقع حساب معامل التأثير العربي فهي أن يكون للمجلة رقم تصنيف دولي للنسخة الورقية وآخر للنسخة الإلكترونية، وأن يكون للمجلة موقع إلكتروني يحتوي على جميع المعلومات الخاصة بها، ويحتوي الموقع على قواعد النشر وأخلاقيات النشر وقواعد الملكية الفكرية، وأن تصدر المجلة بشكل دوري، وتكون هيئة التحرير بها من الأساتذة المشهود لهم علمياً، وأن تكون البحوث موزعة جغرافياً، مع الالتزام بمواعيد النشر المعلنة لكل عدد، والالتزام بقواعد تعين أعضاء هيئة التحرير⁶.

أسباب فكرة معامل التأثير العربي⁷:

- كسر احتكار مؤسسات النشر العالمية واقتصارها على البحوث المنشورة باللغات غير العربية، ووضع مجموعة من الشروط المحفزة لأوعية النشر باللغة العربية، والتي قد لا يكون لها علاقة بجودة النشر العلمي.
- افتقار المجالات التي تنشر باللغة العربية، وغالبيتها العظمى تنتمي للحقول الاجتماعية والتربوية والإنسانيات، لجهة تصنيفية موحدة لتحديد معاملات تأثير لها، والذي يعد من أهم مشاكل المحتوى العربي المنشور.
- الحاجة الملحة إلى تعزيز مكانة اللغة العربية، والمساهمة في خدمة المؤسسات البحثية والمراكز، والمجالس والهيئات العلمية والعربية والدولية، التي تفتقد حالياً للآليات الموضوعية اللازمة لتقويم الأبحاث والأوراق العلمية المنشورة باللغة العربية.
- تأكيد أهمية الاعتزاز بهويتنا العربية وتسجيل مجهود الباحثين في الوطن العربي في محتوى عربي يعود على أمتنا العربية بالنفع، وحن الوقت أن ندعم النشر باللغة العربية إلى جانب النشر باللغة الإنجليزية، فمعامل التأثير العربي منصة عربية بأدوات عالمية لنشر أبحاث علمية رصينة بلغة المنطقة.
- تشجيع العلماء والباحثين على خوض غمار البحوث ذات الصبغة المحلية والإقليمية، والتي ربما لا تروق للدوريات الإنجليزية عالية التأثير، بما أخرج كثيراً من العلماء عن خدمة القضايا العلمية الوطنية لبلادهم.
- إن وجود تلك الجهة التقييمية "معامل التأثير العربي" سينتج عنه إمكانية تصنيفه للدوريات، والمجلات العربية، ذلك التصنيف الذي سيؤثر على اعتبارها حجة قوية داعمة في منح الدرجات العلمية عند ترقية أعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية، بناء على نشر بحوثهم في الدوريات ذات التصنيفات المعتمدة من قبلها.

- الاستجابة لتطلعات الباحثين والمؤسسات الأكاديمية والبحثية عبر العالم الرامية إلى وجود جهود علمية وتقنية تستهدف إدراج، وتصنيف الإنتاج العلمي المنشور باللغة العربية، لاسيما في ظل الفراغ الناشئ عن عدم وجود مبادرات عربية أو أجنبية في هذا المجال.
- الإسهام في دعم المحتوى العربي على الإنترنت، بما يستجيب للمبادرات الداعية لإثراء المحتوى العربي على الإنترنت، إلى جانب دور هذه المبادرات في دعم صناعة البرمجيات التي تدعم اللغة العربية.

- رفع كفاءة الأبحاث المكتوبة باللغة العربية، وما يتصل بهما من علوم، حيث سيعمل المشروع على تصنيف المجالات العلمية بناء على معاملات تأثيرها Impact Factors في الانتاج العلمي في التخصص، إلى جانب تصنيف الباحثين بحسب تأثير انتاجهم العلمي في الانتاج العلمي للباحثين الآخرين.

مستقبل عامل التأثير: يعبر معامل التأثير عن معدل الاستشهادات التي يتلقاها البحث الواحد، لذا فإنه لا يتبع توزيعاً احتمالياً طبيعياً وإنما يتبع توزيع برادفورد كما هو متوقع نظرياً، لذا فإن استخدام المتوسط الحسابي لا يعبر بشكل صحيح عن هذا التوزيع الاحتمالي. ولهذا يواجه معيار معامل التأثير العديد من الانتقادات، فعلاوة على الجدل القائم حول جدوى وجود مقاييس معيارية للاستشهادات أصلاً فإن الانتقادات لمعامل التأثير تتمحور بشكل أساسي حول صحة مدلول هذا المقياس وإمكانية سوء استغلاله ثم الأخطاء التي يمكن أن تتم عند استخدامه.

ويمكن للعديد من الأبحاث، خاصة ذات معامل التأثير المنخفض، أن تكون الكثير من استشاداتها لأبحاث كتبت من قبل نفس مؤلف البحث (وهو ما يعرف بالاستشهاد الذاتي)، ويدور جدل حول مدى تأثير ذلك على صحة مدلول معامل التأثير بشكل عام. ويمكن للمجلات أن تتبنى بعض السياسات التي ترفع من قيمة معامل التأثير دون رفع المستوى العلمي للمجلة بشكل فعلي. كما يمكن للمجلة أن تقوم بنشر عدد أكبر من الأبحاث ذات الطابع المسحي، والتي تقوم بتصنيف الأبحاث في مجال معين دون تقديم إضافة علمية جديدة، وعادة ما يتم الاستشهاد بهذا النوع من الأبحاث بشكل أكبر بكثير من غيرها من الأبحاث التي تقدم إضافة علمية جديدة مما يرفع من

معامل التأثير لهذه المجلة ويرفع ترتيبها ضمن المجلات في مجالها العلمي. عند حساب معامل التأثير تتم قسمة مجموع الاستشهادات على عدد المواد القابلة للاستشهاد بها، ويمكن لبعض المجلات أن تقلل من عدد المواد التي تعتبرها قابلة للاستشهاد من أجل تضخيم معامل التأثير، فهناك جدل حول ما يمكن اعتباره قابلاً للاستشهاد وما لا يمكن اعتباره كذلك، كافتتاحية المجلات التي تقوم بعض البحوث بالاستشهاد بها مع أنها قد لا تعتبر مادة قابلة للاستشهاد عند حساب معامل التأثير⁸.

التحكيم العلمي وما مهامه و أساليبه⁹ و¹⁰:

التحكيم في المجلات العلمية هو عملية دراسة و فحص دقيقة و مفصلة للأوراق البحثية لمعرفة فيما إذا كانت هذه الأبحاث صالحة للنشر أم لا، و يمكن القول أن أكثر ما يهم هو تحكيم مدى أصالة البحث المقدم و مدى تأثير نتائجه و جودته و أهميته في جميع مجالات الحياة العلمية والتطبيقية أي "إعطاء الشرعية للبحث العلمي".

- كثير من الخبراء يتفقون أن التحكيم يحقق العديد من المهام التي تقوم عليها المجلات العلمية منها :
- بناء قاعدة بيانات لإيصال نتائج الاكتشافات و البحوث العلمية الحديثة إلى المجتمع الدولي.
- أن تكون المجلة أرشيفاً موثقاً للأبحاث المنشورة .
- فسح المجال أمام العلماء لتوثيق آخر الدراسات و الاكتشافات العلمية .
- التأكيد على أهمية جودة البحث العلمي .

اعتبارات التحكيم :

- التحكيم في المجلات العلمية المحكمة عامل رئيسي في الاعتراف بالأعمال العلمية .
- تقديم المعرفة للمجتمع العلمي .
- تقديم الترقية و إعلاء البحوث ذات الجوانب المتطورة .
- تقديم عملية التحكيم قاعدة لدراسات مستقبلية متطورة .

الأساليب المستخدمة في التحكيم العلمي

تتم عملة التحكيم في المجالات العلمية من قبل خبراء محترفين في الاختصاص التي تقدم الدراسة من خلاله فيه وقد يقوم رئيس التحرير بمسؤولية التحكيم أو يكون رئيس لجنة التحكيم، وغالباً يتم الاعتماد على مجموعة من المحكمين العلميين من خارج المجلة، يمكن أن يكونوا أساتذة أو دكاترة جامعات و الذين يعملون على اختيار البحث الأجدر للنشر في المجلات، تختلف سير عملية التحكيم من مجلة إلى أخرى ببعض النقاط مثل عدد المحكمين و سياسة الخصوصية المدة المتوقعة للنشر وهي في العموم :

- دراسة البحث المقدم من قبل هيئة التحرير للتأكد من صلاحيته وإعطاء موافقة مبدئية من خلال مقارنته بالأبحاث الأخرى في نفس المجال للتأكد من صلتها بالاختصاصات المتوفرة في المجلة وأن هذه الأبحاث ذات جودة عالية .

- يجب المحافظة على سرية المعلومات الشخصية للباحث عند عملية التحكيم لتجنب المحسوبيات و عدم تدخّل العلاقات الشخصية والمعارف في عملية التحكيم .

- يقوم رئيس التحرير في المجلة باختيار المحكمين لمراجعة وتقييم ما تم الموافقة عليه في التحكيم الأولي ، يتم اختيار محكمين اثنين على الأقل لمراجعة البحث، حيث يعتمد اختيارهم بناءً على عدة أسس منها :

- أن يكون المحكمين مختصين في مجالات الدراسة التي تختص فيها المجلة .
- أن يتميز المحكمين بمسؤولية وأخلاق عالية إضافة إلى الأمانة والسرية والتقيّد بأخلاقيات النشر في المجلة .

- مهارات تحكيم ذات جودة جيدة .
- الوقت المطلوب لعملية التحكيم .
- المعرفة العالية و الإلمام الكبير بمواضيع الأبحاث .
- إذا تم الاتفاق على صلاحية البحث، يرسل قرار موافقة اللجنة إلى هيئة التحرير التي تباشر الإعداد لنشره .

- يمكن أن يكون قرار الموافقة مصحوباً ببعض الملاحظات على نقاط مطلوب تعديلها فتعيد هيئة التحرير ملف الدراسة للباحث لإجراء التعديلات و إعادة إرساله للمجلة حيث تقوم المجلة بعرضه على هيئة التحكيم للموافقة على التعديلات الجديدة والنشر في حال القبول .
- عادةً تأخذ عملية التحكيم فترة طويلة من أيام إلى شهور و تصل أحياناً لحوالي سنة حسب كل المجلة .

المعايير التي يأخذ بها المحكمين في تقييم الدراسات :

- 1) مدى أصالة الأفكار التي يقدمها الباحث والفوائد التي تعود على المجتمع .
 - 2) مدى ملائمة منهج البحث و أساليبه .
 - 3) مدى تنسيق البحث وجودة العرض .
 - 4) التزام الباحث بالقواعد النحوية والإملائية وضرورة التدقيق اللغوي .
 - 5) مدى توافق تصميم البحث مع الضوابط المفروضة والتي تختلف حسب كل مجلة .
 - 6) مدى علاقة موضوع البحث المقدم باختصاص المجلة .
 - 7) موضوعية الدراسة وقيمة النتائج و دقتها.
 - 8) مدى الاقتباس من الدراسات الأخرى .
- أسباب رفض نشر الأبحاث والأوراق العلمية¹¹:

- 1) هناك مجموعة من الأسباب التي تؤدي إلى رفض الأبحاث والأوراق الأكاديمية التي يتم تقديمها للنشر في المجالات والمواقع المختلفة ومن أبرز الأسباب التي يتم من أجلها رفض نشر الأبحاث والأوراق الأكاديمية:
- 2) ألا يكون الموضوع الذي قام الباحث بالكتابة عنه موضوعاً جديداً وذو أهمية في المجال الذي يتخصص فيه الباحث.
- 3) ألا يكون الموضوع من ضمن المجالات التي تقوم المجلة أو الموقع بالنشر فيه.

4) أن تكون الأبحاث أو الأوراق الأكاديمية تحتوي في أحد أو أغلب أجزائها على أخطاء علمية أما في أسلوب الكتابة أو المعلومات أو أن تكون المعلومات قديمة ولا تعبر عن الواقع.

5) استخدام الباحث لأسلوب علمي غير مناسب أو استخدامه لأداة غير مناسبة لطبيعة البحث في جمع البيانات.

6) احتواء الأبحاث أو الأوراق الأكاديمية على سرقات علمية.

العقبات التي تواجه الباحث في النشر العلمي¹²:

- كثرة متطلبات قواعد النشر بهذه المجالات العلمية وتأخر المجالات بالردّ على الباحث بنتيجة تحكيم بحثه وعدم تبرير رفض الأبحاث المقدمة للنشر.
- اعتماد بعض المجالات على سياسة الرسوم في النشر في تنفير الباحث من التعامل مع هذا النوع من المجالات التي وإن كانت محكمة فإنّها أحياناً تغلب الجانب التجاري على الجانب العلمي.
- تعقيد قبول البحث في المجالات المحكمة. ضف إلى ذلك تفشي ظاهرة النشر عن طريق التزكية والولاء وهو ما يخلّ بتكافؤ الفرص بين الباحثين، الأمر الذي ساهم في تدني المستوى العلمي في مختلف أقطار العالم العربي.

- عدم إلزام الباحثين بقواعد النشر التي تنصّ عليها هيئة التحرير في المجلة المعنية وهو ما يحيل دون النظر في بحثه المقدم للنشر وعرضه على لجنة التحكيم. وكذلك يساهم اجترار نفس المحاور المطروحة التي لا تفضي إلى نتائج طريفة في تعطيل نشر البحث في المجالات العلمية المحكمة التي تشدّ التميّز والجدة والطرافة في الأبحاث.

حلول لمشكلة رفض البحوث:

- ضرورة التزام الباحث بقواعد النشر في المجالات المحكمة بما في ذلك احترام تخصص المجلة
- عدم التقدم بالنشر إلى أكثر من مجلة وبأكثر من لغة في الوقت نفسه.

-على الباحث احترام أخلاقيات البحث العلمي والضوابط العلمية المتبعة في الأبحاث العلمية والعمل على رفع مستوى الأبحاث المقدمة للنشر من خلال الابتعاد عن السطحية والعموميات وخلق الطرافة.

- ضرورة تسويق المجالات لنفسها حتى يتعرف إليها الباحث العربي في كل مكان.
- يتوجب على الساهرين على هذه المجالات العلمية المحكمة الالتفات إلى أعمال الباحثين والتعامل معها بموضوعية والابتعاد عن اتباع سياسة النشر بالولاء والمحسوبية.
- التشجيع على البحوث الجماعية للتشجيع على التعاون بين الباحثين
- ضرورة الالتزام بالتحكيم العلمي الرصين في انتقاء المقالات المعروضة للنشر والابتعاد عن المعيار الذوقي والأهواء في اختيار الأعمال المقدمة للنشر.

الدراسات السابقة:

في دراسة للقيسي وآخرون¹³، هدفت الدراسة الى معرفة مدى تقييم التدريسيين للنشر في المجالات العلمية المحكمة، ولصعوبة حصر اراء جميع التدريسيين ولكافة الجامعات العراقية فقد تم اخذ جامعة واسط مثالا على هذا الموضوع . البحث ميداني وتضمن الاتي: استمارة استبيان مؤلفة من 15 سؤال توزعت حول ثلاثة محاور هي المحور التنظيمي والمحور العلمي والمحور الفني . تكونت عينة البحث من (100) تدريسي بمختلف الالقاب العلمية (استاذ، استاذ مساعد، مدرس، مدرس مساعد) وموزعون بالتساوي على الكليات العلمية والانسانية، علما ان النسبة المئوية للذين استطلعت آراؤهم الى العدد الكلي لتدريسي جامعة واسط والبالغ (804) تدريسي هي: 12,5% تقريبا، و خرج البحث بتصوّر واضح حول مجمل المشاكل والمعوقات التي تعترض النشر الاكاديمي في الجامعات - جامعة واسط مثال.

وفي دراسة لمولود¹⁴ هدفت الدراسة الى تحديد الأهمية النسبية لمعوقات نشر البحوث التربوية في المجالات العلمية، ولتحقق ذلك تم الاعتماد على عينة ميسرة من 65 مفردة من باحثي التربية في مختلف الجامعات الجزائرية، كما تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، أشارت النتائج إلى أن أكثر المعوقات هي المعوقات المنهجية وذلك بأهمية نسبية بلغت 84.41%، تليها المعوقات التمويلية، وأخيرا المعوقات التنظيمية، كما

تبيين عدم وجود فروقات ذات دلالة إحصائية في الأهمية النسبية لطبيعة معوقات نشر البحوث التربوية في المجالات العلمية تعزى للمتغيرات الوسيطة: الرتبة العلمية، عدد سنوات الخبرة.

دراسة¹⁵ (الدهشان) هدفت لإلقاء نظرة نقدية لواقع البحث التربوي العربي، من خلال دراسة نظرية استخدم فيها الباحث المنهج التحليلي، أشارت النتائج إلى غياب الخريطة البحثية وعدم وجود سياسة واضحة المعالم، ضعف الأصالة والإبداع، معظم البحوث التربوية غير مرتبطة بمدرسة فكرية معينة وينقصها العمق، العديد من البحوث تخلو من دراسة مشكلات تربوية حقيقة وواقعية، التركيز على البحوث التربوية الكمية وغياب البحوث الكيفية أو النوعية، نشر الأبحاث لأغراض الترقية وليس لأغراض التنمية والحاجة الاجتماعية إليها، قلة البحوث الجماعية والتعاون بين الباحثين، المبالغة في استخدام الأرقام والوسائل الإحصائية، ضعف التكوين العلمي للباحث في العلوم التربوية .

واستنتجت الباحثة على تأكيد جميع الدراسات السابقة على دور البحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي. اتفقت معظم الدراسات السابقة على وجود معوقات مادية وبشرية تحول دون النشر العلمي في المجالات العلمية.

منهجية البحث: بناءً على الأهداف التي سعت لتحقيقها، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، والذي يحاول من خلاله وصف الظاهرة وصفاً دقيقاً كما توجد في الواقع وتحليل بياناتها والعلاقة بين مكوناتها والآثار التي تحدثها .

عينة الدراسة: تم اختيار عدد (88) باحثاً علمياً ليكونوا عينة الدراسة، تم اختيارهم بالطريقة الطبقية، حيث تعتبر هذه الطريقة من أفضل أنواع العينات وأكثرها دقة في تمثيل المجتمع الإحصائي غير المتجانس والتي يكون لبعضها أهمية خاصة من حيث النوع والمؤهل والخبرة والمجال الوظيفي، وعن طريقها نحصل على تقدير متوسطات لا تكون منحازة لفئة من فئات عينة الدراسة، والجدول رقم (1) يبين الخصائص الديمغرافية لعينة الدراسة.

جدول (1) توزيع عينة الدراسة حسب متغيرات الديموغرافية للدراسة

نوع المتغير	المستويات	التكرارات	النسبة المئوية
النوع الاجتماعي	ذكر	35	39.8%
	أنثى	53	60.2%
	المجموع	88	100%
متغير الأكاديمي	ماجستير	3	3.4%
	دكتوراه	66	75%
	أستاذ جامعي	19	21.6%
	المجموع	88	100%

أداة الدراسة: تم الاعتماد على (الاستبانة) كأداة لهذه الدراسة، وتكونت أداة الدراسة من أربعة محاور هي، معايير كتابة الأبحاث العلمية، و معايير اختيار المجلة العلمية الصالحة للنشر، و معايير النشر الصحيحة. ومعايير العقبات التي تواجه الباحث بعملية النشر وتم تصميم الاستبانة للمحاور الأربعة وفق مقياس ليكرت الخماسي حيث تُعطى فيه الإجابات أوزان رقمية تمثل درجة الإجابة على العبارة.

الخصائص السكومترية لأداة الدراسة:

صدق المحكمين: تم عرض الأداة على مجموعة من المحكمين من ذوي الخبرة بلغ عددهم (7)، وذلك لقياس مدى صدق مفردات الاستبانة، ومدى قدرتها على قياس الهدف التي وضعت من أجله، والتأكد من وضوح كل عبارة من عباراتها، من حيث دقة صياغتها اللغوية وارتباطها بالمحور الذي تنتمي إليه، وموائمتها لبيئة العمل في مراكز البحث والجامعات، وبناءً على ذلك تم اختيار العبارات التي أجمع المحكمون عليها، كما قام الباحث بتعديل العبارات التي اقترحوا تعديلها أو إعادة صياغتها، وبعد إجراء جميع التعديلات المقترحة تم إخراجها في صورتها النهائية.

الاتساق الداخلي: يقصد بالاتساق الداخلي أن كل فقرة من فقرات أداة الدراسة تهدف إلى قياس ذات الوظيفة التي تقيسها الفقرات الأخرى، حيث يتحدد ارتباط كل فقرة من فقرات الأداة بالدرجة الكلية لمجموع الفقرات التي تتكون منها الأداة. والجدول رقم (2) يبين النتائج.

جدول (2) معاملات ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية			
م	معامل الارتباط	م	معامل الارتباط
1	**0,63	11	**0,76
2	**0,55	12	**0,86
3	*0,37	13	**0,60
4	*0,39	14	**0,91
5	**0,76	15	**0,92
6	*0,49	16	*0,35
7	**0,66	17	**0,68
8	**0,84	18	**0,94
9	**0,87	19	**0,55
10	**0,78	20	**0,68

النتائج: تم حساب الثبات بطريقة ألفا كرونباخ لمجالات الدراسة مع الدرجة الكلية، بالإضافة إلى معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية للأداة ككل، وذلك على عينة استطلاعية من خارج عينة الدراسة تكونت من (20) باحثاً. والجدول رقم (3) يبين قيم معاملات الثبات.

جدول رقم (3) معاملات ثبات الاستبانة

معايير كتابة الأبحاث العلمية	الفا كرونباخ	التجزئة النصفية
معايير اختيار المجلة العلمية الصالحة للنشر	0,84	0,87
معايير النشر الصحيحة	0,90	0,89
العقبات التي تواجه الباحث بعملية النشر	0,85	0,91
الدرجة الكلية	0,86	0,88
	0,87	0,90

النتائج:

للإجابة على أسئلة الدراسة، تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات عينة الدراسة حول دور البحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي حسب مجالات الدراسة والأداة ككل.

جدول رقم (4): ملخص آراء عينة الدراسة حول محاور الدراسة الأربعة

محاو الدراسة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة	الترتيب
معايير كتابة الأبحاث العلمية	4.2264	0.54250	موافق بشدة	3
معايير اختيار المجلة العلمية الصالحة للنشر	4.4372	0.44370	موافق بشدة	1
معايير النشر الصحيحة	3.8527	0.87218	موافق	4
العقبات التي تواجه الباحث بعملية النشر	4.2698	0.57911	موافق بشدة	2
الدرجة الكلية	4.2143	0.52471	موافق بشدة	-

يوضح جدول (4) متوسطات آراء أفراد العينة حول محاور الدراسة الخمسة حيث جاء في المرتبة الأولى (معايير اختيار المجلة العلمية الصالحة للنشر) بمتوسط حسابي (4.4372) من أصل (5) وانحراف معياري (0.443)، يليه في المرتبة الثانية (العقبات التي تواجه الباحث بعملية النشر) بمتوسط حسابي (4.2698) من أصل (5) وانحراف معياري (0.57911)، يليه في المرتبة الثالثة (معايير كتابة الأبحاث العلمية) بمتوسط حسابي (4.2264) من أصل (5) وانحراف معياري (0.54250)، يليه في المرتبة الرابعة (معايير النشر الصحيحة) بمتوسط حسابي (3.8527) من أصل (5) وانحراف معياري (0.87218). فيما جاء متوسط الاستبيان ككل بقيمة (4.2143) وانحراف معياري (0.52471)

وهو ما نستنتج من خلاله اتفاق أفراد عينة الدراسة بشدة على الدور الكبير للبحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي. وتعزو الباحثة هذه النتيجة لان الباحث يعرف أصول وقواعد وآلية النشر في المجلات العلمية، لأن المجلة العلمية واحدة من أهم الآليات التي يلجأ إليها الباحث العلمي من أجل نشر البحث العلمي الخاص به، أو يتم فيها نشر آخر الأخبار العلمية، ويتم إصدار المجلات العلمية بشكل دوري يومي أو أسبوعي أو شهري حسب سياسة المجلة العلمية، كما أن هناك أنواع متنوعة للمجلات العلمية. وأغلب الباحثين عندما يرغبون في إثراء معلوماتهم وأفكارهم وثقافتهم فإنهم أول ما يبحثون عنه هو المجلات العلمية المنشور بها الأبحاث العلمية المفيدة التي تطور الأفكار كما أنها تزيد من الثقافة والمعلومات، وليس هذا فقط بل إن أنواع المجلات العلمية أيضًا تعمل على إفادة الباحث العلمي المقبل على عمل بحث علمي في أي تخصص أو في أي فرع من الفروع العلمية. أيضا تعزو الباحثة النتائج السابقة إلى أن التقدم الأكاديمي مرتبط جدا بالتدريس، حيث أن الدراسة الجامعية وما بعد الجامعية تقوم في أساسها على تحفيز الطالب على التحصيل والبحث العلمي بدلا من تلقينه، لذا يكون أفضل من يستطيع التحفيز على البحث والتحصيل هو باحث في المجال برغم أن التدريس كمهنة أيضا له متطلباته المهنية في عدد من المجالات التي تتطلب تطويرا مهنيا في مجال أساليب التدريس.

النتائج المتعلقة بالسؤال هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) لاستجابة أفراد العينة حول دور البحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي، تعزى للمتغيرات؛ النوع الاجتماعي، المؤهل الأكاديمي؟

للإجابة عن هذا السؤال، تم تحليل البيانات لاستخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابة أفراد العينة حول دور البحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي ومقارنة هذه المتوسطات باستخدام اختبار (T-Test)، وتحليل التباين الأحادي (ANOVA)؛ للتحقق من دلالة الفروق التي تعزى للمتغيرات الآتية: (النوع الاجتماعي، المؤهل الدراسي) على النحو التالي:

أولاً: متغير النوع الاجتماعي: تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، واختبار (T-Test) للعينة المستقلة لمعرفة أثر متغير النوع الاجتماعي (ذكر، أنثى)، والجدول التالي يوضح ذلك.

جدول رقم (5) يوضح المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، واختبار (T-Test) للعينة المستقلة لمعرفة أثر متغير النوع الاجتماعي (ذكر، أنثى)

المجالات	النوع الاجتماعي	عدد العدة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	القيمة (t)	الدلالة الإحصائية
معايير كتابة الأبحاث العلمية	ذكر	35	3.43	1.13	0.3600	0.721
	أنثى	53	3.51	0.74		
معايير اختيار المجلة العلمية الصالحة للنشر	ذكر	35	3.54	0.97	0.629	0.531
	أنثى	53	3.65	0.72		
معايير النشر الصحيحة	ذكر	35	2.94	0.84	0.881	0.381
	أنثى	53	3.11	0.89		
العقبات التي تواجه الباحث بعملية النشر	ذكر	35	2.70	0.61	0.042	0.966
	أنثى	53	2.70	0.79		

يلاحظ من الجدول السابق رقم (5) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) في تقديرات عينة الدراسة حول دور البحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي حسب متغير النوع الاجتماعي (ذكر، أنثى) في جميع المجالات.

ثانياً: متغير الأكاديمي: تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات عينة الدراسة حول دور البحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي حسب متغير المؤهل الأكاديمي والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم (6) تحليل التباين لأثر متغير المؤهل الأكاديمي حول دور البحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي

مجلات الدراسة	المصدر	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة ف	الدلالة الإحصائية
معايير كتابة الأبحاث العلمية	بين المجموعات	3.042	2	1.521	1.88	0.159
	داخل المجموعات	68.766	85	0.809		
	الكلية	71.808	87			
معايير اختيار المجلة العلمية الصالحة للنشر	بين المجموعات	1.602	2	0.801	1.195	0.308
	داخل المجموعات	56.964	85	0.67		
	الكلية	58.566	87			
معايير النشر الصحيحة	بين المجموعات	4.831	2	2.416	3.387	0.038
	داخل المجموعات	60.625	85	0.713		
	الكلية	65.456	87			
العقبات التي تواجه الباحث بعملية النشر	بين المجموعات	2.472	2	1.236	2.488	0.089
	داخل المجموعات	42.218	85	0.497		
	الكلية	44.69	87			

يلاحظ من الجدول (6) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ($\alpha=0.05$) في تقديرات عينة الدراسة حول دور البحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي. وتعزو الباحثة هذه النتيجة لأن أعضاء الهيئة التدريسية والباحثين الحاصلين على شهادة الدكتوراه، تشكل عملية نشر الأوراق العلمية في مجلات علمية رصينة ومستودعات سكوبس بشكل خاص، عائق لديهم للحصول على الترقية العلمية والتقدم الوظيفي. ويمكن أن يكون الأستاذ الجامعي متمكن من الناحية العلمية والمهنية، لكن عنده ضعف في القدرة على كتابة الأبحاث العلمية، وبالتالي لا يحصل التدريسي على الترقية. وهذا لا يتعارض مع

الدراسات السابقة مثل دراسة الزيايدي (2017) على أهمية النشر العلمي في الإرتقاء والتقدم لأي بلد، لكن هذا المحور يعرض رغبة التدريسي نفسه وطموحه في الحصول على الرتبة. الإستنتاجات:

- إتفاق عينة الدراسة الذكور والإناث على الدور الكبير للبحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي.
- إتفاق عينة الدراسة بالرغم من إختلاف رتبها العلمية على الدور الكبير للبحوث العلمية الرصينة في التقدم الأكاديمي.

التوصيات:

- تبني فكرة تحسين جودة التعليم الجامعي وطرائقه المختلفة والانتقال من التعليم النمطي الكلاسيكي الى التعليم المعاصر التي يستثمر معطيات الثورة الرقمية ويجعل الأستاذ الجامعي والباحث محوري العملية التعليمية في التفكير الابداعي والتحليلي الاستنتاجي، ومن ثم الحكم على الأستاذ الجامعي وترقيته من هذا المنطلق، بالإضافة إلى النشر العلمي.
- الريادة في الاعمال واستشراف الآفاق المستقبلية، والسعي الحثيث لاستفادة القصوى من المعايير الدولية لتحسين جودة المنتج البشري (الأستاذ الجامعي و الباحث) والمعرفي وصولاً الى الاعتماد الأكاديمي العالمي.
- تغيير مهام المؤسسات التعليمية وتنوعها بين التعليم والبحث العلمي وريادة وخدمة المجتمع وكذا تحويلها من مؤسسة عالية على الناتج القومي إلى مؤسسة ريادية منتجة تسهم فيه.
- التعاون بين المنظمات العلمية العالمية المختصة بهذه المجالات والمؤسسات التعليمية والمراكز البحثية بتقديم المشورة الناجعة وومتابعة تطبيقها.
- إعادة النظر العلمية للمجالات على ضوء معامل التأثير .
- إعتتماد وصياغة معايير علمية ثابتة موحده للمدارس البحثية العربية، وهذه المعايير معتمدة على معايير جمعية علم النفس الأمريكية .

المراجع:

- 1- أبو راضي، فتحى عبد العزيز (2004). مبادئ الإحصاء الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية.
- 2- أسباب رفض نشر الأبحاث والأوراق العلمية. (2020). المنارة للإستشارات البحثية. [/https://www.manaraa.com](https://www.manaraa.com)
- 3- بادي، غسان خالد . (2007). تحليل مضمون حقوق الإنسان في مقرر التربية البدنية للصف الأول الثانوي في فرنسا . بحث مقدم في ندوة المناهج الأسس والمنطلقات جامعة الملك سعود : الرياض
- 4- البياتي، فارس رشيد (2018)، الحاوي في مناهج البحث العلمي، دار السواقي العلمية للنشر والتوزيع الأردن، عمان.
- 5- بدوي، محمود فوزي أحمد. (2021). النشر العلمي في العصر الرقمي : الفرص والتحديات. مجلد. المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية. (4) العدد (1)
- 6- الحسني، زهير. (2011). تطوير التعليم العالي والبحث العلمي في العراق وفق معايير الجودة. دار الاندلس. بيروت ج2.
- 7- الدهشان، جمال على خليل. (2020). النشر العلمي في العصر الرقمي "الفرص والتحديات، ط1، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر.
- 8- ذويب، نجاة. (2016). معوقات النشر في المجلات العلمية المحكمة وسبل تجاوزها. كلية الآداب والعلوم الانسانية. القيروان.
- 9- الزيايدي، حسين عليوي ناصر. (2017). النشر الاكاديمي في المجلات العراقية - واقعه وسبل الارتقاء به. مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية . مجلد 1 عدد 24
- 10- الصلاحي، اياد كريم. (2019). تقارير الاستشهادات المرجعية الذي تصدره معامل التأثير. (24) 1: 148-152
- 11- عبد المعطي، محمود. (2019). مُعامل التأثير العربي. منظمة المجتمع العلمي العربي . <https://arsco.org/home>
- 12- عبيدات، ذوقأن، عدس، عبد الرحمن، عبد الحق، كايد. (2005). البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه. (ط9). عمان: دار الفكر.
- 13- شبكة النخبة للنشر العلمي. (دت). نظام التحكيم في المجلات العلمية. <https://www.alno5ba.com/contact.php>
- 14- فراج، عبد الرحمن. (2009). التحكيم العلمي ودوره في نظام الاتصال العلمي : الدوريات المتخصصة نموذجًا. Cybrarians Journal . العدد 18.

- 15- القيسي، محمد فهد، وأحمد، أحمد ياسين. (2019). تقييم التدريسيين للنشر في المجلات العلمية المحكمة - جامعة واسط مثالا. لارك، 1(24)، 45-48.
- 16- محمد، فؤاد قاسم، عبد المجيد، غسان حميد، العطاري، سعد سابط جابر، و محمد ، نصري صالح. (2015). رصانه المجلات العلمية والنشر. جمهورية العراق. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
- 17- مولج، كمال و فريدة. (2018). معوقات نشر البحوث التربوية في المجلات العلمية. المجلة الدولية للدراسات التربوية والنفسية. 3(3) .
- 18- المنارة للإستشارات. (2020). أسباب رفض نشر الأبحاث والأوراق العلمية. <https://www.manaraa.com/tag/%D8%A3%D9%88%D8%B1%D8%A7%D9%8>

2

19- [المجلات العلمية الرصينة] . (د.ت). مجموعة من الدكاترة المتخصصين في البحث العلمي على التلحرام.

الهوامش:

- ¹ البياتي، فارس رشيد (2018)، الحاوي في مناهج البحث العلمي، دار السواقي العلمية للنشر والتوزيع الأردن، عمان.
- ² لحسني، زهير. (2011). تطوير التعليم العالي والبحث العلمي في العراق وفق معايير الجودة. دار الاندلس. بيروت ج2.
- ³ شبكة النخبة للنشر العلمي. (د.ت). نظام التحكيم في المجلات العلمية. <https://www.alno5ba.com/contact.php>
- ⁴ محمد، فؤاد قاسم، عبد المجيد، غسان حميد، العطاري، سعد سابط جابر، و محمد ، نصري صالح. (2015). رصانه المجلات العلمية والنشر. جمهورية العراق. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
- ⁵ الصلاحي، اياد كريم. (2019). تقارير الاستشهادات المرجعية الذي تصدره معامل التأثير. (24) 1: 148-152
- ⁶ الدهشان، جمال علي خليل. (2020). النشر العلمي في العصر الرقمي "الفرص والتحديات، ط1، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر.
- ⁷ عبد المعطي، محمود. (2019). مُعامل التأثير العربي. منظمة المجتمع العلمي العربي. <https://arsco.org/home>
- ⁸ بدوي، محمود فوزي أحمد. (2021). النشر العلمي في العصر الرقمي: الفرص والتحديات. مجلد. المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية. (4) العدد (1)
- ⁹ شبكة النخبة للنشر العلمي. (د.ت). نظام التحكيم في المجلات العلمية. <https://www.alno5ba.com/contact.php>

¹⁰ فراج، عبد الرحمن. (2009). التحكيم العلمي ودوره في نظام الاتصال العلمي : الدوريات المتخصصة نموذجًا.

Cybrarians Journal . العدد 18.

¹¹ أسباب رفض نشر الأبحاث والأوراق العلمية. (2020). المنارة للإستشارات البحثية.

[/https://www.manaraa.com](https://www.manaraa.com)

¹² ذويب، نجاة. (2016). معوقات النشر في المجلات العلمية المحكمة وسبل تجاوزها. كلية الآداب والعلوم الانسانية.

القيروان.

¹³ القيسي، محمد فهد، وأحمد، أحمد ياسين. (2019). تقييم التدريسيين للنشر في المجلات العلمية المحكمة — جامعة

واسط مثالا. لارك، 1(24)، 45-48.

¹⁴ مولوح، كمال و فريدة. (2018). معوقات نشر البحوث التربوية في المجلات العلمية. المجلة الدولية للدراسات التربوية

والنفسية. 3(3) .

¹⁵ الدهشان، جمال على خليل. (2020). النشر العلمي في العصر الرقمي "الفرص والتحديات، ط1، المكتبة العصرية

للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر.

**LE CLUSTER DE L'OFFRE TOURISTIQUE D'OUELATANA
AMONT COMME OPTION DE DÉVELOPPEMENT TERRITORIAL
JABBAR LARABI ¹ EL BAKKARI MOHAMED ² Emad bouyzillan ³**

**(1) et (2) : Laboratoire d'Analyses Géo-Environnementales,
d'Aménagement et de Développement Durable (LAGEA-DD)**

**(3) : Master de la dynamique des milieux naturels
elbakkarimohamed@gmail.com**

La date du dépôt: 10/05/2021 Date d'arbitrage: 25/05/2021 Date de publication: 15/06/2021

Résumé :

Le tourisme est un phénomène « nouveau qui n'a vraiment émergé dans la réalité quotidienne que depuis moins d'un demi-siècle. Dans les pays développés voyager et découvrir de nouveaux horizons sont des besoins essentiels au même titre que se loger ou se nourrir. La pratique du tourisme s'est considérablement étendue sous l'effet combiné de l'extension du temps de loisir et de la révolution des transports qui a rendu le déplacement plus facile. Le tourisme est un secteur florissant. Il est l'une des plus grandes industries au monde et dans de nombreuses régions, il représente une source importante d'investissement et d'emploi. ».

Le tourisme de montagne est un produit nouveau parmi les autres produits touristiques marocains ; il contribue effectivement au développement socioéconomique des régions montagneuses en donnant lieu à un certain nombre d'avantages tels que ; la création d'emploi, la stabilisation de la population rurale, et la préservation du patrimoine naturel et culturel de la montagne.

Néanmoins, ce n'est qu'à partir du millier du 20^{ème} siècle que le tourisme de montagne au Maroc a commencé à s'épanouir, il connaît beaucoup de contraintes. Cependant, il est nécessaire de nombreux efforts pour bien le positionner et le commercialiser au sein d'autres marchés internationaux, dans l'objectif de mettre en valeur certaines régions qui disposent d'un potentiel touristique et nature exceptionnel.

Dans ce contexte, le territoire d'Ouelatana amont se prête bien à être le champ d'une activité touristique liée à la Montagne, vu son relief, son climat, ses sommets qui dépassent les 1000 m et son patrimoine humain et paysager riche en histoire et en légendes.

Cette étude est essentiellement consacrée à l'analyse de l'offre touristique dans le territoire d'Ouelatana amont, notamment. Il s'agit de présenter une description détaillée de cette offre dans l'optique d'identifier les axes de son développement et de sa promotion à mener par les collectivités territoriales en collaboration avec les autres acteurs du développement local.

Mots clé : Tourisme ; Offre touristique ; Développement Territorial

I. Introduction

Le début des années 80 avait connu l'émergence d'un nouveau courant de pensée dénommée « l'école de la proximité ». Elle se situe à la croisée des chemins entre l'économie industrielle et l'économie spatiale¹. Dans ses modes d'analyse, ce courant prend en considération l'importance de l'espace géographique comme support des interactions qui sont « situées dans le temps et l'espace et sont donc, à ce titre, façonnées par cette mise en situation. La localisation dans l'espace géographique et dans l'espace social des acteurs est un facteur explicatif de leurs comportements stratégiques et routiniers.² Il paraît que la dimension spatiale via l'ancrage territorial se situe au centre des intérêts de ce courant puisqu'il vise à dépasser la conception qui considère l'espace comme simple support des activités économiques et sociales. Il l'a, au contraire, complété et enrichi en favorisant la lecture de cet espace en matière des interactions et des coordinations des acteurs qui s'engagent dans la construction du territoire, qui est à son tour fruit d'une action collective mobilisant à la fois la proximité géographique et la proximité organisationnelle. La proximité comme condition sine qua non pour la mobilisation des ressources, un des piliers majeurs de la construction territoriale.³

Nombreuses sont les tendances qui ont réorienté le centre d'intérêt vers le territoire comme nouveau paradigme de développement (les Systèmes Productifs locaux SPL, les Clusters, les Milieux Innovateurs MI, et l'Ecole de Proximité). Ainsi, le territoire devient la figure de proue dans les politiques publiques de développement local. C'est suite à ces bouleversements que le local commence à émerger et à s'inscrire sur la scène tout en imposant ses atouts, ses potentialités et ses spécificités. En d'autre terme, le local voit se présenter l'occasion de se repositionner tout en permettant à ses acteurs de se mobiliser autour des ressources locales qui sont à la base de leurs identités et celle de leur territoire. Cette mobilisation représente en effet l'un des moteurs susceptibles d'accroître l'attractivité de notre territoire.

Dans ce contexte, le territoire d'Oueltana amont se prête bien à être le champ d'une activité touristique liée à la Montagne, vu son relief, son climat, ses sommets qui dépassent les 1000 m et son patrimoine humain et paysager riche en histoire et en légendes.

Nous consacrons cette étude pour l'analyse des offres territoriales les plus compétitives dans le territoire d'Oueltana amont, principalement l'offre touristique. Il s'agit de présenter une description détaillée de cette offre afin d'extraire les axes de son développement et de sa promotion.

II. L'offre touristique.

L'offre touristique peut être définie comme « *l'ensemble des services et des biens finals proposés par le secteur touristique aux consommateurs à un prix donné pour satisfaire leurs besoins. Elle se mesure en termes de capacité d'équipement, d'hébergement et de transport touristiques. Leurs importances, leur qualité, leur adaptation à la demande conditionnent la formation et la croissance des flux touristiques* ».

L'offre touristique d'une destination, à savoir que ce soit un pays, une région ou une localité, est toujours composé d'un large éventail d'éléments, plus ou moins diverses. La diversité des éléments qui la constituent dépend du degré d'intégration atteint dans le développement et le potentiel offert par la destination.⁴

Cependant, dans tous les cas, toute destination doit avoir une offre composée d'un minimum de composantes sans lesquelles il ne pourra pas satisfaire la demande.

Les principales composantes de l'offre touristique sont les ressources touristiques et les infrastructures. Les ressources touristiques (naturelles ou créées par l'homme) sont une composante fondamentale de l'offre. Les éléments de base inclus dans cette catégoriesont, d'un côté, le climat, la flore et la faune, le paysage, les plages et les montagnes qui s'incluent dans les ressources naturelles et d'autre part, l'art, l'histoire, les monuments, parcs thématiques, qui comprennent les ressources créées par l'homme.

En effet, le concept et les formes du tourisme ont changé, et les motivations de touristes à l'heure actuelle tendent vers un tourisme de nature, un tourisme vert qui leur permet de sortir de leur quotidien dans les espaces citadines stressants, de découvrir l'exotisme et de savourer l'odeur de l'authenticité. C'est ainsi que le tourisme de montagne a vu le jour, et il a connu un essor croissant à partir des années soixante en Europe et en Amérique.

Le territoire d'Oueltana amont est caractérisé par la richesse, la diversité et la spécificité patrimoniale de ses ressources naturelles,

paysagères et culturelles, qui pourraient constituer un puissant levier pour le développement économique et social de la région. Certainement, notre zone d'étude offre une intéressante niche de développement de multiples activités touristiques rurales. La variété des patrimoines naturels aussi bien que culturels et leurs complémentarité peuvent constituer des avantages absolus, matériels et immatériels.

1. Identification de l'offre touristique du territoire d'Oueltana amont

L'analyse des potentialités du territoire d'Oueltana Amont, a montré qu'elle possède de multiples atouts, de grande valeur (le site d'intérêt biologique et écologique (SIBE) du pont naturel d'Iminifri, le site des traces de dinosaures d'Iwariden, un patrimoine paysager, et un patrimoine culturel (Moussems, patrimoine bâti, tissage, poterie...etc.). La zone d'étude jouit une offre touristique très diversifiée, ce qui rend cette zone un marché du tourisme rural par excellence.

1) Le Géosystème karstique d'Iminifri

Le Géosystème d'Iminifri est une curiosité naturelle et karstique située dans la commune de Tifni. Ce pont naturel est un site d'attrait touristique mais aussi scientifique, par son caractère exceptionnel, conféré notamment par l'arche créée par les formations travertineuses. Il fait partie des sites sélectionnés par Géoparc du M'Goun.



Planche photo 1 : Ce pont naturel est un site d'attrait touristique mais aussi scientifique, par son caractère exceptionnel, conféré notamment par l'arche créée par les formations travertineuses. Il fait partie des sites sélectionnés par Géoparc du M'Goun

L'oued Tissilt, « torrent tumultueux en période de crue, a creusé de profondes entrailles dans les formations du Jurassique inférieur jusqu'aux formations salines du Trias. Beaucoup plus tard, probablement au cours de la période du Pliocène, les sources d'eau douce et les nombreuses cascades ont formé des dépôts de travertins tellement importants qu'ils ont pu unir les deux rives de l'oued Tissilt, constituant ainsi une magnifique arche d'une hauteur de 30 mètres ».⁵

Le site du pont naturel d'Iminifri est classé au niveau de la direction du patrimoine par Arrêté viziriel du 19 mars 1949 et retenu comme Site d'Intérêt biologique et écologique (SIBE). Le SIBE d'Iminifri fait partie de la forêt d'Aghori d'une superficie de 2 500 ha, constituée essentiellement de peuplements de Pin d'Alep en mélange avec le chêne vert et le thuya. Il est le lieu d'une importante biodiversité faunistique et floristique regroupant notamment des espèces endémiques, telles que l'euphorbe résinifère. L'inventaire de la biodiversité végétale du SIBE a permis de recenser 172 espèces, mais on peut l'estimer à 200 espèces. Il s'agit d'un site important pour l'avifaune puisqu'il tient lieu d'espace de nidification ou de dortoir nidification pour certaines espèces.⁶

Selon l'inventaire de la biodiversité du SIBE d'Iminifri fait par l'Association des Amis du Muséum d'Histoire Naturelle de Marrakech (AAMHNM), a permis de recenser 172 espèces végétales, organisées en 57 familles et 136 genres différents. La Famille des Astéracées comprend le plus grand nombre de genres et d'espèces (respectivement 22 et 29), suivie des Poacées (15 espèces et 10 genres) ; des Fabacées (14 espèces et 14 genres) ; les Brassicacées (10 espèces et 9 genres) ; les Lamiacées (10 espèces et 7 genres) ; les Apiacées (6 espèces et 5 genres). Ces six familles représentent à elles seules 50% de la richesse floristique du SIBE. Les autres familles sont représentées avec moins de 4 espèces ; 29 familles ne sont présentes qu'avec une seule espèce chacune.

L'estimation de la fréquentation donnée par l'association AESVT de Demnate est de 200 à 300 visiteurs par jour avec un pic en été de 500 à 600 visiteurs étrangers et marocains confondus par jour. L'estimation donnée par la mairie de Tifni (Iminifri) est de 50 000 à 60 000 visiteurs par an, soit 137 à 160 visiteurs par jour. Selon la mairie de Tifni (Iminifri), 90% des touristes viennent pour les sites et quelques-uns pour des circuits de randonnée (depuis Ouarzazate, traversée du Haut Atlas depuis Marrakech et

vers la vallée d'Aït bougmaz).

2) Le pont naturel d'Iminifri, fragilité d'aménagement et manque de gestion.

Depuis 2006, l'autorité provinciale a construit des escaliers et des parapets de protection pour limiter les accidents et atténuer la dégradation de site. Toutefois, on constate l'absence totale d'entretien des aménagements. A titre d'exemple, une partie de mur de protection est détruite depuis 2013 jusqu'à nos jours 12/06/2018 dans l'absence totale de suivi et de reconstruction. Ainsi on observe que les murets de soutènement ne sont pas assez nombreux ni efficaces, la végétation sur les parois étant insuffisante pour retenir le sol entraîné par l'eau. L'aménagement de ces escaliers n'est pas suffisant pour pallier à l'érosion des parois du canyon. On observe alors une accumulation de terre dans ces escaliers, peu esthétique, pouvant présenter un danger pour les promeneurs et nécessitant un curage régulier des escaliers.

Le site touristique d'Iminifri est menacé chaque jour par le surpâturage, ce qui conduit d'une part à l'érosion et la chute de débris (les caprins escaladent les parois pour se nourrir) et d'autre part, il participe à la distorsion du paysage.

Pour la découverte sous le pont d'Iminifri, le promeneur suit un sentier accessible à partir du bas des escaliers. Il nécessite la traversée de l'oued, avec peu aménagements spécifiques. Très peu visible, sa présence n'est pas indiquée. Il est cependant, le seul moyen d'accès au point de vue sur la « Porte de l'Afrique »

Le sentier sous le pont est un chemin en terre non aménagé : excepté à certains endroits où des « marches » ont été creusées dans le sol. Il représente un danger pour les personnes à cause de l'absence de mur de protection et pour passer il faut se tenir aux parois. De plus, ce sentier n'est pas forcément accessible à tout le monde, mais il n'y a aucune information là dessus. Le site abrite une faune sauvage spécifique (espèces vivant sous le pont) pour laquelle la fréquentation humaine représente un dérangement important. Pourtant, aucun panneau n'indique cette présence.

On constate le long de la descente des escaliers que l'implantation de campements abusifs sur le site est en cours, ce qui peut engendrer à moyen et long terme une dégradation de l'environnement du site (dégradation

visuelle, perte de l'aspect naturel, accentuation de l'érosion, impact sur la faune et la flore...), ainsi que des conflits d'usage et de propriété.

Le site est riche de nombreux éléments. Cependant, beaucoup de ces derniers sont dissimulés en son sein. Il est nécessaire d'attirer l'attention du visiteur sur certains éléments afin de lui faire découvrir la richesse du lieu. De plus, le visiteur est demandeur d'informations lui permettant de comprendre le lieu, de l'inclure dans un contexte. D'autre part, il paraît nécessaire, afin de développer l'économie locale, que le touriste soit informé sur place de la présence de points de restauration, de vente ou d'hébergements (gîtes) à proximité. Pour cela, l'information doit être rassemblée en un endroit stratégique, et clairement localisée et/ou fléchée. Enfin, le visiteur doit être averti de certains dangers auxquels il peut être exposé en pénétrant au sein du site.

Le tourisme est une activité qui tend à se développer sur le territoire du pont naturel d'Iminifri, notamment par la promotion qui est faite via la labellisation du Géoparc du M'Goun. Il serait intéressant de profiter de cet engouement pour développer des activités autour du tourisme, afin d'augmenter les ressources de la population locale.

L'offre de restauration et d'hébergement actuelle, sur le site d'Iminifri ou à proximité, serait à diversifier et à densifier, afin de permettre aux touristes de rester plus longtemps dans la région proche du site et ainsi favoriser les apports financiers directs à la population. De plus, cette offre devra être suffisamment diffusée pour une meilleure promotion, et ainsi attirer des clients.

Pour favoriser des séjours plus longs (supérieurs à une nuit) et ainsi faire rester les touristes sur ce territoire, il faudrait développer des activités annexes aux sites touristiques. Ces activités devront être respectueuses de l'environnement afin de ne pas dégrader la richesse des sites actuels, et pourraient s'inscrire dans un tourisme responsable. De plus, il pourrait être envisagé de promouvoir et développer des activités basées sur les ressources et savoir-faire local, telles que l'artisanat, la cuisine, la culture et les plantes médicinales. Pour cela, une filière de production durable du type commerce équitable pourrait être mise en place, et/ou la vente des produits locaux à proximité des sites touristiques : par exemple, la vente de poteries provenant du village des potiers de Boughrart proche de Demnate sur le site du pont d'Iminifri.

Le site d'Iminifri est peu connu des touristes : en effet, la plupart des touristes viennent dans la région pour voir les Cascades d'Ouzoud (site qui leur a été recommandé par des guides ou des gérants d'hôtels des grandes villes touristiques les plus proches, Marrakech essentiellement), mais ignorent l'existence du pont naturel d'Iminifri. Le site est également visité par des Marocains, de Marrakech notamment, ou de Demnate. C'est un site qu'ils apprécient pour des promenades à la journée autour de l'édifice du pont.

Le pont naturel d'Iminifri se trouve à la limite du territoire de la ville de Demnate et la commune de Tifni, à laquelle il est rattaché administrativement. Cette situation d'appartenance est la cause principale du retard d'aménagement et d'attractivité de ce potentiel touristique, la commune rurale de Tifni n'investi pas dans l'aménagement de pont d'Iminifri car la ville de Demnate affirme ses droits d'avoir les retombées des touristes, et vice versa, une situation de crise qu'il faut régler pour sauver ce patrimoine naturel de tout risque.



Photo 1 : escalier en béton défigure le paysage



Photo 2 : aménagement d'escaliers vers une zone de campement.

3) Le Géosite des traces de dinosaures d'Iwariden

Le gisement de traces de dinosaures d'Iwariden se situe à une dizaine de kilomètres au Nord-Est de la ville de Demnate, sur la commune de Sidi Boukhalf.

Le site est constitué de traces de sauropodes quadrupèdes herbivores et de traces de théropodes tridactyles bipèdes carnivores. Découvert en 1937, le gisement est actuellement soumis aux dégradations du temps, accentuées par le climat et l'absence quasi-totale de végétation au sol, ce qui se traduit

par une forte érosion notamment lors d'épisodes pluvieux souvent intenses et pose de réels problèmes de conservation de ce patrimoine.⁷



figures de dessiccation, ce qui indique un environnement continental de type lagunaire ou sebkhaïque à émergence temporaire.

Le site se trouve dans une cuvette constituée de sédiments détritiques rouges appelés « Grès Guettia » ou couches rouges du Dogger. Les empreintes sont localisées dans des argiles rouges à fissures de dessiccation où sont emprisonnés des grains de pollens, ce qui prouve l'existence d'un environnement continental de type lagunaire ou sebkhaïque à émergence temporaire. En effet, pendant cette période (Bathonien Callovien : 170 millions d'années environ Jurassique Moyen), le Haut Atlas central d'Azilal était un golf marin ouvert au Nord Est sur le domaine Téthysien et bordé au Sud Est par des plaines littorales inondées temporairement par la mer et parcourues par des fleuves chenalisés et anastomosés, ceci a contribué à la formation de dépôts détritiques rouges des cuvettes synclinales actuelles.⁸

La région d'Iouariden comprend trois importants sites de cheminement d'empreintes de dinosaures :

- ✓ Iroutlane-Iwariden
- ✓ Aït Mimoun Ufella
- ✓ Jebel Bruna

Il y a trois sortes de traces représentées par plusieurs formes. « Les traces ovales et grandes sont celles d'un grand dinosaure herbivore très lourd qui porte le nom scientifique de *Bréviparopus taghbaloutensis*, le genre est *Bréviparopus*, l'espèce est *Taghbaloutensis*; ce dernier nom vient

*du petit hameau qui abrite ces traces. Il s'appelle Taghbaloute qui signifie en tamazight, la source. L'autre dinosaure est un tridactyles (trois doigts), ses traces ressemblent à des pattes d'oiseau; il est carnivore ».*⁹

L'accès au site des traces de dinosaures est un peu difficile. En effet, même si la route jusqu'à Iminifri est bonne, elle devient « chaotique » à partir du pont naturel. Ceci contribue grandement à l'enclavement du site, et limite son potentiel attractif. De plus, cet enclavement participe en grande partie à la pauvreté des habitants.

4) Les traces de dinosaures, un patrimoine en dégradation à cause de facteurs humains et naturels

Le site des traces des pas de dinosaures d'Iwariden est marqué par un vide, aucune intervention n'a été réalisée. La succession de dalles d'argiles à fissures de dessiccation renvoie une impression de sol brisé, assez chaotique.

Les traces de dinosaures, de part leur nature, sont sujettes à l'influence du climat depuis des milliers d'années. Aujourd'hui, les conditions climatiques sont telles dans le Haut Atlas central que le territoire est soumis à des événements de variations importantes : sécheresse accentuée en période estivale, précipitations abondantes pendant l'hiver, et aux saisons intermédiaires, épisodes orageux brusques et soudains de l'été. Ces différents éléments constituent une menace directe pour le site d'Iwariden, car ils contribuent à l'érosion naturelle des dalles sur lesquelles reposent les traces.

Outre les facteurs naturels, les facteurs anthropiques marquent particulièrement le territoire. L'implantation de l'homme sur le territoire et la nécessité de trouver des moyens d'assurer sa survie en cet endroit a modelé celui-ci de manière marquée. L'élevage, en particulier, joue un rôle sur l'intégrité du site : la végétation, adaptée aux conditions climatiques du lieu, est soumise aux besoins du cheptel. Son recul favorise l'érosion sur les versants du synclinal.

L'homme est également une menace directe pour le site : aménagements et activités de la vie quotidienne contribuent à sa disparition, via un piétinement accentué ou le ramassage du bois de chauffage, qui favorise la disparition de la végétation et l'altération des sols. La pauvreté et le manque de connaissance vis-à-vis du site ont contribué à sa détérioration

et à sa mise en danger par des habitudes profondément ancrées dans la culture.

L'activité touristique engendre une influence croissante sur les lieux, néfastes aux traces puisque celles-ci ne sont pas protégées. Toutefois, certaines initiatives permettent de contrebalancer ces menaces qui pèsent sur l'ensemble du site.

Au cours du temps, le site a subi de nombreux dommages dus à l'érosion, à la méconnaissance, et à la surexploitation scientifique du site. Il nécessite donc une restauration afin de mieux protéger et de mettre en valeur ces traces de pas de dinosaures.

Ceci passe par le nettoyage (racines et débris rocheux) des fentes de dessiccations et leur colmatage et le nettoyage des dalles des éboulis et des débris de surface. Ces opérations ont déjà été réalisées. Toutefois, il faut, notamment pour les dalles, répéter l'opération à intervalles de temps réguliers (érosion des roches environnantes, pousse des végétaux).

Pour indiquer le site, l'Association du Géoparc de M'Goun a mis en place deux panneaux, un premier panneau accueille le visiteur, et indique la présence d'un site géologique protégé, sans toutefois préciser ni la localisation exacte des traces, ni leur nombre. Au cours du temps, le premier panneau est dégradé à cause des conditions atmosphériques et va être remplacé par un deuxième panneau qui porte les mêmes erreurs du premier (manque d'information, fragilité en matière de construction...etc.).

Le deuxième type d'aménagement fait par l'association du Géoparc de Mgoun se manifeste dans un mur de soutènement fermé par une porte dans le but de protéger le reste des traces de dinosaures, le visiteur est obligé de demander la clé de l'un des habitants du douar pour pouvoir accéder et voir les traces. Les enfants de douars accourent et emmènent le visiteur sur le site, sur lequel il peut marcher librement. Les traces sont éparées, de diverses sortes, leur découverte se fait au fur et à mesure, sans explications supplémentaires pour exciter la curiosité.

Malgré la valeur patrimoniale et scientifique du site des traces de dinosaures, ses traces sont soumises aux ravages du temps, et aux dégradations volontaires. De même, la fréquentation touristique entraîne une augmentation d'autres facteurs d'érosion, comme les vibrations engendrées par la marche des visiteurs qui peut provoquer une dégradation importante des dalles.

III. Les défis de développement du tourisme dans le territoire d'Oueltana amont

L'introduction de l'activité touristique dans un milieu aussi enclavé et marginalisé que la montagne n'est pas sans avoir d'importantes incidences sur le milieu local. Les effets de l'impulsion de l'activité touristique sur le milieu d'accueil peuvent être à la fois positifs et négatifs. Positifs dans la mesure où le développement de l'activité touristique nécessite une infrastructure de base en matière de moyens de communication (pistes carrossables, routes, réseau téléphonique, électrification, adduction en eau potable...). Ces équipements lourds sont réalisés par les pouvoirs publics (Etat, région, province, commune...). Le but recherché est donc de pouvoir faciliter l'accessibilité de la région aux touristes. D'une manière indirecte, la population locale tire profit et avantage de ces réalisations. Cette population voit son milieu désenclavé et ouvert sur le reste des régions, les agriculteurs et éleveurs en particulier, voient leurs productions facilement commercialisées grâce à la fluidité du trafic de transport ; les non employés parmi la population locale, en particulier les jeunes, trouvent l'occasion de s'occuper même provisoirement durant la période de réalisation des travaux d'équipement.

D'un autre côté, l'activité touristique nécessite pour son développement la réalisation des équipements touristiques (refuges, gîtes chez l'habitant, auberges, restaurant...). Ces équipements sont dans la plupart des cas réalisés par des acteurs locaux. Ces derniers voient leurs activités de base (agriculture, élevage) complétées par une autre annexe au secteur de tourisme. Il s'agit en fait, d'une opportunité de réaliser des revenus complémentaires leur permettant d'améliorer leur niveau de vie ainsi que celui de ceux employés par eux.

Le territoire d'Oueltana amont se caractérise par l'abondance des établissements touristiques, qui sont généralement des hôtels et des maisons d'hôte, comme le montre le tableau suivant :

Tableau 1 : établissement touristiques de territoire d'Oueltana amont

Type	Etablissement	Commune	Classement	Capacité en lits
Gîte	Tizi Noubadou	Ait Blal	1 ^{ère} catégorie	15
Gîte	Tifert	Ait Blal	Non classé	6
Gîte	Imi nifri	Tifni	Non classé	25
Maison d'hôtes	Aghbalou	Tifni	2 ^{ème} catégorie	30
Hôtel	Rat	Sidi Boukhalf	Non classé	15
Espace	Tamount	TIFNI	Non classé	30

Source : Enquête de terrain 2017

Les artisanes et les commerçants voient, grâce à l'activité touristique, leur produits valorisés et commercialisés, ce qui leur permet de développer leurs activités à une échelle plus étendue.

Le développement de l'activité touristique dans un espace fragile, si elle n'est pas bien gérée, peut avoir des répercussions néfastes tant au plan naturel qu'au plan humain. Il s'agit bien des problèmes au nombre desquels il faut compter ceux :

- De la dégradation des paysages ;
- De la dégradation du patrimoine culturel ;
- De la dégradation sociale
- De la difficulté d'intégration de l'activité touristique dans le tissu économique en place.

Malgré l'essor considérable qu'a connu l'activité touristique dans la région, notamment dans la commune de Tifni, la vente des séjours et l'organisation des randonnées continuent de se faire principalement à l'étranger (les tours opérateurs) ou au niveau de voyage spécialisées localisées dans les grandes villes, en particulier Marrakech. Il en résulte que la bonne part des recettes touristiques soit accaparée par ces acteurs. Ce mode d'organisation ne favorise pas une large redistribution de la manne

touristique entre les différentes couches sociales, et encore moins entre les différents localités. Le choix de la destination et des circuits à pratiquer, est programmé à l'avance par les agences de voyage selon l'importance de chaque localité dans la fonction touristique qui reste elle aussi, tributaire de la position géographique. Le principal souci des organisateurs de circuits touristiques semble être le choix de l'itinéraire le moins coûteux.

D'une manière générale, nous pouvons constater que la commercialisation du produit touristique de la montagne profite principalement aux acteurs étrangers à la localité, et secondairement à quelques guides, propriétaires de gîtes et accompagnateurs muletier. Le reste de la population locale ne profite guère des dépenses de touristes qui restent généralement en dehors de tout contact commercial.

Par ailleurs, si le développement de tourisme rural, présente de nombreux avantages pour le milieu rural, il peut aussi lui susciter de nombreux problèmes, et des conséquences négatives sur le paysage et de l'écosystème¹⁰, parmi lesquels nous pouvons noter :

- La menace pour l'environnement : le tourisme rural s'exerce dans les environnements naturels fragiles. Certaines destinations touristiques les plus attrayantes sont celles des sites présentant un environnement plus sensible. Dans de nombreux pays, les études ont montré que la pratique de l'escalade érode la face des roches ; la marche et la bicyclette ou l'équitation usent les chemins dans les régions fréquentées ; le bruit et les déchets éloignent les animaux sauvages et leur sont nuisibles ;

La fréquentation touristique dans la vallée Ghezaf a entraîné comme le cas de la vallée Ait bougmaz¹¹ une atteinte aux champs cultivés. En effet, le passage des randonneurs exaltés dans les vergers a entraîné des dessertes et des sentiers au milieu des champs cultivés, ce qui a suscité le mécontentement des agriculteurs locaux vis-à-vis de ces pratiques nuisibles par des touristes non avertis. La situation se complique d'avantage lorsque des accompagnateurs désignent l'installation des bivouacs près des champs. La responsabilité dans ce domaine incombe bien aux responsables des collectivités locales, qui auront dû prendre la décision d'implanter des moyens de signalisation permettant la sensibilisation au respect du paysage, designer des places aménagées réservées aux bivouacs loin des champs.

- La menace socio culturelle : l'afflux d'un grand nombre de touristes peut déstabiliser le petit monde socio-culturel bien ordonné de la

685

communauté rurale. L'influence des cultures moderne sur des cultures traditionnelles se traduit presque toujours par un changement de la culture traditionnelle et non pas l'inverse ;

- Les investissements des entrepreneurs du tourisme rural venus d'ailleurs du milieu local présentent certes, un apport précieux de capitaux et de compétences, mais ils peuvent aussi poser des problèmes en étant insensibles aux traditions, aux habitudes de travail et aux styles architecturaux du lieu ; en ayant le plus souvent recours à des fournisseurs sont locaux pour les biens et les services dont ils ont besoin ; en réinvestissant leurs bénéfices et leurs gains en capital en dehors de la région. La puissance financière des entrepreneurs et des organisateurs de l'activité touristiques venus de l'extérieur empêche généralement les collectivités locales d'avoir la haute main sur leurs opérations. Lorsqu'elles l'ont, elles n'ont souvent pas l'expérience, les compétences ou les moyens de prévision nécessaires.

- L'absence ou l'insuffisance de formation : beaucoup d'acteurs locaux du tourisme rural ont peu ou pas de formation dans une grande partie des domaines de compétence nécessaires dans un secteur aussi complexe et concurrentiel. L'absence de formation est l'une des raisons pour lesquelles il y a aussi une forte proportion d'une gestion défailante des entreprises dans le domaine du tourisme rural.

Parmi les obstacles au développement du tourisme en milieu rural, on cite :

➤ Au niveau de la demande :

Le problème de la concentration des vacances sur une période limitée de l'année constitue l'un des obstacles majeurs pour le tourisme en milieu rural. Ce problème reste encore posé même pour les pays ayant connu un essor considérable de leur tourisme rural.

En France par exemple, des études multiples ont été effectuées pour dénoncer les inconvénients du non étalement des vacances et ont situé respectivement l'importance des quatre facteurs principaux de la concentration des congés : la fermeture des entreprises, les vacances scolaires, la qualité de l'accueil touristique le comportement des français liés à leurs habitudes ou à leurs éducation. (Grolleau et al, 1986)

➤ Au niveau de l'offre :

En générale la faiblesse du tourisme à Oueltana amont réside essentiellement dans le caractère atomisé et mal organisé de son offre. Elle est trop axée sur une seule composante, celle du géosite d'Iminifri. Les tentatives de regroupement des prestations touristiques dans notre territoire ou dans les espaces ruraux les plus attrayants en général, sont encore rares ou peu organisées. Le tourisme de notre territoire connaît malgré ses atouts certaines insuffisances :

- Une offre mal structurée ;
- Une qualité inégale des prestations (animation insuffisante) ;
- Une activité saisonnière
- Une promotion et surtout une commercialisation insuffisante.

➤ Les obstacles propres aux collectivités locales :

Dans certains pays développés, les élus locaux, les professionnels et les pouvoirs publics ont décidé de faire de l'aménagement touristique un facteur de développement du milieu rural.¹²

Cependant, dans notre territoire d'étude, le cadre communal est souvent peu adapté aux opérations touristiques. D'une part, la gestion de l'activité touristique au niveau communal suppose une grande compétence et un savoir-faire considérable dont les élus locaux en manque encore. D'autre part, l'élaboration d'un projet touristique au niveau communal s'avère difficile. Soit, parce que, en raison de la nature de l'équipement projeté, le cadre géographique de la commune est trop limité (circuit de la randonnée). Soit, par ce que l'opération touristique envisagée ne peut être inscrite que dans un cadre plus global impliquant toute une région. Soit encore et surtout parce que les communes en espace rural n'ont pas dans la majorité des cas, les moyens pour financer isolement, des structures nécessaires.

Le découpage administratif du territoire rural sur la base des « considérations purement politiques » a eu des conséquences fâcheuses sur l'autonomie des communes. Ces dernières, n'ayant pas généralement de ressources patrimoniales et fiscales suffisantes se trouvent incapables d'investir pour créer une dynamique nouvelle.

Les communes d'Oueltana amont étant donnée la faiblesse de leurs ressource, se trouvent incapable d'agir isolement. De ce fait, la mise en place d'un contexte générale favorable au développement de l'activité

touristique est nécessaire. Les actions des collectivités locales doivent être conçues et réalisées dans le cadre de groupement de commune au niveau d'un « territoire homogène » aussi bien sur le plan géographique et économique et d'historique et politique. Ce n'est qu'au niveau de ce territoire que les collectivités pourront coordonner l'action jusqu'à ici dispersée des différents partenaires et du développement de l'activité touristique en milieu rurale : département du tourisme, de l'agriculture, de l'eau et forêt, institution financières (crédit agricole) et les différents services extérieurs des départements touchant de près ou de loin de tourisme.

L'articulation des rôles des différents intervenants suppose :

- Les communes sont appelées à agir dans le cadre de groupement afin de pouvoir répartir les charges d'équipement publics que nécessite l'activité touristique. Dans de telle hypothèse, il est clair que les recettes fiscales retirées de l'activité touristiques soient réparties entre les communes par péréquation ;
- Les départements se voient confier un rôle d'impulsion et de coordination ;
- L'Etat lui appartient de jouer le rôle de garant des grands équilibres. C'est lui qui doit définir clairement les priorités et les directives d'aménagement du territoire et élaborer en conséquence un dispositif d'aide au développement économique en milieu rural tout en laissant une latitude d'actions toujours plus grande aux collectivités locales et aux régions.

En général, Le développement du tourisme dans notre zone d'étude passe par des réformes parfois radicales. En effet, il est essentiel de :

Admettre que la zone d'étude, tout comme plusieurs zones du pays jouissant de potentialités patrimoniales diversifiées et riches, mérite d'être considérée comme une région touristique culturelle indépendante.

- Repenser le tourisme marocain : La promotion du produit culturel en tant que produit autonome capable d'attirer une clientèle différente de celle de masse est l'une des solutions. En effet, « la plupart des Tour-Opérateurs recommandent fortement une stratégie promotionnelle agressive sur les aspects culturels du pays qui étaient jusque-là négligés » la richesse patrimoniale que l'on trouve à Ouelтана amont, à besoin d'une motivation pour attirer un nombre très élevé de touristes. Ceux-ci cherchent à connaître

les nouvelles cultures et à se confronter à la multitude d'arts du spectacle, d'artisanats, de rituels, de cuisines et d'interprétations de la nature et de l'univers qui existent dans le monde. Selon la Commission Européenne (2010) « environ 25 % des touristes européens ont choisi leur destination à cause du patrimoine culturel »¹³

- La décentralisation au niveau de la prise de décision dans le secteur touristique. Ceci est de nature à permettre aux acteurs régionaux et locaux de prendre en main le marketing du produit culturel existant.

- Promouvoir le tourisme alternatif et les nouvelles formes du tourisme dans la région étudiée. Jusqu'à l'heure actuelle, les réformes législatives sont lentes dans ce domaine. Des lobbies défendant le tourisme de masse exercent de fortes pressions sur les décideurs pour limiter le développement du tourisme alternatif, en croyant qu'il limiterait leur clientèle.

Pour conclure, on peut dire qu'il n'existe pas une seule forme de tourisme dans le territoire d'Oueltana amont. Malgré les potentialités patrimoniales spécifiques qu'elle contient, le tourisme dans notre zone d'étude est marqué par la prédominance des flux de passage. Le marketing touristique n'est pas entre les mains des acteurs locaux. Il est encore dépendant des tour-opérateurs internationaux et des agences de voyages situées dans les grandes villes (Marrakech, Agadir...). En outre, ces dernières années sont marquées par l'apparition de nouvelles formes de tourisme. Une infrastructure d'accueil alternative est née. Certains douars montagnards commencent à prendre le chemin de spécialisation dans le tourisme solidaire et social dont les mécanismes sont très différents de celui de masse.

De ce fait, entre un tourisme de masse en crise, et un tourisme alternatif qui se développe, la région étudiée connaîtra de profondes mutations au niveau de l'activité touristique dans les prochaines années.

IV. Conclusion :

Le développement du tourisme est considéré comme une stratégie porteuse d'avenir qui contribue à fixer la population, créer de l'emploi, générer la richesse et attirer des investisseurs étrangers; il soutient le développement des infrastructures des zones rurales défavorisées. Mais pour atteindre ces objectifs, l'attitude des autorités compétentes, aux niveaux central, régional et local, est fondamentale, notamment pour soutenir le

développement des infrastructures de base (routes, électricité, eau potable, moyens de transport...).

Il est nécessaire de mieux comprendre les perceptions des différents acteurs d'Ouelтана amont face au développement touristique d'un milieu patrimonial afin de diminuer les conflits d'usage. Il est intéressant de constater qu'un travail peut être effectué afin d'encourager le développement touristique tout en préservant un certain cadre de vie. La relation entre le patrimoine et le tourisme est aussi perçue comme un dialogue. Edgar Morin désigne ainsi une *«unité complexe entre deux logiques, entités ou instances complémentaires, concurrentes et antagonistes qui se nourrissent l'une de l'autre, se complètent, mais aussi s'opposent et se combattent»*.¹⁴ Selon le géographe payeur, *«le patrimoine et le tourisme amènent à la complémentarité de l'un et voient l'anticipation de l'autre, voire son appel. Ainsi, il est nécessaire de comprendre que le processus de transformation de l'espace ne peut être terminé que dans l'agencement des deux phénomènes. Bref, l'un et l'autre se complètent pour donner au territoire habité des valeurs économiques et de rencontre»*.

Par ailleurs, il faut rappeler que ces espaces ne peuvent être gérés sans une participation efficace de leurs habitants et sous la responsabilité des certains opérateurs locaux. Pour assurer une meilleure insertion des populations dans les différents projets, le développement touristique dans la région ne doit en aucun cas être l'affaire des seuls investisseurs exogènes ou des fonctionnaires de services administratifs. La population locale doit réellement participer dans l'élaboration et la gestion des projets par l'intermédiaire des élus, des investisseurs locaux ou des associations¹⁵

Notes de références

¹ TALBOT Damien, 2011. « Institutions, organisations et espace : les formes de la proximité », Cahiers du GREThA, n°2011-06, <http://ideas.repec.org/p/grt/wpegrt/2011-06.html>.

² Ibid., Talbot 2011

³ El Bakkari M., khellaf H., Farrah A., Moussaoui M., et Ghanioui M., 2018. Les ressources patrimoniales locales en mal de mobilisation : quelles incidences sur l'attractivité du territoire touristique à la montagne ? Le cas de la vallée d'Ait Bougmez dans le Haut Atlas Central, revue espace et developpement : Marketing Territorial enjeu de developpement spatiale, n°3, pp22-40

-
- ⁴ Cunha, L., 2003. Introdução ao Turismo. Lisboa-São Paulo: Editorial Verbo (2ª edição), pp.15-23
- ⁵ Rebouilla, J.P., 1983. Les milieux de sédimentation et les étapes de la transgression du Dogger dans la région de Demnat, Haut Atlas central (Maroc). Thèse de 3e cycle, Université de Dijon (inédite), 173p
- ⁶ Duponcheel M.-A., Georgeon L., et Ragot C., 2009. Diagnostic et Perspectives Pont naturel d'Iminifri, Institut National d'Horticulture et de Paysage, Agro Campus, Centre d'Angers, 20p
- ⁷ Gandini J., 2009. Iroutlaneiwariden, En ligne, <http://www.prehistoire-du-maroc.com/iroutlaneiwariden.html>, site consultée le 11/06/2018
- ⁸ Roch E., 1939. Description géologique des montagnes à l'Est de Marrakech, Notes. Mém. Serv. Géol. Maroc, V.51, 425 p
- ⁹ Ibid., Gandini. 2009
- ¹⁰ Lopez Lara E., Marco G.-C., 2010. Consecuencias del turismo de masas en el litoral de Andalucía (España), Caderno Virtual de Turismo, ISSN : 1677-6976, Vol. 10, N° 1
- ¹¹ Grini E. H., 2005. Tourisme et développement local en milieu rural à travers l'expérience du tourisme de montagne dans le Haut Atlas Central, cas de la commune rurale de Tabant à Azilal, mémoire de 3ème année, institut national d'aménagement et d'urbanisme, Rabat
- ¹² Ibid., Grini. 2005
- ¹³ Gammoudi T., 2018. Tourisme, gouvernance, TIC et politique territoriale en Afrique. Université internationale d'Agadir-universiapolis, ISBN : 978-9920-35-364-9
- ¹⁴ Payeur J., 2013. La relation du patrimoine et du tourisme : une histoire de perception -le cas du Vieux-Québec, Université du Québec à Montréal, Mémoire présenté comme exigence partielle de la maîtrise en développement du tourisme, 215p
- ¹⁵ Tribak A., 2013. Le petit patrimoine rural marocain : une ressource territoriale à valoriser pour un développement local en zones méditerranéennes, in ressources patrimoniales et développement local au Maroc et en Andalousie (Espagne), publication de la faculté des lettres et des sciences humaines-sais, Fès, N°26, pp67-84

Références bibliographiques :

Cunha, L., 2003. Introdução ao Turismo. Lisboa-São Paulo: Editorial Verbo (2^a edição), pp.15- 23

Duponcheel M.-A., Georgeon L., et Ragot C., 2009. Diagnostic et Perspectives Pont naturel d'Iminifri, Institut National d'Horticulture et de Paysage, Agro Campus, Centre d'Angers, 20p

El Bakkari M., khellaf H., Farrah A., Moussaoui M., et Ghanioui M., 2018. Les ressources patrimoniales locales en mal de mobilisation : quelles incidences sur l'attractivité du territoire touristique à la montagne ? Le cas de la vallée d'Ait Bougmez dans le Haut Atlas Central, revue espace et développement : Marketing Territorial enjeu de développement spatiale, n°3, pp22-40

Gammoudi T., 2018. Tourisme, gouvernance, TIC et politique territoriale en Afrique. Université internationale d'Agadir-universiapolis, ISBN : 978-9920-35-364-9

Gandini J., 2009. Iroutlaniwariden, En ligne, <http://www.prehistoire-du-maroc.com/iroutlaniwariden.html>, site consultée le 11/06/2018

Grini E. H., 2005. Tourisme et développement local en milieu rural à travers l'expérience du tourisme de montagne dans le Haut Atlas Central, cas de la commune rurale de Tabant à Azilal, mémoire de 3^{ème} année, institut national d'aménagement et d'urbanisme, Rabat

Lopez Lara E., Marco G.-C., 2010. Consecuencias del turismo de masas en el litoral de Andalucía (España), Caderno Virtual de Turismo, ISSN : 1677-6976, Vol. 10, N° 1

Payeur J., 2013. La relation du patrimoine et du tourisme : une histoire de perception -le cas du Vieux-Québec, Université du Québec à Montréal, Mémoire présenté comme exigence partielle de la maîtrise en développement du tourisme, 215p

Rebouilla, J.P., 1983. Les milieux de sédimentation et les étapes de la transgression du Dogger dans la région de Demnat, Haut Atlas central (Maroc). Thèse de 3^e cycle, Université de Dijon (inédite), 173p

Roch E., 1939. Description géologique des montagnes à l'Est de Marrakech, Notes .Mém . Serv. Géol. Maroc, V.51, 425 p.

Tribak A., 2013. Le petit patrimoine rural marocain : une ressource territoriale à valoriser pour un développement local en zones méditerranéennes, in ressources patrimoniales et développement local au Maroc et en Andalousie (Espagne), publication de la faculté des lettres et des sciences humaines-sais, Fès, N°26, pp67-84

**Étude épistémologique et historique de la reproduction des
Angiospermes**

**Hichri Fethi. Docteur en didactique des sciences de la vie et de la terre
Unité de Recherche Education, Cognition, Tice et Didactique-Tunisie
(ECOTIDI)**

**Centre de Recherche en Education à Nantes (CREN) - France
hichri_fethi@yahoo.fr**

La date du dépôt: 25/03/2021 Date d'arbitrage: 03/04/2021 Date de publication: 15/06/2021

Résumé :

La reproduction des Angiospermes est un phénomène biologique qui a pris énormément du temps pour être compris. La sexualité des plantes n'a été démontrée qu'à l'aube du siècle des Lumières par Camerarius (1694). Il est intéressant alors de retracer, dans cet article, quelques éléments de l'histoire et de l'épistémologie de ce concept. L'intention est de soulever les principales explications, certaines controverses et les principaux problèmes qui y sont associés historiquement. Ces éléments constituent des repères utiles pour comprendre ce qui a fait obstacle à l'acquisition du savoir relatif à la reproduction des Angiospermes par les élèves.

Mots-clés : Angiospermes – pollinistes – épigénistes – histoire de la reproduction – obstacles épistémologiques.

**Epistemological and historical study of the reproduction of
Angiosperms**

**Hichri Fethi. Doctor in didactics of life and earth sciences
Research Unit : Education, Cognition, Tice and Didactics-Tunisia
(ECOTIDI)**

**Educational Research Center of Nantes (CREN) - France
hichri_fethi@yahoo.fr**

Abstract:

The reproduction of Angiosperms is one of the biological phenomena that have taken a long time to be revealed. The sexuality of plants was not demonstrated until the dawn of the Enlightenment by Camerarius (1694). It is therefore interesting to retrace, in this article, some elements of the history and epistemology of this concept. The intention is to raise the main explanations, some controversies and the main issues associated with them. These elements constitute useful benchmarks for understanding what has hindered the emergence of knowledge relating to the reproduction of Angiosperms.

Keywords: Angiosperms - pollinists - epigenists - history of reproduction - epistemological obstacles.

Introduction

L'étude historique et épistémologique des phénomènes biologiques est le reflet d'un parcours long et sinueux dans la quête du savoir. Elle permet non seulement de retracer les éléments de l'histoire et de l'épistémologie d'un concept scientifique, mais de relever les obstacles¹ qui ont constitué un handicap à la progression scientifique.

Dans cette étude, nous nous intéressons parmi les multiples domaines des sciences de la vie à celui de la reproduction des Angiospermes². Notre intention est de soulever les principales explications, certaines controverses et les principaux problèmes qui sont associés au phénomène de la reproduction des plantes. Ces éléments constitueront des repères utiles pour comprendre ce qui a fait obstacle à l'acquisition du savoir relatif à la reproduction des Angiospermes. Quels étaient les problèmes scientifiques soulevés par la question de la reproduction ? De quels outils conceptuels et techniques ont disposé les scientifiques pour les résoudre ? Quelles idées dominantes influencèrent l'évolution historique du concept ?

Nous présenterons dans ce qui suit les différentes explications historiques de la reproduction des Angiospermes.

1. L'explication de la reproduction des plantes dans l'histoire des sciences de la vie

1.1. De la négation de la sexualité végétale à sa mise en évidence

Les notions de sexe chez les végétaux est présente dans l'histoire des idées. Dès le 4ème siècle avant J.C, Aristote a évoqué les sexes des plantes qu'il l'assimile aux sexes des animaux. Théophraste rapporte les faits connus sur le sexe des dattiers et il a aussi évoqué la technique de la pollinisation à la main. A la fin du 17ème siècle, Tournefort a bien identifié la structure des fleurs. Il a bien aperçu l'existence de sexes séparés. Mais il y a une différence entre les faits et leur signification. « [...] il faut se rendre à l'évidence : la constatation des faits, leur *utilisation même* sont une chose ; leur *signification en est une autre*³ ». Repérer des sexes ne veut pas dire comprendre le principe d'une reproduction sexuée chez les plantes.

Si nous reprenons le premier exemple, qui est celui d'Aristote, on peut dire que malgré qu'il ait parlé des sexes des plantes, dans sa théorie, selon lui, le mâle représente un principe immatériel nécessaire pour donner le mouvement au sperme femelle qui n'est que matière. « Chez Aristote, [...] il n'y a pas de frontière bien établie entre ce qui est d'origine sexuelle et ce qui ne l'est pas. [...] On désigne par les termes de mâle et de femelle des plantes d'espèces différentes, selon qu'elles sont stériles ou fertiles, vigoureuses ou chétive⁴. ». S'agissant de Théophraste, c'est sa prudence et sa réserve dans ses expressions qui lui ont fait manquer la découverte de la reproduction sexuée des plantes. Tournefort, qui a bien identifié la structure des fleurs, considère que la fleur et le fruit sont deux choses complètement distinctes. Concernant la reproduction, il n'a aperçu aucun lien important entre eux. Mais il sait bien la façon de leurs emplacements par rapport aux plantes. Selon lui, il y a trois cas. Le premier cas, le fruit est lié à la fleur (ce sont les fleurs hermaphrodites). Dans ce cas il attribue aux différentes parties de la fleur un rôle nourricier pour le fruit. Le second cas, le fruit et la fleur sont séparés sur le même pied. Dans ce cas le rôle de la fleur est de « purifier la nourriture de ses éléments étranges⁵ ». Le dernier cas, les fleurs et les fruits sont portés par des pieds différents (plantes dioïques). Malgré ses observations lors de son voyage en Orient, Tournefort n'est pas arrivé à assimiler et à comprendre le rôle joué par « les corpuscules qui s'échappent de la fleur », selon son expression. Le rôle du pollen reste ignoré.

Nous pouvons conclure de ce que nous venons de dire, qu'en dépit de la longue période et des différentes explications relatives au rapport entre les fleurs et les fruits, la notion de la sexualité chez les végétaux était ignorée. Ceci met en relief combien la notion du sexe et de fécondation chez les plantes est assez complexe et difficile à assimiler.

La fin du 17^{ème} siècle et le 18^{ème} siècle sont reconnus par l'apparition de deux nouveaux moyens dans l'interprétation des phénomènes de la reproduction des végétaux. L'entrée du microscope en science a permis d'affiner les études morphologiques des végétaux. En 1665, R. Hooke publie sa Micrographia et décrit les cellules. En 1672, Nehemia Grew considère que le pollen sert comme nourriture aux abeilles qui en font le miel. Mais 10 ans plus tard, en 1682, il affirme la nécessité de l'action du pollen sur le pistil pour la formation du fruit: « avec le microscope, les

grains de pollen deviennent visibles : ce sont de petites sphères dont les dimensions et l'apparence diffèrent en fonction des espèces. Ils tombent sur l'utérus de la fleur et la fertilisent comme cela se produit chez les animaux qui copulent et ils sont « la nature mâle » des fleurs⁶ ».

Outre le rôle qu'a joué le microscope dans le développement de la compréhension du phénomène de la sexualité chez les végétaux, il y a la méthode expérimentale qui se trouve inaugurée en botanique. En 1694, Rudolf Jakob Camerarius (1665-1721), professeur de botanique à Tübingen, a déterminé avec précision et à l'aide des séries d'expériences⁷ que les étamines sont les organes sexuels mâles et le pistil l'organe sexuel femelle des plantes. Sans l'action du pollen sur le pistil, les graines ne se forment pas. Voici ce qu'il a écrit en parlant de son expérience sur les plantes monoïques : « *lorsque j'ai enlevé chez le ricin, les boutons ronds des fleurs avant que les étamines ne soient déployées, et quand j'ai empêché le développement de nouvelles étamines, je n'ai jamais récolté de graines parfaites de boutons femelles qui restaient et qui n'avaient pas été touchés⁸* ». Il a écrit aussi : « [...] *il me semble alors justifié d'attribuer aux étamines la fonction des organes génitaux mâles et de considérer l'ovaire, avec son stigmate et son style, comme l'organe génital femelle⁹* ». ».

Avec les travaux de Camerarius, nous pouvons affirmer qu'un pas important a été réalisé dans la compréhension de la sexualité chez les plantes. Un pas qui a écarté plus ou moins les ambiguïtés qui ont accompagné l'explication du rapport entre la fleur et le fruit que nous avons pointées, plus haut, pour certaines d'entre elles.

Un nouveau progrès a touché le microscope et qui a eu son impact sur l'explication de la reproduction végétale. B. Amici a mis au point l'objectif à immersion dans l'eau, qui permet une meilleure résolution. Cet instrument perfectionné lui a permis, en 1823, de découvrir sur le stigmate du pourpier (*Portulaca*), des grains de pollen prolongés d'une sorte de boyau.

En 1827, Adolphe Brongniart montre le caractère général du fait découvert par Amici, et que le boyau en question pénètre profondément dans le stigmate. Il postule que le tube pollinique, renflé à son extrémité, éclaterait et libérerait les granules spermatiques qui chemineraient ensuite, par leurs propres moyens, jusqu'à l'ovule. Contrairement à ce que pense Brongniart, Amici a précisé, en 1830, que le boyau pollinique pénètre dans

le stigmat et s'allonge jusqu'à l'ovaire. Donc, ces granules spermatiques ne se répandent pas comme le pensait Brongniart, c'est le tube qui s'allonge.

Malgré ces évolutions considérables dans l'explication de la reproduction chez les végétaux, on constate que l'explication du processus de la « fécondation ¹⁰ » n'est pas encore évidente à cette époque. D'un côté, on trouve les partisans de la conception préformistes ¹¹ avec ses deux composantes : animalculiste (ou comme on la désigne en botanique par polliniste) et oviste et d'un autre côté, les adhérents à la conception épigéniste ¹².

2. Des conceptions historiques de la reproduction chez les plantes

Les théories préformationnistes expliquent le développement embryonnaire soit par la présence du germe dans l'œuf non fécondé (ovule). C'est l'ovisme. Soit par sa présence dans le spermatozoïde. C'est l'animalculisme. Dans le premier cas, le nouvel individu se forme à partir de l'ovule. Le sperme n'a de rôle que d'activateur. Ces différentes conceptions de la reproduction ont pris naissance à partir de l'étude des animaux. Les botanistes ont rencontré les mêmes conceptions quand ils ont abordé l'étude de la reproduction des végétaux. Certains botanistes ont accordé au grain de pollen un rôle de déclencheur du développement du germe par un souffle immatériel. C'est la conception oviste de la reproduction (Malpighi, Césalpin, puis Vaillant et Adanson). D'autres théoriciens pensent que le germe est localisé dans le grain de pollen. L'organe femelle ne joue qu'un rôle nourricier. C'est la conception polliniste, (Leeuwenhoeck, Morland et Etienne François Geoffroy). A la fin du 18^{ème} siècle, d'autres botanistes comme C.F. Wolff ont adopté une conception épigéniste de la reproduction des plantes. En 1830, A.T. Brongniart (1801-1876) propose son point de vue concernant le phénomène de fécondation chez les plantes à fleurs. Selon lui l'embryon végétal ne préexiste pas à la fécondation. Il repousse ainsi les idées ovistes et celles des pollinistes pour adhérer à la théorie épigéniste. L'incertitude qui règne à cette époque concernant la compréhension du processus de fécondation a été exprimé ainsi : « l'analogie des granules avec les animalcules spermatiques des animaux fait naître dans l'esprit, à l'égard du règne végétal, toutes les hypothèses sur la fécondation imaginées dans l'autre règne. Ces hypothèses sont : 1⁰ que le germe est fourni par l'organe mâle et nourri par l'autre ; 2⁰ qu'il est produit par l'organe femelle et que son développement est déterminé par une action excitative de

l'organe mâle ; 3⁰ que l'embryon résulte d'une combinaison matérielle d'éléments produits par les deux organes. La dernière hypothèse qui est celle de Buffon et de plusieurs auteurs modernes, est peut-être plus d'accord avec ce fait si évident dans les deux règnes, que les produits participent de la nature des deux parents à la fois. La seconde est la seule qui puisse expliquer le développement de graines, sans fécondation, observé par Spallanzani dans quelques plantes dioïques. Enfin, la première hypothèse paraît plus d'accord avec les faits observés par divers botanistes ; mais il faut convenir que ces observations sont encore incomplètes¹³ ».

2.1. Point de vue des pollinistes

Certains botanistes pensent que l'embryon est préformé et se situe au niveau du grain de pollen. Selon eux, l'organe femelle joue un rôle nourricier. Cette manière d'expliquer la reproduction des plantes est la conception polliniste. Parmi ceux qui ont défendu le point de vue polliniste de la reproduction des plantes, on peut citer M.J. Schleiden. En voulant expliquer l'origine de l'embryon, il affirme que le tube pollinique « *traverse le sommet du nucleus en suivant les méats intercellulaires et atteint le sac embryonnaire¹⁴* ». Une fois atteint le sac embryonnaire il « *pousse devant lui la membrane du sac embryonnaire, la replie en dedans tout autour de lui, et son extrémité pénètre en apparence dans le sac embryonnaire.* » l'extrémité du tube pollinique se gonfle « *et son contenu se charge en tissu cellulaire* » à l'origine de l'embryon. Pour Schleiden, le germe du futur embryon est fourni par l'organe « mâle » c'est-à-dire l'extrémité du tube pollinique, tandis que l'organe « femelle », qui formera l'albumen, aura une fonction nourricière. C'est l'explication polliniste de la reproduction.

2.2. Point de vue des antipollinistes

La conception polliniste de la reproduction que nous venons de présenter a suscité des controverses parmi les botanistes. L'explication de Schleiden a été soumise à la critique par Mirbel, Brongniart et Amici. « *Mirbel juge que plusieurs conclusions avancées par ces auteurs (ce sont ceux qui ont adopté la conception polliniste, parmi eux Schleiden) sont hasardées et doute que le petit sac membraneux à l'origine de l'embryon soit l'extrémité du boyau¹⁵* ». Brongniart a constaté que dans quelques plantes « *la vésicule embryonnaire [...] existait avant que la fécondation fût*

opérée » et doute donc « *que l'extrémité des tubes ou boyaux polliniques soit à l'origine de l'embryon*¹⁶. ».

Amici a démontré, dans son étude sur la fécondation des Orchidées (1847), que la conception de Schleiden est loin d'être la règle. Il constate que le tube pollinique ne repousse pas la vésicule embryonnaire comme l'a noté Schleiden, mais, il se limite à la toucher extérieurement. « *L'existence de la vésicule embryonnaire avant la fécondation ajouter à la non pénétration du tube pollinique dans le sac embryonnaire, conduisent Amici à repousser l'interprétation chez les schleidénienne de la transformation de l'extrémité du tube pollinique en embryon*¹⁷. ».

D'après Amici la cellule-œuf embryonnaire se développe en embryon seulement après la fécondation.

Certains botanistes, comme Malpighi et Césalpin, adoptent une conception oviste concernant l'explication de la reproduction des végétaux. Ils n'accordent aux pollens qu'un rôle de stimulateur et de déclencheur du développement de l'embryon. Selon eux, le germe préexiste dans l'œuf non fécondé.

Brongniart ne se borne pas à critiquer la thèse présentée par Schleiden. Il avance un modèle explicatif qui diffère de la conception préformationniste de la reproduction des plantes (conception polliniste et conception oviste). Il adopte la conception épigéniste. Celle-ci explique le phénomène de la reproduction en postulant que l'embryon résulte du concours de parties fournies par l'organe mâle et de parties fournies par l'organe femelle.

C'est au dernier quart du 19ème siècle que l'opposition entre les préformationnistes et les épigénistes a été dépassée. Ceci tient à la découverte des processus intimes de la fécondation par le botaniste Eduard Strasburger.

2.3. La découverte de la fécondation chez les Phanérogames (1883-1884)

Encore une fois, le développement des méthodes d'étude cytologique ont leur impact sur la compréhension et l'explication du phénomène de la fécondation. En 1884 et grâce à la méthode d'étude des cellules fixées et colorées, l'allemand Eduard Strasburger observe chez un *Epicea* la fusion de l'un des noyaux mâles, et d'un seulement, avec le noyau de la cellule œuf. Nous pouvons dire qu'un saut considérable a été fait dans la

compréhension de la fécondation végétale : la caryogamie a été mise en évidence. Mais l'étude du deuxième noyau mâle a échappé à Strasburger.

Que devient le deuxième noyau mâle issu du tube pollinique et passé dans le sac embryonnaire ?

La réponse à cette question vient à travers les travaux de Nawachin (1898) et de Guignard (1899) sur la double fécondation des Angiospermes. Ce deuxième noyau mâle s'unit avec les deux noyaux végétatifs situés dans le centre du sac embryonnaire pour donner un noyau complexe ; ce noyau avec le cytoplasme du sac représente l'œuf accessoire, et donne, par division, le tissu nourricier de l'embryon, l'albumen. Voici la description faite par Guignard de la double fécondation : « *l'un de ces noyaux mâles va rejoindre le noyau polaire supérieur, ou les deux noyaux polaires s'ils sont accolés, l'autre va s'unir au noyau de l'oosphère. Les membranes de l'enveloppe de l'oosphère et des synergides sont alors entièrement ou partiellement détruites, sans doute à cause du passage des éléments mâles ; souvent les noyaux des synergides se désorganisent, ou bien l'un deux conserve encore pendant quelque temps sa structure primitive*¹⁸. ».

3. Conclusion et discussion

Cette étude historique et épistémologique nous a montré que la découverte du phénomène de la reproduction des Angiospermes n'était pas aisée. La multitude des tentatives faites pour résoudre ce problème ainsi que sa grande longévité (des Grecs jusqu'aux temps modernes) en est un témoin. Ce chemin sinueux, avant de percer le mystère de la sexualité des plantes, témoigne de l'existence de certains obstacles qu'il a fallu les dépasser. Nous pouvons indiquer :

• L'obstacle épistémologique :

Pourquoi le phénomène de la fécondation tarda-t-il tant à être compris ?

Beaucoup de raisons peuvent être avancées, dont la plus importante est que ce fait appartient à la biologie fonctionnelle et à la biologie évolutive. La première attribue au spermatozoïde un rôle purement mécanique. C'est-à-dire un rôle d'excitateur du développement de l'œuf. L'idée que le spermatozoïde pénètre dans l'œuf était totalement absente. Par contre la deuxième voit que le phénomène de la fécondation n'est qu'un mélange des patrimoines génétiques paternel et maternel.

La découverte de la fécondation n'a pu se faire qu'en dépassant ces deux interprétations de la fécondation assez divergentes. Car, la première empêchait une problématisation du processus de la fécondation et le deuxième réduisait ce processus à un simple déclenchement suite à un contact entre deux gamètes.

• L'obstacle technologique

Une des faiblesses de la biologie a été sa pauvreté en moyens techniques d'observation. En 1823, J. B. Amici observa qu'un grain de pollen isolé émettait un tube pollinique, et en 1846, il a pu montrer qu'une cellule œuf se développait sous forme d'embryon, après que ce tube pollinique a pénétré dans l'ovaire la contenant. Le microscope a ainsi apporté une réponse à quelques questions concernant la reproduction sexuelle des plantes. Mais, cette découverte importante a été à l'origine d'autres questionnements.

Les obstacles à l'évolution et à la construction du concept de la reproduction des Angiospermes que nous a révélé cette étude historique et épistémologique pourraient avoir un intérêt didactique notable. Les enseignants peuvent avoir recours à l'histoire des sciences d'un point de vue épistémologique pour rechercher et analyser des obstacles aux apprentissages. Et par conséquent suggérer des pistes de réflexion concernant les problèmes à faire travailler avec les élèves. Les travaux didactiques et historiques de Giordan¹⁹ ont montré que les explications des élèves rappelaient les débats du XVIIIe siècle entre les préformistes et les épigénistes. Raichvarg²⁰ a montré que certains élèves de collège expliquaient le principe de la reproduction humaine d'une façon tout à fait comparable à celle que l'on trouvait au XIXe siècle.

Références

¹ Bachelard, G. (1938). *La formation de l'esprit scientifique*. Paris: Vrin.

² Les Angiospermes sont des plantes vasculaires du groupe des Spermatophytes (plantes à graines). Elles sont couramment appelées plantes à fleurs.

³ Leroy, J.-F. (1959). Histoire de la notion de sexe chez les plantes. Les Conférences du Palais de la découverte, série D, n° 68. Edit. du Palais de la découverte, Paris. P.7

⁴ Ibid., p. 7

⁵ Ibid., p. 7

⁶ Grew, N. (1682). *The anatomy of plants* 2e ed. W. Rawlins London.

⁷ Suppression totale ou partielle des étamines chez les espèces hermaphrodites, ou l'isolement des individus quand il s'agit de plantes dioïques.

⁸ Wit, H.C.D. de, (1992-1994). Histoire du développement de la biologie. Traduction et adaptation française H.C.D. de Wit et A. Baudière. Presses polytechniques et universitaires romandes, Lausanne, 1982 à 1989. Edit. française en 3 volumes : T 1 1992 (404 p.), T 2, 1993 (460 p.), T 3, 1994 (635 p.).» (cité par de Wit, 1992).

⁹ Ibid.

¹⁰ La notion de fécondation n'existe pas à cette époque.

¹¹ La préformation est une théorie ancienne, selon laquelle toutes les structures d'un organisme sont déjà présentes dans l'un des gamètes (mâle ou femelle). Les théories préformationnistes expliquent le développement embryonnaire soit par la présence du germe dans l'œuf non fécondé. C'est l'ovisme. Soit par sa présence dans le spermatozoïde. C'est l'animalculisme. Le pollinisme est la version animalculiste des botanistes : on attribue au seul pollen l'origine de l'embryon.

¹² La conception épigéniste de la reproduction explique le phénomène de la reproduction en postulant que l'embryon résulte du concours de parties fournies par l'organe mâle et de parties fournies par l'organe femelle.

¹³ Candolle, A.-P. de, (1835). Introduction à la Botanique ou Traité élémentaire de cette science. Libr. Encyclopédique de Roret, Paris ; (2 tomes).

¹⁴ Schleiden, J. (1839a). Sur la formation de l'ovule et l'origine de l'embryon dans les Phanérogames. *Ann. Sci. Nat. Bot.*, 11 : 129-141.

¹⁵ Mirbel, C-F. & Spach, E. (1839). Notes pour servir à l'histoire de l'embryologie végétale. *Ann. Sci. Nat. Bot.*, 11 : 200-2017 (+381-382, rectificatif).

¹⁶ Brongniart, A. (1839). Note sur les poils collecteurs des Campanules et sur le mode de fécondation de ces plantes. *Ann. Sci. Nat. Bot.*, 12 : 244-247.

¹⁷ Vallade, J. (2008). L'œil de lynx des microscopistes la sexualité végétale : l'apport des micrographes depuis le 17^{ème} siècle. Editions Universitaires de Dijon, collection «histoire et philosophie des sciences».

¹⁸ Guignard, L. (1899d). Sur les anthérozoïdes et la double copulation sexuelle chez les végétaux angiospermes. *Rev. Gén. Bot.*, 11 : 129-135

¹⁹ Giordan, A. et De Vecchi, G. (1987). *Les origines du savoir*. Lausanne : Delachaux et Niestlé.

²⁰ Raichvarg, D. (1987). La didactique a-t-elle raison de s'intéresser à l'histoire des sciences ? *In Aster*, n°5, pp.3-34.

Références

1. Bachelard, G. (1938). *La formation de l'esprit scientifique*. Paris: Vrin.
2. Brongniart, A. (1839). Note sur les poils collecteurs des Campanules et sur le mode de fécondation de ces plantes. *Ann. Sci. Nat. Bot.*, 12 : 244-247.
3. Candolle, A.-P. de, (1835). Introduction à la Botanique ou Traité élémentaire de cette science. Libr. Encyclopédique de Roret, Paris ; (2 tomes).
4. Giordan, A. et De Vecchi, G. (1987). *Les origines du savoir*. Lausanne : Delachaux et Niestlé.
5. Grew, N. (1682). *The anatomy of plants* 2e ed. W. Rawlins London.
6. Guignard, L. (1899d). Sur les anthérozoïdes et la double copulation sexuelle chez les végétaux angiospermes. *Rev. Gén. Bot.*, 11 : 129-135
7. Leroy, J.-F. (1959). Histoire de la notion de sexe chez les plantes. Les Conférences du Palais de la découverte, série D, n° 68. Edit. du Palais de la découverte, Paris.
8. Mirbel, C-F. & Spach, E. (1839). Notes pour servir à l'histoire de l'embryologie végétale. *Ann. Sci. Nat. Bot.*, 11 : 200-2017 (+381-382, rectificatif).
9. Raichvarg, D. (1987). La didactique a-t-elle raison de s'intéresser à l'histoire des sciences ? *In Aster*, n°5, pp.3-34.
10. Schleiden, J. (1839a). Sur la formation de l'ovule et l'origine de l'embryon dans les Phanérogames. *Ann. Sci. Nat. Bot.*, 11 : 129-141.
11. Vallade, J. (2008). L'œil de lynx des microscopistes la sexualité végétale : l'apport des micrographes depuis le 17^{ème} siècle. Editions Universitaires de Dijon, collection «histoire et philosophie des sciences ».
12. Wit, H.C.D. de, (1992-1994). Histoire du développement de la biologie. Traduction et adaptation française H.C.D. de Wit et A. Baudière. Presses polytechniques et universitaires romandes, Lausanne, 1982 à 1989. Edit. française en 3 volumes : T 1 1992 (404 p.), T 2, 1993 (460 p.), T 3, 1994 (635 p.).»